الجزء الثاني
من كتاب

مروج الذهب
و
معادن الجوهر
فى
التاريخ

تأليف العلامة الامام

أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى الشافعى

المتوفى سنة ٣٤٦ هجرية

قال صاحب كشف الظنون

مروج الذهب ومعادن الجوهر فى التاريخ لأبى الحسن على بن الحسين ابن على المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هجرية * أوله الحمد لله أهل الحمد ومستوجب الثناء * وذكر فيه أنه صنف كتابا كبيرا سماه أخبار الزمان ثم اختصره وسماه الأوسط ثم أراد اجمال ما بسطه واختيار ما وسطه فى هذا الكتاب وقال نودعه لمع ما فى ذينك الكتابين مما ضمناه وغير ذلك من أنواع العلوم وأخبار الأمم ثم قال * وسميته بمروج الذهب لنفاسة ما حواه وجعلته تحفة الأشراف * ولم نترك نوعا من العلوم ولا خبرا من الأخبار الا أوردناه مفصلا أو مجملا الى آخر ما قال اهـ ملخصا

التزام عبد الرحمن محمد بميدان الجامع الأزهر بمصر

طبع بالمطبعة البهية المصرية ادارة الملتزم

سنة ١٣٤٦ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ذكر خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه ﴾

بويع علي بن أبي طالب في اليوم الذي قتل فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه فكانت خلافته الى أن استشهد أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام وقيل أربع سنين وتسعة أشهر الا يوما وكانت الفرقة بينه وبين معاوية على ماذكرنا في خلافته وكان مولده في الكعبة وقيل ان خلافته كانت خمس سنين وثلاثة أشهر وسبع ليال واستشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة وعاش بعد الضربة الجمعة والسبت وتوفي ليلة الاحد وقد قيل في مقدار عمره اقل مما ذكرنا وقد تنوزع في موضع قبره فمنهم من قال انه دفن في مسجد الكوفة ومنهم من قال انه حمل الى المدينة فدفن عند فاطمة ومنهم من قال حمل في تابوت على جمل وان الجمل تاه ووقع الى وادي طيء وقد قيل من الوجوه غير ما ذكرنا وقد أتينا على ذلك في كتابنا في أخبار الزمان والكتاب الاوسط (ونذكر نسبه ولمعا من أخباره وسيره) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف ويكنى أبا الحسن وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ولم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا من خلافة المتقي من اسمه علي غيره والمكتفي بالله علي بن المعتضد وكان أول من ولدها شميا من الخلفاء وقد قيل انه بويع البيعة العامة بعد قتل عثمان بأربعة أيام وقد ذكرنا البيعة الاولى فيما سلف من هذا الكتاب وتنازع الناس في اسم أبي طالب أبيه وولد أبي طالب بن عبد المطلب أربعة ذكور وابنتان فطالب وعقيل وجعفر وعلي وفاختة وجمانة لاب وأم أمهم فاطمة بنت اسد بن هاشم وبين كل واحد من البنين عشر سنين بين جعفر وعلي عشر سنين وبين جعفر وعقيل عشر سنين وبين عقيل وطالب عشر سنين وأخرج مشركو قريش طالب بن أبي طالب يوم بدر الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرها ومضى ولم يعرف له خبر وحفظ من قوله هذا اليوم

يارب اما خرجوا بطالب　　في مقنب من تلكم المقانب
فاجعلهم المغلوب غير الغالب　　والرجل المسلوب غير السالب

وكان زوج فاختة بنت أبي طالب أبو وهب هبيرة بن عمرو بن عابد بن عمرو بن مخزوم

وخلف عليها ابناو بنتا وهاجرت ومات زوجها بنجران مشركا وفيها يقول ببلاد نجران من أبيات كثيرة

أشاقتك هند أم نآ كسؤا لها   كذاك النوى أسبابها وانفتالها
وأرقني فى راس حصن ممرد   بنجران يسرى بعد نوم خيالها
فان تك قد تابعت دين محمد   وقطعت الارحام منك حبالها

وهى طويلة وكانت تكنى أم هانئ وقد استعمل على حين أفضت الخلافة اليه ابنها جعدة بن هبيرة وجعدة هو القائل

وانى من مخزوم ان كنت سائلا * ومن هاشم أمى لخير قبيل
فمن ذا الذى ينأى على بخاله * وخالى على ذو الندى وعقيل

وجمانة بنت أبى طالب كان بعلها سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهى أول هاشمية ولدت بهاشمى كذلك ذكر الزبير بن بكار فى كتابه فى أنساب قريش وأخبارها وهاجرت وماتت بالمدينة فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم وكان مسير على الى البصرة فى سنة ست وثلاثين وفيها كانت وقعة الجمل وذلك فى يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى منها وقتل فيها من أصحاب الجمل وأهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفا وقتل من أصحاب على خمسة آلاف وقد تنازع الناس فى مقدار ماقتل من الفريقين فمن مقلل ومكثر فالمقلل يقول قتل بينهم سبعة آلاف على حسب ميل الناس وأهوائهم الى كل فريق منهم وكانت وقعة واحدة فى يوم واحد وقيل انه كان بين خلافة على الى وقعة الجمل وبين أول الهجرة خمس وثلاثون سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام وبين دخول على الى الكوفة وبين التقائه مع معاوية للقتال بصفين سنة أشهر وثلاثة عشر يوما وبين ذلك واول الهجرة ست وثلاثون سنة وثلاثة عشر يوما وقتل بصفين سبعون ألفا من أهل الشأم ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفا وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام وقتل بها من الصحابة ممن كان مع على خمسة وعشرون رجلا منهم عمار بن ياسر أبو اليقظان المعروف بابن سمية وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وكانت عدة الوقائع بين أهل العراق والشأم سبعون وقعة وفى سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الاشعرى بأرض البلقاء من أرض دمشق وقيل بدومة الجندل وهى على عشرة أميال من دمشق وكان من أمرهما ماقد شهر وسنورد فى هذا الكتاب جوامع ماذكرناه ان كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما سلف من كتبنا وفى هذه السنة

حملت الخوارج وهم الشراة وكان ممن شهد صفين مع علي من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلا منهم سبعة عشر من المهاجرين وسبعون من الانصار وشهد معه من الانصار ممن بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والانصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعمائة وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة وفي سنة ثمان وثلاثين كان خروجه مع أهل النهر وان من الخوارج وقعد عن بيعته جماعة عثمانية لم يروا الا الخروج عن الامر منهم سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر وبايع يزيد بعد ذلك والحجاج لعبد الملك بن مروان ومنهم قدامة ابن مظعون وهبان بن صيفي وعبدالله بن سلام والمغيرة بن شعبة الثقفي وممن اعتزل من الانصار كعب بن مالك وحسان بن ثابت وكانا شاعرين وأبو سعيد الخدري ومحمد ابن مسلمة حليف بني عبد الاشهل وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة ومسلمة بن خالد في آخرين ممن لم نذكرهم من العثمانية من الانصار وغيرهم من بني أمية وسواهم وانتزع علي املاكا كانت لعثمان اقطعها جماعة من المسلمين وقسم ما في بيت المال على الناس ولم يفضل احدا على احد وبعث ام حبيبة بنت ابي سفيان الى اخيها معاوية بقميص عثمان مخضبا بدمائه مع النعمان بن بشير الانصاري واتصلت بيعة علي بالكوفة وغيرها من الامصار وكانت اهل الكوفة اسرع اجابة الى بيعته واخذ له البيعة على اهلها ابو موسى الاشعري حتى تكاثر الناس عليه وكان عليها عاملا لعثمان واتاه جماعة ممن تخلف عن بيعته من بني امية منهم سعيد بن العاص ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة بن ابي معيط فجرى بينه وبينهم خطب طويل وقال له الوليد انا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك لكنا قوم وترنا الناس وخفنا على نفوسنا فعذرنا فيما نقول واضح اما انا فقتلت ابي صبرا وضربتني حدا وقال سعيد بن العاص كلاما كثيرا وقال له الوليد اما سعيد فقتلت اباه صبرا واهنت مثواه وامامروان فانك شتمت اباه وكبت عثمان في صنعه اياه وقد ذكر ابو مخنف لوط بن يحيي ان حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير قبل نفوذه بالقميص اتوا عليا في آخرين من العثمانية فقال كعب بن مالك يا امير المؤمنين ليس مسيئا من اعتب وخير كفء ما محاه عذر في كلام كثير ثم بايع وبايع من ذكرنا جميعا وقد كان عمرو بن العاص انحرف عن عثمان لانحرافه وتوليته مصر غيره فنزل الشأم فلما اتصل به امر عثمان وما كان من بيعة علي كتب الى معاوية يهزه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان وكان فيما كتب به اليه ما كنت صانعا اذا قشرت من كل شيء تملكه فاصنع ما أنت

صانع فبعث اليـه معاوية فسار اليه فقال له معاوية بايعنى قال والله لا اعينك من دينى حتى انال من دنياك قال سل قال مصر طعمة فأجابه الى ذلك وكتب له به كتابا وقال عمرو ابن العاص فى ذلك

معاوى لا اعطيك دينى ولم انل * به منك دنيا فانظرن كيف تصنع

فان تعطنى مصرا فاربح صفقة * اخذت بها شيخا يضر وينفع

واتى المغيرة بن شعبة عليا فقال له ان حق الطاعـة النصيحة وان الراى اليوم تحوز به ما فى غد وان التصارع اليوم تضيع به ما فى غد اقرر معاوية على عمله واقرر ابن عامر على عمـله واقرر العمال على اعمالهم حتى اذا اتتك طاعتهم وطاعـة الجنود استبدلت او تركت قال حتى انظر فخرج من عنـده وعاد اليه من الغد فقال انى اشرت عليك بالامس براى وتعقبته وانما الراى ان تعالجهم بالنزع فتعرف السامع من غيره ويستقل امرك ثم خرج فتلقاه ابن عباس خارجا وهو داخل فلما انتهى الى على قال رأيت المغيرة خارجا من عنـدك ففيم جاءك قال جاءنى امس بكيت وكيت وجاءنى اليوم بذيت وذيت فقال اما امس فقد نصحك واما اليوم فقد غشك قال فما الراى قال كان الراى ان تخرج حين قتل عثمان او قبل ذلك فتاتى مكة فتدخل دارك فتغلق عليك بابك فان العرب كانت جائلة مضطرة فى اثرك لا تجد غـيرك فاما اليوم فان بنى اميـة سـيحسنون الطلب بان يلزموك شعبة من هذا الامر ويشبهون فيك على الناس وقال المغيرة نصحته فلم يقبل فغششته وذكر انه قال واما انا فنصحته قبلها ولا انصحه بعدها ﴿ قال المسعودى ﴾ وجـدت فى وجه آخر من الروايات ان ابن عباس قال قدمت من مكة بعد مقتـل عثمان بخمس ليال فجئت عليا ادخل عليـه فقيل لى عنده المغيرة بن شـعبة فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلم على وقال متى قدمت قلت الساعة ودخلت على على وسلمت عليه فقال اين لقيت الزبير وطلحة قلت بالنواصف قال ومن معهما قلت ابو سعيد بن الحرث بن هشام بن قتيبة من قريش فقال على اما انهم لم يكن لهم بد ان يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان والله يعلم انهم قتلة عثمان فقلت اخبرنى عن شان المغيرة ولم خلا بك قال جاءنى بعـد مقتل عثمان بيومين فقال اخلنى ففعلت فقال ان النصح رخيص وانت بقية الناس وانا لك ناصح وانا اشير عليك ان لا ترد عمال عثمان عامك هذا فاكتب اليهم باثباتهم على اعمالهم فاذا بايعوا لك واطمان امرك عزلت من احببت واقررت من احببت فقلت له والله لا اداهن فى دينى ولا اعطى الرياء

فى امرى قال فان كنت قد ابيت فانزع من شئت واترك معاوية فان له جراءة وهو فى اهل الشام مسموع منه ولك حجة فى اثباته فقد كان عمر ولاه الشام كلها فقلت له لا والله لا استعمل معاوية يومين ابدا فخرج من عندى على ما اشار به ثم عاد فقال انى اشرت عليك بما اشرت به وابيت على فنظرت فى الامر واذا انت مصيب لا ينبغى ان تاخذ امرك بخدعة ولا يكون فيه دنسة قال ابن عباس فقلت له اما اول ما اشار عليك فقد نصحك واما الآخر فقد غشك وانا اشير عليك ان تثبت معاوية فان بايع لك فعلى ان اقلعه من منزله قال لا والله لا اعطيه الا السيف ثم تمثل

فما منة ان منها غير عاجز * بعار اذا ما غالت النفس غالها

فقال يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة فقال على بلى قلت أما والله لئن أطعتنى لاصدرن بهم بعد ورود ولاتركنهم ينظرون فى آثارهم الامر ولا يدرون ما كان وجهها من غير نقص لك ولا اثم عليك فقال يا ابن عباس لست من هنياتك وهنيات معاوية فى شئ يسير مالك عندى الطاعة والله ولى التوفيق

﴿ ذكر الاخبار عن يوم الجمل وبدئه وما كان فيه من الحرب وغيره ﴾

ودخل طلحة والزبير مكة وقد كانا استأذنا عليا فى العمرة فقال لعلكما تريدان البصرة والشأم فأقسما انهما لا يقصدان غير مكة وقد كانت عائشة رضى الله عنها بمكة وقد كان عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة هرب عنها حين أخذ البيعة لعلى بها على الناس حارثة ابن قدامة السعدى ومصير عثمان بن حنيف الانصاري اليها على خراجها من قبل على رضى الله عنه وانصرف عن اليمن عامل عثمان وأعطى عائشة وطلحة والزبير أربعمائة درهم وكراعا وسلاحا وبعث الى عائشة بالجمل المسمى عسكرا وكان شراؤه عليه باليمن مائتى دينار فارادوا الشأم فصدهم ابن عامر وقال ان به معاوية ولا ينقاد اليكم ولا يطيعكم لكن هذه البصرة لى بها صنائع وعدد فجهزهم بالف ألف درهم ومائة من الابل وغير ذلك وسار القوم نحو البصرة فى ستمائة راكب فانتهوا فى الليل الى ماء لبنى كلاب يعرف بالحوأب عليه ناس من بنى كلاب فعوت كلابهم على الركب فقالت عائشة ما اسم هذا الموضع فقال لها السائق لجملها الحوأب فاسترجعت وذكرت ما قيل لها فى ذلك فقالت ردونى الى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لى فى المسير فقال ابن الزبير بالله ماهذا الحوأب ولقد غلط فيما أخبرك به وكان طلحة فى ساقة الناس فلحقها فأقسم

أن ذلك ليس بالحوأب وشهد معهما خمسون رجلا ممن كان معهم فكان ذلك أول شهادة زور أقيمت فى الاسلام فاتوا البصرة فخرج اليهم عثمان بن حنيف فمانعهم وجرى قتال قال ثم انهم اصطلحوا بعد ذلك على كف الحرب الى قدوم على فلما كان فى بعض الليالى بيتوا عثمان بن حنيف فاسروه وضربوه ونتفوا لحيته ثم ان القوم استرجعوا وخافوا على مخلفيهم بالمدينة من أخيه سهل بن حنيف وغيره من الانصار فخلوا عنه وأرادوا بيت المال فمانعهم الخزان والموكلون به وهم السالحون فقتل منهم سبعون رجلا غير من جرح وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبرا من بعد الاسر وهؤلاء أول من قتلوا ظلما فى الاسلام وصبروا وقتلوا حكيم بن جبلة العبدى وكان من سادات عبد القيس وزهاد ربيعة ونساكها وتشاح طلحة والزبير فى الصلاة بالناس ثم اتفقوا على أن يصلى بالناس عبد الله بن الزبير يوما ومحمد بن طلحة يوما فى خطب طويل كان بين طلحة والزبير الى ان اتفقا على ما وصفنا وسار على من المدينة بعد أربعة أشهر وقيل غير ذلك فى سبعمائة راكب منهم أربعمائة من المهاجرين والانصار منهم سبعون بدريا وباقيهم من الصحابة وقد كان استخلف على المدينة سهل بن حنيف الانصارى فانتهى الى الربذة بين الكوفة ومكة من طريق الجادة وفاته طلحة والزبير وقد كان على ارادهم فانصرف حين فاتوه الى العراق فى طلبهم ولحق بعلى من اهل المدينة جماعة من الانصار فيهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين واتاه من طيء ستمائة راكب وكاتب على من الربذة أبا موسى الاشعرى ليستنفر الناس فثبطهم أبو موسى وقال انما هى فتنة فنمى ذلك الى على فولى على الكوفة قرظة بن كعب الانصارى وكتب الى أبى موسى اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذموما مدحورا فما هذا أول يومنا منك وان لك فيها لهنات وهنيات وسار على بمن معه حتى نزل بذى قار وبعث بابنه الحسن وعمار الى الكوفة يستنفر الناس فسار اعنها ومعهما من أهل الكوفة نحو من سبعة آلاف وقيل ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلا فانتهى الى البصرة وراسل القوم وناشدهم الله فأبوا الا قتاله وذكر عن المنذر بن الجارود فيما حدث به أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى عن ابن عائشة عن معن بن عيسى عن المنذر بن الجارود قال لما قدم على رضى الله عنه البصرة دخل مما يلى الطف فأتى الزاوية فخرجت انظر اليه فورد موكب نحو الف فارس يقدمهم فارس على فرس اشهب عليه قلنسوة وثياب بيض متقلد سيفا معه راية واذا تيجان القوم الاغلب عليها البياض والصفرة مدججين فى الحديد والسلاح فقلت

من هذا فقيل أبو أيوب الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الانصار وغيرهم ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلد سيفا متنكب قوسا معه راية على فرس أشقر فى نحو ألف فارس فقلت من هذا فقيل هذا خزيمة بن ثابت الانصارى ذو الشهادتين ثم مر بنا فارس آخر على فرس كميت معتم بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء وعليه قباء ابيض مصقول متقلد سيفا متنكب قوسا فى نحو ألف فارس من الناس ومعه راية فقلت من هذا فقيل لى أبو قتادة بن ربعى ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه ومن خلفه شديد الادمة عليه سكينة ووقار رافع صوته بقراءة القرآن متقلد سيفا متنكب قوسا معه راية بيضاء فى ألف من الناس مختلفى التيجان حوله مشيخة وكهول وشباب كان قد أوقفوا للحساب أثر السجود قد اثر فى جباههم فقلت من هذا فقيل عمار بن ياسر فى عدة من الصحابة من المهاجرين والانصار وابنائهم ثم مر بنا فارس على فرس أشقر عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء متنكب قوسا متقلد سيفا تخط رجلاه فى الارض فى ألف من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض معه راية صفراء قلت من هذا قيل هذا قيس بن سعد بن عبادة فى الانصار وابنائهم وغيرهم من قحطان ثم مر بنا فارس على فرس أشهل ما رأينا أحسن منه عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه بلواء قلت من هذا قيل هو عبد الله بن العباس فى عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالاولين قلت من هذا قيل قثم بن العباس او سعيد بن العاص ثم اقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضا واشتبكت الرماح ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات فى اوله راية كبيرة يقدمهم رجل كانما كسر وجبر (قال ابن عائشة وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره الى الارض اكثر من نظره الى فوق كذلك تخبر العرب فى وصفها اذا اخبرت عن الرجل انه كسر وجبر) كأنما على رؤسهم الطير وعن ميسرتهم شاب حسن الوجه قلت من هؤلاء قيل هذا على بن ابى طالب وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى وهذا الذى خلفه عبد الله بن جعفر بن ابى طالب وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بنى هاشم وهؤلاء المشايخ اهل بدر من المهاجرين والانصار فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية فصلى أربع ركعات وعفر خديه على التربة وقد خالط ذلك دموعه ثم رفع يديه يدعو

اللهم رب السموات وما اظلت والارضين وما اقلت ورب العرش العظيم هذه البصرة اسألك من خيرها واعوذ بك من شرها اللهم انزلنا فيها خير منزل وانت خير المنزلين اللهم هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتى وبغوا على ونكثوا بيعتى اللهم احقن دماء المسلمين وبعث اليهم من يناشدهم الله فى الدماء وقال علام يقاتلوننى فأبوا الا الحرب فبعث رجلا من اصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعو الى الله فرموه بسهم فقتلوه فحمل الى على وقالت امه

يارب ان مسلما أتاهم * يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه لحاهم * وامه قائمة تراهم

وأمر على رضى الله عنه ان يصافوهم ولا يبدءوهم بقتال ولا يرموهم بسهم ولا يضربوهم ولا يطعنوهم برمح حتى جاء عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى من الميمنة بأخ له مقتول وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمى بسهم فقتل فقال على اللهم اشهد وأعذروا الى القوم ثم قام عمار بن ياسر بين الصفين فقال ايها الناس ما أنصفتم نبيكم حيث كففتم عقائل تلك الخدور وأبرزتم عقيلته للسيوف وعائشة على جمل فى هودج من دفوف الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر وجعلوا دونه اللبود قد غشى على ذلك بالدروع فدنا عمار من موضعها فنادى الى ماذا تدعيننى قالت الى الطلب بدم عثمان فقال قتل الله فى هذا اليوم الباغى والطالب بغير الحق ثم قال أيها الناس انكم لتعلمون أينا الممالئ فى قتل عثمان ثم أنشأ يقول وقد رشقوه بالنبل

فنك البكاء ومنك العويل * ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام * وقاتله عندنا من أمر

وتواتر عليه الرمى واتصل فحرك فرسه وزال عن موضعه فقال ماذا تنتظر ياأمير المؤمنين وليس لك عند القوم الا الحرب فقام على رضى الله عنه فقال أيها الناس اذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيرا ولا تتبعوا موليا ولا تطلبوا مدبرا ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل ولا تهتكوا سترا ولا تقربوا من أموالهم الا ما تجدونه فى عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبد أو أمة وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله وخرج على بنفسه حاسرا على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سلاح عليه فنادى يازبير اخرج الى فخرج شاكا فى سلاحه فقيل لعائشة فقالت واحرباه بأسماء فقيل لها ان عليا حاسر فاطمأنت واعتنق كل واحد منهما صاحبه فقال له

على ويحك يازبير ماالذى أخرجك قال دم عثمان قال قتل الله أولانا بدم عثمان أماتذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى بياضة وهو راكب حماره فضحك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحكت أنت معه فقلت أنت يارسول الله مايدع على زهوه فقال لك ليس به زهو أتحبه يازبير فقلت انى والله لاحبه فقال لك انك والله ستقاتله وأنت له ظالم فقال الزبير أستغفر الله لوذكرتها ماخرجت فقال يازبير ارجع فقال وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان هذا والله العار الذى لا يغسل فقال يازبير ارجع بالعار قبل ان تجمع العار والنار فرجع الزبير وهو يقول

اخترت عارا على نار مؤججة * ماان يقوم لها خلق من الطين
نادى على بامر لست أجهله * عار لعمرك فى الدنيا وفى الدين
فقلت حسبك من عدل أباحسن * فبعض هذا الذى قد قلت يكفينى

فقال ابنه عبد الله أين تدعنا فقال يابنى اذكرنى أبو حسن بامر كنت قد أنسيته فقال لا والله ولكنك فررت من سيوف بنى عبد المطلب فانها طوال حداد تحملها فتية انجاد قال لا والله ولكنى ذكرت ماأنسانيه الدهر فاخترت العار على النار أبالجبن تعير نى لا أبالك ثم أمال سنانه وشد فى الميمنة فقال على افرجوا له فقد هاجوه ثم رجع فشد فى الميسرة ثم رجع فشد فى القلب ثم عاد الى ابنه فقال أيفعل هذا جبان ثم مضى منصرفا حتى اتى وادى السباع والاحنف بن قيس معتزل فى قومه من بنى تميم فاتاه آت فقال له هذا الزبير مار فقال ماأصنع بالزبير وقد جمع بين فئتين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضا وهو مار الى منزله سالما فلحقه نفر من بنى تميم فسبقهم اليه عمرو بن جرموز وقد نزل الزبير الى الصلاة فقال أتؤمنى أو أؤمك فامه الزبير فقتله عمرو فى الصلاة وقتل الزبير رضى الله عنه وله خمس وسبعون سنة وقد قيل ان الاحنف بن قيس قتله بارسال من أرسل من قومه وقد رثته الشعراء وذكرت غدر ابن جرموز به وممن رثاه زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل أخت سعيد بن زيد فقالت

غدر ابن جرموز بفارس تهمة * يوم اللقاء وكان غير معدد
ياعمرو لونبهته لوجدته * لاطائشا رعش الجنان ولااليد
هبلتك أمك أن قتلت لمسلما * حلت عليك عقوبة المتعمد
ماان رأيت ولاسمعت بمثله * فيمن مضى ممن يروح ويغتدى

وأتى عمرو عليا بسيف الزبير وخاتمه ورأسه وقيل انه لم يأت برأسه فقال على سيف طال

ماجلا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه الجبن ومصارع السوء وقاتل ابن صفية فى النار ففى ذلك يقول عمرو بن جرموز التميمى

أتيت عليا برأس الزبير * وقد كنت أرجو به الزلفة(١)

فبشر بالنار قبل العيان * وبئس بشارة ذى التحفة

لسيان عندى قتل الزبير * وضرطة عنز بذى الجحفة

ثم نادى على رضى الله عنه طلحة حين رجع الزبير يا أبا محمد ما الذى أخرجك قال الطلب بدم عثمان قال على قتل الله أولانا بدم عثمان أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنت أول من بايعنى ثم نكثت وقد قال الله عز وجل ومن نكث فانما ينكث على نفسه فقال أستغفر الله ثم رجع فقال مروان ابن الحكم رجع الزبير ويرجع طلحة ما أبالى رميت ههنا أم ههنا فرماه فى أكحله فقتله فمر به على بعد الوقعة فى موضعه فى قنطرة قرة فوقف عليه فقال انا لله وانا اليه راجعون والله لكنت كارها لهذا أنت والله كما قال القائل

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه * اذا ماهو استغنى ويبعده الفقر

كأن الثريا علقت فى يمينه * وفى خده الشعرى وفى الآخر البدر

وذكر أن طلحة رضى الله عنه لما ولى سمع وهو يقول

ندامة ما ندمت وضل حلمى * ولهفى ثم لهف أبى وأمى

ندمت ندامة الكسعى لما * طلبت رضا بنى حزم بزعمى

وهو يمسح عن جبينه الغبار وهو يقول وكان أمر الله قدرا مقدورا وقيل انه سمع وهو يقول هذا الشعر وقد جرحه فى جبهته عبد الملك ورماه مروان فى أكحله وقد وقع صريعا يجود بنفسه وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله بن عمر بن كعب ابن سعيد بن تيم الله وهو ابن عم أبى بكر الصديق ويكنى أبا محمد وأمه الصعبة وكانت ابنة أبى سفيان صخر بن حرب كذلك ذكر الزبير بن بكار فى كتابه فى انساب قريش وقتل وهو ابن أربع وستين سنة وقيل غير ذلك ودفن بالبصرة وقبره ومسجده الى هذه الغاية وقبر الزبير بوادى السباع وقتل محمد بن طلحة مع أبيه فى ذلك اليوم ومر به على فقال هذا رجل قتله بره بابيه وطاعته وكان يدعى بالسجاد وقد تنوزع فى كنيته فقال الواقدى كان يكنى بابى سليمان وقال الهيثم بن عدى كان يكنى بابى القاسم وفيه

---

(١) قوله الزلفة فيه مع التحفة والجحفة عيب الاصراف والاختلاف هنا بالفتح والكسر اهـ

يقول قاتله

وأشعث سجاد بآيات ربه * قليل الاذى فيما ترى العين مسلم
شككت له بالرمح جيب قميصه * فخر صريعا لليدين وللفم
على غير شيء غير ان ليس تابعا * عليا ومن لا يتبع الحق يندم
يذكرني حاميم والرمح شارع * فهلا تلا حاميم قبل التقدم

وقد كان أصحاب الجمل حملوا على ميمنة على وميسرته فكشفوها فأتاه بعض ولد عقيل وعلى يخفق نعاسا على قربوس سرجه فقال له ياعم قد بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى وأنت تخفق نعاسا قال اسكت يا ابن اخى فان لعمك يوما لا يعدوه والله لا يبالى عمك وقع على الموت أو وقع الموت عليه ثم بعث الى ولده محمد بن الحنفية وكان صاحب رايته احمل على القوم فابطأ محمد عليه وكان بازائه قوم من الرماة ينتظر نفاد سهامهم فأتاه على فقال هلا حملت فقال لا أجد متقدما الا على سهم أو سنان وانى لمنتظر نفاد سهامهم وأحمل فقال احمل بين الاسنة فان للموت عليك جنة فحمل محمد فسكن بين الرماح والنشاب فوقف فأتاه على فضربه بقائم سيفه وقال أدركك عرق من أمك وأخذ الراية وحمل وحمل الناس معه فما كان القوم الا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وطافت بنو أمية بالجمل وأقبلوا يرتجزون ويقولون

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل * ننازل الموت اذا الموت نزل
ردوا علينا شيخنا ثم بجل * عثمان ردوه بأطراف الاسل
والموت أحلى عندنا من العسل

وقطع على خطام الجمل سبعون يدا من بني ضبة معهم كعب بن سور القاضى متقلدا مصحفا كلما قطعت يد واحد منهم قام آخر فأخذ الخطام وقال انا الغلام الضبى ورمى الهودج بالنشاب والنبل حتى صار كأنه قنفد وعرقب الجمل وهو لا يقع وقد قطعت أعضاؤه وأخذته السيوف حتى سقط ويقال ان عبد الله بن الزبير قبض على خطام الجمل وهو لا يقع وقد ناشده على بخلى عنه ولما سقط الجمل ووقع الهودج جاء محمد بن أبى بكر فادخل يده فقالت من أنت قال اقرب الناس قرابة وأبغضهم اليك انا محمد أخوك يقول لك أمير المؤمنين هل أصابك شيء قالت ما أصابنى الا سهم لم يضرنى فجاء على حتى وقف عليها فضرب الهودج بقضيب وقال يا حميراء رسول الله أمرك بهذا ألم يامرك ان تقرى فى بيتك والله ما أنصفك الذين أخرجوك اذ صانوا عقائلهم وأبرزوك وأمر

أخاها محمدا فانزلها فى دار صفية بنت الحرث بن أبى طلحة العبدى وهى أم طلحة الطلحات ووقع الهودج والناس مفترقون يقتتلون والتقى الاشتر بن مالك بن الحرث النخعى وعبدالله بن الزبير فاعتركا وسقطا الى الارض عن فرسيهما والناس حولهم يجولون وابن الزبير ينادى

اقتلونى ومالكا * واقتلوا مالكا معى

فلا يسمعهما احد لشدة الجلاد ووقع الحديد ولا يراهما راء لظلمة النقع وترادف العجاج وجاء ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت الى على فقال يا أمير المؤمنين لا تنكس اليوم رأس محمد واردد اليه الراية فدعا به ورد عليه الراية وقال

اطعنهم طعن أبيك تحمد   لا خير فى حرب اذا لم توقد

بالمشرفى والقنا المشرد

ثم استسقى فاتى بعسل وماء فحسا منه حسوة وقال هذا الطائفى وهو غريب البلد فقال له عبدالله بن جعفر ماشغلك مانحن فيه عن علم هذا قال انه والله يا بنى ما حلا بصدر عمك شئ قط من أمر الدنيا ثم دخل البصرة وكانت الوقعة فى الموضع المعروف بالحربية يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين على حسب ماقدمنا آنفا من التاريخ وخطب الناس بالبصرة خطبته الطويلة التى يقول فيها يا أهل المسجد يا أهل المؤتفكة ائتفكت باهلك من الدهر ثلاثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المرأة يا أتباع البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم أخلاقكم رقاق واعمالكم نفاق ودينكم زيغ وشقاق وماؤكم اجاج زعاق وقد ذم على أهل البصرة بعد هذا الموقف مرارا كثيرة وبعث بعبدالله بن عباس الى عائشة يامرها بالخروج الى المدينة فدخل اليها بغير اذنها واجتذب وسادة فجلس عليها فقالت يا ابن عباس أخطات السنة المامور بها دخلت الينا بغير اذننا وجلست على رحلنا بغير أمرنا فقال لها لو كنت فى البيت الذى خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مادخلنا الا باذنك وماجلسنا على رحلك الا باذنك ان أمير المؤمنين يامرك بسرعة الأوبة والتاهب للخروج الى المدينة فقالت ابيت ماقلت وخالفت ماوصفت فمضى الى على فخبره بامتناعها فرده اليها وقال ان امير المؤمنين يعزم عليك ان ترجعى فانعمت وأجابت الى الخروج وجهزها على وأتاها فى اليوم الثانى ودخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقى أولاده وأولاد اخوته وفتيان أهله من بنى هاشم وغيرهم من شيعته من همدان فلما بصرت به النسوان صحن فى وجهه وقلن يا قاتل

الاحبة فقال لوكنت قاتل الاحبة لقتلت من فى هـذا البيت وأشار الى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عامر وغيرهم فضرب من كان معه بايديهم الى قوائم سيوفهم لما علموا من فى البيت مخافة ان يخرجوا فيغتالوهم فقالت لهم عائشة بعد خطب طويل كان بينهما انى أحب ان أقيم معك فاسير الى قتال عدوك عند سيرك فقال بل ارجعى الى البيت الذى تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته ان يؤمن ابن أختها عبدالله بن الزبير فامنه وتكلم الحسن والحسين فى مروان فامنه وأمن الوليد بن عقبة وولد عثمان وغيرهم من بنى أمية وأمن الناس جميعاً وقد كان نادى يوم الوقعة من ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن واشتد حزن على على من قتل من ربيعة قبل ورود البصرة وهم الذين قتلهم طلحة والزبير من عبد القيس وغيرهم من ربيعة وجد حزنه قتل زيد بن صوحان قتله فى ذلك اليوم عمرو ابن سبرة ثم قتل عمار بن ياسر عمرو بن سبرة فى ذلك اليوم أيضا وكان على يكثر من قوله

يالهف نفسى على ربيعه ربيعة السامعة المطيعه

خرجت امرأة من عبد القيس تطوف القتلى فوجدت ابنين لها قد قتلا وقد كان قتل زوجها واخوان لها فيمن قتل قبل مجىء على البصرة فانشأت تقول

شهدت الحروب فشيبننى فلم أر يوما كيوم الجمل
أضر على مؤمن فتنة واقتله لشجاع بطل
فليت الظعينة فى بيتها وليتك عسكر لم ترتحل

وقد ذكر المدائنى أنه رأى بالبصرة رجلا مصطلم الاذن فسأله عن قصته فذكر أنه خرج يوم الجمل ينظر الى القتلى فنظر الى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا فلم تنصرف الا ونحن رواء
اطعنا بنى تيم لشقوة جدنا وماتيم الا أعبد واماء

فقلت سبحان الله اتقول هذا عند الموت قل لا اله الا الله فقال يا ابن اللخناء اياى تأمر بالجزع عند الموت فوليت عنه متعجبا منه فصاح بى ادن منى لقنى الشهادة فصرت اليه فلما قربت منه استدنانى ثم التقم أذنى فذهب بها فجعلت ألعنه وأدعو عليه فقال اذا صرت الى امك فقالت من فعل هذا بك فقل عمير بن الاهلب الضبى مخدوع المرأة التى أرادت أن تكون أمير المؤمنين وخرجت عائشة من البصرة وقد بعث معها على أخاها عبد الرحمن بن أبى بكر وثلاثين رجلا وعشرين امرأة من ذوات الدين من

عبدالقيس وهمدان وغيرهما ألبسهن العمائم وقلدهن السيوف وقال لهن لا تعلمن عائشة أنكن نسوة كأ فكن رجال وكن اللاتي تلين خدمتها وحملها فلما أتت المدينة قيل لها كيف رأيت مسيرك قالت كنت بخير والله لقد أعطى على بن أبي طالب فأكثر ولكنه بعث معي رجالا فعرفها النسوة أمرهن فسجدت وقالت ما ازددت والله يا ابن أبي طالب الا كرما ووددت أني لم اخرج وان أصابتني كيت وكيت من أمور ذكرتها وانما قيل لى تخرجين فتصلحين بين الناس فكان ما كان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن الذى قتل من أصحاب على فى ذلك اليوم خمسة آلاف ومن أصحاب الجمل وغيرهم من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفا وقيل غير ذلك ووقف على على عبد الرحمن بن عتاب ابن أسيد بن أبي العاص بن أمية وهو قتيل يوم الجمل فقال لهفي عليك يعسوب قريش قتلت الغطاريف من بني عبد مناف شفيت نفسي وجدعت أنفي فقال له الاشتر ما أشد جزعك عليهم يا أمير المؤمنين وقد أرادوا بك ما نزل بهم فقال لى انه قامت عنى وعنهم نسوة لم يقمن عنك وأصيب كف ابن عتاب بمنى ألقاها عقاب وفيها خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب وكان اليوم الذى وجد فيه الكف بعد يوم الجمل بثلاثة أيام ودخل على بيت مال الكوفة فى جماعة من المهاجرين والانصار فنظر الى ما فيه من العين والورق فجعل يقول يا صفراء غرى غيرى وأدام النظر الى المال مفكرا ثم قال اقسموه بين أصحابى ومن معى خمسمائة خمسمائة ففعلوا فما نقص درهم واحد وعدد الرجال اثنا عشر ألفا وقبض ما كان فى عسكرهم من سلاح ودابة ومتاع وآلة وغير ذلك فباعه وقسمه بين أصحابه وأخذ لنفسه ما أخذ لكل واحد ممن معه من اصحابه واهله خمسمائة درهم فأتاه رجل من اصحابه فقال يا امير المؤمنين انى لم آخذ شيأ وخلفنى عن الحضور كذا وادلى بعذر فاعطاه الخمسمائة التى كانت له وقيل لابى لبيد الجهمى من الازد اتحب عليا قال وكيف احب رجلا قتل من قومى فى بعض يوم الفين وخمسمائة وقتل من الناس حتى لم يكن احد يعزى احدا واشتغل اهل كل بيت بمن لهم وولى على على البصرة عبد الله بن عباس وسار الى الكوفة فكان دخوله اليها لاثنتى عشرة ليلة مضت من رجب وبعث الى الاشعث بن قيس يعزله عن اذربيجان وارمينية وكان عاملا لعثمان فكان فى نفس الاشعث على على ما ذكرنا من العزل وما خاطبه به حين قدم عليه فيما اقتطع هنالك من الاموال ووجه بجرير بن عبد الله الى معاوية وقد كان جرير قال لعلى ابعثنى اليه فانه لم يزل لى

مستنصحا وواداً فآتيه وأدعوه الى ان يسلم هذا الامر وادعو اهل الشأم الى طاعتك فقال الاشتر لا تبعثه ولا تصدقه فوالله انى لاظن هواه هواهم ونيته نيتهم فقال على دعه حتى ننظر ما يرجع به الينا فبعث به وكتب الى معاوية معه يعلمه مبايعة المهاجرين والانصار اياه واجتماعهم عليه ونكث الزبير وطلحة وما أوقع الله بهما ويأمره بالدخول فى طاعته ويعلمه انه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة فلما قدم عليه جرير دافعه وساءله ان ينتظره وكتب الى عمرو بن العاص على ماقدمنا فى صدر هذا الباب فاشار عليه عمرو بالبعثة الى وجوه الشأم وأن يلزم عليا دم عثمان ويقاتلهم به فقدم جرير على على فاخبره خبرهم واجتماع اهل الشام مع معاوية على قتاله وانهم يبكون على عثمان ويقولون ان عليا قتله وآوى قتلته ومنع منهم وانهم لا بد لهم من قتاله حتى يفنوه أو يفنيهم فقال الاشتر قد كنت أخبرتك ياامير المؤمنين بعداوته وغشه لو بعثتنى لكنت خيرا من هذا الذى ارخى خناقه واقام حتى لم يدع بابا نرجو منه الافتحه ولا بابا نخاف منه الا أغلقه فقال جرير لو كنت ثم لقتلوك والله لقد ذكروا انك من قتلة عثمان قال الاشتر لو أتيتهم والله ياجرير لم يعينى جوابهم ولا ثقل على خطابهم ولحملت معاوية على خطة أعجلته فيها عن الفكر ولو أطاعنى امير المؤمنين قبل لحبسك واشباهك فى محبس فلا تخرجون منه حتى يستقيم هذا الامر فخرج جرير عند ذلك الى بلاد قرقيسيا والرحبة من شاطئ الفرات وكتب الى معاوية يعلمه مانزل به وانه أحب مجاورته والمقام فى داره فكتب اليه معاوية بالمسير اليه وبعث معاوية الى المغيرة بن شعبة الثقفى عند منصرف على من الجمل وقبل مسيره الى صفين بكتاب يقول فيه قد ظهر من رأى ابن أبى طالب ما كان يقدم من وعده لك فى طلحة والزبير فما الذى بقى فى رأيه فينا وذلك أن المغيرة بن شعبة لما قتل عثمان وبايع الناس عليا دخل عليه المغيرة فقال ياامير المؤمنين ان لك عندى نصيحة فقال وماهى قال ان أردت أن يستقيم لك ما أنت فيه فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة والزبير بن العوام على البصرة وابعث الى معاوية بعهده على الشأم حتى تلزمه طاعتك فاذا استقر قرارها رأيت فيه رأيك قال أما طلحة والزبير فسأرى رأيى فيهما وأما معاوية فلا والله لا يرانى الله استعين به مادام على أبدا ولكنى أدعوه الى ما عرفته فان اجاب والا حاكمته الى الله فانصرف المغيرة وقال

نصحت عليا فى ابن هند مقالة ... فردت فلا يسمع لها الدهر ثانيه

وقلت له أرسل اليه بعهده … على الشام حتى يستقر معاويه
ويعلم أهل الشام أن قد ملكته … وأم ابن هند عند ذلك هاويه
فلم يقبل النصح الذى جئته به … وكانت له تلك النصيحة كافيه

(قال المسعودى) رحمه الله وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ما كان من المغيرة مع على وما أشار به وهذا أحد الوجوه المروية فى ذلك فهذه جوامع مما يحتاج اليه من أخبار يوم الجمل وما كان فيه دون الاكثار والتطويل وتكرار الاسانيد فى ذلك والله ولى التوفيق

﴿ ذكر جوامع مما كان بين أهل العراق واهل الشام بصفين ﴾

﴿ قال المسعودى ﴾ رحمه الله وقد ذكرنا جملا وجوامع من اخبار على رضى الله عنه بالبصرة وما كان يوم الجمل فلنذكر الآن جوامع من سيره الى صفين وما كان فيها من الحروب ثم نعقب ذلك بشأن الحكمين والنهروان ومقتله عليه السلام وكان سير على من الكوفة الى صفين لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر الانصارى فاجتاز فى مسيره بالمدائن ثم اتى الانبار وسار حتى نزل الرقة فعقد له هناك جسر افعبر الى جانب الشام وقد تنوزع فى مقدار ما كان معه من الجيش فمكثر ومقلل والمتفق عليه من قول الجميع تسعون الفا وقال رجل من اصحاب على لما استقروا مما يلى الشام من أبيات كتب بها الى معاوية

اثبت معاوى قد اتاك الحافل … تسعون ألفا كلهم مقاتل
عما قليل يضمحل الباطل

وسار معاوية من الشام وقد تنوزع فى مقدار من كان معه فمكثر ومقلل والمتفق عليه من قول الجميع خمس وثمانون الفا فسبق عليا الى صفين وعسكر فى موضع سهل افيح اختاره قبل قدوم على على شريعة لم يكن على الفرات فى ذلك الموضع اسهل منها للوارد الى الماء وما عداها اخراق عالية ومواضع الى الماء وعرة ووكل ابا الاعور السلمى بالشريعة مع اربعين الفا وكان على مقدمته وبات على وجيشه فى البر عطاشا قد حيل بينهم وبين الورود الى الماء فقال عمرو بن العاص لمعاوية ان عليا لا يموت عطشا هو وتسعون الفا من اهل العراق وسيوفهم على عواتقهم ولكن دعهم يشربون ونشرب فقال معاوية لا والله او يموتوا عطشا كما مات عثمان وعلى يدور فى عسكره بالليل فسمع

قائلا وهو يقول

ايمنعنا القوم ماء الفرات وفينا الرماح وفينا الحجف
وفينا على له صـــولة اذا خوفوه الردى لم يخف
ونحن غداة لقينا الزبير وطلحة خضنا غمار التلف
فمابالنا الامس اسد العرين ومابالنا اليوم شاة النجف

والقى فى فسطاط الاشعث بن قيس رقعة فيها

لئن لم يجل الاشعث اليوم كربة من الموت عنا للنفوس تعلت
ونشرب من ماء الفرات بسيفه فهبنا اناسا قبل كانوا فرت

فلماقرأها حمى واتى عليا رضى الله عنه فقال له اخرج فى اربعة آلاف من الخيل حتى تهجم فى وسط عسكر معاوية فتشرب وتستقى لاصحابك أو تموتوا عن آخركم وانا أسير فى خيل ورجالة وراءك فسار الاشعث وهو يقول مرتجزا

لاوردن خيلى الفراتا شعث النواصى أو يقال ماتا

ثم دعا على الاشتر فسرحه فى أربعة آلاف من الخيل والرجالة فصار يؤم الاشعث صاحب رايته وهو رجل من النخع يرتجز ويقول

ياأشـتر الخيرات ياخير النخع وصاحب النصر اذا عال الفزع
قد خرج القوم وعالوا بالفزع ان تسقنا اليوم فماهو بالبدع

ثم سار على رضى الله عنه وراء الاشتر بباقى الجيش ومضى الاشعث فاردوجهه حتى هجم على عسكر معاوية فازال أباالاعور عن الشريعة وغرق منهم بشرا وخيلا وأورد خيله الفرات وذلك ان الاشعث داخلته الحمية فى هذا اليوم وكان يقدم رمحه ثم يحث أصحابه فيقول ارجوهم مقدار هذا الرمح فيزيلوهم عن ذلك المكان فبلغ ذلك من فعل الاشعث عليا فقال هذا اليوم نصر نافيه بالحمية وفى ذلك يقول رجل من أهل العراق

كشف الاشعث عنا * كربة الموت عيانا * بعدما طارت كلانا
طـيرة مسـت لهانا * فـله المن علينا * وبه دارت رحانا

وارتحل معاوية عن الموضـع وورد الاشتر وقد كشـف الاشعث القوم عن الماء وازالهم عن مواضعهم وورد على فنزل فى الموضع الذى كان فيه معاوية فقال معاوية لعمرو بن العاص ياأباعبدالله ماظنك بالرجل اتراه يمنعنا الماء لمنعنا اياه وقد انحاز باهل الشام الى ناحيـة فى الـبر نائيا عن الماء فقال له عمرو لاان الرجل جاء لغير هذا وانه

لا يرضى حتى تدخل فى طاعته أو يقطع حبال عاتقك فارسل اليه معاوية يستأذنه فى وروده مشرعته واستقاء الناس من طريقه ودخل رسله عسكره فاباحه على كل ماسأل وطلب منه ولما كان أول يوم من ذى الحجة بعد نزول على على هذا الموضع بيومين بعث الى معاوية يدعوه الى اتحاد الكلمة والدخول فى جماعة المسلمين وطالت المراسلة بينهما فاتفقوا على الموادعة الى آخر المحرم فى سنة سبع وثلاثين وامتنع المسلمون عن الغزو فى البحر والبر لشغلهم بالحروب وقد كان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله اليه لشغله بعلى ولم يتم بين على ومعاوية صلح على غير ما اتفقا عليه من الموادعة فى المحرم وعزم القوم على الحرب بعد انقضاء المحرم ففى ذلك يقول حابس بن سعد الطائى صاحب راية معاوية

فمادون المنايا غير سبع * بقين من المحرم أو ثمان

ولما كان فى اليوم الآخر من المحرم قبل غروب الشمس بعث الى أهل الشام انى قد احتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم اليه وانى قد نبذت اليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين فلم يردوا عليه جوابا الا السيف بيننا وبينك أو يهلك الاعجز منا وأصبح على يوم الاربعاء وكان أول يوم من صفر فعبا الجيش وأخرج الاشتر امام الناس واخرج اليه معاوية وقد تصاف أهل الشام وأهل العراق حبيب بن مسلم الفهرى وكان بينهم قتال شديد واسفرت عن قتلى من الفريقين جميعا وانصرفوا فلما كان يوم الخميس وهو اليوم الثانى أخرج على هاشم بن عتبة بن أبى وقاص الزهرى المرقال وهو ابن أخى سعد بن أبى وقاص وانما سمى المرقال لانه كان يرقل فى الحرب وكان أعور ذهبت عينه يوم اليرموك وكان من شيعة على وقد اتينا على خبره فى اليوم الذى ذهبت فيه عينه وحسن بلائه فى ذلك اليوم فى الكتاب الاوسط فى فتوح الشأم فاخرج اليه معاوية اباالاعور السلمى وهو سفيان بن عوف وكان من شيعة معاوية والمنحرفين عن على وكان بينهم الحرب سجالا وانصرفوا فى آخر يومهم عن قتلى كثير وأخرج على فى اليوم الثالث وهو يوم الجمعة أبااليقظان عمار بن ياسر فى عدة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والانصار فيمن شرع معهم من الناس وأخرج اليه معاوية عمرو بن العاص فى تنوخ ونهر وغيرهما من اهل الشام وكانت بينهم سجالا الى الظهر ثم حمل عمار بن ياسر فيمن ذكرنا فازال عمرا عن موضعه وألحقه بعسكر معاوية

واسفرت عن قتلى كثيرة من أهل الشأم ودونهم من أهل العراق وأخرج على فى اليوم الرابع وهو يوم السبت ابنه محمد بن الحنفية فى همدان وغيرها ممن خف معه من الناس فاخرج اليه معاوية عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى حمير ولخم وجذام وقد كان عبيد الله ابن عمر لحق بمعاوية خوفا من على ان يقيده بالهرمزان وذلك أن أبا لؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة قاتل عمر كان فى أرض العجم غلاما للهرمزان فلما قتل عمر شد عبيد الله على الهرمزان فقتله وقال لا أترك بالمدينة فارسيا ولا فى غيرها الا قتلته وكان الهرمزان عليلا فى الوقت الذى قتل فيه عمر فلما صارت الخلافة الى على اراد قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان لقتله اياه ظلما من غير سبب استحقه فلجأ الى معاوية فاقتتلوا فى ذلك اليوم وكانت على أهل الشأم ونجا ابن عمر فى آخر النهار هربا وأخرج على فى اليوم الخامس وهو يوم الاحد عبد الله بن العباس فاخرج اليه معاوية الوليد بن عقبة بن أبى معيط فاقتتلوا وأكثر الوليد من سب بنى عبد المطلب بن هاشم فقاتله ابن عباس قتالا شديدا وناداه ابرز الى ياصفوان وكان لقب الوليد وكانت الغلبة لابن عباس وكان يوما صعبا وأخرج على فى اليوم السادس وهو يوم الاثنين سعيد بن قيس الهمدانى وهو سيد همدان يومئذ فاخرج اليه معاوية ذا الكلاع وكانت بينهما الى آخر النهار وأسفرت عن قتلى وانصرف الفريقان جميعا وأخرج على فى اليوم السابع وهو يوم الثلاثاء الاشتر فى النخع وغيرهم فاخرج اليه معاوية حبيب بن سلمة الفهرى فكانت بينهم سجالا وصبر كلا الفريقين وتكاثروا وتواقفوا للحرب واسفرت عن قتلى منهما والجراح فى أهل الشام اعم وخرج فى اليوم الثامن وهو يوم الاربعاء على رضى الله تعالى عنه بنفسه فى الصحابة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والانصار وربيعة وهمدان قال ابن عباس رأيت فى هذا اليوم عليا وعليه عمامة بيضاء وكأن عينيه سراجا سليط وهو يقف على طوائف الناس فى مراتبهم يحثهم ويحرضهم حتى انتهى الى وأنا فى كثيف من الناس فقال يامعشر المسلمين عموا الاصوات وأكملوا اللاءمة واستشعروا الخشية واقلقوا السيوف فى الاجفان قبل السلة والحظوا الشزر واطعنوا الهبر ونافحوا الصبا وصلوا السيوف بالخطاء والنبال بالرماح وطيبوا عن أنفسكم أنفسنا فانكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله عاودوا الكر واستقبحوا الفر فانه عار فى الاحقاب ونار يوم الحساب ودونكم هذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان راكب صعيده معترض ذراعيه قد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا

فصبرا جميلا حتى تنجلى عن وجه الحق وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم وتقدم على للحرب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء وخرج معاوية فى عدد أهل الشأم فانصرفوا عند المساء وكل غير ظافر وخرج فى اليوم التاسع على وهو يوم الخميس وخرج معاوية فاقتتلوا الى ضحوة من النهار وبرز امام الناس عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى أربعة آلاف من الحضرية معممين بشقق الحرير الاخضر متقدمين للموت يطلبون بدم عثمان وابن عمر يقدمهم وهو يقول

أنا عبيد الله ينميني عمر * خير قريش من مضى ومن غبر
غير نبى الله والشيخ الاغر * قد أبطأت فى نصر عثمان مضر
والربعيون فلا أسقوا المطر

فناداه على ويحك يا ابن عمر علام تقاتلنى والله لو كان أبوك حيا ما قاتلنى قال أطلب بدم عثمان قال أنت تطلب بدم عثمان والله يطلبك بدم الهرمزان وأمر على الاشتر النخعى بالخروج اليه فخرج الاشتر اليه وهو يقول

انى أنا الاشتر معروف السير   انى انا الافعى العراقى الذكر
لست من الحى ربيع أو مضر   لكننى من مذحج البيض الغرر

فانصرف عنه عبيد الله ولم يبارزه وكثرت القتلى يومئذ وقال عمار بن ياسر انى لارى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لكنا على الحق وكانوا على الباطل وتقدم عمار فقاتل ثم رجع الى موضعه فاستسقى فاتته امرأة من نساء بنى شيبان من مصافهم بعس فيه لبن فدفعته اليه فقال الله أكبر الله أكبر اليوم القى الاحبة تحت الاسنة صدق الصادق وبذلك خبر الناطق وهو اليوم الذى وعدت فيه ثم قال أيها الناس هل من رائح الى الله تحت العوالى والذى نفسى بيده لنقاتلنكم على تاويله كما قاتلناكم على تنزيله وتقدم وهو يقول

نحن ضربناكم على تنزيله   فاليوم نضربكم على تاويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق الى سبيله

فتوسط القوم واشتبكت عليه الاسنة فقتله ابو الهادية العاملى وأبو حواء السكسكى واختلفا فى سلبه فاحتكما الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لهما اخرجا عنى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبغت قريش

بعمار ماالهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار وكان قتله عند المساء وله ثلاث وتسعون سنة وقبره بصفين وصلى عليه علي عليه السلام ولم يغسله وكان يغير شيبه وقدتنوزع في نسبه فمن الناس من الحقه ببني مخزوم ومنهم من رأى انه من حلفائهم ومنهم من رأى غير ذلك وقد أتينا على خبره في كتاب مزاهر الاخبار وظرائف الآثار عند ذكرنا لاشتراط الخمسين الذين بايعوا عليا على الموت وفي قتله يقول الحجاج بن عربة الانصاري أبياتا رثاه بها

يا للرجال لعين دمعها جاري * قد هاج حزني أبو اليقظان عمار
اهوى اليه أبو حوا فوارسه * يدعو السكون وللجيشين اعصار
فاختل صدر أبي اليقظان معترضا * للرمح قد وجبت فينا له النار
الله عن جمعهم لاشك كان عفا * أتت بذلك آيات وآثار
من ينزع الله غلا من صدورهم * على الاسرة لم تمسسهم النار
قال النبي له تقتلك شرذمة * سيطت لحومهم بالبغي فجار
فاليوم يعرف أهل الشام أنهم * أصحاب تلك وفيها النار والعار

ولما صرع عمار تقدم سعيد بن قيس الهمداني في همدان وتقدم سعد بن عبادة الانصاري في الانصار وربيعة وعدي بن حاتم في طيء وسعيد بن قيس الهمداني في أول الناس فخلطوا الجمع بالجمع واشتد القتال وحطمت همدان أهل الشام حتى قذفتهم الى معاوية وقد كان معاوية صمد فيمن كان معه لسعيد بن قيس ومن معه من همدان وأمر علي الاشتر ان يتقدم باللواء الى أهل حمص وغيرهم من أهل قنسرين فاكثر القتل في أهل حمص وقنسرين بمن معه من القراء وأتى المرقال يومئذ بمن معه فلا يقوم له شيء وجعل يرقل كما يرقل الفحل في قيده وعلي وراءه يقول يا أعور لا تكن جبانا فاتقدم والمرقال يقول

قد اكثر القوم وما أقلا * أعور يبغي اهله محلا
قد عالج الحياة حتى ملا * لا بد ان يفل أو يفلا
اسلهم بذي الكعوب سلا

ثم قصد هاشم بن عتبة المرقال لذي الكلاع وهو من حمير فحمل عليه صاحب لواء ذي الكلاع وكان رجلا من عذرة وهو يقول

اثبت فاني لست من فرعي مضر * نحن اليمانيون ما فينا ضجر

كيف ترى وقع غلام من عذر　　ينعى ابن عفان ويلحى من غدر
يا أعور العين رمى فيها العور　　سيان عندى من سعى ومن أمر

فاختلفا طعنتين فطعنه هاشم المرقال فقتله وقتل بعده سبعة عشر رجلا وحمل هاشم المرقال وحمل ذو الكلاع ومع المرقال جماعة من أسلم قدآلوا أن لا يرجعوا أو يفتحوا أو يقتلوا فاجتلد الناس فقتل هاشم المرقال وقتل ذو الكلاع جميعا فتناول ابن المرقال اللواء حين قتل أبوه فى وسط المعركة وكر فى العجاج وهو يقول

يا هاشم بن عتبة بن مالك　　أعزز بشيخ من قريش هالك
يخبط الخيلين بالسنابك　　أبشر بحور العين فى الارائك
والروح والريحان عند ذلك

ووقف على رضى الله عنه عند مصرع المرقال ومن صرع حوله من الاسلميين وغيرهم فدعا لهم وترحم عليهم وقال من أبيات

جزى الله خيرا عصبة أسلمية　　صباح الوجوه صرعوا حول هاشم
يزيد وعبد الله بشر بن معبد　　وسفيان وابنا هاشم ذى المكارم
وعروة لاينفد ثناه وذكره　　اذا سل بالبيض الخفاف الصوارم

واستشهد فى ذلك اليوم صفوان وسعد ابنا حذيفة بن اليمان وقد كان حذيفة عليلا بالكوفة فى سنة ست وثلاثين فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلى فقال أخرجونى وادعوا الصلاة جامعة فوضع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى وعلى آله ثم قال أيها الناس ان الناس قد بايعوا عليا فعليكم بتقوى الله وانصروا عليا ووازروه فوالله انه لعلى الحق آخرا وأولا وانه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقى الى يوم القيامة ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال اللهم اشهد أنى قد بايعت عليا وقال الحمد لله الذى أبقانى الى هذا اليوم وقال لابنيه صفوان وسعد احملانى وكونا معه فسيكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس فاجتهدا ان تستشهدا معه فانه والله على الحق ومن خالفه على الباطل ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام وقيل بأربعين يوما واستشهد عبد الله بن الحرث النخعى أخو الاشتر واستشهد فيه عبد الله وعبد الرحمن ابنا بديل بن ورقاء الخزاعى فى خلق من خزاعة وكان عبد الله فى ميسرة على وهو يرتجز ويقول

لم يبق الا الصبر والتوكل　　وأخذك الترس وسيف مصقل
ثم التمشى فى الرعيل الاول

فقتل ثم قتــل عبد الرحمن أخوه بعــده فيمن ذكرناه من خزاعة ولما رأى معاوية القتل فى أهــل الشأم وكلب أهــل العراق عليهم استدعى بالنعمان بن جبلة التنوخى وكان صاحب راية قومه فى تنوخ ونهد وقال له لقد هممت أن أولى قومك من هو خير منــك مقدما وانصح منك دينا فقال له النعمان انا لو كنا ندعى الى جيش ممنوع لكان فى لكع بعد الاناة فكيف ونحن ندعوهم الى سيوف قاطعة وردينية شاغرة وقوم ذوى بصائر نافذة والله لقد نصحتك على نفسى وآثرت ملكك على دينى وتركت لهواك الرشــد وأنا أعرفه وحدت عن الحق وأنا أبصره وما وفقت لرشد حــين أقاتل عن ملكك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول مؤمن به ومهاجر معه ولو أعطيناه ما أعطيناك لكان أرأف بالرعية وأجزل فى العطية ولكن قد بذلنا لك الامر ولا بد من اتمامه كان غيا أو رشدا وحاشا ان يكون رشدا وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها اذ أحرمنا ثمار الجنة وأنهارها وخرج الى قومه وصمد الى الحرب وكان عبيد الله بن عمر اذا خرج الى القتال قام اليه نساؤه فشددن عليه سلاحه ماخلا الشيبانية بنت هانى ٔبن قبيصة فخرج فى هذا اليوم وأقبل على الشيبانية وقال لها انى قد عبأت اليوم لقومك وايم الله انى لارجو أن أربط بكل طنب من اطناب فسطاطى سيــدا منهم فقالت ما أبغض الا ان تقاتلهم قال ولم قالت لانه لم يتوجه اليهم صنديد الا أبادوه وأخاف ان يقتلوك وكانى بك قتيلا وقد أتيتهم أسألهــم ان يهبوا الى جيفتك فرماها بقوس فشجها وقال لها ستعلمين بمن آتيــك من زعماء قومك ثم توجــه فحمل عليــه حريث بن جابر الجعفى فطعنه فقتله وقيــل ان الاشتر النخعى هو الذى قتله وقيل ان عليا ضربه فقطع ماعليه من الحديد حتى خالط سيفه حشوة جوفه وان عليا قال حين هرب فطلبه ليقيد منه بالهرمزان لئن فاتنى فى هــذا اليوم لا يفوتنى فى غيره وكلمن نساؤه معاوية فى جيفته فامر ان تأتين ربيعة فتبذلن فى جيفته عشرة آلاف ففعلن ذلك فاستأمرت ربيعة عليا فقال انما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها ولكن قد اجبتهم الى ذلك فاجعــلوا جيفته لبنت هــانى ٔبن قبيصــة الشيبانى زوجته فقالوا لنسوة عبيد الله ان شئتن شددناه الى ذنب بغل ثم ضربناه حتى يدخل الى عسكر معاوية فصرخن وقلن هذا أشد علينا وأخبرن معاوية بذلك فقال لهن ائتوا الشيبانية فسلوها أن تــكلمهم فى جيفته ففعلن وأتت القوم وقالت انا بنت هانى ٔبن قبيصة وهذا زوجى القاطع الظالم قد حذرته ماصار اليــه فهبوا الى جيفته

ففعلوا والقت اليهم بمطرف خز فادرجوه فيه ودفعوه اليها قد شد فى رجله الى طنب فسطاط من فساطيطهم ولما قتل عمار ومن ذكرنا فى هذا اليوم حرض على عليه السلام الناس وقال لربيعة أنتم درعى ورمحى فانتدب له ما بين عشرة آلاف الى اكثر من ذلك من ربيعة وغيرهم قد جادوا بانفسهم لله عز وجل وعلى أمامهم على البغلة الشهباء وهو يقول

من أى يومى من الموت أفر * أيوم لم يقدر ام يوم قدر

وحمل وحملوا معه حملة رجل واحد فلم يبق لاهل الشأم صف الا انتقض وأهمدوا كل ما أتوا عليه حتى أتوا الى قبة معاوية وعلى لا يمر بفارس الا قده وهو يقول

أضربهم ولا أرى معاويه * الأخزر العين العظيم الهاويه

تهوى به فى النار أم هاويه

وقيل ان هذا الشعر لبديل بن ورقاء قاله فى ذلك اليوم ثم نادى على يا معاوية علام يقتل الناس بينى وبينك هلم أحاكمك الى الله فاينا قتل صاحبه استقامت له الامور فقال له عمرو قد أنصفك الرجل فقال له معاوية ما أنصفت وانك لتعلم انه لم يبارزه رجل قط الا قتله أو أسره فقال له عمرو وما تجمل بك الا مبارزته فقال له معاوية طمعت فيها بعدى وحقدها عليه وقد قيل فى بعض الروايات ان معاوية أقسم على عمرو لما أشار عليه بهذا ان يبرز الى على فلم يجد عمرو ومن ذلك بدا فبرز فلما التقيا عرفه على وشال السيف ليضربه به فكشف عمرو عن عورته وقال مكره أخوك لا بطل فحول على وجهه وقال قبحت ورجع عمرو الى مصافه وقد ذكر هشام بن محمد الكلبى عن الشرقى ابن القطامى أن معاوية قال لعمرو وبعد انقضاء الحرب هل غششتنى منذ نصحتنى قال لا قال بلى والله يوم أشرت على بمبارزة على وأنت تعلم ما هو قال دعاك الى المبارزة فكنت من مبارزته على احدى الحسنيين اما ان تقتله فتكون قد قتلت قاتل الاقران وتزداد شرفا الى شرفك واما ان يقتلك فتكون قد استعجلت مرافقة الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فقال معاوية يا عمرو والثانية أشر من الاولى وكان فى هذا اليوم من القتال ما لم يكن قبل ووجدت فى بعض النسخ من أخبار صفين ان هاشما المرقال لما وقع الى الارض وهو يجود بنفسه رفع رأسه فاذا عبيد الله بن عمر مطروح الى قربه جريحا فجثا حتى دنا منه فلم يزل يعض على ثدييه حتى ثبتت فيه أسنانه لعدم السلاح والقوة لانه أصيب فوقه ميتا هو ورجل من بكر بن وائل قد زحف لى

عبيدالله لخشاه وانصرف القوم الى مواضعهم وخرج كل فريق منهم يحملون من أمكن من قتلاهم ومر معاوية فى خواص من أصحابه فى الموضع الذى كان ميمنته فنظر الى عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعى معفرا بدمائه وقد كان على ميسرة على فحمل على ميمنة معاوية فاصيب على ماقدمنا آنفا فاراد معاوية ان يمثل به فقال عبدالله بن عامر وكان صديقا لابن بديل والله لاتركتك واياه فوهبه له فغطاه بعمامته فواراه فقال له معاوية قد والله واريت كبشا من كباش القوم وسيدا من سادات خزاعة غير مدافع لو ظفرت بنا خزاعة لاكلونا ولو أنا فى جندل دون هذا الكبش وأنشأ يقول متمثلا

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت يوما به الحرب شمرا

كليث هزبر كان يحمى ذماره * رمته المنايا قصدها فتقطرا

ونظر على الى غسان فى مصافهم لايزولون فحرض أصحابه عليهم وقال ان هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطفح الطعام وتسقط منه المعاصم والاكف وحتى تشدخ جباههم بعمد الحديد وتنشر حواجبهم على الصدور والاذقان أين أهل الصبر وطلاب الاجر فثاب اليه عصابة من المسلمين من سائر الناس فدعا ابنه محمدا فدفع اليه الراية وقال امش بها نحو هذه الراية مشيارويدا حتى اذا أشرعت فى صدور هم الرماح فامسك حتى يأتيك أمرى ففعل واتاه على ومعه الحسن والحسين وشيوخ بدر وغيرهم من الصحابة وقد كردس الخيل فحملوا على غسان ومن يليها فقتلوا منها بشرا كثيرا وعادت الحرب فى آخر النهار كحالها فى أوله وحملت ميمنة معاوية وفيها عشرة آلاف من مذحج وعشرون ألفا مقنعون فى الحديد على ميسرة على فاقتطعوا ألف فارس فانتدب من أصحاب على عبد العزيز بن الحرث الجعفى وقال لعلى مرنى بأمرك فقال شدالله ركبك سر حتى تنتهى الى اخواننا المحاط بهم وقل لهم يقول لكم على كبروا ثم احملوا ونحمل حتى نلتقى فحمل الجعفى فطعن فى عرضهم حتى انتهى اليهم فاخبرهم بمقالة على فكبروا ثم شدوا حتى التقوا بعلى وشدخوا سبعمائة من أهل الشأم وقتل حوشب ذو ظليم وهو كبش من كباش اليمن فى أهل الشأم وكان على راية هذيل بن سنان وغيرها من ربيعة الحصين بن المنذر بن الحرث بن وعلة الذهلى وفيه يقول على فى هذا اليوم

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قلت قدمها حصين تقدما

فامره بالتقدم واختلط الناس وبطل النبل واستعملت السيوف وجنهم الليل

وتنادوا بالشعار وتقصفت الرماح وتصادم القوم وكان يعتنق الفارس الفارس ويقعان جميعا الى الارض عن فرسيهما وكانت ليلة الجمعة وهى ليلة الهرير فكان جملة من قتل على بكفه فى يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلا أكثرهم فى اليوم وذلك انه كان اذا قتل رجلا كبر اذا ضرب ولم يكن يضرب الا قتل ذكر ذلك عنه من كان يليه فى حربه ولا يفارقه من ولده وغيرهم وأصبح القوم على قتالهم وكسفت الشمس وارتفع القتام وتقطعت الالوية ولم يعرفوا مواقيت الصلاة وغدا الاشتر يرتجز وهو يقول

نحن قتلنا حوشبا * لما غدا قد أعلما
وذا الكلاع قبله * ومعبدا اذ قدما
ان تقتلوا منا أبا الـ * يقظان شيخا مسلما
فقد قتلنا منكم * سبعين راسا مجرما
اضحوا بصفين وقد * لاقوا نكالا مؤلما

وكان الاشتر فى هذا اليوم وهو يوم الجمعة على ميمنة على وقد أشرف على الفتح ونادت مشيخة أهل الشام الله الله فى الحرمات والنساء والبنات وقال معاوية هلم مخباتك يا ابن العاص فقد هلكنا وتذكر ولاية مصر فقال عمرو أيها الناس من كان معه مصحف فليرفعه على رمحه فكثر فى الجيش رفع المصاحف وارتفعت الضجة ونادوا كتاب الله بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهل الشام ومن لثغور العراق بعد أهل العراق ومن لجهاد الروم ومن للترك ومن للكفار ورفع فى عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف وفى ذلك يقول النجاشى بن الحرث

فاصبح أهل الشام قد رفعوا القنا * عليها كتاب الله خير قران
ونادوا عليا يا ابن عم محمد * أما تتقى أن تهلك الثقلان

فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا نجيب الى كتاب الله ونتوب اليه وأحب القوم الموادعة وقيل لعلى قد أعطاك معاوية الحق دعاك الى كتاب الله فاقبل منه وكان أشدهم فى ذلك اليوم الاشعث بن قيس فقال على أيها الناس انه لم يكن من أمركم ما أحب حتى قرحتكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وانى كنت أمس أميرا فاصبحت اليوم مأمورا وقد أحببتم البقاء فقال الاشتر ان معاوية لا خلف له من رجاله ولك بحمد الله الخلف ولو كان له مثل رجالك لما كان له مثل صبرك ولا نصرك فاقدع الحديد

واستعذ بالله وتكلم رؤساء أصحاب علي بنحو من كلام الاشتر فقال الاشعث بن قيس انا لك اليوم على ما كنا عليه أمس وليس ندرى ما يكون غدا وقد والله فل الحديد وكلت البصائر وتكلم معه غيره بكلام كثير فقال علي ويحكم ما رفعوها الا انكم تعلمونها ولا يعلمون بها وما رفعوها لكم الا خديعة ودهاء ومكيدة فقالوا له انه ما يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فنأبى أن نقبله فقال ويحكم انما قاتلتهم ليدينوا بحكم الكتاب فقد عصوا الله فيما أمرهم به ونبذوا كتابه فامضوا على حقكم وقصدكم وخذوا في قتال عدوكم فان معاوية وابن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وبني النابغة وعدة غير هؤلاء ليسوا باصحاب دين ولا قرآن وانا أعرف بهم منكم صحبتهم أطفالا ورجالا فهم شر أطفال ورجال وجرى له مع القوم خطب طويل قد أتينا ببعضه وتهددوه ان يصنع به ما صنع بعثمان وقال الاشعث ان شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد قال ذلك اليك فأتاه ان شئت فاتاه الاشعث فساله فقال له معاوية نرجع نحن وأنتم الى كتاب الله والى ما أمر به في كتابه تبعثون منكم رجلا ترضونه وتختارونه ونبعث برجل ونأخذ عليهما العهد والميثاق أن يعملا بما في الكتاب ولا يخرجا عنه وننقاد جميعا الى ما اتفقا عليه من حكم الله فصوب الاشعث قوله وانصرف الى علي فاخبره بذلك فقال أكثر الناس رضينا وقبلنا وسمعنا وأطعنا فاختار أهل الشأم عمرو بن العاص وقال الاشعث ومن ارتد بعد ذلك الى رأي الخوارج رضينا نحن بأبي موسى الاشعري فقال علي قد عصيتموني في أول الامر فلا تعصوني الآن اني لا أرى ان أولي أباموسى الاشعري فقال الاشعث ومن معه لا نرضى الا بأبي موسى الاشعري قال ويحكم ليس بثقة قد فارقني وخذل الناس وفعل كذا وكذا وذكر أشياء فعلها أبو موسى ثم انه هرب شهورا حتى أمنته لكن هذا عبد الله بن عباس أوليه ذلك فقال الاشعث وأصحابه والله لا يحكم فينا مضري قال علي فالاشتر قالوا وهل هاج هذا الامر الا الاشتر قال فاصنعوا الآن ما أردتم وافعلوا ما بدا لكم أن تفعلوه فبعثوا الى أبي موسى وكتبوا له القضية وقيل لابي موسى ان الناس قد اصطلحوا قال الحمد لله وقد جعلوك حكما قال انا لله وانا اليه راجعون

﴿ذكر الحكمين وبدء التحكيم﴾

كان أبو موسى الاشعري يحدث قبل وقعة صفين ويقول ان الفتن لم تزل في بني اسرائيل ترفعهم وتخفضهم حتى يبعثوا الحكمين يحكمان بما لا يرضى به من اتبعهما فقال

سويد بن علقمة اياك ان ادركت ذلك الزمان ان تكون أحد الحكمين قال انا قال نعم أنت فكان يخلع قميصه ويقول لا جعل الله لى اذا فى السماء مصعدا ولا فى الارض مقعدا فلقيه سويد بن علقمة بعد ذلك فقال يا ابا موسى اتذكر مقالتك قال سل ربك العافية وكان فيما كتب فى الصحيفة ان يحيي الحكمان ما أحيا القرآن ولا يتبعان الهوى ولا يداهنان فى شيء من ذلك فان فعلا فلا حكم لهما والمسلمون من حكمهما برآء وقال على للحكمين حين أكره على أمرهما ورد الاشتر وكان قد اشرف فى ذلك اليوم على الفتح فاخبره مخبر بما قالوا فى على وانه ان لم يرده سلم الى معاوية وفعل به ما فعل بابن عفان فانصرف الاشتر خوفا على على ان تحكما بما فى كتاب الله وكتاب الله كله لى فان لم تحكما بما فى كتاب الله فلا حكم لكما وصيروا الاجل الى شهر رمضان على اجتماع الحكمين فى موضع بين الكوفة والشأم وكان الوقت الذى كتبت فيه الصحيفة لايام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين وقيل بعد هذا الشهر منها ومر الاشعث بالصحيفة يقرؤها على الناس فرحا مسرورا حتى انتهى الى مجلس لبنى تميم فيه جماعة من زعمائهم منهم عروة بن الزبير التميمى وهو اخو بلال الخارجى فقرأها عليهم فجرى بين الاشعث وبين اناس منهم خطب طويل وان الاشعث كان بدء هذا الامر والمانع لهم من قتال عدوهم حتى يفيئوا الى امر الله وقال عروة بن أدية أتحكمون فى دين الله وأمره ونهيه الرجال لا حكم الا لله فكان أول من قالها وحكم بها وقد تنوزع فى ذلك وشد بسيفه على الاشعث فضم فرسه عن الضربة فوقعت فى عجز الفرس ونجا الاشعث وكادت العصبية ان تقع بين النزارية واليمانية لولا اختلاف كلمتهم فى الديانة والتحكيم وفى فعل عروة بن أدية بالاشعث يقول رجل من بنى تميم فى ابيات

عرويا عروكل فتنة قوم * سلفت انما تكون فتيه
ثم تنمى ويعظم الخطب فيها * فاحذرن غب ماأتيت عريه
أعلى الاشعث المعصب بالتا * ج حملت السلاح ياابن أديه
انها فتنة كفتنة ذى العجـ * ـل أيا عروة العصا والعصيه
فانظر اليوم مايقول على * واتبعه فذاك خير البريه

وقد تنوزع فى مقدار من قتل من أهل الشأم والعراق بصفين فذكر أحمد بن الدورقى عن يحيي بن معين ان عدة من قتل بها من الفريقين فى مائة يوم أو عشرة ايام مائة ألف وعشرة آلاف من الناس من أهل الشأم تسعون ألفا ومن أهل العراق عشرون ألفا ونحن

فذهب الى ان عدد من حضر الحرب من أهل الشأم بصفين أكثر مما قيل فى هذا الباب وهو خمسون ومائة ألف مقاتل سوى الخدم والاتباع وعلى هذا يجب أن يكون مقدار القوم جميعا من قاتل منهم ومن لم يقاتل من الخدم وغيرهم ثلثمائة ألف بل أكثر من ذلك لان أقل من فيهم معه واحد يخدمه وفيهم من معه الخمسة والعشرة من الخدم والاتباع وأكثر من ذلك واهل العراق كانوا فى عشرين ومائة ألف مقاتل دون الاتباع والخدم واما الهيثم ابن عدى الطائى وغيره مثل الشرقى بن القطامى وابى مخنف لوط بن يحيى فذكروا ما قدمنا وهو ان جملة من قتل من الفريقين جميعا سبعون الفا من أهل الشأم خمسة وأربعون ألفا ومن اهل العراق خمسة وعشرون ألفا فيهم خمسة وعشرون بدريا وان العدد كان يقع بالقضيب والاحصاء للقتلى فى كل وقعة وتحصيل هذا يتفاوت لان فى قتلى الفريقين من يعرف ومن لا يعرف وفيهم من غرق وفيهم من قتل فى البر فاكلته السباع فلم يدركهم الاحصاء وغير ذلك مما يعسر ما وصفنا وسمعت امرأة بصفين وقد قتل لها ثلاثة أولاد وهى تقول

اعينى جودا بدمع سرب　　على فتية من خيار العرب
وما ضرهم غير جنى النفوس　　بأى امرئ من قريش غلب

ولما وقع التحكيم تباغض القوم جميعا يتبرا الاخ من اخيه والابن من ابيه وامر على بالرحيل لعلمه باختلاف الكلمة وتفاوت الراى وعدم النظام لامورهم وما لحقه من الخلاف منهم وكثرة التحكيم فى جيش اهل العراق وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف وتسابوا ولام كل فريق منهم الآخر فى رايه وسار على يؤم الكوفة ولحق معاوية بدمشق من ارض الشأم وفرق عساكره فلحق كل جند منهم ببلده ولما دخل على رضى الله عنه الكوفة انحاز عنه اثنا عشر الفا من القراء وغيرهم فلحقوا بحروراء قرية من قرى الكوفة وجعلوا عليهم شبيب بن ربعى التميمى وعلى صلاتهم عبد الله بن الكواء اليشكرى من بكر بن وائل فخرج على اليهم وكانت له معهم مناظرات فدخلوا جميعا الكوفة واغاسموا الحرورية لاجتماعهم فى هذه القرية وانحيازهم اليها وقد ذكر يحيى بن معين قال حدثنا وهب بن جابر بن حازم عن الصلت بن بهرام قال لما قدم على الكوفة جعلت الحرورية تناديه وهو على المنبر جزعت من البلية ورضيت بالقضية وقبلت الدنية لا حكم الا لله فيقول حكم الله أنتظر فيكم فيقولون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فيقول على

فاصبران وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون وفى سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين بدومة الجندل وقيل بغيرها على ماقدمنا فى وصف التنازع فى ذلك وبعث على بعبدالله بن العباس وشريح بن هانئ الهمدانى فى اربعمائة رجل فيهم أبوموسى الاشعرى وبعث معاوية بعمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن الصمة فى اربعمائة فلماتدانى القوم من الموضع الذى كان فيه الاجتماع قال ابن عباس لابى موسى ان عليا لم يرض بك حكما لفضل غيرك والمتقدمون عليك كثير وان الناس ابوا غيرك وانى لاظن ذلك لشر يرادبهم وقد ضم داهية العرب معك ان نسيت فلا تنس ان عليا بايعه الذين بايعوا ابابكر وعمر وعثمان وليس فيه خصلة تباعده من الخلافة وليس فى معاوية خصلة تقربه من الخلافة ووصى معاوية عمرا حين فارقه وهو يريد الاجتماع بابى موسى فقال ياابا عبدالله ان اهل العراق قد اكرهوا عليا على ابى موسى وانا واهل الشأم راضون بك وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الراى فاخذ الجد وطبق المفصل ولا تلقه برايك كله ووافاهم سعد بن ابى وقاص وعبدالله بن عمر وعبدالرحمن ابن يغوث الزهرى والمغيرة بن شعبة الثقفى وغيرهم وهؤلاء ممن قعد عن بيعة على فى آخرين من الناس وذلك فى شهر رمضان فلما التقى ابوموسى وعمرو قال عمرو لابى موسى تكلم وقل خيرا فقال ابوموسى بل تكلم انت ياعمرو فقال عمرو ماكنت لافعل واقدم نفسى قبلك ولك حقوق كلها واجبة لسنك وصحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت ضيف فحمد الله ابوموسى واثنى عليه وذكر الحديث الذى حل بالاسلام والخلاف الواقع باهله ثم قال ياعمرو هلم الى امر يجمع الله فيه الالفة ويلم الشعث ويصلح ذات البين فجزاه عمرو خيرا وقال ان للكلام اولا وآخرا ومتى تنازعنا الكلام خطبا لم نبلغ آخره حتى ننسى أوله فاجعل ما كان من كلام نتصادر عليه فى كتاب يصير اليه امرنا قال فاكتب فدعا عمرو بصحيفة وكاتب وكان الكاتب غلاما لعمرو فتقدم اليه ليبدأ به أولا دون أبى موسى لما أراد من المكر به ثم قال له بحضرة الجماعة اكتب فانك شاهد علينا ولا تكتب شيأ يأمرك به احد منا حتى تستأمر الآخر فيه فاذا امرك فاكتب واذا نهاك فانته حتى يجتمع رأينا اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه فلان وفلان فكتب وبدأ بعمرو فقال له عمرو لاأم لك اتقدمنى قبله كانك جاهل بحقه فبدأ باسم عبدالله بن قيس وكتب تقاضيا على انهما يشهدان ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على

الدين كله ولوكره المشركون ثم قال عمرو نشهدان ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بكتاب الله وسنة رسول الله حتى قبضه الله اليه وقد ادى الحق الذى عليه قال أبو موسى اكتب ثم قال فى عمر مثل ذلك ثم قال عمرو اكتب وان عثمان ولى هذا الامر بعد عمر على اجماع من المسلمين وشورى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضامنهم وانه كان مؤمنا فقال ابو موسى الاشعرى ليس هذا مما قعدنا له قال عمرو والله لابد من ان يكون مؤمنا او كافرا قال ابو موسى اكتب قال عمرو فظالما قتل عثمان او مظلوما قال ابو موسى بل قتل مظلوما قال عمرو أفليس قد جعل الله لولى المظلوم سلطانا يطلب بدمه قال أبو موسى نعم قال عمرو فهل تعلم لعثمان وليا أولى من معاوية قال ابو موسى لا قال عمرو أفليس لمعاوية أن يطلب قاتله حيثما كان حتى يقتله او يعجز قال ابو موسى بلى قال عمرو للكاتب اكتب وامره أبو موسى فكتب قال عمرو فانا نقيم البينة أن عليا قتل عثمان قال ابو موسى هذا امر قد حدث فى الاسلام وانما اجتمعنا لله فهلم الى امر يصلح الله به أمة محمد قال عمرو وما هو قال ابو موسى قد علمت ان أهل العراق لا يحبون معاوية أبدا وان أهل الشأم لا يحبون عليا أبدا فهل نخلعهما جميعا ونستخلف عبدالله بن عمرو وكان عبدالله بن عمر على بيت ابى موسى قال عمرو أيفعل ذلك عبدالله بن عمر قال أبو موسى نعم اذا حمله الناس على ذلك فعل فعمد عمرو الى كل مال اليه ابو موسى فصوبه وقال له هل لك فى سعد قال له ابو موسى لا فعدد له عمرو جماعة وأبو موسى يابى ذلك الا ابن عمر فاخذ عمرو الصحيفة وطواها وجعلها تحت قدمه بعد ان ختماها جميعا وقال عمرو ارأيت ان رضى اهل العراق بعبدالله بن عمر وابى اهل الشأم ايقاتل اهل الشأم قال ابو موسى لا قال عمرو فان رضى اهل الشأم وابى اهل العراق ايقاتل اهل العراق قال ابو موسى لا قال عمرو اما اذا رايت الصلاح فى هذا الامر والخير للمسلمين فقم فاخطب الناس واخلع صاحبينا وتكلم باسم هذا الرجل الذى تستخلف فقال ابو موسى بل انت قم فاخطب فانت احق بذلك قال عمرو ما احب ان اتقدمك وما قولى وقولك للناس الا قول واحد فقم راشدا فقام ابو موسى فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس انا قد نظرنا فى امرنا فرأينا اقرب مايحضرنا من الامن والصلاح ولم الشعث وحقن الدماء وجمع الالفة خلعنا عليا ومعاوية وقد خلعت عليا كما خلعت عمامتى هذه واهوى الى عمامته فخلعها واستخلفنا رجلا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصحب ابوه

النبي صلى الله عليه وسلم فبرز في سابقته وهو عبد الله بن عمرو اطراه ورغب الناس فيه ونزل فقام عمرو فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس ان ابا موسى عبد الله بن قيس خلع عليا واخرجه من هذا الامر الذي يطلب وهو اعلم به الا واني خلعت عليا معه واثبت معاوية علي وعليكم وان ابا موسى قد كتب في الصحيفة ان عثمان قد قتل مظلوما شهيدا وان لوليه ان يطلب بدمه حيث كان وقد صحب معاوية رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصحب ابوه النبي صلى الله عليه وسلم واطراه ورغب الناس فيه وقال هو الخليفة علينا وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان فقال ابو موسى كذب عمرو لم نستخلف معاوية ولكنا خلعنا معاوية وعليا معا فقال عمرو بل كذب عبد الله ابن قيس قد خلع عليا ولم يخلع معاوية (قال المسعودي رحمه الله) ووجدت في وجه آخر من الروايات انهما اتفقا على خلع علي ومعاوية وان يجعلا الامر بعد ذلك شورى يختار الناس رجلا يصلح لها فقدم عمرو ابا موسى فقال ابو موسى اني قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا امركم وتنحى وقام عمرو من مكانه فقال ان هذا قد خلع صاحبه وانا اخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبي معاوية فقال ابو موسى مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت انما مثلك كمثل الحمار يحمل اسفارا فقال له عمرو بل اياك يلعن الله كذبت وغدرت انما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ثم وكز ابا موسى فالقاه لجنبه فلما راى ذلك شريح بن هانئ قنع عمرا بالسوط وتحول ابو موسى فاستوى على راحلته ولحق بمكة ولم يعد الى الكوفة وقد كانت خطته واهله وولده بها وآلى ان لا ينظر الى وجه علي ما بقي ومضى ابن عمر وسعد الى بيت المقدس وفي فعل الحكمين يقول ايمن بن خريم بن فاتك الاسدي

لو كان للقوم راي يعظمون به عند الخطوب رموكم بابن عباس
لكن رموكم بوغد من ذوي يمن لم يدر ما ضرب اخماس باسداس

وفي اختلاف الحكمين والحكمة يقول بعض من حضر ذلك

رضينا بحكم الله لا حكم غيره وبالله ربا والنبي وبالذكر
وبالاصلع الهادي على امامنا رضينا بذاك الشيخ في العسر واليسر
رضينا به حيا وميتا فانه امام الهدى في موقف النهي والامر

ولابى موسى يقول ابن عباس

ابا موسى بليت وكنت شيخا قريب العفو مخزون اللسان
وماعمرو صفاتك ياابن قيس فيالله من شيخ يمانى
فامسيت العشية ذا اعتذار ضعيف الركن منكوب العنان
تعض الكف من ندم وماذا يرد عليك عضك للبنان

وقيل انه لم يكن بينهما غير ما كتباه فى الصحيفة واقرار أبى موسى بان عثمان قتل مظلوما وغير ذلك مما قدمناوانهما لم يخطبا وذلك أن عمرا قال لابى موسى سم من شئت حتى انظر معك فسمى أبو موسى ابن عمر وغيره ثم قال لعمرو قد سميت انا فسم أنت قال نعم اسمى لك اقوى هذه الامة عليها واسدها رأيا واعلمها بالسياسة معاوية بن أبى سفيان قال لا والله ماهو لذلك بأهل قال فآتيك بآخر ليس هو بدونه قال من هو قال أبو عبد الله عمرو بن العاص فلما قالها علم أبو موسى أنه يلعب به فقال فعلتها لعنك الله فتسابا فلحق أبو موسى بمكة فلما انصرف ابو موسى انصرف عمرو ابن العاص الى منزله ولم يأت الى معاوية فارسل اليه معاوية يدعوه فقال انما كنت اجيئك اذا كانت لى اليك حاجة فاما اذا كانت الحاجة الينا فانت احق ان تاتينا فعلم معاوية ماقد وقع اليه فخد الرأى وأعمل الحيلة وامر معاوية بطعام كثير فصنع ثم دعا بخاصته ومواليه وأهله فقال انى سأغدو الى هذا فاذا دعوته فادعوا مواليه واهله فليجلسوا اقبلكم فاذا شبع رجل وقام فليجلس رجل منكم مكانه فاذا خرجوا ولم يبق فى البيت أحد فأغلقوا اباب البيت واحذروا أن يدخل احد منهم الا أن آمركم وغدا اليه معاوية وعمرو جالس على فرشه فلم يقم له عنها ولا دعاه اليها فجاء معاوية وجلس على الارض واتكأ على الفرش وذلك ان عمرا كان يحدث نفسه انه قدملك الامر واليه العهد يضعها فيمن يرى و يندب للخلافة من يشاء فجرى بينهما كلام كثير وكان مما قال له عمرو هذا الكتاب الذى بينى و بينه عليه خاتمى وخاتمه وقد أقر بان عثمان قتل مظلوما فاخرج عليا من هذا الامر وعرض على رجالا لم أرهم أهلا لها وهذا الامر الى أستخلف من شئته قد أعطانى أهل الشام عهودهم ومواثيقهم فحادثه معاوية ساعة واخرجه عما كانوا عليه وضاحكه وداعبه ثم قال ياابا عبد الله هل من غداء قال اما والله شئ يشبع من ترى فلا فقال معاوية هلم ياغلام غداءك فجىء بالطعام المستعد فوضع فقال ياأباعبدالله ادع مواليك وأهلك فدعاهم

ثم قال له عمر و وادع أنت أصحابك قال نعم يأكل أصحابك ثم يجلس هؤلاء بعد فجعلوا كلما قام رجل من حاشية عمر و قعد موضعه رجل من حاشية معاوية حتى خرج أصحاب عمر و وجلس أصحاب معاوية فقام الذى وكله بغلق الباب فاغلق الباب فقال له عمر و فعلتها فقال اى والله بينى و بينك أمر ان اختر أيهما شئت البيعة لى أو أقتلك ليس والله غيرهما قال عمر و فاذن لغلامى وردان حتى اشاوره وأنظر رأيه قال لا تراه والله ولا يراك الا قتيلا أو على ماقلت لك قال فاو لنى اذا مصر قال هى لك ماعشت فاستوثق كل واحد منهما من صاحبه واحضر معاوية الخواص من اهل الشأم ومنع أن يدخل معهم أحد من حاشية عمر و فقال لهم عمر و قد رأيت أن ابايع معاوية فلم أر أحدا أقوى على هذا الامر منه فبايعه اهل الشام وانصرف الى منزله خليفة ولما بلغ عليا ما كان من أمر أبى موسى وعمر و قال انى كنت تقدمت اليكم فى هذه الحكومة ونهيتكم عنها فابيتم الاعصيانى فكيف رأيتم عاقبة أمركم اذ أبيتم على والله انى لاعرف من حملكم على خلافى والترك لامرى ولو أشاء أخذه لفعلت ولكن الله من ورائه يريد بذلك الاشعث بن قيس والله أعلم وكنت فيما أمرت به كما قال أخو بنى خثعم

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد الاضحى الغد

من دعا الى هذه الخصومة فاقتلوه قتله الله ولو كان تحت عمامتى هذه الا ان هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموها حكمين قد تركا حكم الله وحكما بهوى انفسهما بغير حجة ولا حق معروف فاماتا ما أحيا القرآن وأحييا ما أماته واختلف فى حكمهما كلاهما ولم يرشدهما الله ولم يوفقهما فبرئ الله منهما ورسله وصالح المؤمنين فتاهبوا للجهاد واستعدوا للمسير وأصبحوا فى عساكرهم ان شاء الله تعالى (قال المسعودى) وقد اختلفت الفرق من اهل ملتنا فى الحكمين وقالوا فى ذلك أقاويل كثيرة وقد اتينا على ماذهبوا اليه فى ذلك فى كتاب المقالات وماقاله كل فريق منهم ومن أيد قوله من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم من فرق هذه الامة فى كتابنا فى المقالات فى أصول الديانات وذكرنا فى كتاب أخبار الزمان قول على فى مواقفه وخطبه وماقاله فى ذلك وما أكره عليه وما بينه لهم بعد الحكومة وماتقدم الحكومة من تحذيره اياهم منها حين ألحوا فى تحكيم أبى موسى الاشعرى وعمر و وحيث قال الا ان القوم قد اختار والانفسهم اقرب الناس مما يحبون واخترتم لانفسكم أقرب الناس مما تكرهون اعاهدكم بعبد الله بن قيس بالامس وهو يقول الا انها فتنة فقطعوا فيها اوتاركم وكسروا قسيكم فان يك

صادقا فقد اخطأ فى مسيره غير مستكره عليه وا ن يك كاذبا فقد لزمته التهمة وهذا كلام أبى موسى فى تخذيله الناس وتحريضه على الجلوس عن أمير المؤمنين على فى حروبه ومسيره الى الجمل وغيره ثم ماقاله فى بعض مقاماته فى معاتبته لقريش وقد بلغه عن أناس منهم ممن قعد عن بيعته ونافق فى خلافته كلام كثير فقال وقد زعمت قريش ان ابن أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحروب تربت ايديهم وهل فيهم اشد مراسا لها منى لقد نهضت فيها وما بلغت الثلاثين وها انا ذا قد أربيت على نيف وستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع (قال المسعودى) واذ قد تقدم ذكرنا لجمل من أخبار الجمل وصفين والحكمين فلنذكر الآن جوامع من اخبار يوم النهروان ونعقب ذلك بذكر مقتله عليه السلام وان كنا قد أتينا على مبسوط سائر ما تقدم لنا فى هذا الكتاب وما تاخر فيما سلف من كتبنا والله اعلم

﴿ ذكر حروبه رضى الله عنه مع اهل النهروان وما لحق بهذا الباب
من مقتل محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه والاشتر النخعى وغير ذلك ﴾

واجتمعت الخوارج فى اربعة آلاف فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبى ولحقوا بالمدائن وقتلوا عبد الله بن خباب عامل على عليها ذبحوه ذبحا وبقروا بطن امرأته وكانت حاملا وقتلوا غيرها من النساء وقد كان على انفصل عن الكوفة فى خمسة وثلاثين الفا واتاه من البصرة من قبل ابن عباس وكان عامله عليها عشرة آلاف فيهم الاحنف بن قيس وحارثة بن قدامة السعدى وذلك فى سنة ثمان وثلاثين فنزل على الانبار والتامت اليه العساكر فخطب الناس وحرضهم على الجهاد وقال سيروا الى قتلة المهاجرين والانصار قدما طالما سعوا فى اطفاء نور الله وحرضوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه الا أن رسول الله أمرنى بقتال القاسطين وهم هؤلاء الذين سرنا اليهم والناكثين وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم والمارقين ولم نلقهم بعد فسيروا الى القاسطين فهم أهم علينا من الخوارج سيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين يتخذهم الناس أربابا ويتخذون عباد الله خولا وما لهم دولا فابوا الا أن يبدؤا بالخوارج فسار على اليهم حتى أتى النهروان فبعث اليهم بالحرث بن مرة العبدى رسولا يدعوهم الى الرجوع فقتلوه وبعثوا الى على ان تبت من حكومتك وشهدت على نفسك بالكفر بايعناك وان أبيت فاعتزلنا حتى نختار لانفسنا اماما فانا منك برآء فبعث اليهم على أن ابعثوا الى بقتلة اخوانى فاقتلهم ثم اتارككم الى ان أفرغ من قتال اهل المغرب ولعل الله يقلب قلوبكم

فبعثوا اليه كلنا قتلة أصحابك وكلنا مستحل لدمائهم مشتركون فى قتلهم وأخبره الرسول وكان من يهود السواد ان القوم قدعبروا نهر طبرستان فى هذا الوقت وهذا النهر عليه قنطرة تعرف بقنطرة طبرستان بين حلوان وبغداد من بلاد خراسان فقال على والله ماعبروه ولا يقطعونه حتى نقتلهم بالرميلة دونه ثم تواترت عليه الاخبار بقطعهم لهذا النهر وعبورهم هذا الجسر وهو يأبى ذلك ويحلف انهم لم يعبروه وان مصارعهم دونه ثم قال سيروا الى القوم فوالله لا يفلت منهم الا عشرة ولا يقتل منكم عشرة فسار على فاشرف عليهم وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على ماقال لاصحابه فلما اشرف عليهم قال الله أكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصاف القوم ووقف عليهم بنفسه فدعاهم الى الرجوع والتوبة فأبوا ورموا أصحابه فقيل له قد رمونا فقال كفوا فكرروا القول عليه ثلاثا وهو يامرهم بالكف حتى أتى برجل قتيل متشحط بدمه فقال على الله أكبر الآن حل قتالهم احملوا على القوم فحمل رجل من الخوارج على اصحاب على فخرج فيهم وجعل يغشى كل ناحية ويقول

أضربهم ولو أرى عليا * ألبسته أبيض مشرفيا

فخرج اليه على رضى الله عنه وهو يقول

ياايهذا المبتغى عليا * انى أراك جاهلا شقيا

قد كنت عن كفاحه غنيا * هلم فابرز ها هنا إليا

وحمل عليه على فقتله ثم خرج منهم آخر فحمل على الناس ففتك فيهم وجعل يكر عليهم وهو يقول

أضربهم ولو أرى اباحسن * ألبسته بصارمى ثوب غبن

فخرج اليه على وهو يقول

ياأيهذا المبتغى اباحسن * اليك فانظر أينا يلقى الغبن

وحمل عليه على وشكه بالرمح وترك الرمح فيه فانصرف على وهو يقول لقد رأيت اباحسن فرأيت ماتكره وحمل ابو أيوب الانصارى على زيد بن حصن فقتله وقتل عبد الله بن وهب الذى قتل هانئ بن حاطب الازدى وزياد بن حفصة وقتل حرقوص بن زهير السعدى وكان جملة من قتل من أصحاب على تسعة ولم يفلت من الخوارج الا عشرة وأتى على على القوم وهم اربعة آلاف فيهم المخدج ذو الثدية الا من ذكرنا من هؤلاء العشرة وامر على بطلب المخدج فطلبوه فلم يقدروا عليه فقام على وعليه أثر الحزن لفقد المخدج فانتهى

الى قتلى بعضهم فوق بعض فقال افرجوا ففرجوا يمينا وشمالا واستخرجوه فقال على رضى الله عنه الله أكبر ما كذبت على محمد وانه لناقص اليد ليس فيها عظم طرفها حلمة مثل ثدى المرأة عليها خمس شعرات أو سبع رءوسها معقفة ثم قال ائتونى به فنظر الى عضده فاذا لحم مجتمع على منكبه كثدى المرأة عليه شعرات سود اذا مدت اللحمة امتدت حتى تحاذى بطن يده الاخرى ثم تترك فتعود الى منكبه فثنى رجله ونزل وخر لله ساجدا ثم ركب ومر بهم وهم صرعى فقال لقد صرعكم من غركم قيل ومن غرهم قال الشيطان وانفس السوء فقال أصحابه قد قطع الله دابرهم الى آخر الدهر فقال كلا والذى نفسى بيده انهم لفى أصلاب الرجال وأرحام النساء لا تخرج خارجة الا خرجت بعدها مثلها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الاسمط يخرج اليه رجل منا أهل البيت فيقتلهم ولا يخرج بعدها خارجة الى يوم القيامة وجمع على ما كان فى عسكر الخوارج فقسم السلاح والدواب بين المسلمين ورد المتاع والعبيد والاماء الى أهليهم ثم خطب الناس فقال ان الله قد أحسن اليكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم فقالوا ياأمير المؤمنين قد كلت سيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا فدعنا نستعد باحسن عدتنا وكان الذى كلمه بهذا الاشعث بن قيس فعسكر على بالنخيلة فجعل أصحابه يتسللون ويلحقون باوطانهم فلم يبق معه الا نفر يسير ومضى الحرث بن راشد الناجى فى ثلاثمائة من الناس فارتدوا الى دين النصرانية وهم من ولد سامة بن لؤى عند أنفسهم وقد أبى ذلك كثير من الناس وذكروا ان سامة بن لؤى ما أعقب وقد حكى عن على فيهم ما قد ذكرنا فى كتابنا فى أخبار الزمان ولست ترى ساميا الا منحرفا عن على من ذلك ما ظهر عن على بن الجهم الشاعر السامى من التعصب والانحراف وقد أتينا على لمع من شعره وأخباره فى الكتاب الاوسط ولقد بلغ من انحرافه ونصبه العداوة لعلى عليه السلام انه كان يلعن اباه فسئل عن ذلك وبم استحق اللعن منه فقال بتسميته اياى عليا فسرح عليهم على معقل بن قيس الرياحى فقتل الحرث ومن معه من المرتدين بسيف البحر وسبى عيالهم وذراريهم وذلك بساحل البحرين فنزل معقل بن قيس بعض كور الاهواز بسبى القوم وكان هنالك مصقلة بن هبيرة الشيبانى عاملا لعلى فصاح به النسوة امنن علينا فاشتراهم بثلثمائة الف وأعتقهم وأدى من المال مائتى الف وهرب الى معاوية فقال على قبح الله مصقلة فعل فعل السيد وفر فرار العبد لو أقام

أخذناماقدرناعلى اخذه فان أعسر أنظرناه وان عجز لم نؤاخذه بشىء وانفذ العتق وفى ذلك يقول مصقلة بن هبيرة من أبيات

تركت نساء الحى بكر بن وائل ... واعتقت سبيا من لؤى بن غالب
وفارقت خير الناس بعد محمد ... لمال قليل لا محالة ذاهب

وفى ذلك يقول الآخر

ومصقلة الذى قد باع بيعا ... ربيحا يوم ناجية ابن سام

ولمصقلة افعال أتاها وحيل عملها قد ذكرناها وماقال فى ذلك من الشعر فى الكتاب الاوسط وقال على بن محمد بن جعفر العلوى فيمن انتمى الى سامة بن لؤى بن غالب بن محمد

أسامة منا فامابنوه ... فامرهم عندنا مظلم
اناس أتونا بانسابهم ... خرافة مضطجع يحلم
وقلنا لهم مثل قول الوصى ... وكل أقاويله محكم
اذا ماسئلت فلم تدر ما ... تقول فقل ربنا أعلم

وفى سنة ثمان وثلاثين وجه معاوية عمرو بن العاص الى مصر فى أربعة آلاف ومعه معاوية بن خديج وأبو الاعور السلمى واستعمل عمرا عليها حياته ووفى له بما تقدم من ضمانه فالتقوا هم ومحمد بن أبى بكر وكان عامل على عليها بالموضع المعروف بالمنشأة فاقتتلوا فانهزم محمد لاسلام أصحابه اياه وتركهم له وصار الى موضع بمصر فاختفى فيه فاحيط بالدار فخرج اليهم محمد ومن معه من أصحابه فقاتلهم حتى قتل فاخذه معاوية بن خديج وعمرو بن العاص وغيرهما فجعلوه فى جلد حمار وأضرموه بالنار وذلك بموضع فى مصر يقال له كوم شريك وقيل انه فعل به ذلك وبه شىء من الحياة وبلغ معاوية قتل محمد وأصحابه فاظهر الفرح والسرور وبلغ عليا قتل محمد وسرور معاوية فقال جزعنا عليه على قدر سرورهم فما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحرب جزعى عليه كان لى ربيبا وكنت أعده ولدا كان بى برا وكان ابن أخى فعلى مثل هذا نحزن وعند الله نحتسبه وولى على الاشتر مصر وانفذه اليها فى جيش فلما بلغ ذلك معاوية دس الى دهقان وكان بالعريش فارغبه وقال اترك خراجك عشرين سنة فاحتل للاشتر بالسم فى طعامه فلما نزل الاشتر العريش سال الدهقان أى الطعام والشراب أحب اليه قيل العسل فاهدى له عسلا وقال ان من أمره وشأنه كذا وكذا ووصفه للاشتر وكان الاشتر صائما فتناول منه شربة فما استقرت فى جوفه حتى تلف وأتى من كان معه على الدهقان ومن

كان معه وقيل كان ذلك بالقلزم والاول أثبت فبلغ ذلك عليا فقال لليدين وللفم وبلغ ذلك معاوية فقال ان لله جندا من العسل وقبض اصحابه عن علي في هذه السنة ثلاثة أرزاق على حسب ما كان يحمل اليه من المال من أعماله ثم ورد عليه مال من اصبهان فخطب الناس وقال اغدوا الى عطاء رابع فوالله ما انا لكم بخازن وكان في عطائه يأخذ كما يأخذ الواحد منهم ولم يكن بين علي ومعاوية من الحرب الا ما وصفنا بصفين وكان معاوية في بقية أعمال علي يبعث سرايا تغير وكذلك علي كان يبعث من يمنع سرايا معاوية من أذية الناس وقد أتينا على ذكر السرايا والغارات فيما سلف من كتبنا (قال المسعودي رحمه الله) وقد تكلم طوائف من الناس ممن سلف وخلف من أهل الآراء في الخوارج وغيرهم من فعل علي يوم الجمل وصفين وتباين حكمه فيهما وفيمن قتل من أهل صفين مقبلين ومدبرين واجهازه على جرحاهم ويوم الجمل لم يتبع موليا ولا اجهز على جريح ومن ألقى سلاحه أو دخل داره كان آمنا وما أجابهم به شيعة علي في تباين حكم علي في هذين اليومين لاختلاف حكمهما وهو أن اصحاب الجمل لما انكشفوا لم يكن لهم فئة يرجعون اليها وانما رجع القوم الى منازلهم غير محاربين ولا منابذين ولا لامره مخالفين فرضوا بالكف عنهم وكان الحكم فيهم رفع السيف اذ لم يطلبوا عليه أعوانا وأهل صفين كانوا يرجعون الى فئة مستعدة وامام منتصب يجمع لهم السلاح ويسني لهم الاعطية ويقسم لهم الاموال ويجبر كسيرهم ويحمل راجلهم ويردهم فيرجعون الى الحرب وهم الى امامته منقادون ولرأيه متبعون ولغيره مخالفون ولامامته تاركون ولحقه جاحدون وبانه يطلب ما ليس له قائلون فاختلف الحكم لما وصفنا وتباين حكماهما لما ذكرنا ولكل فريق من السائل والمجيب كلام يطول ذكره ويتسع شرحه قد أتينا على استيعابه وما ذكره كل فريق منهم فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن اعادته والله اعلم

﴿ ذكر مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴾

وفي سنة اربعين اجتمع بمكة جماعة من الخوارج فتذاكروا الناس وما هم فيه من الحرب والفتنة وتعاهد ثلاثة منهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص وتواعدوا واتفقوا على ان لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي يتوجه اليه حتى يقتله او يقتل دونه وهم عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله وكان من تجيب وكان عدادهم في مراد فنسب اليهم وحجاج بن عبد الله الصريمي ولقبه البرك وزادويه مولى بني العنبر فقال ابن ملجم أنا اقتل عليا وقال البرك أنا أقتل معاوية وقال زادويه أنا أقتل عمرو بن العاص

واتعدوا ان يكون ذلك ليلة سبع عشرة من شهر رمضان وقيل ليلة احدى وعشرين فخرج عبد الرحمن بن ملجم المرادى الى على فلما قدم الكوفة اتى قطام بنت عمه وكان على قتل اباها واخاها يوم النهروان وكانت اجمل اهل زمانها فخطبها فقالت لا اتزوج حتى تسمى لى قال لا تسأليني شيأ الا اعطيته فقالت ثلاثة آلاف وعبدا وقينة وقتل على فقال ماسالت هو لك مهر الا قتل على فلا اراك تدركينه قالت فالتمس غرة فان اصبته شفيت نفسى ونفعك العيش معى وان هلكت فما عند الله خير لك من الدنيا فقال والله ماجاء بى الى هذا المصر وقد كنت هاربا منه الا ذلك وقد اعطيتك ماسالت وخرج من عندها وهو يقول

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وقتل على بالحسام المصمم
فلا مهر أعلى من على وان علا * ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

فلقيه رجل من أشجع يقال له شبيب بن بجيرة من الخوارج فقال له هل لك فى شرف الدنيا والآخرة فقال وماذاك قال تساعدنى على قتل على قال ثكلتك أمك لقد جئت شيأ ادا قد عرفت غناءه فى الاسلام وسابقته مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن ملجم ويحك ماتعلم انه قد حكم الرجال فى كتاب الله وقتل اخواننا المصلين فنقتله ببعض اخواننا فاقبل معه حتى دخل على قطام وهى فى المسجد الاعظم وقد ضربت كلة بها وهى معتكفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر رمضان فأعلمتهما ان مجاشع ابن وردان بن علقمة قد انتدب لقتاله معهما فدعت لهما بحرير وعصبتهما وأخذوا أسيافهم وقعدوا مقابلين لباب السدة التى يخرج منها على للمسجد وكان على يخرج كل غداة اول الاذان للصلاة وقد كان ابن ملجم مر بالاشعث وهو فى المسجد فقال له فضحك الصبح فسمعها حجر بن عدى فقال قتلته يا أعور قتلك الله وخرج على رضى الله عنه ينادى أيها الناس الصلاة فشد عليه ابن ملجم واصحابه وهم يقولون الحكم لله لا لك وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف فى قرنه وأما شبيب فوقعت ضربته بعضادة الباب وأما ابن وردان فهرب وقال على لا يفوتنكم الرجل وشد الناس على ابن ملجم يرمونه بالحصباء ويتناولونه ويصيحون فضرب ساقه رجل من همدان برجله وضرب المغيرة ابن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وجهه فصرعه وأقبل به الى الحسن ودخل شبيب بين الناس فنجا بنفسه وهرب حتى أتى رحله فدخل عليه عبد الله بن بجرة وهو أحد بنى أبيه فرآه ينزع الحرير عن صدره فسأله عن ذلك فخبره خبره فانصرف عبد الله الى

رحله وأقبل اليه بسيفه فضربه حتى قتله وقيل ان عليا لم ينم تلك الليلة وانه لم يزل يمشى
بين الباب والحجرة وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التى وعدت
فلما صرخ بط كان للصبيان صاح بهن بعض من فى الدار فقال على ويحك دعهن فانهن
نوائح وقد ذكر طائفة من الناس ان عليا رضى الله عنه أوصى الى ابنيه الحسن والحسين
لانهما شريكاه فى آية التطهير وهذا قول كثير ممن ذهب الى القول بالنص ودخل عليه
الناس يسألونه فقالوا يا أمير المؤمنين أرأيت ان فقدناك ولا نفقدك أنبايع الحسن قال
لا آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما أوصيكما بتقوى الله
وحده ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تاسفا على شىء منها قولا الحق وارحما اليتيم
واعينا الضعيف وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ولا تأخذكما فى الله لومة لائم ثم نظر
الى ابن الحنفيه فقال هل سمعت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال اوصيك بمثله
وأوصيك بتوقير أخويك وتزيين أمرهما ولا تقطعن أمرا دونهما ثم قال لهما أوصيكما
به فانه سيفكما وابن أبيكما فأكرماه واعرفا حقه فقال له رجل من القوم ألا تعهد يا أمير
المؤمنين قال لا ولكن أتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فماذا تقول
لربك اذا أتيته قال أقول اللهم انك أبقيتنى فيهم ما شئت ان تبقينى ثم قبضتنى وتركتك
فيهم فان شئت افسدتهم وان شئت اصلحتهم ثم قال اما والله انها الليلة التى ضرب فيها
يوشع بن نون ليلة سبع عشرة وقبض ليلة احدى وعشرين وبقى على الجمعة والسبت
وقبض ليلة الاحد ودفن بالرحبة عند مسجد الكوفة وقد قدمنا فيما سلف من هذا
الكتاب فى اخباره تنازع الناس فى موضع قبره وما قيل فى ذلك وقبض وقد اتى عليه
اثنتان وسبعون سنة وقيل اثنتان وستون وقد قدمنا تنازع الناس فى مقدار سنه
وكان كما قال الحسن والله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الاولون الا بفضل النبوة
ولا يدركه الآخرون وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعثه المبعث فيكتنفه
جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه وكان الذى صلى عليه
الحسن ابنه وكبر عليه سبعا وقيل غير ذلك ولم يترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة
درهم بقيت من عطائه اراد ان يشترى بها خادما لاهله وقال بعضهم ترك لاهله مائتين
وخمسين درهما ومصحفه وسيفه ولما أرادوا اقتل ابن ملجم لعنه الله قال عبد الله بن
جعفر دعونى حتى أشفى نفسى منه فقطع يديه ورجليه وأحمى له مسمارا حتى اذا صار
جمرة كحله به فقال سبحان الذى خلق الانسان انك لتكحل عمك بملمول بصاص ثم ان

الناس أخذوه وادرجوه فى بوارى ثم طلوها بالنفط وأشعلوا فيها النار فاحترق وفيه يقول عمران بن حطان الرقاشي يمدحه فى ضربته من شعر له طويل

ياضربة من تقى ماأراد بها * الاليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لاذكره يوما فاحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

فاجابه القاضى أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعى

انى لابرأ مما أنت قائله * عن ابن ملجم الملعون بهتانا
ياضربة من شقى ماأراد بها * الاليهدم للاسلام أركانا
انى لاذكره يوما فالعنه * دنيا والعن عمرانا وحطانا
عليه ثم عليه الدهر متصلا * لعائن الله اسرارا واعلانا
فانتما من كلاب النار جاء به * نص الشريعة برهانا وتبيانا

وزاد بعضهم على هذه الابيات بيتا آخر وهو

عليكما لعنة الجبار ماطلعت * شمس وماأوقدوا فى الكون نيرانا

معارضة لبيتى اللعين ابن حطان لعنه الله فى ابن ملجم أخزاه الله

قل لابن ملجم والاقدار غالبة * هدمت ويلك للاسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشى على قدم * واول الناس اسلاما وايمانا
واعلم الناس بالقرآن ثم بما * سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبى ومولانا وناصره * أضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له * مكان هرون من موسى بن عمرانا
وكان فى الحرب سيفا صارما ذكرا * ليثا اذا مالقى الاقران أقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر * فقلت سبحان رب الناس سبحانا
انى لاحسبه ماكان من بشر * يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مرادا اذا عدت قبائلها * وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الاولى التى جلبت * على ثمود بارض الحجر خسرانا
قدكان يخبرهم ان سوف يخضبها * قبل المنية ازمانا فازمانا
فلا عفا الله عنه ماتحمله * ولاسقى قبر عمران بن حطانا
لقوله فى شقى ظل مجترما * ونال مانا له ظلما وعدوانا
ياضربة من تقى ماأراد بها * الاليبلغ من ذى العرش رضوانا

بل ضربة من غوى أورثته لظى * مخلدا قد أتى الرحمن غضبانا
كانه لم يرد قصـــدا بضربته * الا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

ولعمران بن حطان ولابيه حطان أخبار كثيرة قد أتينا على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان في باب أخبار الخوارج من الازارقة والاباضية والحرية والصفرية والهجرية وغيرهم من فرق الخوارج الى سنة ثمان عشرة وثلثمائة وكان آخر من خرج منهم ربيعة المعروف بفروان فادخل على المقتدر بالله بعث به ابن حمدان من هرموناء وقد كان خرج فى أيامه أيضا المعروف بابى شعيب وقد رثى الناس أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه فى ذلك الوقت والى هذه الغاية وذكروا مقتله وممن رثاه فى ذلك الوقت أبو الاسود الدؤلى من أبيات

ألا أبلغ معاوية بن حرب * فلا قرت عيون الشامتينا
أفى شهر الصيام فجعتمونا * بخير الناس طرا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا * وذللها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها * ومن قرأ المثـانى والمبينا
اذا استقبلت وجه ابى حسين * رايت النور فوق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت * بانك خيرهم حسبا ودينا

وانطلق البرك الصريمى الى معاوية فطعنه بخنجر فى اليته وهو يصلى فاخذوا وقف بين يديه فقال له ويلك وما انت وما خبرك قال لا تقتلنى واخبره قال انا تبايعنا فى هذه الليلة عليك وعلى على وعلى عمرو فان اردت فاحبسى عنـدك فان كانا قتلا والا خليت سبيلى فطلبت قتل على ولك على ان اقتله وان آتيك حتى اضع يدى فى يدك فقال بعض الناس قتله يومئذ وقال بعضهم حبسه حتى جاءه خبر قتل على فاطلقه وانطلق زادويه عمرو بن بكر التميمى الى عمرو بن العاص فوجد خارجة قاضى مصر جالسا على السرير يطعم الناس فى مجلس عمرو وقيل بل صلى خارجة بالناس الغداة ذلك اليوم وتخلف عمرو عن الصلاة لعارض فضربه بالسيف فدخل عليه عمرو وبه رمق فقال له خارجة والله ما اراد غيرك فقال عمرو ولـكن الله اراد خارجة واوقف الرجل بين يدى عمرو فساله عن خـبره فقص عليه القصة واخـبره ان عليا ومعاوية قد قتلا فى هذه الليلة فقال ان قتلا أو لم يقتلا فلابد من قتلك فبكى فقيل له اجزعا من الموت مع هذا الاقدام فقال لا والله ولـكن غما ان يفوز صاحبى بقتل على ومعاوية ولا أفوز أنا بقتل عمرو

فضرب عنقه وصلب وكان على رضى الله عنه كثيرا مايتمثل

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى فلا وربك مابروا وماظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهم بذات ودقين لايعفو لها أثر

وكان يكثر من ذكر هذين البيتين

اشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت * اذا حل بواديكا

وسمع امنه فى الوقت الذى قتل فيه فانه قد خرج الى المسجد وقد عسر عليه فتح باب داره وكان من جذوع النخل فاقتلعه وجعله ناحية وانحل ازاره فشده وجعل ينشد هذين البيتين المتقدمين وقد كان معاوية دس اناسا الى الكوفة يشيعون موته واكثر الناس القول فى ذلك حتى بلغ عليا فقال فى مجلسه قد أكثرتم من نعى معاوية والله مامات ولايموت حتى يملك ماتحت قدمى وانما اراد ابن اكلة الاكباد ان يعلم ذلك منى فبعث من يشيع ذلك فيكم ليعلم ويتيقن ماعندى فيه وما يكون من أمره فى المستقبل من الزمان ومر فى كلام كثير يذكر فيه أيام معاوية ومن تلاه من يزيد ومروان وبنيه وذكر الحجاج ومايسوءهم من العذاب فارتفع الضجيج وكثر البكاء والشهيق فقام قائم من الناس فقال ياأمير المؤمنين لقد وصفت امورا عظيمة آلله ان ذلك كائن قال على والله ان ذلك لكائن ما كذبت ولا كذبت فقال آخرون متى ذلك ياأمير المؤمنين قال اذا خضبت هذه من هذه ووضع احدى يديه على لحيته والاخرى على رأسه فاكثر الناس من البكاء فقال لاتبكوا فى وقتكم هذا فستبكون بعدى طويلا فكاتب أكثر أهل الكوفة معاوية سرا فى أمورهم واتخذوا عنده الايادى فوالله مامضت الا أيام قلائل حتى كان ذلك وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب بعد ذكرنا زهده ولمع من كلامه وجمل من أخباره أيضا أخبار معاوية بن أبى سفيان والله ولى التوفيق

﴿ ذكر لمع من كلامه واخباره وزهده رضوان الله عليه ﴾

لم يلبس عليه السلام فى ايامه ثوبا جديدا ولا اقتنى ضيعة ولا ربعا الا شيا كان له بينبع مما تصدق به وحبسه والذى حفظ الناس عنه من خطبه فى سائر مقاماته اربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة تداول الناس ذلك عنه قولا وعملا (وقيل) له من خيار العباد قال الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا واذا ابتلوا صبروا واذا غضبوا اغفروا (وكان) يقول الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار غنى فيه

لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزودمنها الدنيا مسجد أحباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحيه ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها ومثلت لهم ببلائها البلاء وشوقت بسرورها الى السرور وراحت بفجيعة وابتكرت بعافية تحذيرا وترغيبا وتخويفا فذمها رجال غب الندامة وحمدها آخرون غب المكافأة ذكرتهم فذكروا تصاريفها وصدقتهم فصدقوا حديثها فيا أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها متى استدامت لك الدنيا بل متى غرتك من نفسها أبمضاجع آبائك من البلى أم بمصارع امهاتك من الثرى كم قد عللت بكفك ومرضت بيدك من تبغى له الشفاء وتستوصف له الاطباء لم تنفعه بشفائك ولم تستعف له بطلبتك قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك غداة لا ينفعك بكاؤك ولا يغنى عنك احباؤك ولا تسمع في مدح الدنيا أحسن من هذا (ومما) حفظ من كلامه في بعض مقاماته في صفة الدنيا انه قال الا ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة وان الآخرة قد دنت مقبلة ولهذه ابناء ولهذه ابناء فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقوضوا الدنيا تقويضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ومن راقب الخير سارع في الخيرات الا وان لله عبادا يرون اهل الجنة في الجنة منعمين مخلدين قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة انفسهم عفيفة وحاجتهم خفيفة صبروا اياما قليلة فصارت لهم العقبى راحة طويلة اما الليل فصافوا اقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يجأرون الى ربهم ويسعون في فكاك رقابهم واما النهار فعلماء حكماء بررة اتقياء كانهم القداح براهم الخوف والعبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ام خولطوا فقد خالطهم امر عظيم من ذكر النار ومن فيها (وقال لابنه الحسن) يابنى استغن عمن شئت تكن نظيره وسل من شئت تكن حقيره واعط من شئت تكن اميره (ودخل) عليه رجل من اصحابه فقال كيف اصبحت يا امير المؤمنين قال اصبحت ضعيفا مذنبا آكل رزقى وأنظر أجلى قال وما تقول في الدنيا قال وما أقول في دار أولها غم وآخرها موت من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن حلالها حساب وحرامها عقاب قال فأى الخلق أنعم قال أجساد تحت التراب قد امنت العقاب وهى

تنتظر الثواب (ودخل) ضرار بن حمزة وكان من خواص علي على معاوية وافدا فقال له صف لي عليا قال اعفني يا أمير المؤمنين قال معاوية لابد من ذلك فقال اما اذا كان لابد من ذلك فانه كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يعجبه من الطعام ماخشن ومن اللباس ماقصر وكان والله يجيبنا اذا دعوناه ويعطينا اذا سألناه وكنا والله على تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له ولا نبتدئه لعظمه في نفوسنا يبسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويرحم المساكين ويطعم في المسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة يكسو العريان وينصر اللهفان ويستوحش من الدنيا وزهرتها ويانس بالليل وظلمته وكأني به وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يادنيا غري غيري الي تعرضت أم الي تشوفت هيهات هيهات لاحان حينك قد ابنتك ثلاثا لارجعة لي فيك عمرك قصير وعيشك حقير وخطرك يسير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق فقال له معاوية زدني شيا من كلامه فقال ضرار كان يقول اعجب مافي الانسان قلبه وله مواد من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له الرجاء اماله الطمع وان مال به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه القنوط قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان أسعده الرضا نسي التحفظ وان أماله الخوف فضحه الجزع وان أفاد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة فضحه الفقر وان اجهده الجوع اقعده الضعف وان افرط به الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد فقال له معاوية زدني كلما وعيته من كلامه قال هيهات ان آتي على جميع ماسمعته منه ثم قال سمعته يوصي كميل بن زياد يا كميل ذب عن المؤمن فان ظهره حمى الله ونفسه كريمة على الله وظالمه خصم الله وأحذركم من ليس له ناصر الا الله قال وسمعته يقول ذات يوم ان هذه الدار اذا اقبلت على قوم أعارتهم محاسن غيرهم واذا ادبرت عنهم سلبتهم محاسن انفسهم قال وسمعته يقول بطر الغنى يمنع من عز الصبر قال وسمعته يقول ينبغي للمؤمن ان يكون نظره عبرة وسكوته فكرة وكلامه حكمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان قتل جعفر بن أبي طالب الطيار بمؤتة من ارض الشام لا يبعث بعلي في وجهة من الوجوه الا يقول رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين وحمل علي يوم احد على كردوس من المشركين خشن فكشفهم فقال جبريل يا محمد ان هذه لهي المواساة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عليا

مني قال جبريل وانا منكم كذلك ذكره اسحق بن ابراهيم وغيره ووقف على على سائل فقال للحسن قل لامك تدفع اليه درهما فقال انما عندنا ستة دراهم للدقيق فقال على لايكون المؤمن مؤمنا حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده ثم امر للسائل بالستة الدراهم كلها فما برح على رضي الله عنه حتى مر به رجل يقود بعيرا فاشتراه منه بمائة واربعين درهما وانسأ اجله ثمانية ايام فلم يحل اجله حتى مر به رجل والبعير معقول فقال بكم هذا فقال بمائتي درهم فقال قد اخذته فوزن له الثمن فدفع على منه مائة واربعين درهما للذي ابتاعه منه ودخل بالستين الباقية على فاطمة عليها السلام فسالته من اين هى فقال هذه تصديق لما جاء به أبوك صلى الله عليه وسلم من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومر ابن عباس بقوم ينالون من على ويسبونه فقال لقائده أدنني منهم فادناه فقال أيكم الساب لله قالوا نعوذ بالله ان نسب الله فقال أيكم الساب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نعوذ بالله ان نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايكم الساب على بن أبي طالب قالوا أما هذه فنعم قال أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سبني فقد سب الله ومن سب عليا فقد سبني فاطرقوا فلما ولى قال لقائده كيف رأيتهم فقال

نظروا اليك باعين مزورة * نظر التيوس الى شفار الجازر

فقال زدني فداك ابى وأمى فقال

خزر العيون منكسي اذقانهم * نظر الذليل الى العزيز القاهر

قال زدني فداك أبى وامى قال ماعندى مزيد ولكن عندى

احياؤهم تجنى على امواتهم * والميتون فضيحة للغابر

وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن ابى عبد الله جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن على بن الحسين بن على ان عليا قال في صبيحة الليلة التى ضربه فيها عبد الرحمن بن ملجم بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم كل امرئ ملاقيه مايفر منه والاجل تساق النفس اليه والهرب منه موافاته كم اطردت الايام أبحثها عن مكنون هذا الامر فابى الله عزوجل الا اخفاءه هيهات علم مكنون اما وصيتى فلا تشركوا به شيأ ومحمد لا تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين حمل كل امرئ منكم مجهوده وخفف عن الجهلة رب رحيم ودين قويم وامام عليم كنا في اعصار ودي رياح تحت ظل غمامة اضمحل راكدها فمحطها من الارض حيا وبقى من بعدى خيرها واستكنه بعد حركة كاظمة بعد نطق ليعظكم هدوئى وخفوت اطرافى انه اوعظ لكم من نطق

البليغ ودعتكم وداع امرئ مرصد لتلاق وغداً ترون ويكشف عن ساق عليكم السلام الى يوم المرام كنت بالامس صاحبكم واليوم عظة لكم وغداً افارقكم ان افق فانا ولى دمى وان امت فالقيامة ميعادى والعفو اقرب للتقوى الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم

ومن خطبه قبل هذا وتزهيده فى هذه الدنيا قوله فى بعض مقاماته وخطبه ان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع وان الآخرة قد اشرفت واقبلت باطلاع وان المضمار اليوم بالسباق غداً الا فكم فى ايام امل وراءه اجل فمن اخلص فى ايام امله قبل حضور اجله فقد حسن عمله فاعملوا الله فى الرغبة كما تعملون فى الرهبة الا وانى لم اركالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها الا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقيم له الهدى يجزيه الضلال وقد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد فان اخوف مااخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل وفضائل على ومقاماته ومناقبه ووصف زهده ونسكه اكثر من ان ياتى عليه كتابنا هذا او غيره من الكتب او يبلغه اسهاب مسهب او اطناب مطنب وقد اتينا على جمل من اخباره وزهده وسيره وانواع من كلامه وخطبه فى كتابنا المترجم بكتاب حدائق الاذهان فى اخبار آل محمد عليه الصلاة والسلام وفى كتاب مزاهر الاخبار وظرائف الآثار للصفوة النورية والذرية الزكية ابواب الرحمة وينابيع الحكمة (قال المسعودى) والاشياء التى استحق بها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الفضل هى السبق الى الايمان والهجرة والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والقربى منه والقناعة وبذل النفس له والعلم بالكتاب والتنزيل والجهاد فى سبيل الله والورع والزهد والقضاء والحكم والعفة والعلم وكل ذلك لعلى عليه السلام منه النصيب الاوفر والحظ الاكبر الى ماينفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين آخى بين أصحابه أنت اخى وهو صلى الله عليه وسلم لا ضد له ولا ند وقوله صلوات الله عليه انت منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى وقوله عليه الصلاة والسلام من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ثم دعاؤه عليه السلام وقد قدم اليه انس الطائر اللهم ادخل الى احب خلقك اليك يا كل معى من هذا الطائر فدخل عليه على الى آخر الحديث فهذا وغيره من فضائله وما اجتمع فيه من الخصال مما تفرق فى غيره ولكل فضائل ممن تقدم وتاخر وقبض النبى صلى الله عليه

وسلم وهو راض عنهم مخبر عن بواطنهم بموافقتها لظواهرهم بالايمان وبذلك نزل التنزيل وتولى بعضهم بعضا فلما قبض الرسول صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحى حدثت امور تنازع الناس فى صحتها ولا يقطع عليهم بها واليقين من امورهم ماتقدم وماروى مما كان فى احداثهم بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم فغير متيقن بل هو ممكن ونحن نعتقد فيهم ماتقدم والله أعلم بما حدث والله ولى التوفيق

(ذكر خلافة الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه)

ثم بويع الحسن بن على بن أبى طالب بالكوفة بعد وفاة على أبيه بيومين فى شهر رمضان من سنة أربعين ووجه عماله الى السواد والجبل وقتل الحسن عبد الرحمن بن ملجم على حسب ماذكرنا ودخل معاوية الكوفة بعد صلح الحسن بن على لخمس بقين من شهر ربيع فى سنة احدى وأربعين وكانت وفاة الحسن وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة بالسم ودفن بالبقيع مع امه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ولى التوفيق

﴿ ذكر لمع من أخباره وسيره رضى الله عنه ﴾

حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال دخل الحسين على عمى الحسن بن على لما سقى السم فقام لحاجة الانسان ثم رجع فقال لقد سقيت السم عدة مرار فاسقيت مثل هذه لقد لفظت طائفة من كبدى فرأيتنى أقلبه بعود فى يدى فقال له الحسين يا أخى من سقاك قال وما تريد بذلك فان كان الذى أظنه فالله حسيبه وان كان غيره فما أحب ان يؤخذ بى برىء فلم يلبث بعد ذلك الا ثلاثا حتى توفى رضى الله عنه (وذكر) أن امرأته جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندى سقته السم وقد كان معاوية دس اليها انك ان احتلت فى قتل الحسن وجهت اليك بمائة الف درهم وزوجتك يزيد فكان ذلك الذى بعثها على سمه فلما مات وفى لها معاوية بالمال وارسل اليها انا نحب حياة يزيد ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه (وذكر) ان الحسن قال عند موته لقد حاقت شربته وبلغ امنيته والله ماوفى بما وعد ولا صدق فيما قال وفى فعل جعدة يقول النجاشى الشاعر وكان من شيعة على فى شعر له طويل

جعدة بكيه ولا تسأمى * بعد بكاء المعول الثاكل
لم يسبل الستر على مثله * فى الارض من حاف ومن ناعل
كان اذا شبت له ناره * يرفعها بالسند الغاتل
كيما يراها بائس مرمل * وفرد قوم ليس بالآهل

يغلى بنىء اللحم حتى اذا * أنضجه لم يغـل كل آكل
اعنى الذى اسلمناهلكه * للزمن المستخرج الماحل

وفى ذلك يقول آخر من شيعة على رضى الله عنه

تأس فكم لك من سلوة * تفرج عنك غليل الحزن
بموت النبي وقتل الوصى * وقتل الحسين وسم الحسن

(قال المسعودى رحمه الله) ووجدت فى كتاب الاخبار لابى الحسن على بن محمد ابن سليمان النوفلى عن صالح بن على بن عطية الاصم قال حدثنا عبد الرحمن بن العباس الهاشمى عن أبى عون صاحب الدولة عن محمد بن على بن عبد الله بن العباس عن أبيه عن جده عن العباس بن عبد المطلب قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل على بن أبى طالب فلما رآه اسفر فى وجهه فقلت يارسول الله انك لتسفر فى وجه هذا الغلام فقال ياعم رسول الله والله لله أشد حباله منى ولم يكن نبى الا وذريته الباقية بعده من صلبه وان ذريتى بعدى من صلب هذا انه اذا كان يوم القيامة دعى الناس باسمائهم واسماء امهاتهم سترا من الله عليهم الا هذا وشيعته فانهم يدعون باسمائهم وأسماء آبائهم لصحة ولادتهم ولما دفن الحسن رضى الله عنه وقف محمد بن الحنفية اخوه على قبره فقال لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ولنعم الروح روح تضمنه كفنك ولنعم الكفن كفن تضمن بدنك وكيف لا تكون هكذا وانت عقبة الهدى وخلف أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء غذتك بالتقوى أكف الحق وارضعتك ثدى الايمان وربيت فى حجر الاسلام فطبت حيا وميتا وان كانت انفسنا غير سخية بفراقك رحمك الله أبا محمد (ووجدت) فى وجه آخر من الروايات فى أخبار أهل البيت ان محمدا وقف على قبره فقال أبا محمد لئن طابت حياتك لقد فجع مماتك وكيف لا تكون كذلك وانت خامس أهل الكساء وابن محمد المصطفى وابن على المرتضى وابن فاطمة الزهراء وابن شجرة طوبى ثم انشا يقول رضى الله عنه

أأدهن رأسى أم تطيب مجالسى * وخدك معفور وانت سليب
أأشرب ماء المزن من غير مائه * وقد ضمن الاحشاء منك لهيب
سابكيك ماناحت حمامة أيكة * وما اخضر فى دوح الحجاز قضيب
غريب واكناف الحجاز تحوطه * الا كل من تحت التراب غريب

(ووجدت) فى بعض كتب التواريخ فى أخبار الحسن ومعاوية ان بخلافة الحسن صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة لان ابابكر الصديق رضى الله عنه تقلدها سنتين وثلاثة اشهر وثمانية أيام وعمر رضى الله عنه عشر سنين واحدعشر شهرا وثلاثة عشر يوما وعثمان رضى الله عنه احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وعلى رضى الله عنه اربع سنين وتسعة اشهر ويوما والحسن رضى الله عنه ثمانية اشهر وعشرة ايام فذلك ثلاثون سنة (وحدث) محمد بن جرير الطبرى عن محمد بن حميد الرازى عن على بن مجاهد عن محمد بن اسحق عن الفضل بن العباس بن ربيعة قال وفد عبد الله بن العباس على معاوية قال فوالله انى لفى المسجد اذ كبر معاوية فى الخضراء فكبر أهل الخضراء ثم كبر أهل المسجد بتكبير اهل الخضراء فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف من خوخة لها فقالت سرك الله يا أمير المؤمنين ماهذا الذى بلغك فسررت به قال موت الحسن بن على فقالت انالله وانااليه راجعون ثم بكت وقالت مات سيد المسلمين وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية نعماوالله مافعلت انه كان كذلك اهلا ان يبكى عليه ثم بلغ الخبر ابن عباس رضى الله عنهما فراح فدخل على معاوية قال علمت يا ابن عباس ان الحسن توفى قال ألذلك كبرت قال نعم قال والله ماموته بالذى يؤخر أجلك ولا حفرته بسادة حفرتك ولئن أصبنا به فقد أصبنا بسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين ثم بعد بسيد الاوصياء فجبر الله تلك المصيبة ورفع تلك العبرة فقال ويحك يا ابن عباس ما كلمتك الا وجدتك معدا (وفى نسخة) انه لما صالح الحسن معاوية كبر معاوية فى الخضراء وكبر أهل الخضراء ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء فخرجت فاختة بنت قرظة من خوخة لها فقالت سرك الله يا امير المؤمنين ماهذا الذى بلغك قال اتانى البشير بصلح الحسن وانقياده فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد أهل الجنة وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين فالحمد لله الذى جعل فئتى احدى الفئتين ولما صالح الحسن معاوية لما ناله من أهل الكوفة وما نزل به أشار عمرو بن العاص على معاوية وذلك بالكوفة أن يأمر الحسن فيقوم فيخطب الناس فكره ذلك معاوية وقال ما أريد أن يخطب قال عمرو لكنى أريد أن يبدو عيه فى الناس بانه يتكلم فى امور لايدرى ماهى ولم يزل به حتى أطاعه فخرج معاوية فخطب الناس وأمر رجلا أن ينادى بالحسن بن على فقام اليه

فقال قم ياحسن فكلم الناس فتشهد فى بديهته ثم قال أما بعد أيها الناس فان الله هدا كم بأولنا وحقن دماء كم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل ان أدرى أقريب أم بعيد ماتوعدون انه يعلم الجهر من القول و يعلم ماتكتمون وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم قال فى كلامه ذلك ياأهل الكوفة لم تذهب نفسى عنكم الا لثلاث خصال اذهلت مقتلكم لابى وسلبكم ثقلى وطعنكم فى بطنى وانى قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا وقد كان أهل الكوفة انتهبوا اسرادق الحسن ورحله وطعنوا ابالخنجر فى جوفه فلما تيقن مانزل به انقاد الى الصلح وقد كان على رضى الله عنه وكرم الله وجهه اعتل فأمر ابنه الحسن رضى الله عنه أن يصلى بالناس يوم الجمعة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله لم يبعث نبيا الا اختار له نفسا ورهطا و بيتا فوالذى بعث محمدا بالحق لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد الا نقصه الله من عمله مثله ولا يكون علينا دولة الا وتكون لنا العاقبة ولتعلمن نبأه بعد حين * ومن خطب الحسن رضى الله عنه فى أيامه فى بعض مقاماته أنه قال نحن حزب الله المفلحون وعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقربون واهل بيته الطاهرون الطيبون وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانى كتاب الله فيه تفصيل كل شئ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والمعول عليه فى كل شئ لا يخطئنا تأويله بل نتيقن حقائقه فاطيعونا فاطاعتنا مفروضة اذ كانت بطاعة الله والرسول وأولى الامر مقرونة فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم واحذركم الاصغاء لهتاف الشيطان انه لكم عدو مبين فتكونون كأوليائه الذين قال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى مالا ترون فتلقون للرماح ازرا وللسيوف جزرا وللعمد خطأ وللسهام غرضا ثم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا والله أعلم

﴿ذكر خلافة معاوية بن أبى سفيان﴾

بويع معاوية فى شوال سنة احدى وأربعين ببيت المقدس فكانت أيامه تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وتوفى فى رجب سنة احدى وستين وله ثمانون سنة ودفن بدمشق بباب الصغير وقبره يزار فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وعليه بيت

مبنى يفتح كل يوم اثنين وخميس

﴿ ذكر لمع من أخباره وسيره ونوادر من بعض أفعاله ﴾

وفى سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية حجر بن عدى الكندى وهو أول من قتل صبرا فى الاسلام حمله زياد من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها فلما صار على أميال من الكوفة يراد به دمشق أنشأت ابنته تقول ولا عقب له من غيرها

ترفع ايها القمر المنير   لعلك ان ترى حجرا يسير
يسير الى معاوية بن حرب   ليقتله كذا زعم الامير
ويصلبه على بابى دمشق   وتأكل من محاسنه النسور
تخيرت الخبائر بعد حجر   وطاب لها الخورنق والسدير
ألا يا حجر حجر بنى عدى   تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما اردى عليا   وشيخا فى دمشق له زئير
ألا ياليت حجرا مات موتا   ولم ينحر كما نحر البعير
فان تهلك فكل عميد قوم   الى هلك من الدنيا يصير

ولما صار الى مرج عذراء على اثنى عشر ميلا من دمشق تقدم البريد بأخبارهم الى معاوية فبعث برجل أعور فلما أشرف على حجر واصحابه قال رجل منهم ان صدق الزجر فانه سيقتل منا النصف وينجو الباقون فقيل له وكيف ذلك قال أما ترون الرجل المقبل مصابا باحدى عينيه فلما وصل اليهم قال لحجر ان أمير المؤمنين أمرنى بقتلك يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولى لابى تراب وقتل أصحابك الا أن ترجعوا عن كفركم وتلعنوا اصاحبكم وتتبرؤن منه فقال حجر وجماعة ممن كان معه ان الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعونا اليه ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب الينا من دخول النار وأجاب نصف من كان معه الى البراءة من على فلما قدم حجر ليقتل قال دعونى أصل ركعتين فجعل يطول فى صلاته فقيل له اجزعا من الموت فقال لا ولكنى ما تطهرت للصلاة قط الا صليت وما صليت قط أخف من هذه وكيف لا أجزع وانى لارى قبرا محفورا وسيفا مشهورا وكفنا منشورا ثم قدم فنحر وألحق به من وافقه على قوله من أصحابه وقيل ان قتلهم كان فى سنة خمسين وذكر أن عدى بن حاتم الطائى دخل على معاوية فقال له معاوية ما فعلت الطرفات يعنى

أولاده قال قتلوا مع علي قال ماأنصفك علي قتل أولادك وبقاء أولاده فقال عدي ماأنصفك علي اذ قتل وبقيت بعده فقال معاوية أما انه قد بقي قطرة من دم عثمان مايمحوها الا دم شريف من أشراف اليمن فقال عدي والله ان قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا وان أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا ولئن أدنيت الينا من الغدر فترا لندنين اليك من الشر شبرا وان حز الحلقوم وحشرجة الحيزوم لاهون علينا من أن نسمع المساءة في علي فسلم السيف يامعاوية لباعث السيف فقال معاوية هذه كلمات حكم فاكتبوها وأقبل على عدي محادثا له كانه ماخاطبه بشيء (وذكر) ان معاوية ابن أبي سفيان تنازع اليه عمرو بن عثمان بن عفان وأسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض فقال عمرو لاسامة كانك تنكرني فقال اسامة مايسرني نسبك بولائي فقام مروان بن الحكم فجلس الى جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس الى جانب اسامة فقام سعيد بن العاص فجلس الى جانب مروان فقام الحسين فجلس الى جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس الى جانب سعيد فقام عبد الله بن جعفر فجلس الى جانب الحسين وقام عبد الرحمن بن الحكم فجلس الى جانب ابن عامر فقام عبد الله بن العباس فجلس الى جانب ابن جعفر فلما رأى ذلك معاوية قال لاتعجلوا انا كنت شاهدا اذ أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة فقام الهاشميون فخرجوا ظاهرين وأقبل الامويون عليه فقالوا ألا كنت أصلحت بيننا قال دعوني فوالله ماذكرت عيونهم تحت المغافر بصفين الا لبس على عقلي وان الحرب أولها نجوى وأوسطها شكوى وآخرها بلوى وتمثل بأبيات امرىء القيس المتقدمة في هذا الكتاب في أخبار عمر رضي الله عنه وأولها

الحرب أول ماتكون فتية   تدنو بزينتها لكل جهول

ثم قال مافي القلوب يشب الحروب والامر الكبير يدفعه الامر الصغير وتمثل

قد يلحق الصغير بالجليل   وانما القرم من الافيل

وتسحق النخل من الفسيل

(قال المسعودي) ولما هم معاوية بالحاق زياد بأبي سفيان أبيه وذلك في سنة أربعين شهد عنده زياد بن أسماء الحرمازي ومالك بن ربيعة السلولي والمنذر بن الزبير بن العوام ان أباسفيان أخبر انه ابنه وان أباسفيان قال لعلي عليه السلام حين ذكر زياد عند عمر بن الخطاب

أما والله لولا خوف شخص * يرانى ياعلى من الاعادى
لبين امره صـخر بن حرب * ولم يكن المحجم عن زياد
ولكنى أخاف صروف كف * لها نقم وتقي عن بلادى
فقد طالت محاولتى ثقيفا * وترکی فیهـم ثمر الفؤاد

ثم زاده يقينا الى ذلك شهادة أبى مريم السلولى وكان اخبر الناس ببدء الامر وذلك انه جمع بين ابى سفيان وسمية ام زياد فى الجاهلية على زنا وكانت سمية من ذوات الرايات بالطائف تؤدى الضريبة الى الحرث بن كلدة وكانت تنزل بالموضع الذى ينزل فيه البغايا بالطائف خارجا عن الحضر فى محلة يقال لها حارة البغايا وكان سبب ادعاء معاوية فيما ذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى ان عليا كان ولاه فارس حين أخرج منها سهل بن حنيف فضرب زياد ببعضهم بعضا حتى غلب عليها ومازال يتنقل فى كورها حتى صلح امر فارس ثم ولاه على اصطخر وكان معاوية يتهدده ثم اخذ بسر بن ارطاة عبيد الله وسلمان ولديه وكتب اليه يقسم ليقتلنهما ان لم يرجع ويدخل فى طاعة معاوية ويرده على عمله فقدم زياد على معاوية وكان المغيرة بن شعبة قال لزياد قبل قدومه على معاوية ارم الغرض الاقصى ودع عنك الفضول فان هذا الامر لا يمد اليه أحد يدا الا الحسن بن على وقد بايع لمعاوية فخذها لنفسك قبل التوطين قال زياد فأشر على قال ارى ان تنقل اصلك الى اصله وتصل حبلك بحبله وتعير الناس منك اذنا صماء فقال زياد يا ابن شعبة أأغرس عودا فى غير منبته ولا مـدرة فتحييه ولا عرق فيسقيه ثم ان زيادا عزم على قبول الدعوى واخذ براى ابن شعبة وارسلت اليه جويرية بنت ابى سـفيان عن امر أخيها فاتاها فأذنت له وكشفت عن شـعرها بين يديه وقالت انت اخى اخبرنى بذلك ابو مريم ثم اخرجـه معاوية الى المسـجد وجمع الناس فقام ابو مريم السلولى فقـال اشهد أن أباسفيان قدم علينا بالطائف وانا خمار فى الجاهلية فقال ابغنى بغيا فأتيته وقلت لم اجد الا جارية الحرث بن كلدة سمية فقال ائتنى بها على دفرها وقذرها فقال له زياد مهلا يا أبا مريم انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتمـا فقال ابو مريم لو كنتم أعفيتمونى لـكان أحب الى وانمـا شهدت بما عاينت ورأيت والله لقـد أخذ بكم درعها وأغلقت الباب عليهما وقعدت دهشانا فلم البث ان خرج علی يمسح جبينه فقلت مـه يا أباسفيان فقال ما اصبت مثلها يا أبا مريم لولا استرخاء من ثدييها ودفر من فيها فقام زياد فقال ايها الناس هـذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم ولست أدرى حق ذلك من باطله وانمـا كان عبد بغيا

مبر ورا أوولياً مشكورا والشهود أعلم بما قالوا فقام يونس بن عبيد أخو صفية بنت عبيد بن أسد بن علاج الثقفي وكانت صفية مولاة سمية فقال يامعاوية قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الولد للفراش وللعاهر الحجر وقضيت انت ان الولد للعاهر وان الحجر للفراش مخالفة لكتاب الله تعالى وانصرافا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهادة ابي مريم على زنا أبي سفيان فقال معاوية والله يايونس لتنتهين أولأطيرن بك طيرة بطيئا وقوعها فقال يونس هل الا الى الله ثم أقع قال نعم وأستغفر الله فقال عبد الرحمن بن ام الحكم في ذلك ويقال انه ليزيد بن مفرغ الحميري

الا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة عن الرجل اليماني
اتغضب ان يقال ابوك عف وترضى ان يقال ابوك زاني
فأشهد ان رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الاتان

وفي زياد واخوته يقول خالد النجاري

ان زيادا ونافعا وابا * بكرة عندي من اعجب العجب
ان رجالا ثلاثة خلقوا * من رحم انثى مخالفي النسب
ذا قرشي فيما يقول وذا * مولى وذا ابن عمه عربي

ولما قتل علي كرم الله وجهه كان في نفس معاوية من يوم صفين على هاشم بن عتبة بن ابي وقاص المرقال وولده عبد الله بن هاشم احن فلما استعمل معاوية زيادا على العراق كتب اليه اما بعد فانظر عبد الله بن هاشم بن عتبة فشد يده الى عنقه ثم ابعث به الى فحمله زياد من البصرة مقيدا مغلولا الى دمشق وقد كان زياد طرقه بالليل في منزله بالبصرة فادخل الى معاوية وعنده عمرو بن العاص فقال معاوية لعمرو بن العاص هل تعرف هذا قال لا قال هذا الذي يقول ابوه يوم صفين

اني شريت النفس لما اعتلا * وأكثر اللوم وما أقلا
أعور يبغي أهله محلا * قد عالج الحياة حتى ملا
لابد أن يفل أو يفلا * أسلهم بذي الكعوب سلا
لا خير عندي في كريم ولى

فقال عمرو ومتمثلا

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا

دونك ياأمير المؤمنين الضب الضب فاشخب أوداجه على أسباجه ولا ترده الى أهل

العراق فانه لا يصبر على النفاق وهم أهل غدر وشقاق وحزب ابليس ليوم هيجانه وان له هوى سيؤديه ورأيا سيطغيه وبطانة ستقويه وجزاء سيئة سيئة مثلها فقال عبد الله ياعمرو ان اقتل فرجل اسلمه قومه وادركه يومه أفلا كان هذا منك اذ تحيد عن القتال ونحن ندعوك الى النزال وأنت تلوذ بشمال النطاف وعقائق الرصاف كالامة السوداء والنعجة القوداء لا تدفع يد لامس فقال عمرو أما والله لقد وقعت فى لهاذم شذقم للاقران ذى لبد ولا أحسبك منفلتا من مخاليب أمير المؤمنين فقال عبد الله أما والله يا ابن العاص انك لبطر فى الرخاء جبان عند اللقاء غشوم اذا وليت هياب اذا لقيت تهدر كما يهدر العود المنكوس المقيد بين مجرى الشول لا يستعجل فى المده ولا يرتجى فى الشده أفلا كان هذا منك اذ غمرك أقوام لم يعنفوا اصغارا ولم يمزقوا كبارا لهم أيد شداد وألسنة حداد يدعمون العوج ويذهبون الحرج يكثرون القليل ويشفون الغليل ويعزون الذليل فقال عمرو أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تخفق أحشاؤه وتبق أمعاؤه وتضطرب أصلاؤه كأنما انطبق عليه ضمد فقال عبد الله ياعمرو انا قد بلوناك ومقالتك فوجدنا لسانك كذوبا غادرا خلوت بأقوام لا يعرفونك وجند لا يسأمونك ولو رمت المنطق فى غير أهل الشأم لجحظ اليك عقلك ولتلجلج لسانك ولاضطرب فخذاك اضطراب القعود الذى أثقله حمله فقال معاوية ايها عنكما وأمر باطلاق عبد الله فقال عمرو لمعاوية

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى * وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
أليس أبوه يامعاوية الذى * أعان عليا يوم حز الغلاصم
فلم ينثنى حتى جرت من دمائنا * بصفين أمثال البحور الخضارم
وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه * ويوشك أن تقرع به سن نادم

فقال عبد الله يجيبه

معاوى ان المرء عمرا أبت له * ضغينة صدر غشها غير نائم
يرى لك قتلى يا ابن هند وانما * يرى ما يرى عمرو ملوك الاعاجم
على انهم لا يقتلون أسيرهم * اذا منعت منه عهود المسالم
وقد كان منا يوم صفين نقرة * عليك جناها هاشم وابن هاشم
قضى ما انقضى منها وليس الذى مضى * ولا ما جرى الا كاضغاث حالم
فان تعف عنى تعف عن ذى قرابة * وان ترقتلى تستحل محارمى

فقال معاوية

أرى العفو عن عليا قريش وسيلة * الى الله في يوم العصيب القماطرى
ولست أرى قتل العداة ابن هاشم * بادراك ثارى فى لؤى وعامر
بل العفو عنه بعد مابان جرمه * وزلت به احدى الجدود العواثر
فكان أبوه يوم صفين جمرة * علينا فأردته رماح نهابر

وحضر عبد الله بن هاشم ذات يوم مجلس معاوية فقال معاوية من يخبرنى عن الجود والنجدة والمروءة فقال عبد الله يا أمير المؤمنين أما الجود فابتذال المال والعطية قبل السؤال وأما النجدة فالجراءة على الاقدام والصبر عند ازورار الاقدام وأما المروءة فالصلاح فى الدين والاصلاح للحال والمحاماة عن الجار ولما صرف على رضى الله عنه قيس بن سعد بن عبادة عن مصر وجه مكانه محمد بن أبى بكر فلما وصل اليها كتب الى معاوية كتابا فيه من محمد بن أبى بكر الى الغاوى معاوية بن صخر أما بعد فان الله بعظمته وسلطانه خلق خلقه بلا عبث منه ولا ضعف فى قوته ولا حاجة به الى خلقهم لكنه خلقهم عبيدا وجعل منهم غويا ورشيدا وشقيا وسعيدا ثم اختار على علم واصطفى وانتخب منهم محمدا صلى الله عليه وسلم فانتخبه لعلمه واصطفاه لرسالته وائتمنه على وحيه وبعثه رسولا ومبشرا ونذيرا فكان أول من أجاب وأناب وآمن وصدق وأسلم وسلم أخوه وابن عمه على بن أبى طالب صدقه بالغيب المكتوم وآثره على كل حميم ووقاه بنفسه كل هول وحارب حربه وسالم سلمه فلم يبرح مبتذلا لنفسه فى ساعات الليل والنهار والخوف والجوع والخضوع حتى برز سابقا لانظير له فيمن اتبعه ولا مقارب له فى فعله وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو هو أصدق الناس نية وأفضل الناس ذرية وخير الناس زوجة وأفضل الناس ابن عم اخوه الشارى بنفسه يوم موته وعمه سيد الشهداء يوم أحد وأبوه الذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حوزته وأنت اللعين ابن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الغوائل وتجهدان فى اطفاء نور الله تجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتؤلبان عليه القبائل على ذلك مات أبوك وعليه خلفته والشهيد عليك من تدنى ويلجأ اليك من بقية الاحزاب ورؤساء النفاق والشاهد لعلى مع فضله المبين القديم أنصاره الذين معه الذين ذكرهم الله بفضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والانصار وهم معه كتائب وعصائب يرون الحق فى اتباعه والشقاء فى خلافه فكيف يالك الويل

تعدل نفسك بعلي وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ووصيه وأبو ولده أول الناس له اتباعا وأقربهم به عهدا يخبره بسره ويطلعه على أمره وأنت عدوه وابن عدوه فتمتع فى دنياك مااستطعت بباطلك وليمددك ابن العاص فى غوايتك فكأن أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى ثم يتبين لك لمن تكون العاقبة العليا واعلم انك انما تكايد ربك الذى آمنك كيده ويئست من روحه فهو لك بالمرصاد وأنت منه فى غرور والسلام على من اتبع الهدى (فكتب اليه معاوية) من معاوية بن صخر الى الزارى على أبيه محمد بن أبى بكر أما بعد فقد أتانى كتابك تذكر فيه ما الله أهله فى عظمته وقدرته وسلطانه وما اصطفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله مع كلام كثير لك فيه تضعيف ولابيك فيه تعنيف ذكرت فيه فضل ابن أبى طالب وقديم سوابقه وقرابته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواساته اياه فى كل هول وخوف فكان احتجاجك على وعيبك بفضل غيرك لا بفضلك فاحمد ربا صرف هذا الفضل عنك وجعله لغيرك فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبى طالب وحقه لازما لنا مبرورا علينا فلما اختار الله لنبيه عليه الصلاة والسلام ما عنده وأتم له ما وعده وأظهر دعوته فابلج حجته وقبضه الله اليه صلوات الله عليه كان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه وخالفه على أمره على ذلك اتفقا واتسقا ثم انهما دعواه الى بيعتهما فابطأ عنهما وتلكا عليهما فهما به الهموم وأرادا به العظيم ثم انه بايع لهما وسلم لهما وأقاما لا يشركانه فى أمرهما ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضهما الله ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرهما فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الاقاصى من أهل المعاصى فطلبتما له الغوائل وأظهرتما عداوتكما حتى بلغتما فيه منا كما فخذ حذرك يا ابن أبى بكر وقس شبرك بفترك يقصر عن أن توازى أو تساوى من يزن الجبال بحلمه لا يلين عن قسر قناته ولا يدرك ذو مقال أناته مهد مهاده وبنى لملكه وشاده فان يك ما نحن فيه صوابا فابوك استبد به ونحن شركاؤه ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبى طالب ولسلمنا اليه ولكنا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فاخذنا بمثله فعب أباك بما بدا لك أودع ذلك والسلام على من أناب (ومما كتب به معاوية الى على) أما بعد فلو علمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وانا وان كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى لنا منها ما نرد به ما مضى ونصلح به ما بقى وقد كنت سألتك الشأم على ان لا تلزمنى لك طاعة وأنا أدعوك اليوم الى ما دعوتك اليه أمس فانك لا ترجو من

البقاء الا ما أرجو ولا تخاف من القتال الا ما أخاف وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يستذل به عزيز ويسترق به حر والسلام (فكتب اليه على كرم الله وجهه) من على بن أبى طالب الى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر فيه انك لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وأنا واياك فلتمس منها غاية لم نبلغها بعد فاما طلبك منى الشأم فانى لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك أمس وأما استواؤنا فى الخوف والرجاء فلست بأمضى على الشك منى على اليقين وليس أهل الشأم على الدنيا باحرص من أهل العراق على الآخرة وأما قولك نحن بنو عبد مناف فكذلك نحن وليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كابى طالب ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحق وفى أيدينا فضل النبوة التى قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام (وحدث) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى عن محمد بن حميد الرازى عن أبى مجاهد عن محمد بن اسحق ابن أبى نجيح قال لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد فلما فرغ انصرف معاوية الى دار الندوة فأجلسه معه على سريره ووقع معاوية فى على وشرع فى سبه فزحف سعد ثم قال أجلستنى معك على سريرك ثم شرعت فى سب على والله لان يكون فى خصلة واحدة من خصال كانت لعلى أحب الى من ان يكون لى ما طلعت عليه الشمس والله لان أكون صهر الرسول صلى الله عليه وسلم لى من الولد ما لعلى أحب الى من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس والله لان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ما قاله يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفرار يفتح الله على يديه أحب الى من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس والله لان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ما قال له فى غزوة تبوك ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبى بعدى أحب الى من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس وايم الله لا دخلت لك دارا ما بقيت ونهض (ووجدت) فى وجه آخر من الروايات وذلك فى كتاب على بن محمد بن سليمان النوفلى فى الاخبار عن ابن عائشة وغيره ان سعد الما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرط له معاوية وقال له اقعد حتى تسمع جواب ما قلت ما كنت عندى قط ألام منك الآن فهلا نصرته ولم قعدت عن بيعته فانى لو سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم مثل الذى سمعت فيه لكنت خادما لعلى ما عشت فقال سعد والله انى لاحق بموضعك منك فقال معاوية يأبى عليك بنو عذرة وكان سعد فيما يقال لرجل من بنى عذرة قال

النوفلى وفى ذلك يقول السيد محمد الحميرى

سائل قريشا بها ان كنت ذا عمه * من كان أثبتها فى الدين أوتادا
من كان أقدمها سلما وأكثرها * علما وأطهرها أهلا وأولادا
من وحد الله اذ كانت مكذبة * تدعو مع الله أوثانا وأندادا
من كان يقدم فى الهيجاء ان فكلوا * عنها وان بخلوا فى أزمة جادا
من كان أعدلها حكما وأقسطها * حلما وأصدقها وعدا وايعادا
ان يصدقوك فلم يعدوا أبا حسن * ان أنت لم تلق للابرار حسادا
ان أنت لم تلق من تيم أخا صلف * ومن عدى لحق الله جحادا
أو من بنى عامر أو من بنى أسد * رهط العبيد ذوى جهل وأوغادا
أو رهط سعد وسعد كان قد علموا * عن مستقيم صراط الله صدادا
قوم تداعوا زنيما ثم سادهم * لولا خمول بنى زهر لما سادا

وكان سعد واسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمد بن سلمة ممن قعد عن على بن أبى طالب وأبوا أن يبايعوه هم وغيرهم ممن ذكرنا من القعاد عن بيعته وذلك انهم قالوا انها فتنة ومنهم من قال لعلى اعطنا سيوفا نقاتل بها معك فاذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم ونبت عن أجسامهم واذا ضربنا بها الكافرين سرت فى أبدانهم فاعرض عنهم على وقال ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (وذكر) أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره من الاخباريين ان الامر لما أفضى الى معاوية أتاه أبو الطفيل الكنانى فقال له كيف وجدك على خليلك أبى الحسن قال كوجد أم موسى على موسى وأشكو الى الله التقصير فقال معاوية أكنت فيمن حضر قتل عثمان قال لا ولكنى فيمن حضر فلم ينصره قال فما منعك من ذلك وقد كانت نصرته عليك واجبة قال منعنى ما منعك اذ تربص به ريب المنون وأنت بالشأم قال أوما ترى طلبى بدمه نصرة له قال بلى ولكنك واياه كما قال الجعدى

لالفينك بعد الموت تندبنى   وفى حياتى ما زودتنى زادا

ودخل على معاوية ضرار بن الخطاب فقال له كيف حزنك على أبى الحسن قال حزن من ذبح ولدها على صدرها فما ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها (ومما جرى) بين معاوية وبين قيس بن سعد بن عبادة حين كان عاملا على مصر فكتب اليه معاوية اما بعد فانك يهودى ابن يهودى وان ظفر أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل

بك وان ظفر ابغضهما اليك نكل بك وقتلك وقد كان ابوك اوتر قوسه ورمى غرضه فأكثر الجد واخطأ القصد نخذله قومه وادركه يومه ثم مات بحوران طريدا فكتب اليه قيس بن سعد اما بعد فانما انت وثنى ابن وثنى دخلت فى الاسلام كرها وخرجت منه طوعا لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك وقد كان ابى اوتر قوسه ورمى غرضه فشعب به من لم يبلغ عقبه ولا شق غباره ونحن انصار الدين الذى منه خرجت واعداء الدين الذى فيه دخلت (ودخل) قيس بن سعد بعد وفاة على ووقوع الصلح فى جماعة من الانصار على معاوية فقال لهم معاوية يامعشر الانصار بم تطلبون ماقبلى فوالله لقد كنتم قليلا معى كثيرا على ولفللتم حدى يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظى فى أسنتكم وهجوتمونى فى أسلافى باشد من وقع الاسنة حتى اذا أقام الله ماحاولتم ميله قلتم ارع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم هيهات يابى الحقير الغدرة فقال قيس نطلب ماقبلك بالاسلام الكافى به الله لا بما تمت به اليك الاحزاب وأماعداوتنالك فلو شئت كففتها عنك وأما هجاؤنا اياك فقول يزول باطله ويثبت حقه وأما استقامة الامر فعلى كره كان منا واما فلنا حدك يوم صفين فانا كنا مع رجل نرى طاعته لله طاعة وأما وصية رسول الله بنا فمن آمن به رعاها بعده وأما قولك يابى الحقير الغدرة فليس دون الله يد تحجزك منا يامعاوية فقال معاوية يمو دار فعوا حوائجكم وقد كان قيس بن سعد من الزهد والديانة والميل الى على بالموضع العظيم وبلغ من خوفه الله وطاعته اياه انه كان يصلى فلما أهوى للسجود اذا فى موضع سجوده ثعبان عظيم مطرق فال عن الثعبان برأسه وسجد الى جانبه فتطوق الثعبان برقبته فلم يقصر من صلاته ولا نقص منها شيا حتى فرغ ثم أخذ الثعبان فرمى به كذلك ذكر الحسن بن على بن عبد الله بن المغيرة عن معمر بن خلاد عن أبى الحسن على بن موسى الرضا وقال عمرو بن العاص لمعاوية ذات يوم قد أعيانى ان أعلم أجبان أنت أم شجاع لانى أراك تتقدم حتى أقول أراد القتال ثم تتاخر حتى اقول أراد الفرار فقال له معاوية والله ما أتقدم حتى أرى التقدم غنما ولا أتاخر حتى أرى التاخر حزما كما قال القطامى

شجاع اذا ما امكنتنى فرصة   والا تكن لى فرصة فجبان

(وذكر ابو مخنف) لوط بن يحيى عن أبى الاغر التيمى قال بينا انا واقف بصفين اذ مر العباس بن ربيعة مغفرا بالسلاح وعيناه يبصان من تحت المغفر كانهما شعلتا نار أو عينا ارقم وبيده صفيحة له يمانية يقلبها والمنايا تلوح فى شفرتها وهو على فرس صعب فبينا

هو يبعثه ويمنعه ويلين من عريكته اذهتف به هاتف يقال له غرار بن أدهم من أهل الشام ياعباس هلم الى النزال قال فالنزول اذا فانه اياس من الحياة فنزل اليه الشامي وهو يقول

ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا   أو تنزلون فانا معشر نزل

وثنى العباس وركه وهو يقول

الله يعلم انا لا نحبكم   ولا نلومكم ان لا تحبونا

عصر فضلات درعه فى محزمه يريد منطقته ودفع فرسه الى غلام له أسود كانى والله أنظر فلافل شعره ثم زحف كل واحد منهما الى صاحبه وكف الفريقان أعنة الخيول ينظرون مايكون من الرجلين فتكافحا بسيفيهما مليا نهارهما لا يصل واحد منهما الى صاحبه لكمال لامته الى ان لحظ العباس وهنا فى درع الشامي فاهوى اليه بيده وهتكه الى ثندوته ثم عاد لمجاولته وقد أفرج له مفتق الدرع فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانح صدره نخر الشامى لوجهه فكبر الناس تكبيرة ارتجت لها الارض من تحتهم وانساب العباس فى الناس فاذا قائل يقول من ورائى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين الآية فالتفت فاذا بعلى رضى الله عنه فقال ياابن الاغر من المبارز لعدونا قلت ابن أخيكم العباس بن ربيعة قال وانه لهو العباس قلت نعم فقال ياعباس ألم أنهك وعبد الله بن عباس ان تحلا بمركز أو تبارزا أحدا قال ان ذلك كما قلت قال على فما عدا فيما بدا قال أفادعى الى البراز فلا أجيب قال طاعة أمامك أولى بك من اجابة عدوك وتغيظ واستطار ثم تطامن وسكن ورفع يديه مبتهلا فقال اللهم اشكر للعباس مقامه واغفر ذنبه اللهم انى قد غفرت له فاغفر له وتأسف معاوية على غرار بن أدهم وقال متى ينطف فحل بمثله أبطل دمه لاها الله ألا رجل يشرى نفسه يطلب بدم غرار فانتدب له رجلان من لخم من أهل الباس ومن صناديد الشأم فقال اذهبا فايكما قتل العباس فله مائة أوقية من التبر ومثلها من اللجين وبعددهما من برود اليمن فاتياه فدعواه الى البراز وصاحا بين الصفين ياعباس ياعباس ابرز الى الداعى فقال ان لى سيدا أريد أن أوامره فانى عليا وهو فى جناح الميمنة يحرض الناس فأخبره الخبر فقال على والله يود معاوية انه مابقى من بنى هاشم نافخ ضرمة الاطعن فى بطنه اطفاء لنور الله (ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) اما والله ليملكنكم منا رجال ورجال يسومونهم سوم الخسف حتى تعفو الآثار ثم قال ياعباس ناقلنى سلاحك بسلاحى فناقله ووثب على فرس العباس وقصد اللخميين فلم يشكا انه العباس فقالا له أذن لك

صاحبك فتحرج ان يقول نعم فقال (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) وكان العباس أشبه الناس فى جسمه وركوبه بعلى فبرز له أحدهما فما أخطأه ثم برز له الآخر فألحقه بالاول ثم أقبل وهو يقول (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ثم قال يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحى فان عاد لك احد فعدلى ونما الخبر الى معاوية فقال قبح الله اللجاج انه لعقور ما ركبته قط الا خذلت فقال عمرو بن العاص المخذول والله اللخميان والمغرور من غررته لا انت المخذول قال اسكت أيها الرجل فليس هذا من شأنك قال وان لم يكن رحم الله اللخميين ولا أراه يفعل قال ذلك والله أضيق لحجتك وأخسر لصفقتك قال قد علمت ذلك ولولا مصر وولايتها الركبت المنجاة منها فانى أعلم أن على بن أبى طالب على الحق وأنا على ضده فقال معاوية مصر والله أعمتك ولولا مصر لالفيتك بصيرا ثم ضحك معاوية ضحكا ذهب به كل مذهب قال مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك قال أضحك من حضور ذهنك يوم بارزت عليا وابدائك سوأتك اما والله يا عمرو لقد واقعت المنايا ورأيت الموت عيانا ولو شاء لقتلك ولكن أبى ابن أبى طالب فى قتلك الا تكرما فقال عمرو أما والله انى لعن يمينك حين دعاك الى البراز فاحولت عيناك وبدا سحرك وبدا منك ما أكره ذكره لك من نفسك فاضحك أودع (وذكر أبو مخنف) لوط بن يحيى ان معاوية برز فى بعض أيام صفين امام الناس وكر على ميسرة على وكان على فيها فى ذلك الوقت يعبي الناس فغير على لامته وجواده وخرج بلامة بعض أصحابه وصمد له معاوية فلما تدانيا انتبه معاوية فغمز برجليه على جواده وعلى وراءه حتى فاته ودخل فى مصاف أهل الشام فاصاب على رجلا من مصافهم دونه ثم رجع وهو يقول

يالهف نفسى فاتنى معاويه فوق طمر كالعقاب الضاريه

وقدم عمرو بن العاص من مصر على معاوية فى بعض الايام فلما رآه معاوية قال

يموت الصالحون وانت حى تخطاك المنايا لا تموت

فاجابه عمرو

فلست بميت مادمت حيا ولست بميت حتى تموت

(وذكر) ان معاوية لما نظر الى عساكر أهل العراق وقد أشرفت واخذت الرجال

مراتبها من الصفوف ونظر الى على على فرس أشقر حاسر الرأس يرتب الصفوف كأنه يغرسهم فى الارض غرسا فيثبتون كأنهم بنيان مرصوص قال لعمرو ياأباعبدالله أما تنظر الى ابن ابى طالب وماهو عليه فقال له عمرو من طلب عظيما خاطر بعظيم وقد كان معاوية فى سنة أربعين بعث بسر بن ارطاة فى ثلاثة آلاف حتى قدم المدينة وعليها أبو أيوب الانصارى فتنحى وجاء بسر حتى صعد المنبر وتهدد أهل المدينة بالقتل فاجابوه الى بيعة معاوية وبلغ الخبر عليا فانفذ حارثة بن قدامة السعدى فى ألفين ووهب ابن مسعود فى الفين ومضى بسر الى مكة ثم سار الى اليمن وكان عبدالله بن العباس بها فخرج عنها ولحق بعلى واستخلف عليها عبدالله بن عبد المدان الحارثى وخلف ابنيه عبدالرحمن وقثم عند أمهما جويرية بنت قارظ الكنانية فقتلهما بسر وقتل معهما خالا لهما من ثقيف وقد كان بسر بن ارطاة العامرى عامر بن لؤى بن غالب قتل بالمدينة وبين المسجدين خلقا كثيرا من خزاعة وغيرهم وكذلك بالجرف قتل بها خلقا كثيرا من رجال همذان وقتل بصنعاء خلقا كثيرا من الابناء ولم يبلغه عن احد انه يمالئ عليا أو يهواه الا قتله ونما اليه خبر حارثة بن قدامة السعدى فهرب وظفر حارثة بابن أخى بسر مع أربعين من أهل بيته فقتلهم وكانت جويرية أم ابنى عبدالله بن العباس للذين قتلهما بسر تدور حول البيت ناشرة شعرها وهى من أجمل الناس وهى تقول ترثيهما

هامن أحس من ابنى اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف
هامن أحس من ابنى اللذين هما ... سمعى وقلبى فعقلى اليوم مختطف
هامن أحس من ابنى اللذين هما ... مخ العظام فمخى اليوم مزدهف
نبئت بسرا وماصدقت مازعموا ... من قولهم ومن الافك الذى وصفوا
انحى على ودجى ابنى مرهفة ... مشحوذة وكذاك الاثم يقترف

(وذكر الواقدى) قال دخل عمرو بن العاص يوما على معاوية بعدما كبر ودق ومعه مولاه وردان فاخذا فى الحديث وليس عندهما غير وردان فقال عمرو ياأمير المؤمنين ما بقى مما تستلذه فقال اما النساء فلا أرب لى فيهن وأما الثياب فقد لبست من لينها وجيدها حتى وهى بها جلدى فما أدرى أيها ألين وأما الطعام فقد أكلت من لينه وطيبه حتى ماأدرى أيه ألذ وطيب وأما الطيب فقد دخل خياشيمى منه حتى ماأدرى ايه أطيب فما شىء ألذ عندى من شراب بارد فى يوم صائف ومن ان أنظر الى بنى وبنى بنى يدورون حولى فما بقى منك ياعمرو قال مال أغرسه فاصيب من ثمرته ومن غلته فالتفت

معاوية الى وردان فقال ما بقى منك ياوردان قال صنيعة كريمة سنية أعلقها فى أعناق قوم ذوى فضل وأخطار لا يكافؤننى بها حتى ألقى الله تعالى وتكون لعقبى فى أعقابهم بعدى فقال معاوية تبا لمجلسنا سائر اليوم ان هذا العبد غلبنى وغلبك وفى سنة ثلاث وأربعين مات عمرو بن العاص بن وائل بن سهم بن سعيد بن سعد بمصر وله تسعون سنة وكانت ولايته مصر عشر سنين وأربعة أشهر ولما حضرته الوفاة قال اللهم لا براءة لى فأعتذر ولا قوة لى فانتصر أمرتنا فعصينا ونهيتنا فركبنا اللهم هذه يدى الى ذقنى ثم قال خدوا الى فى الارض خدا وسنوا على التراب سنا ثم وضع أصبعه فى فيه حتى مات وصلى عليه ابنه عبد الله يوم الفطر فبدأ بالصلاة عليه قبل صلاة العيد ثم صلى بالناس بعد ذلك صلاة العيد وكان أبوه من المستهزئين وفيه نزلت ان شانئك هو الابتر (وولى معاوية) ابنه عبد الله بن عمرو ما كان لأبيه وخلف عمرو من العين ثلثمائة ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار ومن الورق ألفى ألف درهم وضيعته المعروفة بالرهط قيمتها عشرة آلاف درهم وفيه يقول ابن الزبير الاسدى الشاعر من أبيات

ألم تر ان الدهر اخنت صروفه على عمرو السهمى تجبى له مصر
فلم يغن عنه حزمه واحتياله ولا جمعه لما اتيح له الدهر
وامسى مقيما بالعراء وضلت مكايده عنه وامواله الدثر

وفى سنة خمس وأربعين ولى معاوية زياد بن أبيه البصرة واعمالها وقال لما دخلها

الارب مسرور بما لا يسره واخر محزون بما لا يضره

وقد كان معاوية عزل فى هذه السنة شقران بن عوف العامرى وأمره ان يبلغ الطوانة فاصيب معه خلق من الناس فعم الناس الحزن بمن أصيب بارض الروم وبلغ معاوية أن يزيد ابنه لما بلغه خبرهم وهو على شرابه مع ندمائه قال

أهون على بما لاقت جموعهم يوم الطوانة من حمى ومن شوم
اذا اتكأت على الانماط مرتفقا بدير مروان عندى أم كلثوم

فخلف عليه ليغزون واردف به شقران فسميت هذه الغزاة غزاة الرادفة وبلغ الناس فيها الى القسطنطينية وفيها مات أبو أيوب الانصارى ودفن هناك على باب القسطنطينية واسم أبى أيوب خالد بن زيد وقد قيل ان أبا أيوب مات فى سنة احدى وخمسين غازيا مع يزيد وقد أتينا على خبر هذه الغزاة وما كان من يزيد فيها فى الكتاب الاوسط وفى سنة تسع وأربعين كان الطاعون بالكوفة فهرب منها المغيرة بن شعبة وكان واليها ثم عاد

اليها فطعن فمات فر أعرابى عليه وهو يدفن فقال

ارسم ديار للمغيرة تعرف   عليها دوانى الانس والجن تعزف
فان كنت قد لاقيت هامان بعدنا   وفرعون فاعلم أن ذا العرش منصف

(وذكر) أن المغيرة ركب الى هند بنت النعمان بن المنذر وهى فى دير لها فى الحيرة مترهبة وهو أمير الكوفة يومئذ وقد كانت هند عميت فلما جاء الدير استأذن عليها فأتتها جاريتها فقالت هذا المغيرة يستأذن عليك فقالت للجارية ألقى اليه اثاثا فالقت اليه وسادة من شعر فلما دخل قعد عليها وقال أنا المغيرة فقالت له قد عرفتك عامل المدرة فما جاء بك قال أتيتك خاطبا اليك نفسك قالت اما والصليب لو أردتنى لدين أو جمال مارجعت الا بحاجتك ولكنى أخبرك الذى أردت ذلك له قال وماهو قالت أردت انك تتزوجنى حتى تقوم فى الموسم فى العرب فتقول تزوجت ابنة النعمان قال ذلك أردت ولكن أخبرينى ما كان أبوك يقول فى هذا الحى من ثقيف قالت كان ينسبهم من ايادوقد افتخر عنده رجلان من ثقيف احدهما من بنى سالم والآخر من بنى يسار فسالهما عن أنسابهما فانتسب احدهما الى هوازن والآخر الى اياد فقال أبى ما لحى معد على اياد فضل فخرجا وابى يقول

ان ثقيفا لم تكن هوازنا   ولم تناسب عامرا ومازنا   الاحديثا واثبتوا المحاسنا

فقال المغيرة اما نحن فمن هوازن وأبوك اعلم قال فاخبرينى أى العرب كان أحب الى أبيك قالت أطوعهم له قال ومن أولئك قالت بكر بن وائل قال فاين بنو تميم قالت مااستعنتهم فى طاعة قال فقيس قالت مااقتربوا اليه بما يحب الا استعقبوه بما يكره قال فكيف أطاع فارس قالت كانت طاعتهم اياه فيما يهوى فانصرف المغيرة ولما هلك المغيرة ضم معاوية الكوفة الى زياد فكان أول من جمع له ولاية العراقين البصرة والكوفة وفى سنة ثمان وأربعين قبض معاوية فدك من مروان بن الحكم وقد كان وهبها له قبل ذلك فاستردها وقد كان معاوية حج فى سنة خمسين وأمر بحمل منبر النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الشأم فلما حمل كسفت الشمس ورؤيت الكواكب بالنهار فجزع من ذلك وأعظمه ورده الى موضعه وزاد فيه ست مراق وفى سنة ثلاث وخمسين هلك زياد بن أبيه بالكوفة فى شهر رمضان وكان يكنى أبا المغيرة وقد كان كتب الى معاوية أنه قد ضبط العراق بيمينه وشماله فارغة فجمع له الحجاز مع العراقين واتصلت ولايته باهل المدينة فاجتمع الصغير والكبير بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجوا

الى الله ولاذوا بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام لعلمهم بما هو عليه من الظلم والعسف فخرجت فى كفه بثرة ثم حكها ثم سرت واسودت فصارت أكلة سوداء فهلك بذلك وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل اثنتين وخمسين ودفن بالنوبة من أرض الكوفة وقد كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن على فمن أبى ذلك عرضه على السيف فذكر عبد الرحمن بن السائب قال حصرت فصرت الى الرحبة ومعى جماعة من الانصار فرأيت شيأ فى منامى وانا جالس فى الجماعة وقد خفقت وهو أنى رأيت شيأ طويلا قد أقبل فقلت ماهذا فقال أنا النقاد ذو الرقبة بعثت الى صاحب هذا القصر فانتبهت فزعا فما كان الا مقدار ساعة حتى خرج خارج من القصر فقال انصرفوا فان الامير عنكم مشغول واذا به قد اصابه ماذكرنا من البلاء وفى ذلك يقول عبد الله بن السائب من ابيات

ماكان منتهيا عما اراد بنا حتى تأتى له النقاد ذو الرقبه
فاسقط الشق منه ضربة ثبتت لما تناول ظلما صاحب الرحبه

يعنى بصاحب الرحبة على بن أبى طالب رضى الله عنه وقد ذهب جماعة الى ان عليا دفن فى القصر بالكوفة ويقال ان زيادا طعن فى يده وانه شاور شريحا فى قطعها فقال له لك رزق مقسوم واجل معلوم وانى اكره ان كانت لك مدة أن تعيش أجدو ان حم أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد فاذا سألك لم قطعتها قلت بغضا للقائك وفرارا من قضائك فلام الناس شريحا فقال انه استشارنى والمستشار مؤتمن ولولا امانة المشورة لوددت أن الله قطع يده يوما ورجله يوما وسائر جسده يوما وفى سنة تسع وخمسين وفد على معاوية وفد الامصار من العراق وغيرها فكان ممن وفد من أهل العراق الاحنف بن قيس فى آخرين من وجوه الناس فقال معاوية للضحاك ابن قيس انى جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله فاذا فرغت من كلامى فقل فى يزيد الذى يحق عليك وادع الى بيعته فانى قد امرت عبد الرحمن بن عثمان الثقفى وعبد الله ابن عمارة الاشعرى وثور بن معن المسلمى ان يصدقوك فى كلامك وان يجيبوك الى الذى دعوتهم اليه فلما كان من الغد قعد معاوية فاعلم الناس بما رأى من حسن رعية يزيد ابنه وهديه وان ذلك دعاه الى ان يوليه عهده ثم قام الضحاك بن قيس فاجابه الى ذلك وحض الناس على البيعة ليزيد وقال لمعاوية اعزم على ما أردت ثم قام عبد الرحمن ابن عثمان الثقفى وعبد الله بن عمارة الاشعرى وثور بن معن فصدقوا قوله ثم قال

معاوية أين الاحنف بن قيس فقام الاحنف فقال ان الناس قد أمسوا فى منكر زمان قد سلف ومعروف زمان يؤتنف ويزيد حبيب قريب فان توله عهدك فعن غير كبر مفن أو مرض مضن وقد حلبت الدهور وجربت الامور فاعرف من تسند اليه عهدك ومن توله الامر من بعدك واعص رأى من يامرك ولا يقدر لك ويشير عليك ولا ينظر لك فقام الضحاك بن قيس مغضبا فذكر أهل العراق بالشقاق والنفاق وقال اردد رأيهم فى نحورهم وقام عبد الرحمن بن عثمان فتكلم بنحو كلام الضحاك ثم قام رجل من الازد فاشار الى معاوية وقال أنت أمير المؤمنين فاذا مت فامير المؤمنين يزيد فمن أبى هذا فهذا او أخذ بقائم سيفه فسله فقال له معاوية اقعد فأنت من اخطب الناس فكان معاوية أول من بايع ليزيد ابنه بولاية العهد وفى ذلك يقول عبد الله بن هشام السلولى

فان تأتوا برملة أو بهند ... نبايعها أميرة مؤمنينا
اذا مامات كسرى قام كسرى ... نعد ثلاثة متناسقينا
فيا لهفا لو ان لنا الوفا ... ولكن لا نعود كما عنينا
اذا الضر بتمو حتى تعودوا ... بمكة تلعقون بها السخينا
خشينا الغيظ حتى لو شربنا ... دماء بنى امية ماروينا
لقد ضاعت رعيتكم وانتم ... تصيدون الارانب غافلينا

وانفذت الكتب ببيعة يزيد الى الامصار وكتب معاوية الى مروان بن الحكم وكان على المدينة يعلمه باختياره يزيد ومبايعته اياه بولاية العهد ويامره بمبايعته واخذ البيعة له على من قبله فلما قرا مروان ذلك خرج مغضبا فى اهل بيته واخواله من بنى كنانة حتى اتى دمشق فنزلها ودخل على معاوية يمشى بين السماطين حتى اذا كان منه بقدر ما يسمعه صوته سلم وتكلم بكلام كثير يوبخ به معاوية منه أقم الامور يا ابن أبى سفيان واعدل عن تأميرك الصبيان واعلم ان لك من قومك نظراء وان لك على مناواتهم وزراء فقال له معاوية انت نظير أمير المؤمنين وعدته فى كل شديدة وعضده والثانى بعد ولى عهده وجعله ولى عهد يزيد ورده الى المدينة ثم انه عزله عنها وولاها الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ولم يف لمروان بما جعل له من ولاية عهد يزيد ابن معاوية

﴿ذكر جمل من اخلاقه وسياسته وظرائف من عيون أخباره﴾

قد ذكرنا فيما تقدم جملا من اخباره وسيره فلنذكر الآن فى هذا الباب جملا من اخلاقه

وسياساته واخباره وغير ذلك مما لحق بهذا المعنى الى وفاته كان من اخلاق معاوية انه كان يأذن فى اليوم والليلة خمس مرات كان اذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه ثم يدخل فيؤتى بمصحفه فيقرأ جزأه ثم يدخل الى منزله فيأمر وينهى ثم يصلى أربع ركعات ثم يخرج الى مجلسه فيأذن لخاصة الخاصة فيحدثهم ويحدثونه ويدخل عليه وزراؤه فيكلمونه فيما يريدون من يومهم الى العشى ثم يؤتى بالغداء الاصغر وهو فضلة عشائه من جدى بارد أو فرخ او ما يشبهه ثم يتحدث طويلا ثم يدخل منزله لما اراد ثم يخرج فيقول ياغلام أخرج الكرسى فيخرج الى المسجد فيوضع فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسى ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابى والصبى والمرأة ومن لا أحد له فيقول ظلمت فيقول أعزوه ويقول عدى على فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بى فيقول انظروا فى امره حتى اذا لم يبق احد دخل فجلس على السرير ثم يقول ائذنوا للناس على قدر منازلهم ولا يشغلنى أحد عن رد السلام فيقال كيف أصبح أمير المؤمنين اطال الله بقاءه فيقول بنعمة من الله فاذا استووا جلوسا قال ياهؤلاء انما سميتم اشرافا لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا فيقوم الرجل فيقول استشهد فلان فيقول افرضوا لولده ويقول آخر غاب فلان عن أهله فيقول تعاهدوهم اعطوهم اقضوا حوائجهم اخدموهم ثم يؤتى بالغداء ويحضر الكاتب فيقوم عند رأسه ويقدم الرجل فيقول له اجلس على المائدة فيجلس فيمد يده فيأكل لقمتين أو ثلاثا والكاتب يقرأ كتابه فيأمر فيه مر فيقال ياعبد الله أعقب فيقوم ويتقدم آخر حتى يأتى على اصحاب الحوائج كلهم وربما قدم عليه من اصحاب الحوائج اربعون أو نحوهم على قدر الغداء ثم يرفع الغداء ويقال للناس أجيزوا فينصرفون فيدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادى بالظهر فيخرج فيصلى ثم يدخل فيصلى أربع ركعات ثم يجلس فيأذن لخاصة الخاصة فان كان الوقت وقت شتاء اتاهم بزاد الحاج من الاخبصة اليابسة والخشكنانج والاقراص المعجونة باللبن والسكر من دقيق السميذ والكعك المنضد والفواكه اليابسة وان كان وقت صيف أتاهم بالفواكه الرطبة ويدخل اليه وزراؤه فيؤامرونه فيما احتاجوا اليه بقية يومهم ويجلس الى العصر ثم يخرج فيصلى العصر ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى اذا كان فى آخر أوقات العصر خرج فجلس على سريره ويؤذن للناس على منازلهم فيؤتى بالعشاء فيفرغ منه مقدار ما ينادى بالمغرب ولا ينادى له باصحاب الحوائج ثم

يرفع العشاء وينادي بالمغرب فيخرج فيصليها ثم يصلي بعدها أربع ركعات يقرأ في كل ركعة خمسين آية يجهر تارة ويخافت أخرى ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادي بالعشاء الآخرة فيخرج فيصلي ثم يؤذن للخاصة وخاصة الخاصة والوزراء والحاشية فيؤامره الوزراء فيما أرادوا اصدارامن ليلتهم ويستمر الى ثلث الليل في أخبار العرب وايامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها وسائر ملوك الامم وحروبها ومكايدها وسياستها لرعيتها وغير ذلك من أخبار الامم السالفة ثم تأتيه الطرف الغريبة من عند نسائه من الحلوى وغيرها من المآكل اللطيفة ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون وقد وكلوا بحفظها وقراءتها فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الاخبار والسير والآثار وأنواع السياسات ثم يخرج فيصلي الصبح ثم يعود فيفعل ما وصفنا في كل يوم وقد كان هم بأخلاقه جماعة بعده مثل عبد الملك بن مروان وغيره فلم يدركوا خلقه ولا اتقانه للسياسة ولا التأني للامور ولا مداراته للناس على منازلهم ورفقه بهم على طبقاتهم وبلغ من احكامه للسياسة واتقانه لها واجتذابه قلوب خواصه وعوامه أن رجلا من أهل الكوفة دخل على بعير له الى دمشق في حال منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال هذه ناقتي أخذت مني بصفين فارتفع أمرهما الى معاوية وأقام الدمشقي خمسين رجلا بينة يشهدون أنها ناقته فقضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير اليه فقال الكوفي أصلحك الله انه جمل وليس بناقة فقال معاوية هذا حكم قد مضى ودس الى الكوفي بعد تفرقهم فاحضره وساله عن ثمن بعيره فدفع اليه ضعفه وبره وأحسن اليه وقال له ابلغ عليا أني أقابله بمائة ألف مافيهم من يفرق بين الناقة والجمل ولقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنه صلى بهم عند مسيرهم الى صفين الجمعة في يوم الاربعاء وأعاروه رءوسهم عند القتال وحملوه بها وركنوا الى قول عمرو بن العاص ان عليا هو الذي قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته ثم ارتقى بهم الامر في طاعته الى أن جعلوا اللعن على سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير (قال المسعودي) وذكر بعض الاخباريين انه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم من أبو تراب هذا الذي يلعنه الامام على المنبر قال أراه لصا من لصوص الفتن (وحكى الجاحظ) قال سمعت رجلا من العامة وهو حاج وقد ذكر له البيت يقول اذا أتيته من يكلمني منه وأنه أخبره صديق له أنه قال له رجل منهم وقد سمعه يصلي على محمد صلى الله

عليه وسلم ماتقول فى محمــد هذا أربناهو (وذكر) ثمامة بن أشرس قال كنت مارا فى السوق ببغداد فاذا انا برجل عليه الناس مجتمعون فنزلت عن بغلتى وقلت لشىء ماهذا الاجتماع ودخلت بين الناس واذا برجل يصف كحلا معه انه ينجح من كل داء يصيب العين فنظرت اليه فاذا عينه الواحدة برشاء والاخرى مأسوكة فقلت له ياهــذا لوكان كحلك كما تقول نفع عينيك فقال لى اهاهنا اشتكتا عيناى انما اشتكتا بمصر فقال كلهم صدق وذكر أنه ماانفلت من نعالهم الا بعد كد (وذكر) لى بعض اخوانى ان رجلا من العامــة بمدينة السلام رفع الى بعض الولاة الطالبين لاصحاب الـكلام على جار له انه يتزندق فسأله الوالى عن مذهب الرجل فقال انه مرجىء قدرى أباضى رافضى فلما نص عن ذلك قال انه يبغض معاوية بن الخطاب الذى قاتل على بن العاص فقال له الوالى ماأدرى على أى شىء أحسدك على علمك بالمقالات أو على بصرك بالانساب (وأخبرنى) رجل من اخواننا من أهل العـلم قال كنا نقعد نتناظر فى أبى بكر وعمر وعلى ومعاوية ونذكر مايذكره أهل العلم وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منا فقال لى ذات يوم بعضهم وكان من أعقلهم وأكبرهم لحية كم تطنبون فى على ومعاوية وفلان وفلان فقلت له فما تقول أنت فى ذلك قال من تريد قلت على ماتقول فيه قال أليس هو أبو فاطمة قلت ومن كانت فاطمة قال امرأة النبى عليه السلام بنت عائشة أخت معاوية قلت فما كانت قصة على قال قتل فى غزاة حنين مع النبى صلى الله عليه وسلم وقد كان عبد الله بن على حين خرج فى طلب مروان الى الشام وكان من قصة مروان ومقتله ماقد ذكر ونزل عبد الله بن على الشام ووجه الى أبى العباس السفاح أشياخا من أهل الشام من أرباب النعم والرياسة فحلفوا لابى العباس السفاح انهم ماعلموا الرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بنى أمية حتى وليتم الخلافة فقال فى ذلك ابراهيم بن المهاجر البجلى

أيها الناس اسمعوا أخبركم * عجبا زاد على كل العجب
عجبا من عبــد شمس انهم * فتحوا للناس أبواب الـكذب
ورثوا أحمــــد فيما زعمــوا * دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله ما نعلمـــه * يحرز الميراث الامن قرب

وقد كان ببغداد رجل فى أيام هرون الرشيد متطبب يطبب العامة بصفاته وكان دهريا يظهر أنه من أهل السـنة والجماعة ويلعن اهل البـدع ويعرف بالسنى تنقاد اليه العامة فكان يجتمع اليه فى كل يوم بقوارير الماء خلق من الناس فاذا اجتمعوا وثب قائما على

قدميه فقال لهم معاشر المسلمين قلتم لا ضار ولا نافع الا الله فلاى شيء تسالونى عن مضاركم ومنافعكم الجؤا الى ربكم وتوكلوا على بارئكم حتى يكون فعلكم مثل قولكم فيقبل بعضهم على بعض فيقولون اى والله قد صدقنا فكم من مريض لم يعالج حتى مات ومنهم من كان يتركه حتى يسكن ثم يريه الماء فيصف له الدواء فيقول ايمانك ضعيف ولولا ذلك لتوكلت على الله كما امرضك فهو يبرئك فكان يقتل بقوله هذا خلقا كثيرا لتزهيده اياهم فى معالجة مرضاهم ومن اخلاق العامة ان يسودوا غير السيد ويفضلوا غير الفاضل ويقولوا بعلم غير العالم وهم اتباع من سبق اليهم من غير تمييز بين الفاضل والمفضول والفضل والنقصان ولا معرفة للحق من الباطل عندهم ثم انظر هل ترى اذا اعتبرت ماذكرنا ونظرت فى مجالس العلماء هل تشاهدها الا مشحونة بالخاصة من اولى التمييز والمروءة ولحجاوتقصد العامة فى احتشادها وجموعها فلاتراهم الدهر الا مرقلين الى قائد دب وضارب بدف على سياسة قرد ومتشوقين الى اللهو واللعب أو مختلفين الى مشعبذ منمس مخرف او مستمعين الى قاص كذاب او مجتمعين حول مضروب او وقوفا عند مصلوب ينعق بهم ويصاح بهم فلا يرتدعون لا ينكرون منكرا ولا يعرفون معروفا ولا يبالون ان يلحقوا البار بالفاجر والمؤمن بالكافر وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فيهم حيث يقول الناس اثنان عالم او متعلم وما عدا ذلك همج رعاع لا يعبأ الله بهم وكذلك ذكر عن على وقد سئل عن العامة فقال همج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق واجمع الناس فى تسميتهم على انهم غوغاء وهم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا ثم تدبر تفرقهم فى احوالهم ومذاهبهم فانظر الى اجماع ملتهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يدعو الخلق الى الله اثنتين وعشرين سنة وهو ينزل عليه الوحى ويمليه على اصحابه فيكتبونه ويدونونه ويلتقطونه لفظة لفظة وكان معاوية فى هذه المدة بحيث علم الله ثم كتب له صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهور فاشادوا من ذكره ورفعوا من منزلته بان جعلوه كاتبا للوحى وعظموه بهذه الكلمة واضافوه اليها وسلبوها عن غيره واسقطوا ذكر سواه واصل ذلك العادة والالف وما ولدوا عليه وما نشؤا فيه فالفوا وقت التحصيل والبلوغ وقد عملت العادة عملها وبلغت مبالغها وفى العادة قالت الشعراء وتكلم اهل الدراية والادباء قال الشاعر

لا تنهنى بعد اذ كرمتنى * فشديد عادة منتزعه

وقال آخر معاتبا لصاحبه

ولكن فطام النفس اثقل محملا * من الصخرة الصماء حين ترومها

وقد قالت حكماء العرب العادة املك بالارب وقالت حكماء العجم العادة هي الطبيعة الثانية وقد صنف ابو عقال الكاتب كتابا في اخلاق العوام يصف فيه اخلاقهم وشيمهم ومخاطباتهم وسماه بالملهى ولولا اني اكره التطويل والخروج عما قصدنا اليه في هذا الكتاب من الايجاز لشرحت من نوادر العامة واخلاقها وظرائف افعالها عجائب ولذكرت مراتب الناس في اخلاقهم وتصرفهم في احوالهم (فلنرجع) الآن الى اخبار معاوية وسياسته وما اوسع الناس من اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الاهل والقرابات من ذلك انه وفد عليه عقيل بن ابي طالب منتجعا وزائرا فرحب به معاوية وسر بوروده لاختياره اياه على اخيه واوسعه حلما واحتمالا فقال له يا ابا يزيد كيف تركت عليا فقال تركته على ما يحب الله ورسوله والفيتك على ما يكره الله ورسوله فقال له معاوية لولا انك زائر منتجع جنابنا لرددت عليك ابا يزيد جوابا تألم منه ثم احب معاوية ان يقطع كلامه مخافة ان يأتي بشيء يخفضه فوثب عن مجلسه وأمر له ان ينزل وحمل اليه مالا عظيما فلما كان من غد جلس وأرسل اليه فأتاه فقال له يا أبا يزيد كيف تركت عليا أخاك قال تركته خيرا لنفسه منك وأنت خير لي منه فقال له معاوية انت والله كما قال الشاعر

واذا عددت فخار آل محرق * فالمجد منهم في بني عتاب

فمحل المجد من بني هاشم منوط فيك يا أبا يزيد ما تغيرك الايام والليالي فقال عقيل

اصبر لحرب أنت جانيها * لا بد أن تصلى بحاميها

وأنت والله يا ابن أبي سفيان كما قال الآخر

واذا هوازن أقبلت بفخارها * يوما فخرتهم بآل مجاشع

بالحاملين على الموالي عزمهم * والضاربين الهام يوم القارع

ولكن أنت يا معاوية اذا افتخرت بنو امية فبمن تفخر فقال معاوية عزمت عليك أبا يزيد لما امسكت فاني لم أجلس لهذا وانما أردت ان اسألك عن أصحاب علي فانك ذو معرفة بهم فقال عقيل سل عما بدا لك فقال ميز لي أصحاب علي وابدأ بآل صوحان فانهم مخاريق الكلام قال أما صعصعة فعظيم الشان عضب اللسان قائد فرسان قاتل أقران

يرتق ما فتق ويفتق ما رتق قليل النظير وأما زيد وعبد الله فانهما نهران جاريان يصب فيهما الخلجان ويغاث بهما البلدان رجلاجد لا لعب معه وأما بنو صوحان فكما قال الشاعر

اذا نزل العدو فان عندى * أسودا تخلس الاسد النفوسا

فاتصل كلام عقيل بصعصعة فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم ذكر الله أكبر وبه يستفتح المستفتحون وأنتم مفاتيح الدنيا والآخرة أما بعد فقد بلغ مولاك كلامك لعدو الله وعدوه فحمدت الله على ذلك وسألته أن يفىء بك الى الدرجة العليا والقضيب الاحمر والعمود الاسود فانه عمود من فارقه فارق الدين الازهر ولئن نزعت بك نفسك الى معاوية طلبا لماله انك لذو علم بجميع خصاله فاحذر ان تعلق بك ناره فيضلك عن الحجة فان الله قد رفع عنكم أهل البيت ما وضعه فى غيركم فما كان من فضل أو احسان فبكم وصل الينا فأجل الله أقداركم وحمى أخطاركم وكتب آثاركم فان اقداركم مرضية واخطاركم محمية وآثاركم بدرية وانتم سلم الله الى خلقه ووسيلته الى طرقه أيد عليه ووجوه جليه وانتم كما قال الشاعر

فما كان من خير أتوه فانما * توارثه آبا آبائهم قبل

وهل ينبت الخطى الا وشيجه * وتغرس الا فى منابتها النخل

(وحدث) أبو الهيثم عن أبى سفيان عمر وبن يزيد عن البراء بن يزيد عن محمد بن عبد الله ابن الحرث الطائى ثم أحد بنى عفان قال لما انصرف على من الجمل قال لآذنه من بالباب من وجوه العرب قال محمد بن عمير بن عطارد التميمى والاحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان العبدى فى رجال سماهم فقال ائذن لهم فدخلوا فسلموا بالخلافة فقال لهم أنتم وجوه العرب عندى ورؤساء أصحابى فأشيروا على فى أمر هذا الغلام المترف يعنى معاوية فافتنت بهم المشورة عليه فقال صعصعة ان معاوية ترفه الهوى وحببت اليه الدنيا فهانت عليه مصارع الرجال وابتاع آخرته بدنياهم فان تعمل فيه برأى ترشد وتصب ان شاء الله والتوفيق بالله وبرسوله وبك يا امير المؤمنين الرأى ان ترسل اليه عينا من عيونك وثقة من ثقاتك بكتاب تدعوه الى بيعتك فان اجاب واناب كان له مالك وعليه ماعليك والا جاهدته وصبرت لقضاء الله حتى يأتيك اليقين فقال على عزمت عليك يا صعصعة الا كتبت الكتاب بيدك وتوجهت به الى معاوية واجعل صدر الكتاب تحذيرا وتخويفا وعجزه استتابة واستنابة وليكن فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على أمير المؤمنين الى معاوية سلام عليك أما بعد ثم اكتب ما أشرت

به على واجعل عنوان الكتاب ألا الى الله تصير الامور قال اعفني من ذلك قال عزمت عليك لتفعلن قال أفعل نخرج بالكتاب وتجهز وسار حتى ورد دمشق فأتى باب معاوية فقال لآذنه استأذن لرسول أمير المؤمنين على بن أبى طالب وبالباب اردفة من بنى أمية فأخذته الايدى والنعال لقوله وهو يقول أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وكثرت الجلبة واللغط فاتصل ذلك بمعاوية فوجه بمن يكشف الناس عنه فكشفوا ثم أذن لهم فدخلوا فقال لهم من هذا الرجل قالوا رجل من العرب يقال له صعصعة بن صوحان معه كتاب من على فقال والله لقد بلغنى أمره هذا أحد سهام على وخطباء العرب ولقد كنت الى لقائه شيقا ائذن له ياغلام فدخل عليه فقال السلام عليك ياابن أبى سفيان هذا كتاب أمير المؤمنين فقال معاوية أما انه لو كانت الرسل تقتل فى جاهلية أو اسلام لقتلتك ثم اعترضه معاوية فى الكلام وأراد ان يستخرجه ليعرف قريحته أطبعا أم تكلفا فقال ممن الرجل فقال من نزار قال وما كان نزار قال كان اذا غزا فكس واذا لقى افترس واذا انصرف احترس قال فمن أى أولاده أنت قال من ربيعة قال وما كان ربيعة قال كان يطيل النجاد ويعول العباد ويضرب ببقاع الارض العماد قال فمن أى أولاده أنت قال من جديلة قال وما كان جديلة قال كان فى الحرب سيفا قاطعا وفى المكرمات غيثا نافعا وفى اللقاء لهبا ساطعا قال فمن أى أولاده أنت قال من عبد القيس قال وما كان عبد القيس قال كان حضرميا خصيبا أبيض وهابا لضيفه ما يجد ولا يسأل عما فقد كثير المرق طيب العرق يقوم للناس مقام الغيث من السماء قال ويحك ياابن صوحان فما تركت لهذا الحى من قريش مجدا ولا فخرا قال بلى والله ياابن ابى سفيان تركت لهم مالا يصلح الا بهم ولهم تركت الابيض والاحمر والاصفر والاشقر والسرير والمنبر والملك الى المحشر وأنى لا يكون ذلك كذلك وهم منار الله فى الارض ونجومه فى السماء ففرح معاوية وظن ان كلامه يشتمل على قريش كلها فقال صدقت ياابن صوحان ان ذلك لكذلك فعرف صعصعة ما اراد فقال ليس لك ولا لقومك فى ذلك اصدار ولا ايراد بعدتم عن انف المرعى وعلوتم عن عذب الماء قال فلم ذلك ويلك ياابن صوحان قال الويل لاهل النار ذلك لبنى هاشم قال قم فأخرجوه فقال صعصعة الصدق ينبئ عنك لا الوعيد من أراد المشاجرة قبل المحاورة فقال معاوية لشئ ماسوده قومه وددت والله أنى من صلبه ثم التفت الى بنى أمية فقال هكذا فلتكن الرجال (وحدث) منصور بن وحشى عن أبى الفياض عبد الله بن محمد الهاشمى عن الوليد بن البخترى العبسى عن

الحارث بن مسمار البهرانى قال حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدى وعبدالله بن الكواء اليشكرى ورجالا من أصحاب على مع رجال من قريش فدخل عليهم معاوية يوما فقال نشدتكم بالله الا ماقلتم حقا وصدقا أى الخلفاء رأيتمونى فقال ابن الكواء لولا انك عزمت علينا ماقلنا لانك جبار عنيد لاتراقب الله فى قتل الاخيار ولكنا نقول انك ماعلمنا واسع الدنيا ضيق الآخرة قريب الثرى بعيد المرعى تجعل الظلمات نورا والنور ظلمات فقال معاوية ان الله أكرم هذا الامر بأهل الشام الذابين عن بيضته التاركين لمحارمه ولم يكونوا كامثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله والمحلين ماحرم الله والمحرمين ماأحل الله فقال عبدالله بن الكواء ياابن أبى سفيان ان لكل كلام جوابا ونحن نخاف جبروتك فان كنت تطلق السنتنا ذببنا عن أهل العراق بألسنة حداد لايأخذها فى الله لومة لائم والا فانا صابرون حتى يحكم الله ويضعنا على فرجه قال والله لايطلق لك لسان ثم تكلم صعصعة فقال تكلمت ياابن أبى سفيان فابلغت ولم تقصر عما أردت وليس الامر على ماذكرت انى يكون الخليفة من ملك الناس قهرا ودانهم كبرا واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرا أما والله مالك فى يوم بدر مضرب ولا مرمى وما كنت فيه الا كما قال القائل (لاحلى ولا سيرى) ولقد كنت أنت وأبوك فى العير والنفير ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أنت طليق ابن طليق أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى تصلح الخلافة لطليق فقال معاوية لولا انى أرجع الى قول أبى طالب حيث يقول

قابلت جهلهم حلما ومغفرة   والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

لقتلتكم (وحدث) أبو جعفر محمد بن حبيب قال اخبرنا ابو الهيثم يزيد بن رجاء الغنوى قال اخبرنا الوليد بن البخترى عن ابيه عن ابى مزروع الكلبى قال دخل صعصعة بن صوحان على معاوية فقال له ياابن صوحان انت ذو معرفة بالعرب وبحالها فاخبرنى عن اهل البصرة واياك والحمل على قوم لقوم قال البصرة واسطة العرب ومنتهى الشرف والسودد وهم اهل الخطط فى اول الدهر وآخره وقد دارت بهم سروات العرب كدوران الرحا على قطبها قال فاخبرنى عن اهل الكوفة قال قبة الاسلام وذروة الكلام ومصان ذوى الاعلام الا ان بها أجلافا تمنع ذوى الامر الطاعة وتخرجهم عن الجماعة وتلك أخلاق ذوى الهيئة والقناعة قال فاخبرنى عن أهل الحجاز قال أسرع الناس الى فتنة وأضعفهم عنها وأقلهم عناء فيها غير ان لهم ثباتا فى الدين وتمسكا بعروة اليقين

يتبعون الائمة الابرار ويخلعون الفسقة الفجار فقال معاوية من البررة والفسقة فقال يا ابن أبى سفيان ترك الخداع من كشف القناع على وأصحابه من الائمة الابرار وأنت وأصحابك من أولئك ثم أحب معاوية أن يحضى صعصعة فى كلامه بعد ان بان فيه الغضب فقال أخبرنى عن القبة الحمراء فى ديار مضر قال أسد مضر بسلاء بين غيلين اذا أرسلتها افترست واذا تركتها احترست فقال معاوية هنالك يا ابن صوحان العز الراسى فهل فى قومك مثل هذا قال هذا لاهله دونك يا ابن أبى سفيان ومن أحب قوما حشر معهم قال فاخبرنى عن ديار ربيعة ولا يستخفنك الجهل وسابقة الحمية بالتعصب لقومك قال والله ما أنا عنهم براض ولكنى أقول فيهم وعليهم هم والله أعلام الليل وأذناب فى الدين والميل لن تغلب رايتها اذا رشحت خوارج الدين برازخ اليقين من نصره فلج ومن خذلوه زلج قال فاخبرنى عن مضر قال كنانة العرب ومعدن العز والحسب يقذف البحر بها أذيه والبر رديه ثم أمسك معاوية فقال له صعصعة سل يا معاوية والا أخبرتك بما تحيد عنه قال وما ذاك يا ابن صوحان قال أهل الشأم قال فاخبرنى عنهم قال أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم للخالق عصاة الجبار وخلفة الاشرار فعليهم الدمار ولهم سوء الدار فقال معاوية والله يا ابن صوحان انك لحامل مديتك منذ أزمان الا ان حلم ابن أبى سفيان يردعنك فقال صعصعة بل أمر الله وقدرته ان أمر الله كان قدرا مقدورا (حدث) أبو الهيثم قال حدثنى أبو البشر محمد بن بشر الفزارى عن ابراهيم ابن عقيل البصرى قال قال معاوية يوما وعنده صعصعة وكان قدم عليه بكتاب على وعنده وجوه الناس الارض لله وأنا خليفة الله فما آخذ من مال الله فهو لى وما تركت منه كان جائزا الى فقال صعصعة

تمنيك نفسك مالا يكو ... ن جهلا معاوى لا تأثم

فقال معاوية يا صعصعة تعلمت الكلام قال العلم بالتعلم ومن لا يعلم يجهل قال معاوية ما احوجك الى ان أذيقك وبال أمرك قال ليس ذلك بيدك ذلك بيد الذى لا يؤخر نفسا اذا جاء اجلها قال ومن يحول بينى وبينك قال الذى يحول بين المرء وقلبه قال معاوية اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير قال اتسع بطن من لا يشبع ودعا عليه من لا يجمع ﴿قال المسعودى﴾ ولصعصعة بن صوحان اخبار حسان وكلام فى نهاية البلاغة والفصاحة والايضاح عن المعانى على ايجاز واختصار (ومن ذلك) خبره مع عبد الله بن العباس وهو ما حدث به المدائنى عن زيد بن طليح الذهلى الشيبانى

قال اخبرنى ابى عن مصقلة بن هبيرة الشيبانى قال سمعت صعصعة بن صوحان وقد ساله ابن عباس ماالسودد فيكم فقال اطعام الطعام ولين الكلام و بذل النوال وكف المرء نفسه عن السؤال والتودد للصغير والكبير وأن يكون الناس عنك شرعا قال فما المروءة قال اخوان اجتمعا فان لقيا قهرا وان كان حارسهما قليل وصاحبهما جليل لحاجان الى صيانة مع نزاهة وديانة قال فهل تحفظ فى ذلك شعرا قال نعم أما سمعت قول مرة بن ذهل بن شيبان حيث يقول

ان السيادة والمروءة علقا * حيث السماء من السماك الاعزل
واذا تقابل مجريان لغاية * عثر الهجين وأسلمته الارجل
ويجى الصريح مع العتاق معودا * قرب الجياد فلم يجئه الافكل

فى أبيات فقال له ابن عباس لو أن رجلا ضرب آباط ابله مشرقا ومغربا بالفائدة هذه الابيات ماعنفته انا منك يا ابن صوحان لعلى علم وحلم واستنباط ماقد عفا من أخبار العرب فمن الحليم فيكم قال من ملك غضبه فلم يفعل وسعى اليه بحق أو باطل فلم يقبل ووجد قاتل أبيه وأخيه فصفح ولم يقتل ذلك الحليم يا ابن عباس قال فهل تجد ذلك فيكم كثيرا قال ولا قليلا وانما وصفت لك أقواما لا تجدهم الا خاشعين راهبين لله مريدين ينيلون ولا ينالون فأما الآخرون فانهم سبق جهلهم حلمهم ولا يبالى أحدهم اذا ظفر ببغيته حين الحفيظة من كان بعد ان يدرك زعمه ويقضى بغيته ولو وتره أبوه لقتل أباه أو أخوه لقتل أخاه أما سمعت الى قول ريان بن عمرو بن ريان وذلك ان عمرا أباه قتله مالك بن كومة فاقام ريان زمانا ثم غزا مالكا فاتاه فى مائتى فارس صباحا وهو فى أربعين بيتا فقتله وقتل أصحابه وقتل عمه فيمن قتل ويقال بل كان أخاه وذلك انه كان جاورهم فقيل لريان فى ذلك قتلت صاحبنا فقال

فلو امى ثقفت بحيث كانوا * لبل ثيابها علق صبيب
ولو كانت أمية أخت عمرو * بهذا الماء ظل لها نحيب
شهرت السيف فى الادنين منى * ولم تعطف أواصرنا قلوب

فقال ابن عباس فمن الفارس فيكم حد لى حدا أسمعه منك فانك تضع الاشياء مواضعها يا ابن صوحان قال الفارس من قصر أجله فى نفسه وضغم على أمله بضرسه وكانت الحرب أهون عليه من أمسه ذلك الفارس اذا وقدت الحروب واشتدت بالانفس الكروب وتداعوا النزال وتزاحفوا القتال وتخالسوا المهج واقتحموا بالسيوف اللجج قال

أحسنت والله ياابن صوحان انك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء ماورثت هذا عن كلالة زدني قال نعم الفارس كثير الحذر مدير النظر يلتفت بقلبه ولا يدير خرزات صلبه قال أحسنت والله ياابن صوحان الوصف فهل في مثل هذه الصفة من شعر قال نعم لزهير بن جناب الكلبي يرثي ابنه عمرا حيث يقول

فارس تكلأ الصحابة منه ... بحسام يرمي الحريق

لاتراه لدى الوغى في مجال ... يغفل الضرب لا ولا في مضيق

من يراه يخله في الحرب يوما ... انه أخرق مضل الطريق

في أبيات فقال له ابن عباس فأين أخواك منك ياابن صوحان صفهما لاعرف وزنكم قال أما زيد فكما قال أخو غنى

فتى لايبالي أن يكون بوجهه ... اذا نال خلان الكرام شحوب

اذا ماتراآه الرجال تحفظوا ... فلم ينطقوا العوراء وهو قريب

حليف الندى يدعو الندى فيجيبه ... اليه ويدعوه الندى فيجيب

يبيت الندى ياأم عمرو ضجيعه ... اذا لم يكن في المنقيات حلوب

كأن بيوت الحي مالم يكن بها ... بسائس مايلفي بهن غريب

في أبيات كان والله ياابن عباس عظيم المروة شريف الاخوة جليل الخطر بعيد الأثر كميش العروة أليف البدوة سليم جوانح الصدر قليل وساوس الدهر ذاكر الله طرفي النهار وزلفا من الليل الجوع والشبع عنده سيان لا ينافس في الدنيا وأقل أصحابه من ينافس فيها يطيل السكوت ويحفظ الكلام وان نطق نطق بعقام يهرب منه الدعار الاشرار ويألفه الاحرار الاخيار فقال ابن عباس ماظنك برجل من أهل الجنة رحم الله زيدا فأين كان عبد الله منه قال كان عبد الله سيدا شجاعا مألفا مطاعا خيره وساع وشره دفاع قلبي النحيزة احوذي الغريزة لا ينهنهه منهنه عما أراده ولا يركب من الامر الاعتاده سمام عدى وباذل قرى صعب المقاده جزل الرفاده أخو اخوان وفتى فتيان وهو كما قال البرجمي عامر بن سنان

سمام عدى بالنبل يقتل من رمى ... وبالسيف والرمح الرديني مشعب

مهيب مفيد للنوال معود ... بفعل الندى والمكرمات مجرب

في أبيات فقال له ابن عباس أنت ياابن صوحان باقر علم العرب (ومن أخبار صعصعة)

ماحدث به أبو جعفر محمد بن حبيب الهاشمي عن أبي الهيثم يزيد بن رجاء الغنوي قال وقف رجل من بني فزارة على صعصعة فاسمعه كلاما (منه) بسطت لسانك ياابن صوحان على الناس فتهيبوك أما لئن شئت لاكونن لك لصاقا فلا تنطق الا جددت لسانك بأذرب من ظبة السيف بعصب قوي ولسان على ثم لا يكون لك في ذلك حل ولا ترحال فقال صعصعة لو أجد غرضا منك لرميت بل أرى شيخا ولا اخال مثالا الا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ أما لو كنت كفؤ الرميت حصائلك باذرب من ذلق السنان ولرشقتك بنبال تردعك عن النضال ولخطمتك بخطام يخزم منك موضع الزمام فاتصل الكلام بابن عباس فاستضحك من الفزاري وقال أما لو كلف أخو فزارة نفسه نقل الصخور من جبال شمام الى الهضاب لكان أهون عليه من منازعة أخي عبد القيس خاب أبوه ما أجهله يستجهل أخا عبد القيس وقواه المريرة ثم تمثل

صبت عليه ولم تنصب من أمم ان الشقاء على الاشقين مصبوب

(وحدث) المبرد عن الرياشي عن ربيعة بن عبد الله النميري قال أخبرني رجل من الازد قال نظرت الى أبي أيوب الانصاري في يوم النهروان وقد علا عبد الله بن وهب الراسبي فضربه ضربة على كتفه فأبان يده وقال بؤ بها الى النار يامارق فقال عبد الله ستعلم بنا أولى بها صليا قال وأبيك اني لاعلم اذ أقبل صعصعة بن صوحان فوقف وقال أولى بها والله صليا من ضل في الدنيا عميا وصار الى الآخرة شقيا أبعدك الله وأنزحك أما والله لقد أنذرتك هذه الصرعة بالامس فأبيت الانكوصا على عقبيك فذق يامارق وبال أمرك وشرك أبا أيوب في قتله ضربه ضربة بالسيف أبان بها رجله وأدركه باخرى في بطنه وقال لقد صرت الى نار لا تطفأ ولا يبوخ سعيرها ثم احتز رأسه وأتيا به عليا فقالا هذا رأس الفاسق الناكث المارق عبد الله بن وهب فنظر اليه فقطب وقال شاه هذا الوجه حتى خيل الينا انه يبكي ثم قال قد كان أخو راسب حافظا لكتاب الله تاركا لحدود الله ثم قال لهما اطلبا لي ذا الثدية فطلب فلم يوجد فرجعا اليه وقالا ما أصبنا شيأ فقال والله لقد قتل في يومه هذا وما كذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبت عليه قوموا بجمعكم فاطلبوه فقامت جماعة من أصحابه فتفرقوا في القتلى فاصابوه في دهاس من الارض فوقه زهاء مائة قتيل فاخرجوه يجر برجله ثم اتى به على فقال اشهدوا أنه ذو الثدية وقد ذكرنا أخبار ذي الثدية فيما سلف من هذا الكتاب ولعلي في ربيعة كلام كثير يمدحهم فيه ويرثيهم شعرا ومنثورا وقد كانوا أنصاره وأعوانه والركن

المنيع من اركانه فمن بعض ذلك قوله يوم صفين

لمن راية سوداء يخفق ظلها اذا قيل قدمها حصين تقدما
فيوردها في الصف حتى يعلها حياض المنايا تقطر الموت والدما
جزى الله قوما قاتلوا في لقائه لدى الموت قدما ما أعز وأكرما
واطيب اخبارا وأكرم شيمة اذا كان أصوات الرجال تغمغما
ربيعة اعنى انهم اهل نجدة وباس اذا لاقوا خميسا عرمرما

(وذكر) المدائنى ان معاوية اسر جميل بن كعب الثعلبي وكان من سادات ربيعة وشيعة على وانصاره فلما وقف بين يديه قال الحمد لله الذى امكننى منك الست القائل يوم الجمل

اصبحت الأمة فى امر عجب والملك مجموع غدا لمن غلب
قدقلت قولا صادقا غير كذب ان غدا تهلك اعلام العرب

قال لا تقل ذلك فانها مصيبة قال معاوية وأى نعمة اكبر من ان يكون الله قد أظفرنى برجل قد قتل في ساعة واحدة عدة من حماة اصحابى اضربوا عنقه فقال اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلنى فيك ولا لانك ترضى قتلى ولكن قتلنى على حطام الدنيا فان فعل فافعل به ماهو أهله وان لم يفعل فافعل به ما أنت اهله فقال معاوية قاتلك الله لقد سببت فابلغت فى السب ودعوت فبالغت فى الدعاء ثم امر به فاطلق وتمثل معاوية بابيات للنعمان بن المنذر لم يقل النعمان غيرها فيما ذكر ابن الكلبي وهى

تعفو الملوك عن الجليل من الامور بفضلها
ولقد تعاقب فى اليسير وليس ذاك لجهلها
الا ليعرف فضلها ويخاف شدة نكلها

(وذكر) لوط بن يحيى وابن دأب والهيثم بن عدى وغيرهم من نقلة الاخبار ان معاوية لما احتضر تمثل

هو الموت لا منجى من الموت والذى تحاذر بعد الموت ادهى وافظع

ثم قال اللهم اقل العثرة واعف عن الزلة وجد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك ولم يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذى خطيئة مهرب فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال لقد رغب الى من لا مرغوب اليه مثله وانى لارجوان لا يعذبه الله (وذكر) محمد بن اسحق وغيره من نقلة الآثار ان معاوية دخل الحمام فى بدء علته التى كانت وفاته فيها فراى نحول جسمه فبكى لفنائه وما قد اشرف عليه من الدثور الواقع بالخليقة وقال متمثلا

اري الليالى اسرعت فى نقضى اخذن بعضى وتركن بعضى
حنين طولى وحنين عرضى اقعدننى من بعد طول نهضى

ولما ازف امره وحان فراقه واشتدت علته وايس من برئه انشا يقول

فياليتنى لم اعن فى الملك ساعة ولم اك فى اللذات اعشى النواظر
وكنت كذى طمرين عاش ببلغة من الدهر حتى زار اهل المقابر

(قال المسعودى)ولمعاوية اخبار كثيرة مع على وغيره وقد اتينا على الغرر من اخباره وما كان فى ايامه فى كتابنا اخبار الزمان والاوسط وغيرهما من كتبنا مما افرد للآثار وهذا باب كبير والكلام فيه وفى غيره مما تقدم وتاخر فى هذا الكتاب كثير ومن ضمن الاختصار لم يجز له الاكثار وانما نذكر فى كل باب من هذا الكتاب طرفا من كل نوع من العلوم والاخبار وما انتخبناه من طرائف الآثار ليستدل الناظر فيه بما ذكرنا على المراد مما تركنا ذكره وقد تقدم وصفه وبسطه فيما سلف من كتبنا واذ قد تقدم ماذكرنا فلنذكر الآن جملا من فضل الصحابة وغيرهم عليهم السلام اذ كانوا حجة على من بعدهم وقدوة لمن تأخر عنهم وبالله التاييد

﴿ذكر الصحابة ومدحهم وعلى والعباس وفضلهما﴾

دخل عبدالله بن عباس على معاوية وعنده وجوه قريش فلما سلم وجلس قال له معاوية انى اريد ان اسالك عن مسائل قال سل عما بدا لك قال ماتقول فى أبى بكر قال رحم الله أبا بكر كان والله للقرآن تاليا وعن المنكر ناهيا وبذنبه عارفا ومن الله خائفا وعن الشبهات زاجرا وبالمعروف آمرا وبالليل قائما وبالنهار صائما فاق أصحابه ورعا وكفافا وسادهم زهدا وعفافا فغضب الله على من أبغضه وطعن عليه قال معاوية ايها يا ابن عباس فما تقول فى عمر بن الخطاب قال رحم الله اباحفص عمر كان والله حليف الاسلام ومأوى الايتام ومنتهى الاحسان ومحل الايمان وكهف الضعفاء ومعقل الحنفاء قام بحق الله عز وجل صابرا محتسبا حتى أوضح الدين وفتح البلاد وأمن العباد فاعقب الله على من ينقصه اللعنة الى يوم الدين قال فما تقول فى عثمان قال رحم الله أبا عمرو كان والله أكرم الجعدة وافضل البررة هجادا بالاسحار كثير الدموع عند ذكر النار نهاضا عند كل مكرمة سباقا الى كل منحة حييا أبيا وفيا صاحب جيش العسرة وختن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فاعقب الله على من يلعنه لعنة اللاعنين الى يوم الدين قال فما تقول فى على قال رضى الله عن أبى الحسن كان والله علم الهدى وكهف التقى ومحل

الحجاو بحر الندى وطود النهى وكهف العلا للورى داعيا الى المحجة العظمى متمسكا بالعروة الوثقى خير من آمن واتقى وافضل من تقمص وارتدى وأبر من انتعل واسعا وافصح من تنفس وقرأوا كثر من شهد النجوى سوى الانبياء والنبي المصطفى صاحب القبلتين فهل يوازيه أحد وأبو السبطين فهل يقارنه بشر وزوج خير النسوان فهل يفوقه قاطن بلد للاسود قتال وفي الحروب ختال لم ترعيني مثله ولن ترى فعلى من انتقصه لعنة الله والعباد الى يوم التناد قال ايها يا ابن عباس لقد اكثرت في ابن عمك قال فما تقول في أبيك العباس قال رحم الله العباس ابا الفضل كان صنو نبي الله صلى الله عليه وسلم وقرة عين صفي الله سيد الاعمام له اخلاق آبائه الاجواد واحلام اجداده الامجاد تباعدت الاسباب في فضيلته صاحب البيت والسقايه والمشاعر والتلاوه ولم لا يكون كذلك وقد ساسه اكرم من دب فقال معاوية يا ابن عباس انا أعلم انك كلماني أهل بيتك قال ولم لا أكون كذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل ثم قال ابن عباس بعد هذا الكلام يامعاوية ان الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه خص محمدا صلى الله عليه وسلم بصحابة آثروه على الانفس والاموال وبذلوا النفوس دونه في كل حال ووصفهم الله في كتابه فقال رحماء بينهم الآية قاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت أسبابه وظهرت آلاء الله واستقر دينه ووضحت اعلامه واذل الله بهم الشرك وأزل روحه ومحادعائمه وصارت كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية والارواح الطاهرة العالية فقد كانوا في الحياة لله أولياء وكانوا بعد الموت أحياء اصحياء رحلوا الى الآخرة قبل ان يصلوا اليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها فقطع عليه معاوية الكلام وقال ايها يا ابن عباس حديثا في غير هذا

﴿ذكر ايام يزيد بن معاوية بن ابي سفيان﴾

وبويع يزيد بن معاوية فكانت ايامه ثلاث سنين وثمانية أشهر الا ثماني ليال واخذ يزيد لابنه معاوية بن يزيد البيعة على الناس قبل موته ففي ذلك يقول عبد الله بن همام السلولي

تلقفها يزيد عن ابيه * فخذها يامعاوى عن يزيدا
فقد علقت بكم فتلقفوها * ولا ترموا بها الغرض البعيدا

وهلك يزيد بحوارين من ارض دمشق لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة أربع وستين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وفي ذلك يقول رجل من عنزة

يا ايها القبر بحوارينا ضممت شر الناس اجمعينا

وقد رثاه الاخطل النصرانى فقال من قصيدة

لعمرى لقد دلى الى الخلد خالد جنازة لا فكس الفؤاد ولا غمر

مقيم بحوارين ليس يريمها سقته الغوادى من ثوى ومن قبر

فى ابيات

﴿ذكر مقتل الحسين بن على بن ابى طالب عليه السلام
ومن قتل معه من اهل بيته وشيعته﴾

ولما مات معاوية ارسل اهل الكوفة الى الحسين بن على انا قد حبسنا انفسنا على بيعتك ونحن نموت دونك ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة بسببك وطولب الحسين البيعة ليزيد بالمدينة فسام التاخير وخرج يتهادى بين مواليه ويقول

لا ذعرت السوام فى فلق الصبـ ـح مغيرا ولا دعيت يزيدا

يوم اعطى مخافة الموت ضيما والمنايا ترصدننى ان احيدا

ولحق بمكة فارسل بابن عمه مسلم بن عقيل الى الكوفة وقال له سر الى اهل الكوفة فان كان حقا ما كتبوا به عرفنى حتى الحق بك فخرج مسلم من مكة فى النصف من شهر رمضان حتى قدم الكوفة لخمس خلون من شوال والامير عليها النعمان بن بشير الانصارى فنزل على رجل يقال له عوسجة مستترا فلما ذاع خبر قدومه بايعه من اهل الكوفة اثنا عشر الف رجل وقيل ثمانية عشر الفا فكتب بالخبر الى الحسين وسأله القدوم اليه فلما هم الحسين بالخروج الى العراق اتاه ابن عباس فقال له يا ابن عم قد بلغنى انك تريد العراق وانهم اهل غدر وانما يدعونك للحرب فلا تعجل وان ابيت الا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكة فاشخص الى اليمن فانها فى عزلة ولك فيها انصار واخوان فاقم بها وبث دعاتك واكتب الى أهل الكوفة وانصارك بالعراق فيخرجوا أميرهم فان قووا على ذلك ونفوه عنها ولم يكن بها احد يعاديك اتيتهم وما انا بغدرهم بآمن وان لم يفعلوا اقمت بمكانك الى ان يأتى الله بامره فان فيها حصونا وشعابا فقال الحسين يا ابن عم انى لاعلم انك لى ناصح وعلى شفيق ولكن مسلم بن عقيل كتب الى باجتماع اهل المصر على بيعتى ونصرتى وقد اجمعت على المسير قال انهم من جربت وجربت وهم اصحاب ابيك واخيك وقتلتك غدا مع اميرهم انك لو قد خرجت فبلغ ابن زياد خروجك استنفرهم اليك وكان الذين كتبوا اليك اشد من عدوك فان عصيتنى وابيت الا الخروج الى الكوفة

فلا تخرجن نساءك وولدك معك فوالله انى لخائف ان تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه فكان الذى ردعليه لأن اقتل والله بمكان كذا احب الى من ان استحل بمكة فيئس ابن عباس منه وخرج من عنده فمر بعبدالله بن الزبير فقال قرت عينك ياابن الزبير وانشد

يالك من قبرة بمعمر   خلالك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ماشئت ان تنقرى

هذا حسين يخرج الى العراق ويخليك والحجاز وبلغ ابن الزبير انه يريد الخروج الى الكوفة وهو اثقل الناس عليه قد غمه مكانه بمكة لان الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين فلم يكن شئ يؤتاه أحب اليه من شخوص الحسين عن مكة فاتاه فقال أباعبدالله ماعندك فوالله لقدخفت الله فى جهاد هؤلاء القوم على ظلمهم واستذلالهم الصالحين من عباد الله فقال حسين قدعزمت على اتيان الكوفة فقال وفقك الله اما لو ان لى مثل انصارك ماعدلت عنها ثم خاف ان يتهمه فقال ولو أقمت بمكانك فدعوتنا وأهل الحجاز الى بيعتك أجبناك وكنا اليك سراعا وكنت أحق بذلك من يزيد وأبى يزيد (ودخل) أبو بكر بن الحرث بن هشام على الحسين فقال ياابن عم ان الرحم يظائرنى عليك ولا أدرى كيف أنا فى النصيحة لك فقال ياأبا بكر ماأنت ممن يستغش فقال أبو بكر كان أبوك أشد باسا والناس له أرجى ومنه أسمع وعليه أجمع فسار الى معاوية والناس مجتمعون عليه الا اهل الشام وهو أعز منه فخذلوه وتثاقلوا عنه حرصا على الدنيا وضنا بها فجرعوه الغيظ وخالفوه حتى صار الى ماصار اليه من كرامة الله ورضوانه ثم صنعوا باخيك بعد أبيك ماصنعوا وقد شهدت ذلك كله ورايته ثم انت تريد ان تسير الى الذين عدوا على ابيك وأخيك تقاتل بهم اهل الشام واهل العراق ومن هو اعد منك واقوى والناس منه اخوف وله ارجى فلو بلغهم مسيرك اليهم لاستطغوا الناس بالاموال وهم عبيد الدنيا فيقاتلك من قد وعدك ان ينصرك ويخذلك من انت احب اليه ممن ينصره فاذكر الله فى نفسك فقال الحسين جزاك الله خيرا ياابن عم فقد اجهدك رايك ومهما يقض الله يكن فقال وعند الله تحتسب اباعبدالله ثم دخل على الحرث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومى والى مكة وهو يقول

كم نرى ناصحا يقول فيعصى   وظنين المغيب يلفى نصيحا

فقال وماذاك فاخبره بما قال للحسين فقال نصحت له ورب الكعبة واتصل الخبر

يزيد فكتب الى عبيد الله بن زياد بتوليته الكوفة فخرج من البصرة مسرعا حتى قدم الكوفة على الظهر فدخلها في اهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تلثم بها وهو راكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل ابن زياد يسلم على الناس فيقولون وعليك السلام يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم حتى انتهى الى القصر وفيه النعمان بن بشير فتحصن فيه ثم أشرف عليه فقال يا ابن رسول الله مالي ولك وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان فقال ابن زياد لقد طال يومك يانعيم وحسر اللثام عن فيه فعرفه ففتح له وتنادى الناس ابن مرجانة وحصبوه بالحصباء ففاتهم ودخل القصر ولما اتصل خبر ابن زياد بمسلم تحول الى هانئ بن عروة المرادي ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه فوجه محمد بن الاشعث بن قيس الى هانئ فجاءه فساله عن مسلم فانكره فاغلظ له ابن زياد القول فقال هانئ ان لزياد أبيك عندي بلاء حسنا وانا احب مكافاته به فهل لك في خير قال ابن زياد وما هو قال تشخص الى أهل الشام انت وأهل بيتك سالمين باموالكم فانه قد جاء حق من هو احق من حقك وحق صاحبك فقال ابن زياد ادنوه مني فادنوه منه فضرب وجهه بقضيب كان في يده كسر انفه وشق حاجبه ونثر لحم وجنته وكسر القضيب على وجهه ورأسه وضرب هانئ بيده الى قائم سيف شرطي من تلك الشرط فجاذبه الرجل ومنعه السيف وصاح أصحاب هانئ بالباب قتل صاحبنا فخافهم ابن زياد وأمر بحبسه في بيت الى جانب مجلسه واخرج اليهم ابن زياد شريحا القاضي فشهد عندهم انه حي لم يقتل فانصرفوا ولما بلغ مسلما مافعل ابن زياد بهانئ أمر مناديا فنادى يامنصور وكانت شعارهم فتنادى اهل الكوفة بها فاجتمع اليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل فسار الى ابن زياد فتحصن منه فحصره في القصر فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل فلما نظر الى الناس يتفرقون عنه سار نحو ابواب كندة فما بلغ الباب الا ومعه منهم ثلاثة ثم خرج من الباب فاذا ليس معه منهم أحد فبقي حائرا لا يدري أين يذهب ولا يجد أحدا يدله على الطريق فنزل عن فرسه ومشى متلددا في أزقة الكوفة لا يدري ان يتوجه حتى انتهى الى باب مولاة للاشعث بن قيس فاستسقاها ماء فسقته ثم سالته عن حاله فاعلمها بقضيته فرقت له وآوته وجاء ابنها فعلم بموضعه فلما أصبح غدا الى محمد بن الاشعث فاعلمه فمضى ابن الاشعث الى ابن زياد فاعلمه فقال انطلق فاتني به ووجه معه عبد الله بن العباس السلمي في سبعين رجلا فاقتحموا على مسلم الدار فثار عليهم بسيفه وشد عليهم فاخرجهم من الدار ثم حملوا عليه الثانية فشد

عليهم وأخرجهم أيضا فلما رأوا ذلك علوا ظهر البيوت فرموه بالحجارة وجعلوا يلهبون النار باطراف القصب ثم يلقونها عليه من فوق البيوت فلما رأى ذلك قال أكل ماأرى من الاحلاب لقتل مسلم بن عقيل يانفس اخرجي الى الموت الذى ليس عنه محيص فخرج اليهم مصلتا سيفه الى السكة فقاتلهم واختلف هو وبكير بن حمران الاحمرى ضربتين فضرب بكير فم مسلم فقطع السيف شفته العليا وشرع فى السفلى وضربه مسلم ضربة منكرة فى رأسه ثم ضربه أخرى على حبل العاتق فكاد يصل الى جوفه وهو يرتجز ويقول

اقسم لاأقتل الاحرا * وان رأيت الموت شيأمرا

كل امرئ يوما ملاق شرا * أخاف انا كذب أوأغرا

فلما رأوا ذلك تقدم اليه محمد بن الاشعث فقال له فانك لاتكذب ولاتفر وأعطاه الامان فامكنهم من نفسه وحملوه على بغلة وأتوا به ابن زياد وقد سلبه ابن الاشعث حين أعطاه الامان سيفه وسلاحه وفى ذلك يقول بعض الشعراء فى كلمة يهجو فيها ابن الاشعث

وتركت عمك ان تقاتل دونه * فشلا ولولا أنت كان منيعا

وقتلت وافد آل بيت محمد * وسلبت أسيافاله ودروعا

فلما صار مسلم الى باب القصر نظر الى قلة مبردة فاستسقاهم منها فمنعهم مسلم بن عمر الباهلى وهو أبو قتيبة بن مسلم ان يسقوه فوجه عمرو بن حريث فاتاه بماء فى قدح فلما رفعه الى فيه امتلأ القدح دما فصبه وملأه الثانية فلما رفعه الى فيه سقطت ثناياه فيه وامتلا دما فقال الحمد لله لوكان من الرزق المقسوم لشربته ثم أدخل الى ابن زياد فلما انقضى كلامه ومسلم يغلظ له فى الجواب أمر به فاصعد الى أعلى القصر ثم دعا الاحمرى الذى ضربه مسلم فقال كن انت الذى تضرب عنقه لتاخذ بثارك من ضربته فاصعدوه الى أعلى القصر فضرب بكير الاحمرى عنقه فاهوى رأسه الى الارض ثم اتبعوا راسه جسده ثم امر بهانئ بن عروة فاخرج الى السوق فضرب عنقه صبرا وهو يصيح يا آل مراد وهو شيخها وزعيمها وهو يومئذ يركب فى اربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل واذا اجابتها احلافها من كندة وغيرها كان فى ثلاثين الف دارع فلم يجد زعيمهم منهم احدا فشلا وخذلانا فقال الشاعر وهو يرثى هانئ بن عروة ومسلم ابن عقيل ويذكر ماناهما

اذا كنت لاتدرين ما الموت فانظرى * الى هانئ فى السوق وابن عقيل

الى بطل قد هشم السيف وجهه * وآخر يهوى فى طمار قتيل
اصابهما امر الامير فاصبحا * احاديث من يسعى بكل سبيل
ترى جسدا قد غير الموت لونه * ونضح دم قد سال كل مسيل
ايترك أسماء المهايج آمنا * وقد طلبته مذحج بذحول
فتى هو احيي من فتاة حيية * واقطع من ذى شفرتين صقيل

ثم دعا ابن زياد ببكير بن حمران الذى ضرب عنق مسلم فقال اقتلته قال نعم قال فما كان يقول وانتم تصعدون به لتقتلوه قال كان يكبر ويسبح الله ويهلل ويستغفر الله فلما ادنيناه لنضرب عنقه قال اللهم احكم بيننا وبين قوم غروفا وكذبونا ثم خذلونا وقتلونا فقلت الحمد لله الذى اقادنى منك وضربته ضربة لم تعمل شيئا فقال لى او ما يكفيك وفى خدش منى وفاء بدمك ايها العبد قال ابن زياد اوفخرا عند الموت قال وضربته الثانية فقتلته ثم اتبعنا راسه جسده وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذى الحجة سنة ستين وهو اليوم الذى ارتحل فيه الحسين من مكة الى الكوفة وقيل يوم الاربعاء يوم عرفة لتسع مضين من ذى الحجة سنة ستين ثم امر ابن زياد بجثة مسلم فصلبت وحمل راسه الى دمشق وهذا اول قتيل صلبت جثته من بنى هاشم واول راس حمل من رءوسهم الى دمشق فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحرث بن يزيد التميمى فقال له اين تريد يا ابن رسول الله قال اريد هذا المصر فعرفه بقتل مسلم وما كان من خبره ثم قال ارجع فانى لم ادع خلفى خيرا ارجوه لك فهم بالرجوع فقال له اخو مسلم والله لا نرجع حتى نصيب بثارنا او نقتل كلنا فقال الحسين لا خير فى الحياة بعدكم ثم سار حتى لقى خيل عبيد الله بن زياد عليها عمرو بن سعد بن ابى وقاص فعدل الى كربلاء وهو فى مقدار خمسمائة فارس من اهل بيته واصحابه ونحو مائة راجل فلما كثرت العساكر على الحسين ايقن انه لا محيص له فقال اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقتلوننا فلم يزل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه وكان الذى تولى قتله رجل من مذحج واحتز رأسه وانطلق به الى ابن زياد وهو يرتجز

أنا قتلت الملك المحجبا   قتلت خير الناس أما وأبا
وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فبعث به زياد الى يزيد بن معاوية ومعه الرأس فدخل الى يزيد وعنده أبو بردة الاسلمى فوضع الرأس بين يديه فأقبل ينكث بالقضيب ويقول

فغلق هاما من رجال أحبة   علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له أبو بردة ارفع قضيبك فطال والله ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع فمه على فمه يلثمه وكان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر ومحاربيه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة لم يحضرهم شامي وكان جميع من قتل مع الحسين في يوم عاشوراء بكربلاء سبعة وثمانين منهم ابنه علي بن الحسين الاكبر وكان يرتجز ويقول

اناعلي بن الحسين بن علي   نحن وبيت الله أولى بالنبي   تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

وقتل من ولد أخيه الحسن بن علي عبد الله بن الحسن والقاسم بن الحسن وأبو بكر بن الحسن ومن اخوته العباس بن علي وعبد الله بن علي وجعفر بن علي وعثمان بن علي ومحمد ابن علي وهو الاصغر ومن ولد جعفر بن أبي طالب محمد بن عبد الله بن جعفر وعون بن عبد الله بن جعفر ومن ولد عقيل بن أبي طالب عبد الله بن عقيل وعبد الله بن مسلم بن عقيل وذلك لعشر خلون من المحرم سنة أربع وستين وقتل الحسين وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل ابن تسع وخمسين سنة وقيل غير ذلك ووجد بالحسين يوم قتل ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة ضرب زرعة بن شريك التميمي كفه اليسرى وطعنه سنان بن أنس النخعي ثم نزل فاحتز رأسه وفي ذلك يقول الشاعر

وأي رزية عدلت حسينا   غداة تبينه كفا سنان

وقتل معه من الانصار أربعة وباقي من قتل معه من أصحابه على ما قدمنا من العدة من سائر العرب وفي ذلك يقول مسلم بن قتيبة مولى بني هاشم

عين جودي بعبرة وعويل   واندبي ان ندبت آل الرسول
وابن عم النبي غوثا أخاهم   ليس فيما ينوب بالمخذول
وسمي النبي غودر فيهم   قد علوه بصارم مصقول
واندبي كهلهم فليس اذا ما   عد في الخير كهلهم كالكهول
لعن الله حيث كان زيادا   وابنه والعجوز ذات البعول

وأمر عمرو بن سعد أصحابه أن يوطئوا خيلهم الحسين فانتدب لذلك اسحق بن حياة الحضرمي في نفر معه فوطئوه بخيلهم ودفن أهل العامرية وهم قوم من بني عامر من بني أسد الحسين وأصحابه بعد قتلهم بيوم وكان عدة من قتل من أصحاب سعد في حرب الحسين عليه السلام ثمانية وثمانين رجلا

ذكر أسماء ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه

الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى أمهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحمد وأمه خولة بنت اياس الحنفية وقيل ابنة جعفر ابن قيس بن مسلمة الحنفي وعبد الله وأبو بكر أمهما ليلى بنت مسعود النهشلي وعمرو ورقية أمهما تغلبية ويحيي وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن جعفر الطيار استشهد وخلف عليها عوفا ومحمدا وعبد الله وأن عقب جعفر منها من عبد الله بن جعفر وان أبا بكر الصديق تزوجها بعده وخلف عليها محمدا ثم تزوجها على فخلف عليها يحيي وانها ابنة العجوز الحرسية التي كانت أكرم الناس اصهارا وقد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب تسمية اصهار العجوز الحرسية وأن ولهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعفر والعباس وعبد الله أمهم أم البنين بنت حرام الوحيدية ورملة وأم الحسن أمهما أم سعد بنت عروة بن مسعود الثقفى وأم كلثوم الصغرى وزينب وحمانة وميمونة وخديجة وفاطمة أم الكرام ونفيسة وأم سلمة وام أبيها وقد أتينا على انساب آل أبي طالب ومن أعقب منهم ومصارعهم وغير ذلك من أخبارهم في كتابنا أخبار الزمان (والعقب) لعلى من خمسة الحسن والحسين ومحمد وعمر والعباس وقد استقصى انسابهم وأتى على ذكر من لا عقب له منهم ومن له العقب وأنساب غيرهم من قريش بنى هاشم وغيرهم الزبير بن بكار فى كتابه فى انساب قريش وأحسن من هذا الكتاب في انساب آل أبى طالب الكتاب الذى سمع من طاهر بن يحيي العلوى الحسينى بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم وقد صنف فى انساب آل أبى طالب كتب كثيرة منها كتاب العباس من ولد العباس بن على وكتاب أبى على الجعفرى وكتاب المهلوى العلوى من ولد موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنه وفى قتيل الطف يقول سليمان بن قبة يرثيه على ماذكره الزبير بن بكار فى كتاب أنساب قريش من أبيات

فان قتيل الطف من آل هاشم ... أذل رقابا من قريش فذلت
فان يتبعوه عائذ البيت يصبحوا ... كعاد تعمت عن هداها فضلت
ألم تر أن الارض أضحت مريضة ... بقتل حسين والبلاد اقشعرت
فلا يبعد الله الديار وأهلها ... وان أصبحت منهم برغمى تجلت

ذكر لمع من أخبار يزيد وسيره ونوادر من بعض أفعاله

ولما أفضى الامر الى يزيد بن معاوية دخل منزله فلم يظهر للناس ثلاثا فاجتمع ببابه

أشراف العرب ووفود البلدان وأمراء الاجناد لتعزيته بابيه وتهنئته بالامر فلما كان في اليوم الرابع خرج شعثا أغبر فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان معاية كان حبلا من حبال الله مده الله ماشاء ان يمده ثم قطعه حين شاء ان يقطعه وكان دون من قبله وخير من بعده ان يغفر الله له فهو أهله وان يعذبه فبذنبه وقدوليت الامر بعده ولست أعتذر من جهل ولا اشتغل بطلب علم فعلى رسلكم فان الله اذا اراد شيأ كان اذكروا الله واستغفروه ثم نزل ودخل منزله ثم اذن للناس فدخلوا عليه لا يدرون ايهنئونه ام يعزونه فقام عصام بن ابى صيفى فقال السلام عليك ياامير المؤمنين ورحمة الله وبركاته اصبحت قد رزئت خليفة الله واعطيت خلافة الله ومنحت هبة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله له ذنبه واعطيت بعده الرياسة فاحتسب عند الله اعظم الرزيه واحمده على افضل العطيه فقال يزيد ادن منى ياابن ابى صيفى فدنا حتى جلس قريبا منه ثم قام عبد الله بن مازن فقال السلام عليك ياامير المؤمنين رزئت خير الآباء وسميت خير الاسماء ومنحت افضل الاشياء فهنأك الله بالعطيه واعانك على الرعيه فقد اصبحت قريش مفجوعة بعد ساستها مسرورة بما احسن الله اليها من الخلافة بك والعقبى من بعده ثم انشأ يقول

الله اعطاك التى لا فوقها وقد اراد الملحدون عوقها
عنك فيأبى الله الا سوقها اليك حتى قلدوك طوقها

فقال له يزيد ادن منى ياابن مازن فدنا منه حتى جلس قريبا منه ثم قام عبد الله بن همام فقال آجرك الله ياامير المؤمنين على الرزيه وصبرك على المصيبة وبارك لك فى العطيه ومنحك محبة الرعيه مضى معاوية لسبيله غفر الله له واورده موارد السرور ووفقك لصالح السياسة اصبت بأعظم المصائب ومنحت أفضل الرغائب فاحتسب عند الله اعظم الرزيه واشكره على افضل العطيه واحدث لخالقك حمدا والله يمتعنا بك ويحفظك ويحفظ لك وعليك وانشأ يقول

اصبر يزيد فقد فارقت ذامقة واشكر حباء الذى بالملك اصفاكا
اصبحت لا رزء فى الاقوام نعلمه كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
اعطيت طاعة خلق الله كلهم وانت ترعاهم والله يرعاكا
وفى معاوية الباقى لنا خلف اما نعيت ولا نسمع بمنعاكا

فقال له يزيد ادن منى ياابن همام فدنا حتى جلس قريبا منه ثم قام الناس يعزونه ويهنئونه بالخلافة فلما ارتفع عن مجلسه امر لكل واحد منهم بمال على مقداره فى نفسه ومحله فى

قومه وزاد فى اعطائهم ورفع مراتبهم وقد أتينا فى كتابنا اخبار الزمان على ما كان من خبر يزيد وغيبته فى حال وفاة ابيه معاوية ومسيره من ناحية حمص حتى بلغه ما بأبيه من العلة ووروده على ثنية العقاب من ارض دمشق فأغنى ذلك عن اعادة هذا الخبر فى هذا الكتاب وذكر عدة من الاخباريين واهل السير ان عبد الملك بن مروان دخل على يزيد فقال أرض لك الى جانب أرض لى ولى فيها سعة فاقطعنيها فقال ياعبد الملك انه لا يتعاظمنى كبير ولا أخدع عن صغير خبرنى عنها والا سألت غيرك فقال ما بالحجاز أعظم منها قدرا قال قد اقطعتكها فشكره عبد الملك ودعا له فلما ولى قال يزيد ان الناس يزعمون ان هذا يصير خليفة فان صدقوا فقد صانعناه وان كذبوا فقد وصلناه وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب وجلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد وذلك بعد قتل الحسين فاقبل على ساقيه فقال

اسقنى شربة تروى مشاشى * ثم صل فاسق مثلها ابن زياد

صاحب السر والامانة عندى * ولتسديد مغنمى وجهادى

ثم أمر المغنين فغنوا وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق وفى أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهى وأظهر الناس شرب الشراب وكان له قرد يكنى بأبى قيس يحضره مجلس منادمته ويطرح له متكأ وكان قردا خبيثا وكان يحمله على أتان وحشية قد ريضت وذللت لذلك بسرج ولجام ويسابق بها الخيل يوم الحلبة فجاء فى بعض الايام سابقا فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل وعلى أبى قيس قباء من الحرير الاحمر والاصفر مشهر وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق وعلى الاتان سرج من الحرير الاحمر منقوش ملمع بأنواع من ألوان فقال فى ذلك بعض شعراء الشام فى ذلك اليوم

تمسك أباقيس بفضل عنانها * فليس عليها ان سقطت ضمان

ألا من رأى القرد الذى سبقت به * جياد أمير المؤمنين أتان

وفى يزيد وتملكه وتجبره وانقياد الناس الى ملكه يقول الاخوص

ملك تدين له الملوك مبارك * كادت لهيبته الجبال تزول

تجبى له بلخ ودجلة كلها * وله الفرات وماسقى والنيل

وقيل ان الاخوص قال هذا فى معاوية بعد وفاته يرثيه ولما قتل الحسين بن على رضى الله عنهما بكربلاء وحمل رأسه ابن زياد الى يزيد خرجت بنت عقيل بن أبى طالب فى نساء من

قومها حواسر لما قدورد عليهن من قتال السادات وهى تقول

ماذا تقولون ان قال النبى لكم   ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتى وبأهلى بعد مفتقدى   نصف أسارى ونصف ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم   أن تخلفونى بشر فى ذوى رحمى

وفى فعل ابن زياد بالحسين يقول أبو الاسود الدؤلى من قصيدة

أقول وذاك من جزع ووجد   أزال الله ملك بنى زياد
وأبعدهم بما غدروا وخانوا   كما بعدت ثمود وقوم عاد

ولما شمل الناس جور يزيد وعماله وعمهم ظلمه وما ظهر من فسقه من قتله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنصاره وما ظهر من شرب الخمور وسيره سيرة فرعون بل كان فرعون أعدل منه فى رعيته وأنصف منه لخاصته وعامته أخرج أهل المدينة عامله عليهم وهو عثمان بن محمد بن أبى سفيان ومروان بن الحكم وسائر بنى أمية وذلك عند تنسك ابن الزبير وتألهه واظهار الدعوة لنفسه وذلك فى سنة ثلاث وستين وكان اخراجهم لما ذكرنا من بنى أمية وعامل يزيد عن اذن ابن الزبير فاغتنمها مروان منهم اذ لم يقبضوا عليهم ويحملوهم الى ابن الزبير فحثوا السير نحو الشام ونمى فعل أهل المدينة ببنى أمية وعامل يزيد الى يزيد فسير اليهم بالجيوش من أهل الشام عليهم مسلم بن عقبة المرى الذى أخاف المدينة ونهبها وقتل اهلها وبايعه اهلها على انهم عبيد ليزيد وسماها نتنة وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وقال من اخاف المدينة اخافه الله فسمى مسلم هذا لعنه الله بمجرم ومسرف لما كان من فعله ويقال ان يزيد حين جرد هذا الجيش وعرض عليه انشأ يقول

ابلغ ابا بكر اذا الامر انبرى   واشرف القوم على وادى القرى
اجمع السكران من قوم ترى

يريد بهذا القول عبد الله بن الزبير وكان عبد الله يكنى بأبى بكر وكان يسمى يزيد السكران الخمير وكتب الى ابن الزبير

ادعو الهك فى السماء فاننى   ادعو عليك رجال عك واشعرا
كيف النجاة ابا خبيب منهم   فاحتل لنفسك قبل آتى العسكرا

ولما انتهى الجيش من المدينة الى الموضع المعروف بالحرة وعليهم مسرف خرج الى حربه اهلها عليهم عبد الله بن مطيع العدوى وعبد الله بن حنظلة الغسيل الانصارى وكانت

وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس من بنى هاشم وسائر قريش والانصار وغيرهم من سائر الناس فممن قتل من آل ابى طالب اثنان عبدالله بن جعفر بن ابى طالب وجعفر بن محمد بن على بن ابى طالب ومن بنى هاشم من غير آل ابى طالب الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وحمزة بن عبدالله بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب والعباس بن عتبة بن أبى لهب بن عبدالمطلب و بضع وتسعون رجلا من سائر قريش ومثلهم من الانصار وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الاحصاء دون من لم يعرف وبايع الناس على انهم عبيد ليزيد ومن أبى ذلك أمره مسرف على السيف غير على بن الحسين بن على بن أبى طالب السجاد وعلى بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب وفى وقعة الحرة يقول محمد بن أسلم

فان تقتلونا يوم حرة واقم فنحن على الاسلام أول من قتل
ونحن تركناكم ببدر أذلة وأبنا بأسياف لنا منكم تفل

ونظر الناس الى على بن الحسين السجاد وقد لاذ بالقبر وهو يدعو فأتى به الى مسرف وهو مغتاظ عليه فتبرأ منه ومن آبائه فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له وأقعده الى جانبه وقال له سلنى حوائجك فلم يسأله فى أحد ممن قدم الى السيف الا شفعه فيه ثم انصرف عنه فقيل لعلى رأيناك تحرك شفتيك فما الذى قلت قال قلت اللهم رب السموات السبع وما أظللن والارضين السبع وما أقللن رب العرش العظيم رب محمد وآله الطاهرين أعوذ بك من شره وأدرأ بك فى نحره أسألك ان تؤتينى خيره وتكفينى شره وقيل لمسلم رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه فلما أتى به اليك رفعت منزلته فقال ما كان ذلك لرأى منى لقد ملئ قلبى منه رعبا واما على بن عبدالله فان اخواله من كندة منعوه منه واناس من ربيعة كانوا فى جيشه فقال على فى ذلك

ابا العباس قوم من لؤى واخوالى الملوك بنو وليعه
هم منعوا ذمارى يوم جاءت كتائب مسرف وبنى اللكيعه
ارادنى التى لاعز فيها فحالت دونه ايدى ربيعه

ولما نزل بأهل المدينة ماوصفنا من القتل والنهب والرق والسبى وغير ذلك مما عنه اعرضنا من مسرف خرج عنها يريد مكة فى جيوشه من اهل الشام ليوقع بابن الزبير واهل مكة بأمر يزيد وذلك فى سنة اربع وستين فلما انتهى الى الموضع المعروف بقديد مات مسرف لعنه الله واستخلف على الجيش الحصين بن نمير فسار الحصين حتى

اتى مكة واحاط بها وعاذ ابن الزبير بالبيت الحرام وكان قد سمى نفسه العائذ بالبيت وشهر بهذا حتى ذكرته الشعراء فى اشعارها من ذلك ماقدمنا من قول سليمان بن قبة

فان تتبعوه عائذ البيت تصبحوا كعاد تعمت عن هداها فضلت

ونصب الحصين فيمن معه من اهل الشام المجانيق والعرادات على مكة والمسجد من الجبال والفجاج وابن الزبير فى المسجد ومعه المختار بن ابى عبيد الثقفى داخلا فى جملته منضافا الى بيعته منقادا الى امامته على شرائط شرطها عليه لايخالف له رايا ولا يعصى له امرا فتواردت احجار المجانيق والعرادات على البيت ورمى مع الاحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحرقات وانهدمت الكعبة واحترقت البنية ووقعت صاعقة فأحرقت من اصحاب المجانيق احدعشر رجلا وقيل اكثر من ذلك يوم السبت لثلاث خلون من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة قبل وفاة يزيد باحدعشر يوما واشتد الامر على اهل مكة وابن الزبير واتصل الاذى بالاحجار والنار والسيف ففى ذلك يقول ابو حرة المدينى

ابن نمير بئس ماتولى قد احرق المقام والمصلى

وليزيد وغيره اخبار عجيبة ومثالب كثيرة من شرب الخمر وقتل ابن الرسول ولعن الوصى وهدم البيت واحراقه وسفك الدماء والفسق والفجور وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه كوروده فيمن جحد توحيده وخالف رسله وقد اتينا على الغرر من ذلك فيما سلف من كتبنا والله ولى التوفيق

﴿ ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم والمختار بن أبى عبيد الله وعبد الله بن الزبير ولمع من اخبارهم وسيرهم وبعض ما كان فى أيامهم ﴾

(قال المسعودى) وملك معاوية بن يزيد بن معاوية بعد أبيه فكانت أيامه أربعين يوما الى ان مات وقيل شهرين وقيل غير ذلك وكان يكنى بأبى يزيد وكنى حين ولى الخلافة بابى ليلى وكانت هذه الكنية للمستضعف من العرب وفيه يقول الشاعر

انى أرى فتنة هاجت مراجلها * والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا

ولما حضرته الوفاة اجتمعت اليه بنو أمية فقالوا له اعهد الى من رأيت من أهل بيتك فقال والله ماذقت حلاوة خلافتكم فكيف اتقلد وزرها وتتحلون انتم حلاوتها واتعجل مرارتها اللهم انى برىء منها متخل عنها اللهم انى لا أجد نفرا كاهل الشورى

فاجعلها اليهم ينصبون من يرونه أهلا لها فقالت له أمه ليت أنك خرقة حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام فقال لها وليتني ياأماه خرقة حيضة ولم أتقلد هذا الامر أتفوز بنو أمية بحلاوتها وأبوء بوزرها ومنعها أهلها كلا اني لبرىء منها (وقد تنوزع) في سبب وفاته فنهم من رأى أنه سقى شربة ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أنه طعن وقبض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ودفن بدمشق وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ليكون الامر له من بعده فلما كبر الثانية طعن فسقط ميتا قبل تمام الصلاة فقدم عثمان بن عتبة بن ابي سفيان فقالوا نبايعك قال على أن لا أحارب ولا أباشر قتالا فأبوا ذلك عليه فصار الى مكة ودخل في جملة ابن الزبير وزال الامر عن آل حرب فلم يكن فيهم من يرومها ولا يتشوف نحوها ولا يرتجى أحد منهم لها وبايع أهل العراق عبد الله بن الزبير فاستعمل على الكوفة عبد الله بن مطيع العدوى فقال المختار بن أبي عبيد الثقفي لابن الزبير اني لاعرف قوما لو أن لهم رجلا له رفق وعلم بما يأتي لاستخرج لك منهم جندا تغلب بهم أهل الشأم فقال من هم قال شيعة بني هاشم بالكوفة قال كن أنت ذلك الرجل فبعثه الى الكوفة فنزل ناحية منها وجعل يظهر البكاء على الطالبيين وشيعتهم ويظهر الحنين والجزع لهم ويحث على أخذ الثار لهم والمطالبة بدمائهم فمالت الشيعة اليه وانضافوا الى جملته وسار الى قصر الامارة فاخرج مطيعا منه وغلب على الكوفة وابتنى لنفسه دارا واتخذ بستانا أنفق عليه أموالا عظيمة أخرجها من بيت المال وفرق الاموال على الناس بها تفرقة واسعة وكتب الى ابن الزبير يعلمه انه انما اخرج ابن مطيع عن الكوفة لعجزه عن القيام بها ويسوم ابن الزبير أن يحتسب له بما أنفقه من بيت المال فأبى ابن الزبير ذلك عليه فخلع المختار طاعته وجحد بيعته وكتب المختار كتابا الى علي بن الحسين السجاد يريده على ان يبايع له ويقول بامامته ويظهر دعوته وانفذ اليه مالا كثيرا فأبى علي ان يقبل ذلك منه أو يجيبه عن كتابه وسبه على رءوس الملا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر كذبه وفجوره ودخوله على الناس باظهار الميل الى آل أبي طالب فلما يئس المختار من علي بن الحسين كتب الى عمه محمد بن الحنفية يريده على مثل ذلك فأشار عليه علي بن الحسين ان لا يجيبه الى شيء من ذلك فان الذي يحمله على ذلك اجتذابه لقلوب الناس بهم وتقربه اليهم بمحبتهم وباطنه مخالف لظاهره في الميل اليهم والتولي لهم والبراءة من اعدائهم بل هو من اعدائهم لا من أوليائهم والواجب عليه ان يشهر امره ويظهر كذبه على حسب

مافعل هو وأظهر من القول في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى ابن الحنفية ابن عباس فأخبره بذلك فقال له ابن العباس لا تفعل فانك لا تدرى ما أفت عليه من ابن الزبير فاطاع ابن عباس وسكت عن عيب المختار واشتدامر المختار بالكوفة وكثر رجاله ومال الناس اليه وأقبل يدعو الناس على طبقاتهم ومقاديرهم فى انفسهم وعقولهم فنهم من يخاطبه بامامة محمد بن الحنفية ومنهم من يرفعه عن هذا فيخاطبه بان الملك يأتيه بالوحى ويخبره بالغيب وتتبع قتلة الحسين فقتلهم قتل عمرو بن سعد ابن أبى وقاص الزهرى وهو الذى تولى حرب الحسين يوم كربلاء وقتله ومن معه فزاد ميل أهل الكوفة اليه ومحبتهم له واظهر ابن الزبير الزهد فى الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة وقال انما بطنى شبر فاعسى ان يسع ذلك من الدنيا وأنا العائذ بالبيت والمستجير بالرب وكثرت اذيته لبنى هاشم مع شحه بالدنيا على سائر الناس ففى ذلك يقول ابو حرة مولى الزبير

ان الموالى أمست وهى عاتبة * على الخليفة تشكو الجوع والحربا
ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا * أى الملوك على ماحولنا غلبا

(وفيه يقول بعد مفارقته اياه)

مازال فى سورة الاعراف يقرؤها * حتى فؤادى مثل الخزفى اللين
لو كان بطنك شبرا قد شبعت وقد * افضلت فضلا كثيرا للمساكين
ان امرأ كنت مولاه فضيعنى * يرجو الفلاح لعمرى حق مغبون

(وفيه يقول ايضا)

فيارا كبا اما عرضت فبلغن * كبير بنى العوام ان قيل من تعنى
تخبر من لاقيت انك عائذ * وتكثر قتلا بين زمزم والركن

وفيه يقول الضحاك بن فيروز الديلمى

تخبرنا ان سوف تكفيك قبضة * و بطنك شبرأ وأقل من الشبر
وأنت اذا ماذلت شيأ قضمته * كماقضمت نار الغضى حطب السدر
فلو كنت تجزى أو تثيب بنعمة * قريبا لردتك العطوف على عمرو

وذلك أن يزيد بن معاوية كان قد ولى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان المدينة فسرح منها جيشا الى مكة لحرب ابن الزبير عليه عمرو بن الزبير اخوه وكان عمرو منحرفا عن عبد الله فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه فظفر به اخوه

عبـد الله فاقامه للناس بباب المسجد الحرام مجردا ولم يزل يضرب بالسياط حتى مات وحبس عبدالله بن الزبير الحسن بن محمـد بن الحنفية فى الحبس المعروف بحبس غارم وهو حبس موحش مظلم وأراد قتله فعمل الحيلة حتى تخلص من السجن وتعسف الطريق على الجبال حتى أتى منى وبها أبوه محمد بن الحنفية ففى ذلك يقول كثير

تخبر من لاقيت انك عائذ بل العائذ المظلوم فى سجن غارم

ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى من الناس يعلم انه غـير ظالم

سمى نبى الله وابن وصيه وفكاك أغلال وقاضى مغارم

وقد كان ابن الزبير عمد الى من بمكة من بنى هاشم فحصرهم فى الشعب وجمع لهم حطبا عظيما لو وقعت فيـه شرارة من نار لم يسلم من الموت احد وفى القوم محمد بن الحنفية وحـدث النوفلى على بن سليمان عن فضـيل بن عبـد الوهاب الكولى عن ابى عمران الرازى عن قطن بن خليفـة عن الذبال بن حرملة قال كنت فيمن استنفره ابو عبـد الله الجـدلى من الكوفة من قبـل المختار فنفرنا معه فى اربعة الاف فارس فقال ابو عبـد الله هـذه خيـل عظيمة واخاف ان يبلغ ابن الزبير الخـبر فيعجل على بنى هاشم فياتى عليهم فانتدبوا معى فانتدبنا معه فى ثمانمائة فارس جريدة خيل فما شعر ابن الزبير الا والرايات تخفق على راسه قال فجئنا الى بنى هاشم فاذاهم فى الشعب فاستخرجناهم فقال لنا ابن الحنفية لاتقتلوا الا من قاتلكم فلما راى ابن الزبير تنمرنا له واقدامنا عليه لاذ باستار الكعبة وقال انا عائذ الله (وحدث) النوفلى فى كتابه فى الاخبار عن ابن عائشة عن أبيه عن حماد بن سلمة قال كان عروة بن الزبـير يعذر أخاه اذا جرى ذكر بنى هاشم وحصره اياهم فى الشعب وجمعه الحطب لتحريقهم ويقول انما اراد بذلك ارهابهم ليدخلوا فى طاعته كما أرهب بنو هاشم وجمـع لهم الحطب لاحراقهم اذهم أبوا البيعة فيما سلف وهذا خبر لايحتمل ذكره هنا وقد أتينا على ذكره فى كتابنا فى مناقب اهل البيت واخبارهم المترجم بكتاب حدائق الاذهان وخطب ابن الزبير فقال قد بايعنى الناس ولم يتخلف الا هذا الغلام محمد بن الحنفية والموعد بينى وبينه ان تغرب الشمس ثم اضرم داره عليه نارا فدخل ابن العباس لابن الحنفية فقال يا ابن عم انى لا آمنه عليك فبايعه فقال سيمنعه عنى حجاب قوى فجعل ابن عباس ينظر الى الشمس ويفكر فى كلام ابن الحنفية وقد كادت الشمس ان تغرب فوافاهم ابو عبد الله الجدلى فيما ذكرنا من الخيل وقالوا لابن الحنفية ائذن لنا

فيه قابى وخرج الى ايلة فاقام بها سنين ثم قتل ابن الزبير كذلك حدث عمر بن حبة التميمى عن عطاء بن مسلم فيما اخبرنا به ابو الحسن المهرانى البصرى بمصر وابو اسحق الجوهرى بالبصرة وغيرهما وهؤلاء الذين وردوا الى ابن الحنفية هم الشيعة الكيسانية وهم القائلون بامامة محمد بن الحنفية وقد تنازعت الكيسانية بعد قولهم بامامة محمد بن الحنفية فنهم من قطع بموته ومنهم من زعم انه لم يمت وانه حى فى جبال رضوى وقد تنازع كل فريق من هؤلاء أيضا وانما سموا بالكيسانية لاضافتهم الى المختار بن أبى عبيد الثقفى وكان اسمه كيسان ويكنى اباعمرة او هو غير المختار وقد اتينا على اقاويل فرق الكيسانية وغيرهم من فرق الشيعة وطوائف الامة فى كتابنا فى المقالات فى اصول الديانات وذكرنا قول كل فريق منهم وماايد به مذهبه وقول من ذكر منهم ان ابن الحنفية دخل الى شعب رضوى فى جماعة من أصحابه فلم يعرف لهم خبر الى هذه الغاية وقد ذكر جماعة من الاخباريين ان كثيرا الشاعر كان كيسانيا ويقول ان محمد بن الحنفية هو المهدى الذى يملؤها عدلا كما ملئت جورا وحكى الزبير بن بكار فى كتابه انساب قريش فى انساب آل أبى طالب واخبارهم منه قال اخبرنى عمير قال قال كثير ابياتا له يذكر فا ابن الحنفية رضى الله عنه واولها

هو المهدى خبرناه كعب ... أخو الاحبار فى الحقب الخوالى
أقر الله عينى اذ دعانى ... أمين الله يلطف فى السؤال
وأثنى فى هواى على خيلا ... وساءل عن بنى وكيف حالى

وفيه يقول أيضا كثير

الا ان الائمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيه ... هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء
وسبط لاتراه العين حتى ... يقود الخيل يتبعها اللواء
يغيب لايرى فيهم زمانا ... برضوى عنده عسل وماء

وفيه يقول السيد الحميرى وكان كيسانيا

ألا قل للوصى فدتك نفسى ... اطلت بذلك الجبل المقاما
اضر بمعشر والوك منا ... وسموك الخليفة والاماما
وعادوا فيك أهل الارض طرا ... مغيبك عنهم سبعين عاما

وماذاق ابن خولة طعم موت ... ولا وارت له ارض عظاما
لقد أمسى بمردف شعب رضوى ... تراجعه الملائكة الكلاما

وفيه يقول السيد أيضا

ياشعب رضوى مالمن بك لايرى ... وبنا اليه من الصبابة أولق
حتى متى والى متى وكم المدى ... ياابن الرسول وأنت حي ترزق

وللسيد فيه اشعار كثيرة لاياتي عليها كتابنا هذا (وذكر) علي بن محمد بن سليمان النوفلي في كتابه الاخبار مما سمعناه من أبي العباس بن عمار قال حدثنا جعفر بن محمد النوفلي قال حدثنا اسمعيل الساحر وكان راوية السيد الحميري قال مامات السيد الا على قوله بالكيسانية وانكر قوله في القصيدة التي أولها (تجعفرت باسم الله والله أكبر) قال أبو الحسن علي بن محمد النوفلي عقيب هذا الخبر وليس يشبه هذا شعر السيد لان السيد مع فصاحته وجزالة قوله لايقول تجعفرت باسم الله وذكر عمر بن شبة النميري عن مساور بن السائب أن ابن الزبير خطب أربعين يوما لا يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا يمنعني أن أصلي عليه الا أن تشمخ رجال بآنافها وذكر سعيد بن جبير أن عبد الله بن عباس دخل على ابن الزبير فقال له ابن الزبير أنت الذي تؤنبني وتبخلني قال ابن عباس نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس المسلم الذي يشبع ويجوع جاره فقال ابن الزبير انى لاكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة وجرى بينهم خطب طويل فخرج ابن عباس من مكة خوفا على نفسه فنزل الطائف فتوفي هنالك ذكر هذا الخبر عمر بن شبة النميري عن سويد بن سعيد يرفعه الى سعيد بن جبير فيما حدثنا به المهراني بمصر والكلابي بالبصرة وغيرهما عن عمر بن شبة وحدث النوفلي في كتابه في الاخبار عن الوليد بن هشام المخزومي قال خطب ابن الزبير فنال من علي فبلغ ذلك ابنه محمد بن الحنفية حتى وضع له كرسي قدامه فعلاه وقال يامعشر قريش شاهت الوجوه أينتقص علي وأنتم حضور ان عليا كان سهما صادقا أحد مرامي الله على أعدائه يقتلهم لكفرهم ويهوعهم مآكلهم فثقل عليهم فرموه بصرفة الاباطيل وانا معشر له على نهج من أمره بنو الحسبة من الانصار فان تكن لنا الايام دولة تنتر عظامهم وتحسر عن أجسادهم والابدان يومئذ بالية وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فعاد ابن الزبير الى خطبته وقال عذرت بني الفواطم يتكلمون فما بال بني الحنفية فقال محمد ياابن أم رومان ومالي لاأتكلم أليست فاطمة بنت محمد حليلة أبي وأم اخوتي

أو ليست فاطمة بنت أسـد بن هاشم جدتي أو ليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ جدة أبي اما والله لولا خديجة بنت خويلد ماتركت في بني أسد عظما الا هشمته وان نالتني فيه المصائب صبرت (حدثنا) ابن عمار عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني ابن عائشة والعتبي جميعا عن أبويهما وألفاظهما متقاربة قالا خطب ابن الزبير فقال مابال أقوام يفتون في المتعة وينتقصون حواري الرسول وأم المؤمنين عائشة مابالهم اعمى الله قلوبهم كما اعمى ابصارهم يعرض بابن عباس فقال ياغلام اصمد في صـمدة فقال ياابن الزبير

قد أنصف القارة من راماها   انا اذا مافتنة نلقاها   نرد أولاها على اخراها

اما قولك في المتعة فسل امك تخبرك فان اول متعة سطع مجمرها لمجمر سطع بين امك وأبيك يريد متعة الحج وأما قولك حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد لقيت اباك في الزحف وانا مع امام هـدى فان يكن على ما اقول فقد كفر بقتالنا وان يكن على ماتقول فقد كفر بهرب عنا فانقطع ابن الزبير ودخل على أمه اسماء فاخبرها فقالت صدق (قال المسعودي) وفي هذا الخبر زيادات من ذكر البردة والعوسجة وقد اتينا على الخبر بتمامه وماقاله الناس في متعة النساء ومتعة الحج وتنازعهم في ذلك وماذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم من انه حرمها عام خيبر ولحوم الحمر الاهلية وماذكر في حـديث الربيع بن سبرة عن ابيه وقول عمر كانتا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تقدمت بالنهي لفعلت بفاعل ذلك كذا وكذا وماروى عن جابر قال تمتعنا في عهـد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة ابي بكر وصـدر من خلافة عمر وغير ذلك من اقاويلهم في كتابنا المترجم بكتاب الاستبصار وفي كتاب الصفوة وفي كتابنا المترجم بالكتاب الواجب في الفروض اللوازم وماقال الناس في غسل الرجلين ومسحهما والمسح على الخفين وطلاق السنة وطلاق العدة وطلاق التعدي وغير ذلك وقـد حدث النوفلي عن ابي عاصم عن ابن جريج قال حدثني منصور بن شيبة عن صـفية بنت ابي عبيد عن اسماء بنت ابي بكر قالت لما قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع امر من لم يكن معه هدى ان يحل قالت فاحللت فلبست ثيابي وتطيبت وجئت حتى جلست الى جنب الزبير فقال قومي عني فقلت ماتخاف اتخاف ان ابت عليـك فهذا الذي اراد ابن عباس وقد ذكر هذا الحديث عن ابي عاصم غير النوفلي وقد تنازع الناس في ذلك فنهم من راى انه عنى متعة النساء ومنهم من راى انه اراد متعة الحج لان الزبير تزوج

اسماء بكرا فى الاسلام زوجه ابو بكر معلنا فكيف تكون متعة النساء ولما هلك يزيد ابن معاوية ووليها معاوية بن يزيد نمى ذلك الى الحصين بن نمير ومن معه فى الجيش من اهل الشأم وهو على حرب ابن الزبير فهادنوا ابن الزبير ونزلوا مكة فلقى الحصين عبد الله فى المسجد فقال له هل لك يا ابن الزبير ان احملك الى الشأم وابايع لك بالخلافة فقال له عبد الله رافعا صوته ابعد قتل اهل الحرة لا والله حتى اقتل بكل رجل خمسة من اهل الشأم فقال الحصين من زعم يا ابن الزبير انك داهية فهو احمق اكلمك سرا وتكلمنى علانية ادعوك ان استخلفك فترفع الحرب وتزعم انك تقاتلنا فستعلم اينا المقتول وانصرف اهل الشأم الى بلادهم مع الحصين فلما صاروا الى المدينة جعل اهلها يهتفون بهم ويتوعدونهم ويذكرون قتلاهم بالحرة فلما اكثروا من ذلك وخافوا الفتنة وهيجها صعد روح بن زنباع الجذامى على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك الجيش فقال يا اهل المدينة ماهذا الايعاد الذى توعدونا انا والله مادعوناكم الى كلب لمبايعة رجل منهم ولا الى رجل من بلقين ولا الى رجل من لخم او جذام ولا غيرهم من العرب ولكن دعوناكم الى هذا الحى من قريش يعنى بنى امية ثم الى طاعة يزيد بن معاوية وعلى طاعته قاتلنا كم فاياناتوعدون اما والله انا لابناء الطعن والطاعون وفضلات الموت والمنون فما شئتم ومضى القوم الى الشأم وحمل الى ابن الزبير من صنعاء الفسيفساء التى كان بناها ابرهة الحبشى فى كنيسته التى اتخذها هنالك ومعها ثلاث اساطين من رخام فيها وشى منقوش قد حشى النقش السندروس وانواع الالوان من الاصباغ فمن رآه ظنه ذهبا وشرع ابن الزبير فى بناء الكعبة وشهد عنده سبعون شيخا من قريش ان قريشا حين بنت الكعبة عجزت نفقتهم فنقصوا من سعة البيت سبعة اذرع من اساس ابراهيم الخليل الذى اسسه هو واسمعيل عليهما السلام فبناه ابن الزبير وزاد فيه الاذرع المذكورة وجعل فيه الفسيفساء والاساطين وجعل له بابين بابا يدخل منه وبابا يخرج منه فلم يزل البيت على ذلك حتى قتل الحجاج عبد الله بن الزبير وكتب الى عبد الملك يعلمه بما زاده ابن الزبير فى البيت فامره عبد الملك بهدمه ورده الى ما كان عليه آنفا من بناء قريش وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم وان يجعل له بابا واحدا ففعل الحجاج ذلك واستوثق الامر لابن الزبير وأخذت له البيعة بالشأم وخطب له على سائر منابر الاسلام الا منبر طبرية من بلاد الاردن فان حسان بن مالك ابن بحدل أبى أن يبايع لابن الزبير وأرادها لخالد بن يزيد بن معاوية وكان القيم بامر بيعة

ابن الزبير بمكة عبد الله بن مطيع العدوى ففى ذلك يقول قضاعة الاسدى وكان بايع لابن الزبير ثم نكث

دعا ابن مطيع للبياع فجئته * الى بيعة قلبى لها غير آلف

فناولنى حسناء لما لمستها * بكفى ليست من أكف الخلائف

وهلك يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وعبيد الله بن زياد على البصرة أمير فخطب الناس وأعلمهم بموتهما وان الامر شورى لم ينصب له أحد وقال لا أرض اليوم أوسع من أرضكم ولا عدداً أكثر من عددكم ولا مال أكثر من مالكم فى بيت مالكم مائة ألف ألف درهم عطاء مقاتلتكم ستون ألفاً وعطاؤهم وعطاء العيال ستون ألف ألف درهم فانظروا رجلا ترضونه يقوم بأمركم ويجاهد عدوكم وينصف مظلومكم من ظالمكم ويوزع بينكم أموالكم فقام اليه أشراف اهلها ومنهم الاحنف بن قيس التميمى وقيس بن الهيثم السلمى ومسمع بن مالك العبدى فقالوا ما نعلم ذلك الرجل غيرك أيها الامير وأنت أحق من قام على أمرنا حتى تجتمع الناس على خليفة فقال ما لو استعملتم غيرى لسمعت وأطعت وقد كان على الكوفة عمرو بن حريث الخزاعى عاملا لعبيد الله بن زياد فكتب اليه عبيد الله يعلمه بما دخل فيه أهل البصرة ويأمره أن يأمر أهل الكوفة بما دخل فيه أهل البصرة فقام يزيد بن رويم الشيبانى فقال الحمد لله الذى أطلق ايماننا لا حاجة لنا فى بنى أمية ولا فى امارة ابن مرجانة وهى أم عبيد الله وأم أبيه زياد سمية على ماذكرنا فقاً أعا البيعة لاهل الحجز يعنى أهل الحجاز فخلع أهل الكوفة ولاية أمية وامارة ابن زياد وأرادوا ان ينصبوا لهم أميرا الى ان ينظروا فى أمرهم فقال جماعة عمرو بن سعد بن أبى وقاص يصلح لها فلما هموا بتأميره أقبل نساء من همدان وغيرهم من نساء كهلان والانصار وربيعة والنخع حتى دخلن المسجد الجامع صارخات باكيات معولات يندبن الحسين ويقلن أما رضى عمرو بن سعد بقتل الحسين حتى اراد أن يكون أميرا علينا على الكوفة فبكى الناس واعرضوا عن عمرو وكان المبرزون فى ذلك نساء همدان وقد كان على عليه السلام مائلا الى همدان مؤثراً لهم وهو القائل

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقال (عبيت همدان وعبوا احميرا) ولم يكن بصفين منهم أحد مع معاوية واهل الشام الا ناس كانوا بغوطة دمشق بقرية تعرف بعين برما ما فيها منهم قوم الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ولما اتصل خبر اهل الكوفة بابن الزبير انفذ اليهم عبد الله

ابن مطيع العدوى على ماقدمنا آنفافتولى امرهم حتى وجه المختار فى اثره ونظر مروان ابن الحكم اطباق الناس على مبايعة ابن الزبير واجابتهم له فاراد ان يلحق به وينضاف الى جملته فنعه من ذلك عبيد الله بن زياد عند لحاقه بالشأم وقال له انك شيخ بنى عبد مناف فلا تعجل فصار مروان الى الجابية من ارض الجولان بين دمشق والاردن واستمال الضحاك بن قيس الفهرى الناس ورأسهم وانحاز عن مروان واراد دمشق فسبقه اليها الاشدق عمرو بن سعيد بن العاص فدخلها وصار الضحاك الى حوران والبثنة واظهر الدعوة لابن الزبير والتقى الاشدق ومروان فقال الاشدق لمروان هل لك فيما أقوله لك فهو خير لى ولك قال مراون وماهو قال ادعو الناس اليك وآخذها لك على ان تكون لى من بعدك فقال مروان لا بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية فرضى الاشدق بذلك ودعا الناس الى بيعة مروان فاجابوا ومضى الاشدق الى حسان بن مالك بالاردن فارغبه فى بيعة مروان فجنح لها وبويع مروان بن الحكم بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى اباعبد الملك وامه آمنة بنت علقمة بن صفوان وذلك بالاردن وكان اول من بايعه اهلها وتمت بيعته وكان مروان اول من اخذها بالسيف كرها على ماقيل بغير رضا من عصبة من الناس بل كل خوفه الاعداء يسير احملوه على وثوبه عليها وقد كان غيره ممن سلف اخذها بعد دواعوان الامر وانه اخذها على ماوصفنا وبايع مروان بعده لخالد بن يزيد ولعمرو بن سعيد الاشدق بعد خالد وكان مروان يلقب بخيط باطل وفى ذلك يقول عبد الرحمن بن الحكم

لحا الله قوما امروا اخيط باطل على الناس يعطى مايشاء ويمنع

واشترط حسان بن مالك وكان رئيس قحطان وسيدها بالشام على مروان ماكان لهم من الشروط على معاوية وابنه يزيد وابنه معاوية بن يزيد منها ان يفرض لهم لالفى رجل ألفين الفين وان مات قام ابنه او ابن عمه مكانه وعلى ان يكون لهم الامر والنهى وصدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد فعن راى منهم ومشورة فرضى مروان بذلك وانقاد اليه وقال له مالك بن هبيرة اليشكرى انه ليست لك فى اعناقنا بيعة وليس نقاتل عن عرض دنيا فان تكن لنا على ما كان لنا معاوية ويزيد نصرناك وان تكن الاخرى فوالله ماقريش عندنا الاسواء فاجابه مروان الى ماسال وسار مروان نحو الضحاك بن قيس الفهرى وقد انحازت قيس وسائر مضر وغيرهم من نزار الى الضحاك ومعه أناس من قضاعة عليهم وائل بن عمرو العدوى وكانت معه راية عقدها رسول الله

صلى الله عليه وسلم لابيه وأظهر الضحاك ومن معه خلافة ابن الزبير والتقى مروان والضحاك ومن معهما بمرج راهط على اميال من دمشق فكانت بينهم الحروب سجالا وكثرت اليمانية عليهم وبواديها مع مروان فقتل الضحاك بن قيس رئيس جيش ابن الزبير قتله رجل من تيم اللات وقتل معه نزار واكثرهم من قيس مقتلة عظيمة لم ير مثلها قط وفى ذلك يقول مروان بن الحكم

لما رأيت الناس صاروا حزبا * والمال لايؤخذ الا غصبا
دعوت غسانا لهم وكلبا * والسكسكيين رجالا غلبا
والقين تمشى فى الحديد نكبا * والاعوجيات يثبن وثبا
يحملن سروات ودينا صلبا

وفى ذلك يقول أخوه عبد الرحمن بن الحكم

أرى أحاديث أهل المجد قد بلغت * اهل الفرات وأهل الفيض والنيل

وكان زفر بن الحرث العامرى ثم الكلابى مع الضحاك فلما أمعن السيف فى قومه ولى ومعه رجلان من بنى سليم فقص فرساهما وغشيتهما اليمانية من خيل مروان فقالا له انج بنفسك فانا مقتولان فولى راكضا ولحق الرجلان فقتلا وفى هذا اليوم يقول زفر بن الحرث الكلابى من أبيات كثيرة

لعمرى لقد ابقت وقيعة راهط * لمروان صدعا بيننا متنائيا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا
أرينى سلاحى لاأبالك اننى * أرى الحرب لايزداد الا تماديا
اتذهب كلب لم تنلها رماحنا * وتترك قتلى راهط هى ماهيا
فلم يرمنى نبوة بعد هذه * فرارى وتركى صاحبى ورائيا
عشية اغدو فى الفريقين لاأرى * من القوم الا من على ولاليا
أيذهب يوم واحدان أساته * بصالح أيامى وحسن بلائيا
أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا * ومقتل همام أمنى الامانيا

وتلاحق الناس ممن حضر الوقعة من أجنادهم بارض الشام وكان النعمان بن بشير واليا على حمص قد خطب لابن الزبير مماثلا للضحاك فلما بلغه قتله وهزيمة الزبيرية خرج عن حمص هاربا فسار ليلته جمعاء متحيرا لايدرى اين ياخذ فاتبعه خالد بن عدى الكلاعى فيمن خف معه من اهل حمص فلحقه وقتله وبعث برأسه الى مروان وانتهى زفر بن

الحرث الكلابى فى هزيمته الى قرقيسياء فغلب عليها واستقام الشام لمروان وبث فيه رجاله وعماله وسار مروان فى جنوده من الشأم الى أهل مصر فحاصرها وخندق عليها خندق مما يلى المقبرة وكانوا زبيرية عليهم لابن الزبير عبد الرحمن بن عتبة بن حجدم وسيد الفسطاط يومئذ وزعيمها أبو رشدين كريب بن ابرهة بن الصباح فكان بينهم وبين مروان قتال يسير وتوافقوا على الصلح وقتل مروان اكدر بن الحمام صبرا وكان فارس مصر فقال ابو رشدين لمروان ان شئت والله اعدناها جذعة يعنى يوم الدار بالمدينة فقال مروان ما أشاء من ذلك شيا وانصرف عنها وقد استعمل عليها ابنه عبد العزيز وقدم مروان الشام فنزل الصبرة على ميلين من طبرية من بلاد الاردن فاحضر حسان بن مالك وأرغبه وأرهبه فقام حسان فى الناس خطيبا ودعاهم الى بيعة عبد الملك بن مروان بعد مروان وبيعة عبد العزيز بن مروان بعد عبد الملك فلم يخالفه فى ذلك أحد وهلك مروان بدمشق فى هذه السنة وهى سنة خمس وستين وقد تنازع أهل التواريخ وأصحاب السير ومن عنى باخبارهم فى سبب وفاته فنهم من رأى انه مات مطعونا ومنهم من رأى انه مات حتف أنفه ومنهم من رأى ان فاختة بنت أبى هاشم بن عتبة أم خالد بن يزيد بن معاوية هى التى قتلته وذلك ان مروان حين أخذ البيعة لنفسه ولخالد بن يزيد بعده وعمرو بن سعيد بن خالد ثم بدا له غير ذلك فجعلها لابنه عبد الملك بعده ثم لابنه عبد العزيز بن عبد الملك ودخل عليه خالد بن يزيد فكلمه وأغلظ له فغضب من ذلك وقال اتكلمنى يا ابن الرطبة وكان مروان قد تزوج بامه فاختة ليذله بذلك ويضع منه فدخل خالد على أمه فقبح لها تزوجها بمروان وشكا اليها ما نزل به منه فقالت لا يعيبك بعدها فنهم من رأى انها وضعت على نفسه وسادة وقعدت فوقها مع جواريها حتى مات ومنهم من رأى انها اعدت له لبنا مسموما فلما دخل عليها ناولته اياه فشرب فلما استقر فى جوفه وقع يجود بنفسه وامسك لسانه فحضره عبد الملك وغيره من ولده فجعل مروان يشير الى أم خالد يخبرهم انها قتلته وأم خالد تقول بابى انت حتى عند النزع لم تشتغل عنى انه يوصيكم بى حتى هلك فكانت ايامه تسعة أشهر وأياما قلائل وقيل ثمانية أشهر وقيل غير ذلك مما سنورده عند ذكرنا المدة التى هلكت فيها بنو أمية من الاعوام فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وهلك مروان وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد ذكر غير ذلك فى سنه وكان قصيرا أحمر ومولده لسنتين خلتا من الهجرة وهلك بعد اخذ البيعة لولده بثلاثة اشهر وقد ذكر ابن ابى خيثمة فى كتابه

فى التاريخ ان النبى صلى الله عليه وسلم توفى ومروان له ثمان سنين وكان لمروان عشرون أخا وثمانى اخوات وله من الولد احد عشر ذكرا وثلاث بنات وهم عبد الملك وعبد العزيز وعبد الله وابان وداود وعمرو وأم عمرو وعبد الرحمن وأم عثمان وعمرو وام عمرو وبشر ومحمد ومعاوية وقد ذكرنا هؤلاء ومن اعقب منهم ومن لم يعقب وقد كان يزيد بن معاوية خلف من الولد اكثر مما خلف مروان وذلك انه خلف معاوية وخالدا وعبد الله الاكبر واباسفيان وعبد الله الاصغر وعمرا وعاتكة وعبد الرحمن وعبد الله الذى لقبه الاصغر وعثمان وعتبة الاعور وابابكر ومحمدا ويزيد وام عبد الرحمن ورملة وصفية

﴿ ذكر أيام عبد الملك بن مروان ﴾

وبويع عبد الملك بن مروان ليلة الاحد غرة شهر رمضان من سنة خمس وستين ثم بعث الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن الزبير ومن معه من الناس بمكة فقتل عبد الله يوم الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وكانت ولاية ابن الزبير تسع سنين وعشر ليال وسنذكر مدة ابن الزبير بعد هذا الموضع من هذا الكتاب عند ذكرنا الجامع ملك بنى أمية ثم هاجت فتنة ابن الاشعث فى شعبان من سنة اثنتين وثمانين ثم توفى عبد الملك بن مروان بدمشق يوم السبت لاربع عشرة مضت من شوال سنة ست وثمانين وكانت ولايته من منذ بويع الى ان توفى احدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا وبقى بعد عبد الله بن الزبير واجتماع من اجتمع عليه من الناس ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر الاسبع ليال وسنذكر ما فعله من وقت استقامة من استقام له من الناس وقبض وهو ابن ست وستين سنة وقيل أكثر من ذلك وكان يحب الشعر والفخر والتقريظ والمدح وكان عماله على مثل مذهبه فالحجاج بالعراق والمهلب بخراسان وهشام بن اسمعيل بالمدينة وغيرهم بغيرها وكان الحجاج من أظلمهم واسفكهم للدماء وسنذكر فى هذا الكتاب جوامع من ذكره فيما يلى هذا الباب

﴿ ذكر جمل من أفعاله وسيره ولمع مما كان فى أيامه ونوادر من أخباره ﴾

ولما أفضى الامر الى عبد الملك بن مروان تاقت نفسه الى محادثة الرجال والاشراف فى أخبار الناس فلم يجد من يصلح لمنادمته غير الشعبى فلما حمل اليه ونادمه قال له ياشعبى لاتساعدنى على ماقبح ولا ترد على الخطأ فى مجلسى ولا تكلفنى جواب التشميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ودع عنك كيف أصبح الامير وكيف أمسى وكلمنى بقدر ما أستطعمك واجعل بدل المدح لى صواب الاستماع منى واعلم أن صواب

الاستماع اكثر من صواب القول واذا اسمعتنى أتحدث فلا يفوتنك منه شئ وأرنى فهمك من طرفك وسمعك ولا تجهد نفسك فى تطرية صوابى ولا تستدع بذلك الزيادة فى كلامى فان اسوأ الناس حالا من استكد الملوك بالباطل وان اسوأ الناس حالا منهم من استخف بحقهم واعلم ياشعبى أن أقل من هذا يذهب بسالف الاحسان ويسقط حق الحرمة فان الصمت فى موضعه ربما كان ابلغ من المنطق فى موضعه وعند اصابته وفرصته وقال عبد الملك للشعبى يوما من اين يهب الريح قال لا علم لى يا امير المؤمنين قال عبد الملك اما مهب الشمال فمن مطلع بنات نعش واما مهب الصبا فمن مطلع الشمس الى مطلع سهيل واما الجنوب فمن مطلع سهيل الى مغرب الشمس واما الدبور فمن مغرب الشمس الى مطلع بنات نعش وفى سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة وتلاقوا بالتلاوم والتنادم حين قتل الحسين فلم يغيثوه ورأوا انهم قد اخطؤا خطأ كبيرا بدعاء الحسين اياهم ولم يجيبوه ولمقتله الى جانبهم فلم ينصروه ورأوا انهم لا يغسل عنهم ذلك الجرم الا قتل من قتله او القتل فيه ففزعوا الى خمسة نفر منهم سليمان بن صرد الخزاعى والمسيب بن محمد الفزارى وعبد الله بن سعد بن نفيل الازدى وعبد الله بن وال التميمى ورفاعة بن شداد البجلى فعسكروا بالنخيلة بعد أن كان لهم مع المختار ابن عبيد الثقفى خطب طويل بتثبيطه الناس عنهم ممن اراد الخروج وجمعهم ففى ذلك يقول عبد الله بن الاحمر يحرض على الخروج والقتال من ابيات

صحوت وقد صحوا الصبى والعواديا * وقلت لاصحابى اجيبوا المناديا

وقولوا له اذ قام يدعو الى الهدى * وقبل الدعا لبيك لبيك داعيا

فى شعر طويل يحث فيه على الخروج ويرثى الحسين ومن قتل معه ويلوم شيعته بتخلفهم عنه ويذكر انهم قد تابوا الى الله وأنابوا اليه من الكبائر التى ارتكبوها اذ لم ينصروه ويقول ايضا فى هذا الشعر

الا وانع خير الناس جدا ووالدا حسينا لاهل الدين أن كنت ناعيا

ليبك حسينا مرمل ذو خصاصة عديم وايتام تشكى المواليا

فاضحى حسين للرماح دريئة وغودر مسلوبا لدى الطف ثاويا

فياليتنى اذ ذاك كنت شهدته فضاربت عنه الشانئين الاعاديا

سقى الله قبرا ضمن المجد والتقى بغربية الطف الغمام الغواديا

فيا امة تاهت وضلت سفاهة انيبوا فارضوا الواحد المتعاليا

ثم ساروا يقدمهم من سمينا من الرؤساء وعبيدالله بن الاحمر يقول

خرجن يلمعن بنا ارسالا عوابسا تحملنا ابطالا
تريد ان نلقى بها الاقيالا القاسطين الغدر الضلالا
وقد رفضنا الولد والاموالا والخفرات البيض والحجالا
نرضى به ذا النعم المفضالا

فانتهوا الى قرقيسياء من شاطئ الفرات وبها زفر بن الحارث الكلابى فاخرج اليهم الانزال وساروا من قرقيسياء ليسبقوا الى عين الوردة وقد كان عبدالله بن زياد توجه من الشام الى حربهم فى ثلاثين الفا وانفصل على مقدمته من الرقة خمسة امراء منهم الحصين بن نمير السلولى وشراحيل بن ذى الكلاع الحميرى وادهم بن محرز الباهلى وربيعة بن المخارق الغنوى وجبلة بن عبدالله الخثعمى حتى اذا صاروا الى عين الوردة التقى الأقوام وقد كان قبل ذلك لهم مناوشات في الطلائع فاستشهد سليمان ابن صرد الخزاعى بعد أن قتل من القوم مقتلة عظيمة وابلى وحث وحرض ورماه يزيد ابن الحصين بن نمير بسهم فقتله فاخذ الراية المسيب بن محتد الفزارى وكان من وجوه اصحاب على رضى الله عنه وكر على القوم وهو يقول

قد علمت ميالة الذوائب واضحة اللبات والترائب
أنى غداة الروع والمقانب اشجع من ذى لبدة مواثب

فقاتل حتى قتل فاستقتل التراييون وكسروا أجفان السيوف وسالت عليهم عساكر أهل الشام كالليل ينادون الجنة الجنة الى التقية من أصحاب أبى تراب الجنة الجنة الى الترابية وأخذ راية التراييين عبدالله بن سعيد بن نفيل وأتاهم اخوانهم يحثون السير خلفهم من أهل البصرة وأهل المدائن فى نحو من خمسمائة فارس عليهم المثنى بن محرصة وسعيد بن حذيفة وهم يقولون اقلنا ربنا تفريطنا فقد تبنا فقيل لعبدالله بن سعيد بن نفيل وهو فى القتال ان اخواننا قد لحقوا من البصرة والمدائن فقال ذاك لو جاؤا ونحن أحياء فكان أول من استشهد فى ذلك الوقت ممن لحقهم من أهل المدائن كثير ابن عمرو المدنى وطعن سعيد بن سعيد الحنفى وعبدالله بن الخطل الطائى وقتل عبدالله ابن سعيد بن نفيل فلما علم من بقى من التراييين ان لا طاقة لهم بمن بازائهم من أهل الشام انحازوا عنهم وارتحلوا وعليهم رفاعة بن شداد البجلى وتأخر أبو الحويرث العبدى فى جابية الناس وطلب منهم أهل الشام المكافة والمتاركة لما رأوا من باسهم

وصبرهم مع قلتهم فلحق أهل الكوفة بمصرهم وأهل المدائن والبصرة ببلادهم وسمع التوابيون في سيرهم ورجوعهم من عين الوردة قائلا يقول رافعا عقيرته

ياعين بكي ابن الصرد * بكي اذ الليل خمد * كان اذا الباس مكد
تخاله فيه أسد * مضى حميدا قدرشد * في طاعة الاعلى الصمد

وقد ذكر ابو مخنف لوط بن يحيي وغيره من اصحاب التواريخ والسير من قتل من التوابيين مع سليمان بن صرد الخزاعى على عين الوردة وأسماءهم فقللهم وحكى أبو مخنف في كتابه في أخبار التوابيين المترجم بعين الوردة قصيدة عزاها الى أعشى همدان طويلة يرثى بها أهل عين وردة من التوابيين ويصف مافعلوه منها

توجه من دون الثوية سائرا * الى ابن زياد في الجموع الكتائب
فساروا وهم من بين ملتمس التقى * واخر مما جر بالامس تائب
فلاقوا بعين الوردة الجيش فاصلا * عليهم فحيوهم ببيض قواضب
فجاءهم جمع من الشأم بعده * جموع كموج البحر من كل جانب
فمابرحوا حتى اثيرت جموعهم * ولم ينج منهم ثم غير عصائب
وغودر أهل الصبر صرعى فاصبحوا * تعاورهم ريح الصبا والجنائب
وأضحى الخزاعى الرئيس مجدلا * كان لم يقاتل مرة ويحارب
ورأس بني سمح وفارس قومه * جميعا مع التيمى هادي الكتائب
وعمرو بن عمرو وابن بشر وخالد * وبكر وزيد والحليس بن غالب
أبوا غير ضرب يفلق الهام ضربه * وطعن باطراف الاسنة صائب
فياخير جيش للعراق وأهله * سقيتم روايا كل أسحم ساكب
فلا تبعدن فرساننا وحماتنا * اذا البيض أبدت عن خدام الكواعب
فان تقتلوا فالقتل أكرم ميتة * وكل فتى يوما لاحدى النوائب
وماقتلوا حتى أصابوا عصابة * محلين نورا كالليوث الضوارب

وقيل ان وقعة الوردة كانت في سنة ست وستين وفي أيام عبد الملك بن مروان توفى الحارث الاعور صاحب على عليه السلام وهو الذى دخل على على فقال ياأمير المؤمنين ألا ترى الى الناس قد اقبلوا على هذه الاحاديث وتركوا كتاب الله قال وقد فعلوها قال نعم قال أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم

وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن أراد الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المبين وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو الذى لاتزيغ عنه العقول ولا تلتبس به الالسن ولا تنقضى عجائبه ولا يعلم علم مثله هو الذى لما سمعته الجن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد من قال به صدق ومن زال عنه عدا ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم خذها اليك يا أعور (ولما كان) من وقعة عين الوردة ما قدمنا سار عبيد الله بن زياد في عساكر الشأم يؤم العراق فلما انتهى الى الموصل وذلك في سنة ست وستين التقى هو وابراهيم بن الاشتر النخعى وابراهيم على خيل العراق من قبل المختار بالجارد فكانت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها ابن مرجانة عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير وشرحبيل بن ذى الكلاع وابن حوشب ذى ظليم وعبد الله بن اياس السلمى أبو سدس وغالب الباهلى وأشراف أهل الشأم وذلك أن عمير بن الحباب السلمى كان على ميمنة ابن زياد في ذلك الجيش وكان في نفسه ما فعل بقومه من مضر وغيرهم من نزار يوم مرج راهط فصاح يالثارات قيس يالمضر يالنزار فتزاحمت نزار من مضر وربيعة على من كان معهم في جيشهم من أهل الشام من قحطان وقد كان عمير كاتب ابراهيم بن الاشتر سرا قبل ذلك والتقيا فتواطآ على ما ذكرنا وحمل ابراهيم بن الاشتر رأس ابن زياد وغيره الى المختار فبعث به المختار الى عبد الله بن الزبير بمكة وقد كان عبد الملك بن مروان سار في جيوش أهل الشام فنزل بطنان ينتظر ما يكون من ابن زياد فاتاه خبر مقتله ومقتل من كان معه وهزيمة الجيش بالليل وأتاه في تلك الليلة مقتل جيش ابن دلجة وكان على جيش بالمدينة لحرب ابن الزبير ثم جاءه خبر دخول نابل بن قيس فلسطين من قبل ابن الزبير ومسير مصعب بن الزبير من المدينة الى فلسطين ثم جاءه مسير ملك الروم لاوى بن فلقط ونزوله المصيصة يريد الشام ثم جاءه خبر دمشق وأن عبيدها وأوباشها ودعارها قد خرجوا على أهلها ونزلوا الجبل ثم أتاه أن من في السجن بدمشق فتحوا السجن وخرجوا منه مكابرة وأن خيل الاعراب أغارت على حمص وبعلبك والبقاع وغير ذلك مما نمى اليه من المفظعات في تلك الليلة فلم ير عبد الملك في ليلة قبلها أشد ضحكا ولا أحسن وجها ولا أبسط لسانا ولا أثبت جنانا منه تلك الليلة تجلدا وسياسة للملوك فترك اظهار الفشل وبعث بأموال وهدايا الى ملك الروم فشغله وهادنه وسار الى فلسطين وبها

بابل بن قيس على جيش ابن الزبير فالتقوا باجنادين فقتل بابل بن قيس وعامة أصحابه وانهزم الباقون ونمى خبر قتله وهزيمة الجيش الى مصعب بن الزبير وهو فى الطريق فولى راجعا الى المدينة ففى ذلك يقول رجل من كلب من المروانية

قتلنا باجنادين سعدا و بابلا قصاصا بما لاقى خنيس ومنذر

ورجع عبد الملك الى دمشق فنزلها وسار ابراهيم بن الاشتر فنزل نصيبين وتحصن منه أهل الجزيرة ثم استخلف على نصيبين ولحق بالمختار بالكوفة وفى سنة سبع وستين سار مصعب بن الزبير من البصرة وقد كان أخوه عبد الله بن الزبير أنفذه الى العراق واليا فنزل حروراء والتقى هو والمختار فكانت بينهم حروب عظيمة وقتل زريع وانهزم المختار وقد قتل محمد بن الاشعث وابنان له ودخل قصر الامارة بالكوفة وتحصن فيه وكان يخرج كل يوم لمحاربة مصعب وأصحابه وأهل الكوفة وغيرهم والمختار معه خلق كثير من الشيعة قد سموا الحسينية من الكيسانية وغيرهم فخرج اليهم ذات يوم وهو على بغلة له شهباء فحمل عليه رجل من بنى حنيفة يقال له عبد الرحمن بن أسد فقتله واحتز رأسه وتنادوا بقتله فقطعه أهل الكوفة وأصحاب مصعب أعضاء وأبى مصعب أن يعطى الامان لمن بقى فى القصر من أصحابه فحاربوا الى أن أضر بهم الجهد ثم أمنهم وقتلهم بعد ذلك فكان ممن قتل مع مصعب عبد الله بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وله خبر مع المختار فى تخلصه منه ومضيه الى البصرة وخوفه على نفسه من مصعب الى أن خرج معه فى جيشه وقد أتينا على خبره وسائر ما أومأنا اليه فى كتابنا أخبار الزمان فكان جملة من ادركه الاحصاء ممن قتله مصعب مع المختار سبعة آلاف رجل كل هؤلاء طالبوا بدم الحسين وقتلوا أعداءه فقتلهم مصعب وسماهم الحسينية وتتبع مصعب الشيعة بالقتل بالكوفة وغيرها وأتى بحرم المختار فدعاهن الى البراءة منه ففعلن الا حرمتين له احداهما بنت سمرة بن جندب الفزارى والثانية ابنة النعمان بن بشير الانصارى وقالتا كيف نتبرأ من رجل يقول ربى الله كان صائم نهاره قائم ليله قد بذل دمه لله ولرسوله فى طلب قتلة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله وشيعته فامكنه الله منهم حتى شفى النفوس فكتب مصعب الى أخيه عبد الله بخبرهما وما قالتاه فكتب اليه ان رجعتا عماهما عليه وتبرأتا منه والا فاقتلهما فعرضهما مصعب على السيف فرجعت بنت سمرة ولعنته وتبرأت منه وقالت لودعوتنى الى الكفر مع السيف لفرت

اشهد أن المختار كافر وابت ابنة النعمان بن بشير وقالت شهادة أرزقهافاتركها كلا انهاموتة ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته والله لايكون آتى مع ابن هند فاتبعه وأترك ابن أبى طالب اللهم اشهد أنى متبعة لنبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته ثم قدمها فقتلت صبرا ففى ذلك يقول الشاعر

ان من أعجب الاعاجيب عندى ... قتل بيضاء حرة عطبول

قتلوها ظلما على غير جرم ... ان لله درها من قتيل

كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جر الذيول

ولم نتعرض فى هذا الكتاب لذكر المهلب وقتله لنافع وذلك فى سنة خمس وستين ونافع هو الذى تنسب اليه الازارقة من الخوارج اذ كنا أتينا فى كتابنا اخبار الزمان على ذكر حروب الخوارج مع المهلب وغيره ممن سلف وخلف وذكرنا شأن مرداس بن عمرو بن بلال التميمى وعطية بن الاسود الحنفى وأبى فديك وسودة الشيبانى ووقعة ابن الماجور الخارجى مع المهلب ومقتله وظفر المهلب بهم فى ذلك اليوم وخبر عبدربه وأخبار خوارج اليمن كابى حمزة المختار بن عوف الازدى وبيهس الهيصمى مع ماتقدم من ذكرنا الفرق الخوارج فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات من الاباضية وهم سراة عمان من الازدوغيرهم من الازارقة والنجدات والحرية والصفرية وغيرهم من فرق الخوارج وبلدانهم من الارض مثل بلاد سنجار وتل أعفر من بلاد ديار ربيعة والسن والبوازيج والحديثة ممايلى بلاد الموصل ثم من سكن من الاكراد بلاد اذربيجان وهم المعروفون بالسراة منهم وأسلم المعروف بابن سادلويه وقد كان ملك على أعمال ابن أبى الساج من بلاد اذربيجان واران والبيلقان وارمينية ومن سكن منهم بلاد سجستان وجبال هراة وهشتانه وبوشنج من بلاد خراسان ومن بلاد مكران على ساحل البحر بين بلاد السند وكرمان وأكثرهم صفرية وحمرية ومنهم ببلاد حمران اصطخر وصاهد بين كرمان وفارس ومنهم ببلاد تيهرت المغرب ومنهم ببلاد حضرموت وغيرها من بقاع الارض وفى سلطنة عبد الملك مات أبو العباس عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب فى سنة ثمان وستين وقيل فى سنة تسع وستين بالطائف وامه لبانة بنت الحرث بن حزن من ولد عامر بن صعصعة وله احدى وسبعون سنة وقيل انه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وقد ذكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن عشر سنين وصلى عليه محمد بن

الحنفية وكان قد ذهب بصره لبكائه على علي والحسن والحسين وكانت له وفرة طويلة يخضب شيبه بالحناء وهو الذي يقول

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير مدخل * وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له حين وضع له الماء للطهر في بيت خالته ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقيل لابن عباس رضي الله عنه مامنع عليا رضي الله عنه أن يبعثك مكان أبي موسى يوم الحكمين فقال منعه من ذلك حائل القدر وقصر المدة ومحنة الابتلاء أما والله لو بعثني مكانه لاعترضت مدارج نفسه ناقضا ماأبرم ومبرما مانقض أسف اذا طار وأطير اذا أسف ولكن مضى قدر وبقي أسف ومع اليوم غد وللآخرة خير للمتقين وكان لابن عباس من الولد علي وهو أبو الخلفاء من بني العباس والعباس ومحمد والفضل وعبد الرحمن وعبيد الله ولبابة وأمهم رعبة بنت مسرح الكندية فاما عبيد الله ومحمد والفضل فلا أعقاب لهم وفي سنة سبعين قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق وهو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان ذا شهامة وفصاحة وبلاغة واقدام وكان بينه وبين عبد الملك محادثات ومكاتبات وخطب طويل طلبا للملك وكان فيما كتب اليه عبد الملك انك لتطمع نفسك بالخلافة ولست لها باهل فكتب اليه عمرو استدراج النعم اياك أفادك البغي ورائحة الغدرة أورثتك الغفلة زجرت عما وافقت عليه وندبت الى ماتركت سبيله ولو كان ضعف الاسباب يؤيس المطالب ماانتقل سلطان ولا ذل عزيز وعن قريب يتبين من صريع بغي وأسير غفلة وقد كان عبد الملك سار الى زفر بن الحارث الكلابي وهو بقرقيسياء وبلاد الرحبة وخلف عمرو بن سعيد بدمشق فبلغه أن عمرا قد دعا الى بيعته بدمشق فكر راجعا اليها فامتنع عمرو فيها فناشده عبد الملك لرحم وقال له لا تفسد أهل بيتك وماهم عليه من اجتماع الكلمة وفيما صنعت قوة ارجع الى بيعتك فاني ساجعل لك العهد فرضي وصالح ودخل عبد الملك وعمرو متحيز منه في نحو خمسمائة يزولون معه حيث زال وقد تنازع اهل السير في كيفية قتل عبد الملك اياه فنهم من رأى أن عبد الملك قال لحاجبه ويحك أتستطيع اذا دخل عمرو ان تغلق الباب قال نعم قال فافعل وكان عمرو رجلا عظيم الكبر لا يرى لاحد عليه فضلا ولا يلتفت وراءه اذا

مشى الى أحد فلما فتح الحاجب الباب دخل عمرو فاغلق الحاجب الباب دون أصحابه ومضى عمرو لا يلتفت وهو يظن أن أصحابه قد دخلوا معه كما كانوا يدخلون فعاتبه عبد الملك طويلا وقد كان وصى صاحب حرسه أبا الزعيزعة بان يضرب عنقه فكلمه عبد الملك واغلظ له القول فقال يا عبد الملك أتستطيل على كانك ترى لك على فضلا ان شئت والله نقضت العهد بيني وبينك ثم نصبت لك الحرب فقال عبد الملك قد شئت ذلك فقال وأنا قد فعلت فقال عبد الملك يا أبا الزعيزعة شأنك فالتفت عمرو الى أصحابه فلم يرهم فى الدار فدنا من عبد الملك فقال ما يدنيك منى قال ليمسنى رحمك وكانت أم عمرو وعمة عبد الملك تحت الحكم بن أبى العاص بن وائل فضربه أبو الزعيزعة فقتله فقال له عبد الملك ارم برأسه الى أصحابه فلما رأوا رأسه تفرقوا ثم خرج عبد الملك فصعد المنبر وذكر عمرا فوقع فيه وذكر خلافه وشقاقه ونزل من وهو المنبر يقول

ادنيته منى لتسكن نفرة * فاصول صولة حازم مستمكن
غضبا وحماة لدينى انه * ليس المسىء سبيله كالمحسن

وقيل ان عمرا خرج من منزله يريد عبد الملك فعثر بالبساط فقالت له امرأته نائلة بنت فريض بن وكيع بن مسعود أنشدك الله أن لا تأتيه فقال دعينى عنك فوالله لو كنت نائما أيقظنى وخرج وهو مكفر بالدرع فلما دخل على عبد الملك قام من هناك من بنى أمية فقال عبد الملك وقد أخذت الابواب انى كنت حلفت لئن ملكتك لاشدنك فى جامعة فاتى بجامعة فوضعها فى عنقه وشدها عليه فايقن عمرو أنه قاتله فقال أنشدك الله يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك يا أبا أمية مالك جئت فى الدرع للقتال فأيقن عمرو بالشر فقال أنشدك الله ان تخرجنى الى الناس فى الجامعة فقال له عبد الملك وتماكرنى أيضا وأنا أمكر منك تريد أن أخرجك الى الناس فيمنعوك ويستنقذوك من يدى وخرج عبد الملك الى الصلاة وأمر أخاه عبد العزيز وقد كان قدم من مصر فى ذلك اليوم بقتله اذا خرج وقد قيل أمر ابنه الوليد بذلك فلما دنا منه عبد العزيز ناشده عمرو بالرحم فتركه فلما رجع عبد الملك من الصلاة ورآه حيا قال لعبد العزيز والله ما أردت قتله من أجلكم الا أن لا يحوزها دونكم ثم أضجعه فقال له عمرو أغدرا يا ابن الزرقاء فذبحه ووافى أخو عمرو يحيى بن سعيد الى الباب بمن معه من رجاله ليكسره فخرج اليه الوليد وموالى عبد الملك فاقتتلوا واختلف الوليد ويحيى فضربه يحيى بالسيف على اليته فانصرع وألقى رأس عمرو الى الناس فلما رأوه تفرقوا من بعد أن ألقى

عليهم من أعلى الدار بدر الدنانير فاشتغلوا بها عن القتال وقال عبد الملك وأبيك لئن كانوا اقتلوا الوليد لقد أصابوا بثارهم وقد كان الوليد فقد حين ضرب وذلك ان ابراهيم بن عدى احتمله فادخله بيت القراطيس فى المعمعة وأتى عبد الملك بيحيي بن سعيد واجتمعت الكلمة على عبد الملك وانقاد الناس اليه وقد قيل فى مقتله غير ماذكرناو قد أتينا على ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا شعر أخته فيه وكانت تحت الوليد بن عبد الملك فيما يرد من هذا الكتاب فى أخبار المنصور اذهو الموضع المستحق له دون هذا الموضع لما تغلغل بنا الكلام وتسلسل بنا القول نحوه وأقام عبد الملك بدمشق بقية سنة سبعين وقد كان مصعب بن الزبير خرج حين صفا له العراق بعد قتل المختار واصحابه حتى انتهى الى الموضع المعروف بباحميراء مما يلى الجزيرة يريد الشأم لحرب عبد الملك فبلغه مسير خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد من مكة الى البصرة فى ولده وعدة من مواليه فاكتشا بيعة عبد الله بن الزبير فنزل ببعض نواحى البصرة وان قوما قد انضافوا اليه من ربيعة ومنهم عبد الله بن الوليد ومالك بن مسمع البكرى وصفوان بن الايهم التميمى وصعصعة بن معاوية عم الاحنف فكانت لهم بالبصرة حروب كانت آخرا على خالد بن عبد الله فخرج هاربا بابنيه حتى لحقوا بعبد الملك وانصرف مصعب راجعا الى البصرة وذلك فى سنة احدى وسبعين ثم عاد من العراق الى باحميراء ففى ذلك يقول الشاعر

أبيت يامصعب الاسيرا   فى كل يوم لك باحميرا

ونزل عبد الملك بن مروان على قرقيسياء فحاصر بها زفر بن الحرث العامرى الكلابى وكان يدعو الى ابن الزبير فنزل على امامته وبايعه وسار عبد الملك فنزل على نصيبين وفيها يزيد والحبيشى موليا الحرث فى الفى فارس ممن بقى من أصحاب المختار يدعو الى امامة محمد بن الحنفية فحاصرهم فنزلوا على امامته وانضافوا الى جملته وخرج مصعب فى أهل العراق وذلك فى سنة اثنتين وسبعين يريد عبد الملك ودلف اليه عبد الملك فى عساكر مصر والجزيرة والشأم فالتقوا بمسكن قرية من ارض العراق على شاطئ دجلة وعلى مقدمة عبد الملك الحجاج بن يوسف بن أبى عقيل الثقفى وقيل على ساقته وقد حمد أمره فى قيامه بما أهل له فكاتب عبد الملك رؤساء أهل العراق ممن هو بعسكر مصعب وغيرهم وصار يرغبهم ويرهبهم فكان فيمن كتب اليه ابراهيم بن الاشتر النخعى فلما أتاه كتابه مع الجاسوس اعتقله فى رحله وأتى مصعبا بالكتاب

قبل أن يفضه و يعلم مافيه فقال له مصعب أقرأته فقال اعوذ بالله أن أقرأه حتى يقرأه الامير وآتى يوم القيامة غادرا قد نقضت بيعته وخلعت طاعته فلما تامل مصعب مافيه وجده أماناله وولاية لماشاء من العراق واقطاع غير ذلك ثم قال ابراهيم لمصعب هل أتاك أحد من أشراف العساكر بكتاب فقال مصعب لا فقال ابراهيم والله لقد كاتبهم وما كاتبني حتى كاتب غيرى ولا امتنعوا من ايصالها اليك الا للرضا به والغدر بك فاطعنى وابدأبهم فأمرهم على السيف او استوثق منهم فى الحديد والق هذا الرجل فابى مصعب ذلك وتحيز ما كان فى عسكره من ربيعة لقتله ابن زياد بن ظبيان البكرى وكان من سادات ربيعة وزعماء بكر بن وائل وسار ابراهيم بن الاشتر على مقدمة مصعب فى مشرعة الخيل فلقى خيل عبد الملك ومقدمته عليها أخوه محمد بن مروان وبلغ عبد الملك ورود ابراهيم ومنازلته محمدا أخاه فبعث الى محمد عزمت عليك أن لا تقاتل فى هذا اليوم وقد كان مع عبد الملك منجم مقدم وقد أشار على عبد الملك أن لا تحارب له خيل فى ذلك اليوم فانه منحوس وليكن حربه بعد ثلاث فانه ينصر فبعث اليه محمد وأنا أعزم على نفسى لاقاتلن ولا ألتفت الى زخاريف منجمك والمحالات من الكذب فقال عبد الملك للمنجم ولمن حضر ألا ترون ثم رفع طرفه الى السماء وقال اللهم ان مصعبا أصبح يدعو الى أخيه واصبحت ادعو لنفسى اللهم فانصر خيرنا الامة محمد صلى الله عليه وسلم فالتقى محمد بن مروان وابن الاشتر ومحمد يرتجز ويقول

مثلى على مثلك أولى بالسلب * محجل الرجلين أعرب الذنب

فاقتتلوا حتى غشيهم المساء فقال عتاب بن ورقاء التميمى وكان مع ابن الاشتر ياابراهيم ان الناس قد جهدوا فمرهم بالانصراف حسدا له لاشرافه على الفتح فقال ابراهيم وكيف ينصرفون وعدوهم بازائهم فقال عتاب فمر الميمنة أن تنصرف فابى ابراهيم ذلك فمضى اليهم عتاب فامرهم بالانصراف فلما زالوا عن مصافهم أكبت ميسرة محمد عليهم واختلط الرجال وصمدت الفرسان لابراهيم واشتبكت عليه الاسنة فبرى منها عدة رماح واسلمه من كان معه فاقتلع من سرجه ودار به الرجال وازدحموا عليه فقتل بعد أن أبلى وفتك فيهم وقد تنوزع فى أخذ رأسه فمنهم من زعم أن ثابت بن يزيد مولى الحصين ابن نمير الكندى هو الذى أخذ رأسه ومنهم من ذكر ان عبيد بن ميسرة مولى بنى يشكر ثم من بنى رفاعة هو الذى أخذ رأسه وأتى عبد الملك بجسد ابراهيم فالقى بين

يديه فاخذه مولى الحصين بن نمير وأخذ حطبا وأحرقه بالنار وسار عبد الملك فى صبيحة تلك الليلة من موضعه حتى نزل بدير الجاثليق من أرض السوداء وأقبل عبيد الله بن زياد بن ظبيان وعكرمة بن أبى الى رايات ربيعة فاضافوها الى عسكر عبد الملك ودخلوا فى طاعته ثم تصاف القوم فافرد مصعب وتخلى عنه من كان معه من مضر واليمن وبقى فى سبعة نفر منهم اسمعيل بن طلحة بن عبيد الله التيمى وابنه عيسى بن مصعب فقال لابنه عيسى يا بنى اركب فانج فالحق بمكة بعمك فاخبره بما صنع بى أهل العراق ودعنى فانى مقتول فقال له لا والله لا يتحدث بنا قريش أنى فررت عنك ولا أحدثهم عنك أبدا فقال له مصعب اما اذ أبيت فتقدم أمامى حتى أحتسبك فتقدم عيسى فقاتل حتى قتل وسأل محمد بن مروان أخاه عبد الملك أن يؤمن مصعبا فاستشار عبد الملك من حضره فقال له على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب لا تؤمنه وقال خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بل أمنه وارتفع الكلام بين على وخالد حتى تسابا على مصافهما فامر عبد الملك أخاه محمدا أن يمضى الى مصعب فيؤمنه ويعطيه عنه ما أراد فمضى محمد ابن مروان وقال أمنك أمير المؤمنين على نفسك ومالك وكل ما احدثت وأن تنزل أى البلاد شئت ولو اراد بك غير ذلك لانزل بك فانشدك الله فى نفسك وأقبل رجل من أهل الشأم الى عيسى بن مصعب ليحتز رأسه فعطف عليه مصعب والرجل غافل فناداه أهل الشأم ويلك يافلان الاشدق أقبل نحوك ولحقه مصعب فقده وعرقب فرس مصعب وبقى راجلا فاقبل عليه عبد الله بن زياد بن ظبيان فاختلفا ضربتين سبق مصعب بالضربة الى رأسه وكان مصعب قد أثخن بالجراح وضربه عبد الله فقتله واحتز رأسه وأتى به عبد الملك فسجد عبد الملك وقبض عبيد الله بن زياد على قائم سيفه فاجتذبه من غمده حتى أتى على أكثره سلا ليضرب عبد الملك فى حال سجوده ثم ندم واسترجع فكان يقول بعد ذلك ذهب الفتك من الناس اذ هممت ولم أفعل فاكون قد قتلت عبد الملك ومصعبا ملكى العرب فى ساعة واحدة وتمثل عبيد الله عند مجيئه برأس مصعب

نعاطى الملوك الحق ماقسطوا النا وليس علينا قتلهم بمحرم

وقال عبد الملك متى تغذو قريش مثل مصعب وكان قد قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وأمر عبد الملك بمصعب وابنه عيسى فدفنا بدير الجاثليق ودعا عبد الملك أهل العراق الى بيعته فبايعوه وقد كان مسلم ابن عمرو الباهلى من صنائع معاوية وابنه يزيد وكان فى ذلك اليوم فى جيش مصعب

فأتى به عبد الملك وقد أخذ له منه الامان فقيل له أنت ميت لا ترجو الحياة لما بك من الجراح فما تصنع بالامان قال ليسلم مالى ويأمن ولدى بعدى فلما وضع بين يدى عبد الملك قال قطع الله يد ضاربك كيف لم يجهز عليك أكفرت صنائع آل حرب معك فأمنه على ماله وولده ومات من ساعته وفى مصرع مصعب بدير الجاثليق من أرض العراق يقول عبد الله بن قيس الرقيات

لقد أورث المصرين عارا وذلة * قتيل بدير الجاثليق مقيم
فما نصحت لله بكر بن وائل * ولا صبرت عند اللقاء تميم
جزى الله بصر ياً بذاك ملامة * ولوفيهم أن المليم مليم

وفى ذلك يقول شاعر أهل الشأم من أبيات

لعمرى لقد أصحرت خيلنا * بأكناف دجلة للمصعب
يهزون كل طويل القنا * ة معتدل النصل والثعلب
اذا ما منافق أهل العرا * ق عوتب يوما فلم يعتب
دلفنا اليه لدى موقف * قليل التفقد للغيب

وقد كان مصعب ذا حسن وجمال وهيئة وكمال فى الصورة وفيه يقول ابن الرقيات من كلمة

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

وقد أتينا على أخبار مصعب وسكينة بنت الحسين زوجه وعائشة بنت طلحة وليلى من نسائه وغير ذلك من أخباره فى الكتاب الاوسط (وحدث) المنقرى قال حدثنى سويد بن سعيد قال حدثنا مروان بن معاوية الفزارى عن محمد بن عبد الرحمن عن أبى مسلم النخعى قال رأيت رأس الحسين جىء به فوضع فى دار الامارة بالكوفة بين يدى عبيد الله بن زياد ثم رأيت رأس عبيد الله بن زياد قد جىء به فوضع فى ذلك الموضع بين يدى مصعب بن الزبير ثم رأيت رأس مصعب بن الزبير قد جىء به فوضع فى ذلك الموضع بين يدى عبد الملك وقد قيل فى وجه آخر من الروايات فرأى عبد الملك منى اضطرابا فسألنى فقلت يا أمير المؤمنين دخلت هذه الدار فرأيت رأس الحسين بين يدى ابن زياد فى هذا الموضع ثم دخلتها فرأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار فيه ثم دخلتها فرأيت رأس المختار بين يدى مصعب بن الزبير وهذا رأس مصعب بين يديك فوقاك الله يا أمير المؤمنين قال فوثب عبد الملك بن مروان وأمر بهدم الطاق الذى على المجلس ذكر هذا الحديث عن الوليد بن خباب وغيره وسار عبد الملك من دير الجاثليق حتى نزل

النخيلة بظهر الكوفة فخرج اليه اهل الكوفة فبايعوه ووافى الناس بما كان وعدهم به فى مكاتبته اياهم سرا وخلع وأجاز وأقطع ورتب الناس على قدر مراتبهم وعمهم ترغيبه وترهيبه وولى على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن اسد وعلى الكوفة بشر بن مروان اخاه وخلف معه جماعة من اهل الراى والمشورة من اهل الشام منهم روح بن زنباع الجذامى وبعث بالحجاج بن يوسف لحرب ابن الزبير بمكة وسار فى بقية اهل الشام الى دار مملكة دمشق وكان بشر بن مروان أديبا ظريفا يحب الشعر والسمر والسماع والمعاقرة وقد كان أخوه عبد الملك قال له ان روحا عمك الذى لا ينبغى أن تقطع أمرا دونه لصدقه وعفافه ومناصحته ومحبته لنا أهل البيت فاحتشم بشر منه وقال لندمائه أخاف ان انبسطنا أن يكتب روح الى أمير المؤمنين بذلك وانى لاحب من الانس والاجتماع ما يحبه مثلى فقال له بعض ندمائه من أهل العراق بحسن مساعدته ولطيف حيلته آنا أكفيك أمره حتى ينصرف عنك الى أمير المؤمنين غير شاك ولا لائم فسر بشر ووعده الجائزة وحسن المكافأة ان هو تأتى له ما وعد به وكان روح شديد الغيرة وله جارية اذا خرج من منزله الى المسجد او غيره ختم بابه حتى يعود بعد ان يقفله فاخذ الفتى دواة وأتى منزل روح عشيا وخرج روح للصلاة فتوصل الفتى الى دخول الدهليز فى حال خروج روح وكمن تحت الدرجة ولم يزل يحتال ليلته حتى توصل الى بيت روح فكتب على حائط فى أقرب المواضع من مرقد روح

يا روح من لبنيات وأرملة * اذا نعاك لاهل المغرب الناعى
ان ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل لنفسك يا روح بن زنباع
ولا يغرنك ابكار ومنعمة * واسمع هديت مقال الناصح الداعى

ورجع الى مكانه بالدهليز فبات فيه فلما أصبح روح خرج الى الصلاة فتبعه غلمانه والفتى متنكر فى جملتهم مختلط بهم فلما عاد روح وافتتح باب حجرته تبين الكتابة وقرأها فراعه ذلك وأنكره وقال ما هذا فوالله ما يدخل حجرتى انسى سواى ولا حظ لى فى المقام ثم نهض الى بشر فقال يا ابن أخى أوصنى بما أحببت من حاجة وسبب عند أمير المؤمنين قال أو تريد الشخوص يا عم قال نعم قال ولم هل أنكرت شيأ او رأيت قبيحا لا يسعك المقام عليه قال لا والله بل جزاك الله عن نفسك وعن سلطانك خيرا ولكن أمر حدث ولا بد لى من الانصراف الى أمير المؤمنين فاقسم عليه أن يخبره فقال له ان أمير المؤمنين قد مات أو هو ميت الى أيام قال ومن أين علمت ذلك فاخبره بخبر

الكتابة وقال ليس يدخل حجرتي غيري وغير جاريتي فلانة وما كتب ذلك الا الجن أو الملائكة فقال له بشر أقم فاني أرجو أن لا يكون لهذا حقيقة فلم يثنه شيء وسار الى الشام فاقبل بشر على الشراب والطرب فلما لقي روح عبد الملك فكر أمره وقال ما اقدامك الا لحادثة حدثت أو لأمر كرهته فاثنى على بشر وحمد سيرته وقال لا بل لامر لا يمكنني ذكره حتى نخلو فقال عبد الملك لجلسائه انصرفوا وخلا بروح فاخبره بقصته وأنشده الابيات فضحك عبد الملك حتى استغرب وقال ثقلت على بشر واصحابه حتى احتالوا الك بما رأيت فلا ترع ولما اتصل قتل مصعب باخيه عبد الله أضرب عن ذكره حتى تحدثت بذلك العبيد والاماء في سكك المدينة ومكة فصعد المنبر وجبينه يرشح فقال الحمد لله ملك الدنيا والآخرة يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير الا انه لن يذل الله من كان الحق معه ولن يعز من كان أولياء الشيطان حزبه انه أتانا خبر من العراق أحزننا وأفرحنا قتل مصعب فاما الذي أحزننا من ذلك فان لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوي من بعد ذلك الى كريم الصبر وجميل العزاء وأما الذي أفرحنا فان القتل له شهادة ويجعل الله له ولنا في ذلك الخيرة أما والله أنا لا نموت حتفا كميتة آل أبي العاص وانا نموت قعصا بالرماح وقتلا تحت ظلال السيوف ألا وان الدنيا عارية من الملك القهار الذي لا يزول سلطانه ولا يتبدل فان تقبل الدنيا علي لا آخذها أخذ الاشر البطر وان تدبر عني لا أبكي عليها بكاء الحزين المهين فاتى الحجاج الطائف فاقام بها شهورا ثم زحف الى مكة فحاصر ابن الزبير بها وكتب الى عبد الملك اني قد ظفرت بابي قبيس فلما ورد كتابه على عبد الملك بحصار ابن الزبير بمكة والظفر بأبي قبيس كبر عبد الملك فكبر من في داره واتصل التكبير بمن في جامع دمشق فكبروا واتصل ذلك باهل الاسواق ثم سألوا عن الخبر فقيل لهم ان الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة وظفر بابي قبيس فقالوا لا نرضى حتى يحمله الينا مكبلا على رأسه برنس على جمل يمر بنا في الاسواق الترابي الملعون وكان حصار الحجاج لابن الزبير بمكة هلال ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وفيها قتل مصعب ومنع ابن الزبير الحجاج أن يطوف بالبيت ووقف الحجاج بالناس محرما في درع ومغفر وهو من ابناء احدى وثلاثين سنة ونحر ابن الزبير بمكة ولم يخرج الى عرفة بسبب الحجاج فكانت مدة حصار الحجاج لابن الزبير بمكة خمسين ليلة ودخل ابن الزبير على امه اسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه

وقد بلغت مائة سنة لم تقع لها سن ولا ابيض لها شعر ولم ينكر لها عقل على حسب ماقدمنا من خبرها فى هذا الكتاب فقال يا امه كيف تجدينك قالت انى لشاكية يا بنى فقال لها ان فى الموت راحة قالت لعلك تمنيه لى وما أحب أن أموت حتى ياتى على احد طرفيك اما قتلت فأحتسبك واما ظفرت فقرت عينى بك وأوصى عبد الله بما يحتاج من أمره وأمر نساءه اذا بلغن الواعية عليه ان يضممن امه اسماء اليهن وكان عروة بن الزبير على رأى عمه عبد الملك بن مروان وكان كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره بتعاهد عروة وان لا يسوءه فى نفسه وماله فخرج عروة الى الحجاج ورجع الى أخيه فقال هذا خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعمرو بن عثمان بن عفان يعطيانك امان عبد الملك على ما احدثت أنت ومن معك وان تنزل أى البلاد شئت لك بذلك عهد الله وميثاقه وغير ذلك من الكلام فأبى عبد الله قبول ذلك وقالت له امه اسماء أى بنى لا تقبل خطة تخاف على نفسك منها مخافة القتل مت كريما واياك أن تؤسر أو تعطى بيديك فقال يا امه انى اخاف أن يمثل بى بعد القتل فقالت يا بنى وهل تتألم الشاة من السلخ بعد الذبح ودخلوا على ابن الزبير فى المسجد وقت الصلاة وقد التجأ الى البيت وهم ينادون يا ابن ذات النطاقين فقال ابن الزبير متمثلا

وعيرها الواشون انى أحبها * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ونظر الى طائفة منهم قد اقبلوا نحوه بالسيوف فقال لاصحابه من هؤلاء قالوا أهل مصر قال قتلة عثمان امير المؤمنين ورب الكعبة فحمل عليهم فضرب رجلا منهم به أدمة فقده وقال صبرا يا ابن حام وتكاثر عليه الرجال من أهل الشأم ومصر فلم يزل يضرب فيهم حتى أخرجهم عن المسجد ورجع الى البيت وهو يقول

ولست بمبتاع الحياة بسبية * ولا ابتغى من رهبة الموت أسلما

فاستلم الحجر ثم تكاثروا عليه فحمل عليهم وهو يقول

قدسن اصحابك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق

فأتاه حجر فصك جبينه فادماه وأوضحه فقال

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على اقدامنا تقطر الدما

فكشفهم عن المسجد ورجع الى من بقى من اصحابه عند البيت فقال لهم ألقوا أغماد السيوف وليصن كل منكم سيفه كما يصون وجهه لا ينكسر سيف أحدكم فيقعد كالمرأة ولا يسال رجل منكم اين عبد الله من يسال عنى فانى فى الرعيل الاول ثم

أنشأ يقول يارب ان جنود الشام قد كثروا * وهتكوا من حجاب البيت استارا

يارب انى ضعيف الركن مضطهد * فابعث الى جنودا منك أنصارا

وتكاثر أهل الشأم عليه ألوفا من كل باب فحمل عليهم فشدخ بالحجارة فانصرع وأكب عليه موليان له وأحدهما يقول العبد يحمى ربه ويحتمى حتى قتلوا جميعا وتفرق من كان معه من أصحابه وأمر به الحجاج فصلب بمكة وكان مقتله يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين وكلمت أسماء أمه الحجاج فى دفنه فابى عليها فقالت للحجاج أشهد انى لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير فاما الكذاب فهو المختار وأما المبير فاأظنك الاهو وسنذكر لمعا من أخبار الحجاج فيما يرد من هذا الكتاب وان كنا قد أتينا على مبسوطها فيما تقدم من كتبنا وأقام الحجاج واليا على مكة والمدينة والحجاز واليمن واليمامة ثلاث سنين ثم جمع له العراق بعد موت بشر بن مروان بالبصرة ومات جابر بن عبد الله الانصارى فى أيام عبد الملك بالمدينة وذلك فى سنة ثمان وسبعين وقد ذهب بصره وهو ابن نيف وتسعين سنة وقد كان قدم الى معاوية بدمشق فلم يأذن له أياما فلما أذن له قال يامعاوية أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حجب ذا فاقة وحاجة حجبه الله يوم فاقته وحاجته فغضب معاوية وقال له لقد سمعته يقول انكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تردوا على الحوض أفلا صبرت قال ذكرتنى ما نسيت وخرج فاستوى على راحلته ومضى فوجه اليه معاوية بستمائة دينار فردها وكتب اليه

وانى لاختار القنوع على الغنى * اذا اجتمعا والماء بالبارد المحض

وأقضى على نفسى اذا الامر نابنى * وفى الناس من يقضى عليه ولا يقضى

وألبس أثواب الحياء وقد أرى * مكان الغنى أن لا أهين له عرضى

وقال لرسوله قل له والله ياابن آكلة الاكباد لا وجد فى صحيفتك حسنة انا سببها أبدا ومات محمد بن الحنفية فى سنة احدى وثمانين فى أيامه بالمدينة ودفن بالبقيع وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان باذن ابنه أبى هاشم وكان محمد يكنى بابى القاسم وقبض وهو ابن خمس وستين وقيل انه خرج الى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات بها وقيل انه مات ببلاد أيلة وقد تنوزع فى موضع قبره وقدمنا قول الكيسانية ومن قال منهم انه بجبل رضوى وكان له من الولد الحسن وأبو هاشم والقاسم وابراهيم (حدثنا) نصر بن على قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى عن يونس بن أبى اسحق قال حدثنا سهيل بن عبيد بن عمر

الخابورى قال كتب ابن الحنفية الى عبد الملك ان الحجاج قد قدم بلدنا وقد خفته فاحب ان لاتجعل له على سلطانا بيد ولا لسان فكتب عبد الملك الى الحجاج ان محمد ابن على كتب الى يستعفينى منك وقد أخرجت يدك عنه فلم أجعل لك عليه سلطانا بيد ولا لسان فلا تتعرض له فلقيه فى الطواف فعض على شفته ثم قال لم يأذن لى فيك أمير المؤمنين فقال له محمد ويحك أو ما علمت أن لله تبارك وتعالى فى كل يوم وليلة ثلثمائة وستين لحظة أو قال نظرة لعله أن ينظر الى منها بنظرة أو قال بلحظة فيرحمنى فلا يجعل لك على سلطانا بيد ولا لسان قال فكتب بها الحجاج الى عبد الملك فكتب بها عبد الملك الى ملك الروم وقد كان توعده فكتب اليه ملك الروم ليست هذه من سجيتك ولا من سجية آبائك ما قالها الا نبى أو رجل من أهل بيت نبى (وذكر) الشعبى قال انفذنى عبد الملك الى ملك الروم فلما وصلت اليه جعل لا يسألنى عن شىء الا أجبته وكانت الرسل لا تطيل الاقامة عنده فحبسنى أياما كثيرة حتى استحببت خروجى فلما اردت الانصراف قال لى من أهل بيت المملكة أنت قلت لا ولكنى رجل من العرب فى الجملة فهمس بشىء فدفعت الى رقعة وقيل لى اذا أديت الرسائل عند وصولك الى صاحبك أوصل اليه هذه الرقعة قال فاديت الرسائل عند وصولى الى عبد الملك ونسيت الرقعة فلما صرت فى بعض الدار اذ بدأت بالخروج تذكرتها فرجعت فاوصلتها اليه فلما قرأها قال لى أقال لك شيأ قبل أن يدفعها اليك قلت نعم قال لى من أهل بيت المملكة انت قلت لا ولكنى رجل من العرب فى الجملة ثم خرجت من عنده فلما بلغت الباب رددت فلما مثلت بين يديه قال لى اتدرى ما فى الرقعة قلت لا قال اقرأها فلما اقرأتها فاذا فيها عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره فقلت له والله لو علمت ما حملتها وانما قال هذا لانه لم يرك قال أفتدرى لم كتبها قلت لا قال حسدنى عليك وأراد ان يغرينى بقتلك قال فتأدى ذلك الى ملك الروم فقال ما اردت الا ما قال وذكر عند معاوية عبد الملك فقال هو آخذ بثلاث وتارك لثلاث آخذ بقلب الناس اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث وبايسر الامرين اذا خولف تارك للمماراة تارك للغيبة تارك لما يعتذر منه وقال لعبد الملك بعض جلسائه يوما أريد الخلوة بك فلما خلا به قال له عبد الملك بشرط ثلاث خصال لا تطرنى فى عندك فانا اعلم بها منك ولا تغتب عندى احدا فلست اسمع منك ولا تكذبنى فلا رأى لمكذب قال أتاذن فى الانصراف قال اذا شئت وذكر الهيثم وغيره من الاخباريين أن عبد الملك بلغه عن عامل من عماله أنه قبل

الهدايا فاشخصه اليه فلما دخل عليه قال له أقبلت هدية منذ وليت قال يا أمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيتك على أفضل حال قال أجب فيما سالتك عنه اقبلت هدية منذ وليتك قال نعم قال ان كنت قبلت ولم تعوض انك للئيم ولئن كنت أنت مهديها من غير مالك أو استكفيته مالم يكن مثله مستكفاه انك لخائن جائر وفيما أتيت أمر لا تخلو فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع وأمر بصرفه عن عمله ﴿ حدث ﴾ المنقرى عن الضبى قال قال الوليد بن سحق قال قال ابن عباس كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية وأمها أم كلثوم بنت عبدالله بن عامر تحت عبدالملك بن مروان فغضبت عليه فطلب رضاها بكل شئ فابت عليه وكانت أحب الناس اليه فشكا ذلك الى خاصته فقال له عمر و بن بلال رجل من بنى أسد كان قد تزوج بنت زنباع الجذامى مالى عليك ان أرضيتها قال أحكمك فخرج وجلس ببابها يبكى فقالت خاصتها مالك أباحفص قال فزعت الى ابنة عمى فاستأذنوا الى عليها فاذنت له وبينهما استر فقال قد عرفت حالى مع أمراء المؤمنين معاوية ويزيد ومروان وعبدالملك ولم يكن لى غير ابنين فعدا أحدهما على الآخر فقتله فقال أمير المؤمنين انا قاتل المتعدى قلت له انا ولى الدم وقد عفوت فأبى على وقال ما أحب أن أعود رعيتى هذا وهو قاتله بالغداة فانشدك الله الا ما طلبته منه فقالت لا أكلمه قال ما أظنك تكسبين شيا هو أفضل من أحياء نفس ولم يزل خواصها وخدمها وحاشيتها حتى قالت على بثيابى فلبست وكان بينها وبين عبدالملك باب وكانت قد ردمته فامرت بفتحه ثم دخلت فاقبل الخصى يشتد فقال يا أمير المؤمنين هذه عاتكة قال ويلك ورأيتها قال نعم اذ طلعت وعبدالملك على سريره فسلمت فسكت فقالت أما والله لولا مكان عمر و بن بلال ما أتيتك آلله أن عدا أحد ابنيه على الآخر فقتله وهو ولى الدم وقد عفا أعزمت لتقتلنه قال إى والله وهو راغم فأخذت بيده فاعرض عنها فاخذت برجله فقبلتها فقال هو لك وتراضيا بعد أن فكحها ثلاثا وراح عبدالملك فجلس مجلسه للخاصة فدخل عمر و بن بلال فقال له يا أباحفص ألطفت الحيلة فى القيادة ولك الحكم فقال يا أمير المؤمنين ألف دينار ومزرعة بما فيهما من الآلات والرقيق قال هى لك قال وفرائض لولدى وأهل بيتى قال وذلك كله وبلغ عاتكة الخبر فقالت ويلى على القواد انما خدعنى وكتب عبدالملك الى الحجاج ان صف لى الفتنة فكتب اليه ان الفتنة ليست بالنجوى وتخص بالشكوى وتنتج بالخطب فكتب اليه انك قد أصبت واحسنت

الصفة قال اردت أن يستقيم لك من قبلك فخزعهم بالجماعة وأعطهم عطاء الفرقة والصق بهم الحاجة (وحدثنا) المنقرى قال حدثنا أبو الوليد الصباح بن الوليد قال حدثنا أبو رياش عتبة بن نعامة عن مقلس بن سابق الدمشقى ثم السكسكى أن عبد الملك لما بلغه خلع ابن الاشعث صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان أهل العراق استعجلوا قدرى قبل انقضاء أجلى اللهم لا تسلطنا على من هو خير منا ولا تسلط علينا من نحن خير منه اللهم سلط سيف أهل الشأم على أهل العراق حتى يبلغ رضاك فاذا بلغه فلا تجاوز سخطك وكتب عبد الملك الى الحجاج أنت سالم فلم يعرف ما أراد بذلك فكتب الى قتيبة يسأله عن ذلك وبعث الكتاب مع رسول فلما ورد الى قتيبة وناوله الكتاب ضرط الرسول فخجل واستحيا فقرأ قتيبة وأراد أن يقول له اقعد فقال اضرط قال قد فعلت فاستحيا قتيبة وقال ما أردت الا أن أقول لك اقعد فغلطت فقال قد غلطت انا وغلطت أنت قال قتيبة ولا سواء أغلط أنا من فمى وتغلط أنت من استك اعلم أمير المؤمنين أن سالما كان عبدا لرجل وكان عنده أسيرا وكان يسعى به اليه كثيرا فقال

يديرونى عن سالم وأديرهم * وجلدة بين العين والانف سالم

فاراد عبد الملك انك عندى بمنزلة سالم فلما أتى الحجاج بالرسالة كتب له عهدا على خراسان وقد حكى نحو هذا الخبر عن رجل كان فى مجلس خالد بن عبد الله القسرى فضرط فلما حضر الغداء قام ذلك الرجل فقال له خالد اقعد فابى فقال له أقسمت عليك لتضرطن قال قد ضرطت فخجل خالد واعتذر اليه وأمر له بمال وأهدى الى عبد الملك أترسة مكللة بالدر والياقوت فاعجبته وعنده جماعة من خاصته وأهل خلوته فقال لرجل من جلسائه اسمه خالد اغمز منها ترسا وأراد ان يمتحن صلابته فقام فغمزه فضرط فاستضحك عبد الملك فضحك جلساؤه فقال كم دية الضرطة فقال بعضهم أربعمائة درهم وقطيفة فامر له بذلك فانشأ يقول رجل من القوم

أيضرط خالد من غمز ترس * ويحبوه الامير بها بدورا
فيالك ضرطة جلبت غناء * ويالك ضرطة أغنت فقيرا
يود الناس لو ضرطوا فنالوا * من المال الذى أعطى عشيرا
ولو نعلم بان الضرط يغنى * ضرطنا أصلح الله الاميرا

فقال عبد الملك أعطوه أربعة آلاف درهم ولا حاجة لنا فى ضراطك (وحدث) أحمد ابن سعيد الدمشقى والطوسى وغيرهما فى كتاب الاخبار المعروف بالموفقيات عن

الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن عتبة بن أبي لهب قال حج عبد الملك في بعض أعوامه فأمر للناس بالعطاء فخرجت بدرة مكتوب عليها من الصدقة فأبى أهل المدينة من قبولها وقالوا انما كان عطاؤنا من الفيء فقال عبد الملك وهو على المنبر يامعشر قريش مثلنا ومثلكم أن أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا في ظل شجرة تحت صفاة فلما دنا الرواح خرجت اليهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فالقته اليهما فقالا ان هذا لمن كنز فاقاما عليها ثلاثة أيام كل يوم تخرج اليهما دينارا فقال أحدهما لصاحبه الى متى ننتظر هذه الحية ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه فنهاه أخوه وقال ماندري لعلك تعطب ولا تدرك المال فأبى عليه وأخذ فاسا معه ورصد الحية حتى خرجت فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها فثارت الحية فقتلته ورجعت الى جحرها فقام أخوه فدفنه وأقام حتى اذا كان من الغد خرجت الحية معصوبا رأسها ليس معها شيء فقال لها ياهذه اني والله مارضيت ماأصابك ولقد نهيت أخي عن ذلك فهل لك ان نجعل الله بيننا أن لا تضريني ولا أضرك وترجعين الى ما كنت عليه قالت الحية لا قال ولم ذلك قالت اني لاعلم أن نفسك لا تطيب لي أبدا وأنت ترى قبر أخيك ونفسي لا تطيب لك أبدا وأنا أذكر هذه الشجة وأنشدهم شعر النابغة

فقالت أرى قبرا تراه مقابلي * وضربة فاس فوق رأسي فاغره

فيامعشر قريش وليكم عمر بن الخطاب فكان فظا غليظا مضيقا عليكم فسمعتم له وأطعتم ثم وليكم عثمان فكان سهلا فعدوتم عليه فقتلتموه وبعثنا عليكم مسلما يوم الحرة فقتلنا كم فنحن نعلم يامعشر قريش أنكم لا تحبوننا أبدا وأنتم تذكرون يوم الحرة ونحن لانحبكم أبدا ونحن نذكر قتل عثمان (وحدث) المدائني وابن دأب ان روح بن زنباع جليس عبد الملك رأى منه اعراضا وجفوة فقال للوليد بن عبد الملك أماترى ماأنافيه من أمير المؤمنين باعراضه عني بوجهه حتى لقد فغرت السباع بافواهها نحوي وأهوت بمخاليبها الى وجهي فقال له الوليد احتل له في حديث تضحكه به كما احتال مرزبان نديم سابور بن ملك فارس قال روح وما كان من خبره مع الملك قال الوليد كان مرزبان هذا من سمار سابور فظهرت له من سابور جفوة فلما علم ذلك تعلم نباح الكلاب وعوى الذئاب ونهيق الحمير وزقاء الديوك وشحيج البغل.

وصهيل الخيل ومثل هذا ثم توصل الى موضع يقرب من مجلس خلوة الملك وفراشه وأخفى أثره فلما خلا الملك نبح نباح الكلاب فلم يشك الملك أنه كلب فقال الملك ماهذا فعوى عى الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير فمضى الملك هاربا ومضى الغلمان يتبعون الصوت فكلما دنوا منه ترك ذلك الصوت وأحدث صوتا آخر من أصوات البهائم فاحجموا عنه ثم اجتمعوا فاقتحموا عليه فاخرجوه فلما نظروا اليه قالوا للملك هذا مرزبان المضحك فضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ويلك ماحملك على هذا قال ان الله مسخنى كلبا وحمارا وكل خلق لما غضبت على فامر الملك بالخلع عليه ورده الى مرتبته التى كان فيها وتجدد للملك به سرور فقال روح للوليد اذا اطمان المجلس بامير المؤمنين فاسالنى عن عبدالله بن عمر هل كان يمزح أو يسمع مزاحا قال الوليد افعل وكان ابن عمر صاحب سلامة لا يمزح ولا يعرف شيا من المزاح فتقدم الوليد وسبقه بالدخول فتبعه روح فلما اطمان بهما مجلس عبد الملك قال الوليد ياأبا زرعة هل كان ابن عمر يمزح أو يسمع المزاح قال روح حدثنى ابن أبى عتيق ان امرأته عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية هجته فقالت

ذهب الاله بما تعيش به * وقمرت عيشك أيما قمر
انفقت مالك غير محتشم * فى كل زانية وفى خمر

وكان ابن أبى عتيق صاحب غزل وفكاهة فاخذ هذين البيتين فى رقعة وخرج فاذا هو بابن عمر فقال ياأباعبدالله انظر فى هذه الرقعة وأشر على برأيك فيها فلما قرأها عبدالله استرجع فقال له ماترى فيمن هجانى بهذا الشعر قال ارى ان تعفو وتصفح قال والله يا اباعبد الرحمن لئن لقيته بناحية لانيكنه فيكاجيدا فاخذ ابن عمر خذلة ورعدة واربد لونه وقال مالك غضب الله عليك قال ماهو لاماقلت لك وافترقا فلما كان بعد ايام لقيه فاعرض عنه ابن عمر فقال ياابا عبد الرحمن انى لقيت صاحب البيتين ونكته فصعق عبدالله بن عمر فلما راى ماحل به دنا منه وقال له فى اذنه انها امرأتى فقبل ما بين عينيه وضحك وقال أحسنت فزدها فضحك عبد الملك حتى فحص برجله وقال له قاتلك الله ياروح ماأطيب حديثك ومد يده اليه فقام اليه روح فاكب عليه وقبل أطرافه وقال ياأمير المؤمنين الذنب فأعتذر ام الملالة فأصبر وأرجو عاقبتها قال لا والله ماذاك لشيء تكرهه ثم عاد الى احسن حالاته (وقد حكى) مثل هذا عن عبد الملك بن مهلهل الهمذانى وكان سمير السليمان بن المنصور وكان سليمان قد جفاه فاتاه يوما فى قائم

الظهيرة واحتدام الهجير فاستأذن فقال له الحاجب ليس هذا بوقت اذن على الامير فقال أعلمه بمكاني فدخل فاستأذن له فقال له سليمان مره يسلم قائما ويخفف فخرج الحاجب فاذن له وامره بالتخفيف فدخل فسلم قائما ثم قال اصلح الله الامير اني انصرفت بالامس الى نحو منزلي وقد امسيت فبينا انا في طريقي اذا اذن مؤذن فدنوت ثم صعدت الى مسجد مغلق فصعدت ثم صعدت ثم صعدت قال سليمان فبلغت السماء فكان ماذا قال فتقدم انسان اما كردي او طمطاني فام القوم بكلام ما افهمه ولغة ما اعرفها فقال ويل لكل ومة رما أمالا وعدده قال بر يدويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده فاذا خلفه سكران ما يعقل سكرا فلما سمع قراءته ضرب بيديه ورجليه وجعل يقول ايرعنكي درليلكي في حرام قارئك ومصليك فضحك سليمان حتى تمرغ على فراشه وقال ادن مني يا ابا محمد فانت اطيب امة محمد ثم دعا بخلعة وقال الزم الباب واغد في كل يوم وعاد الى احسن حالاته عنده

﴿ ذكر جمل من اخبار الحجاج وخطبه وما كان منه في بعض افعاله ﴾

كانت ام الحجاج عند الحرث بن كلدة فدخل عليها في السحر فوجدها تتخلل فبعث اليها بطلاقها فقالت لم بعثت الى بطلاقي ألشيء رابك مني قال نعم دخلت عليك السحر وأنت تتخللين فان كنت بادرت الغداء فانت شرهة وان كنت بت والطعام بين أسنانك فانت قذرة فقالت كل ذلك لم يكن لكني تخللت من شظايا السواك فتزوجها بعده يوسف بن عقيل الثقفي أبو الحجاج فولدت له الحجاج بن يوسف مشوها لا دبر له فنقب عن دبره وأبى ان يقبل ثدي أمه وغيرها فاعياهم أمره فيقال ان الشيطان تصور لهم في صورة الحرث بن كلدة فقال ما خبركم فقالوا ابني ولد ليوسف من الفارعة وكان اسمها وقد أبى ان يقبل ثدي امه فقال اذبحوا جديا أسود وأولغوه دمه فاذا كان في اليوم الثاني فافعلوا به كذلك فاذا كان في اليوم الثالث فاذبحوا له تيسا أسود وأولغوه دمه ثم اذبحوا له أسود سالخا فاولغوه دمه واطلوا به وجهه فانه يقبل الثدي في اليوم الرابع قال ففعلوا به ذلك فكان بعد لا يصبر عن سفك الدماء لما كان منه في بدء امره هذا وكان الحجاج يخبر عن نفسه ان اكثر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره ولا سبق اليها سواه (حدثنا) أبو جعفر محمد بن سليمان بن داود البصري المنقري قال حدثني ابن عائشة وغيره قال سمعت ابي يقول لما غلبت الخوارج على البصرة بعث اليهم عبد الملك جيشا

فهزموه ثم بعث اليهم آخر فهزموه فقال من للبصرة والخوارج فقيل له ليس لهم الا المهلب بن ابى صفرة فبعث الى المهلب فقال على ان لى خراج ما اجليتهم عنه قال اذن تشركنى فى ملكى قال فثلثاه قال لا قال فنصفه والله لا أنقص منه شيأ على ان تمدنى بالرجال فاذا أحللت فلا حق لك على فجعلوا يقولون ولى عبد الملك على العراق رجلا ضعيفا وجعل يقول بعثت المهلب حتى يحارب الخوارج فركب دجلة ثم كتب المهلب الى عبد الملك انه ليس عندى رجال اقاتل بهم فاما بعثت الى بالرجال وإما خليت بينهم وبين البصرة فخرج عبد الملك الى أصحابه فقال ويلكم من للعراق فسكت الناس وقام الحجاج فقال أنا لها قال اجلس ثم قال ويلكم من للعراق فصمتوا وقام الحجاج وقال انا لها قال اجلس ثم قال ويلكم من للعراق فصمتوا وقام الحجاج الثالثة فقال والله أنا لها يا أمير المؤمنين قال أنت زنبورها فكتب اليه عهده فلما بلغ القادسية أمر الجيش أن يقيلوا وان يروحوا وراءه ودعا بجمل عليه قتب فجلس عليه بغير خشبة ولا وطاء وأخذ الكتاب بيده ولبس ثياب السفر وتعمم بعمامته حتى دخل الكوفة وحده فجعل ينادى الصلاة جامعة وما منهم رجل جالس فى مجلسه الا ومعه العشرون والثلاثون وأكثر ذلك من أهله ومواليه وصعد المنبر متلثما متنكبا قوسه فجلس واضعا ابهامه على فيه فقال بعضهم لبعض قوموا حتى نحصبه قال له بعض أهل بيته أصلحك الله اكفف عن الرجل حتى نسمع ما يقول فمن قائل يقول حصر الرجل فما يقدر على الكلام ومن قائل يقول أعرابى ما أبصر حجته فلما غص المجلس باهله حسر اللثام عن وجهه ثم قام ونحى العمامة عن رأسه فوالله ما حمد الله ولا أثنى عليه ولا صلى على نبيه وكان أول ما بدأهم به أن قال

انا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى اضع العمامة تعرفونى

انى والله لارى ابصارا طامحة واعناقا متطاولة ورءوسا قد اينعت وحان قطافها وانى انا صاحبها كانى انظر الى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى

هذا اوان الحرب فاشتدى زيم * قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعى ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

وقال

قد لفها الليل بعصلبى * اروع خراج من الدوى * مهاجر ليس باعرابى

وقال قد شمرت عن ساقها فكدوا * وجدت الحرب بكم فجدوا

والقوس فيها وترعرد * مثل ذراع البكر وأشد

ان أمير المؤمنين نثر كنانته فوجدني أمرها طعما واحدها سنانا وأقواها قداحا فان تستقيموا تستقم لكم الامور وان تاخذوا الى بثنيات الطريق تجدوني لكل مرصد مرصدا والله لاأقيل لكم عثره ولاأقبل منكم عذره ياأهل العراق ياأهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق والله ماأغمز بغامز التنين ولا يقعقع لي بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة والله لالحونكم لحو العود ولاعصبنكم عصب السلمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل ولاقرعنكم قرع المروة ياأهل العراق طالما سعيتم في الضلالة وسلكتم سبيل الغواية وسننتم سنن السوء وتماديتم في الجهالة ياعبيد العصا وأولاد الاماء أنا الحجاج بن يوسف أنا والله لاأعد الا وفيت ولاأحلف الا بريت فاياكم وهذه الزرافات والجماعات وقال وقيل وما يكون وما هو كائن وما أنتم وذاك يابنى اللكيعة لينظر الرجل في أمر نفسه وليحذر أن يكون من فرائسي ياأهل العراق انما مثلكم كما قال الله عز وجل كمثل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الآية فاسرعوا واستقيموا واعتدلوا ولا تميلوا وشايعوا وبايعوا واصفحوا واعلموا أنه ليس منى الاكثار والاهذار ولا منكم الفرار والنفار انما هو انتضاء السيف ثم لاأغمده في شتاء ولا صيف حتى يقيم الله لامير المؤمنين أودكم ويذل به صعبكم انى نظرت فوجدت الصدق مع البر ووجدت البر في الجنة ووجدت الكذب مع الفجور ووجدت الفجور في النار ألا ان أمير المؤمنين أمرني باعطائكم واشخاصكم الى محاربة عدوكم مع المهلب وقد أمرتكم بذلك وأجلت لكم ثلاثا وأعطيت الله عهدا يؤاخذني به ويستوفيه منى أن لاأجد أحدا من بعث المهلب بعدها الا ضربت عنقه وانتهبت ماله ياغلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقال الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الى من بالعراق من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فانى احمد الله اليكم فقال الحجاج اسكت ياغلام ثم قال مغضبا ياأهل العراق والنفاق والشقاق ومساوى الاخلاق ياأهل الفرقة والضلال يسلم عليكم امير المؤمنين فلا تردون عليه السلام اما والله لئن بقيت لكم لألحونكم لحو العود ولأؤدبنكم ادبا سوى هذا الادب هذا ادب ابن سمية وهو صاحب شرطة كان بالعراق اقرأ ياغلام الكتاب فلما بلغ السلام قال اهل المسجد وعلى امير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته ثم نزل وامر للناس باعطائهم والمهلب يومئذ بمهرجان يقاتل الازارقة فلما كان اليوم الثالث جلس الحجاج بنفسه يعرض الناس فمر به عمير بن ضابئ البرجمي

ثم احـدبنى الحـدادية وكان من اشراف اهـل الـكوفة وكان من بعث المهلب فقال اصلح الله الامير انى شيخ كبير زمن عليل ضعيف ولى عدة اولاد فليختر الامير ايهم شاء مكانى اشدهم ظهرا واكرمهم فرسا واتمهم اداة قال الحجاج لاباس بشاب مكان شيخ فلما ولى قال له عنبسة بن سعيد ومالك بن اسماء اصلح الله الامير اتعرف هذا قال لا قال هو عمير بن ضابئ التميمى الذى وثب على امير المؤمنين عثمان وهو مقتول فكسر ضلعا من أضلاعه فقال انه كان حبس أبى شيخا كبيرا ضعيفا فلم يطلقه حتى مات فى سجنه فقال الحجاج أما امير المؤمنين عثمان فتغزوه بنفسك وأما الازارقة فتبعث اليهم بالبدل أو ليس أبوك الذى يقول

همت ولم أفعل وكدت وليتنى فعلت واوليت البكاء حلائله

أما والله ان فى قتلك أيها الشيخ لصلاح المصرين ثم أقبل يصعد بصره اليـه ويعض على لحيته مرة ويسرحها أخرى ثم أقبل عليه فقال يا عمير سمعت مقالتى على المنبر فقال نعم قال والله انه لقبيح بمثلى ان يكون كذابا قم اليه يا غلام فاضرب عنقه ففعل فلما قتل ركب الناس كل صعب وذلول وخرجوا على وجوههم يريدون المهلب فازدحموا على الجسر حتى سقط بعض الناس فى الفرات فاتاه صاحب الجسر فقال أصلح الله الامير قد سقط بعض الناس فى الفرات قال ويحك ولم ذلك قال أهل هذا البعث ازدحموا على الجسر حتى ضاق بهم قال انطلق فاعقد لهم جسرين وخرج عبد الله بن الزبير الاسدى مذعورا حتى اذا كان عند الجامين لقيه رجل من قومه يقال له ابراهيم فقال له ما الخبر فقال ابن الزبير الشر الشر قتل عمير من بعث المهلب وانشأ يقول

أقول لابراهيم لما لقيته أرى الامر أمسى مهلكا متصعبا
تجهز فاما أن تزور ابن ضابئ عميرا واما ان تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما ركوبك حيرانا من البلج اشهبا
فاضحى ولو كانت خراسان دونه رآها مكان السوق أو هو اقربا
والا فما الحجاج مغمد سيفه مدى الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

وخرج الناس هربا الى السواد وأرسلوا الى اهاليهم ان زودونا ونحن بمكاننا وقال الحجاج لصاحب الجسر افتح ولا تحل بين احد وبين الخروج ووجه العراض الى المهلب فما أتت على المهلب عاشرة حتى ازدحموا عليـه فقال من هذا الذى استعمل على العراق من هذا الذى ذكر الرحال فويل والله للعدوان شاء الله تعالى وقد كان الحجاج استعمل عبد

الرحمن بن محمد بن الاشعث على سجستان و بست والرخج فحارب من هنالك من امم الترك وهم أنواع من الترك يقال لهم الطغرغر والجلج وحارب من يلى تلك البلاد من ملوك الهند مثل زنبيل وغيره وقدقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب مراتب ملوك الهند وغيرهم من ملوك العالم وذكرنا مملكة كل واحد منهم والصقع الذى هو به وذوى السياسات منهم و بينا ان كل ملك يلى هذا الصقع من بلاد الهند يقال له زنبيل فخلع ابن الاشعث طاعة الحجاج وصار الى بلاد كرمان فثنى بخلع عبد الملك وانقاد الى طاعته أهل الرى والجبال مما بين الكوفة والبصرة وغيرهما وسار الحجاج الى البصرة وسار الاشعث اليه فكانت له حروب عظيمة وفى عبد الرحمن بن الاشعث يقول

خلع الملوك وسار تحت لوائه شجر العرى وعراعر الاقدام

وكتب الحجاج بن يوسف الى عبد الملك يعلمه بخبر ابن الاشعث فكتب اليه عبد الملك لعمرى لقد خلع طاعة الله بيمينه وسلطانه بشماله وخرج من الدين عريانا وانى لارجو ان يكون هلاكه وهلاك أهل بيته واستئصالهم فى ذلك على يد امير المؤمنين وما جوابه عندى فى خلع الطاعة الاقول القائل

أناة وحلما وانتظارا بهم غدا فما انا بالقالى ولا الضرع الغمر
اظن صروف الدهر بينى وبينكم ستحملكم منى على مركب وعر
الم تعلموا انى تخاف عزائمى وان قناتى لا تلين على الكسر

ودخل ابن الاشعث الكوفة وكتب الحجاج كتابا الى عبد الملك يذكر فيه جيوش ابن الاشعث وكثرتها ويستنجد عبد الملك ويسأله الامداد وقال فى كتابه واغوثاه بالله واغوثاه بالله واغوثاه بالله فامده بالجيوش وكتب اليه يالبيك يالبيك يالبيك فالتقى الحجاج وابن الاشعث بالموضع المعروف بديرا لجماجم فكانت بينهم وقائع نيف وثمانون وقعة تفانى فيها خلق وذلك فى سنة اثنتين وثمانين وكانت على ابن الاشعث فمضى حتى انتهى الى ملوك الهند ولم يزل الحجاج يحتال فى قتله حتى قتل واتى برأسه فعلا الحجاج منبر الكوفة فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا اهل العراق ان الشيطان استبطنكم فخالط اللحم منكم والعظم والاطراف والاعضاء وجرى منكم مجرى الدم وافضى الى الاضلاع والامخاخ فحشى ماهناك شقاقا واختلافا ونفاقا ثم أربع فيه فعشش و باض فيه ففرخ واتخذتموه دليلا تتابعونه وقائدا تطاوعونه ومؤامرا تستامرونه ألستم أصحابى بالاهواز حين سعيتم

بالغدر بي فاستجمعتم علي وحيث ظننتم ان الله سيخذل دينه وخلافته واقسم بالله اني لارا كم بطرفي وانتم تتسللون لواذا منهزمين سراعا مفترقين كل امرئ منكم على عنقه السيف رعبا وجبنا ويوم الزاوية وما يوم الزاوية بها كان فشلكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم وتوليكم على اكتافكم السيوف هاربين لا يسأل الرجل عن بنيه ولا يلوي امرؤ على أخيه حين عض لكم السلاح وقصفتكم الرماح ويوم دير الجماجم بها كانت الملاحم والمعارك العظائم

ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

فما الذي ارجوه منكم يا أهل العراق ام ما الذي أتوقعه ولماذا أستبقيكم ولاي شئ ادخركم أللعجرات بعد العدوات أم للنزوة بعد النزوات وما الذي أراقب بكم وما الذي انتظر فيكم ان بعثتم الى ثغوركم جبنتم وان امنتم أو خفتم نافقتم لا تجزون بحسنة ولا تشكرون نعمة يا أهل العراق هل استنبحكم نابح أو استشلاكم عاق أو استخفكم ناكث أو استنفركم عاص الا تابعتموه وبايعتموه وآويتموه وكنفتموه يا أهل العراق هل شعب شاعب أو نعب ناعب أو دبي كاذب الا كنتم أنصاره واشياعه يا أهل العراق لم تنفعكم التجارب وتحفظكم المواعظ أو تعظكم الوقائع هل يجمع في صدوركم ما أوقع الله بكم عند مصادر الامور ومواردها يا أهل الشأم انما لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفي عنهن القذى ويعفهن من المطر ويحفظهن من الذباب ويحميهن من سائر الدواب لا يخلص اليهن معه قذى ولا يفضي اليهن بذاء ولا يمسهن اذى يا اهل الشأم انتم العدة والعدد والجند والحرب ان حارب محارب أو جانب مجانب وما أنتم وأهل العراق الا كما قال نابغة بني جعدة

وأن تداعيكم حظهم ولم ترزقوه ولم نكذب
كقول اليهود قتلنا المسيح ولم يقتلوه ولم يصلب

في أبيات ولما أسرف الحجاج في قتل أسارى دير الجماجم واعطى الاموال بلغ ذلك عبد الملك فكتب اليه أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء وتبذيرك في الاموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لاحد من الناس وقد حكم عليك أمير المؤمنين في الدماء في الخطا الدية وفي العمد القود وفي الاموال ردها الى مواضعها ثم العمل فيها برأيه فانما أمير المؤمنين امين الله وسيان عنده منع حق واعطاء باطل فان كنت أردت الناس له فما أغناهم عنك وان كنت اردتهم لنفسك فما أغناك عنهم

وسياتيك من أمير المؤمنين أمر ان لين وشدة فلا يؤنسنك الا الطاعة ولا يوحشنك الا المعصية وظن بامير المؤمنين كل شئ الا احتمالك على الخطا واذا أعطاك الظفر على قوم فلا تقتلن جانحا ولا اسيرا وكتب فى أسفل كتابه

اذا أنت لم تطلب امورا كرهتها ... وتطلب رضائى بالذى انت طالبه
وتخشى الذى يخشاه مثلى هاربا ... الى الله منه ضيع الدر حالبه
فان ترمنى غفلة قرشية ... فيارب ما قد غص بالماء شاربه
وان ترمنى وثبة اموية ... فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
فلا تامنى والحوادث جمة ... فانك مجزى بما انت كاسبه
ولا تعد ماياتيك منى وان تعد ... يقوم بها يوما عليك نوادبه
ولا تدفعن للناس حقا علمته ... ولا تعطين ماليس لله جانبه

وهى أبيات من جيد مااخترناه من قول عبد الملك فلما قرأ الحجاج كتابه كتب أما بعد فقد أتانى كتاب امير المؤمنين يذكر فيه سرفى فى الدماء وتبذيرى فى الاموال ولعمرى ما بلغت فى عقوبة أهل المعصية ماهم أهله وماقضيت حق أهل الطاعة بما استحقوه فان كان قتلى أولئك العصاة سرفا واعطائى أولئك المطيعين تبذيرا فليسوغنى أمير المؤمنين ماسلف وليحد لى فيه حدا أنتهى اليه ان شاء الله تعالى ولا قوة الا بالله و والله ماعلى من عقل ولا قود ما أصبت القوم خطأ فاديهم ولا اعطيتهم الا لك ولا قتلت الا فيك واما انا منتظره من أمريك فالينهما عاده واعظمهما محنه فقد عبأت للعدة الجلاد وللمحنة الصبر وكتب فى أسفل كتابه

اذا أنا لم أتبع رضاك واتقى ... أذاك فيومى لا تزول كواكبه
ومالامرئ بعد الخليفة جنة ... تقيه من الامر الذى هو كاسبه
أسالم من سالمت من ذى قرابة ... ومن لم تسالمه فانى محاربه
اذا قارف الحجاج منك خطيئة ... فقامت عليه فى الصباح نوادبه
اذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه ... وأقصى الذى تسرى الى عقاربه
فمن ذا الذى يرجو نوالى و يتقى ... مصاولتى والدهر جم نوائبه
فقف بى على حد الرضا لا اجوزه ... مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعنى والامور فاننى ... شفيق رفيق أحكمتنى تجاربه

وهى ابيات من جيد مااخترناه من شعر الحجاج فلما انتهى كتابه الى عبد الملك قال

خاف أبو محمد صولتي ولن أعود لشيء يكرهه (وحدث) حماد الراوية ان الحجاج سهر ليلة بالكوفة فقال لحرسي ائتني بمحدث من المسجد فاعترض رجلا جسيما عظيما فقال أجب الامير فانطلق به حتى ادخله اليه فلم يسلم ولا نطق حتى قال له الحجاج ايه ماعندك فقال له الرجل إيه ماعندك فقال للحرسي أخرجه اخرج الله نفسك امرتك أن تأتيني بمحدث فأتيتني بمرعوب قدذهب فؤاده فخرج الحجاج ومعه صرة دراهم الى المسجد فجعل يناول الناس فياخذونها حتى انتهى الى شيخ فاعطاه فنبذها فاعادها الحجاج فردها ففعل ذلك الحجاج ثلاثا فدنا منه الحجاج وقال انا الحجاج ودخل القصر وقال للحرسي الحقني به فدخل فسلم بلسان ذلق وقلب شديد فقال له الحجاج ممن الرجل فقال من بني شيبان قال مااسمك قال سيرة بن الجعد قال ياسيرة هل قرات القرآن قال جمعته في صدري وان عملت به فقد حفظته وان لم أعمل به فقد ضيعته قال فهل تفرض قال اني لافرض الصلب واعرف الاختلاف في الجد قال فهل تبصر الفقه قال اني لابصر مااقوم به اهلي وارشد ذا العمى من قومي قال فهل تعرف النجوم قال اني لاعرف منازل القمر وما اهتدى به في السفر قال فهل تروى الشعر قال اني لاروى المثل والشاهد قال المثل قد عرفناه فما الشاهد قال اليوم يكون للعرب من أيامها عليه شاهد من الشعر فاني أروى ذلك الشاهد فاتخذه الحجاج سميرا فلم يك يطلب شيا من الحديث الا وجد عنده منه علما وكان يرى رأى الخوارج من اصحاب قطرى بن الفجاءة التميمي والفجاءة أمه وكانت من بني شيبان وانما هو رجل من تميم وكان قطرى يومئذ يحارب المهلب فبلغ قطريا مكان سيرة من الحجاج فكتب اليه بابيات منها

لشتان مابين ابن جعد و بيننا ... اذا نحن رحنا في الحديد المظاهر
نجاهد فرسان المهلب كلنا ... صبور على وقع السيوف البواتر
وراح يجر الخز عند أميره ... أمير بتقوى ربه غير آمر
اباالجعد اين العلم والحلم والنهى ... وميراث آباء كرام العناصر
ألم تر أن الموت لاشك نازل ... ولا بد من بعث الالى في المقابر
حفاة عراة والتراب لديهم ... فمن بين ذي ربح وآخر خاسر
فان الذي قد فلت يفنى وانما ... حياتك في الدنيا كوقعة طائر
فراجع ابا جعد ولاتك مغضبا ... على ظلمة اعشت جميع النواظر

وتب توبة تهدى اليك شهادة　　فانك ذو ذنب ولست بكافر
وسر نحونا تلق الجهاد غنيمة　　تفدك ابتياعا رابحا غير خاسر
هى الغاية القصوى الرغيب ثوابها　　اذا قال فى الدنيا الغنى كل تاجر

فلما قرأ كتابه بكى وركب فرسه واخذ سلاحه ولحق بقطرى وطلبه الحجاج فلم يقدر عليه ولم يرع الحجاج الا وكتاب قد بدر منه فيه شعر قطرى الذى كان كتب به اليه وفى اسفل الكتاب الى الحجاج ابيات منها

فمن مبلغ الحجاج ان سميره * قلا كل دين غير دين الخوارج
راى الناس الامن راى مثل رايه * ملاعين تراكين قصد المخارج
فاقبلت نحو الله بالله واثقا * وماكر بتى غير الاله بفارج
الى عصبة اما النهار فانهم * هم الاسد اسد الغيل عند التهايج
واما اذا ما الليل جن فانهم * قيام بانواح النساء النواشج
ينادون للتحكيم تالله انهم * راوا حكم عمرو كالرياح الهوائج
وحكم ابن قيس مثل ذاك فاعصموا * بحبل شديد المتن ليس بناهج

فطرح الحجاج هذا الكتاب الى عنبسة بن سعيد فقال هذا من سميرنا الشيبانى وهو من الخوارج ولا نعلم به ولابى الجعد سيرة بن الجعد سمير الحجاج هذا اشعار كثيرة منها قوله من ابيات

عجبت لحالات البلاء وللدهر * وللحين يأتى المرء من حيث لايدرى
وللناس يأتون الضلالة بعدما * أتاهم من الرحمن نور من البدر
ولله لايخفى عليه صنيعنا * حفيظ علينا فى المقام وفى السفر
علا فوق عرش فوق سبع ودونه * سماء يرى الارواح من دونها تجرى

وقد قيل ان هذا الشعر لغيره من الخوارج ولاصناف الخوارج أخبار حسان من الازارقة والاباضية وغيرهما قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وذكرنا ما اتفقت عليه الخوارج واجتمعت عليه من الاصول من اكفارهم عثمان وعليا والخروج على الامام الجائر وتكفير من ركب الكبائر والبراءة من الحكمين أبى موسى عبدالله بن قيس الاشعرى وعمرو بن العاص السهمى وحكمهما والبراءة ممن صوب حكمهما أو رضى به واكفار معاوية وناصريه ومقلديه ومحبيه فهذا ما اتفقت عليه الخوارج من الشراة والحرورية ثم اختلفوا بعد ذلك فى مواضع العبارة عن

التوحيد والوعد والوعيد والامامة وغير ذلك من آرائهم وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى باب ذكر الحكمين أن أول من حكم بصفين عروة بن أدية التميمى وقيل ان أول من حكم بصفين يزيد بن عاصم المحاربى وقيل ان أول من حكم رجل من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم وكان أول من شرى بصفين من المحكمة رجل من بنى يشكر وكان من وجوه ربيعة ممن كان مع على فانه حكم فى ذلك اليوم قال لا حكم الا لله ولا طاعة لمن عصى الله وخرج عن الصف فحمل على اصحاب على فقتل منهم رجلا ثم حمل على اصحاب معاوية فتحاموه ولم يقدر على قتل أحد منهم وكر على أصحاب على فقتله رجل من همدان وقد أتى الهيثم بن عدى وابو الحسن المدائنى وأبو البخترى القاضى وغيرهم على أخبار الخوارج وأصنافهم فيما أفردوه من كتبهم وذكر أصحاب المقالات فى الآراء والديانات ماتنازعوا فيه من مذاهبهم وذلك فى كتابنا فى المقالات فى أصول الديانات وذكرنا من خرج منهم من وقت التحكيم فى عصر عصر الى آخر من خرج منهم بديار ربيعة على بنى حمدان وذلك فى سنة ثمان عشرة وثلثمائة وهو المعروف بعرون وخرج ببلاد كفر بيوثى وورد الى نصيبين فكانت له مع أهلها حرب اسرفيها وقتل منهم خلق عظيم والمعروف بابى شعيب خرج فى بنى مالك وغيرهم من ربيعة وقد كان أدخل على المقتدر بالله وقد كان بعد العشرين والثلثمائة للاباضية ببلاد عمان مما يلى بلاد بروى وغيرها حروب وتحكيم وخروج وامام نصبوه فقتل وقتل من كان معه وفى سنة سبع وسبعين كانت للحجاج حروب مع شبيب الخارجى وولى عنه الحجاج بعد قتل ذريع كان فى أصحابه حتى أحصى عددهم بالقضيب فدخل الكوفة وتحصن فى دار الامارة ودخل شبيب وامه وزوجته غزالة الكوفة عند الصباح وقد كانت غزالة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلى فيه ركعتين تقرأ فيهما سورة البقرة وآل عمران فاتوا الجامع فى سبعين رجلا فصلوا به الغداة وخرجت غزالة مما كانت أوجبته على نفسها فقال الناس بالكوفة فى تلك السنة

وفت الغزالة نذرها * يارب لا تغفر لها

وكانت الغزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم وكذلك أم شبيب وقد كان عبد الملك حين بلغه خبر هرب الحجاج وتحصنه فى دار الامارة بالكوفة من شبيب بعث من الشأم بعساكر كثيرة عليها سفيان بن الابرد الكلبى لقتال شبيب فقدم على الحجاج بالكوفة فخرجوا الى شبيب فحاربوه فانهزم شبيب وقتلت الغزالة وأمه

ومضى شبيب فى فوارس من أصحابه واتبعه سفيان من أهل الشأم فلحقه بالاهواز فولى شبيب فلما حصل على جسر دجيل نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر فالقاه فى الماء فقال له بعض أصحابه أغرقا يا أمير المؤمنين قال ذلك تقدير العزيز العليم فالقاه دجيل ميتا بشطه فحمل على البريد الى الحجاج فامر الحجاج بشق بطنه واستخراج قلبه فاستخرج فاذا هو كالحجر اذا ضربت به الارض قباعنها فشق فاذا فى داخله قلب صغير كالكرة فشق فاصيب علقة الدم فى داخله وفى سنة اثنتين وثمانين قتل الحجاج ابن القرية لخروجه مع ابن الاشعث وانشائه الكتب له ووضعه الصدور والخطب وكان ابن القرية من البلاغة والعلم والفصاحة بالموضع الموصوف وقد أتينا على خبر مقتله وما كان من كلامه مع الحجاج وقد كان قتله صبرا فى الكتاب الاوسط وأن قتله إياه كان بالسيف وقيل بل قدم اليه فضربه الحجاج بحربة فى نحره فأتى عليه وابن القرية القائل الناس ثلاثة عاقل وأحمق وفاجر فاما العاقل فان الدين شريعته والحلم طبيعته والرأى الحسن سجيته ان نطق أصاب وان كلم أجاب وان سمع العلم وعى وان سمع الفقه روى واما الاحمق فان تكلم عجل وان حدث ذهل وان حمل على القبيح حمل وأما الفاجر فان استأمنته خانك وان صاحبته شانك وان استكتم لم يكتم وان علم لم يعلم وان حدث لم يصدق وان فقه لم يفقه (وذكر المدائنى) أن الحجاج لم يكن يظهر لندمائه منه بشاشة ولا سماحة فى الخلق الا فى يوم دخلت عليه ليلى الاخيلية فقال لها بلغنى أنك مررت بقبر توبة بن الحمير وعدلت عنه فوالله ماوفيت له ولو كان هو بمكانك وانت بمكانه ماعدل عنك قالت أصلح الله الامير لى عذر قال وماهو قال سمعته وهو يقول

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت * على وفوقى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

وكان معى نسوة قد سمعن قوله فكرهت أن أكذبه فاستحسن الحجاج قولها وقضى حوائجها وانبسط فى محادثتها فلم يرمنه بشاشة وأريحية داخلته مثل ذلك اليوم (وذكر) حماد الرواية غير هذا الوجه وهو ان زوج ليلى حلف عليها وقد اجتاز بقبر توبة ليلا أن تنزل وتأتى وتسلم عليه وتكذبه حيث يقول وذكر البيتين المتقدمين قال وابت ان تفعل فاقسم عليها زوجها فنزلت حتى جاءت الى القبر دموعها على صدرها كغر السحاب فقالت السلام عليك يا توبة فلم تستتم النداء حتى انفرج

القبر عن طائر كالحمامة البيضاء فضربت صدرها فوقعت ميتة فاخذوا فى جهازها وكفنها ودفنت الى جانب قبره وللعرب فيما ذكرنا كلام كثير على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى آرائهم ومذاهبهم فى الهام والصدى والصفر وقد كانت العرب تعقل الى جانب قبر الميت اذا دفن ناقة وتجعل عليه برذعة وخشبة يسمونها البلية وقد ضربوا بذلك امثالهم وذكره خطباؤهم فى خطبهم فقالوا البلايا على الولايا وقد كان بعضهم يتطير بالسانح ويتيامن بالبارح وبعضهم يضاد هذا فيتطير بالبارح ويتيامن بالسانح فاهل نجد يتيامنون بالسانح وأهل التهائم بالضد من ذلك على حسب ما قدمنا من قول عبيد الراعى فيما سلف من هذا الكتاب (حدثنا) المنقرى قال حدثنا عبد العزيز بن الخطاب الكوفى قال حدثنا فضيل بن مرزوق قال لما غلب بسر بن أرطاة على اليمن وكان من قتله لابنى عبد الله بن العباس وأهل مكة والمدينة ما كان قام على بن أبى طالب رضى الله عنه خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ان بسر بن أرطاة قد غلب على اليمن والله ما أرى هؤلاء القوم الا سيغلبون على ما فى أيديهم وما ذلك بحق فى أيديهم ولكن بطاعتهم واستقامتهم ومعصيتكم لى وتناصرهم وتخاذلكم واصلاح بلادهم وافساد بلادكم وتالله يا أهل الكوفة لوددت أنى صرفتكم صرف الدنانير العشرة بواحد ثم رفع يديه فقال اللهم انى قد مللتهم وملونى وسئمتهم وسئمونى فابدلنى بهم خيرا منهم وابدلهم بى شرا منى اللهم عجل عليهم بالغلام الثقفى الذيال الميال يأكل خضرها ويلبس فروها ويحكم فيها بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنها ولا يتجاوز عن مسيئها قال وما كان ولد الحجاج يومئذ (حدثنا) الجوهرى عن سليمان بن أبى شيخ الواسطى عن محمد بن يزيد عن سفيان بن حسين قال سال الحجاج (١) الجوهرى ما النعمة قال الامن فانى رأيت الخائف لا ينتفع بعيش قال زدنى قال الصحة فانى رأيت السقيم لا ينتفع بعيش قال زدنى قال الشباب فانى رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش قال زدنى قال الغنى فانى رأيت الفقير لا ينتفع بعيش قال زدنى قال لا اجد مزيدا (حدثنا) الجوهرى عن مسلم بن ابراهيم أبى عمرو الفراهيدى عن الصلت بن دينار قال مرض الحجاج فارجف أهل الكوفة فلما تماثل من علته صعد المنبر وهو يتثنى على أعواده فقال ان أهل الشقاق والنفاق نفخ الشيطان فى مناخرهم فقالوا مات الحجاج ومات الحجاج فمه والله ما أرجو الخير كله

---

(١) قوله سال الحجاج الجوهرى هكذا بالاصول ولعله آخر غير الراوى

الا بعد الموت ومارضى الله الخلود لاحد من خلقه فى الدنيا الا لا هو نهم عليه ابليس والله لقد قال العبد الصالح سليمان بن داود رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى فكان ذلك ثم اضمحل فكأن لم يكن يا أيها الرجل وكلكم ذلك الرجل كأنى بكل حى ميت وبكل رطب يابس وقد نقل كل امرئ بثياب ظهره الى حفرته فخدله فى الارض ثلاث اذرع طولا فى ذراعين عرضا فأكلت الارض لحمه وضمت من صديده ودمه وانقلب الحبيبان يقتسم أحدهما صاحبه حبيبه من ولده يقتسم حبيبته من ولده ماله أما الذين يعلمون فسيعلمون ما أقول والسلام (حدثنا) المنقرى عن مسلم بن ابراهيم أبى عمرو الفرهيدى عن الصلت بن دينار قال سمعت الحجاج يقول قال الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فهذه لله وفيها مثنوية وقال واسمعوا واطيعوا وهذه لعبد الله وخليفة الله ونجيب الله عبد الملك أما والله لو أمر الناس ان يدخلوا فى هذا الشعب فدخلوا فى غيره لكانت دماؤهم لى حلالا عذيرى من اهل هذه الحيراء يلقى أحدهم الحجر الى الارض ويقول الى أن يبلغها يكون فرج الله لاجعلنهم كالرسم الدائر وكالأمس الغابر عذيرى من عبد هذيل يقرأ القران كانه رجز الاعراب اما والله لو ادركته لضربت عنقه يعنى عبد الله بن مسعود عذيرى من سليمان بن داود يقول رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى كان والله فيما علمت عبدا حسودا بخيلا (وحدثنا) المنقرى عن عبيد بن ابى السرى عن محمد بن هشام بن السائب عن ابيه عن عبد الرحمن بن السائب قال قال الحجاج يوما لعبد الله بن هانئ وهو رجل من أود حى من اليمن وكان شريفا فى قومه وقد شهد مع الحجاج مشاهده كلها وشهد معه تحريق البيت وكان من انصاره وشيعته والله ما كافأناك بعد ثم ارسل الى اسماء ابن خارجة وكان من فزارة ان زوج عبد الله بن هانئ ابنتك فقال لا ولا كرامة فدعا له بالسياط فقال انا ازوجه فزوجه ثم بعث الى سعيد بن قيس الهمدانى رئيس اليمامة ان زوج عبد الله بن هانئ ابنتك قال ومن اود والله لا ازوجه ولا كرامة قال هاتوا السيف قال دعنى حتى اشاور اهلى فشاورهم فقالوا ازوجه لا يقتلك هذا الفاسق فزوجه فقال له الحجاج يا عبد الله قد زوجتك بنت سيد فزارة وابنة سيد همدان وعظيم كهلان وما اود هنالك فقال لا تقل اصلح الله الامير ذلك فان لنا مناقب ما هى لاحد من العرب قال وما هذه المناقب قال ما سب امير المؤمنين عثمان فى نادلنا قط قال هذه والله منقبة قال وشهد منا صفين مع امير المؤمنين معاوية سبعون رجلا وما شهد مع ابى تراب

منا الا رجل واحدكان والله ماعلمته امرأ سوءقال وهذه والله منقبة قال ومامنا احد تزوج امراة تحت ابى تراب ولا تولاه قال وهذه والله منقبة قال ومامنا امراة الا نذرت ان قتل الحسين ان تنحر عشر جزائر لها ففعلت قال وهذه والله منقبة قال ومامنا رجل علم من أبيه شتم ابى تراب ولعنه الا فعل وقال وأزيدكم ابنيه الحسن والحسين وامهما قال وهذه والله منقبة قال وما أحد من العرب له من الملاحة والصباحة مالنا وضحك وكان دميما شديد الادمة مجدورا فى رأسه عجر مائل الشدق احول قبيح الوجه مائل الحولة (المنقرى) عن جعفر بن عمرو الحرصى عن مجدى بن رجاء قال سمعت عمران بن مسلم بن أبى بكر الهذلى يقول سمعت الشعبى يقول أتى بى الحجاج موثقا فلما دخلت عليه استقبلنى يزيد بن مسلم فقال انا لله ياشعبى على ما بين دفتيك من العلم وليس بيوم شفاعة بؤ للامير بالشرك وبالنفاق على نفسك فبالحرى أن تنجو منها فلما دخلت استقبلنى محمد بن الحجاج فقال لى مثل مقالة يزيد فلما مثلت بين يدى الحجاج فقال وأنت ياشعبى فيمن خرج علينا وكثر قلت نعم أصلح الله الامير أحزن بنا المبرك وأجدب الجناب وضاق المسلك واكتحلنا السهاد واستحلسنا الخوف ووقعنا فى فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء قال صدق والله مابروا بخروجهم علينا ولا قووا اذ فجروا أطلقوا عنه قال الشعبى ثم احتاج الى فريضة فقال ماتقول فى أخت وأم وجد قلت اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وزيد وعلى وعثمان ابن عباس قال فما قال فيها ابن عباس فلقد كان معنيا قلت جعل الجد أبا وأعطى الام الثلث ولم يعط الاخت شيأ قال فما قال فيها عبد الله قلت جعلها من ستة فاعطى الاخت النصف وأعطى الام السدس وأعطى الجد الثلث قال فما قال فيها زيد قلت جعلها تسعة فاعطى الام ثلاثة وأعطى الاخت سهمين واعطى الجد أربعة قال فما قال فيها أمير المؤمنين وعثمان قلت جعلها اثلاثا قال فما قال فيها أبو تراب قلت جعلها ستة أعطى الاخت النصف وأعطى الام الثلث واعطى الجد السدس قال فضرب بيده على انفه وقال انه المرء يرغب عن قوله (المنقرى) عن أبى عبد الرحمن العتبى عن ابيه قال اراد الحجاج الحج فخطب الناس وقال ياأهل العراق انى قد استعملت عليكم محمدا وبه الرغبة عنكم اما انكم لاتستاهلونه وقد اوصيته فيكم خلاف وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصار فانه اوصى ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أوصيته ان لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم اما انى اذا وليت عنكم انكم تقولون لا احسن الله

له الصحابة وما منعكم من تعجيله الا الفراق وانا اعجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة ثم نزل (العتبى) عن عبد الغنى بن محمد بن جعفر عن الهيثم بن عدى عن ابى عبد الرحمن الكنانى عن ابن عباس الهمدانى عن عبيد بن ابى المخارق قال استعملنى الحجاج على الفلوجة فقلت اهمنا دهقان يستعان برأيه فقالوا جميل بن صهيب فارسلت اليه فجاءنى شيخ كبير قد سقط حاجباه على عينيه فقال ازعجتنى وانا شيخ كبير قلت اردت يمنك وبركتك ومشورتك فامر بحاجبيه فرفعا بخرقة حرير وقال ما حاجتك قلت استعملنى الحجاج على الفلوجة وهو ممن لا يؤمن شره فاشر على قال ايما احب اليك رضا الحجاج او رضا بيت المال او رضا نفسك قلت ان ارضى كل هؤلاء واخاف الحجاج فانه جبار عنيد قال فاحفظ عنى أربع خلال افتح بابك ولا يكن لك حاجب فيأتيك الرجل وهو على ثقة من لقائك وهو اجدر ان يخافك عمالك واطل الجلوس لاهل عملك فانه قلما اطال عامل الجلوس الا هيب مكانه ولا تخلف حكمك بين الناس وليكن حكمك على الشريف والوضيع سواء فلا يطمع فيك احد من اهل عملك ولا تقبل من اهل عملك هدية فان مهديها لا يرضى من ثوابها الا باضعافها مع ما فى ذلك من المقالة القبيحة ثم اسلخ ما بين اقفيتهم الى عجوب اذنابهم فيرضوا عنك ولا يكون للحجاج عليك سبيل (المنقرى) عن يوسف بن موسى القطان عن جرير عن المغيرة عن الربيع بن خالد قال سمعت الحجاج يخطب على المنبر وهو يقول اخليفة احدكم فى اهله اكرم عليه ام رسوله فى حاجته فقلت لله على ان لا اصلى خلفك ابدا ولئن رايت قوما يجاهدونك لاقاتلنك معهم فقاتل فى دير الجماجم حتى قتل (المنقرى) عن العتبى عن ابيه أن الحجاج وجه الغضبان بن القبعثرى الى بلاد كرمان ليأتيه بخبر ابن الاشعث عند خلعه ففصل من عنده فلما صار ببلاد كرمان ضرب خباءه ونزل فاذا هو باعرابى قد اقبل عليه فقال السلام عليك فقال له الغضبان كلمة مقولة قال له الاعرابى من اين جئت قال من ورائى قال واين تريد قال امامى قال وعلام جئت قال على فرسى قال وفيم جئت قال فى ثيابى قال اتاذن لى ان أدنو اليك قال وراءك اوسع لك قال والله ما اريد طعامك ولا شرابك قال لا تعرض بهما فوالله لا تذوقهما قال اوليس عندك الا ما ارى قال بل هراوة من ارزن اضرب بها راسك قال ان الرمضاء قد احرقت قدمى قال بل عليهما يبردان قال فكيف ترى فرسى هذا قال اراه خيرا من شر منه وارى آخر افره

منه قال قد علمت هذا قال لو علمته ماسالتني عنه فتركه الاعرابي وولى ثم دخل على عبد الرحمن بن الاشعث فقال ماوراءك ياغضبان قال الشر تغد بالحجاج قبل ان يتعشى بك ثم صعد المنبر فخطب بمعايب الحجاج والبراءة منه ودخل ابن الاشعث في امره فلم يلبث الا قليلا ثم اسر ابن الاشعث فاخذ الغضبان فيمن أسر فلما ادخل على الحجاج قال ياغضبان كيف رايت بلاد كرمان قال اصلح الله الامير بلاد ماؤها وشل وثمرها دقل ولصها بطل والخيل بها ضعاف وان كثر الجند بها جاعوا وان قلوا ضاعوا قال الست صاحب الكلمة الخبيثة تغد بالحجاج قبل ان يتعشى بك قال اصلح الله الامير مانفعت من قيلت له ولاضرت من قيلت فيه قال لأقطعن يديك ورجليك من خلاف ثم لاصلبنك قال لااري الامير اصلحه الله يفعل ذلك فامر به فقيد والقي في السجن فاقام به حتى بني الحجاج خضراء واسط فلما استتم بناؤها جلس في صحنها وقال كيف ترون قبتي هذه قالوا مابني لخلق قبلك مثلها قال فان فيها مع ذلك عيبا فهل فيكم مخبري به قالوا والله مانرى بها عيبا فامر باحضار الغضبان فاتي به يرسف في قيوده فلما دخل عليه قال له الحجاج اراك ياغضبان سمينا قال ايها الامير القيد والرتعة ومن يكن ضيف الامير يسمن قال فكيف ترى قبتي هذه قال ارى قبة مابنى لاحد مثلها الا ان بها عيبا فان امنني الامير اخبرته به قال قل آمنا قال بنيت في غير بلدك لغير ولدك لاتتمتع به ولا تنعم فالما لايتمتع فيه من طيب ولا لذة قال ردوه فانه صاحب الكلمة الخبيثة قال اصلح الله الامير ان الحديد قد اكل لحمي وبرى عظمي فقال احملوه فلما استقل به الرجال قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال انزلوه فلما استوى على الارض قال اللهم انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين قال جروه فلما جروه قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم قال اطلقوا عنه (المنقرى) عن عبد الله ابن محمد بن حفص التميمي عن الحسين بن عيسى الحنفي قال لما هلك بشر بن مروان وولى الحجاج العراق بلغ ذلك اهل العراق فقام الغضبان بن القبعثرى الشيباني بالمسجد الجامع بالكوفة خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يااهل العراق ويااهل الكوفة ان عبد الملك قد ولى عليكم من لايقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم الظلوم الغشوم الحجاج الا وان لكم من عبد الملك منزلة بما كان منكم من خذلان مصعب وقتله فاعترضوا هذا الخبيث في الطريق فاقتلوه فان ذلك لايعد منكم خلعا فانه متى يعلوكم على متن منبركم وصدر سريركم وقاعة قصركم ثم قتلتموه عد خلعا فاطيعوني

وتغدوا به قبل ان يتعشى بكم فقال له اهل الكوفة جبنت يا غضبان بل فنتظر سيرته فان راينا منكرا غيرناه قال ستعلمون فلما قدم الحجاج الكوفة بلغته مقالته وأمر به فاقام فى حبسه ثلاث سنين حتى ورد على الحجاج كتاب من عبد الملك يامره ان يبعث اليه بثلاثين جارية عشرا من النجائب وعشرا من قعد النكاح وعشرا من ذوات الاحلام فلما نظر الى الكتاب لم يدر ما وصفه من الجوارى فعرضه على أصحابه فلم يعرفوه فقال له بعضهم أصلح الله الامير ينبغى أن يعرف هذا من كان فى أوليته بدويا فله معرفة أهل البدو ثم غزا فله معرفة أهل الغزو ثم شرب الشراب فله بداء أهل الشراب قال وأين هذا قيل فى حبسك قال ومن هو قيل الغضبان الشيبانى فاحضر فلما مثل بين يديه قال أنت القائل لاهل الكوفة يتغدون بى قبل ان أتعشى بهم قال أصلح الله الامير مانفعت من قالها ولا ضرت من قيلت فيه قال ان أمير المؤمنين كتب الى كتابا لم أدر مافيه فهل عندك شىء منه قال يقرأ على فقرئ عليه فقال هذا بين قال وماهو قال أما النجيبة من النساء فالتى عظمت هامتها وطال عنقها وبعد ما بين منكبيها وثدييها واتسعت راحتها وتخنت ركبتها فهذه اذا جاءت بالولد جاءت به كالليث وأما قعد النكاح فهن ذوات الاعجاز منكسرات الثدى كثيرات اللحم يقرب بعضهن من بعض فأولئك يشفين القرم ويروين الظمآن وأما ذوات الاحلام فبنات خمس وثلاثين الى الاربعين فتلك التى تبسه كما تبس الحالب الناقة فتستخرجه من كل شعر وظفر وعرق قال الحجاج أخبرنى بشر النساء قال أصلح الله الامير شرهن الصغيرة النقبة الحديدة الركبة السريعة الوثبة الواسطة فى نساء الحى التى اذا غضبت غضب لها مائة واذا سمعت كلمة قالت لا والله لا أنتهى حتى أقرها قرارها التى فى بطنها جارية ويتبعها جارية وفى حجرها جارية قال الحجاج على هذه لعنة الله ثم قال ويحك فاخبرنى بخير النساء قال خيرهن القريبة القامة من السماء الكثيرة الاخذ من الارض الودود الولود التى فى بطنها غلام وفى حجرها غلام ويتبعها غلام قال ويحك فاخبرنى بشر الرجال قال شرهم السبوط الربوط المحمود فى حرم الحى الذى اذا سقط لاحداهن دلو فى بئر انحط عليه حتى يخرجه فهن يجزينه الخيرا ويقلن عافى الله فلانا قال على هذا لعنة الله فأخبرنى بخير الرجال قال خيرهم الذى يقول فيه الشماخ التغلبى

فتى ليس بالراضى بادنى معيشة * ولا فى بيوت الحى بالمتولج
فتى يملا الشيزى ويروى سنانه * ويضرب فى رأس الكمى المدجج

فقال له حسبك كم حبسنا عطاءك قال ثلاث سنين فامر له بها وخلى سبيله (المنقرى) عن محمد بن السرى عن هشام بن محمد بن السائب عن أبى عبد الله النخعى قال لما فرغ الحجاج من دير الجماجم وقدم على عبد الملك ومعه أشراف أهل المصرين أدخلهم عليه فبينما هم عنده اذ تذاكروا البلدان فقال محمد بن عمير بن عطارد أصلح الله الامير ان الكوفة أرض ارتفعت عن البصرة وحرها وعمقها وسفلت عن الشام ووبائها وجاورها الفرات فعذب ماؤها وطاب ثمرها فقال خالد بن صفوان الاهتمى اصلح الله الامير نحن اوسع منهم برية واسرع منهم فى السرية وأكثر منهم قندا وعاجا وساجا وباسا ماؤنا صفو وخيرنا عفو لا يخرج من عندنا الا قائد وسائق وناعق فقال الحجاج صلح الله امير المؤمنين انى بالبلدين خبير وقد وطئتهما جميعا فقال له قل فانت عندنا مصدق فقال اما البصرة فعجوز شمطاء دفراء بخراء اوتيت من كل حلى وزينة واما الكوفة فشابة حسناء جميلة لا حلى لها ولا زينة فقال عبد الملك فضلت الكوفة على البصرة (المنقرى)عن عمر بن الحباب الباهلى عن اسمعيل بن خالد قال سمعت الشعبى يقول سمعت الحجاج يقول بكلام ما سبقه اليه احد سمعته يقول اما بعد فان الله عز وجل كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب عليه البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء فلا يغر فكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة فطول الامل يقصر الاجل (المنقرى) عن سهل بن تمام بن بزيع عن عباد بن المهلب عن ابيه قال لما قتل المهلب ابن عبد ربه بن الصعتر بكرمان قال ائتونى برجل له بيان وعقل ومعرفة اوجهه الى الحجاج برءوس من قتلنا فدلوه على بشر بن مالك الجرشى فلما دخل على الحجاج قال ما اسمك قال بشر بن مالك الجرشى قال كيف تركت المهلب قال تركته صالحا قال مارجا وامن ما خاف قال فكيف فاتكم قطرى قال كادنا من حيث كدناه قال افلا طلبتموه قال كان الحسد أهم علينا من القتل قال اصبتم قال فكيف كان بنو المهلب قال كانوا اعداء البيات حتى يامنوا واصحاب السرج حتى يردوا قال اجل فايهم افضل قال ذاك الى ابيهم ايهم شاء ان يستكفيه امرا كفاه قال انى ارى لك عقلا فقل قال هم كالحلقة المستوية لا يدرى اين طرفها قال أين هم من أبيهم قال فضله عليهم كفضلهم على سائر الناس قال كيف كان الجند قال ارضاهم الحق واشبعهم الفضل وكانوا امعوال يقاتل بهم مقاتلة الصعلوك ويسوسهم سياسة الملوك فله منهم بر الاولاد ولهم منه شفقة الوالد قال هل كنت هيأت ما ارى

قال لا يعلم الغيب الا الله قال فالتفت الحجاج الى عنبسة فقال هـذا الكلام المخلوق لا الكلام المصنوع (وأخذ الحجاج) جرير بن الخطفى فأراد قتله فمشى اليه قومه من مضر فقالوا أصلح الله الامير لسان مضر وشاعرها هبه لنا فوهبه لهم (وكانت هند) بنت اسماء زوج الحجاج ممن طالب به فقالت للحجاج أتاذن لجرير على يوما أستنشده من وراء حجاب فقال لها نعم فامرت بمجلس لها فهيئ فجلست فيه والحجاج معها ثم بعثت الى جرير فدخل عليها يسمع كلامها ولا يراها فقالت ياابن الخطفى أنشدنى ماشببت به فى النساء فقال لها ماشببت بامراة قط ولا خلق الله شيأ هو أبغض الى من النساء قالت ياعدو الله واين قولك

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... وقت الزيارة فارجعى بسلام
تجرى السواك على أغر كانه ... برد تحدر من متون غمام
لو كنت صادقة بما حدثتنا ... لوصلت ذاك فكان غير لمام
سرت الهموم فبتن غير نيام ... واخو الهموم يروم كل مرام

قال ماقلت هذا ولكنى انا الذى اقول

لقد جرد الحجاج للحق سيفه ... ألا فاستقيموا لا يميلن مائل
ومايستوى داعى الضلالة والهدى ... ولا حجة الخصمين حق وباطل

قالت دع عنك هذا فاين قولك

خليلى لاتستغزر الدمع فى هند ... أعيذكما بالله ان تجدا وجدى
ظمئت الى شرب الشراب وحسنه ... كذى فرية يرجو هداها ومايجدى

قال لها ماقلت هذا ولكنى انا الذى أقول

ومن يامن الحجاج اماعقابه ... فمر واماعقده فوثيق
يسر لك البغضاء كل منافق ... كما كل ذى بر عليك شفيق

قالت دع عنك هذا فاين قولك

ياعاذلى دعا الملامة واقصرا ... طال الهوى وأطلتما التفنيدا
انى وجدت ولو اردت زيادة ... فى الحب عندى ماوجدت مزيدا

فقال باطل أصلحك الله ولكنى انا الذى اقول

من سد مطلع النفاق عليهم ... أم من يصول كصولة الحجاج
أم من يغار على النساء حفيظة ... اذ لا يثقن بغيرة الازواج

هذا ابن يوسف فافهموا وتفهموا ... برح الخفاء وليس حيث يفاجى
فلرب ناكث بيعتين تركته ... وخضاب لحيته دم الاوداج

فقال الحجاج ياعدو الله تحرض على النساء فقال لا والذى أكرمك ايها الامير مافطنت لهذا البيت قبل ساعتى هذه وماعلمت بمكانك فاقلنى جعلنى الله فداك قال قد فعلت فامرت له هند بجارية وكسوة واوفده الحجاج على عبد الملك ولما انهزم ابن الاشعث بدير الجماجم حلف الحجاج ان لا يؤتى باسير الا ضرب عنقه فاتى باسرى كثيرة وكان اول من اتى به اعشى همدان الشاعر وهو أول من خلع عبد الملك والحجاج بين يدى ابن الاشعث بسجستان فقال له الحجاج ايه انت القائل

من مبلغ الحجاج انى قد جنيت عليه حربا
ووضعت فى كف امرىء جلد اذاما الامر عبى
أنت الرئيس ابن الرئيس وأنت اعلى الناس كعبا
فابعث عطية بالخيو ل يكبهن عليه كبا
وانهض هديت لعله يجلى بك الرحمن كربا
نبئت ان بنى يو سف خرمن زلق فتبا

وهى أبيات وأنت القائل

شطت نوى من داره الايوان ... ايوان كسرى من قوى الريحان
من عاشق أمسى بر الكسان ... ان ثقيفا منهم الكذابان
كذابها الماضى وكذاب ثان ... أمكن ربى من ثقيف همدان
يوما من الليل يسلى ما كان

وأنت القائل

وسألتما فى المجد أين محله ... فالمجد بين محمد وسعيد
بين الاشج وبين قيس باذخ ... بخ لوالده وللمولود

قال لا ولكنى الذى أقول

أبى الله الا أن يتمم نوره ... ويطفى نور الفقعتين فيخمدا
وينزل ذلا بالعراق وأهله ... بما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما أحدثوا من بدعة وضلالة ... من القول لم يصعد الى ذروة العدا

قال لسنا نحمدك على هذا القول انما قلته تاسفا على ان لا تكون ظفرت وظهرت وتحريضا

لاصحابك وليس عن هذا سألتك أخبرنى عن قولك

أمكن ربى من ثقيف همدان   يوما من الليل يسلى ما كان

فكيف ترى الله أمكن ثقيفا من همدان ولم يمكن همدان من ثقيف وعن قولك

بين الاشج وبين قيس باذخ   بخ لوالده وللمولود

والله لاتبخبخ لاحد بعدها وامر به فضربت عنقه ولم يزل يؤتى برجل رجل حتى أتى برجل من بنى عامر وكان من فرسان الجماجم مع ابن الاشعث فقال له والله لاقتلنك شر قتلة قال والله ماذلك لك قال ولم قال لان الله يقول فى كتابه العزيز فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فامامنا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها وأنت قد قتلت فأثخنت وأسرت فأثخنت فاما أن تمن علينا أو تفدينا عشائرنا فقال له الحجاج أكفرت قال نعم وغيرت وبدلت قال خلوا سبيله ثم أتى برجل من ثقيف فقال له الحجاج أكفرت قال نعم قال الحجاج لكن هذا الذى خلفك لم يكفر وخلفه رجل من السكون قال السكونى أعن نفسى تخادعنى بل والله لو كان شئ أشد من الكفر لبؤت به فخلى سبيلهما فهذه جمل من أخبار عبد الملك والحجاج وقد أتينا على مبسوط هذه الاخبار مما لم نورده فى هذا الكتاب فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط التالى له الذى كتابنا هذا تاليه وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار الحجاج لمعا على حسب ما قدمنا من الشرط فيما سلف من هذا الكتاب وبالله العون والقوة

﴿ذكر أيام الوليد بن عبد الملك﴾

بويع الوليد بن عبد الملك بدمشق فى اليوم الذى توفى فيه عبد الملك وتوفى الوليد بدمشق للنصف من جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين فكانت ولايته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين وهلك وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وكان يكنى بابى العباس

﴿ذكر لمع من اخباره وسيره وما كان من الحجاج فى أيامه﴾

كان الوليد جبارا عنيدا ظلوما غشوما وخلف من الولد أربعة عشر ذكرا منهم يزيد وعمر ويسر العالم والعباس وكان يدعى فارس بنى مروان لشهامته فعدل الوليد بالامر عن ولده بعده اتباعا لوصية عبد الملك على حسب ما رتبها وكان نقش خاتمه ياوليد انك ميت فكان كلما هم أن يجعل الامر فى ولده قلب الفص فقرأ انك ميت فيقول لاها الله لاخالفت فيما أمر به انى لميت وفى سنة تسع وثمانين ابتدأ الوليد ببناء المسجد

الجامع بدمشق ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة فانفق عليهما الاموال الجليلة وكان المتولى للنفقة على ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وحكى عثمان بن مرة الخولانى قال لما ابتدا الوليد ببناء مسجد دمشق وجد فى حائط المسجد لوح من حجارة فيه كتابة باليونانية فعرض على جماعة من أهل الكتاب فلم يقدروا على قراءته فوجه به الى وهب بن منبه فقال هذا مكتوب فى أيام سليمان بن داود عليهما السلام فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم لو عاينت ما بقى من يسير أجلك لزهدت فيما بقى من طول املك وقصرت عن رغبتك وحيلك وانما تلقى ندمك اذا زلت بك قدمك واسلمك أهلك وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ثم صرت تدعى فلا تجيب فلا أنت الى أهلك عائد ولا فى عملك زائد فاغتنم الحياة قبل الموت والقوة قبل الفوت وقبل ان يؤخذ منك بالكظم ويحال بينك وبين العمل وكتب زمن سليمان بن داود فامر الوليد ان يكتب بالذهب على اللازورد فى حائط المسجد ربنا الله لا نعبد الا الله امر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التى كانت فيه عبد الله الوليد أمير المؤمنين فى ذى الحجة سنة سبع وثمانين وهذا الكلام مكتوب بالذهب فى مسجد دمشق الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ووفد الحجاج بن يوسف على الوليد فوجده فى بعض نزهه فاستقبله فلما رآه ترجل له وقبل يده وجعل يمشى وعليه درع وكنانة وقوس عربية فقال له الوليد اركب يا ابا محمد فقال دعنى يا أمير المؤمنين استكثر من الجهاد فان ابن الزبير وابن الاشعث شغلانى عنك فعزم عليه الوليد حتى ركب ودخل الوليد داره وتفضل فى غلالة ثم اذن للحجاج فدخل عليه فى حاله تلك واطال الجلوس عنده فبينما هو يحادثه اذ جاءت جارية فساررت الوليد ومضت ثم عادت فساررته ثم انصرفت فقال الوليد للحجاج اتدرى ماقالت هذه يا ابا محمد قال لا والله قال بعثتها الى ابنة عمى ام البنين بنت عبد العزيز تقول ما مجالستك لهذا الاعرابى المتسلح فى السلاح وانت فى غلالة فارسلت اليها انه الحجاج فراعها ذلك وقالت والله ما احب ان يخلو بك وقد قتل الخلق فقال الحجاج يا امير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما المراة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعهن على سرك ولا مكايدة عدوك ولا تطمعهن فى غير أنفسهن ولا تشغلهن باكثر من زينتهن واياك ومشاورتهن فى الامور فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن من ابصارهن بحجبك ولا تملك الواحدة منهن من الامور

مايجاوز قسهاو لاتطمعهاأن تشفع عندك لغيرها ولاتطل الجلوس معهن فان ذلك أوفر لعقلك وأبين لفضلك ثم نهض الحجاج نخرج ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالة الحجاج فقالت ياأمير المؤمنين أحب ان تامره غدا بالتسليم علي فقال أفعل فلما غدا الحجاج على الوليد قال له ياأبا محمد سر الى أم البنين فسلم عليها فقال أعفني من ذلك ياأمير المؤمنين فقال لا بد من ذلك فمضى الحجاج اليها فحجبته طويلا ثم أذنت له فاقرته قائما ولم تأذن له في الجلوس ثم قالت ايه ياحجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الاشعث أما والله لولا ان الله جعلك أهون خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة ولا بقتل ابن ذات النطاقين وأول مولود ولد في الاسلام وأما ابن الاشعث فقد والله والى عليك الهزائم حتى لذت بامير المؤمنين عبد الملك فاغاثك بأهل الشام وأنت في اضيق من القرن فاظلتك رماحهم وانجاك كفاحهم ولولا ذلك لكنت اذل من النقد واما ما اشرت به على امير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ اوطاره من نسائه فان كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به عنك امك فما احقه بالاخذ عنك والقبول منك وان كن ينفرجن عن مثل امير المؤمنين فانه غير قابل منك ولا مصغ الى نصيحتك قاتل الله الشاعر وقد نظر اليك وسنان غزالة الحرورية بين كتفيك حيث يقول

اسد علي وفي الحروب نعامة * فزعاء تفزع من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى * بل كان قلبك في جناحي طائر

اخرجنه عني فدخل الى الوليد من فوره فقال ياابا محمد ما كنت فيه فقال والله ياامير المؤمنين ماسكتت حتى كان بطن الارض احب الى من ظاهرها فضحك الوليد حتى فحص برجله ثم قال ياابا محمد انها بنت عبد العزيز ولام البنين هذه اخبار كثيرة في الجود وغيره وقد اتينا على ذكرها في غير هذا الكتاب وفي سنة خمس وتسعين قبض على بن الحسين بن على بن ابى طالب في ملك الوليد ودفن بالمدينة في بقيع الغرقد مع عمه الحسن ابن على وهو ابن سبع وخمسين سنة ويقال انه قبض سنة أربع وتسعين وكان عقب الحسين من على بن الحسين وهو السجاد على ماذكرناوذو الثفنات وزين العابدين (وذكر المدائني) قال دخل الوليد على أبيه عبد الملك عند وفاته فجعل يبكي عليه وقال كيف اصبح أمير المؤمنين فقال عبد الملك

ومشتغل عنا يريد بنا الردى * ومستعبرات والعيون سواجع

أشار بالمصراع الاول الى الوليد ثم حول وجهه عنه وأشار بالمصراع الثانى الى نسائه وهن المستعبرات (وذكر العتبى)وغيره من الاخباريين أن عبد الملك لما سأله الوليد عن خبره وهو يجود بنفسه أنشأ يقول

كم عائد رجلا وليس يعوده * الا لينظر هل يراه يموت

وقيل ان عبد الملك نظر الى الوليد وهو يبكى عليه عند رأسه فقال ياهذا أحنين الحمامة اذا أنامت فشمر واتزر والبس جلد نمر وضع سيفك على عاتقك فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه ومن سكت مات بدائه ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا فقال ان طويلك لقصير وان كثيرك لقليل وان كنا منك لفى غرور ثم أقبل على جميع ولده فقال أوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية فالتقوى خير زاد وافضل فى المعاد وهى أحصن كهف وليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير مع سلامة الصدور والاخذ بجميل الامور واياكم والبغى والتحاسد فبهما هلك الملوك الماضون وذوو العز المكين يابنى أخوكم مسلمة نابكم الذى تفرون عنه ومجنكم الذى تستجنون به اصدروا عن رأيه وأكرموا الحجاج فانه الذى وطأ لكم هذا الامر كونوا أولادا أبرارا وفى الحروب أحرارا وللمعروف منارا وعليكم السلام وسأله بعض شيوخ بنى أمية وقد فرغ من وصية أولاده هذه كيف تجدك ياأمير المؤمنين قال كما قال الله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم الى قوله ما كنتم تزعمون فكان هذا آخر كلام سمع منه فلما قضى سجاه الوليد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لم أر مثلها مصيبة ولا مثلها نعمة فقدت الخليفة وتقلدت الخلافة فانا لله وانا اليه راجعون على المصيبة والحمد لله رب العالمين على النعمة ثم دعا الناس الى بيعته فبايعوا ولم يختلف عليه أحد ومات فى أيام الوليد عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وذلك فى سنة سبع وثمانين وكان جوادا كريما وذكر أن سائلا وقف عليه فقال تصدق بما رزقك الله فانى نبئت أن عبيد الله بن العباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر اليه فقال وأين أنا من عبيد الله قال له وأين أنت فى الحسب أو فى كثرة المال قال فيهما جميعا قال ان الحسب فى الرجل مروءته وحسن فعله فاذا فعلت ذلك كنت حسيبا فاعطاه ألفى درهم واعتذر اليه فقال له السائل ان لم تكن عبيد الله فانت خير منه وان كنت هو فانت اليوم خير منك أمس فاعطاه ألفا أيضا فقال لئن كنت عبيد الله انك لاسمح أهل دهرك وما اخالك الا من رهط فيهم محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسألك بالله أنت هو قال نعم قال والله ما أخطأت الا باعتراض الشك بين جوانحى والافهذه الصورة الجميلة والهيئة المنيرة لاتكون الافى نبى أوعترة نبى وذكر أن معاوية وصله بخمسمائة ألف درهم ثم وجه له من يتعرف له خبره فانصرف اليه فاعلمه أنه قسمها فى سماره واخوانه حصصا بالسوية وأبقى لنفسه مثل نصيب أحدهم فقال معاوية ان ذلك ليسوءنى ويسرنى فاما الذى يسرنى فان عبد مناف والده وأما الذى يسوءنى فقرابته من أبى تراب (قال المسعودى) وقد قدمنا خبر مقتل ابنى عبيد الله فيما سلف من هذا الكتاب وهما عبد الرحمن وقثم ومارثتهما به أمهما أم حكيم جويرية بنت فارط بن خالد الكنانية وقد كان عبيد الله بن العباس دخل يوما على معاوية وعنده قاتلهما بسر بن أرطاة العامرى فقال له عبيد الله أيها الشيخ أنت قاتل الصبيين قال نعم قال والله لوددت أن الارض أنبتتنى عندك يومئذ فقال له بسر فقد انبتتك الساعة فقال عبيد الله الا سيف فقال بسر هاك سيفى فلما هوى عبيد الله الى السيف ليتناوله قبض معاوية ومن حضره على يد عبيد الله قبل ان يقبض على السيف ثم اقبل معاوية على بسر فقال اخزاك الله من شيخ قد كبرت وذهل عقلك تعمد الى رجل موتور من بنى هاشم فتدفع اليه سيفك انك لغافل عن قلوب بنى هاشم والله لو تمكن من السيف لبدا بنا قبلك قال عبيد الله ذلك والله اردت (وكان على عليه السلام) حين اتاه خبر قتل بسر لابنى عبيد الله قثم وعبد الرحمن دعا على بسر فقال اللهم اسلبه دينه وعقله فخرف الشيخ حتى ذهل عقله واشتهر بالسيف فكان لا يفارقه فجعل له سيف من خشب وجعل فى يديه زق منفوخ كلما تخرق ابدل فلم يزل يضرب ذلك الزق بذلك السيف حتى مات ذاهل العقل يلعب بخرئه وربما كان يتناول منه ثم يقبل على من يراه فيقول انظروا كيف يطعمنى هذان الغلامان ابنا عبيد الله وكان ربما شدت يداه الى وراء منعا من ذلك فانجى ذات يوم فى مكانه ثم اهوى بفيه فتناول منه فبادروا الى منعه فقال انتم تمنعونى وعبد الرحمن وقثم يطعمانى ومات بسر فى ايام الوليد بن عبد الملك سنة ست وثمانين وفيها مات عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى وعتبة مهاجر وهو أخو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سمح بن مخزوم بن صبح بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وكانت الرياسة فى الجاهلية فى صبح بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل وكان ولد عبد الله بن عتبة عبيد الله من كبار أهل العلم ذكر ابن أبى خيثمة قال سمعت ابن الاصبهانى يقول

قال سفيان قال الزهرى كنت أظن انى قلت من العلم حتى جالست عبيد الله بن عبد الله فكأنما هو البحر وفى سنة أربع وتسعين قتل الحجاج سعيد بن جبير فذكر عون بن أبى راشد العبدى قال لما ظفر الحجاج بسعيد بن جبير وأوصل اليه قال له ما اسمك قال اسمى سعيد بن جبير قال بل شقى بن كسير قال أبى كان أعلم باسمى منك قال لقد شقيت وشقى أبوك قال له الغيب انما يعلمه غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا تلظى قال لو علمت أن ذلك بيدك ما اتخذت الها غيرك قال فما قولك فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فاختر أى قتلة تريد أن أقتلك قال بل اختر ياشقى لنفسك فوالله ماتقتلنى اليوم بقتلة الا قتلتك فى الآخرة بمثلها فامر به الحجاج فأخرج ليقتل فلما ولى ضحك فامر الحجاج برده وسأله عن ضحكه فقال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك فامر به فذبح فلما كب لوجهه قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وأن الحجاج غير مؤمن بالله ثم قال اللهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدى فذبح واحتز رأسه ولم يعش الحجاج بعده الا خمس عشرة ليلة حتى وقعت فى جوفه الاكلة فمات من ذلك ويروى انه كان يقول بعد قتل سعيد ياقوم مالى ولسعيد ابن جبير كلما عزمت على النوم أخذ بحلقى واشتكى الوليد فبلغه عن أخيه سليمان تمنى لموته لماله من العهد بعده فكتب اليه الوليد يعتب عليه الذى بلغه وكتب فى كتابه هذه الابيات

تمنى رجال أن أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد
لعل الذى يرجو فنائى ويدعى * به قبل موتى أن يكون هو الردى
فما موت من قد مات قبلى بضائرى * ولا عيش من قد عاش بعدى بمخلد
فقل للذى يرجو خلاف الذى مضى * تزود لاخرى غيرها فكان قد
منيته تجرى لوقت وحتفه * سيلحقه يوما على غير موعد

فاجابه سليمان فهمت ماقال امير المؤمنين ووالله لئن كنت تمنيت ذلك لما يخطر بالبال انى لاول لاحق به ومنعى الى أهله فعلام أتمنى زوال مدة لا يلبث متمنيها الا بقدر ماتحل السفر بمنزل ثم يظعنون عنه وقد بلغ أمير المؤمنين مالم يظهر من لفظى ولا يرى من لحظى ومتى سمع أمير المؤمنين من أهل النميمة ومن ليست له روية أوشك أن يسرع فى فساد النيات ويقطع بين ذوى الارحام والقرابات وكتب فى أسفل الكتاب

ومن لا يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض مافيه يمت وهو عاتب

ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

فكتب اليه الوليد ماأحسن مااعتذرت به وحذوت عليه وأنت الصادق فى المقال والكامل فى الفعال وماشئ أشبه بك من اعتذارك ولاأبعد مما قيل فيك والسلام وكان الوليد متحننا على اخوته مراعيا السائر ماأوصاه به عبد الملك وكان كثير الانشاد لابيات قالها عبد الملك حين كتب وصيته منها

اتقوا الضغائن عنكم وعليكم * عند المغيب وفى حضور المشهد

بصلاح ذات البين طول بقائكم * ان مدفى عمرى وان لم يعدد

فلمثل ريب الدهر ألف بينكم * بتواصل وترحم وتودد

حتى تلين جلودكم وقلوبكم * بمسود منكم وغير مسود

ان القداح اذا اجتمعن فرامها * بالكسر ذوحنق وبطش باليد

عزت فلم تكسر وان هى بددت * فالوهن والتكسير للمتبدد

وكان عبد الملك مواظبا على حث أولاده على أصطناع المعروف وبعثهم على مكارم الاخلاق وقال لهم يابنى عبد الملك احسابكم احسابكم صونوها ببذل اموالكم فما يبالى رجل ماقيل فيه من الهجو بعد قول الاعشى

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم * وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

ومايبالى قوم ماقيل فيهم من المدح بعد قول زهير

على مكثريهم حق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

(حدث) عبد الله بن اسحق بن سلام عن محمد بن حبيب قال صعد الوليد المنبر فسمع صوت ناقوس فقال ماهذا قيل البيعة فامر بهدمها وتولى بعض ذلك بيده فتتابع الناس يهدمون فكتب اليه الاحرم ملك الروم ان هذه البيعة قد أقرها من كان قبلك فان يكونوا اصابوا فقد اخطأت وان تكن اصبت فقد اخطؤا فقال من يجيبه فقال الفرزدق يكتب اليه وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ومات الحجاج فى سنة خمس وتسعين وهو ابن اربع وخمسين سنة بواسط العراق وكان تأمره على الناس عشرين سنة واحصى من قتله صبرا سوى من قتل فى عساكره وحروبه فوجد مائة وعشرين الفا ومات وفى حبسه خمسون الف رجل وثلاثون الف امرأة منهن ستة عشر الفا مجردة وكان يحبس النساء والرجال فى موضع واحد ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس فى الصيف ولا من المطر والبرد فى الشتاء وكان له غير ذلك من العذاب

ماأتيناعلى وصفه فى الكتاب الاوسط وذكر انه ركب يوما يريد الجمعة فسمع ضجة فقال ماهذا فقيل له المحبوسون يضجون ويشكون ماهم فيه من البلاء فالتفت الى ناحيتهم وقال اخسؤا فيها ولا تكلمون فيقال انه مات فى تلك الجمعة ولم يركب بعد تلك الركبة (قال المسعودى) ووجدت فى كتاب عنوان البلاغات مما اختير من كلام الحجاج قوله ماسلبت نعمة الا بكفرها ولا نمت الا بشكرها وقدكان الحجاج تزوج الى عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب حين أملق عبد الله وافتقر وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان الخبر فى ذلك وتهنئة ابن القرية الحجاج بذلك وقد كان عبد الله بن جعفر بن أبى طالب من الجود بالموضع المعروف ولما اقل ماله سمع يوم الجمعة فى المسجد الجامع وهو يقول اللهم إنك عودتنى عادة فعودتها عبادك فان قطعتها عنى فلا تبقنى فمات فى تلك الجمعة وذلك فى أيام عبد الملك بن مروان وصلى عليه أبان بن عثمان بمكة وقيل بالمدينة وهى السنة التى كان بها السيل الجحاف الذى بلغ الركن وذهب بكثير من الحجاج وفى هذه السنة كان الطاعون العام بالعراق والشأم ومصر والجزيرة والحجاز وهى سنة ثمانين وقبض عبد الله بن جعفر وهو ابن سبع وستين وولد بالحبشة حين هاجر جعفر الى هنالك وقيل ان مولده كان فى السنة التى قبض فيها النبى صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك وذكر المبرد والمدائنى والعتبى وغيرهم من الاخباريين ان عبد الله عوتب على كثرة افضاله فقال ان الله تعالى عودنى أن يفضل على وعودته ان أفضل على عباده فاكره ان اقطع العادة عنهم فيقطع العادة عنى ووفد عبد الله على معاوية بدمشق فعلم به عمرو بن العاص قبل دخوله دمشق اخبره بذلك مولى له كان قد سار مع ابن جعفر من الحجاز فتقدمه بمرحلتين الى دمشق فدخل عمرو على معاوية وعنده جماعة من قريش من بنى هاشم وغيرهم منهم عبد الله ابن الحرث بن عبد المطلب فقال عمرو قد أتاكم رجل كثير الخلوات بالتمنى والطرقات بالتغنى آخذ للسلف منقاد بالسرف فغضب عبد الله بن الحرث وقال لعمرو كذبت وأهل ذلك انت ليس عبد الله كما ذكرت ولكنه لله ذكور ولبلائه شكور وللخناء نفور ماجد مهذب كريم سيد حليم ان ابتدأ أصاب وان سئل أجاب غير حصر ولا هياب ولا فحاش ولا سباب كالهزبر الضرغام الجرىء المقدام والسيف الصمصام والحسيب القمقام وليس كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها فاصبح ألأمها حسبا وأدناها منصبا يلوذ منها بذليل ويأوى الى قليل ليت شعرى بأى حسب تتناول أو باى قدم تتعرض غير انك تعلو بغير اركانك وتتكلم بغير لسانك ولقد كان أبرفى

الحكم وأبين فى الفضل أن يكفك ابن أبى سفيان عن ولوعك باعراض قريش وان يكعمك كعام الضبع فى وجارها فلست لأعراضها بوفى ولا لأحسابها بكفى وقد أتيح لك ضيغم شرس للاقران مختلس وللارواح مفترس فهم عمر وأن يتكلم فمنعه معاوية من ذلك وقال عبدالله بن الحرث لا يبقى المرء الاعلى نفسه والله ان لسانى لحديد وان جوابى لعتيد وان قولى لسديد وان أنصارى لشهود فقام معاوية وتفرق القوم ولعبدالله بن جعفر بن أبى طالب أخبار حسان فى الجود والكرم وغير ذلك من المناقب وقد أتينا على مبسوط ذلك فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما كان تزوج الحجاج اليه يبتذل بذلك الى أبى طالب وكتب الحجاج الى عبدالملك يغلظ له أمر الخوارج مع قطرى فكتب اليه أما بعد فانى أحمد اليك السيف وأوصيك بما أوصى به البكرى زيدا فلم يفهم الحجاج ماعناه عبدالملك وقال من جاء بتفسير ماأوصى به البكرى زيدا فله عشرة آلاف درهم فورد رجل من الحجاز يتظلم من بعض عماله فقيل له أتعلم ماأوصى به البكرى زيدا قال نعم قال فأت الحجاج به ولك عشرة آلاف درهم فاتاه فاحضرت فقال أوصاه بان قال

أقول لزيد لاتبر فانهم * يرون المنايا دون قتلك أو قتلى
فان وضعوا حربا فضعها وان أبوا * فشب وقود الحرب بالحطب الجزل
وان عضت الحرب الضروس بنابها * فعرضة حد السيف مثلك اومثلى

فقال الحجاج صدق أمير المؤمنين وصدق البكرى وكتب الى المهلب ان أمير المؤمنين أوصانى بما أوصى به البكرى زيدا وأنا أوصيك به وبما اوصى به الحرث بن كعب بنيه فاتى المهلب بوصيته فاذا فيها يابنى كونوا جميعا ولا تكونوا شتى فتفرقوا وبروا واقبل أن تبروا فموت فى قوة وعز خير من ذل وعجز فقال المهلب صدق البكرى والحرث بن كعب وكتب عبدالملك الى الحجاج جنبنى دماء آل أبى طالب فانى رأيت الموت استوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم فكان الحجاج يتجنبها خوفا من زوال الملك عنهم لا خوفا من الخالق عز وجل ودخلت ليلى الاخيلية على الحجاج فقالت أصلح الله الامير أتيت لاخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد قال فاخبرينى عن الارض قالت مقشعرة والفجاج مغبرة والمقتر مغل وذو الغنى مجل والبائس مقل والناس مسنتون رحمة الله يرجون قال أى النساء تختارين تنزلين عندها قالت سمهن لى قال عندى هند بنت المهلب وهند بنت اسماء بن خارجة فاختارتها

فدخلت عليها فصبت حليها عليها حتى أثقلتها لاختيارها اياها ودخولها عليها دون من سواها (حدثنا) المنقرى قال حدثنا العتبى عن أبيه قال قدم على الحجاج ابن عم له من البادية فنظر اليه يولى الناس فقال له أيها الامير لم لا تولينى بعض هذا الحضر فقال الحجاج هؤلاء يكتبون ويحسبون وأنت لا تحسب ولا تكتب فغضب الاعرابى وقال بلى انى والله لاحسب منهم حسبا وأكتب منهم كتبا فقال له الحجاج فان كان كما تزعم فاقسم ثلاثة دراهم بين أربعة أنفس فما زال يقول ثلاثة دراهم بين أربعة ثلاثة بين أربعة لكل واحد منهم درهم يبقى الرابع بلا شئ كم هم أيها الامير قال هم أربعة قال نعم أيها الامير قد وقفت على الحساب لكل واحد منهم درهم وانا أعطى الرابع منهم درهما من عندى وضرب بيده الى تكته فاستخرج منها درهما وقال أيكم الرابع فلاها الله ما رأيت كاليوم زورا مثل حساب هؤلاء الحضر بين فضحك الحجاج ومن معه فذهب بهم الضحك كل مذهب ثم قال الحجاج ان اهل أصبهان كسروا خراجهم ثلاث سنين كلما أتاهم وال عجزوه فلا رمينهم ببدوية هذا وعنجهيته فأخلق به أن ينجب فكتب له عهده على اصبهان فلما خرج استقبله أهل اصبهان واستبشروا به وأقبلوا عليه يقبلون يده ورجله وقد استغمروه وقالوا اعرابى بدوى ما يكون منه فلما اكثروا عليه قال أعنوا على أنفسكم وتقبيلكم اطرافى واخروا عنى هذه الهيآت اما يشغلكم ما اخرجنى له الامير فلما استقر فى داره باصبهان جمع اهلها فقال مالكم تعصون ربكم وتغضبون أميركم وتنقصون خراجكم فقال قائلهم جور من كان قبلك وظلم من ظلم قال فما الامر الذى فيه صلاحكم فقالوا اتؤخرنا بالخراج ثمانية اشهر ونجمعه لك قال لكم عشرة وتاتونى بعشرة ضمناء يضمنون فاتوه بهم فلما توثق منهم امهلهم فلما قرب الوقت رآهم غير مكترثين لما ندبوا من الاجل فقال لهم فلم ينتفع بقوله فلما طال به ذلك جمع الضمناء وقال لهم المال فقالوا أصابنا من الآفة ما نقض ذلك فلما رأى ذلك منهم آلى أن لا يفطر وكان فى شهر رمضان حتى يجمع ماله أو يضرب أعناقهم ثم قدم أحدهم فضرب عنقه وكتب عليه فلان بن فلان أدى ما عليه وجعل رأسه فى بدرة وختم عليها ثم قدم الثانى ففعل به مثل ذلك فلما رأى القوم الرءوس تبذر وتجعل فى الاكياس بدلا من البدر قالوا أيها الامير توقف علينا حتى نحضر لك المال ففعل فاحضروه فى أسرع وقت فبلغ ذلك الحجاج فقال انا معاشر آل محمد يعنى جده ولدنا نجيب فكيف رأيتم فراستى فى الاعرابى ولم يزل عليها واليا حتى مات الحجاج وحبس

الحجاج ابراهيم التيمي بواسط فلما دخل السجن وقف على مكان مشرف ونادى بأعلى صوته يا أهل بلاء الله في عافيته ويا أهل عافية الله في بلائه اصبروا فنادوه جميعا لبيك لبيك ومات في حبس الحجاج وانما كان الحجاج طلب ابراهيم النخعي فنجا ووقع ابراهيم التيمي (وحكى) عن الاعمش قال قلت لابراهيم النخعي أين كنت حين طلبك الحجاج فقال بحيث يقول الشاعر

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذعوى * وصوت انسان فكدت اطير

حدثنا الدمشقي الاموي أحمد بن سعيد وغيره عن الزبير بن بكار عن محمد بن سلام الجمحي وحدثنا الفضل بن الحباب الجمحي عن محمد بن سلام قال سأل الحجاج ابن القرية أي النساء أحمد قال التي في بطنها غلام وفي حجرها غلام ويسعى لها مع الغلمان غلام قال فاي النساء شر قال الشديدة الاذى الكثيرة الشكوى المخالفة لما تهوى فقال أي النساء أعجب اليك قال الشقاء العطبول المنعاج الكسول التي لم يشنها قصر ولا طول قال فاي النساء أبغض اليك قال الرعينة القصيرة الباهق الشريرة قال فاخبرني عن أفضل النساء قال الغضة البضة التي أعلاها قضيب وأسفلها كثيف العساء الورهاء التي لم تذهب طولا في انحطاط ولا تلحق قصرا في افراط الجعدة الغدائر الجشعة الضفائر الضخمة المآكم الطفلة البراجم اذا رأيت أناملها شبهتها بالمدارى واذا اقامت خلتها سارية من السوارى فتلك تهيج المشتاق وتحيي العاشق بالعناق (قال المسعودى) وللوليد بن عبد الملك أخبار حسان لما كان في أيامه من الكوائن والحروب وكذلك الحجاج وقد أتينا على كثير من مبسوطها في كتابينا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب مالم نورده في ذينك الكتابين كما أن ماذكرناه في الكتاب الاوسط لم نورده في كتاب أخبار الزمان والله أعلم

﴿ ذكر أيام سليمان بن عبد الملك ﴾

بويع سليمان بن عبد الملك بدمشق في اليوم الذى كانت فيه وفاة الوليد وذلك يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين من الهجرة وتوفى سليمان بمرج دابق من أعمال جبل قنسرين يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليال وهلك وهو ابن تسع وثلاثين سنة وعهد الى عمر بن عبد العزيز وقيل ان وفاة سليمان كانت يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة

تسع وتسعين وان ولايته سنتان وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما على حسب ماوجدنا من تباين مافى كتب التواريخ والسير وسنذكر جمل أيامهم فى باب نفرده فيما يرد من هذا الكتاب وقد تنوزع فى مقدار سن سليمان فذكر بعضهم أنه قبض وهو ابن خمس وأربعين ومنهم من زعم انه كان ابن ثلاث وخمسين وقد قدمنا قول من قال انه قبض وهو ابن تسع وثلاثين ووجدت أكثر شيوخ بنى مروان من ولده وولد غيره بدمشق وغيرها يذهبون الى انه كان ابن تسع وثلاثين والله أعلم

ذكر لمع من أخباره وسيره

لما أفضى الامر الى سليمان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال الحمد لله الذى ماشاء صنع وماشاء أعطى وماشاء منع وماشاء رفع وماشاء وضع أيها الناس ان الدنيا غرور وباطل وزينة وتقلب باهلها تضحك باكيها وتبكى ضاحكها وتخيف آمنها وتؤمن خائفها وتثرى فقيرها وتفقر مثريها ميالة بأهلها عباد الله اتخذوا كتاب الله اماما وارضوا به حكما واجعلوه لكم هاديا ودليلا فانه ناسخ ماقبله ولا ينسخه مابعده واعلموا عباد الله أنه ينفى عنكم كيد الشيطان ومطامعه كما يجلو ضوء الشمس الصبح اذا اسفر وادبار الليل اذا عسعس ثم نزل واذن للناس بالدخول عليه واقر عمال من كان قبله على اعمالهم واقر خالد بن عبد الله القسرى على مكة وقد كان خالد احدث بمكة احداثا منها انه أدار الصفوف حول الكعبة وقد كان قبل ذلك صفوف الناس فى الصلاة بخلاف ذلك وبلغه قول الشاعر

ياحبذا الموسم من موقف * وحبذا الكعبة من مسجد
وحبذا اللاتى تزاحمننا * عند استلام الحجر الاسود

فقال خالد امانهن لايزاحمنك بعدها ابدا ثم أمر بالتفريق بين الرجال والنساء فى الطواف وكان سليمان صاحب اكل كثير يجوز المقدار وكان يلبس الثياب الرقاق وثياب الوشى وفى ايامه عمل الوشى الجيد باليمن والكوفة والاسكندرية ولبس الناس جميعا الوشى جبابا واردية وسراويل وعمائم وقلانس وكان لايدخل عليه رجل من اهل بيته الا فى الوشى وكذلك عماله واصحابه ومن فى داره وكان لباسه فى ركوبه وجلوسه وعلى المنبر وكان لايدخل عليه احد من خدامه الا فى الوشى حتى الطباخ فانه كان يدخل اليه فى صدرة وشى وعلى راسه طويلة وشى وامر ان يكفن فى الوشى المثقلة وكان شبعه فى كل يوم من الطعام مائة رطل بالعراقى وكان ربما اتاه الطباخون

بالسفافيذ التي فيها الدجاج المشوية وعليه الوشي المثقلة فلنهمه وحرصه على الاكل يدخل يده في كمه حتى يقبض على الدجاجة وهي حارة فيفصلها وذكر الاصمعي قال ذكرت للرشيد نهم سليمان وتناوله الفراريج بكمه من السفافيذ فقال قاتلك الله فما اعلمك باخبارهم انه عرضت على جباب بني امية فنظرت الى جباب سليمان واذا كل جبة منها في كمها اثر دهن فلم ادر ما ذلك حتى حدثتني بالحديث ثم قال علي بجباب سليمان فأتي بها فنظرنا فاذا تلك الآثار فيها ظاهرة فكساني منها جبة فكان الاصمعي ربما يخرج احيانا فيها فيقول هذه جبة سليمان التي كسانيها الرشيد وذكر ان سليمان خرج من الحمام ذات يوم وقد اشتد جوعه فاستعجل الطعام ولم يكن فرغ منه فامر ان يقدم ما لحق من الشواء فقدم اليه عشرون خروفا فاكل اجوافها كلها مع اربعين رقاقة ثم قرب بعد ذلك الطعام فاكل مع ندمائه كانه لم ياكل شيأ وحكى انه كان يتخذ سلال الحلوى ويجعل ذلك حول مرقده فكان اذا قام من نومه يمد يده فلا تقع الا على سلة يأكل منها (حدث) المنقري عن العتبي عن اسحق بن ابراهيم بن الصباح بن مروان وكان مولى لبني امية من ارض البلقاء من اعمال دمشق وكان حافظا لاخبار بني امية قال لبس سليمان يوم الجمعة في ولايته لباسا شهر به وتعطر ودعا بتخت فيه عمائم وبيده مرآة فلم يزل يعتم بواحدة بعد اخرى حتى رضي منها بواحدة فأرخى من سدولها واخذ بيده مخصرة وعلا المنبر ناظرا في عطفيه وجمع جمعه وخطب خطبته التي ارادها فاعجبته نفسه فقال انا الملك الشاب السيد المهاب الكريم الوهاب فتمثلت له جارية من بعض جواريه كان يتحظاها فقال لها كيف ترين امير المؤمنين قالت اراه منى النفس وقرة العين لولا ماقال الشاعر قال وماقال الشاعر قالت قال

انت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير ان لا بقاء للانسان
انت من لا يريبنا منك شيء * علم الله غير انك فاني
ليس فيما بدا لنا منك عيب * ياسليمان غير انك فان

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكيا فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بالجارية فقال لها ما دعاك الى ما قلت لامير المؤمنين قالت والله ما رايت امير المؤمنين اليوم ولا دخلت عليه فاكبره ذلك ودعا بقيمة جواريه فصدقتها في قولها فراع ذلك سليمان ولم ينتفع بنفسه ولم يمكث بعد ذلك الامدة حتى توفي وكان سليمان يقول قد اكلنا الطيب ولبسنا اللين وركبنا الفاره ولم يبق لذة الا صديق اطرح معه فيما بيني وبينه مؤنة التحفظ

ودخل عليه يزيد بن ابى مسلم كاتب الحجاج والمستولى عليه وهو مكبل بالحديد فلما رآه ازدراه فقال مارايت كاليوم قط لعن الله رجلا اجرك رسنه وحكمك فى امره فقال له يزيد لا تفعل ياامير المؤمنين فانك رايتنى والامر عنى مدبر وعليك مقبل ولو رايتنى والامر مقبل على لاستعظمت منى مااستصغرت ولاستجللت منى مااستحقرت قال صدقت فاجلس لا ام لك فلما استقر به المجلس قال له سليمان عزمت عليك لتخبرنى عن الحجاج ماظنك به اتراه يهوى بعد فى جهنم ام قد استقر فيها قال ياامير المؤمنين لا تقل هذا فى الحجاج فقد بذل لكم نصحه واحقن دونكم دمه وامن وليكم واخاف عدوكم وانه يوم القيامة لعن يمين ابيك عبد الملك ويسار اخيك الوليد فاجعله حيث شئت فصاح سليمان اخرج عنى الى لعنة الله ثم التفت الى جلسائه فقال قبحه الله ما كان احسن ترتيبه لنفسه ولصاحبه ولقد احسن المكافاة اطلقوا اسبيله (ودخل) عليه ابو حازم الاعرج فقال ياابا حازم مالنا نكره الموت قال لانكم عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم فانتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال فاخبرنى كيف القدوم على الله قال أما المحسن فكالغائب يأتى أهله مسرورا وأما المسىء فكالعبد الآبق يأتى مولاه محزونا قال فأى الاعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأى القول أعدل قال كلمة حق عند من تخاف وترجو قال فاى الناس اعقل قال من عمل بطاعة الله قال فأى الناس أجهل قال من باع آخرته بدنيا غيره قال عظنى وأوجز قال ياأمير المؤمنين نزه ربك وعظمه بحيث ان يراك تجتنب مانهاك عنه أو يفقدك من حيث أمرك به فبكى سليمان بكاء شديدا فقال له بعض جلسائه اسرفت ويحك على أمير المؤمنين فقال له أبو حازم اسكت فان الله عز وجل أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم خرج فلما صار الى منزله بعث اليه سليمان بمال فرده وقال للرسول قل له والله ياأمير المؤمنين ماارضاه لك فكيف ارضاه لنفسى وذكر اسحق بن ابراهيم الموصلى قال حدثنى الاصمعى عن شيخ من المهالبة قال دخل اعرابى على سليمان فقال له ياامير المؤمنين انى أريد أن اكلمك بكلام فافهمه فقال له سليمان انا نجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه وأرجو أن تكون الناصح جيبا المامون غيبا فهات قال ياأمير المؤمنين أما اذا أمنت بادرة غضبك فسأطلق لسانى بما خرست به الالسن من عظمتك تادية لحق الله وحق أمانتك ياأمير المؤمنين انه قد تكنفك رجال أساؤا الاحسان لانفسهم ابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك فى الله

ولم يخافوا الله فيك حرب للآخرة سلم للدنيا فلا تأمنهم على ما يأمنك الله عليه فانهم لم يأتوا الا مافيه تضييع وللامة خسف وعسف وأنت مسئول عما اجترموا وليسوا مسئولين عما اجترمت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس عيبا بائع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان أما أنت يا اعرابى فقد سللت لسانك وهو أقطع من سيفك فقال اجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك فقال سليمان أما وأبيك يا اعرابى لا تزال العرب بسلطاننا الاكناف العز متبوئة ولا تزال أيام دولتنا بكل خير مقبلة ولئن ساسكم ولاة غيرنا ليحمدن مناما أصبحتم تذمون فقال الاعرابى أما اذا رجع الامر الى ولد العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه ووارث ماجعله الله له أهلا فلا فتغافل سليما كأن لم يسمع شيأ وخرج الاعرابى فكان آخر العهد به هذا الخبر أخبرنى به بعض شيوخ ولد العباس بمدينة السلام مدينة أبى جعفر المنصور وهو ابن بريهة المنصورى عن أبيه عن على بن جعفر النوفلى عن أبيه وذلك فى سنة ثلثمائة وذكر معاوية بن أبى سفيان فى مجلس سليمان فصلى على روحه وأرواح من سلف من آبائه وقال كان والله هزله جدا وجده علما والله ما رؤى مثل معاوية كان والله غضبه حلما وحلمه حكما وقيل ان هذا الكلام لعبد الملك وكتب سليمان الى خالد بن عبد الله القسرى وهو على العراق فى رجل استجار به من قريش وكان هرب من خالد أن لا يعرض له فأتاه بالكتاب فلم يفضه حتى ضربه مائة سوط ثم قرأه فقال هذه نقمة أراد الله ان ينتقم بها منك لتركى قراءة الكتاب ولو كنت قراته لانفذت مافيه فخرج القرشى راجعا الى سليمان فسأله الفرزدق واناس ممن كان بالباب عما صنع خالد فأخبرهم فقال الفرزدق فى ذلك

سلوا خالدا لاقدس الله خالدا ... متى وليت قسر قريشا تدينها
أقبل رسول الله أم بعد عهده ... فاضحت قريش قد أغث سمينها
رجونا هداه لاهدى الله سعيه ... وماأمه بالام يهدى جنينها

فلما بلغ سليمان ذلك وجه الى خالد من ضربه مائة سوط فقال الفرزدق فى ذلك من أبيات

لعمرى لقد صبت على ظهر خالد * شآبيب ليست من سحاب ولا قطر
أتضرب فى العصيان من ليس عاصيا * وتعصى أمير المؤمنين أخا قسر
فلولا يزيد بن المهلب حلقت * بكفك فتخاء الى الفرخ فى الوكر
لعمرى لقد سار ابن سيبة سيرة * أرتك نجوم الليل مظهرة تجرى
فخذ بيديك الجزى حقافانما * جزيت قصاصا بالمرجرجة السمر

وقال سليمان لعمر بن عبد العزيز يوما وقد أعجبه سلطانه كيف ترى مانحن فيه قال سرور لولا انه غرور وحياة لولا أنه موت وملك لولا انه هلك وحسن لولا أنه حزن ونعيم لولا أنه عذاب أليم فبكى سليمان من كلامه وكان سليمان بخلاف الوليد وعلى الضد منه فى الفصاحة والبلاغة وقد كان الوليد أفسد فى أرض لعبد الله بن يزيد بن معاوية فشكا ذلك أخوه خالد بن يزيد الى عبد الملك فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها الآية فقال له خالد واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها الآية فقال عبد الملك أفى عبد الله يتكلم وبالامس دخل على فغير فى لسانه ولحن فى كلامه فقال أفعلى الوليد يقول قال ان كان الوليد يلحن فسليمان أخوه قال خالد وان كان عبد الله لحانا فاخوه خالد فقال الوليد أتتكلم ولست فى العير ولا فى النفير قال خالد ألم تسمع مايقول أمير المؤمنين انا والله ابن العير والنفير ولو قلت جبيلات وغنيمات والطائف قلنا صدقت أراد بذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفى الحكم بن أبى العاص الى الطائف فصار راعيا حتى رده عثمان وغضب سليمان على خالد القسرى فلما دخل عليه قال يا أمير المؤمنين ان القدرة تذهب الحفيظة وانك تجل عن العقوبة فان تعف فاهل لذلك أنت وان تعاقب فاهل ذلك أنا فعفا عنه وذم رجل فى مجلس سليمان الكلام فقال سليمان انه من تكلم فاحسن قدر على أن يصمت فيحسن ووقف سليمان على قبر ولده أيوب وبه كان يكنى فقال اللهم انى ارجوك له واخافك عليه فحقق رجائى وأمن خوفى (قال المسعودى) ولما دفن سليمان سمع بعض كتابه وهو يقول أبياتا تامنها

وما سالم عما قليل بسالم * وان كثرت أحراسه وكتائبه
ومن يك ذاباس شديد ومنعة * فعما قليل يهجر الباب حاجبه
ويصبح بعد الحجب للناس مقصيا * رهينة بيت لم تستر جوانبه
فما كان الا الدفن حتى تفرقت * الى غيره أحراسه ومواكبه
وأصبح مسرورا به كل كاشح * واسلمه أحبابه وأقاربه
فنفسك أكسبها السعادة جاهدا * فكل امرئ رهن بما هو كاسبه

(قال المسعودى) ولسليمان أخبار حسان لما كان فى مدة ملكه من الكوائن وقد اتينا على مبسوط ذلك فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا طلبا للايجاز وميلا الى الاختصار وبالله التوفيق

﴿ ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ﴾

واستخلف عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين وهو اليوم الذى مات فيه سليمان وتوفى بدير سمعان من أعمال حمص مما يلى بلاد قنسرين يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة فكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام وقبض وهو ابن تسع وثلاثين سنة وقبره مشهور فى هذا الموضع الى هذه الغاية معظم يغشاه كثير من الناس من الحاضرة والبادية لم يتعرض لنبشه فيما سلف من الزمان كما تعرض لقبور غيره من بنى أمية وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل انه قبض وهو ابن أربعين سنة وقيل ابن احدى وأربعين سنة وقد تنوزع أيضا فى مقدار مدته فى الخلافة وقد أتينا على المحصل من ذلك فى باب مقدار المدة من الزمان وما تملكت فيه بنو أمية من الاعوام فيما يرد من هذا الكتاب

﴿ذكر لمع من أخباره وسيره وزهده﴾

لم تكن خلافة عمر فى عهد تقدم وكان السبب فيها أن سليمان لما حضرته الوفاة بمرج دابق دعا رجاء بن حيوة ومحمد بن شهاب الزهرى ومكحولا وغيرهم من العلماء ممن كان فى عسكره غازيا ونافرا فكتب وصيته وأشهدهم عليها وقال اذا أنا مت فأذنوا بالصلاة جامعة ثم اقرؤا هذا الكتاب على الناس فلما فرغ من دفنه نودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس وحضر بنو مروان فاشر أبوا للخلافة وتشوفوا نحوها فقام الزهرى فقال أيها الناس أرضيتم من سماه أمير المؤمنين سليمان فى وصيته فقالوا نعم فقرأ الكتاب فاذا اسم عمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك فقام مكحول فقال اين عمر وكان عمر فى أواخر الناس فاسترجع حين دعى باسمه مرتين أو ثلاثا فأتاه قوم فاخذوه بيده وعضديه فأقاموه وذهبوا به الى المنبر فصعد وجلس على المرقاة الثانية وللمنبر خمس مراقى فكان اول من بايعه من الناس يزيد بن عبد الملك وقام سعيد وهشام فانصرفا ولم يبايعا وبايع الناس جميعا ثم بايع سعيد وهشام بعد ذلك بيومين وكان عمر فى نهاية النسك والتواضع فصرف عمال من كان قبله من بنى امية واستعمل اصلح من قدر عليه فسلك عماله طريقته وترك لعن على عليه السلام على المنابر وجعل مكانه ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم وقيل بل جعل مكان ذلك ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى الآية وقيل بل جعلهما جميعا فاستعمل الناس ذلك فى الخطبة الى هذه الغاية ولما استخلف عمر ودخل عليه سالم السدى وكان من خاصته فقال له عمر أسرك ما وليت أم ساءك فقال سرنى للناس وساءنى لك قال انى أخاف ان

أكون أو بقت نفسي قال ما أحسن حالك ان كنت تخاف انى أخاف عليك أن لا تخاف قال عظنى قال أبونا آدم أخرج من الجنة بخطيئة واحدة وكتب طاوس الى عمر ان أردت أن يكون عملك خيرا كله فاستعمل أهل الخير فقال عمر كفى بها موعظة ولما أفضى اليه الامر كان أول خطبة خطب الناس بها أن قال أيها الناس انما نحن من أصول قد مضت فروعها فما بقاء فرع بعد أصله وانما الناس فى هذه الدنيا أعراض تنتضل فيهم المنايا وهم فيها نصب المصائب مع كل جرعة شرق وفى كل أكلة غصص لا ينالون نعمة الا بفراق اخرى ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره الا بهدم آخر من اجله وكتب الى عامله بالمدينة أن اقسم فى ولد على بن ابى طالب عشرة آلاف دينار فكتب اليه ان عليا قد ولد له فى عدة قبائل من قريش ففى اى ولده فكتب اليه لو كتبت اليك فى شاة تذبحها لكتبت الى سوداء أو بيضاء اذا اتاك كتابى هذا فاقسم فى ولد على من فاطمة رضوان الله عليهم عشرة آلاف دينار فطالما تخطتهم حقوقهم والسلام (وخطب) فى بعض مقاماته فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه ايها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم الا وانى لست بقاض ولكنى منفذ الا وانى لست بمبتدع ولكنى متبع ان الرجل الهارب من الامام الظالم هو العاصى ألا لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق (وبعث) عمر وفدا الى ملك الروم فى أمر من مصالح المسلمين وحق يدعوه اليه فلما دخلوا اذا ترجمان يفسر عليه وهو جالس على سرير ملكه والتاج على رأسه والبطارقة عن يمينه وشماله والناس على مراتبهم بين يديه فأدى اليه ما قصدوا له فتلقاهم بجميل وأجابهم بأحسن الجواب وانصرفوا عنه فى ذلك اليوم فلما كان فى غداة غد أتاهم رسوله فدخلوا عليه فاذا هو قد نزل عن سريره ووضع التاج عن رأسه وقد تغيرت صفاته التى شاهدوه عليها كأنه فى مصيبة فقال هل تدرون لماذا دعوتكم قالوا لا قال ان صاحب مصلحتى التى تلى العرب جاءنى كتابه فى هذا الوقت ان ملك العرب الرجل الصالح قد مات فما ملكوا أنفسهم ان بكوا فقال لا تبكوا له وابكوا لانفسكم ما بدا لكم فانه خرج الى خير مما خلف قد كان يخاف ان يدع طاعة الله فلم يكن الله ليجمع عليه مخافة الدنيا ومخافة الآخرة لقد بلغنى من بره وفضله وصدقه ما لو كان أحد بعد عيسى يحيى الموتى لظننت أنه يحيي الموتى ولقد كانت تأتينى أخباره باطنا وظاهرا فلا اجد أمره مع ربه الا واحدا بل باطنه أشد حين خلوته بطاعة مولاه ولم أعجب لهذا الراهب الذى قد ترك الدنيا وعبد ربه على رأس صومعته ولكنى عجبت من هذا الذى

صارت الدنيا تحت قدمه فزهد فيها حتى صار مثل الراهب ان أهل الخير لا يبقون مع أهل الشر الا قليلا (وكتب عمر) الى أبى حازم المدنى الاعرج أن أوصنى وأوجز فكتب اليه كأنك يا أمير المؤمنين بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل والسلام ووقع الى عامل من عماله قد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما عدلت واما اعتزلت والسلام وذكر المدائنى قال كان يشترى لعمر قبل خلافته الحلة بألف دينار فاذا لبسها استخشنها ولم يستحسنها فلما أتته الخلافة كان يشترى له قميص بعشرة دراهم فاذا لبسه استلانه وخرج مع جماعة من أصحابه فمر بالمقبرة فقال لهم قفوا حتى آتى قبور الاحبة فاسلم عليهم فلما توسطها وقف فسلم وتكلم وانصرف الى أصحابه فقال ألا تسألونى ماذا قلت لهم وماقيل لى فقالوا وماذا قلت يا أمير المؤمنين وماقيل لك قال مررت بقبور الاحبة فسلمت فلم يردوا ودعوت فلم يجيبوا فبينا أنا كذلك اذ نوديت يا عمر أتعرفنى أنا الذى غيرت محاسن وجوههم ومزقت الاكفان عن جلودهم وقطعت أيديهم وأبنت أكفهم من سواعدهم ثم بكى حتى كادت نفسه أن تطفا فوالله مامضى بعد ذلك الأيام حتى لحق بهم (ووذكر المدائنى) قال كتب مطرف الى عمر أما بعد فان الدنيا دار عقوبة لها يجمع من لاعقل له وبها يغتر من لاعلم له فكن بها كالمداوى جرحه واصبر على شدة الدواء لما تخاف من عاقبة الداء (وذكر بعض الاخباريين) أن عمر فى عنفوان حداثته جنى عليه عبد له أسود جناية فبطحه وهم ليضربه فقال له العبد يا مولاى لم تضربنى قال لانك جنيت كذا وكذا قال فهل جنيت أنت جناية قط غضب بها عليك مولاك قال عمر نعم قال فهل عجل عليك العقوبة قال اللهم لا قال العبد فلم تعجل على ولم يعجل عليك فقال له قم فانت حر لوجه الله وكان ذلك سبب توبته وكان عمر يكثر هذا الكلام فى دعائه فيقول يا حليما لا يعجل على من عصاه (وذكر جماعة من الاخباريين) أن عمر لما ولى الخلافة وفد عليه وفود العرب ووفد عليه وفد الحجاز فاختار الوفد غلاما منهم فقدموه عليهم ليبدأ بالكلام فلما ابتدأ الغلام بالكلام وهو أصغر القوم سنا قال عمر مهلا يا غلام ليتكلم من هو أسن منك فقال مهلا يا أمير المؤمنين انما المرء باصغريه لسانه وقلبه فاذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استجاد له الحلية يا أمير المؤمنين ولو كان التقدم بالسن لكان فى هذه الامة من هو أسن منك قال تكلم يا غلام قال نعم يا أمير المؤمنين نحن وفود التهنئة لا وفود المرزئة قدمنا اليك من بلدنا نحمد الله الذى من بك علينا لم يخرجنا اليك رغبة ولا رهبة أما الرغبة فقد أتانا منك الى

بلدنا وأما الرهبة فقد أمننا الله بعدلك من جورك فقال عظنا ياغلام واوجز قال نعم ياأمير المؤمنين ان أناسا من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول املهم وحسن ثناء الناس عليهم فلا يغرنك حلم الله عنك وطول أملك وحسن ثناء الناس عليك فتزل قدمك فنظر عمر فى سن الغلام فاذا هو قد اتت عليه بضع عشرة سنة فانشأ عمر رحمه الله يقول

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لاعلم عنده * صغير اذا التفت عليه المحافل

وقد كان رجل من اهل العراق اتى المدينة فى طلب جارية وصفت له قارئة قوالة فسأل عنها فوجدها عند قاضى المدينة فاتاه وساله ان يعرضها عليه فقال ياعبد الله لقد ابعدت الشقة فى طلب هذه الجارية فارغبتك فيها لما راى من شدة اعجابه بها قال انها تغنى فتجيد فقال القاضى ماعلمت بهذا فالح عليه فى عرضها فعرضت بحضرة مولاها القاضى فقال لها الفتى هات فغنت

الى خالد حتى انخن بخالد * فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

ففرح القاضى بجاريته وسر بغنائها وغشيه من الطرب امر عظيم حتى اقعدها على فخذه وقال هات شيأ بابى انت فغنت

اروح الى القصاص كل عشية * ارجى ثواب الله فى عدد الخطا

فزاد الطرب على القاضى ولم يدر مايصنع فاخذ نعله فعلقها فى اذنه وجثا على ركبتيه وجعل ياخذ بطرف اذنه والنعل معلقة فيها ويقول اهدونى الى البيت الحرام فانى بدنة حتى ادمى اذنه فلما امسكت اقبل على الفتى فقال ياحبيبى انصرف قد كنا فيها راغبين قبل ان نعلم انها تقول فنحن الآن فيها ارغب فانصرف الفتى وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال قاتله الله لقد استرقه الطرب وامر بصرفه عن عمله فلما صرف قال نساؤه طوالق لو سمعها عمر لقال اركبونى فانى مطية فبلغ ذلك عمر فاشخص الجارية فلما دخلا على عمر قال له اعد ماقلت قال نعم فاعاد ماقال فقال للجارية قولى فغنت

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فابادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

فما فرغت من هذا الشعر حتى طرب عمر طربا بينا وأقبل يستعيدها ثلاثا وقد بلت دموعه لحيته ثم اقبل على القاضى فقال قد قاربت فى يمينك ارجع الى عملك راشدا (حدثنا) الطوسى والاموى الدمشقى وغيرهما عن الزبير بن بكار عن عبد الله بن احمد

المدينى قال كان بالمدينة فتى من بنى اميــة من ولد عثمان وكان ظريفا يختلف الى قينة لبعض قريش وكانت الجارية تحبه ولا يعلم ويحبها ولا تعلم ولم تــكن محبة القوم اذ ذاك لريبة ولا فاحشة فاراد يوما ان يبلو ذلك فقال لبعض من عنــده امض بنا اليها فانطلقا و وافاها وجوه اهل المدينة من قريش والانصار وغيرهما وما كان فيهم فتى يجد بها وجده ولا تجد بواحد منهم وجدها بالاموى فلما اخذ الناس مواضعهم قال لها الفتى اتحسنين ان تقولين

احبكم حبا بكل جوارحى * فهل عندكم علم بما لكم عندى
اتجزون بالود المضاعف مثله * فان كريما من جزى الود بالود

قالت نعم واحسن احسن منــه وقالت

للــذى ودنا المودة بالضعــ * ـف وفضل البادى به لا يجازى
لو بدا ما بنا لــكم مــلأ الار ض واقطار شامها والحجازا

قال فعجب الفتى من حذقها مع حسن جوابها وجودة حفظها فازداد كلفا بها وقال

افت عذر الفتى اذا اهتك الستـ ـر وان كان يوسف المعصوما

فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فاشــتراها بعشر حدائق ووهبها له بما يصلحها فاقامت عنده حولا ثم ماتت فرثاها وقضى فى حاله تلك فدفنا معا وكان من مرثيته لها قوله

قد تمنيت جنة الخلد للخلـ ـد فادخلتها بلا استئهال
ثم اخرجت اذ تطمعت بالنعـ ـمة منها والموت احمــد حال

وقال اشعب الطامع هذا ســيد شهيد الهوى انحروا على قبره سبعين بدنة (وقال) ابو حازم الاعرج المدنى اما محب لله يبلغ هذا وقد كان خرج فى ايام عمر سودب الخارجى وقوى امره فيمن خرج معه من المحكمة من ربيعة وغيرها فحدث عباد بن عباد المهلبى عن محمد بن الزبير الحنظلى قال ارسلنى عمر اليهم وارسل معى عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وكان خروجهم بالجزيرة وكتب عمر معنا اليهــم كتابا فاتيناهم فابلغناهم كتابه ورسالته فبعثوا معنا رجلين منهم احدهما من بنى شيبان والآخر فيه حبسة وهو أحدهما لسانا وعارضة فقدمنا بهما على عمر بن عبد العزيز وهو بخناصرة فصعدنا اليه الى غرفة هو فيها ومعه ابنه عبد الملك وكاتبه مزاحم فذكرنا مكانهما فقال فتشوهما لئلا يكون معهما حديد ففعلنا فلما دخلا قالا السلام عليك ثم جلسا فقال لهما عمر أخبرانى ما الذى أخرجكم مخرجكم هذا وما نقمتم علينا فتــكلم الذى فيه حبســة

فقال والله مانقمنا عليك فى سيرتك وانك لتجزئ بالعدل والاحسان ولكن بيننا وبينك أمر ان أنت أعطيتناه فنحن منك وأنت منا وان منعتناه فلست منا ولسنا منك فقال عمر وماهو قال رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها المظالم وسلكت غير سبيلهم فان زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فالعنهم وتبرأ منهم فهذا الذى يجمع بيننا وبينك أو يفرق فتكلم عمر فقال انى قد علمت انكم لم تخرجوا مخرجكم هذا الدنيا ولكن أردتم الآخرة وأخطأتم طريقها وانى سائلكم عن امور فبالله لتصدقننى عنها ارأيتما أبا بكر وعمر أليسا من أسلافكم ومن تتولونهما وتشهدون لهما بالنجاة قالا بلى قال فهل علمتم ان أبا بكر حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب قاتلهم فسفك الدماء وأخذ الاموال وسبى الذرارى قالا نعم قال فهل علمتم ان عمر حين قام بعد أبى بكر رد تلك السبايا الى أصحابها قالا نعم قال فهل برئ عمر من أبى بكر قالا لا قال أفرأيتم اهل النهروان أليسوا من اسلافكم ومن تتولون وتشهدون لهم بالنجاة قالا بلى قال فهل علمتم ان اهل الكوفة حين خرجوا اليهم كفوا ايديهم فلم يسفكوا دما ولم يخيفوا آمنا ولم ياخذوا مالا قالا نعم قال فهل علمتم أن اهل البصرة حين خرجوا اليهم مع الشيبانى وعبدالله بن وهب الراسبى وأصحابه استعرضوا الناس يقتلونهم ولقوا عبدالله بن خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوه وقتلوا جاريته ثم صبحوا حيا من احياء العرب فاستعرضوهم فقتلوا الرجال والنساء والاطفال حتى جعلوا يلقون الصبيان فى قدور الأقط وهى تفور قالا قد كان ذلك قال فهل تبرأ اهل البصرة من اهل الكوفة واهل الكوفة من اهل البصرة قالا لا قال فهل تبرءون انتم من احدى الطائفتين قالا لا قال ارأيتم الدين واحد أم اثنين قالا بل واحد قال فهل يسعكم فيه شئ يعجزعنى قالا لا قال فكيف وسعكم ان توليتم ابا بكر وعمر وتولى احدهما صاحبه وتوليتم اهل البصرة واهل الكوفة وتولى بعضهم بعضا وقد اختلفوا فى أعظم الاشياء فى الدماء والفروج والاموال ولا يسعنى فيما زعمتم الا لعن اهل بيتى والتبرؤ منهم أرأيتم لعن اهل الذنوب فريضة مفروضة لابد منها فان كانت كذلك فاخبرنى ايها المتكلم متى عهدك بلعن فرعون قال ما اذكر متى لعنته قال ويحك لم لا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق ويسعنى فيما زعمت لعن اهل بيتى والتبرؤ منهم ويحك انكم قوم جهال ثم اردتم امرا فاخطأتموه فانتم تردون على الناس ماقبله منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمن عندكم من خاف عنده ويخاف عندكم

من امن عنده قالا ما نحن كذلك قال عمر بل سوف تقرون بذلك الآن هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس وهم عبدة اوثان فدعاهم الى خلع الاوثان وشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فمن فعل ذلك حقن دمه واحرز ماله ووجبت حرمته وكانت له اسوة المسلمين قالا نعم قال افلستم انتم تلقون من يخلع الاوثان ويشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فتستحلون دمه وماله وتلقون من ترك ذلك واباه من اليهود والنصارى وسائر الاديان فيأمن عندكم وتحرمون دمه قال الحبسي ماسمعت كاليوم قط حجة ابين وأقرب مأخذا من حجتك اما انا فاشهد انك على الحق وانا بريء ممن بريء منك فقال عمر للشيباني فانت ماتقول قال مااحسن ماقلت وابين ماوصفت ولكنني لا افتات على المسلمين بامر حتى اعرض قولك عليهم فانظر ماحجتهم قال فانت اعلم فانصرف واقام الحبسي فامر له عمر بعطائه فمكث خمسة عشر يوما ثم مات ولحق الشيباني باصحابه فقتل معهم بعد موت عمر رحمه الله تعالى ولعمر مع الخوارج اخبار غير ماذكرناو مراسلات ومناظرات وكذلك لمن سلف من بني مية وغيرهم من ولاة الامصار وقد أتينا على ذكرها وذكر كل من سمته الخوارج بامير المؤمنين وخاطبته بالامامة من الازارقة والاباضية والحمرية والنجدات والخليفة والصفرية وغيرهم من انواع الحرورية وذكرنا مواضعهم من الارض في هذا الوقت مثل من سكن منهم من بلاد شهرزور وسجستان وجواة اصطخر من بلاد فارس وبلاد كرمان وأذربيجان وبلاد مكران وجبال عمان وهراة من بلاد خراسان والجزيرة وتاهرت السفلى وغيرها من بقاع الارض في كتابينا اخبار الزمان والاوسط وما ذكرنا من الرد عليهم في التحكيم وغير ذلك في كتابنا المترجم بكتاب الانتصار المحكم لفرق الخوارج وفي كتاب الاستبصار وقد ذكر جماعة من شعرائهم من سلف من ائمتهم من ذلك قول مصقلة بن عتبان الشيباني وكان من غلبة الخوارج

وأبلغ امير المؤمنين رسالة * وذو النصح ان لم يرع منك قريب
فانك ان لاترض بكر بن وائل * يكن لك يوم بالعراق عصيب
فان يك منهم كان مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فمنا سويد والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب
غزالة ذات البدر منا حميدة * لها في سهام المسلمين نصيب
ولا صلح مادامت منا بأرضنا * يقوم عليها من ثقيف خطيب

وكذلك ذكرنا أخبار أم شبيب وما كانت عليه من الاجتهاد فى ديانة المحكمة وفيها يقول الشاعر

أم شبيب ولدت شبيبا * هل تلد الذئبة الا ذيبا

واخبار علمائهم كاليمان وله كتب مصنفة فى مذاهبهم وعبد الله بن يزيد الأباضى وابى مالك الحضرمى وقعنب وغير هؤلاء من علمائهم وقد كان اليمان بن رباب من غلبة علماء الخوارج وأخوه على بن رباب من غلبة علماء الرافضة هذا مقدم فى أصحابه وهذا مقدم فى أصحابه يجتمعان فى كل سنة ثلاثة أيام يتناظران فيها ثم يفترقان ولا يسلم أحدهما على الآخر ولا يخاطبه وكذلك كان جعفر بن المبشر من علماء المعتزلة وحذاقها وزهادها وأخوه حسن بن المبشر من علماء أصحاب الحديث ورؤسا الحشوية بالضد من اخيه جعفر وطالت بينهما المناظرة والمباغضة والتباين وكل واحد منهما لا يخاطب الآخر الى ان لحق بخالقه وجعفر بن المبشر وجعفر بن حرب من علماء البغداديين من المعتزلة وكان عبد الله بن يزيد الاباضى بالكوفة تختلف اليه أصحابه ياخذون منه وكان خرازا شريكا لهشام بن الحكم وكان هشام مقدما فى القول بالجسم والقول بالامامة على مذهب القطيعية يختلف اليه أصحابه من الرافضة ياخذون عنه وكلاهما فى حانوت واحد على ماذكرنا من التضاد فى المذهب من التشرى والرفض لم يجر بينهما مسابة ولا خروج عما يوجبه العلم وقضية العقل وموجب الشرع واحكام النظر والسير وذكر ان عبد الله بن يزيد الاباضى قال لهشام بن الحكم فى بعض الايام تعلم ما بيننا من المودة ودوام الشركة وقد أحببت ان تنكحنى ابنتك فاطمة فقال له هشام انها مؤمنة فامسك عبد الله ولم يعاوده فى شئ من ذلك الى أن فرق الموت بينهما وكان من امر هشام مع الرشيد وابن برمك ما اتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وذكر عن عمر ابن عبيد انه كان يقول اخذ عمر بن عبد العزيز الخلافة بغير حقها ولا باستحقاق ثم استحقها بالعدل حين اخذها وفى وفاة عمر رضى الله تعالى عنه يقول الفرزدق من ابيات يرثيه بها

أقول لما نعى الناعون لى عمرا   لقد نعيتم قوام الحق والدين
قد غيب الرمسون اليوم اذ رمسوا   بدير سمعان قسطاس الموازين
لم يلهه عمره عين يفجرها   ولا النخيل ولا ركض البراذين

ولعمر رحمة الله عليه خطب واخبار حسان غير ما ذكرنا فى هذا الكتاب فى الزهد وغيره

وقداتيناعلى ذلك فيما سلف من كتبنا والحمدلله رب العالمين

﴿ ذكر أيام يزيد بن عبد الملك بن مروان ﴾

وملك يزيد بن عبد الملك فى اليوم الذى توفى فيه عمر بن عبد العزيز وهو يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة ويكنى أبا خالد وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان وتوفى يزيد بن عبد الملك باربد من أرض البلقاء من أعمال دمشق يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة وهو ابن سبع وثلاثين سنة فكانت ولايته أربع سنين وشهرا ويومين

﴿ذكر لمع من أخباره وسيره وما كان فى أيامه﴾

كان الغالب على يزيد بن عبد الملك حب جارية يقال لها سلامة القس وكانت لسهيل ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فاشتراها يزيد بثلاثة آلاف دينار فاعجب بها وغلبت على أمره وفيها يقول عبد الله بن قيس الرقيات

لقد فتن الدنيا وسلامة القسا ... فلم يتركا للقس عقلا ولا نفسا

فاحتالت ام سعيد العثمانية جدته بشراء جارية يقال لها حبابة قد كان فى نفس يزيد ابن عبد الملك قديما منها شىء فغلبت عليه ووهب سلامة لام سعيد فعذله مسلمة ابن عبد الملك لما عم الناس من الظلم والجور باحتجابه واقباله على الشرب واللهو وقال انما مات عمر أمس وكان من عدله ما قد علمت فينبغى أن تظهر للناس العدل وترفض هذا اللهو فقد اقتدى بك عمالك فى سائر أفعالك وسيرتك فارتدع عما كان عليه وأظهر الاقلاع والندم واقام على ذلك مدة مديدة فغلظ ذلك على حبابة فبعثت الى الاحوص الشاعر ومعبد انظرا اما انتماصانعان فقال الاحوص فى أبيات له

الا لا تلمه اليوم أن يتبلدا ... فقد غلب المحزون أن يتجلدا
اذا كنت لا تعشق ولم تدر ما الهوى ... فكن حجرا من يابس الصلد جلمدا
فما العيش الا ما تلذ وتشتهى ... وان لام فيه ذو الشنان وفندا

وغناه معبد وأخذته حبابة فلما دخل عليها يزيد قالت يا أمير المؤمنين اسمع منى صوتا واحدا ثم افعل ما بدا لك وغنته فلما فرغت منه جعل يردد قولها

فما العيش الا ما تلذ وتشتهى ... وان لام فيه ذو الشنان وفندا

وعاد بعد ذلك الى لهوه وقصفه ورفض ما كان عليه وذكر اسحق بن ابراهيم الموصلى

قال حدثنى ابن سلام قال ذكر يزيد قول الشاعر

صفحنا عن بنى ذهل * وقلنا القوم اخوان
عسى الايام أن يرجعـ * ـن قدما كالذى كانوا
فلما صرح الشر * فامسى وهو عريان
مشينا مشية الليث * غدا والليث غضبان
بضرب فيه توهين * وتخضيع واقران
وطعن كفم الزق * وهى والزق ملآ ن
وفى الشر نجاة حيـ * ـن لا ينجيك احسان

وهو شعر قديم يقال انه للفند فى حرب البسوس فقال لحبابة غنينى به بحياتى فقالت ياأمير المؤمنين هذا شعر لا أعرف أحدا يغنى به الا الاحول المكى فقال نعم قد كنت سمعت ابن عائشة يعمل فيه ويترك قالت انما أخذه عن فلان ابن ابى لهب وكان حسن الاداء فوجه يزيد الى صاحب مكة اذا أتاك كتابى هذا فادفع الى فلان ابن أبى لهب ألف دينار لنفقة طريقه واحمله على ماشاء من دواب البريد ففعل فلما قدم عليه قال غننى بشعر الفند فغناه فاجاد واحسن وقال اعده فاعاده فاجاد وأحسن وأطرب يزيد فقال له ممن أخذت هذا الغناء فقال ياامير المؤمنين أخذته عن أبى واخذه أبى عن أبيه فقال لو لم ترث الا هذا الصوت لكان أبو لهب قد ورثكم خيرا كثيرا فقال ياأمير المؤمنين ان أبالهب مات كافرا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد أعلم ماتقول ولكنى دخلتنى له رقة اذ كان مجيد الغناء ووصله وكساه ورده الى بلده مكرما وكان فى عهد عمر الى يزيد اذا أمكنتك القدرة بالعزة فاذكر قدرة الله عليك وقيل ان هذا الكلام كتب به عمر الى بعض عماله وفيه زيادة على ماذكره الزبير بن بكار وهى اذا أمكنتك القدرة من ظلم العباد فاذكر قدرة الله عليك بما ياتى عليهم واعلم أنك لا تاتى عليهم أمرا الا كان زائلا عنهم باقيا عليك وان الله ياخذ للمظلوم من الظالم ومهما ظلمت من أحد فلا تظلمن من لا ينتصر عليك الا بالله تعالى واعتلت حبابة فاقام يزيد أياما لا يظهر للناس ثم ماتت فاقام أياما لا يدفنها جزعا عليها حتى جيفت فقيل ان الناس يتحدثون بجزعك وان الخلافة تجل عن ذلك فدفنها وأقام على قبرها فقال

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى * فباليأس تسلو النفس لا بالتجلد

ثم أقام بعدها أياما قلائل ومات حدث ابو عبد الله محمد بن ابراهيم عن ابيه عن اسحق

الموصلي عن أبي الحويرث الثقفي قال لما ماتت حبابة حزن عليها يزيد بن عبد الملك حزناً شديداً وضم اليه جويرية كانت تحدثها فكانت تخدمه فتمثلت الجارية يوماً

كفى حزناً للهائم الصب أن يرى   منازل من يهوى معطلة قفرا

فبكى حتى كاد أن يموت ولم تزل تلك الجويرية معه يتذكر بها حبابة حتى مات. وكان يزيد ذات يوم في مجلسه وقد غنته حبابة وسلامة فطرب طرباً شديداً ثم قال أريد أن أطير فقالت له حبابة يامولاي فعلى من تدع الامة وتدعنا وكان أبو حمزة الخارجي اذا ذكر بني مروان وعابهم ذكر يزيد بن عبد الملك فقال أقعد حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره ثم قال أريد أن أطير فطار الى لعنة الله وأليم عذابه (قال المسعودي) وقد كان يزيد بن المهلب بن أبي صفرة هرب من سجن عمر بن عبد العزيز حين أثقل وذلك في سنة احدى ومائة وصار الى البصرة. وعليها عدى بن أرطاة الفزاري فأخذه يزيد بن المهلب فاوثقه ثم خرج يزيد الكوفة مخالفاً على يزيد بن عبد الملك وحشدت له الأزد وأحلافها وانحاز اليه أهله وخاصته وعظم أمره واشتدت شوكته فبعث اليه أخاه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس. ابن الوليد بن عبد الملك في جيش عظيم فلما اشارفاه رأى يزيد بن المهلب في عسكره اضطراباً فقال ماهذا الاضطراب قيل جاء مسلمة والعباس فوالله ما مسلمة الا جرادة صفراء وما العباس الا بسطوس بن بسطوس وما أهل الشأم الا طغام قد حشدوا ما بين. فلاح وزراع ودباغ وسفلة فأعيروني اكفكم ساعة تصفعون بها خراطيمهم فـاهي الاغدوة وروحة حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين على بفرسي فأتى بفرس أبلق فركب غير متسلح فالتقى الجيشان فاقتتلوا قتالا شديداً وولى أصحاب يزيد عنه فقتل يزيد في المعركة وصبر اخوته أنفسهم فقتلوا جميعاً ففي ذلك يقول الشاعر

كل القبائل بايعوك على الذى   تدعو اليـه طائعين وساروا
حتى اذا حضر الوغى وجعلتهـم   نصب الأسنة أسلموك وطاروا
ان يقتلوك فان قتلك لم يكن   عاراً عليك وبعض قتـل عار

فلما ورد الخبر على يزيد بن عبد الملك استبشر وأخذ الشعراء جميعاً يهجون آل المهلب. الا كثيراً فانه امتنع من ذلك فقال له يزيد حركتك الرحم ياأباصخر لانهم يمانيون ففي. ذلك يقول جرير يهجو آل المهلب

يارب قوم وقوم حاسدين لكم ... مافيهم بدل منكم ولا خلف
آل المهلب جز الله دابرهم ... أمسوا رمادا فلا أصل ولا طرف
مانالت الازد من دعوى مضلهم ... الا المعاجم والاعناق تختطف
والازد قد جعلوا المنتوف قائدهم ... فقتلتهم جنود الله وتسفوا

وهى طويلة وفى ذلك يقول جرير أيضا ليزيد من كلمة

لقد تركت فلا نعدمك اذ كفروا ... آل المهلب عظما غير مجبور
يا ابن المهلب ان الناس قد علموا ... أن الخلافة للشم المغاوير

وبعث يزيد هلال بن أحوز المازنى فى طلب آل المهلب وأمره أن لا يلقى منهم من بلغ الحلم الاضرب عنقه فاتبعهم حتى قندابيل من أرض السند وأتى هلال بغلامين من آل المهلب فقال لاحدهما أدركت قال نعم ومد عنقه فكان الآخر أشفق عليه فعض شفته لئلا يظهر جزعا فضرب عنقه وأثخن القتل فى آل المهلب حتى كاد أن يفنيهم فذكران آل المهلب مكثوا بعد ايقاع هلال بهم عشرين سنة يولد فيهم الذكور فلا يموت منهم أحد وفى مدح هلال بن أحوز وما فعل يقول جرير

أقول لها من ليلة ليس طولها ... كطول الليالى ليت صبحك نورا
أخاف على نفسى ابن أحوز انه ... جلا كل هم فى النفوس فاسفرا
جعلت لقبر بالحساب ومالك ... وقبر عدى بالمقابر أقبرا
فلم يبق منهم راية تعرفونها ... ولم يبق من آل المهلب عسكرا

وهى أبيات وقد كان يزيد بن عبد الملك حين ولى عمر بن هبيرة الفزارى العراق وأضاف اليه خراسان واستقام أمره هنالك بعث ابن هبيرة الى الحسن بن أبى الحسن البصرى وعامر بن شرحبيل الشعبى ومحمد بن سيرين وذلك فى سنة ثلاث ومائة فقال اللهم ان يزيد بن عبد الملك خليفة الله استخلفه على عباده وأخذ ميثاقهم بطاعته وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة وقد ولانى ماترون يكتب الى بالامر من أمره فانفذه وأقلده مايقلده من ذلك فماترون فقال ابن سيرين والشعبى قولا فيه تقية فقال عمر ماتقول ياحسن فقال الحسن يا ابن هبيرة خف الله فى يزيد ولا تخف يزيد فى الله ان الله يمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وأوشك أن يبعث اليك ملكا فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك ثم لا ينجيك الا عملك يا ابن هبيرة انى أحذرك ان تعصى الله فانما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله وعباده فلا تتركن دين الله وعباده

بسلطان الله فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وحكى فى هذا الخبر أن ابن هبيرة أجازهم وأضعف جائزة الحسن فقال الشعبي سفسفنا فسفسف لنا وذكر أن يزيد بن عبد الملك بلغه أن أخاه هشام بن عبد الملك ينتقصه ويتمنى موته ويعيب عليه لهوه بالقينات فكتب اليه يزيد أما بعد فقد بلغني استثقالك حياتي واستبطاؤك موتى ولعمرى انك بعدى لواهى الجناح أجذم الكف وما استوجبت منك ما بلغنى عنك فاجابه هشام أما بعد فان أمير المؤمنين متى فرغ سمعه لقول أهل الشنآن وأعداء النعم يوشك أن يقدح ذلك فى فساد ذات البين وتقطع الارحام وأمير المؤمنين بفضله وما جعله الله اهلا له أولى أن يتعمد ذنوب اهل الذنوب فاما أنا فمعاذ الله أن أستثقل حياتك أو أستبطئ وفاتك فكتب اليه نحن مغتفرون ما كان منك ومكذبون ما بلغنا عنك فاحفظ وصية عبد الملك ايانا وقوله لنا فى ترك التباغى والتخاذل وما أمر به وحض عليه من صلاح ذات البين واجتماع الاهواء فهو خير لك وأملك بك وانى لا كتب اليك واعلم انك كما قال الاول

وانى على أشياء منك تريبنى قديما لذو صفح على ذاك مجمل
ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعتنى يمينك فانظر أى كف تبدل
وان انت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل

فلما اتى الكتاب هشاما ارتحل اليه فلم يزل فى جواره مخافة اهل البغى والسعاية حتى مات يزيد وممن مات فى ايام يزيد بن عبد الملك عطاء بن يسار مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ويكنى ابا محمد وهو ابن اربع وثمانين سنة وذلك فى سنة ثلاث ومائة وفيها مات مجاهد بن جبير مولى قيس بن السائب المخزومى ويكنى اباالحجاج وهو ابن اربع وثمانين سنة وجابر بن زيد مولى الازد من اهل البصرة ويكنى اباالشعثاء ويزيد ابن الاصم من اهل الرقة وهو ابن اخت ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ويحيي ابن وثاب الاسدى مولى بنى كنانة كان وأبو بردة بن ابى موسى الاشعرى واسمه عامر كوفى وفى سنة اربع ومائة مات وهب بن منبه ويقال مات سنة عشرة ومائة وفى سنة اربع ومائة هذه ايضا مات طاوس وفى سنة خمس ومائة مات عبد الله بن جبير مولى العباس بن عبد المطلب ويقال انه مولى مولى العباس وقيل ان طاوس بن كيسان ويكنى اباعبد الرحمن مولى بحير الحميرى مات بمكة سنة ست ومائة وصلى عليه هشام ابن عبد الملك وفى سنة سبع ومائة مات سليمان بن يسار مولى ميمونة زوج النبى صلى

الله عليه وسلم وهو أخو عطاء بن يسار ويكنى ابا ايوب وهو ابن ثلاث وسبعين سنة بالمدينة وقيل انه مات فى سنة مائة وفى سنة ثمان ومائة مات القاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق ومات الحسن بن ابى الحسن البصرى ويكنى اباسعيد فى سنة عشر ومائة واسم ابيه يسار مولى لامراة من الانصار مات وله تسع وثمانون سنة وقيل تسعون سنة وكان اكبر من محمد بن سيرين ومات محمد بعده بمائة ليلة فى هذه السنة وهو ابن احدى وثمانين سنة وقيل ابن ثمانين وكان اولاد سيرين خمسة اخوة محمد وسعيد ويحيى وخالد وأنس بن سيرين وسيرين مولى انس بن مالك والخمسة قدروا السنن ونقلت عنهم ووجدت اصحاب التواريخ متباينين ومختلفين غير متفقين في وفاة وهب بن منبه ويكنى اباعبد الله فنهم من ذكر وفاته على حسب ماقدمنا فى هذا الباب ومنهم من رأى انه مات سنة عشر ومائة بصنعاء وكان من الابناء وهو ابن تسعين سنة وفى سنة خمس عشرة ومائة مات الحكم بن عتبة الكندى وقيل انه مات فيها عطاء بن ابى رباح وفى سنة ثلاث وعشرين ومائة مات ابو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى وذكر الواقدى انه مات سنة اربع وعشرين ومائة وليزيد بن عبد الملك اخبار حسان ولما كان فى ايامه من الكوائن والاحداث وقد أتينا على مبسوط ذلك فى كتابينا اخبار الزمان والاوسط وانما ذكرنا وفاة من سمينا من اهل العلم ونقلة الآثار وحملة الاخبار ليكون ذلك زيادة فى فائدة الكتاب فتكون فوائده عامة اذ كان الناس فى اغراضهم متباينين وفيما يتيممونه من ماخذ العلم مختلفين فنهم طالب خبر ومقلد لاثر ومنهم ذو بحث ونظر ومنهم صاحب حديث ومنقر عن علل ومراع لوفاة مثل من ذكرنا فجعلنا فيه لكل ذى راى نصيبا وبالله التوفيق

﴿ ذكر أيام هشام بن عبد الملك بن مروان ﴾

وبويع هشام بن عبد الملك فى اليوم الذى توفى فيه اخوه يزيد بن عبد الملك وهو يوم الجمعة لخمس بقين من شوال سنة خمس ومائة وقبض يزيد وله يومئذ ثمان وثلاثون سنة وقيل اربعون وتوفى هشام بن عبد الملك بالرصافة من ارض قنسرين يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة اشهر واحدى عشرة ليلة

﴿ ذكر لمع من اخباره وسيره ﴾

وكان هشام احول خشنا فظا غليظا يجمع الاموال ويعمر الارض ويستجيد الخيل

واقام الحلبة فاجتمع له فيها من خيله وخيل غيره اربعة آلاف فرس ولم يعرف ذلك فى جاهلية ولا اسلام لاحد من الناس وقد ذكرت الشعراء ما اجتمع له من الخيل واستجاد الكسى والفرش وعدد الحرب ولامتها واصطنع الرجال وقوى الثغور واتخذ القنى والبرك بطريق مكة وغير ذلك من الآثار التى اتى عليها داود بن على فى صدر الدولة العباسية وفى ايامه عمل الخز والقطف الخز فسلك الناس جميعا فى ايامه مذهبه ومنعوا ما فى ايديهم فقل الافضال وانقطع الرفد ولم ير زمان اصعب من زمانه وفى ايامه استشهد زيد بن على بن الحسين بن على كرم الله وجهه وذلك فى سنة احدى وعشرين ومائة وقيل فى سنة اثنتين وعشرين ومائة وقد كان زيد بن على شاور أخاه أبا جعفر بن على بن الحسين بن على فاشار عليه بأن لا يركن الى أهل الكوفة اذ كانوا أهل غدر ومكر وقال له بها قتل جدك على وبها طعن عمك الحسن وبها قتل أبوك الحسين وفيها وفى اعمالها شتمنا أهل البيت وأخبره بما كان عنده من العلم فى مدة ملك بنى مروان وما يتعقبهم من الدولة العباسية فابى الا ما عزم عليه من المطالبة بالحق فقال له انى أخاف عليك يا أخى أن تكون غدا المصلوب بكناسة الكوفة وودعه أبو جعفر وأعلمه انهما لا يلتقيان وقد كان زيد دخل على هشام بالرصافة فلما مثل بين يديه لم ير موضعا يجلس فيه فجلس حيث انتهى به مجلسه وقال يا أمير المؤمنين ليس أحد يكبر عن تقوى الله ولا يصغر دون تقوى الله فقال هشام اسكت لا أم لك أنت الذى تنازعك نفسك فى الخلافة وأنت ابن أمة قال يا أمير المؤمنين ان لك جوابا ان أحببت أجبتك به وان أحببت أمسكت عنه فقال بل أجب قال ان الامهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات وقد كانت أم اسمعيل أمة لام اسحق صلى الله عليهما وسلم فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيا وجعله للعرب أبا فاخرج من صلبه خير البشر محمدا صلى الله عليه وسلم فتقول لى هذا وأنا ابن فاطمة وابن على وقام وهو يقول

شرده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حر الجلاد
منخرق الكفين يشكو الجوى * تنكثه أطراف مرو حداد
قد كان فى الموت له راحة * والموت حتم فى رقاب العباد
ان يحدث الله له دولة * يترك آثار العدا كالرماد

فمضى عليها الى الكوفة وخرج عنها ومعه القراء والاشراف فحاربه يوسف بن عمر الثقفى فلما قامت الحرب انهزم أصحاب زيد وبقى فى جماعة يسيرة فقاتلهم أشد قتال وهو

يقول متمثلا

أذل الحياة وعز الممات * وكلا أراه طعاما وبيلا

فان كان لابد من واحد * فسيرى الى الموت سيرا جميلا

وحال المساء بين الفريقين فراح زيد مثخنا بالجراح وقد أصابه سهم فى جبهته فطلبوا من ينزع النصل فاتى بحجام من بعض القرى فاستكتموه أمره فاستخرج النصل فمات من ساعته فدفنوه فى ساقية ماء وجعلوا على قبره التراب والحشيش وأجرى الماء على ذلك وحضر الحجام مواراته فعرف الموضع فلما أصبح مضى الى يوسف متنصحا فدله على موضع قبره فاستخرجه يوسف وبعث برأسه الى هشام فكتب اليه هشام أن اصلبه عريانا فصلبه يوسف كذلك ففى ذلك يقول بعض شعراء بنى أمية يخاطب آل أبى طالب وشيعتهم من أبيات

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة * ولم أر مهديا على الجذع يصلب

وبنى تحت خشبته عمودا ثم كتب هشام الى يوسف باحراقه وذروه فى الرياح (قال المسعودى) وحكى الهيثم بن عدى الطائى عن عمرو بن هانىء قال خرجت مع عبد الله بن على لنبش قبور بنى أمية فى ايام ابى العباس السفاح فانتهينا الى قبر هشام فاستخرجناه صحيحا ما فقدنا منه الا خثمة انفه فضربه عبد الله بن على ثمانين سوطا ثم احرقه واستخرجنا سليمان من ارض دابق فلم نجد منه شيأ الا صلبه وأضلاعه ورأسه فاحرقناه وفعلنا ذلك بغيرهما من بنى أمية وكانت قبورهم بقنسرين ثم انتهينا الى دمشق فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا فى قبره قليلا ولا كثيرا واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا الا شؤون راسه ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا فيه الا عظما واحدا ووجدنا مع لحده خطا اسود كانما خط بالرماد فى الطول فى لحده ثم اتبعنا قبورهم فى جميع البلدان فاحرقنا ما وجدنا فيها منهم وانما ذكرنا هذا الخبر فى هذا الموضع لقتل هشام زيد بن على وما نال هشاما من المثلة بما فعل بسلفه من الاحراق كفعله بزيد بن على وقد ذكر ابو بكر بن عياش وجماعة ان زيدا مكث مصلوبا خمسين شهرا عريانا فلم يرله احد عورة سترا من الله له وذلك بالكناسة بالكوفة فلما كان فى ايام الوليد بن يزيد بن عبد الملك وظهر ابنه يحيى بن زيد بخراسان كتب الوليد الى عامله بالكوفة ان احرق زيدا بخشبته ففعل به ذلك واذرى فى الرياح على شاطىء الفرات وقد اتينا فى كتابنا المقالات فى اصول الديانات على السبب الذى من اجله سميت الزيدية بهذا الاسم وان ذلك بخروجهم مع زيد

ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم هذا وقد قيل غير ذلك مما قد اتينا عليه فيما سلف من كتبنا والخلاف فى الزيدية والامامية والفرق بين هذين المذهبين وكذلك غيرهم من فرق الشيعة وغيرهم كأبى عيسى محمد بن هرون الوراق وغيره فقلنا ان الزيدية كانت فى عصرهم ثمانية فرق أولها الفرقة المعروفة بالجارودية وهم أصحاب أبى الجارود وزياد بن المنذر العبدى وذهبوا الى ان الامامة مقصورة فى ولد الحسن والحسين دون غيرهما ثم الفرقة الثانية المعروفة بالمرئية ثم الفرقة الثالثة المعروفة بالابرقية ثم الفرقة الرابعة المعروفة باليعقوبية وهم أصحاب يعقوب بن على الكوفى ثم الفرقة الخامسة المعروفة بالعقبية ثم الفرقة السادسة المعروفة بالابترية وهم أصحاب كثير الابتر والحسن بن صالح بن حى ثم الفرقة السابعة المعروفة بالجريرية وهم أصحاب سليمان بن جرير ثم الفرقة الثامنة المعروفة باليمانية وهم أصحاب محمد بن اليمان الكوفى وقد زاد هؤلاء فى المذهب وفرعوا مذاهب على ماسلف من أصولهم وكذلك فرق أهل الامامة فكانوا على ذكر من سلف من أصحاب الكتب ثلاثا وثلاثين فرقة وقد ذكرنا تنازع القطيعية بعد مضى الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وماقالت الكيسانية وماتباينت فيه وغيرها من سائر طوائف الشيعة وهم ثلاث وسبعون فرقة دون ماتباينوا فيه من التفريع وتنازعوا فيه من التأويل والغلاة أيضا ثمان فرق المحمدية منهم أربع والمعتزلة أربع وهم العلوية ولولا أن كتابنا هذا كتاب خبر لبسطنا من مذاهبهم ووصفنا من آرائهم ماتقدم قبلنا وحدث فى وقتنا هذا وماقالوه من دلائل ظهور المنتظر الموعود بظهوره وماذهب اليه كل فريق منهم فى ذلك من أصحاب الدورة والثروة والتشريق وغيرهم من أهل الامامة وعرض هشام يوما الجند بحمص فمر به رجل من أهل حمص وهو على فرس نفور فقال له هشام ماحملك على أن تربط فرسا نفورا فقال الحمصى لا والرحمن الرحيم ياأمير المؤمنين ماهو بنفور ولكنه أبصر حولتك فظن أنها عين غزوان البيطار فقال له هشام تنح فعليك وعلى فرسك لعنة الله وكان غزوان البيطار نصرانيا ببلاد حمص كانه هشام فى حولته وكشفته وبينما هشام ذات يوم جالسا خاليا وعنده الابرش الكلبى اذ طلعت وصيفة لهشام عليها حلة فقال للابرش مازحها فقال لها هبى لى حلتك فقالت له لأنت أطمع من أشعب فقال لها هشام ومن أشعب فقالت كان مضحكا بالمدينة وحدثته بعض أحاديثه فضحك هشام وقال اكتبوا الى

ابراهيم بن هشام وكان عامله على المدينـة فى حمله الينا فلما ختم الـكتاب أطرق هشام طويلا ثم قال ياأبرش هشام يكتب الى بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحمل اليه مضحك لاها الله ثم تمثل

اذا أنت طاوعت الهوى قادك الهوى الى بعض مافيـه عليك مقـال

وأوقف الـكتاب وذكر أن هشاما أهدى له رجل طائرين فاعجب بهما فقال له الرجل جائزتى ياأمير المؤمنين قال وما جائزة طائرين قال له ماشئت قال خذ أحدهما فقصد الرجل لاحسنهما فاخذه فقال له هشام وتختار أيضا قال نعم والله أختار فقال دعه وأمر له بدريهمات ودخل هشـام بستاناله ومعـه ندماؤه فطافوا به وبه من كل الثمار فجعلوا يأكلون ويقولون بارك الله لامير المؤمنين فقال وكيف يبارك لى فيه وأنتم تأكلونه ثم قال ادع قيمه فدعا به فقال له اقلع شجره واغرس فيه زيتو ناحتى لا يأكل منه أحد شيأ وكتب اليه ابنه سليمان ان بغلتى قد عجزت فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر لى بدابة فـكتب اليه أمير المؤمنين قد فهـم كتابك وماذكرت من ضعف دابتك وقد ظن أن ذلك من قلة تعاهدك لعلفها وضياع العلف فقم عليها بنفسك ولعل أمير المؤمنين يرى رأيه فى حملانك ونظر هشام الى رجل على برذون طخارى فقال من أين لك هذا قال حملنى عليه الجنيد بن عبد الرحمن قال وقد كثرت الطخارية حتى ركبها العامة لقد مات عبد الملك وفى مربطه برذون واحد طخارى فتنافس فيه ولده حتى ظن من فاته أن الخلافة فاتته قال الرجل فحسـدنى اياه وقد كان أخوه مسلم مازحه قبـل أن يلى الامر فقال له ياهشام أتؤمل الخلافة وأنت جبان بخيل فقال والله انى عليم حليم (وذكر الهيثم بن عدى والمدائنى وغيرهما) أن السواس من بنى أمية ثلاثة معاوية وعبد الملك وهشام وختمت أبواب السياسة وحسن السيرة وأن المنصور كان فى أكثر أموره وتدبيره وسياسته متبعا لهشام فى أفعاله لـكثرة كشفه عن أخبار هشام وسيره وقد أتينا على غرر أخباره وسيره وسياساته وماحفظ من أشعاره وخطبه وماكان فى أيامه فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وكـذلك ذكرنا بدء الـكلام الذى أثار تصنيف الـكتاب المعروف بكتاب الواحدة فى مناقب العرب ومثالبها مفردة لا يشاركها فيها غيرها وما أضيف الى كل حى من العرب من قحطان وغيرهم من نزار وماجرى فى مجلس هشام فى أوقات مختلفة بين الابرش الـكلبى والعباس بن الوليد بن عبد الملك وخالد بن مسلمة المخزومى والنضر بن مريم الحميرى وماأورده الحميرى من مناقب قومه من نزار

ابن معد بن عدنان وما ذكره كل واحد منهم من المثالب فيما عدا قومه وبان عن عشيرته ورهطه وقد قيل ان هذا الكتاب ألفه أبو عبيدة معمر بن المثنى مولى آل تيم بن مرة ابن كعب بن لؤى على لسان من ذكرنا وعزاه الى من وصفنا أو غيره من الشعوبية

﴿ ذكر أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ﴾

وبويع الوليد بن يزيد فى اليوم الذى توفى فيه هشام وهو يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ثم قتل بالبحراء يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة فكانت ولايته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما وقتل وهو ابن أربعين سنة والموضع الذى قتل فيه دفن فيه وهى قرية من قرى دمشق تعرف بالبحراء على ماذكرنا وقد أتينا على خبر مقتله فى كتابنا الاوسط

﴿ ذكر لمع من أخباره وسيره ﴾

ظهر فى أيام الوليد بن يزيد يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام بالجوزجان من بلاد خراسان منكرا للظلم وماعم الناس من الجور فسير اليه نصر بن سيار وسلم بن أحوز المازنى فقتل يحيى فى المعركة بقرية يقال لها أرغونة ودفن هنالك وقبره مشهور مزور الى هذه الغاية وليحيى وقائع كثيرة وقتل فى المعركة بسهم أصابه فى صدغه فولى اصحابه عنه يومئذ واحتز رأسه فحمل الى الوليد وصلب جسده بالجوزجان فلم يزل مصلوبا الى أن خرج أبو مسلم صاحب الدولة العباسية فقتل أبو مسلم سلم بن أحوز وأنزل جثة يحيى فصلى عليها ودفنت هنالك وأظهر أهل خراسان النياحة على يحيى بن زيد سبعة أيام فى سائر اعمالها فى حال امنهم على أنفسهم من سلطان بنى أمية ولم يولد فى تلك السنة بخراسان مولود الا وسمى بيحيى أو بزيد لما داخل أهل خراسان من الجزع والحزن عليه وكان ظهور يحيى فى آخر سنة خمس وعشرين وقيل أول سنة ست وعشرين ومائة وقد اتينا على أخباره وما كان من حروبه فى الكتاب الاوسط وفى غيره مما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن اعادته وكان يحيى يوم قتل يكثر من التمثل بشعر الخنساء

نهين النفوس وهون النفو ❊ س يوم الكريهة أوفى لها

وكان الوليد بن يزيد صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء وهو أول من حمل المغنين من البلدان اليه وجالس الملهين واظهر الشرب والملاهى والعزف وفى أيامه كان ابن سريج المغنى ومعبد والغريض وابن عائشة وابن محرز وطويس ودحمان وغلبت

عليه شهوة الغناء فى أيامه وعلى الخاص والعام واتخذ القيان وكان متهتكا ماجنا خليعا
وطرب الوليد لليلتين خلتا من ملكه وأرق فانشأ يقول

طال ليلى وبت أسقى السلافه * وأتانى نعى من بالرصافه
وأتانى ببردة وقضيب * واتانى بخاتم للخلافه

ومن مجونه قوله عند وفاة هشام وقد أتاه البشير بذلك وسلم عليه بالخلافة

انى سمعت خليلى * نحو الرصافة رنه أقبلت أسحب ذيلى * أقول ماحالهنه
اذا بنات هشام * يندبن والدهنه يدعون ويلاوعولا * والويل حل بهنه
أنا المخنث حقا * ان لم أفيكنهنه

وقيل للوليد ما بقى من لذاتك قال محادثة الاخوان فى الليالى القمر على الكثبان العفر
وبلغ الوليد عن شراعة بن الزيدورود حسن عشرة وحلاوة مجالسة فبعث فى احضاره
فلما دخل اليه قال انى ما بعثت اليك لاسألك عن كتاب ولا سنة قال ولست من أهلها
قال انما أسالك عن القهوة قال سل عن أى ذلك شئت ياأمير المؤمنين قال ماتقول فى
الشراب قال عن أيه تسأل قال ماتقول فى الماء قال يشاركنى فيه البغل والحمار قال فنبيذ
الزبيب قال خمار وأذى قال فنبيذ التمر قال ضراط كله قال فالخمر قال شقيقة روحى
وأليفة نفسى قال فما تقول فى السماع قال يبعث مع التأنى على ذكر الاشجان ويجدد
اللهو على مواقع الاحزان ويؤنس الخل الوحيد ويسر العاشق الفريد ويبرد غليل
القلوب ويثير من خواطر الضمائر خطرة ليست من الملاهى لغيره يسرع ترقيها فى
اجزاء الجسد فتهيج النفس وتقوى الحس قال فاى المجالس أحب اليك قال ما رأيت فيه
السماء من غير أن ينالنى فيه أذى قال فما تقول فى الطعام قال ليس لصاحب الطعام اختيار
ماوجده أكله فاتخذه الوليد نديما ومن مليح قوله فى الشراب من أبيات

وصفراء فى الكأس كالزعفران * سباها لنا التجر من عسقلان
تريك القذاة وعرض الانا * ءستر لهادون مس البنان
لها حبب كلما صفقت * تراها كلمعة برق يمانى

ومن مجونه أيضا على شرابه قوله لساقيه

اسقنى يايزيد بالقرقاره * قد طربنا وحنت الزماره
اسقنى اسقنى فان ذنوبى * قد احاطت فمالها كفاره

واخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى القاضى عن محمد بن سلام الجمحى قال

حدثني رجل من شيوخ اهل الشام عن أبيه قال كنت سمير الوليد بن يزيد فرأيت ابن عائشة القرشي عنده وقد قال له غنني فغناه

انى رأيت صبيحة النحر * حورا نفين عزيمة الصبر
مثل الكواكب فى مطالعها * عند العشاء أطفن بالبدر
وخرجت أبغى الاجر محتسبا * فرجعت موقورا من الوزر

فقال له الوليد أحسنت والله يا أمير المؤمنين أعد بحق عبد شمس فاعاد فقال أحسنت والله بحق أمية أعد فاعاد فجعل يتخطى من أب الى أب ويأمره بالاعادة حتى بلغ نفسه فقال أعد بحياتي فاعاد فقام الى ابن عائشة فاكب عليه ولم يبق عضوا من أعضائه الا قبله وأهوى الى ايره فجعل ابن عائشة يضم ذكره بين فخذيه فقال الوليد والله لا زلت حتى أقبله فقبل رأسه وقال واطرباه واطرباه ونزع ثيابه فالقاها على ابن عائشة وبقي مجردا الى أن أتوه بثياب غيرها ودعا له بالف دينار فدفعت اليه وحمله على بغلة وقال اركبها على بساطي وانصرف فقد تركتني على احر من جمر الغضى (قال المسعودى) وقد كان ابن عائشة غنى بهذا الشعر يزيد بن عبد الملك أباه فاطربه وقيل انه ألحد وكفر فى طربه وكان فيما قال لساقيه اسقنا بالسماء الرابعة فكأن الوليد بن يزيد قد ورث الطرب فى هذا الشعر عن أبيه والشعر لرجل من قريش والغناء لابن سريج وقيل لمالك على حسب ما فى كتب الاغانى من الخلاف فى ذلك مما ذكره اسحق بن ابراهيم الموصلى فى كتابه فى الاغانى وابراهيم بن المهدى المعروف بابن شكلة فى كتابه فى الاغانى أيضا وغيرهما ممن صنف فى هذا المعنى والوليد يدعى خليع بنى مروان وقرأ ذات يوم واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد فدعا بالمصحف فنصبه غرضا للنشاب وأقبل يرميه وهو يقول

أتوعد كل جبار عنيد   فها انا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر   فقل يارب خرقنى الوليد

وذكر محمد بن يزيد المبرد أن الوليد ألحد فى شعر له ذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم وأن الوحى لم يأته عن ربه كذب أخزاه الله ومن ذلك فى الشعر

تلعب بالخلافة هاشمى   بلا وحى اتاه ولا كتاب
فقل لله يمنعنى طعامى   وقل لله يمنعنى شرابى

فلم يمهل بعد قوله الا أياما حتى قتل وام الوليد بن يزيد أم الحجاج بنت محمد بن يوسف

الثقفية و بكى أباالعباس وقدكان حمل اليه جفنة من البلور وقيل من الحجر المعروف باليشب وقدذهب جماعة من الفلاسفة الى ان من شرب فيه الخمر لا يسكر وقدذكرنا خاصية ذلك فى كتاب القضايا والتجارب وان من وضع تحت رأسه منه قطعة أو كان فص خاتمه منه لم ير الا رؤيا حسنة فامر الوليد فملئت خمرا وطلع القمر وهو يشرب وندماؤه معه فقال أين القمر الليلة فقال بعضهم فى البرج الفلانى فقال له آخر منهم بل هو فى الجفنة وقد كان القمر تبين فى شعاع الجوهر وصورته فى ذلك الشراب فقال الوليد والله ماتعديت مافى نفسى وطرب طربا شديدا وقال لا صطبحن هفت هفته وهذا كلام فارسى تفسيره لاصطبحن سبعة أسابيع فدخل عليه بعض حجابه فقال ياأمير المؤمنين ان بالباب جمعا من وفود العرب وغيرهم من قريش والخلافة تجل عن هذه المنزلة وتبعد عن هذه الحال فقال اسقوه فابى فوضع فى فمه قمع وجعلوا يسقونه حتى خر ما يعقل سكرا وقدكان أبوه أراد أن يعهد اليه فلاستصغاره لسنه عهد الى أخيه هشام ثم الى الوليد من بعده وكان الوليد مغرى بالخيل وحبها وجمعها واقامة الحلبة وكان السندى فرسه جواد زمانه وكان يسابق به فى أيام هشام وكان يقصر عن فرس هشام المعروف بالزائد وربما ضامه وربما جاء مصليا وهاك مراتب السوابق من الخيل اذا اجرت فأولها السابق ثم المصلى وذلك ان راسه عند صلا السابق ثم الثالث والرابع وكذلك الى التاسع والعاشر السكيت مسدد وما جاء بعد ذلك لم يعتد به والفسكل الذى يجىء فى الحلبة آخر الخيل وأجرى الوليد الخيل بالرصافة واقام الحلبة وهى يومئذ الف قارح ووقف بها ينتظر الزائد ومعه سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص وكان له فيها جواد يقال له المصباح فلما طلعت الخيل قال الوليد

خيلى ورب الكعبة المحرمه　　سبقن افراس الرجال اللومه

كما سبقناهم وحزنا المكرمه

فاقبل فرس ابن الوليد ويقال له الوضاح امام الخيل فلما دنا صرع فارسه واقبل المصباح فرس سعيد يتلوه وعليه فارسه وهو فيما يرى سعيد يعد سابقا فقال سعيد

نحن سبقنا اليوم خيل اللومه　　وصرف الله الينا المكرمه

كذاك كنا فى الدهور المقدمه　　اهل العلا والرتب المعظمه

فضحك الوليد لما سمعه وخشى ان تسبق فرس سعيد فركض فرسه حتى ساوى الوضاح فقذف بنفسه عليه ودخل سابقا فكان الوليد اول من فعل ذلك وسنه فى

الحلبة ثم تلاه في الفعل كذلك المهدي في ايام المنصور والهادي في ايام المهدي ثم عرضت على الوليد الخيل في الحلبة الثانية فمر به فرس لسعيد فقال لا نسابقك اباعنبسة وانت القائل

نحن سبقنا اليوم خيل اللومه

فقال سعيد ليس كذا قلت ياامير المؤمنين وانما قلت نحن * سبقنا اليوم خيلا لومه * فضحك الوليد وضمه الى نفسه وقال لا عدمت قريش اخامثلك وللوليد بن يزيد اخبار حسان في جمعه الخيول في الحلبة فانه اجتمع له في الحلبة الف قارح وجمع بين الفرس المعروف بالزائد والفرس المعروف بالسندي وكانا قد برزا في الجري على خيول زمانهما وقد ذكر ذلك جماعة من الاخباريين واصحاب التواريخ مثل ابن عفير والاصمعي وابي عبيدة وجعفر بن سليمان وقد اتينا على الغرر من اخباره في اخبار الخيل واخبار الحلبات وخبر الفرس المعروف بالزائد والسندي واشقر مروان وغير ذلك من اخبار من سلف من الامويين ومن تأخر في كتابنا المترجم بالاوسط وانما الغرض من هذا الكتاب ايراد جوامع تاريخهم ولمع من اخبارهم وسيرهم وكذلك اتينا على ذكر مايستحب من معرفة خلق الخيل وصفاتها من سائر اعضائها وعيونها وخلقها والشاب منها والهرم ووصف ألوانها ودوائرها ومايستحسن من ذلك ومقادير أعمارها ومنتهى بقائها وتنازع الناس في اعداد هذه الدوائر والمحمودة منها والمذمومة ومن رأى انها ثماني عشرة أو أقل من ذلك أو أكثر على حسب ماأدرك من طرق العادات بها والتجارب ووصف السوابق من الخيل وغير ذلك مما تكلم الناس به في شأنها وأعرافها فيما سلف من كتبنا وفي ايام الوليد بن يزيد كانت وفاة ابي جعفر محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وقد تنوزع في ذلك فمن الناس من رأى ان وفاته كانت في ايام هشام وذلك سنة عشر ومائة ومن الناس من راى انه مات في ايام يزيد بن عبد الملك وهو ابن سبع وخمسين سنة بالمدينة ودفن بالبقيع مع أبيه علي بن الحسين وغيره من سلفه عليهم السلام مما سنورد ذكرهم فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والله ولي التوفيق

ذكر أيام يزيد وابراهيم ابني الوليد بن عبد الملك بن مروان

ولي يزيد بن الوليد بدمشق ليلة الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة فبايعه الناس بعد قتل الوليد بن يزيد وتوفي يزيد بن الوليد بدمشق يوم الاحد هلال ذي الحجة سنة ست

وعشرين ومائة فكانت ولايته من مقتل الوليد بن يزيد الى ان مات خمسة أشهر وليلتين وقدكان ابراهيم بن الوليد أخوه قام بالامر من بعده فبايعه الناس بدمشق أربعة أشهر وقيل شهرين ثم خلع وكانت أيامه عجيبة الشأن من كثرة الهرج والاختلاط واختلاف الكلمة وسقوط الهيبة وفيه يقول بعض أهل ذلك العصر

فبايع ابراهيم فى كل جمعة ألا ان امرا انت واليه ضائع

ودفن يزيد بن الوليد بدمشق بين باب الجابية وباب الصغير وهو ابن سبع وثلاثين سنة ويقال ابن ست وأربعين سنة

﴿ ذكر لمع مما كان فى ايامهما ﴾

كان يزيد بن الوليد أحول وكان يلقب بيزيد الناقص ولم يكن ناقصا فى جسمه ولا عقله وانما نقص بعض الجند من أرزاقهم فقالوا يزيد الناقص وكان يذهب الى قول المعتزلة وما يذهبون اليه فى الاصول الخمسة من التوحيد والعدل والوعد والوعيد والاسماء والاحكام وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتفسير قولهم فيما ذهبوا اليه من الباب الاول وهو باب التوحيد هو ما اجتمعت عليه المعتزلة من البصريين والبغداديين وغيرهم وان كانوا فى غير ذلك من فروعهم متباينين من ان الله عز وجل لا كالاشياء وانه ليس بجسم ولا عرض ولا عنصر ولا جزء ولا جوهر بل هو الخالق للجسم والعرض والعنصر والجزء والجوهر وأن شيأ من الحواس لا يدركه فى الدنيا ولا فى الآخرة وانه لا يحصره المكان ولا تحويه الأقطار بل هو الذى لم يزل ولا زمان ولا مكان ولا نهاية ولا حد وأنه الخالق للاشياء المبدع لها الامن شئ وانه القديم وان ماسواه محدث (وأما القول بالعدل) وهو الاصل الثانى فهو أن الله لا يحب الفساد ولا يخلق افعال العباد بل يفعلون ماأمر وابه ونهوا عنه بالقدرة التى جعلها الله لهم وركبها فيهم وانه لم يامر الا بما اراد ولم ينه الا عما كره وانه ولى كل حسنة امربها برىء من كل سيئة نهى عنها لم يكلفهم مالا يطيقونه ولا أراد منهم مالا يقدرون عليه وان احدا لا يقدر على قبض ولا بسط الا بقدرة الله التى أعطاهم اياها وهو المالك لها دونهم يفنيها اذا شاء ويبقيها اذا شاء ولو شاء لجبر الخلق على طاعته ومنعهم اضطرارا عن معصيته ولكان على ذلك قادرا غير انه لا يفعل اذ كان فى ذلك رفع للمحنة وازالة للبلوى (واما القول بالوعيد) وهو الاصل الثالث فهو أن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر الا

بالتوبة وانه لصادق فى وعده ووعيده لامبدل لكلماته (وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين) وهو الاصل الرابع فهو ان الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر بل يسمى فاسقا على حسب ماورد التوقيف بتسميته واجمع اهل الصلاة على فسوقه (قال المسعودى) وبهذا الباب سميت المعتزلة وهو الاعتزال وهو الموصوف بالاسماء والاحكام مع ماتقدم من الوعيد فى الفاسق من الخلود فى النار (وأما القول بوجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر) وهو الاصل الخامس فهو أن ماذكر على سائر المؤمنين واجب على حسب استطاعتهم فى ذلك بالسيف فادونه وان كان كالجهاد ولا فرق بين مجاهدة الكافر والفاسق فهذا ما اجتمعت عليه المعتزلة ومن اعتقد ماذكرنا من هذه الاصول الخمسة كان معتزليا فان اعتقد الاكثر أو الاقل لم يستحق اسم الاعتزال فلا يستحقه الا باعتقاد هذه الاصول الخمسة وقد تنوزع فيما عدا ذلك من فروعهم وقد أتينا على سائر قولهم فى اصولهم وفروعهم واقاويلهم واقاويل غيرهم من فرق الامة من الخوارج والمرجئة والرافضة والزيدية والحشوية وغيرهم فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات وافردنا بذلك كتابنا المترجم بكتاب الابانة اجتبيناه لانفسنا وذكرنا فيه الفرق بين المعتزلة واهل الامامة ومابان به كل فريق منهم عن الآخر اذ كانت المعتزلة وغيرها من الطوائف تذهب الى ان الامامة اختيار من الامة وذلك ان الله عز وجل لم ينص على رجل بعينه وان اختيار ذلك مفوض الى الامة تختار رجلا منها ينفذ فيها احكامه سواء كان قرشيا اوغيره من اهل ملة الاسلام واهل العدالة والايمان ولم يراعوا فى ذلك النسب ولا غيره وواجب على اهل كل عصر أن يفعلوا ذلك والذى ذهب الى ان الامامة قد تجوز فى قريش وغيرهم من الناس هو المعتزلة بأسرها وجماعة من الزيدية مثل الحسن بن صالح بن جنى ومن قال بقوله على حسب ماقدمنا من ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب فى اخبار هشام ويوافق من ذكرنا على هذا القول جميع الخوارج من الاباضية وغيرهم الا النجدات من فرق الخوارج فزعموا أن الامامة غير واجب نصبها ووافقهم على هذا القول اناس من المعتزلة ممن تقدم وتاخر الا انهم قالوا ان عدلت الامة ولم يكن فيها فاسق لم يحتج الى امام وذهب من قال بهذا القول الى دلائل ذكروها منها قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لوأن سالما حى ماداخلنى فيه الظنون وذلك حين فوض الامر الى أهل الشورى قالوا وسالم مولى امرأة من الانصار فلو لم يعلم عمر ان الامامة جائزة فى سائر المؤمنين لم يطلق هذا القول

ولم يتأسف على موت سالم مولى ابى حذيفة قالوا وقد صح بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم اخبار كثيرة منها قوله اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع وقد قال الله عز وجل ان اكرمكم عند الله أتقاكم وذهب ابو حنيفة واكثر المرجئة وأكثر الزيدية من الجارودية وغيرها وسائر فرق الشيعة والرافضة والراوندية الى ان الامامة لا تجوز الا فى قريش لقول النبى صلى الله عليه وسلم الامامة فى قريش وقوله عليه السلام قدموا قريشا ولا تقدموها ولما احتج المهاجرون به على الانصار يوم سقيفة بنى ساعدة من ان الامامة فى قريش لانهم اذا ولوا اعدلوا ولرجوع كثير من الانصار الى ذلك ولما انفرد به اهل الامامة من ان الامامة لا تكون الا نصا من الله ورسوله على عين الامام واسمه واشتهاره كذلك وفى سائر الاعصار لا تخلو الناس من حجة الله فيهم ظاهرا وباطنا على حسب استعماله التقية والخوف على نفسه واستدلوا بالنص على ان الامامة فى قريش وبدلائل كثيرة من العقول وجوامع من النصوص فى وجوبها وفى النص عليهم وفى عصمتهم من ذلك قوله عز وجل مخبرا عن ابراهيم انى جاعلك للناس اماما ومسئلة ابراهيم بقوله ومن ذريتى واجابة الله له بانه لا ينال عهدى الظالمين قالوا ففيما تلوناه دلائل على ان الامامة نص من الله ولو كان نصها الى الناس ما كان لمسئلة ابراهيم ربه وجه ولما كان الله قد أعلمه انه اختاره وقوله لا ينال عهدى الظالمين دلالة على أن عهده يناله من ليس بظالم ووصف هؤلاء الامام فقالوا انعت الامام فى نفسه (ان يكون معصوما من الذنوب) لانه ان لم يكن معصوما لم يؤمن ان يدخل فيما يدخل فيه غيره من الذنوب فيحتاج ان يقام عليه الحد كما يقيمه هو على غيره فيحتاج الامام الى امام الى غير نهاية ولم يؤمن عليه ايضا أن يكون فى الباطن فاسقا فاجرا كافرا (وأن يكون اعلم الخليقة) لانه ان لم يكن عالما لم يؤمن عليه أن يقلب شرائع الله وأحكامه فيقطع من يجب عليه الحد ويحد من يجب عليه القطع ويضع الاحكام فى غير المواضع التى وضعها الله (وأن يكون أشجع الخلق) لانهم يرجعون اليه فى الحرب فان جبن وهرب يكون قد باء بغضب من الله (وأن يكون أسخى الخلق) لانه خازن المسلمين وأمينهم فان لم يكن سخيا تاقت نفسه الى أموالهم وشرهت الى ما فى أيديهم وفى ذلك الوعيد بالنار وذكروا خصالا كثيرة ينال بها أعلى درجات الفضل لا يشاركه فيها أحد وان ذلك كله وجد فى على بن أبى طالب وولده رضى الله عنهم فى السبق الى الايمان والهجرة والقرابة والحكم بالعدل والجهاد فى سبيل الله والورع والزهد وأن الله قد أخبر عن بواطنهم

وموافقتها ظواهرهم بقوله عز وجل ووصفه لهم فيما صنعوه من الاطعام للمسكين واليتيم والاسير وأن ذلك لوجهه خالصا الا أنهم أبدوه بالسنتهم فقط وأخبر عن امرهم فى المنقلب وحسن الموئل فى المحشر ثم فى اخباره عز وجل عما أذهب عنهم من الرجس وفعل بهم من التطهير وفى غير ذلك مما أوردوه دلائل لما قالوه وأن عليا نص على ابنه الحسن ثم الحسين والحسين على على بن الحسين وكذلك من بعده الى صاحب الوقت الثانى عشر على حسب ماذكرنا وسمينا فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب ولاهل الامامة من فرق الشيعة فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة كلام كثير فى الغيبة واستعمال التقية ومايذكرونه من ابواب الائمة والاوصياء لا يسعنا ايراده فى هذا الكتاب اذ كان كتاب خبر وانما تغلغل بنا الكلام الى ايراد لمع من هذه المذاهب والآراء وكذلك ماعليه غير اهل الامامة من اصحاب دين الهجرة والمشورة وما يراعونه من الظهور وقد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا وماوصفنا فيها من الاقاويل فى الظاهر والباطن والسائر والدائر والوافر وغير ذلك من امورهم واسرارهم

(قال المسعودى) وكان خروج يزيد بن الوليد بدمشق مع سابقة من المعتزلة وغيرهم من اهل داريا والمزه من غوطة دمشق على الوليد بن يزيد لما ظهر من فسقه وشمل الناس من جوره فكان خبر مقتل الوليد ماقد ذكرناه فيما سلف من كتبنا مفصلا وذكرناه فى هذا الكتاب مجملا وكان يزيد بن الوليد اول من ولى هذا الامر وأمه ام ولد وكانت امه سارية بنت فيروز وهو الذى يقول فى ذلك

انا ابن كسرى وأبى مروان وقيصر جدى وجدى خاقان

وكان يكنى بابى خالد وام اخيه ابراهيم ام ولد تدعى بريرة والمعتزلة تفضل فى الديانة يزيد بن الوليد على عمر بن عبد العزيز لما ذكرناه من الديانة وفى سنة سبع وعشرين ومائة اقبل مروان بن محمد بن مروان من الجزيرة فدخل دمشق وخرج ابراهيم بن الوليد هاربا من دمشق ثم ظفر به مروان فقتله وصلبه وقتل من مالأه ووالاه وقتل عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد القسرى وبدا امر بنى امية يؤول الى ضعف وذكر اليحصبى عن الخليل بن ابراهيم السبيعى قال سمعت ابن الحمى يقول قال لى العلاء ابن بنت ذى الكلاع انه كان مؤانسا لسليمان بن عبد الملك لا يكاد يفارقه وكان امر المسودة بخراسان والمشرق قد بان ودنا من الجبل وقرب من العراق واشتد ارجاف

الناس ونطق العدو بما احب فى بنى امية وأوليائهم قال العلاء فاتى لمع سليمان وهو يشرب حذاء رصافة ابيه وذلك فى آخر أيام يزيد الناقص وعنده حكم الوادى وهو يغنيه بشعر العرجى

ان الحبيب تروحت أجماله　　أصلا فدمعك دائم اسباله
أفنى الحياة فقد بكيت بعولة　　لوكان ينفع باكيا اعواله
ياحبذا تلك الحمول وحبذا　　شخص هناك وحبذا أمثاله

فاجاد بما شاء فشرب سليمان بالرطل وشربنا معه حتى توسدنا أيدينا فلم أنتبه الا بتحريك سليمان اياى فقمت اليه مسرعا فقلت ماشان الامير فقال لى على رسلك رأيت كانى فى مسجد دمشق وكان رجلا فى يده خنجر وعليه تاج أرى بصيص مافيه من جوهر وهو رافع صوته بهذه الابيات

أبنى امية قد دنا تشتيتكم　　وذهاب ملككم وأن لا يرجع
وينال صفوته عدو ظالم　　للمحسنين اليه ثمة يفجع
بعد الممات بكن ذكر صالح　　ياويله من قبح ماقد يصنع

فقلت بل لا يكون ذلك وعجبت من حفظه ولم يكن من أصحاب ذلك فوجم ساعة ثم قال ياحميرى بعيد ما يأتى به الزمان قريب قال فما اجتمعنا على شراب بعد ذلك ودخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان من أمر المسودة ومروان بن محمد الجعدى ما كان وذكر المقرى قال سئل بعض شيوخ بنى أمية ومحصليها عقيب زوال الملك عنهم الى بنى العباس ما كان سبب زوال ملككم قال انا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا فظلمنا رعيتنا فيئسوا من أنصافنا وتمنوا الراحة منا وتحومل على أهل خراجنا فتخلوا عنا وخربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على منافعنا وأمضوا أمورا دوننا أخفوا علمها عنا وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم أعادينا فتظافروا معهم على حربنا وطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا وكان استتار الاخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا

﴿ ذكر السبب فى العصبية بين النزارية واليمانية ﴾

ذكر أبو الحسن على بن محمد بن سليمان النوفلى قال حدثنى أبى قال لما قال الكميت بن زيد الاسدى من أسد مضر بن نزار الهاشميات قدم البصرة فأتى الفرزدق فقال ياأبا فراس أنا ابن أخيك قال ومن أنت فانتسب له فقال صدقت فما حاجتك قال نفث على لسانى وأنت

شيخ مضر وشاعرها وأحببت أن أعرض عليك ما قلت فان كان حسنا أمرتني باذاعته وان كان غير ذلك أمرتني بستره وسترته علي فقال يا ابن أخي أحسب شعرك على قدر عقلك فهات ما قلت راشدا فأنشده

طربت وما شوقا الى البيض أطرب ... ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

قال بلى فالعب فقال

ولم يلهني دار ولا رسم منزل ... ولم يتطربني بنان مخضب

قال فما يطربك اذا قال

وما أنا ممن يزجر الطير همه ... أصاح غراب أو تعرض ثعلب

قال فما أنت ويحك والى من تسمو فقال

وما السانحات البارحات عشية * أمر سليم القرن أم مر أعضب

قال أما هذا فقد أحسنت فيه فقال

ولكن الى أهل الفضائل والنهى * وخير بنى حواء والخير يطلب

قال من هم ويحك قال

الى النفر البيض الذين بحبهم * الى الله فيما نابنى أتقرب

قال أرحنى ويحك من هؤلاء قال

بنى هاشم رهط النبي فانني ... بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

قال لله درك يا بنى أصبت وحسنت اذ عدلت عن الزعانف والاوباش اذا لا يصرد سهمك ولا يكذب قولك ثم مر فيها فقال له أظهر ثم أظهر وكد الاعداء فأنت والله أشعر من مضى واشعر من بقى فحينئذ قدم المدينة فأتى أبا جعفر محمد بن على بن الحسين ابن على رضى الله عنهم فاذن له ليلا وأنشده فلما بلغ من الميمية قوله

وقتيل بالطف غودر منهم ... بين غوغاء أمة وطغام

بكى ابو جعفر ثم قال يا كميت لو كان عندنا مال لاعطيناك ولكن لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لازلت مؤيدا بروح القدس ما ذببت عنا اهل البيت فخرج من عنده فأتى عبد الله بن الحسن بن على فأنشده فقال يا ابا المستهل ان لى ضيعة اعطيت فيها اربعة آلاف دينار وهذا كتابها وقد أشهدت لك بذلك شهودا وناوله اياه فقال بابى انت وامى انى كنت اقول الشعر فى غيركم اريد بذلك الدنيا والمال ولا والله ما قلت فيكم الا لله وما كنت لآخذ على شئ جعلته لله مالا ولا ثمنا فالح عبد الله

عليه وابى من اعفائه فاخذ الكميت الكتاب ومضى فمكث اياما ثم جاء الى عبدالله فقال بابى انت وامى يا ابن رسول الله ان لى حاجة قال وماهى وكل حاجة لك مقضية قال كائنة ما كانت قال نعم قال هذا الكتاب تقبله وترتجع الضيعة ووضع الكتاب بين يديه فقبله عبدالله ونهض عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن ابى طالب فاخذ ثوبا جلدا فدفعه الى اربعة من غلمانه ثم جعل يدخل دور بنى هاشم و يقول يا بنى هاشم هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم وعرض دمه لبنى امية فاثيبوه بما قدرتم فيطرح الرجل فى الثوب ما قدر عليه من دنانير ودراهم واعلم النساء بذلك فكانت المراة تبعث ما امكنها حتى انها لتخلع الحلى عن جسدها فاجتمع من الدنانير والدراهم ما قيمته مائة الف درهم فجاء بها الى الكميت فقال يا أبا المستهل اتيناك بجهد المقل ونحن فى دولة عدونا وقد جمعنا هذا المال وفيه حلى النساء كما ترى فاستعن به على دهرك فقال بابى أنت وأمى قد أكثرتم وأطيبتم وما أردت بمدحى اياكم الا الله ورسوله ولم أك لآخذ لذلك ثمنا من الدنيا فارددة الى أهله فجهد به عبدالله أن يقبله بكل حيلة فابى فقال ان أبيت ان تقبل فانى رأيت ان تقول شيأ تغضب به بين الناس لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما يحب فابتدأ الكميت وقال قصيدته التى يذكر فيها مناقب قومه من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن نزار واياد وأنمار ابنى نزار ويكثر فيها من تفضيلهم و يطنب فى وصفهم وانهم أفضل من قحطان فغضب بها بين اليمانية والنزارية فيما ذكرناه وهى قصيدته التى أولها

ألا حييت عنا يا مدينا ... وهل ناس تقول مسلمينا

الى ان أنتهى الى قوله تصريحا وتعريضا باليمن فيما كان من أمر الحبشة وغيرهم فيها وهو قوله

لنا قمر السماء وكل نجم ... تشير اليه أيدى المهتدينا
وجدت الله اذ سمى نزارا ... وأسكنهم بمكة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصات ... وللناس القفا ولنا الجبينا
وما ضربت هجائن من نزار ... فوالج من فحول الاعجمينا
وما حملوا الحمير على عتاق ... مطهرة فيلفوا مبلغينا
وما وجدت بنات بنى نزار ... حلائل اسودين واحمرينا

وقد نقض دعبل بن على الخزعى هذه القصيدة على الكميت وغيرها وذكر مناقب اليمن

وفضائلها من ملوكها وغيرها وصرح وعرض بغيرهم كما فعل الكميت وذلك فى قصيدته التى أولها

أفيقى من ملامك ياظعينا | كفاك اللوم مر الاربعينا
ألم تحزنك احداث الليالى | يشيبن الذوائب والقرونا
أحيى الغر من سروات قومى | لقد حييت عنا يا مدينا
فان يك آل اسرائيل منكم | وكنتم بالاعاجم فاخرينا
فلا تنس الخنازير اللواتى | مسخن مع القرود الخاسئينا
بايلة والخليج لهم رسوم | وآثار قدمن وماحينا
وماطلب الكميت طلاب وتر | ولكنا لنصرتنا هجينا
لقد علمت نزار أن قومى | الى نصر النبوة فاخرينا

وهى طويلة ونمى قول الكميت فى النزارية واليمانية وافتخرت نزار على اليمن وافتخرت اليمن على نزار وأدلى كل فريق بماله من المناقب وتحزبت الناس وثارت العصبية فى البدو والحضر فنتج بذلك أمر مروان بن محمد الجعدى وتعصبه لقومه من نزار على اليمن وانحراف اليمن عنه الى الدعوة العباسية وتغلغل الامر الى انتقال الدولة عن بنى أمية الى بنى هاشم ثم ما تلا ذلك من قصة معن بن زائدة باليمن وقتله أهلها تعصباً لقومه من ربيعة وغيرها من نزار وقطعه الحلف الذى كان بين اليمن وربيعة فى القدم وفعل عقبة بن سالم بعمان والبحرين وقتله عبد القيس وغيرهم من ربيعة كياداً لمعن وتعصباً من عقبة بن سالم لقومه من قحطان وغير ذلك مما تقدم وتأخر مما كان بين نزار وقحطان

﴿ ذكر أيام مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو الجعدى ﴾

بويع مروان بن محمد بن مروان بدمشق يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وعشرين ومائة وقيل انما دعا الى نفسه بمدينة حران من ديار مضر وبويع له بها وأمه أم ولد يقال لها ريا وقيل طرونة كانت لمصعب بن الزبير فصارت بعد مقتله لمحمد بن مروان أبيه وكان مروان يكنى أبا عبد الملك واجتمع أهل الشام على بيعته الا سليمان بن هشام بن عبد الملك وغيره من بنى أمية فكانت أيامه منذ بويع بمدينة دمشق من أرض الشأم الى مقتله خمس سنين وعشرة أيام وقيل خمس سنين وثلاثة أشهر وكان مقتله فى أول سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومنهم من رأى أن ذلك كان فى المحرم

ومنهم من رأى أنه كان فى صفر وقيل غير ذلك مما تنازع فيه أهل التواريخ والسير على حسب تنازعهم فى مقدار ملكه فنهم من ذهب الى ان مدته خمس سنين وثلاثة أشهر ومنهم من قال خمسا وشهرين وعشرة أيام ومنهم من قال خمسا وعشرة أيام وكان مقتله ببوصير قرية من قرى الفيوم بصعيد مصر وقد تنوزع فى مقدار سنه كتنازعهم فى مقدار ملكه فنهم من زعم أنه قتل وهو ابن سبعين سنة ومنهم من قال ابن تسع وستين ومنهم من قال اثنتين وستين ومنهم من قال ثمان وخمسين وانما نذكر هذا الخلاف من قولهم لئلا يظن ظان اننا قد غفلنا ماذكروه أو تركنا شيأ مما وصفوه مما اليه قصدنا فى كتابينا اخبار الزمان والاوسط وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب جملا من كيفية مقتله واخباره وجوامع من سيره وحروبه وما كان من أمر الدولتين فى ذلك من الماضية وهى الاموية والمستقبلة فى ذلك الزمان وهى العباسية مع افرادنا بابا نذكر فيه جوامع تاريخ ملك الامويين وهو الباب المترجم بذكر مقدار المدة من الزمان وماملكت فيه بنو امية من الاعوام ثم نعقب ذلك بلمع من أخبار الدولة العباسية واخبار ابى مسلم وخلافة ابى العباس السفاح ومن تلا عصره من خلفاء بنى العباس الى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة ابى اسحق المتقى لله ابراهيم ابن المقتدر بالله ان شاء الله تعالى والله ولى التوفيق

﴿ذكر مقدار المدة من الزمان وماملكت فيه بنو امية من الاعوام﴾

كان جميع ملك بنى امية الى ان بويع ابو العباس السفاح الف شهر كاملة لاتزيد ولا تنقص لانهم ملكوا تسعين سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما (قال المسعودى) والناس متباينون فى تواريخ ايامهم والمعول على مانورده وهو الصحيح عند أهل البحث ومن عنى باخبار هذا العالم وهو أن (معاوية) بن أبى سفيان ملك عشرين سنة (ويزيد) بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما (ومعاوية) ابن يزيد شهرا وأحد عشر يوما (ومروان) بن الحكم ثمانية اشهر وخمسة أيام (وعبد الملك) بن مروان احدى وعشرين سنة وشهرا وعشرين يوما (والوليد) بن عبد الملك تسع سنين وثمانية أشهر ويومين (وسليمان) بن عبد الملك سنتين وستة أشهر وخمسة عشر يوما (وعمر) بن عبد العزيز رضى الله عنه سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام (ويزيد) بن عبد الملك أربع سنين وثلاثة عشر يوما (وهشام) بن عبد الملك تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام (والوليد) بن يزيد بن عبد الملك سنة وثلاثة

أشهر (ويزيد) بن الوليد بن عبد الملك شهرين وعشرة ايام وأسقطنا ايام ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك كاسقاطنا ايام ابراهيم بن المهدى ان يعد فى الخلفاء العباسيين (ومروان) بن محمد بن مروان خمس سنين وشهرين وعشرة ايام الى ان بويع السفاح فتكون الجملة تسعين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما يضاف الى ذلك الثمانية أشهر التى كان مروان يقاتل فيها بنى العباس الى أن قتل فيصير ملكهم احدى وتسعين سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما يوضع من ذلك ايام الحسن بن على وهى خمسة اشهر وعشرة ايام وتوضع ايام عبد الله بن الزبير الى الوقت الذى قتل فيه وهى سبع سنين وعشرة أشهر وثلاثة ايام فيصير الباقى بعد ذلك ثلاثا وثمانين سنة وأربعة أشهر يكون ذلك ألف شهر سواء وقد ذكر قوم ان تأويل قوله عز وجل ليلة القدر خير من ألف شهر ماذكرناه من أيامهم وقد روى عن ابن عباس انه قال والله ليملكن بنو العباس ضعف ماملكته بنو أمية باليوم يومين وبالشهر شهرين وبالسنة سنتين وبالخليفة خليفتين (قال المسعودى) فملك بنو العباس فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانقضى ملك بنى امية فلبنى العباس من وقت ملكهم الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مائتا سنة وذلك ان ابا العباس السفاح بويع له بالخلافة فى ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانتهينا فى تصنيفنا من هذا الكتاب الى هذا الموضع فى شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة فى خلافة ابى اسحق المتقى لله والله اعلم بما يكون من امرهم فيما يأتى به الزمان المستقبل بعد هذا الوقت من الايام وقد أتينا بحمد الله فيما سلف من كتابينا اخبار الزمان والاوسط على الغرر من أخبارهم والنوادر من اسمائهم والطرائف مما كان فى ايامهم وعهودهم ووصاياهم ومكاتباتهم واخبار الحوادث والخوارج فى ايامهم من الأزارقة والاباضية وغيرهم ومن ظهر من الطالبيين طالبا بحق أو آمرا بمعروف او ناهيا عن منكر فقتل فى ايامهم وكذلك من تلاهم من بنى العباس الى خلافة المتقى لله من سنتنا هذه وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وماذكرنا فى هذا الكتاب من جوامع التاريخ قد يخالف ماتقدم بسطه باليوم او العشرة او الشهر عند ذكرنا لدولة كل واحد منهم وأيامه وهذا هو المعول عليه من تاريخهم وسنيهم والمفصل من مدتهم والله اعلم ومنه التوفيق

﴿ ذكر الدولة العباسية ولمع من اخبار مروان ومقتله وجوامع من حروبه وسيره ﴾

قد قدمنا فى الكتاب الاوسط ماذكرته الراوندية وهم شيعة ولد العباس بن عبد المطلب

من اهل خراسان وغيرهم من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وان احق الناس بالامامة بعده العباس بن عبد المطلب لانه عمه ووارثه وعصبته لقول الله عز وجل وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وان الناس اغتصبوه حقه وظلموه امره الى ان رده الله اليهم وتبرؤا من ابى بكر وعمر رضى الله عنهما واجازوا بيعة على بن ابى طالب رضى الله عنه باجازته لها وذلك لقوله يا ابن اخى هلم الى ان ابايعك فلا يختلف عليك اثنان ولقول داود بن على على منبر الكوفة يوم بويع لابى العباس يا اهل الكوفة لم يقم فيكم امام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على بن ابى طالب وهذا القائم فيكم يعنى ابا العباس السفاح وقد صنف هؤلاء كتبا في هذا المعنى الذى ادعوه هى متداولة في ايدى اهلها ومنتحليها منها كتاب صنفه عمرو بن بحر الجاحظ وهو المترجم بكتاب امامة ولد العباس يحتج فيه لهذا المذهب ويذكر فعل ابى بكر في فدك وغيرها وقصته مع فاطمة رضى الله عنها ومطالبتها بارثها من ابيها صلى الله عليه وسلم واستشهادها ببعلها وابنيها وام ايمن وما جرى بينها وبين ابى بكر من المخاطبة وما كثر بينهم من المنازعة وما قالت وما قيل لها عن ابيها عليه السلام من انه قال نحن معاشر الانبياء نرث ولا نورث وما احتجت به من قوله عز وجل وورث سليمان داود على أن النبوة لا تورث فلم يبق الا التوارث وغير ذلك من الخطاب ولم يصنف الجاحظ هذا الكتاب ولا استقصى فيه الحجاج للراوندية وهم شيعة ولد العباس لانه لم يكن مذهبه ولا كان يعتقده لكن فعل ذلك تماجنا وتطربا وقد صنف أيضا كتابا استقصى فيه الحجاج عند نفسه وايده بالبراهين وعضده بالادلة فيما تصور من عقله ترجمه بكتاب العثمانية يحل فيه عند نفسه فضائل على عليه السلام ومناقبه ويحتج فيه لغير طلبا لا ماتة الحق ومضادة لاهله والله متم نوره ولو كره الكافرون ثم لم يرض بهذا الكتاب المترجم بكتاب العثمانية حتى أعقبه بتصنيف كتاب آخر في امامة المروانية وأقوال شيعتهم ورأيته مترجما بكتاب أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان في الانتصار له من على بن أبى طالب رضى الله عنه وشيعته الرافضة يذكر فيه رجال المروانية ويؤيد فيه امامة بنى أمية وغيرهم ثم صنف كتابا آخر ترجمه بكتاب مسائل العثمانية يذكر فيه مافاته ونقضه عند نفسه من فضائل أمير المؤمنين على ومناقبه فيما ذكرنا وقد نقضت عليه ماذكرنا من كتبه ككتاب العثمانية وغيره وقد نقضها جماعة من متكلمى الشيعة كابى عيسى الوراق والحسن بن موسى النخعى وغيرهما من الشيعة ممن ذكر ذلك

فى كتبه فى الامامة مجتمعا ومفترقا وقد نقض على الجاحظ كتاب العثمانية أيضا رجل من شيوخ المعتزلة البغداديين ورؤسائهم وأهل الزهد والديانة منهم ممن يذهب الى تفضيل على والقول بامامة المفضول وهو أبو جعفر محمد بن عبد الله الاسكاف وكانت وفاته سنة اربعين ومائتين وفيها مات احمد بن حنبل وسنذكر وفاة الجاحظ فيما يرد من هذا الكتاب ووفاة غيره من المعتزلة وان كنا قد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا والذى ذهب اليه من تأخر من الراوندية وانتقل وتحبر عن جملة الكيسانية القائلة بامامة محمد بن الحنفية وهم الحربية أصحاب أبى مسلم عبد الرحمن بن محمد صاحب الدولة العباسية وكان يلقب بحريان أن محمد بن الحنفية هو الامام بعد على بن أبى طالب وأن محمدا أوصى الى ابنه أبى هاشم وأن أباهاشم اوصى الى على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وان على بن عبد الله أوصى الى ابنه محمد بن على وأن محمدا أوصى الى ابنه ابراهيم الامام المقتول بحران وأن ابراهيم أوصى الى أخيه ابى العباس بن عبد الله بن الحارثية المقتول وقد تنوزع فى أمر أبى مسلم فمن الناس من رأى انه كان من العرب ومنهم من رأى انه كان عبدا فاعتق وكان من أهل البرس والجامعين من قرية يقال لها حرطينة واليها تضاف الثياب البرسية المعروفة بالحرطينية وتلك من أعمال الكوفة وسوادها وكان قهرمانا لادريس بن ابراهيم الجعلى ثم آل أمره ونمت به الاقدار الى أن اتصل بمحمد بن على ثم بابراهيم بن محمد الامام فانفذه ابراهيم الى خراسان وأمر أهل الدعوة باطاعته والانقياد الى امره ورأيه فقوى امره وظهر سلطانه وأظهر السواد وصار زينة فى اللباس والاعلام والبنود وكان أول من سود من أهل خراسان وأهل بساندو أظهر ذلك فيهم أسيد بن عبد الله ثم نمى ذلك فى الاكثر من المدن والكور بخراسان وقوى امر أبى مسلم وضعف امر نصر بن سيار صاحب مروان بن محمد الجعدى على بلاد خراسان وكانت له مع أبى مسلم حروب أكثر فيها ابو مسلم الحيل والمكايد من تفريقه بين اليمانية والنزارية بخراسان وغير ذلك مما احتال به على عدوه وقد كان لنصر بن سيار حروب كثيرة مع الكرمانى الى ان قتل أتينا على ذكرها فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وذكرنا بدء اخبار الكرمانى جديع بن على وما كان بينه وبين سالم بن أحوز صاحب نصر بن سيار وما كان من امر خالد بن برمك وقحطبة بن شبيب وغيرهما من الدعاة والمقيمين بخراسان للدعوة العباسية كسليمان بن كثير وأبى داود خالد بن ابراهيم ونظرائهم وما كان من شعارهم عند اظهار الدعوة وندائهم حين الحروب محمد

يامنصور والسبب الذي له ومن أجله اظهروا استعمال السواد دون سائر الألوان وطالت مكاتبة نصر بن سيار مروان واعلامه بما هو فيه واظهار امر العباسية وتزايده في كل وقت فكان فيما كتب به اليه اعلامه بحال ابي مسلم وحال من معه وأنه كشف عن امره وبحث عن حاله فوجده يدعو الى ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وضمن كتابه أبياتا من الشعر وهي

اري بين الرماد وميض جمر ... ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى ... وان الحرب اولها الكلام
فان لم تطفؤها تجن حربا ... مشمرة يشيب لها الغلام
اقول من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أمية أم نيام
فان يك قومنا أضحوا نياما ... فقل قوموا فقد حان القيام
ففري عن رحالك ثم قولي ... على الاسلام والعرب السلام

فلما ورد الكتاب على مروان وجده مشتغلا بحرب الخوارج بالجزيرة وغيرها وما كان من خبره في حروبه مع الضحاك بن قيس الحروري حتى قتله مروان بعد وقائع كثيرة بين كفرتوثي ورأس العين وكان الضحاك خرج من بلاد شهرزور ونصبت الخوارج بعد قتل الضحاك عليها الحري الشيباني فلما قتل الحري ولت الخوارج عليها ابا الذلفاء شيبان الشيباني وما كان من حروب مروان مع نعيم بن ثابت الجذامي وكان خرج عليه ببلاد طبرية والاردن من بلاد الشام حتى قتله مروان وذلك في سنة ثمان وعشرين ومائة فلم يدر مروان كيف يصنع في امر نصر بن سيار وخراسان والجزيرة لما هو فيه من الحروب والفتن فكتب اليه مروان مجيبا عن كتابه ان الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فاجشم التولات تملك فلما ورد الكتاب على نصر قال لخواص أصحابه أما صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده وأقام مروان أكثر أيامه لا يدنو من النساء الى أن قتل وبرزت له جارية من جواريه فقال لها والله لا دنوت منك ولا حللت لك عقدة وخراسان ترجف وتتضرم بنصر بن سيار وأبو مجرم قد أخذ منه بالمخنق وكان مع ما هو فيه يديم قراءة سير الملوك وأخبارها في حروبها من الفرس وغيرها من ملوك الامم وعذله بعض أوليائه ممن كان يانس اليه في ترك النساء والطيب وغير ذلك من اللذات فقال له مروان يمنعني منهن ما منع أمير المؤمنين عبد الملك فقال له الرجل وماذاك يا أمير المؤمنين قال حمل صاحب أفريقية اليه جارية ذات بهاء وكمال تامة

المحاسن شهية للمتأمل فلما وقفت بين يديه تأمل حسنها وبيده كتاب ورد من الحجاج وهو بدير الجماجم مواقعا لابن الاشعث فرمى بالكتاب عن يده وقال لها أنت والله منية النفس فقالت الجارية ما يمنعك يا أمير المؤمنين اذ كنت بهذا الوصف قال يمنعني والله منك بيت قاله الاخطل

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت باطهار

أ ألتذ بالعيش وابن الاشعث مصاف لابى محمد وقد هلكت زعماء العرب لاها الله اذا ثم أمر بصيانتها فلما قتل ابن الاشعث كانت أول جارية خلا بها ولما يئس نصر بن سيار من انجاد مروان كتب الى يزيد بن عمرو بن هبيرة الفزارى عامل مروان على العراق يستمده ويسأله النصرة على عدوه وضمن كتابه أبياتا من الشعر وهى

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه * وقد تبينت أن لا خير فى الكذب

بأن أرض خراسان رأيت بها * بيضا لو افرخ قد حدثت بالعجب

فراخ عامين الا أنها كبرت * لما يطرن وقد سر بلن بالزغب

فان يطرن ولم يحتل لهن بها * يلهبن نيران حرب أيما لهب

فلم يجبه يزيد بن عمرو عن كتابه وتشاغل بدفع فتن العراق ودخلت خوارج اليمن مكة والمدينة وعليهم أبو حمزة المختار بن عوف الازدى وبلخ بن عقبة الازدى وهما فيمن معهما يدعون الى عبد الله بن يحيى الكندى وكان قد سمى نفسه بطالب الحق وخوطب بأمير المؤمنين وكان أباضى المذهب من رؤساء الخوارج وذلك فى سنة تسع وعشرين ومائة وفى سنة ثلاثين ومائة جهز مروان بن محمد جيشا مع عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى فلقى الخوارج بوادى القرى فقتل بلخ وفر أبو حمزة وأكثر من كان معه من الخوارج وسار عبد الملك فى جيش مروان من أهل الشام يريد اليمن وخرج عبد الله ابن يحيى الكندى الخارجى من صنعاء فالتقوا بناحية الطائف وأرض حرش فكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها عبد الله بن يحيى وأكثر من كان معه من الاباضية ولحق بقية الخوارج ببلاد حضرموت فأكثرها أباضية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ولا فرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج فى هذا الوقت وسار عبد الملك فى جيش مروان فنزل صنعاء وذلك فى سنة ثلاثين ومائة وقد كان سليمان بن هشام بن عبد الملك اتصل بالخوارج بالجزيرة خوفا من مروان واحتوى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على بلاد اصطخر وغيرها من أرض فارس الى أن رفع عنها

وصار الى خراسان فقبض عليه أبو مسلم وقد ذكرنا من يقول بامامته وينقاد الى دعوته فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات فى باب تفرق الشيعة ومذاهبهم وقوى أمر أبى مسلم وغلب على أكثر خراسان وضعف نصر بن سيار من عدم النجدة فخرج عن خراسان حتى أتى الرى وخرج عنها فنزل ساوة بين بلاد همدان والرى فمات بها كذا وكان نصر بن سيار لما صار بين الرى وخراسان كتب كتابا الى مروان يذكر فيه خروجه عن خراسان وأن هذا الامر الذى أزعجه سينمو حتى يملأ البلاد وضمن ذلك أبياتا من الشعر وهى

اما ومافكتم من أمرنا كالثور اذ قرب للناخع
أو كالتى يحسبها أهلها عذراء بكرا وهى فى التاسع
كنا نرفيها فقد مزقت واتسع الخرق على الراقع
كالثوب اذ أنهج فيه البلى أعيا على ذى الحيلة الصانع

فلم يستتم مروان قراءة هذا الكتاب حتى مثل أصحابه بين يديه ممن كان قد وحى بالطرق رسولا من خراسان من أبى مسلم الى ابراهيم بن محمد الامام يخبره فيه خبره وما آل اليه امره فلما تأمل مروان كتاب أبى مسلم قال للرسول لا ترع كم دفع لك صاحبك قال كذا وكذا قال فهذه عشرة آلاف درهم لك وانما دفع اليك شيأ يسيرا وامض بهذا الكتاب الى ابراهيم ولا تعلمه بشىء مما جرى وخذ جوابه فائتنى به ففعل الرسول ذلك فتأمل مروان جواب ابراهيم الى أبى مسلم بخطه يامره فيه بالجد والاجتهاد والحيلة على عدوه وغير ذلك من أمره ونهيه فاحتبس مروان الرسول وكتب الى الوليد بن معاوية بن عبد الملك وهو على دمشق يامره أن يكتب الى عامل البلقاء فيسير الى القرية المعروفة بالكداد والحميمة ليأخذ ابراهيم بن محمد فيشده وثاقا ويبعث به اليه فى خيل كثيفة فوجه الوليد الى عامل البلقاء وهو جالس فى مسجد القرية فاخذ وهو ملفف وحمل الى الوليد فحمله الى مروان فحبسه فى السجن شهرين وقد كان جرى بين ابراهيم ومروان خطب طويل حين سأل ابراهيم وانكر كل ماذكره له مروان من امر أبى مسلم فقال له مروان يامنافق أليس هذا كتابك الى أبى مسلم جوابا عن كتابه اليك وأخرج اليه الرسول وقال اتعرف هذا فلما رأى ذلك ابراهيم امسك وعلم انه اتى من مامنه واشتد أمر أبى مسلم وكان فى الحبس مع ابراهيم جماعة من بنى هاشم وبنى امية فمن بنى امية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان والعباس بن الوليد بن عبد الملك بن

مروان وكان مروان قد خافهما على نفسه وخشي ان يخرجا عليه ومن بني هاشم عيسى ابن علي وعبدالله بن علي وعيسى بن موسى فذكر أبو عبيدة الثعلبي وكان معهم في الحبس انه هجم عليهم في الحبس وذلك بحران جماعة من موالي مروان من العجم وغيرهم فدخلوا البيت الذي كان فيه ابراهيم والعباس وعبدالله فاقاموا عندهم ساعة ثم خرجوا وأغلق باب البيت فلما أصبحنا دخلنا عليهم فوجدناهم قد أتى عليهم ومعهم غلامان صغيران من خدمهم كالموتى فلما رأونا أنسوا بنا فسألناهم الخبر فقالا أما العباس وعبدالله فجعل على وجوههما مخاد وقعد فوقهما فاضطربا ثم برداوأما ابراهيم فانهم جعلوا رأسه في جراب كان معهم فيه نورة مسحوقة فاضطرب ساعة ثم خمد وكان في الكتاب الذي قرأه مروان من ابراهيم الى أبي مسلم أبيات من الرجز بعد خطب طويل منها

دونك أمراً قد بدت أشراطه ان السبيل واضح صراطه لم يبق الا السيف واختراطه

وقد ذكر في كيفية قتل ابراهيم الامام من الوجوه غير ماذكرنا وقد أتينا على جميع ماقيل في ذلك في الكتاب الاوسط وكذلك ما كان من قحطبة وابن هبيرة على الفرات وغرق قحطبة فيه ودخول ابنه الحسن بن قحطبة الكوفة وسار مروان حتى نزل على الزاب الصغير وعقد عليه الجسر وأتاه عبدالله بن علي في عساكر أهل خراسان وقوادهم وذلك لليلتين خلتا من جمادى الآخرة من سنة اثنتين وثلاثين ومائة فالتقى مروان وعبدالله بن علي وقد كردس مروان خيله كراديس ألفا وألفين فكانت على مروان فانهزم وقتل وغرق من أصحابه خلق عظيم فكان فيمن غرق في الزاب من بني أمية ذلك اليوم ثلثمائة رجل دون من غرق من سائر الناس وكان فيمن غرق في الزاب في ذلك اليوم من بني أمية ابراهيم بن الوليد بن عبدالملك المخلوع وهو أخو يزيد الناقص وقد قيل في رواية أخرى ان مروان كان قد قتل ابراهيم بن الوليد قبل هذا الوقت وصلبه وكانت هزيمة مروان من الزاب في يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومضى مروان في هزيمته حتى أتى الموصل فمنعه أهلها من الدخول اليها واظهروا السواد لما رأوه من تولية الامر عنه وأتى حران وكانت داره وكان مقامه بها وقد كان أهل حران قاتلهم الله تعالى حين أزيل لعن أبي تراب يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن المنابر يوم الجمعة امتنعوا من ازالته وقالوا لا صلاة الا بلعن أبي تراب وأقاموا على ذلك سنة حتى كان من أمر المشرق

وظهور المسودة ماكان وامتنع مروان من ذلك لانحراف الناس عنهم وخرج مروان فى أهله وسائر بنى أمية عن حران وعبر الفرات ونزل عبدالله بن على على باب حران فهدم قصر مروان وقدكان أنفق عليه عشرة آلاف درهم واحتوى على خزائن مروان وامواله وسار مروان فيمن معـه من خواصه وعياله حتى انتهى الى نهر أبى فطرس من بلاد فلسطين والاردن فنزل عليه وسار عبدالله بن على حتى نزل دمشق فحاصرها وفيها يومئذ الوليد بن معاوية بن عبد الملك فى خمسين ألف مقاتل فوقعت بينهم العصبية فى فضل اليمن على نزار ونزار على اليمن فقتل الوليد بن معاوية وقد قيل ان أصحاب عبدالله بن على قتلوه وأتى عبدالله بن على يزيد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان وعبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك ابن مروان فحملهما الى أبى العباس السفاح فقتلهما وصلبهما بالحيرة وقتل عبدالله بن على بدمشق خلقا كثيرا ولحق مروان بمصر ونزل عبدالله بن على على نهر أبى فطرس فقتل من بنى أمية هناك بضعا وثمانين رجلا وذلك فى يوم الاربعاء للنصف من ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقتل بالبلقاء سليمان بن يزيد بن عبد الملك وحمل رأسه الى ابنى عبدالله بن على ورحل صالح بن على فى طلب مروان ومعه أبو عون عبد الملك بن يزيد وعامر بن اسمعيل المذحجى فلحقوه بمصر وقد نزل بوصير فبايتوه وهجموا على عسكره وضربوا بالطبول وكبروا ونادوا ياثارات ابراهيم فظن من فى عسكر مروان أن قد أحاط بهم سائر المسودة فقتل مروان وقد اختلف فى كيفية قتله فى المعركة فى تلك الليلة وكان قتله ليلة الاحـد لثلاث بقين من ذى الحجة سـنة اثنتين وثلاثين ومائة ولما قتل عامر بن اسمعيل مروان وأراد الكنيسة التى فيها بنات مروان ونساؤه اذا بخادم لمروان شاهر السيف يحاول الدخول عليهن فاخذوا الخادم فسئل عن أمره فقال أمرنى مروان اذا هو قتل أن أضرب رقاب بناته ونسائه فـلا تقتلونى فانكم والله ان قتلتمونى ليفقدن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له انظر ماتقول قال ان كذبت فاقتلونى هلموا فاتبعونى ففعلوا فاخرجهم من القرية الى موضع رمل فقال اكشفوا ههنا فكشفوا فاذا البرد والقضيب ومخصر قد دفنها مروان لئلا تصير الى بنى هاشم فوجه بها عامر بن اسمعيل الى عبدالله بن على فوجه بها عبدالله الى أبى العباس السفاح فتداولت ذلك خلفاء بنى العباس الى أيام المقتدر فيقال ان البرد كان عليه فى يوم مقتله ولست أدرى أكل ذلك باق مع المتقى لله الى هذا الوقت وهو سـنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى نزوله الرقة أم قد ضـيع ذلك ثم وجه عامر بنات مروان

وجواريه والاسارى الى صالح بن على فلما دخلن عليه تكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت ياعم أمير المؤمنين حفظ الله لك فى الدنيا والآخرة نحن بناتك وبنات أخيك فليسعنا من عفوكم ما وسعكم من جورنا قال اذا لا نستبقى منكم أحدا رجلا ولا امرأة ألم يقتل أبوك بالامس ابن أخى ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس الامام فى محبسه بحران ألم يقتل هشام بن عبد الملك زيد بن على بن الحسين بن على وصلبه فى كناسة الكوفة وقتل امرأة زيد بالحيرة على يدى يوسف بن عمر والثقفى ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد وصلبه بخراسان ألم يقتل عبيد الله بن زياد الدعى مسلم بن عقيل بن أبى طالب بالكوفة ألم يقتل يزيد بن معاوية الحسين بن على على يدى عمر بن سعد مع من قتل بين يديه من أهل بيته ألم يخرج بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حتى وردبهم على يزيد بن معاوية وقبل مقدمهم بعث اليه برأس الحسين بن على قد نصب دماغه على رأس رمح يطاف به كور الشام ومدائنها حتى قدموا به على يزيد بدمشق كانما بعث اليه برأس رجل من أهل الشرك ثم أوقف حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم موقف السبى يتصفحهن جنود أهل الشأم الجفاة الطغام ويطلبون منه أن يهب لهم حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم استخفافا بحقه صلى الله عليه وسلم وجراءة على الله عز وجل وكفرا لانعمه فما الذى استبقيتم منا أهل البيت لو عدلتم فيه علينا قالت ياعم أمير المؤمنين وليسعنا عفوكم اذا قال أما العفو فنعم قد وسعكم فان أحببت زوجتك من الفضل بن صالح بن على وزوجت أختك من أخيه عبد الله بن صالح فقالت ياعم أمير المؤمنين وأى أوان عرس هذا بل تلحقنا بحران قال فاذا أفعل ذلك بكم ان شاء الله فالحقن بحران فعلت أصواتهن عند دخولهن بالبكاء على مروان وشققن جيوبهن وأعولن بالصياح والنحيب حتى ارتج العسكر بالبكاء منهن على مروان فكان ملك مروان الى أن بويع أبو العباس السفاح خمس سنين وشهرين وعشرة أيام على حسب ما قدمنا فى هذا الكتاب من التنازع فى مدة أيامه ومن وقت أن بويع أبو العباس السفاح الى أن قتل ببوصير ثمانية أشهر فكانت مدة أيامه الى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وقد قدمنا ما تنازعوا فيه من مقدار سنه وغير ذلك من أخباره وقد أتينا على مبسوط أخباره فيما سلف من كتبنا وكان كاتبه (عبد الحميد) بن يحيى بن سعد صاحب الرسائل والبلاغات وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات فى فصول الكتب واستعمل الناس ذلك بعده وذكر أن مروان قال لكاتبه عبد الحميد حين أيقن بزوال

ملكه قد احتجت أن تصير مع عدوى وتظهر الغدر بى فان اعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك فان استطعت أن تنفعنى فى حياتى والا لم تعجز عن حفظ حرمى بعد وفاتى فقال له عبد الحميد ان الذى أشرت به على أنفع الامرين لك وأقبحهما بى وماعندى الا الصبر حتى يفتح الله أو أقتل معك وقال

أسر وفاء ثم أظهر غدرة * فمن لى بعذر يوسع الناس ظاهره

وقد أتينا على خبر أبى الورد ومقتله وخبر بشر بن عبد الله الواحدى ومقتله فى كتابنا الاوسط فاغنى ذلك عن ذكره وذكر اسمعيل بن عبد الله القشيرى قال دعانى مروان وقد وافى على الهزيمة الى حران فقال ياأباهاشم وما كان يكنينى قبلها قد ترى ماجاء من الامر وأنت الموثوق به ولا تخبأ بعد بؤس فاالرأى فقلت ياأمير المؤمنين علام أجمعت قال على أن ارتحل بموالى ومن تبعنى من الناس حتى أقطع الدرب وأميل الى مدينة من مدن الروم فانزلها وأكاتب صاحبها وأستوثق منه فقد فعل ذلك جماعة من ملوك الاعاجم وليس هذا عارا بالملوك فلا يزال يأتينى الخائف والهارب والطامع فيكثر من معى ولا أزال على ذلك حتى يكشف الله أمرى وينصرنى على عدوى فلما رأيت ما أجمع عليه وكان الرأى ورأيت آثاره من قومى من قحطان وتلاه عندهم فقلت أعيذك بالله ياأمير المؤمنين من هذا الرأى تحكم أهل الشرك فى بناتك وحرمك وهم الروم ولا وفاء لهم ولا تدرى ماتأتى به الايام وأنت ان حدث عليك حادث بارض النصرانية ولا يحدث عليك الا خير ضاع من بعدك ولكن اقطع الفرات ثم استنفر الشأم جندا فانك فى كنف وعزة ولك فى كل جند صنائع يسير ون معك حتى تأتى مصر فانها أكثر أرض الله مالا وخيلا ورجالا ثم الشام أمامك وافريقية خلفك فان رأيت ما تحب انصرفت الى الشام وان كانت الاخرى مضيت الى افريقية قال صدقت وأستخير الله فقطع الفرات والله ماقطعه معه من قيس الا رجلان ابن جندة السلمى وكان أخاه من الرضاعة والكوثر بن الاسود الغنوى ولم ينفع مروان تعصبه مع النزارية شيأ بل غدروا به وخذلوه فلما اجتاز ببلاد قنسرين والحاضر أوقعت تنوخ القاطنة بقنسرين بساقته ووثب به أهل حمص وسار الى دمشق فوثب به الحرث بن عبد الرحمن الحرشى ثم أتى الأردن فوثب به هاشم بن عمر العنسى والمذحجيون جميعا ثم مر بفلسطين فوثب الحكيم بن صنعان بن روح بن زنباع لما رأوا من ادبار الامر عنه وعلم مروان ان اسمعيل بن عبد الله القشيرى قد غشه فى الرأى ولم يمحضه النصيحة

وأنه فرط فى مشورته اياه اذشاور رجلا من قحطان موتورا متعصبا من قومه على اضدادهم من نزار وان الرأى الذى هم بفعله من قطع الدرب ونزول بعض حصون الروم ومكاتبته ملكها الى ان يرتئى فى امره كان أولى وذكر المدائنى والعتبى وغيرهما أن مروان حين نزل على الزاب جرد من رجاله من اختاره من سائر جيشه من أهل الشام والجزيرة وغيرهم مائة ألف فارس فلما كان يوم الوقعة وأشرف عبد الله بن على فى المسودة وفى أوائلهم البنود السود يحملها الرجال على الجمال البخت وقد جعلت أقتابها من خشب الصفصاف والغرب قال مروان لمن قرب منه اما ترون رماحهم كانها النخل غلظا أما ترون الى أعلامهم فوق هذه الابل كانها قطع من الغمام سود فبينا هو كذلك اذ طار من اترجة هنالك قطعة من الغرابيب سود فاجتمعت على أول رايات عبد الله بن على واتصل سوادها بسواد تلك الرايات والبنود ومروان ينظر فتطير من ذلك فقال اما ترون السواد قد اتصل بالسواد وكان الغرابيب كالسحب سود ثم نظر الى اصحابه المحاربين وقد استشعروا الجزع والفشل فقال انها لعدة وماتنفع العدة اذا انقضت المدة ولمروان على الزاب اخبار غير هذه قد اتينا على ذكرها فى كتابينا اخبار الزمان والاوسط فاغنى ذلك عن اعادة ذكرها والله ولى التوفيق

ذكر خلافة أبى العباس عبد الله بن محمد السفاح

بويع أبو العباس السفاح وهو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقيل فى النصف من شهر جمادى الآخرة من هذه السنة وامه رائطة بنت عبيد الله ابن عبد المدان الحارثية وركب الى المسجد الجامع فى يوم الجمعة فخطب على المنبر قائما وكانت بنو مية تخطب قعودا فضج الناس وقالوا احييت السنة ياابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ومات بالانبار فى مدينته التى بناها وذلك فى يوم الاحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وقيل ابن تسع وعشرين سنة وكانت أمه تحت عبد الملك ابن مروان فكان له منها الحجاج بن عبد الملك فلما توفى عبد الملك تزوجها محمد بن على بن عبد الله بن العباس فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح وعبيد الله وداود وميمونة

ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه

ولما حبس ابراهيم الامام بحران وعلم أن لا نجاة له من مروان أثبت وصيته وجعلها الى أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد وأوصاه بالقيام بالدولة والجد والحركة وأن لا يكون له بعده بالحميمة لبث ولا عرجة حتى يتوجه الى الكوفة فان هذا الامر صائر اليه لا محالة وأنه بذلك أتتهم الرواية وأظهره على أمر الدعاة بخراسان والنقباء ورسم له بذلك رسما أوصاه فيه أن يعمل عليه ولا يتعداه ودفع الوصية بجميع ذلك الى سابق الخوارزمي مولاه وأمره ان حدث به حدث من مروان في ليل أو نهار أن يركب أسرع سابق في السير فلما حدث ركب وسار حتى أتى الحميمة فدفع الوصية الى أبي العباس ونعاه اليه فامره أبو العباس بستر الوصية وان ينعاه ثم أظهر أبو العباس من أهل بيته على أمره ودعا الى موازرته ومكاشفته اخاه أبا جعفر عبد الله بن محمد وعيسى بن موسى بن محمد ابن أخيه وعبد الله بن علي عمه وتوجه أبو العباس الى الكوفة مسرعا وهؤلاء معه في غيرهم ممن خف من أهل بيته فلقيتهم أعرابية على بعض مياه العرب في طريقهم الى الكوفة وقد تقدم أبو العباس وأخوه ابو جعفر وعمه عبد الله بن علي فيمن كان معهم الى الماء فقالت الاعرابية تالله ما رأيت وجوها مثل هذه ما بين خليفة وخليفة وخارجي فقال لها أبو جعفر المنصور كيف قلت يا أمة الله قالت والله ليليها هذا وأشارت الى السفاح ولتخلفنه أنت وليخرجن عليك هذا وأشارت الى عبد الله بن علي فلما انتهوا الى دومة الجندل لقيهم داود بن علي وموسى بن داود وهما منصرفان من العراق الى الحميمة من أرض الشراة فساله داود عن مسيره فاخبره بسببه وأعلمه بحركة أهل خراسان لهم مع أبي مسلم وانه يريد الوثوب بالكوفة فقال له داود يا أبا العباس تثبت بالكوفة فروان شيخ بني أمية وزعيمهم في أهل الشام والجزيرة مطل على أهل العراق وابن هبيرة شيخ العرب وحلية العرب بالعراق فقال أبو العباس يا عماه من أحب الحياة ذل وتمثل بقول الاعشى

فما ميتة ان متها غير عاجز * بعار اذا ما غالت النفس غولها

فالتفت داود الى ابنه موسى فقال أي بني صدق عمك ارجع بنا معه نحيا اعزاء أو نموت كراما فعطفا ركابهما معه وسار أبو العباس حتى دخل الكوفة وقد كان أبو سلمة حفص ابن سليمان حين بلغه مقتل ابراهيم الامام أضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية الى آل أبي طالب وقدم أبو العباس الكوفة فيمن ذكرنا من أهل بيته سرا والمسودة مع أبي سلمة بالكوفة فانزلهم جميعا دار الوليد بن سعد في بني أود حي من

اليمن وقد ذكرنا مناقب اودوفضائلها فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار الحجاج وبراءتهم من على والطاهرين من ذريته ولم أر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلثمائة فيما درت من الارض وتغربت من الممالك رجلا من أودالا وجدته اذا استبطنت ماعنده ناصبيا متوليا لآل مروان وحزبهم وأخفى أبو سلمة أمر أبى العباس ومن معه ووكل بهم وكان قدوصل أبو العباس الكوفة فى صفر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وفيها جرى البريد بالكتب لولد العباس وقد كان أبو سلمة لما قتل ابراهيم الامام خاف انتقاض الامر وفساده عليه فبعث بمحمد بن عبد الرحمن بن أسلم مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب معه كتابين على نسخة واحدة الى أبى عبد الله جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب والى أبى محمد عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين يدعو كل واحد منهم الى الشخوص اليه ليصرف الدعوة اليه ويجتهد فى بيعة أهل خراسان له وقال للرسول العجل العجل فلا تكونن كوافد عاد فقدم محمد بن عبد الرحمن المدينة على أبى عبد الله جعفر بن محمد فلقيه ليلا فلما وصل اليه أعلمه انه رسول أبى سلمة ودفع اليه كتابه فقال له أبو عبد الله وما أنا وأبو سلمة وأبو سلمة شيعة لغيرى قال له انى رسول فتقرأ كتابه وتجيبه بما رأيت فدعا أبو عبد الله بسراج ثم أخذ كتاب أبى سلمة فوضعه على السراج حتى احترق وقال للرسول عرف صاحبك بما رأيت ثم أنشأ يقول متمثلا بقول الكميت بن زيد

أيا موقدا نارا لغيرك ضوءها * ويا حاطبا فى غير حبلك تحطب

فخرج الرسول من عنده وأتى عبد الله بن الحسن فدفع اليه الكتاب فقبله وقرأه وابتهج فلما كان غد ذلك اليوم الذى وصل اليه فيه الكتاب ركب عبد الله حمارا حتى أتى منزل أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق فلما رآه أبو عبد الله أكبر مجيئه وكان أبو عبد الله أسن من عبد الله فقال له يا أبا محمد أمر ما أتى بك قال نعم هو أجل من أن يوصف فقال وما هو يا أبا محمد قال هذا كتاب أبى سلمة يدعونى الى ما أقبله وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان فقال له أبو عبد الله يا أبا محمد ومتى كان أهل خراسان شيعة لك أنت بعثت أبا مسلم الى خراسان وأنت أمرته بلبس السواد وهؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أو وجهت فيهم وهل تعرف منهم أحدا فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام الى أن قال انما يريد القوم ابنى محمدا لانه مهدى هذه الامة فقال أبو عبد الله جعفر والله ما هو مهدى هذه الامة ولئن شهر سيفه ليقتلن فنازعه عبد الله القول حتى

قال له والله ما يمنعك من ذلك الا الحسد فقال أبو عبدالله والله ما هذا الا نصح منى لك ولقد كتب الى أبو سلمة بمثل ما كتب به اليك فلم يجد رسوله عندى ما وجد عندك ولقد أحرقت كتابه من قبل أن أقرأه فانصرف عبدالله من عند جعفر مغضبا ولم ينصرف رسول أبى سلمة اليه الى ان بويع للسفاح بالخلافة وذلك أن أبا حميد الطوسى دخل ذات يوم من العسكر الى الكوفة فلقى سابقا الخوارزمى فى سوق الكناسة فقال له سابق قال سابق فسأله عن ابراهيم الامام فقال قتله مروان فى الحبس وكان مروان يومئذ بحران فقال أبو حميد فالى من الوصية قال الى أخيه أبى العباس قال وأين هو قال معك بالكوفة هو وأخوه وجماعة من عمومته وأهل بيته قال مذ متى هم هنا قال من شهرين قال فتمضى بنا اليهم قال غدا بينى وبينك الموعد فى هذا الموضع وأراد سابق أن يستأذن أبا العباس فى ذلك فانصرف الى أبى العباس فاخبره فلامه اذ لم يأت به معه اليهم ومضى أبو حميد فاخبر جماعة من قواد خراسان فى عساكر أبى سلمة بذلك منهم الجيم وموسى بن كعب وكان زعيمهم وغدا سابق الى الموضع فلقى أبا حميد فمضيا حتى دخلا على ابى العباس ومن معه فقال ايكم الامام فاشار داود بن على الى ابى العباس وقال هذا خليفتكم فاكب على اطرافه يقبلها وسلم عليه بالخلافة وابو سلمة لا يعلم بذلك فبايعه ودخلوا الى الكوفة فى احسن زى وضربوا له مصافا وقدمت الخيول فركب ابو العباس ومن معه حتى اتوا قصر الامارة وذلك فى يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب تنازع الناس فى أى شهر بويع من هذه السنة ثم دخل المسجد الجامع من دار الامارة فحمد الله واثنى عليه وذكر تعظيم الرب ومننه وفضل النبى صلى الله عليه وسلم وقاد الولاية والوراثة حتى انتهت اليه ووعد الناس خيرا ثم سكت فتكلم عمه داود بن على وهو على المنبر دون ابى العباس فقال انه والله ما كان بينكم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة الا على وأمير المؤمنين هذا الذى خلفى ثم نزلا وخرج أبو العباس الى عسكر أبى سلمة فنزل فى حجرته واستخلف على الكوفة وأرضها عمه داود بن على وبعث بعمه عبدالله بن على الى ابى عون عبد الملك بن يزيد فسارا معا الى مروان فكان من امرهم ما قدمنا ذكره من التقائهم على الزاب وهزيمة مروان بن محمد واتصل بابى العباس السفاح ما كان من عامر بن اسمعيل وقتله لمروان ببوصير وقيل ان ابن عم لعامر يقال له نافع بن عبد الملك كان قتله فى تلك الليلة فى المعركة وهو لا يعرفه

وان عامرا لما احتز رأس مروان واحتوى على عسكره دخل الكنيسة التى كان فيها مروان فقعد على فرشه واكل من طعامه فخرجت اليه ابنة مروان الكبرى وتعرف بأم مروان وكانت اسنهن فقالت ياعامر ان دهرا انزل مروان عن فرشه حتى اقعدك عليها فاكلت من طعامه واحتويت على امره وحكمت فى مملكته لقادر ان يغير مابك وبلغ السفاح فعله وكلامها فاغتاظ من ذلك وكتب اليه ويلك اما كان لك فى ادب الله عز وجل مايزجرك عن ان تاكل من طعام مروان وتقعد على مهاده وتتمكن من وساده اما والله لولا ان امير المؤمنين تاول مافعلت على غير اعتقاد منك لذلك ولا شهوة لمسك من غضبه وأليم ادبه مايكون لك زاجرا ولغيرك واعظا فاذا اتاك كتاب امير المؤمنين فتقرب الى الله بصدقة تطفئ بها غضبه وصلاة تظهر بها الاستكانة وصم ثلاثة ايام ومر جميع اصحابك ان يصوموا مثل صيامك ولما اتى العباس براس مروان ووضع بين يديه سجد فاطال ثم رفع راسه فقال الحمد لله الذى لم يبق ثارى قبلك وقبل رهطك الحمد لله الذى اظفرنى بك واظهرنى عليك ثم قال ماابالى متى طرقنى الموت قد قتلت بالحسين وبنى ابيه من بنى امية مائتين واحرقت شلو هشام بابن عمى زيد بن على وقتلت مروان باخى ابراهيم وتمثل

لو يشربون دمى لم يروشار بهم * ولا دماؤهم للغيظ ترويني

ثم حول وجهه الى القبلة فاطال السجود ثم جلس وقد اسفر وجهه وتمثل بقول العباس ابن عبد المطلب من ابيات له

ابى قومنا ان ينصفونا فانصفت * قواطع فى ايماننا تقطر الدما

توورثن من اشياخ صدق تقربوا * بهن الى يوم الوغى فتقدما

اذا خالطت هام الرجال تركنها * كبيض نعام فى الوغى متحطما

وقالت الشعراء فى امر مروان فاكثرت (وذكر) ابو الخطاب عن ابى جعدة بن هبيرة المخزومى وكان احد وزراء مروان وسماره وقد كان لما ظهر أمر ابى العباس انضاف الى جملته وصار فى عداد اصحابه وخواصه الذين اتخذهم انه كان فى ذلك اليوم حاضر المجلس ابى العباس وراس مروان بين يديه وهو يومئذ بالحيرة وان ابا العباس التفت الى اصحابه فقال ايكم يعرف هذا فقال ابو جعدة فقلت انا اعرفه هذا رأس ابى عبد الملك مروان بن محمد خليفتنا بالامس رضى الله عنه قال فحدقت الى الشيعة فاخذتنى بابصارها فقال لى ابو العباس فى أى سنة كان مولده قلت سنة ست وسبعين فقام وقد تغير لونه غيظا على

وتفرق الناس من المجلس وانصرفت وانا نادم على ما كان مني وتكلم الناس في ذلك وتحدثوا به فقلت زلة والله لا تستقال ولا تنساها القوم ابدا فاتيت منزلي فلم أزل باقي يومي اعهد وأوصي فلما كان الليل اغتسلت وتهيأت للصلاة وكان ابو العباس قد اهتم بامر بعث فيه ليلا فلم أزل ساهرا حتى اصبحت فلما اصبحت ركبت بغلتي واستعرضت بقلبي الى من اقصد في امري فلم اجد أحدا اولى من سليمان بن خالد مولى بني زهرة وكان له من أبي العباس منزلة عظيمة وكان من شيعة القوم فاتيته فقلت اذكرني امير المؤمنين البارحة فقال نعم جرى ذلك فقال هو ابن اختنا وفي لصاحبه ونحن ان أوليناه خيرا كان لنا اشكر فشكرت ذلك له وجزيته خيرا ودعوت له وانصرفت فلم ازل آتي ابا العباس على ما كنت عليه لا ارى الا خيرا ونمى الكلام الذي كان في مجلس ابي العباس حين اتى براس مروان فبلغ ابا جعفر وعبد الله بن علي فكتب عبد الله ابن علي الى ابي العباس يعلمه بما بلغه من كلامي وانه ليس هذا يحتمل وكتب ابو جعفر يخبر بما بلغه من ذلك ويقول هو ابن اختنا ونحن اولى باصطناعه واتخاذ المعروف عنده وبلغني ما كان منهما فامسكت وضرب الدهر ضرباته فبينا انا ذات يوم عند ابي العباس بعد حين وقد تزايدت حالي عنده واحظاني فنهض الناس ونهضت فقال لي ابو العباس يا ابن هبيرة اجلس فجلست ونهض ليدخل فقمت لقيامه فقال اجلس فرفع الستر ودخل وثبت في مجلسي فاقام مليا ثم رفع الستر فخرج في ثوبي وشي رداء وجبة فما رأيت احسن منه ولا مما عليه قط فلما رفع الستر نهضت فقال اجلس فجلست فقال يا ابن هبيرة اني ذاكر لك امرا فلا يخرجن من راسك الى احد من الناس ثم قال قد علمت ما جعلنا من هذا الامر وولاية العهد لمن قتل مروان وعبد الله بن علي عمي هو الذي قتله لان ذلك كان بجيشه وباصحابه وأخي ابو جعفر مع فضله وعلمه وايثاره لامر الله كيف يسوغ اخراجه عنه قال فاطال في مديح ابي جعفر فقلت اصلح الله الامير لا اشير عليك ولكني احدثك حديثا تعتبره فقال هاته فقلت كنا مع مسلمة بن عبد الملك عام الخليج بالقسطنطينية اذ ورد عليه كتاب عمر بن عبد العزيز بنعي سليمان ومصير الامر اليه فبعث الي فدخلت عليه فرمى بالكتاب الي فقرأته ثم اندفع يبكي فقلت اصلح الله الامير لا تبك على اخيك ولكن ابك على خروج الخلافة من ولد ابيك الى ولد عمك فبكى حتى اخضلت لحيته قال فلما فرغت من حديثي قال لي ابو العباس حسبك قد فهمت عنك ثم قال اذا شئت فانهض فما مضيت غير بعيد حتى قال لي يا ابن هبيرة فالتفت راجعا

فقال لى امض اما انك قد كافات هذا وادركت بثارك من هذا قال فا ادرى من اى الامرين اعجب امن فطنته ام من ذكره لما كان وابو جعدة بن هبيرة هذا هو من ولد جعدة بن هبيرة المخزومى من فاختة ام هانئ بنت ابى طالب وعلى وجعفر وعقيل اخواله وقد قدمنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب (قال المسعودى) ووجدت فى اخبار المدائنى عن محمد بن الاسود قال بينما عبد الله بن على يساير اخاه داود بن على ومعهما عبد الله بن الحسن بن الحسن فقال داود لعبد الله لم لا تامر بنيك بالظهور فقال عبد الله هيهات لم يات لهما بعد فالتفت اليه عبد الله بن على فقال كانك تحسب ان ابنيك هما قاتلا مروان فقال ان ذلك كذلك فقال عبد الله هيهات وتمثل

سيكفيك المقالة مستميت * خفيف اللحم من أولاد حام

أنا والله قاتله وقيل لعبد الله بن على أن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز يذكر أنه قرأ فى بعض الكتب عين بن عين بن عين وقد أمل أن يكون هو فقال عبد الله بن على أنا والله ذلك ولى عليه فضل ثلاثة أعين انا عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم وهو عمرو بن عبد مناف فلما ضاف مروان عبد الله بن على أقبل مروان على رجل الى جنبه فقال من الرجل الذى كان يخاصم عندك عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الاقنى الحديد البصر الحسن الوجه فقلت يرزق الله البيان من يشاء قال انه لهو قلت نعم قال من ولد العباس بن عبد المطلب هو قلت أجل فقال مروان انا لله وانا اليه راجعون ويحك انى ظننت أن الذى يحاربنى من ولد أبى طالب وهذا الرجل من ولد العباس واسمه عبد الله أتدرى لم صيرت الامر بعدى لابن عبيد الله بعد عبد الله ومحمد أكبر من عبد الله لانا اخبرنا ان الامر صائر بعدى الى عبد الله وعبيد الله فنظرت فاذا عبيد الله أقرب الى عبد الله من محمد فوليته دونه قال وبعث مروان بعد أن حدث صاحبه بهذا الحديث الى عبد الله بن على فى خفية ان الامر يا ابن عم صائر اليك فاتق الله فى الحرم قال فبعث اليه عبد الله ان الحق لنا فى دمك والحق علينا فى حرمك وذكر مصعب الزبيرى قال كانت أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومى عند عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فهلك عنها ثم كانت عند هشام فهلك عنها فبينا هى ذات يوم اذ مر بها أبو العباس السفاح وكان جميلا وسيما فسالت عنه فنسب لها فارسلت له مولاة لها تعرض عليه أن يتزوجها وقالت لها قولى له هذه سبعمائة دينار أوجه بها اليك وكان معها مال عظيم وجوهر وحشم فاتته المولاة فعرضت عليه ذلك فقال أنا

مملق لامال عندي فدفعت اليه المال فانعم لها وأقبل الى أخيها فساله التزويج فزوجه اياها فاصدقها خمسمائة دينار وأهدى مائتي دينار ودخل عليها من ليلته واذا هي على منصة فصعد عليها فاذا كل عضو منها مكلل بالجوهر فلم يصل اليها فدعت بعض جواريها فنزلت وغيرت لبسها ولبست ثيابا مصبغة وفرشت له فراشا على الارض دون ذلك فلم يصل اليها فقالت لا يضرك هذا كذلك كان يصيبهم مثل ما اصابك فلم تزل به حتى وصل اليها من ليلته وحظيت عنده وحلف ان لا يتزوج عليها ولا يتسرى فولدت منه محمدا وريطة وغلبت عليه غلبة شديدة حتى ما كان يقطع أمرا الا بمشورتها وبتأميرها حتى أفضت الخلافة اليه فلم يكن يدنو الى النساء غيرها لا الى حرة ولا الى أمة ووفى لها بما حلف ان لا يغيرها فلما كان ذات يوم في خلافته خلا به خالد بن صفوان فقال يا أمير المؤمنين اني فكرت في امرك وسعة ملكك وقد ملكت نفسك امرأة واحدة فان مرضت مرضت وان غابت غبت وحرمت نفسك التلذذ باستطراف الجواري ومعرفة أخبار حالاتهن والتمتع بما تشتهي منهن فان منهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغيداء وان منهن الفضة البيضاء والعتيقة الادماء والدقيقة السمراء والبربرية العجزاء من مولدات المدينة تفتن بمحادثتها وتلذ بخلوتها وأين امير المؤمنين من بنات الاحرار والنظر الى ماعندهن وحسن الحديث منهن ولو رأيت يا أمير المؤمنين الطويلة البيضاء والسمراء اللعساء والصفراء العجزاء والمولدات من البصريات والكوفيات ذات الالسن العذبة والقدود المهفهفة والاوساط المخصرة والاصداغ المزرفنة والعيون المكحلة والثدي المحققة وحسن زيهن وزينتهن وشكلهن لرأيت شيا حسنا وجعل خالد يجيد في الوصف ويجد في الاطناب بحلاوة لفظه وجودة وصفه فلما فرغ كلامه قال له ابو العباس ويحك يا خالد ماصك مسامعي والله قط كلام احسن مما سمعته منك فاعد على كلامك فقد وقع مني موقعا فاعاد عليه خالد أحسن مما ابتدأه ثم انصرف وبقي ابو العباس مفكرا فيما سمع منه فدخلت عليه أم سلمة امرأته فلما رأته مفكرا مغموما قالت اني لا نكرك يا أمير المؤمنين فهل حدث امر تكرهه او أتاك خبر فارتعت له قال لم يكن من ذلك شيء قالت فما قصتك فجعل ينزوي عنها فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد له فقالت فما قلت لا بن الفاعلة قال لها سبحان الله ينصحني وتشتمينه فخرجت من عنده مغضبة وأرسلت الى خالد من النجارية ومعهم الكافر كوبات وأمرتهم أن لا يتركوا منه عضوا صحيحا قال خالد فانصرفت الى منزلي وأنا على السرور

بما رأيت من أمير المؤمنين واعجابه بما ألقيته اليه ولم أشك أن صلته ستأتيني فلم ألبث حتى صار الى أولئك النجارية وأنا قاعد على باب داري فلما رأيتهم قد أقبلوا نحوى أيقنت بالجائزة واصلة حتى وقفوا على فسألوا عنى فقلت ها انا ذا خالد فسبق الى احدهم بهراوة كانت معه فلما اهوى بها الى وثبت فدخلت منزلى واغلقت الباب على واستترت ومكثت اياما على تلك الحال لا اخرج من منزلى ووقع فى خلدى انى اوتيت من قبل ام سلمة وطلبنى ابو العباس طلبا شديدا فلم اشعر ذات يوم الا بقوم قد هجموا على وقالوا اجب امير المؤمنين فأيقنت بالموت فركبت وليس على لحم ولا دم فلم اصل الى الدار فأومأ الى بالجلوس ونظرت فاذا خلف ظهرى باب عليه ستور قد ارخيت وحركة خلفها فقال يا خالد لم ارك منذ ثلاث قلت كنت عليلا يا امير المؤمنين قال ويحك انك وصفت لى فى آخر دخلة من امر النساء والجوارى مالم يخرق مسامعى قط كلام احسن منه فاعده على قلت نعم يا أمير المؤمنين اعلمتك أن العرب اشتقت اسم الضرة من الضر وأن أحدهم ماتزوج من النساء أكثر من واحدة الا كان فى جهد فقال ويحك لم يكن هذا فى الحديث قلت بلى والله يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن الثلاث من النساء كأثافى القدر يغلى عليهن قال أبو العباس برئت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك فى حديثك قال وأخبرتك أن الاربعة من النساء شر صحيح لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه ويسقمنه قال ويلك والله ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت قال خالد بلى والله قال ويلك وتكذبنى قال وتريد ان تقتلنى يا امير المؤمنين قال مر فى حديثك قال واخبرتك ان ابكار الجوارى رجال ولكن لا خصى لهن قال خالد فسمعت الضحك من وراء الستر قلت نعم واخبرتك ايضا ان بنى مخزوم ريحانة قريش وانت عندك ريحانة من الرياحين وانت تطمح بعينك الى حرائر النساء وغيرهن من الاماء قال خالد فقيل لى من وراء الستر صدقت والله يا عماه وبررت بهذا حدثت امير المؤمنين ولكنه بدل وغير ونطق عن لسانك فقال له ابو العباس مالك قاتلك الله واخزاك وفعل بك وفعل قال فتركته وخرجت وقد أيقنت بالحياة قال خالد فما شعرت الا برسل أم سلمة قد صاروا الى ومعهم عشرة آلاف درهم وتخت وبرذون وغلام ولم يكن أحد من الخلفاء يحب مسامرة الرجال مثل أبى العباس السفاح وكان كثيرا ما يقول انما العجب ممن يترك أن يزداد علما ويختار أن يزداد جهلا فقال له أبو بكر الهذلى ما تأويل هذا الكلام يا أمير المؤمنين قال يترك مجالسة مثلك وأمثال أصحابك ويدخل

الى امرأة أو جارية فلا يزال يسمع سخفا و يروى نقصا فقال له الهذلى لذلك فضلكم الله على العالمين وجعل منكم خاتم النبيين (ودخل) عليه ابو نجيلة الشاعر فسلم عليه وانتسب له وقال عبدك يا امير المؤمنين وشاعرك افتاذن لى فى انشادك فقال له لعنك الله الست القائل فى مسلمة بن عبد الملك بن مروان

امسلم انى يا ابن كل خليفة ويا فارس الهيجا ويا جبل الارض
شكرتك ان الشكر حبل من التقى وما كل من اوليته نعمة يقضى
واحييت لى ذكرى وما كان خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض

قال فانا يا امير المؤمنين الذى اقول

لما راينا استمسكت يداكا كنا اناسا نرهب الملاكا
ونركب الاعجاز والاوراكا من كل شىء ما خلا الاشراكا
فكلما قد قلت فى سواكا زور وقد كفر هذا ذاكا
انا انتظرنا قبلها اباكا ثم انتظرنا بعدها اخاكا
ثم انتظرناك لها اياكا فكنت انت للرجاء ذاكا

قال فرضى عنه ووصله واجازه (وكان) ابو العباس اذا احضر طعامه ابسط ما يكون وجها فكان ابراهيم بن مخرمة الكندى اذا اراد ان يساله حاجة اخرها حتى يحضر طعامه ثم يساله فقال له يوما يا ابراهيم مادعاك الى ان تشغلنى عن طعامى بحوائجك قال يدعونى الى ذلك التماس النجح لما أسال قال ابو العباس انك لحقيق بالسودد لحسن هذه الفطنة (وكان) اذا تعادى رجلان من اصحابه وبطانته لم يسمع من احدهما فى الآخر شيأ ولم يقبله وان كان القائل عدلا فى شهادته واذا اصطلح الرجلان لم يقبل شهادة واحد منهما لصاحبه ولا عليه ويقول ان الضغينة القديمة تولد العداوة المحضة وتحمل على اظهار المسالمة وتحتمل الافعى التى اذا تمكنت لم تبق (وكان) فى اول ايامه يظهر لندمائه ثم احتجب عنهم وذلك لسنة خلت من ملكه لامر قد ذكرناه فيما سلف من هذا الكتاب فى سيرة اردشير بن بابك وايامه (وكان) يطرب من وراء الستر ويصيح بالمطرب له من المغنين أحسنت والله فاعد هذا الصوت (وكان) لا ينصرف عنه أحد من ندمائه ولا مطربيه الا بصلة من مال أو كسوة ويقول لا يكون سرورنا معجلا ومكافاة من سرنا وأطربنا مؤجلا وقد سبقه الى هذا الفعل ملك من الملوك التى للفرس وهو بهرام جور (وحضره) أبو بكر الهذلى ذات يوم والسفاح مقبل عليه يحادثه

بحديث لأنوشروان فى بعض حروبه بالمشرق مع بعض ملوك الامم فعصفت الريح فأذرت ترابا وقطعا من الآجر من أعلى السطح الى المجلس فجزع من حضر المجلس لوقوع ذلك وارتاع له والهذلى شاخص نحو أبى العباس لم يتغير كما تغير غيره فقال له أبو العباس لله أنت يا أبا بكر لم أر كاليوم أمار اعك ما راعنا ولا أحسست بما وردعلينا فقال يا أمير المؤمنين ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وانما للرجل قلب واحد فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال والله عز وجل اذا انفرد بكرامة أحد وأحب أن يبقى له ذكرها جعل تلك الكرامة على لسان نبى أو خليفة وهذه كرامة خصصت بها فمال اليها ذهنى وشغل بها فكرى فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بها ولا وجمت لها الا بما يلزمنى فى نفسى لامير المؤمنين أعزه الله تعالى فقال له السفاح لئن بقيت لك لارفعن منك وضيعا لا تطيف به السباع ولا ينحط عليه العقاب وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وصية عبد الملك للشعبى فى فضل الانصات للملوك وقد حكى عن عبد الله بن عباس المنتوف انه قال لم تتقرب العامة الى الملوك بمثل الطاعة ولا العبيد بمثل الخدمة ولا البطانة بمثل حسن الاستماع (وقد حكى) عن روح بن زنباع الجذامى أنه كان يقول اذا أردت أن يمكنك الملك من أذنه فامكن أذنك من الاصغاء الى حديثه ولا يتعتب الرجل عندى اذا كان يصغى الى حديثى ولا يقدح ماقيل فيه فى قلبى لما تقدم له من حسن الاستماع عندى (وقد حكى) عن معاوية أنه كان يقول يغلب الملك حتى يركب لشيئين بالحلم عند سورته والاصغاء الى حديثه (ووجدت) فى سير الملوك من الاعاجم أن شيرويه بن ابرويز بيناهو فى منتزهاته بارض العراق وكان لا يسايره أحد من الناس مبتدئا وأهل المراتب العالية خلف ظهره على مراتبهم فان التفت يمينا دنا منه صاحب الجيش وان التفت شمالا دنا منه الموبذان فامره باحضار من أراد مسايرته فالتفت فى مسيره هذا يمينا فدنا منه صاحب الجيش فقال أين شداد بن جرثمة فاحضر فسايره فقال له شيرويه أفكرت فى حديث حدثنا به اردشير بن بابك حين واقع ملك الخزر فحدثنى به ان كنت تحفظه وكان شداد قدسمع هذا الحديث من أنوشروان وعرف المكيدة وكيف كان أردشير أوقعها بملك الخزر فاستعجم عليه شداد وأوهمه أنه لا يعرفه فحدثه شيرويه بالحديث فأصغى اليه الرجل بجوارحه كلها وكان مسيره على شاطئ نهر فترك الرجل لاقباله على شيرويه النظر الى موطئ حافر دابته فزلت احدى قوائم الدابة فمالت بالرجل الى اليمين فوقع فى الماء

وتقرت الدابة فابتدرها حاشية الملك وغلمانه فأمالوها عن الرجل وجدلوه فحملوه على أيديهم حتى أخرجوه فاغتم لذلك ونزل عن دابته وبسط له هنالك حتى تغدى فى موضعه ودعا بثياب من خاص كسوته فالقيت على شداد وأكل معه وقال له غفلت عن النظر الى موضع حافر دابتك فقال أيها الملك ان الله اذا أنعم على عبد نعمة قابلها بمحنة وعارضها ببلية وعلى قدر النعم تكون المحن وان الله أنعم على بنعمتين عظيمتين هما اقبال الملك على بوجهه من بين هذا السواد الاعظم وهذه الفائدة وهى تدبير هذه الحرب حتى حدث بها عن أردشير حتى انى لو دخلت الى حيث تطلع الشمس أو تغرب لكنت راجحا فلما اجتمعت نعمتان جليلتان فى وقت واحد قابلتهما هذه المحنة ولولا أساورة هذا الملك ويمن جده لكنت معرض هلكة وعلى ذلك فلو غرقت حتى ذهبت عن جديد الارض لكان قد أبقى لى الملك ذكرا مخلدا ما بقى الضياء والظلام فسر الملك بذلك وقال ما ظننتك بهذا المقدار الذى أنت فيه فحشا فاه جوهرا ودرا رائقا ثمينا واستبطنه حتى غلب على أكثر أمره (وانما ذكرنا) هذا الخبر من أخبار من سلف من ملوك الفرس ليعلم أن أبا بكر الهذلى ثم لم يبتدئ بحال لم يسبقه اليها غيره ويتقدمه بها سواه وأحسن المواقع من الملوك الاستماع منها والاخذ عنها وقد كانت حكماء اليونانيين تقول ان الواجب على من أقبل عليه ملك أو ذو رياسة بحديث أن يصرف كله الى ذلك وان كان يعرف الحديث الذى يسمعه من الملك كانه لم يسمعه قط ويظهر السرور من الملك والاستبشار بحديثه وان فى ذلك أمرين أحدهما ما يظهر من حسن أدبه فانه يعطى الملك حقه بحسن الاستماع لحديثه والاستغراب له كانه لم يسمعه واظهار السرور والاستفادة منه فالنفس الى الفوائد من الملوك والحديث عنهم أشهى وأقرب منها الى فوائد السوقة وما أشبهها (وقد ذكر) جماعة من الاخباريين كابن داب وغيره نحو هذا المعنى عن معاوية بن أبى سفيان ويزيد بن سحرة الرهاوى وهو أن ابن سحرة كان يساير ذات يوم معاوية وكان انسابه والى حديثه تائقا ومعاوية مقبل عليه يحدثه عن (جرعان) يوم كان لبنى مخزوم وغيرهم من قريش كان فيه حرب عظيمة فنى فيها خلق من الناس وذلك قبل الاسلام وقيل ان ذلك كان قبل الهجرة وكان لابى سفيان فيها مكرمة وسابقة فى الرياسة وهو أنه لما أشرف الفريقان على الفناء علا على نشز من الارض ثم صاح بالفريقين وأشار بكمه وانصرف الفريقان جميعا انقيادا الى أمره وكان معاوية معجبا بهذا الحديث فبينما هو يحدثه به ويزيد بن سحرة مقبل عليه وقد

استخفتهما لذة المحدث والمستمع اذ صك جبين يزيد بن سحرة حجر عائر فأدماه فجعلت الدماء تسيل على وجهه ولحيته وثوبه وغير ذلك ولم يتغير عما كان عليه من الاستماع فقال له معاوية لله أنت يا ابن سحرة أما ترى ما نزل بك قال وما ذاك يا أمير المؤمنين قال هذا دم يسيل على ثوبك فقال أعتق ما املك ان لم يكن حديث أمير المؤمنين ألهاني حتى غمر فكري وغطى على قلبي فما شعرت بشيء مما حدث حتى نبهني عليه أمير المؤمنين فقال معاوية لقد ظلمك من جعلك في ألف من العطاء وأخرجك من عطاء ابناء المهاجرين والجماهير ممن حضر معنا بصفين ثم أمر له وهو في مسيره بخمسمائة ألف درهم وزاده في عطائه ألفا من الدراهم وجعله بين جلده وثوبه (وقد قال) بعض أهل المعرفة والادب من مصنفي الكتب في هذا المعنى وغيره فيما حكيناه عن معاوية وابن سحرة لئن كان ابن سحرة خدع معاوية في هذا ومعاوية ممن لا يخادع فما مثله الا كما قال الاول (من ينك العير ينك نياكا) وان كان بلغ من بلادة ابن سحرة وقلة حسه ما وصف به نفسه فما كان جديرا بخمسمائة ألف صلة وزيادة ألف في عطائه وما أظن ذلك خفي عن معاوية (قال المسعودي) وقد قالت الحكماء في هذا واكثرت وأمرت بحسن الاستماع واطنبت فقالوا الا تحسن المحادثة الا بحسن الفهم وقالوا تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام وحسن الاستماع هو امهال المحدث حتى ينقضي حديثه (ومن أدب الحديث) وواجباته أن لا يقتضب اقتضابا ولا يهجم عليه وأن يتوصل الى اجرائه بما يشاكله ويستنسب له ما يحسن أن يجرى في غرضه حتى يكون بعض المفاوضة متعلقا ببعض على حسب ما قالوا في المثل ان الحديث ذو شجون يريدون بذلك تشعبه وتفرعه عن أصل واحد الى وجوه من المعاني كثيرة اذ كان العيش كله في الجليس الممتع وقال رجل والله ما أمل الحديث فقال السامع انما عل العتيق لا الحديث وقد أكثرت الشعراء من الاغراق في هذا المعنى ومن ذلك قول العباس بن علي الرومي

وسئمت كل مآربي ... فكأن أطيبها غثيث
الا الحديث فانه ... مثل اسمه أبدا حديث

وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول ابراهيم بن العباس

ان الزمان وما يبين بمفرقي ... صرف الغواية فانصرفت كريما
وضجرت الا من لقاء محدث ... حسن الحديث يزيدني تعليما

وقد ذكر بعض المحدثين من أهل الادب ان من الادب عدم اطالة الحديث من النديم

وان أحلى الحديث وأحسنه موقعا أن تجتنب منه الاحاديث الطوال دون المعانى المغلغلة الالفاظ الحشوية التى ينقضى باقتصاصها زمان المجلس وتتعلق بها النفوس وتحتسى على أواخرها الكؤس وأن ذلك بمجالس القصاص أشبه منه بمجالس الخواص (وقد ذكر) هذا المعنى فاجاد فيه عبدالله بن المعتز بالله ووصف ذلك بين أصحاب الشراب على المعاقرة فقال

بين أقداحهم حديث قصير　　هو سحر وما عداه كلام
وكأن السقاة بين الندامى　　ألفات بين السطور قيام

وهذه طريقة من ذهب فى هذا المعنى الى استماع الملح وكان أول من وقع عليه اسم الوزارة فى دولة بنى العباس أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمدانى مولى لسبيع وكان فى نفس أبى العباس منه شىء لانه كان حاول فى رد الامر عنهم الى غيرهم فكتب أبو مسلم الى السفاح يشير عليه بقتله ويقول له قد أحل الله لك دمه لانه قد نكث وغير وبدل فقال السفاح ما كنت لافتتح دولتى بقتل رجل من شيعتى لاسيما مثل أبى سلمة وهو صاحب هذه الدعوة وقد عرض نفسه وبذل مهجته وأنفق ماله وناصح امامه وجاهد عدوه وكلمه أبو جعدة أخوه وداود بن على عمه فى ذلك وقد كان أبو مسلم كتب اليهما يسألهما أن يشيرا على السفاح بقتله فقال أبو العباس ما كنت لأفسد كثير احسانه وعظيم بلائه وصالح أيامه بزلة كانت منه وهى خطرة من خطرات الشيطان وغفلة من غفلات الانسان فقالا له فينبغى يا أمير المؤمنين أن تحترس منه فانا لانأمنه عليك فقال كلا انى لآمنه فى ليلى ونهارى وسرى وجهرى ووحدتى وجماعتى فلما اتصل هذا القول من أبى العباس بابى مسلم أكبره وأعظمه وخاف من ناحية أبى سلمة أن يقصده بالمكروه فوجه جماعة من ثقات أصحابه فى اعمال الحيلة فى قتل أبى سلمة وقد كان أبو العباس يأنس بأبى سلمة ويسمر عنده وكان أبو سلمة فكها ممتعا أديبا عالما بالسياسة والتدبير فيقال ان أباسلمة انصرف ليلة من عند السفاح من مدينته بالانبار وليس معه أحد فوثب عليه أصحاب أبى مسلم فقتلوه فلما اتصل خبره بالسفاح أنشا يقول

الى النار فليذهب ومن كان مثله　　على أى شىء فاتنا منه ناسف

وكان أبو مسلم يقال له أمين آل محمد وأبو سلمة حفص بن سليمان يدعى وزير آل محمد فلما قتل غيلة على ماذكرنا قال فى ذلك الشاعر من أبيات

ان المساءة قد تسر وربما　　كان السرور بما كرهت جديرا

ان الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشناك كان وزيرا

وقد أتينا على خبر مقتله وكيفية أمره فى الكتاب الاوسط (وكان) السفاح يعجبه المحادثة ومفاخرات العرب من نزار واليمن والمذاكرة بذلك ولخالد بن صفوان وصدر من قحطان أخبار حسان ومفاخرات ومذاكرات ومنادمات ومسامرات مع السفاح مشهورة فاغنى ذلك عن ذكرها (ومما ذكر من أخباره) واستفاض من أسماره ماذكره البهلول بن العباس عن الهيثم بن عدى الطائى عن يزيد الرقاشى قال كان السفاح يعجبه مسامرة الرجال وانى سمرت عنده ذات ليلة فقال يايزيد أخبرنى باظرف ماسمعته من الاحاديث فقلت ياامير المؤمنين وان كان فى بنى هاشم قال ذلك اعجب الى قلت ياامير المؤمنين فزل رجل من تنوخ بحى من بنى عامر بن صعصعة فجعل لايحط شيا من متاعه الا تمثل بهذا البيت

لعمرك ماتبلى سرائر عامر من اللؤم مادامت عليها جلودها

فخرجت اليه جارية من الحى فحادثته وآنسته وسالته حتى انس بها ثم قالت ممن انت متعت بك فقال رجل من تميم فقالت اتعرف الذى يقول

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو ان برغوثا على ظهر قملة يكر على جمعى تميم لولت
ذبحنا فسمينا فتم ذبيحنا وما ذبحت يوما تميم فسمت
ارى الليل يجلوه النهار ولا ارى عظام المخازى عن تميم تجلت

فقال لا والله ماانا منهم قالت فمن انت قال رجل من عجل قالت اتعرف الذى يقول

ارى الناس يعطون الجزيل ولا أرى عطاء بنى عجل ثلاث واربع
اذا مات عجلى بأرض فانما يشق له منها ذراع واصبع

قال لا والله ماانا من عجل قالت فمن انت قال رجل من بنى يشكر قالت اتعرف الذى يقول

اذا يشكرى مس ثوبك ثوبه فلا تذكرن الله حتى تطهرا

قال لا والله ماأنا من يشكر قالت فمن أنت قال رجل من بنى عبد القيس قالت أتعرف الذى يقول

رأيت عبد القيس لاقت ذلا اذا أصابوا ابصلا وخلا
وما لحا مصنعا قد طلا باتوا يسلون النساء سلا
سل النبيط القصب المبتلا

قال لا والله ماأنا من عبد القيس قالت فمن أنت قال رجل من باهلة قالت أتعرف الذى

يقول اذا ازدحم الكرام على المعالى تنحى الباهلى عن الزحام
فلو كان الخليفة باهليا لقصر عن مناواة الكرام
وعرض الباهلى وان توقى عليه مثل منديل الطعام

قال لا والله ماأنا من باهلة قالت فمن أنت قال رجل من بنى فزارة قالت أتعرف الذى يقول

لاتأمنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار
لا تأمنن فزاريا على حمر بعد الذى امتل اير العير فى النار
قوم اذا نزل الاضياف ساحتهم قالوا لامهم بولى على النار

قال لا والله ماأنا من فزارة قالت فمن أنت قال انا رجل من ثقيف قالت أتعرف الذى يقول

أهل الناسبون الى ثقيف فما لهم أب الا الضلال
فان نسبت أو انتسبت ثقيف الى أحد فذاك هو المحال
خنازير الحشوش فقتلوها فان دماءهم لكم حلال

قال لا والله ماأنا من ثقيف قالت فمن أنت قال رجل من عبس قالت أتعرف الذى يقول

اذا عبسية ولدت غلاما فبشرها بلؤم مستفاد

قال لا والله ماأنا من عبس قالت فمن أنت قال رجل من ثعلبة قالت أتعرف الذى يقول

وثعلبة بن قيس شر قوم والأمهم وأغدرهم بجار

قال لا والله ماأنا منهم قالت فمن أنت قال رجل من بنى مرة قالت أتعرف الذى يقول

اذا مرية خضبت يداها فزوجها ولا تأمن زناها

قال لا والله ماأنا من بنى مرة قالت فمن انت قال رجل من بنى ضبة قالت اتعرف الذى يقول

لقد زرقت عيناك يا ابن معكبر كما كل ضبى من اللؤم ازرق

قال لا والله ماانا من بنى ضبة قالت فمن انت قال رجل من بجيلة قالت اتعرف الذى يقول

سألنا عن بجيلة حين حلت لتخبر اين قربها القرار
فاتدرى بجيلة اين تدعى اقحطان ابوها ام نزار
فقد وقعت بجيلة بين بين وقد خلعت كما خلع العذار

قال لا والله ماانا من بجيلة قالت فمن انت ويحك قال رجل من بنى الازد قالت اتعرف الذى يقول

اذا ازدية ولدت غلاما فبشرها بملاح مجيد

قال لا والله ماانا من الازد قالت فمن انت ويلك اما تستحى قل الحق قال انا رجل من خزاعة قالت اتعرف الذى يقول

اذاافتخرت خزاعة فى كريم   وجدنا فخرها شرب الخمور

وباعت كعبة الرحمن جهرا   بزق بئس مفتخر الفخور

قال لا والله ماانامن خزاعة قالت فمن انت قال رجل من سليح قالت اتعرف الذى يقول

أماالسليح شتت الله امرها   تنيك بأيديها وتعيى ابورها

قال لا والله مااقامن سليح قالت فمن انت قال رجل من لقيط قالت اتعرف الذى يقول

لعمرك ماالبحار ولاالفيافى   بأوسع من فقاح بنى لقيط

لقيط شر من ركب المطايا   واندل من يدب على البسيط

الالعن الاله بنى لقيط   بقايا سبية من قوم لوط

قال لا والله ماانامن لقيط قالت فمن انت قال رجل من كندة قالت اتعرف الذى يقول

اذاماافتخر الكندى ذوالبهجة والطره   فبالنسج و بالخف وبالسدل وبالحفره

فدع كندة للمنسج فاعلى فخرها عره

قال لا والله ماانامن كندة قالت فمن انت قال رجل من خثعم قالت اتعرف الذى يقول

وخثعم لوصفرت بها صفيرا   لطارت فى البلاد مع الجراد

قال لا والله ماانامن خثعم قالت فمن أنت قال رجل من طيء قالت اتعرف الذى يقول

وما طيء الا نبيط تجمعت * فقالت طيانا كلمة فاستمرت

ولوأن حرقوصا يمدجناحه * على جبلى طى اذاالاستظلت

قال لا والله ماأنامن طيء قالت فمن أنت قال رجل من مزينة قالت أتعرف الذى يقول

وهل مزينة الامن قبيلة * لايرتجى كرم فيها ولادين

قال لا والله ماأنامن مزينة قالت فمن أنت قال رجل من النخع قالت أتعرف الذى يقول

اذاالنخع اللئام غدوا جميعا * تأذى الناس من وفر الزحام

ومايسمو الى مجد كريم * وماهم فى الصميم من الكرام

قال لا والله ماأنامن النخع قالت فمن أنت قال رجل من أود قالت أتعرف الذى يقول

اذانزلت بأود فى ديارهم * فاعلم بأنك منهم لست بالناجى

لاتركنن الى كهل ولا حدث * فليس فى القوم الاكل عفاج

قال لا والله ماأنامن أود قالت فمن أنت قال انارجل من لخم قالت أتعرف الذى يقول

اذاماافتخر قوم لفخر قديمهم * تباعد فخر القوم من لخم أجمعا

قال لا والله ما أنا من لخم قالت فمن أنت قال انا رجل من جذام قالت اتعرف الذى يقول

اذا كاس المدام أدير يوما * لمكرمة تنحى عن جذام

قال لا والله ما أنا من جذام قالت فمن أنت ويلك أما تستحى اكثرت من الكذب قال أنا رجل من تنوخ وهو الحق قالت أتعرف الذى يقول

اذا تنوخ قطعت منهلا * فى طلب الغارات والثار
آبت بخزى من اله العلى * وشهرة فى الاهل والجار

قال لا والله ما أنا من تنوخ قالت فمن أنت ثكلتك امك قال انا من حمير قالت اتعرف الذى يقول

فنبئت حمير تهجونى فقلت لهم * ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
لان حمير قوم لا نصاب لهم * كالعود بالقاع لا ماء ولا ورق
لا يكثرون وان طالت حياتهم * ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا

قال لا والله ما انا من حمير قالت فمن أنت قال انا رجل من نحاتر قالت اتعرف الذى يقول

ولو مرمز ماربارض نحاتر لماتوا واضحوا فى التراب رميا

قال لا والله ما أنا من نحاتر قالت فمن انت قال رجل من قشير قالت اتعرف الذى يقول

بنى قشير قتلت سيدكم * فاليوم لا فدية ولا قود

قال لا والله ما انا من قشير قالت فمن انت قال رجل من بنى امية قالت اتعرف الذى يقول

وهى من امية بنيانها * فهان على الله فقدانها
وكانت امية فيما مضى * جرى على الله سلطانها
فلا آل حرب اطاعوا الرسول * ولم يتق الله مر وانها

قال لا والله ما انا من بنى أمية قالت فمن انت قال رجل من بنى هاشم قالت اتعرف الذى يقول

بنى هاشم عودوا الى نخلاتكم * فقد صار هذا التمر صاعا بدرهم
فان قلتمو رهط النبى محمد * فان النصارى رهط عيسى بن مريم

قال لا والله ما أنا من بنى هاشم قالت فمن انت قال رجل من همدان قالت اتعرف الذى يقول

اذا همدان دارت يوم حرب * رحاها فوق هامات الرجال
رأيتهم يحثون المطايا * سراعا هاربين من القتال

قال لا والله ما انا من همدان قالت فمن انت قال رجل من قضاعة قالت اتعرف الذى يقول

لا يفخرن قضاعى بأسرته فليس من يمن محضا ولا مضر

مذبذبين فلا قحطان والدهم ولا نزار نخلوهم الى سقر

قال لا والله ما انا من قضاعة قالت فمن انت قال رجل من شيبان قالت اتعرف الذى يقول

شيبان قوم لهم عديد فكلهم مقرف لئيم
مافيهم ماجد حسيب ولا نجيب ولا كريم

قال لا والله ما انا من شيبان قالت فمن انت قال رجل من بنى نمير قالت اتعرف الذى يقول

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا
فلو وضعت فقاح بنى نمير على خبث الحديد اذا الذابا

قال لا والله ما انا من نمير قالت فمن انت قال انا رجل من تغلب قالت اتعرف الذى يقول

لا تطلبن خؤولة من تغلب فالزنج اكرم منهم اخوالا
والتغلبى اذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الامثالا

قال لا والله ما انا من تغلب قالت فمن انت قال رجل من مجاشع قالت اتعرف الذى يقول

تبكى المصيبة من بنات مجاشع ولها اذا سمعت نهيق حمار

قال لا والله ما انا من مجاشع قالت فمن انت قال رجل من كلب قالت اتعرف الذى يقول

فلا تقربا كلبا ولا باب دارها فما يطمع السارى يرى ضوء نارها

قال لا والله ما انا من كلب قالت فمن انت قال انا رجل من تيم قالت اتعرف الذى يقول

قال لا والله ما انا من تيم قالت فمن انت قال رجل من جرم قالت اتعرف الذى يقول

تمنتنى سويق الكرم جرم وما جرم وماذاك السويق
فما شربوه لما كان خلا ولا غالوا به فى يوم سوق
فلما انزل التحريم فيها اذا الجرمى منها لا يفيق

قال لا والله ما انا من جرم قالت فمن انت قال رجل من سليم قالت اتعرف الذى يقول

اذا ماسليم جئتها لغدائها رجعت كما قد جئت غرثان جائعا

قال لا والله ما انا من سليم قالت فمن انت قال رجل من الموالى قالت اتعرف الذى يقول

الا من اراد الفحش واللؤم والخنا فعند الموالى الجيد والطرفان

قال أخطات نسبى ورب الكعبة انا رجل من الحور قالت اتعرف الذى يقول

لا بارك الله ربى فيكم ابدا يامعشر الحور ان الحور فى النار

قال لا والله ما انا من الحور قالت فمن انت قال رجل من اولاد حام قالت اتعرف الذى
يقول

فلا تنكحن اولاد حام فانهم　　مشاويه خلق الله حاشا ابن اكوع

قال لا والله ما انا من ولد حام لكني من ولد الشيطان الرجيم قالت فلعنك الله ولعن اباك الشيطان معك افتعرف الذي يقول

الا ياعباد الله هذا عدوكم * وهذا عدو الله ابليس فاقتلوا

فقال لها هذا مقام العائذ بك قالت قم يا رجل خاسئا مذموما واذا نزلت بقوم فلا تنشد فيهم شعرا حتى تعرف من هم ولا تتعرض للمباحث عن مساوى الناس فلكل قوم اساءة واحسان الا رسول رب العالمين ومن اختاره الله على عباده وعصمه من عدوه وأنت كما قال جرير للفرزدق

وكنت اذا حللت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

فقال لها والله لا أنشدت

بيت شعر أبدا (فقال السفاح) لئن كنت قلت هذا الخبر ونظمت فيمن ذكرت هذه الاشعار فلقد أحسنت وأنت سيد الكاذبين وان كان الخبر صدقا وكنت فيما ذكرته محقا فان هذه الجارية العامرية لمن أحضر الناس جوابا وأبصرهم بمثالب الناس (قال المسعودى) وللسفاح أخبار غير هذه وأسمار حسان قد أتينا على مبسوطها فى أخبار الزمان والاوسط

﴿ ذكر خلافة أبى جعفر المنصور ﴾

وبويع أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو بطريق مكة أخذ له البيعة عمه عيسى بن على ثم لعيسى بن موسى من بعده يوم الاحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة والمنصور يومئذ ابن احدى وأربعين سنة وكان مولده فى ذى الحجة سنة خمس وتسعين وكانت أمه أم ولد يقال لها سلامة بربرية وكانت وفاته يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة فكانت ولايته اثنتين وعشرين سنة الا تسعة أيام وهو حاج عند وصوله الى مكة فى الموضع المعروف ببستان بنى عامر من جادة العراق ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن بمكة مكشوف الوجه لانه كان محرما وقيل انه مات بالبطحاء عند بئر ميمون ودفن بالحجون وهو ابن خمس وستين سنة والله أعلم

﴿ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه ﴾

ذكر عن سلامة أم المنصور أنها قالت رأيت لما حملت بأبى جعفر كان أسدا خرج من قبلى

فاقعى وزأر وضرب بذنبه فاقبلت اليه الاسد من كل ناحية فكلما انتهى اليه أسد منها سجد له (حدث) على بن محمد المدائنى أن المنصور قال صحبت رجلا ضريرا الى الشأم وكان يريد مروان بن محمد بشعر قاله فيه قال فسألته أن ينشدنى فانشدنى

ليت شعرى افاح رائحة المسـ * ك وما ان احال بالخيف انسى
حين غابت بنو أمية عنه * والبهاليل من بنى عبد شمس
خطباء على المنابر فرسا * ن عليها وقالة غير خرس
لا يعابون قائلين وان قا * لوا اصابوا ولم يقولوا بلبس
وحلوم اذا الحلوم استخفت * ووجوه مثل الدنانير ملس

قال المنصور فوالله ما فرغ من شعره حتى ظننت أن العمى ادركنى وكان والله ممتع الحديث حسن الصحبة قال وحججت سنة احدى وأربعين ومائة فنزلت على الحجاز فى جبلى زرود فى الرمل امشى لنذر كان على فاذا أنا بالضرير فأومأت الى من كان معى تأخروا فتأخروا ودنوت منه فاخذت بيده فسلمت عليه فقال من أنت جعلنى الله فداك فما أثبتك معرفة قلت رفيقك الى الشام فى أيام بنى أمية وأنت متوجه الى مروان فسلم على وتنفس وأنشأ يقول

آمت نساء بنى أمية منهم * وبناتهم بمضيعة أيتام
نامت جدودهم وأسقط نجمهم * والنجم يسقط والجدود نيام
خلت المنابر والاسرة منهم * فعليهم حتى الممات سلام

فقلت له كم كان مروان أعطاك فقال أغنانى فلا أسال احدا بعده فقلت كم فقال أربعة آلاف دينار وخلع وحملان قلت وأين ذاك قال بالبصرة قلت اثبتنى معرفة فقال أما معرفة الصحبة فقد لعمرى وأما معرفة النسب فلا فقلت أنا أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين فوقع عليه الافكاء وقال يا أمير المؤمنين اعذر فان ابن عمك محمدا صلى الله عليه وسلم قال جبلت النفوس على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها قال أبو جعفر فهممت والله به ثم تذكرت الحرمة والصحبة فقلت للمسيب اطلقه ثم بدا لى فى مسامرته رأى فامرت بطلبه فكان البيداء بادته (وحدث الربيع) قال اجتمع عند المنصور عيسى بن على وعيسى بن موسى ومحمد بن على وصالح بن على وقثم بن العباس ومحمد بن جعفر ومحمد بن ابرهيم فذكروا خلفاء بنى أمية وسيرهم وتدبيرهم والسبب الذى به سلبوا عزهم فقال المنصور أما عبد الملك فكان جبارا لا يبالى ما صنع وأما سليمان

فكان همته بطنه وفرجه وأما محمر فكان أعور بين عميان وكان رجل القوم هشام ولم تزل بنو أمية ضابطين لما مهد لهم من السلطان يحوطونه ويحفظونه ويصرفون ما وهب الله لهم منه مع كسبهم معالى الامور ورفضهم ادانيها حتى افضى الامر الى ابنائهم المترفين فكانت همتهم قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصى الله جل وعز جهلا منهم باستدراجه وأمنا منهم لمكره مع اطراحهم صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز وألبسهم الذل ونفى عنهم النعمة فقال صالح بن على يا أمير المؤمنين ان عبد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربا فيمن اتبعه سال ملك النوبة عن حالهم وهيئتهم فركب الى عبد الله ليسأله عن شئ من أمورهم والسبب الذى به زالت النعمة عنهم وكلمه بكلام سقط عنى حفظه ثم أشخصه عن بلده فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به ليحدثه أمره فعل فامر المنصور باحضاره فى مجلسه فلما مثل بين يديه قال له يا عبد الله قص على قصتك وقصة ملك النوبة قال يا أمير المؤمنين قدمت الى النوبة فاقمت بها ثلاثا فاتانى ملكها فقعد على الارض وقد أعددت له فراشا فقلت له ما منعك من القعود على فراشنا فقال لانى ملك وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله عز وجل اذ رفعه الله ثم قال لم تشربون الخمر وهى محرمة عليكم فى كتابكم فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا قال فلم تطئون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم فى كتابكم فقلت فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا لجهلهم قال فلم تلبسون الديباج والحرير والذهب وهو محرم عليكم فى كتابكم ودينكم فقلت ذهب منا الملك فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا فى ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا فاطرق الى الارض يقلب يده مرة وينكت فى الارض أخرى ويقول عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا علينا فى ديننا ثم رفع رأسه فقال ليس كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرم الله وركبتم ما عنه نهيتم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها فيكم وأنا خائف ان يحل بكم العذاب وأنتم ببلدى فينالنى معكم وانما الضيافة ثلاث فتزود ما احتجت اليه وارحل عن أرضى ففعلت فتعجب المنصور وأطرق مليا فرق له وهم باطلاقه فاعلمه عيسى بن على أن فى عنقه بيعة له فاعاده الى الحبس (قال المسعودى) ولعشر سنين خلت من خلافة المنصور توفى أبو عبد الله محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم سنة ثمان وأربعين ومائة ودفن بالبقيع مع أبيه وجده وله خمس وستون سنة وقيل انه سم وعلى قبورهم فى هذا الموضع من

خاتمة عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الامم ومحيي الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن على بن أبى طالب وعلى بن الحسين بن على بن أبى طالب ومحمد بن على وجعفر بن محمد رضى الله عنهم واستوزر أبو جعفر المنصور بن عطية الباهلى ثم استوزر أبا أيوب التورانى الحورى وكان له بابى جعفر اسباب منها أنه كان يكتب لسليمان بن حبيب بن المهلب وقد كان سليمان ضرب المنصور بالسوط فى أيام الامويين وأراد هتكه فخلصه كاتبه ابو أيوب من يده فكانت سببه به فلما استوزره اتهم باشياء منها احتجار الاموال وسوء النية فكان على الايقاع به وتطاول ذلك فكان كلما دخل عليه ظن أنه سيوقع به ثم يخرج سالما فقيل انه كان معه دهن قد عمل فيه شئ من السحر يطليه على حاجبيه اذا اراد الدخول على المنصو فسار فى العامة دهن أبى أيوب لما ذكرنا ثم أوقع به واستكتب ابان بن صدقة الى أن مات وذكر لابى جعفر تدبير هشام فى حرب كانت له فبعث الى رجل كان ينزل رصافة هشام يساله عن تلك الحرب فقدم عليه رجل فقال له أنت صاحب هشام فقال نعم ياامير المؤمنين قال فاخبرنى كيف فعل فى حرب دبرها فى سنة كذا وكذا قال فعل رضى الله عنه فيها كذا وكذا وفعل رحمه الله كذا وكذا فاغاظ ذلك المنصور فقال له قم عليك غضب الله تطا بساطى وتترحم على عدوى فقام الشيخ وهو يقول ان لعدوك قلادة فى عنقى ومنة فى رقبتى لا ينزعها الا غاسلى فامر المنصور برده وقال كيف قلت قال انه كفانى الطلب وصان وجهى عن السؤال فلم أقف على باب عربى ولا عجمى منذ رأيته افلا يجب لى أن اذكره الا بخير وأتبعه بثنائى فقال بلى لله ام نهضت عنك أشهد انك نهيض حرة وغراس كريم ثم استمع منه وأمر له بجائزة فقال ياأمير المؤمنين ما آخذها لحاجة وما هو الأن أتبجح بحبائك وأتشرف بصلتك فاخذ الصلة فقال له المنصور مت اذا شئت لله أنت لو لم يكن لقومك غيرك كنت قد أبقيت لهم مجدا وقال لجلسائه بعد خروجه عنه فى مثل هذا تحسن الصنيعة ويوضع المعروف ويجاد بالمصون وأنى فى عسكر نا مثله ودخل معن بن زائدة على المنصور فلما نظر اليه قال هيه يامعن تعطى مروان بن أبى حفصة مائة ألف درهم على قوله

معن بن زائدة الذى زيدت به * شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا ياأمير المؤمنين انما اعطيته على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن

فنمت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت يامعن وكان معن من أصحاب عمر بن هبيرة وكان مستترا حتى كان يوم الهاشمية وقد كان سمعت فيه عدة من أهل خراسان فانه حضر وهو معتم متلثم فلما نظر الى القوم قد وثبوا على المنصور تقدم ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما افرجوا وتفرقوا عنه قال من أنت فحسر عن وجهه وقال انا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فلما انصرف المنصور آمنه وحباه واكرمه وكساه ورتبه وذكر أن ابن عياش المنتوف ذكر أن المنصور كان جالسا فى مجلسه المبنى على طاق باب خراسان من مدينته التى بناها واضافها الى اسمه وسماها مدينة المنصور مشرفا على دجلة وكان قد بنى على كل باب من ابواب المدينة فى الاعلى من طاقه المعقود مجلسا يشرف منه على ما يليه من البلاد من ذلك الوجه وكانت اربعة ابواب شوارع مخرقة وطاقات معقودة وهى باقية الى وقتنا هذا الذى هو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فاول ابوابها باب خراسان وكان يسمى باب الدولة لاقبال الدولة العباسية من خراسان ثم باب الشام وهو تلقاء الشام ثم باب الكوفة وهو تلقاء الكوفة ثم باب البصرة وهو تلقاء البصرة وقد أتينا على كيفية خبر بناء هذه المدينة واختيار المنصور لهذه البقعة بين دجلة والفرات ودجيل والصراة وهذه انهار تاخذ من الفرات وأخبار بغداد وعلة تسميتها بهذا الاسم وما قاله الناس فى ذلك وخبر القبة الخضراء وسقوطها فى هذا العصر وقصة قبة الحجاج الخضراء التى كان الحجاج بناها بواسط العراق وبقاؤها الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى كتابنا الاوسط الذى كتابنا هذا تال له فبينما المنصور جالس فى هذا المجلس من اعالى باب خراسان اذ جاء سهم عائر حتى سقط بين يديه فذعر المنصور منه ذعرا شديدا ثم اخذه فجعل يقلبه فاذا مكتوب عليه بين الريشتين

اتطمع فى الحياة الى التنادى * وتحسب ان مالك من تقاد
ستسال عن ذنوبك والخطايا * وتسأل بعد ذاك عن العباد

ثم قرأ عند الريشة الاخرى

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما ياتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

ثم قرأ عند الريشة الاخرى

هى المقادير تجرى فى أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال

يوماتريك خسيس القوم ترفعه * الى السماء ويوما تخفض العالى

واذا على جانب السهم مكتوب همذان منها رجل مظلوم فى حبسك فبعث من فوره بعدة من خاصته ففتشوا الحبوس والمطابق فوجدوا شيخا فى بنية من الحبس فيه سراج يسرج على بابه بارية مسبلة واذا الشيخ موثق بالحديد متوجه نحو القبلة يردد هذه الآية وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فسالوه عن بلده فقال همذان فحمل ووضع بين يدى المنصور فسأله عن حاله فاخبره انه رجل من ابناء مدينة همذان وأرباب نعمها وان واليك علينا دخل بلدنا ولى ضيعة فى بلدنا تساوى ألف ألف درهم فاراد اخذها منى فامتنعت فكبلنى فى الحديد وحملنى وكتب اليك انى عاص فطرحت فى هذا المكان فقال منذ كم قال مذ اربعة اعوام فامر بفك الحديد عنه والاحسان اليه والاطلاق له وانزله احسن منزل ورده اليه فقال له ياشيخ قد رددنا عليك ضيعتك بخراجها ماعشت وعشنا وأما مدينتك همذان فقد وليناك عليها واما الوالى فقد حكمناك فيه وجعلنا أمره اليك فجزاه خيرا ودعا له بالبقاء وقال ياأمير المؤمنين أما الضيعة فقد قبلتها وأما الولاية فلا أصلح لها وأما واليك فقد عفوت عنه فامر له المنصور بمال جزيل وبر واسع واستجله وحمله الى بلده مكرما بعد أن صرف الوالى وعاقبه على ماجنى من انحرافه عن سنة العدل وواضحة الحق وسال الشيخ مكاتبته فى مهماته وأخبار بلده واعلامه بما يكون من ولاته على الجريب ثم أنشا المنصور يقول

من يصحب الدهر لايامن تصرفه * يوما وللدهر احلاء وامرار

لكل شئ وان دامت سلامته * اذا انتهى فله لابد اقصار

وقال المنصور يوما لسالم بن قتيبة ماترى فى أمر أبى مسلم قال لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فقال حسبك ياابن قتيبة لقد أودعتها اذنا واعية وذكر ابن دأب وغيره عن عيسى بن على قال مازال المنصور يشاورنا فى جميع أموره حتى امتدحه ابراهيم بن هرمة فقال فى قصيدة له

اذا ماأراد الامر ناجى ضميره * فناجى ضميرا غير مختلف العقل

ولم يشرك الاذنين فى سر أمره * اذا انتقضت بالاصبعين قوى الحبل

ولما أراد المنصور قتل أبى مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشورة فيه فارقه ذلك فقال

تقسمنى امران لم أمتحنهما * بحزم ولم يعرك قواى الكراكر

وماشاور الاحشاء مثل دفينة * من الهم ردتها عليك المصادر

وقـد علمت ابناءعدنان أنني　　على مثلها مقدامة متجاسر

وقدكان عبدالله بن علي خالف على المنصور ودعا الى نفسه من كان معه من أهـل الشام وزعم أن السفاح جعل الخلافة من بعده لمن انتدب لقتل مروان فلما بلغ المنصور ذلك من فعل عبدالله كتب اليه

ساجعل نفسي منك حيث جعلتها　　وللدهر أيام لهن عواقب

ثم بعث اليـه بابي مسـلم فـكانت له معـه حروب كثيرة ببـلاد نصيبين المعروفـة بدير الاعور وصـبر الفريقان شهورا على حربها واحتفروا الخنادق ثم انهزم عبـدالله ابن علي فيـمن كان معـه وسـار في نفر من خواصـه الى البصرة وعليهـا أخوه سليمان بن علي عم المنصور فظفر أبو مسلم بما كان في عسكر عبدالله فبعث اليـه المنصور يقطين بن موسى لقبض الخزائن فلما دخل يقطين على أبي مسلم قال السـلام عليك أيها الامير قال لا سـلم الله عليـك يا ابن اللخناء أوتمن على الدماء ولا أوتمن على الاموال فقال له ما بداهـذا منك ايها الامير قال أرسلك صاحبك لقبض ما في يدي من الخزائن فقال له امرأته طالق ثلاثا ان كان أمير المؤمنين وجهني اليك لغير تهنئتك بالظفر فاعتنقه أبو مسلم وأجلسه الى جانبه فلما انصرف قال لاصحابه والله اني لا عـلم انه قد طلق زوجته ولـكنه وفى لصاحبه وسار أبو مسلم من الجزيرة وقد أجمع على خلاف المنصور واجتاز على طريق خراسان متنـكبا للعراق يريد خراسان وسار المنصور من الانبار يريد المدائن فنزل برومية المدائن التي بناها كسرى وقد قدمنا ذكرها فيما سلف من هذا الـكتاب وكتب الى ابي مسلم اني قد اردت مذاكرتك باشياء لم يحملها الـكتاب فأقبل فان مقامك عنـدنا قليل فقرأ الـكتاب ومضى على حاله فسرح اليـه المنصور جرير بن يزيد بن جرير بن عبدالله البجلي وكان واحد أهل زمانه وداهية عصره وكانت المعرفة بينه وبين أبي مسلم قديمة بخراسان فاتاه فقال أيها الامير ضربت الناس عن عرض لاهل هذا البيت ثم تنصرف على هـذه الحالة ما آمن ان يعيبك من هنالك ومن ههنا وان يقال طلب بثار قوم ثم نقض بيعتهم فيخالفك من يأمن مخالفته اياك وان الامر لم يبلغ عند خليفتك ما تـكرهه ولا ارى أن ينصرف على هذه الحال فاراد أن يجيب الى الرجوع فقال له مالك بن الهيثم لا تفعل فقال لمالك ويلك لقـد بليت بابليس وما بليت بمثل هذا قط يعني الجريري فلم يزل به حتى اقبل به على المنصور وكان أبو مسلم يجد خبره في الـكتب السالفة ونعته وأنه يقتل بالروم وكان يكثر من قول ذلك وانه

يقتل بالرم على حسب ما وجد فى الملاحم وأنه يميت دولة ويحيي أخرى فلما دخل على المنصور وقد تلقاه الناس رحب به وقال له كدت أن تمضى قبل أن أقضى عليك بما تريد قال فقد أتيت ياأمير المؤمنين فأمر بأمرك فامره بالانصراف الى منزله وانتظر فيه الفرص والغوائل فركب أبو مسلم الى المنصور مرارا وقد أظهر له التجنى فسار أبو مسلم الى عيسى بن موسى وكان له فيه رأى جميل فسأله الركوب معه الى المنصور ليعزله بحضرته فامره أن يتقدمه الى المنصور فانه بالاثر فتقدم أبو مسلم الى مضرب المنصور وهو على دجلة برومية المدائن فدخل وجلس تحت الشراع وقيل الرواق فأخبر أن المنصور يتوضأ للصلاة وكان المنصور قد تقدم الى صاحب حرسه عثمان فى عدة فيهم شبيب بن رواح المروزى وأبو حنيفة حرب بن قيس وأمرهم أن يقوموا خلف السرير الذى وراء أبى مسلم وأمرهم أنه اذا عاتبه وظهر صوته لا يظهروا فاذا صفق بيد على يد فليظهروا وليضربوا عنقه وما ادركوا منه بسيوفهم وجلس المنصور فقام أبو مسلم من موضعه ودخل فسلم عليه فرد عليه وأذن له بالجلوس وحادثه ساعة ثم اقبل يعاتبه ويقول فعلت وفعلت فقال أبو مسلم ليس يقال هذا الى بعد بلائى وما كان منى فقال له ياابن الخبيثة وانما فعلت ذلك بجدنا وحظوظنا ولو كان مكانك أمة سوداء لاجزت ألست الكاتب الى تبدأ بنفسك والكاتب الى تخطب آسية بنت على وتزعم انك ابن سليط بن عبد الله ابن العباس لقد ارتقيت لا ام لك مرتقى صعبا فأخذ أبو مسلم بيده يعركها ويقبلها ويعتذر اليه فقال المنصور وهو آخر ما كلمه به قتلنى الله ان لم اقتلك وذكر له قتله لسليمان بن كثير ثم صفق باحدى يديه على الاخرى فخرج اليه القوم فبدره عثمان بن نهيك فضربه ضربة خفيفة بالسيف قطعت نجاد سيف أبى مسلم وضربه شبيب بن رواح فقطع رجله واعتورته السيوف فخلطت اجزاءه وأتى عليه والمنصور يصيح اضربوا قطع الله ايديكم وقد كان أبو مسلم على أول ضربة قال استبقنى ياأمير المؤمنين لعدوك قال لا أبقانى الله أبدا ان أبقيتك وأى عدو أعدى لى منك وكان قتله فى شعبان سنة ست وثلاثين ومائة وفيها كانت بيعة المنصور وهزيمة عبد الله بن على وأدرج أبو مسلم فى بساط ودخل عيسى بن موسى فقال ياأمير المؤمنين أين أبو مسلم فقال قد كان ههنا آنفا فقال ياأمير المؤمنين قد عرفت طاعته ونصيحته ورأى ابراهيم الامام فيه فقال له المنصور ياأنوك خلق الله ما أعلم فى الارض عدوا اعدى لك منه هاهو ذاك فى بساط فقال عيسى انا لله وانا اليه راجعون (ودخل) عليه جعفر بن حنظلة فقال له المنصور

ماتقول فى أمر أبى مسلم فقال ياامير المؤمنين ان كنت أخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل ثم اقتل فقال المنصور وفقك الله ها هو فى البساط فلما نظر اليه قتيلا قال ياأمير المؤمنين عد هذا اليوم أول خلافتك وقد كان السفاح هم بقتله برأى المنصور ثم رجع عن قتله واقبل المنصور على من حضره وأبو مسلم بين يديه طريحا فقال

زعمت أن الدين لا ينقضى * فاستوف بالكيل أبا مجرم

اشرب بكاس كنت تسقى بها * أمر فى الحلق من العلقم

ودعا المنصور بنصر بن مالك وكان على شرطة أبى مسلم فقال استشارك أبو مسلم بالمسير الى فنهيته قال نعم قال ولم قال سمعت أخاك ابراهيم الامام يحدث عن أبيه قال لا يزال المرء يزداد فى عقله اذا محض النصيحة لمن شاوره فكنت له كذلك وأنا الآن لك كذلك واضطرب أصحاب أبى مسلم ففرقت فيهم الاموال وعلموا بقتله فامسكوا رغبة ورهبة وخطب المنصور الناس بعد قتله أبا مسلم فقال أيها الناس لاتخرجوا عن أنس الطاعة الى وحشة المعصية ولا تسروا غش الائمة فان من أسر غش امامه اظهر الله سريرته فى فلتات لسانه وسقطات أفعاله وبداها الله لامامه الذى بادر باعزاز دينه به واعلاء حقه بفلجه انا لم نبخسكم حقوقكم ولم نبخس الدين حقه عليكم انه من نازعنا هذا القميص أوطأناه مافى هذا الغمد وان ابامسلم بايعنا وبايع لنا على انه من نكث بيعتنا فقد أباح دمه لنا ثم نكث بنا هو فحكمنا عليه لانفسنا حكمه على غيره لنا ولم تمنعنا رعاية الحق له من اقامة الحق عليه ولما نمى قتل أبى مسلم الى خراسان وغيرها من الجبال اضطربت الجرمية وهى الطائفة التى تدعى بالمسلمية القائلون بابى مسلم وامامته وقد تنازعوا فى ذلك بعد وفاته فمنهم من رأى انه لم يمت ولن يموت حتى يظهر فيملأها عدلا وفرقة قطعت بموته وقالت بامامة ابنته فاطمة وهؤلاء يدعون الفاطمية واكثر الخرمية فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة الكوركية والنورساعية وهاتان الفرقتان أعظم الخرمية ومنهم كان بابك الخرمى الذى خرج على المامون والمعتصم بالمدائن من أرض الران وأذربيجان وسنأتى على خبره وخبر مقتله فى أخبار المعتصم فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله وأكثر الخرمية ببلاد خراسان والرى واصبهان وأذربيجان وكرخ أبى دلف والبرح الموضع المعروف بالدو والدرسخان ثم ببلاد الصروان والمصيرة وأدلوحان من بلاد ماسبذان وغيرها من تلك الامصار وأكثر هؤلاء فى القرى والضياع وسيكون لهم عند أنفسهم شان وظهور يراعونه وينتظرونه

فى المستقبل من الزمان ويعرفون هؤلاء بخراسان وغيرها بالباطنية وقد اتينا على مذاهبهم وذكر فرقهم فى كتابنا فى المقالات فاجتمعت الخرمية حين علمت بقتل أبى مسلم فسارت فى عسكر عظيم من بلاد خراسان الى الرى فغلب عليها وعلى حرمس وما يليها وقبض على ما كان بالرى من خزائن أبى مسلم فكبر جمع يستفاد بمن حوله من أهل الجبال وطبرستان ولما اتصل خبر مسيره بالمنصور سرح اليه جهور بن مروان العجلى فى عشرة آلاف رجل وتلاه بالعساكر فالتقوا بين همذان والرى على طرف المفازة فاقتتلوا اقتتالا شديدا وصبر الفريقان جميعا فقتل يستفاد وولى أصحابه فقتل منهم ستون ألفا وسبى منهم سبايا وذرارى كثيرة وكان بين خروجه الى مقتله سبعون ليلة وذلك فى سنة ست وثلاثين ومائة بعد قتل أبى مسلم باشهر وفى سنة خمس وأربعين كان ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم بالمدينة وكان قد بويع له فى الامصار وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه وكان مستخفيا من المنصور ولم يظهر حتى قبض المنصور على أبيه عبد الله بن الحسن وعمومته وكثير من أهله وعدتهم ولما ظهر محمد بن عبد الله بالمدينة دعا المنصور أبا مسلم العقيلى وكان شيخا ذا رأى وتجربة فقال له أشر على فى خارجى خرج على قال صف لى الرجل قال رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا علم وزهد وورع قال فمن تبعه قال ولد على وولد جعفر وعقيل وولد عمر بن الخطاب وولد الزبير وسائر قريش وأولاد الانصار قال له صف لى البلد الذى قام به قال بلد ليس به زرع ولا ضرع ولا تجارة واسعة ففكر ساعة ثم قال اشحن يا أمير المؤمنين البصرة بالرجال فقال المنصور فى نفسه قد خرف الرجل أساله عن خارجى خرج بالمدينة يقول لى اشحن البصرة بالرجال فقال له انصرف يا شيخ ثم لم يكن الا يسير حتى ورد الخبر أن ابراهيم قد ظهر بالبصرة فقال المنصور على بالعقيلى فلما دخل عليه ادناه ثم قال له انى كنت قد شاورتك فى خارجى خرج بالمدينة فاشرت على أن أشحن البصرة أوكان عندك من البصرة علم قال لا ولكن ذكرت لى خروج رجل اذا خرج مثله لم يتخلف عنه أحد ثم ذكرت لى البلد الذى هو فيه فاذا هو ضيق لا يحتمل الجيوش فقلت انه رجل سيطلب غير موضعه ففكرت فى مصر فوجدتها مضبوطة والشام والكوفة كذلك وفكرت فى البصرة فخفت عليها منه فاشرت بشحنها فقال له المنصور أحسنت وقد خرج بها أخوه فما الرأى فى صاحب المدينة قال ترميه بمثله اذا قال أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا وانا ابن عم رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال المنصور لعيسى بن موسى اما أن تخرج اليه وأقيم أنا أمدك بالجيوش واما أن تكفيني ما أخلف ورائي وأخرج أنا اليه فقال عيسى بل أقيك بنفسي يا أمير المؤمنين وأكون الذي يخرج اليه فاخرجه اليه من الكوفة في أربعة آلاف فارس وألفي راجل واتبعه محمد بن قحطبة في جيش كثيف فقاتلوا محمدا بالمدينة حتى قتل وهو ابن خمس وأربعين سنة ولما اتصل بابراهيم قتل أخيه محمد بن عبد الله وهو بالبصرة صعد المنبر فنعاه وتمثل

ابا المنازل ياخير الفوارس من * يفجع بمثلك فى الدنيا فقد فجعا
الله يعلم انى لو خشيتهم * وأوجس القلب من خوف لهم فزعا
لم يقتلوه ولم أسلم أخى لهم * حتى نموت جميعا أو نعيش معا

وقد كان تفرق اخوة محمد وولده فى البلاد ان يدعون الى امامته فكان فيمن توجه ابنه على بن محمد الى مصر فقتل بها وسار عبد الله الى خراسان فهرب لما طلب الى السند فقتل هناك وسار ابنه الحسن الى اليمن فحبس فمات فى الحبس وسار أخوه موسى الى الجزيرة ومضى أخوه يحيى الى الرى وطبرستان فكان من خبر الرشيد ماسنورده فيما يرد من هذا الكتاب ومضى أخوه ادريس بن عبد الله الى المغرب فاجابه خلق من الناس وبعث المنصور من اغتاله فيما احتوى عليه من مدن المغرب وقام ولده ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن مقامه فعرف البلد بهم فقيل بلد ادريس بن ادريس وقد أتينا على خبرهم عند ذكرنا الخبر عبد الله صاحب المغرب وبنائه المدينة المعروفة بالمهدية وخبر أبى القاسم وانتقالهم من مدينة سلمية من أرض حمص الى المغرب فى الكتاب الاوسط ومضى ابراهيم أخوه الى البصرة وظهر بها فاجابه اهل فارس والاهواز وغيرهما من الامصار فى عساكر كثيرة من الزيدية وجماعة ممن يذهب الى قول البغداديين من المعتزلة وغيرهم ومعه عيسى ابن زيد بن الحسن بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فسير اليه المنصور عيسى بن موسى وسعيد بن مسلم فى العساكر فحارب حتى قتل فى الموضع المعروف بباخمرى وذلك على ستة عشر فرسخا من الكوفة من أرض الطف وهو الموضع الذى ذكرته الشعراء ممن رثى ابراهيم فممن ذكر ذلك دعبل بن على فى قصيدة أولها مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات

ومنها قوله فيهم

قبور بكوفان واخرى بطيبة وأخرى بفخ مالها صلوات

وأخرى بارض الجوزجان محلها وقبر بباخمرى لدى القربات

وقتل معه من الزيدية من شيعته أربعمائة رجل وقيل خمسمائة وروى بعض الاخباريين عن حماد التركى قال كان المنصور نازلا فى دير على شاطىء دجلة فى الموضع الذى يسمى اليوم الجلد بمر مدينة السلام اذا أتى الربيع فى وقت الهاجرة والمنصور فى البيت الذى هو فيه وحماد قاعد على الباب فقال ياحماد افتح الباب فقلت الساعة هجع أمير المؤمنين فقال افتح ثكلتك أمك قال فسمع المنصور كلامه فنهض يفتح الباب بيده وتناول منه الخريطة فقرأ ما فيها من الكتب وتلا هذه الآية وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويسعون فى الارض فسادا والله لا يحب المفسدين ثم أمر باحضار الناس والقواد والموالى وأهل بيته وأصحابه وأمر حمادا التركى باسراج الخيل وأمر ابن مجالد بالتقدم ثم خرج فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال

مالى أكفكف عن سعد ويشتمنى وان شتمت بنى سعد لقد سكنوا

جهلا علينا وجبنا عن عدوهم لبئست الخصلتان الجهل والجبن

أما والله لقد عجزوا عن أمر قناله فاشكروا ولا حمدوا الكافى ولقد مهدوا فاستوعروا وغبطوا فغمطوا فماذا تحاول منى اسقى رتعا على كدر كلا والله لان أموت معززا أحب الى من أن أحيا مستذلا ولئن لم يرض العفو منى ليطلبن مالا يوجد عندى والسعيد من وعظ بغيره ثم نزل فقال ياغلام قدم فركب من فوره الى معسكره وقال اللهم لا تكلنا الى خلقك فنضيع ولا الى أنفسنا فنعجز وذكر أن المنصور هيئت له عجة من مخ وسكر فاستطابها فقال أراد ابراهيم يحرمنى هذا وأشباهه (وذكر) أن المنصور قال يوما لجلسائه بعد قتل محمد وابراهيم تالله ما رأيت رجلا أنصح من الحجاج لبنى مروان فقام المسيب بن زهرة الضبى فقال ياأمير المؤمنين ما سبقنا الحجاج بأمر تخلفنا عنه والله ما خلق الله على جديد الارض خلقا أعز علينا من نبينا صلى الله عليه وسلم وقد أمرتنا بقتل أولاده فأطعناك وفعلنا ذلك فهل نصحناك أم لا قال له المنصور اجلس لا جلست وقد ذكرنا أنه كان قبض على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على رضى الله عنه وكثير من أهل بيته

وذلك فى سنة أربع وأربعين ومائة فى منصرفه من الحج فحملوا من المدينة الى الربذة من جادة العراق وكان ممن حمل مع عبدالله بن الحسن ابراهيم بن الحسن بن الحسن وأبو بكر بن الحسن بن الحسن وعلى الخبر وأخوه العباس وعبدالله بن الحسن بن الحسن والحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن ومعهم محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان أخو عبدالله بن الحسن بن الحسن لامه فاطمة ابنة الحسين بن على وجدتهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجرد المنصور بالربذة محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان فضربه ألف سوط وسأله عن ابنى أخيه محمد وابراهيم فانكر أن يعرف مكانهما فسألت جدته العثمانى فى ذلك الوقت وارتحل المنصور عن الربذة وهو فى قبة وأوهن القوم بالجهد فحملوا على المحامل المكشفة فمر بهم المنصور فى قبته على الحمارة فصاح به عبد الله بن الحسن يا أبا جعفر ماهكذا فعلنا بكم يوم بدر فصيرهم الى الكوفة وحبسوا فى سرداب تحت الارض لا يفرقون بين ضياء النهار وسواد الليل وخلى منهم سليمان وعبد الله ابنا داود بن الحسن بن الحسن وموسى بن عبد الله بن الحسن والحسن بن جعفر وحبس الآخرين ممن ذكرنا حتى ماتوا وذلك على شاطئ الفرات بالقرب من قنطرة الكوفة ومواضعهم بالكوفة تزار فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان قد هدم عليهم الموضع وكانوا يتوضؤن فى مواضعهم فاشتدت عليهم الرائحة فاحتال بعض مواليهم حتى أدخل اليهم شيأ من الغالية فكانوا يدفعون بشمها تلك الروائح المنتنة وكان الورم فى أقدامهم فلا يزال يرتفع حتى يبلغ الفؤاد فيموت صاحبه وذكر انهم لما حبسوا فى هذا الموضع اشكل عليهم أوقات الصلاة فجزؤا القرآن خمسة أجزاء فكانوا يصلون الصلاة على فراغ كل واحد منهم من حزبه وكان عدد من بقى منهم خمسة فمات اسمعيل بن الحسن فترك عندهم فجيف فصعق داود بن الحسن فمات وأتى برأس ابراهيم بن عبد الله فوجه به المنصور مع الربيع اليهم فوضع الرأس بين أيديهم وعبدالله يصلى فقال له ادريس أخوه اسرع فى صلاتك يا أبا محمد فالتفت اليه وأخذ الرأس فوضعه فى حجره وقال له أهلا وسهلا يا ابا القاسم والله لقد كنت من الذين قال الله عز وجل فيهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر الله به أن يوصل الى آخر الآية فقال له الربيع كيف ابو القاسم فى نفسه قال كما قال الشاعر

فتى كان يحميه من الذل سيفه * ويكفيه أن يأتى الذنوب اجتنابها

ثم التفت الى الربيع فقال قل لصاحبك قد مضى من يومنا أيام والملتقى القيامة قال الربيع فارأيت المنصور قط أشد انكسارا منه فى الوقت الذى بلغته فيه الرسالة فاخذ هذا المعنى العباس بن الاحنف فقال

فان تلحظى حالى وحالك مرة * بنظرة عين عن هوى النفس تحجب

ترى كل يوم بين يومين عيشتى * تمر بيـوم من نعيـمك تحسب

(قال المسعودى) ولما أخذ المنصور عبد الله بن الحسن وأهل بيته صعد المنبر بالهاشمية فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أهل خراسان أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا خيرا منا ان ولد ابن أبى طالب تركناهم والذى لا اله الا هو والخلافة فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير فقام فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه فما أفلح وحكم الحكمين فاختلفت عليه الامة وافترقت الكلمة ثم وثب عليه شيعته وأنصاره وثقاته فقتلوه ثم قام بعده الحسن بن على رضى الله عنه فوالله ما كان برجل عرضت عليه الاموال فقبلها ودس اليه معاوية انى أجعلك ولى عهدى فخلعه وانسلخ له مما كان فيه وسلمه اليه وأقبل على النساء يتزوج اليوم واحدة ويطلق غدا أخرى فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه ثم قام من بعده الحسين بن على رضى الله عنه فخدعه أهل العراق وأهل الكوفة اهل الشقاق والنفاق والاغراق فى الفتن الى هذه المدرة السوء وأشار الى الكوفة فوالله ماهى بحرب فاحاربها ولا هى بسلم فاسالمها فرق الله بينى وبينها فخذلوه وابرؤا أنفسهم منه فاسلموه حتى قتل ثم قام بعده زيد بن على فخدعه أهل الكوفة وغروه فلما اظهروه واخرجوه اسلموه وقد كان ابى محمد بن على ناشده الله فى الخروج وقال له لا تقبل اقاويل اهل الكوفة فانا نجد فى علمنا ان بعض اهل بيتنا يصاب بالكناسة واخشى ان تكون ذلك المصلوب وناشده الله بذلك عمى داود وحذره رحمه الله عن زاهد الكوفة فلم يقبل وتم على خروجه فقتل وصلب بالكناسة ثم وثب بنو امية علينا فاماتوا شرفنا واذهبوا اعزنا والله ما كان لهم عندنا ترة يطلبونها وما كان ذلك كله الا فيهم وبسبب خروجهم فنفونا عن البلاد فصرنا مرة بالطائف ومرة بالشام ومرة بالسراة حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وانصارا فاحيا الله شرفنا وعزنا بكم واظهر لنا حقنا واصار الينا ميراثنا من نبينا صلى الله عليه وسلم فقر الحق فى قراره واظهر الله

مناره واعز انصاره وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فلما استقرت الامور فينا على قرارها من فضل الله وحكمه العدل وثبوا علينا حسدا منهم وبغيا لهم بما فضلنا الله به عليهم واكرمنا من خلافته ميراثنا من نبيه وجبنا من بنى امية وجراءة علينا انى والله يا اهل خراسان ما اتيت ما اتيت من هذا الامر من جهالة ولقد كنت يبلغنى عنهم بعض السقم ولقد كنت سميت لهم رجالا فقلت قم انت يا فلان نخذ معك من المال كذا وكذا وقم انت يا فلان نخذ معك من المال كذا وكذا وحذوت لهم مثالا يعملون عليه نخرجوا حتى اتوا المدينة فدسوا ذلك المال فوالله ما بقى منهم شيخ ولا شاب ولا صغير ولا كبير الا بايعهم لى فاستحللت به دماءهم وحكمت عند ذلك بنقضهم بيعتى وطلبهم الفتنة والتماسهم الخروج على ثم قرأ فى درج المنبر وحيل بينهم وبين مايشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب (قال المسعودى) وقال المنصور للربيع يوما اذكر حاجتك قال يا أمير المؤمنين حاجتى أن تحب الفضل فقال له ويحك ان المحبة انما تقع باسباب قال يا أمير المؤمنين قد امكنك الله من ايقاع السبب قال وماذاك قال تفضل عليه فانك اذا فعلت ذلك احبك واذا احبك احببته واذا احببته كبر عندك صغير احسانه وصغر عندك كبير اساءته وكانت ذنوبه كذنوب الصبيان وصاحبه اليك الشفيع العريان وقال المنصور يوما للربيع ويحك يا ربيع ما اطيب الدنيا لولا الموت قال له ما طابت الا بالموت قال وكيف ذلك قال لولا الموت لم تقعد ههنا قال صدقت (وذكر) اسحق بن الفضل قال بينا انا على باب المنصور اذ اتى عمرو بن عبيد فنزل عن حماره وجلس نخرج اليه الربيع فقال قم اباعثمان بأبى انت وامى فلما دخل على أبى جعفر أمر أن تفرش له لبود بقربه واجلسه اليه بعد ماسلم ثم قال يا اباعثمان عظنى بموعظة فوعظه بمواعظ فلما أراد النهوض قال امرنا لك بعشرة آلاف قال لا حاجة لى فيها قال ابو جعفر والله لتأخذنها قال لا والله لا آخذها وكان المهدى حاضرا فقال يحلف امير المؤمنين وتحلف فالتفت عمرو الى ابى جعفر فقال من هذا الفتى قال هذا محمد ابنى وهو المهدى وهو ولى عهدى قال اما والله لقد البسته لباسا ماهو من لباس الابرار ولقد سميته باسم ما استحقه عملا ولقد مهدت له امنع ما يكون عنه ثم اقبل عمرو على المهدى فقال نعم يا ابن اخى اذا حلف ابوك احنثه عمك لان اباك اقوى على الكفارات من عمك فقال له المنصور هل لك من حاجة يا اباعثمان قال نعم قال ماهى قال ان لا تبعث الى حتى آتيك قال

اذا الا فلتقى قال هى حاجتى فضى واتبعه المنصور بطرفه ثم قال

كلكم يمشى رويد * كلكم يطلب صيد * غير عمرو بن عبيد

ودخل عمرو بن عبيد على المنصور بعد ما بايع للمهدى فقال له ياابا عثمان هذا ابن امير المؤمنين وولى عهد المسلمين فقال له عمرو ياامير المؤمنين اراك قد وطدت له الامور وهى تصير اليه وانت عنه مسؤل فاستعبر المنصور وقال له عظنى ياعمرو قال ياامير المؤمنين ان الله اعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منها ببعضها وان هذا الذى فى يديك لو بقى فى يد غيرك لم يصل اليك فاحذر ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده وانشد

ياايهذا الذى قد غره الامل * ودون ما يامل التنغيص والاجل
الا ترى انما الدنيا وزينتها * كمنزل الركب حلوا ثمت ارتحلوا
حتوفها رصد وعيشها نكد * وصفوها كدر وملكها دول
تظل تقرع بالروعات ساكنها * فما يسوغ له لين ولا جدل
كانه للمنايا والردى غرض * تظل فيه بنات الدهر تنتضل
والنفس هاربة والموت يرصدها * وكل عثرة رجل عندها زلل
والمرء يسعى لما يبقى لوارثه * والقبر وارث ما يسعى له الرجل

ومات عمرو بن عبيد فى ايام المنصور سنة اربع واربعين ومائة ويكنى اباعثمان وهو عمرو بن عبيد بن رباب مولى بنى تميم وكان جده رباب من سبى كابل من رجال السند وكان شيخ المعتزلة ومفتيها وله خطب ورسائل وفى سنة احدى وأربعين ومائة شخص المنصور الى بيت المقدس فصلى فيه لنذر كان عليه وانصرف وفى سنة ست وأربعين ومائة مات هشام بن عروة وهو ابن خمس وثمانين وكان اذا أسمعه رجل كلاما قال انا أرفع نفسى ثم نازع ابن الحسين بن على فاسرع اليه هشام فقال له على انى أدعك الى ما كنت تدعو اليه وفى سنة خمسين ومائة مات أبو حنيفة النعمان بن ثابت مولى تيم اللات من بكر بن وائل فى أيام المنصور ببغداد توفى وهو ساجد فى صلاته وهو ابن تسعين سنة وفى سنة سبع وخمسين مات الاوزاعى ويكنى اباعمرو وعبد الرحمن بن عمرو من اهل الشام وانما كان منزله فيهم أعنى الاوزاع ولم يكن منهم وذلك بدمشق فى آخر ايام المنصور وله تسعون سنة وفى سنة ست وخمسين ومائة مات سوار بن عبد الله القاضى وفى سنة اربع وخمسين ومائة مات ابو عمرو بن العلاء فى ايام المنصور وطال حبس عبد الله بن على بأمر المنصور واقام فى محبسه تسع سنين فلما اراد المنصور الحج فى سنة

تسع واربعين ومائة حوله من عنده الى عيسى بن موسى وامره بقتله وان لا يعلم بذلك احدا فاستشار عيسى بن موسى بن شبرمة فقال له لا تفعل فأبى ان يقتله واظهر لابى جعفر انه قتله وشاع ذلك فكلم بنو على عيسى بن موسى فى عبد الله بن على فقال قد قتلته فرجعوا الى ابى جعفر فقالوا زعم عيسى انه قد قتله فاظهر ابو جعفر الغضب على عيسى وقال يقتل عمى والله لاقتلنه وكان ابو جعفر احب ان يكون عيسى قتله فيقتله به فيستريح منهما جميعا قال فدعا به فقال لم قتلت عمى قال انت امرتنى بقتله قال لم آمرك بذلك فقال هذا كتابك الى فيه قال لم اكتبه فلما راى الجد من المنصور وتخوف على نفسه قال هو عندى لم اقتله قال ادفعه الى ابى الازهر المهلب بن ابى عيسى فلم يزل عنده محبوسا ثم امره بقتله فدخل عليه ومعه جارية له فبدا بعبد الله فخنقه حتى مات ثم مده على الفراش ثم اخذ الجارية ليخنقها فقالت يا عبد الله قتلة غير هذه فكان ابو الازهر يقول مارحمت احدا اقتلته غيرها فصرفت وجهى عنها وامرت بها فخنقت ووضعتها معه على الفراش وادخلت يدها تحت جنبه ويده تحت جنبها كالمعتنقين ثم امرت بالبيت فهدم عليهما ثم احضرنا القاضى ابن علام وغيره فنظروا الى عبد الله والجارية معتنقين على تلك الحال ثم امر به فدفن فى مقبر ابى سويد بباب الشام من بغداد فى الجانب الغربى (قال المسعودى) وذكر عبد الله بن عياش المنتوف قال قال المنصور يوما ونحن عنده اتعرفون جبارا اول اسمه عين قتل جبارا اول اسمه عين وجبارا اول اسمه عين وجبارا اول اسمه عين قال قلت نعم يا امير المؤمنين عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقال المنصور أفتعرفون خليفة أول اسمه عين قتل جبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه عين وجبارا اول اسمه عين قلت نعم أنت يا أمير المؤمنين قتلت عبد الرحمن بن مسلم وعبد الجبار بن عبد الرحمن وعمك عبد الله بن على سقط عليه البيت قال فاذنبى اذ كان سقط عليه البيت قلت لا ذنب لك فتبسم ثم قال هل تحفظ الابيات التى قالتها زوجة الوليد أخت عمرو بن سعيد وهى حاسرة تنشد

أيا عين جودى بالدموع على عمرو * عشية أوتينا الخلافة بالقهر
غدرتم بعمرو يا بنى خيط باطل * وكلكم يبنى البيوت على غدر
وما كان عمرو عاجزا غير أنه * أتته المنايا بغتة وهو لا يدرى

كان بنى مروان اذ يقتلونه * خشاش من الطير اجتمعن على صقر
لحى الله دنيا تعقب الذل أهلها * وتهتك مابين القرابة من ستر
ألا ياالقومى للوفاء وللغدر * وللمغلقين الباب قسرا على عمرو
فرحنا وراح الشامتون عشية * كأن على اعناقهم فلق الصخر

قال ابن عياش فقال المنصور فما الابيات التى بعث بها عمرو الى عبد الملك بن مروان قال قلت نعم ياامير المؤمنين كتب اليه

يريد ابن مروان امورا اظنها * ستحمله منى على مركب صعب
لينقض عهدا كان مروان شده * وادرك فيه بالقطيعة والكرب
فقدمته قبلى وقد كنت قبله * ولولا انقيادى كان كرب من الكرب
وكان الذى اعطيت مروان هفوة * عنفت بها رأيا وخطبا من الخطب
فان تنفذوا الامر الذى كان بيننا * فقلنا جميعا بالسهولة والرحب
وان يعطها عبد العزيز ظلامة * فأولى بها مناومنه بنو حرب

وكان مولد المنصور فى السنة التى مات فيها الحجاج بن يوسف وهى سنة خمس وتسعين وكان يقول ولدت فى ذى الحجة واعذرت فى ذى الحجة ووليت الخلافة فى ذى الحجة وأحسب الامر يكون فى ذى الحجة فكان كما ذكر (وحدث) الفضل بن الربيع قال كنت مع المنصور فى السفر الذى مات فيه فنزل منزلا من المنازل فبعث الى وهو فى قبة ووجهه الى الحائط فقال لى ألم أنهك أن تدع العامة يدخلوا هذه المنازل فيكتبوا فيها مالا خير فيه قلت وماهو ياأمير المؤمنين قال أماترى على الحائط مكتوبا

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وأمر الله لابد نازل
أبا جعفر هل كاهن أو منجم * يرد قضاء الله أم أنت جاهل

قال فقلت والله ماأرى على الحائط شيأ وانه لنقى ابيض قال الله قلت الله قال انها والله نفسى نعيت الى الرحيل بادر بى الى حرم ربى وامنه هاربا من ذنوبى واسرافى على نفسى فرحلنا وقد ثقل حتى اذا بلغنا بئر ميمون قلت له هذه بئر ميمون وقد دخلت الحرم فتوفى بها وكان من الحزم وصواب الرأى وحسن السياسة على ماتجاوز كل وصف وكان يعطى الجزيل والخطير ما كان عطاؤه حزما ويمنع الحقير اليسير ما كان اعطاؤه تضييعا وكان كما قال زياد لوأن عندى ألف بعير وعندى بعير أجرب لقمت عليه قيام من لا يملك غيره وخلف ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف

دينار وكان مع هذا يضن بماله وينظر فيما لا ينظر فيه العوام ووافق صاحب مطبخه على أن له الرءوس والاكارع والجلود وعليه الحطب والتوابل ومن كرمه أنه وصل عمومته وهم عشرة فى يوم واحد بعشرة آلاف درهم واسماؤهم عبد الله بن على وعبد الصمد بن على واسمعيل بن على وعيسى بن على وداود بن على وصالح بن على وسليمان بن على واسحق بن على ومحمد بن على ويحيى بن على وكان يعمل فى بناء مدينة بغداد التى بناها وعرفت به فى كل يوم خمسون الف رجل وكان له من الولد المهدى وجعفر وامهما أم موسى الحميرية وتوفى جعفر فى حياة أبيه المنصور وسليمان وعيسى ويعقوب وجعفر الاصغر من كردية وصالح الملقب بالمسكين وبنت تسمى عالية (قال المسعودى) وللمنصور أخبار حسان مع الربيع وعبد الله بن عياش وجعفر بن محمد وعمرو بن عبيد وغيرهم ولهم خطب ومواعظ وسير وسياسات فى الملك قد أتينا على أكثرها فى كتابينا أخبار الزمان وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا تدلك على ما سبق فى كتبنا والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر خلافة المهدى محمد بن عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس ويكنى أبا عبد الله وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن سهم بن أبى سرح من ولد ذى رعين من ملوك حمير﴾

أخذ له البيعة بمكة الربيع مولاه يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة واتاه ببيعته منارة مولاه فاقام يومين بعد ذلك ثم خطب الناس وبويع بيعة العامة وكان مولده سنة سبع وعشرين ومائة وخرج من مدينة السلام فى سنة سبع وستين ومائة يريد بلاد قرماسين من بلاد الدينور وقد وصف له طيب ماسبذان وادبوحان فعدل الى الموضع المعروف باودالدان فمات بقرية يقال لها رزين ليلة الخميس لسبع بقين من المحرم سنة سبع وستين ومائة فكانت خلافته عشر سنين وشهرا وخمسة عشر يوما وقبض وله ثلاث وأربعون سنة وصلى عليه هرون الرشيد وكان موسى الهادى غائبا بجرجان وقيل انه مات مسموما فى قطائف اكلها ولبست حسنة وغيرها من حشمه المسوح والسواد جزعا عليه فقال فى ذلك أبو العتاهية

وحسن فى الوشى فاصـ * ـبحن عليهن المسوح
كل نطاح وان عا * ش له يوما نطوح
لست بالباق ولو * عمرت ما عمر نوح
فعلى نفسك نح * ان كنت لابد تنوح

﴿ ونذكر جملا من اخباره ولمعا مما كان فى أيامه ﴾

ذكر الفضل بن الربيع قال دخل شريك على المهدى يوما فقال له لا بد أن تجيبنى الى خصلة من ثلاث قال وما هن يا أمير المؤمنين قال اما ان تلى القضاء أو تحدث ولدى وتعلمهم أو تأكل اكلة ففكر ثم قال الاكلة اخفهن على نفسى فاحتبسه وقدم الى الطباخ أن تصلح له ألوانا من المخ المعقود بالسكر الطبرزذ والعسل فلما فرغ من غذائه قال له القيم على المطبخ يا أمير المؤمنين ليس يفلح الشيخ بعد هذه الاكلة أبدا قال الفضل بن الربيع فحدثهم والله شريك بعد ذلك وعلم أولادهم وولى القضاء لهم ولقد كتب بارزاقه الى الجهبذ فضايقه فى النقص فقال له الجهبذ انك لم تبع برا قال له شريك بلى والله لقد بعت أكبر من البر لقد بعت دينى وقال الفضل بن الربيع خرج المهدى متنزها ومعه عمرو ابن ربيع مولاه وكان شاعرا فانقطع عن العسكر والناس فى الصيد وأصاب المهدى جوع شديد فقال لعمرو ويحك الا انسانا عنده ما نأكل فما زال عمرو يطوف الى ان وجد صاحب مبقلة والى جانبها كرخ له فقعدا اليه فقال له هل عندك شئ يؤكل قال نعم رقاق من خبز شعير وزبيب وهذا البقل والكراث فقال له المهدى ان كان عندك زيت فقد أكملت قال نعم عندى فضلة منه فقدم اليهما ذلك فاكلا اكلا كثيرا وأمعن المهدى حتى لم يبق فيه فضل فقال لعمرو قل شعرا وصف ما نحن فيه فقال عمرو

ان من يطعم الزبيب بالزيـ ـت وخبز الشعير بالكراث
لحقيق بصفعة أو بثنتيـ ـن لسوء الصنيع أو بثلاث

فقال المهدى بئس والله ما قلت ولكن أحسن من ذلك

لحقيق ببدرة أو بثنتيـ ـن لحسن الصنيع أو بثلاث

ووافى العسكر ولحقته الخزائن والخدم والموكب فامر لصاحب المبقلة بثلاث بدر دراهم قال وعار به فرسه مرة أخرى وقد خرج للصيد فدفع الى خباء اعرابى وهو جائع فقال يا اعرابى هل عندك قرى فانى ضيفك قال اراك جسيما عميما فان احتملت قربنا لك ما يحضر فاقال هات ماعندك فاخرج له فضلة نبيذ فى ركوة فشرب الاعرابى واحدا وسقاه فلما شرب قال له المهدى أتدرى من أنا قال لا والله قال أنا من خدم الخاصة قال بارك الله فى موضعك وحياك من كنت ثم شرب الاعرابى قدحا وسقاه فلما شرب قال يا اعرابى أتدرى من أنا قال نعم ذكرت انك من خدم الخاصة قال لست كذلك قال فمن أنت قال أنا أحد قواد المهدى قال رحبت دارك وطاب مزارك ثم شرب الاعرابى قدحا

وسقاه فلما شرب الثالث قال يا أعرابي أتدرى من أنا قال نعم زعمت انك أحد قواد المهدى قال فلست كذلك قال فمن أنت قال أنا امير المؤمنين فاخذ الاعرابي ركوته فوكاها فقال له المهدى اسقنا قال لا والله لا تشرب منها جرعة فما فوقها قال ولم قال سقيتك قدحا فزعمت انك من خدم الخاصة فاحتملناها لك ثم سقيناك آخر فزعمت انك أحد قواد المهدى ثم سقيناك الثالث فزعمت انك أمير المؤمنين ولا والله ما آمن ان اسقيك الرابع فتقول انك رسول الله فضحك المهدى وأحاطت به الخيل فنزل اليه أبناء الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابي فلم يكن له همة الا النجا فقال المهدى لا بأس عليك وامر له بصلة وكسوة وبزة وآلة فقال اشهد انك صادق ولو ادعيت الرابعة والخامسة لخرجت منها فضحك المهدى منه حتى كاد أن يقع عن فرسه حين ذكر الرابعة والخامسة وجعل له رزقا وألحقه بخواصه وكان وزيره أبو عبد الله معاوية بن عبد الله الاشعرى وهو جد محمد بن عبد الوهاب وكان كاتبه قبل الخلافة فقتل المهدى ابنا لابي عبد الله على الزندقة فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه وعاش أبو عبد الله الى سنة سبعين ومائة ثم اختص المهدى يعقوب بن داود السلمى وخرج كتابه على الدواوين أن أمير المؤمنين قد آخاه وكان يصل اليه فى كل وقت دون الناس كلهم ثم اتهمه بشئ من أمر الطالبيين فهم بقتله ثم حبسه الى أيام الرشيد فاطلقه الرشيد وقد قيل فى أمره انه كان يرى الامامة فى الاكبر من ولد العباس وأن غير المهدى من عمومته كان أحق بها منه وكان المهدى محببا الى الخاص والعام لانه افتتح أمره بالنظر فى المظالم والكف عن القتل وأمن الخائف وانصاف المظلوم وبسط يده فى الاعطاء فاذهب جميع ما خلفه المنصور وهو ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار سوى ما جباه فى أيامه فلما تفرغت بيوت الاموال أتى أبو حارثة الهندى خازن بيوت أمواله فرمى بالمفاتيح بين يديه وقال ما معنى مفاتيح لبيوت فرغ ففرق المهدى عشرين خادما فى جباية الاموال فوردت الاموال بعد أيام قلائل فتشاغل أبو حارثة عن الدخول على المهدى ثلاثة أيام فلما دخل عليه قال ما أخرك فقال الشغل بتصحيح الاموال فقال أنت اعرابي أحمق كنت تظن أن الاموال لا تأتينا اذا احتجنا اليها قال أبو حارثة ان الحادثة اذا حدثت لم تنتظرك حتى توجه فى استخراج الاموال وحملها وقيل انه فرق فى عشرة أيام من صلب ماله عشرة آلاف درهم فعند ذلك قام شبة بن عقال على رأسه خطيبا فقال وللمهدى اشباه فمنها القمر الزاهر والربيع الباكر والاسد الخادر والبحر الزاخر فاما القمر الزاهر فاشبه

منه حسنه وبهاه وأما الربيع الباكر فاشبه منه طيبه وهواه وأما الاسد الخادر فاشبه منه غرته ومضاه وأما البحر الزاخر فاشبه منه جوده وسخاه وكانت الخيزران أم الهادى والرشيد فى دارها المعروفة بأساس وعندها أمهات أولاد الخلفاء وغيرهن من بنات بنى هاشم وهى على بساط ارمنى وهى على نمارق أرمنية وزينب بنت سليمان بن على أعلاهن مرتبة فبينما هى كذلك اذ دخل خادم لها فقال بالباب امرأة ذات حسن وجمال فى اطمار رثة تأبى أن تخبر باسمها وشأنها غيركم وتروم الدخول عليكم وقد كان المهدى تقدم الى الخيزران بأن تلزم زينب بنت سليمان بن على وقال لها اقتبسى من آدابها وخذى من أخلاقها فانها عجوز لنا قد أدركت أوائلنا فقالت الخيزران للخادم ائذن لها فدخلت امرأة ذات بهاء وجمال فى اطمار رثة فتكلمت فاوضحت عن بيان على لسان فقالوا لها من أنت قالت أنا مزينة امرأة مروان بن محمد وقد أصارنى الدهر الى ماترين ووالله ما الاطمار الرثة التى على الاعارية وانكم لما غلبتمونا على هذا الامر وصار لكم دوننا لم نامن مخالطة العامة على ما نحن فيه من الضرر على بادرة الينا تزيل موضع الشرف فقصدناكم لنكون فى حجابكم على أية حالة كانت حتى تأتى دعوة من له الدعوة فاغرورقت عينا الخيزران ونظرت اليها زينب بنت سليمان بن على فقالت لا خفف الله عنك يامزينة أتذكرين وقد دخلت اليك بحران وأنت على هذا البساط بعينه فكلمتك فى جثة ابراهيم الامام فانتهرتينى وأمرت باخراجى وقلت ما للنساء والدخول على الرجال فى آرائهم فوالله لقد كان مروان أرعى للحق منك لقد دخلت اليه فحلف أنه ما قتله وهو كاذب وخيرنى بين أن يدفنه أو يدفع الى جثته وعرض على مالا فلم أقبله فقالت مزينة والله ما تظن هذه الحالة أدتنى الى ماترينه الا بالفعال الذى كان منى وكانك استحسنتيه فحرضت الخيزران على فعل مثله انما كان يجب أن تحضيها على فعل الخير وترك المقابلة بالشر لتحرز بذلك نعيمها وتصون بها دينها ثم قالت لزينب يابنت عم كيف رأيت صنيع الله بنا فى العقوق فاحببت التأسى بنا ثم ولت باكية فغمزت الخيزران بعض جواريها فعدلت بها الى بعض المقاصير وأمرت بتغيير حالها والاحسان اليها فلما دخل المهدى عليها وقد انصرفت زينب وكان من شأنه الاجتماع مع خواص حرمه فى كل عشية قصت الخيزران عليه قصتها وما أمرت به من تغيير حالها فدعا بالجارية التى ردتها فقال لها لما رددتيها الى المقصورة ما الذى سمعتيها تقول قالت لحقتها فى الممر الفلانى وهى تبكى فى خروجها مؤتسية وهى تقرأ وضرب الله مثلا قرية كانت

آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ثم قال للخيزران والله والله لولم تفعلى بها ما فعلت ما كلمتك أبدا وبكى بكاء كثيرا وقال اللهم انى أعوذ بك من زوال النعمة وأفكر فعل زينب وقال لولا انها اكبر نسائنا لحلفت أن لا أكلمها ثم بعث اليها بعض الجوارى الى مقصورتها التى أخليت لها وقال للجارية أقرئى عليها السلام وقولى لها يا بنت عم ان اخواتك قد اجتمعن عندى ولولا انى ابن عمك لجئناك فلما سمعت الرسالة علمت مراد المهدى وقد حضرت زينب بنت سليمان فجاءت مزينة تسحب أذيالها فامرها بالجلوس ورحب بها ورفع منزلتها فوق منزلة زينب بنت سليمان بن على ثم تفاوضوا أخبار أسلافهم وأيام الناس والدولة وتنقلها فما تركت لاحد فى المجلس كلاما فقال لها المهدى يا بنت عم والله لولا انى لا أحب أن اجعل لقوم أنت منهم فى امرنا شيئا لتزوجتك ولكن لا شئ أصون لك من حجابى وكونك مع اخواتك فى قصرى لك ما لهن وعليك ما عليهن الى أن يأتيك امر من له الامر فيما حكم به على الخلق ثم اقطعها مثل ما لهن من الاقطاع وأخدمها واجازها فاقامت فى قصره الى أن قضى المهدى وأيام الهادى وصدر من أيام الرشيد وماتت فى خلافته لا يفرق بينها وبين نساء بنى هاشم فلما قبضت جزع الرشيد والخدم جزعا شديدا وحدثنا الرياشى عن الاصمعى قال دخل عبد الله بن عمر بن عتبة على المهدى يعزيه بالمنصور فقال آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله وبارك الله له فيما خلفه فيه ولا مصيبة أعظم من امام والدولا عقبى أجل من خلافة الله على أولياء الله فاقبل يا أمير المؤمنين العطية واحتسب عند الله أفضل الرزية ولما كثر تشبيب أبى العتاهية بعتبة جارية الخيزران شكت الى مولاتها ما يلحقها من الشناعة ودخل المهدى وهى تبكى بين يدى الخيزران فسألها عن خبرها فأخبرته فامر باحضار أبى العتاهية فادخل اليه فلما وقف بين يديه قال أنت القائل فى عتبة

الله بينى وبين مولاتى * ابدت لى الصدو الملامات

ومتى وصلتك حتى تشكو صدها عنك قال يا أمير المؤمنين فانا الذى أقول

يا ناق حثى بنا ولا تهنى * نفسك فيما ترين راحات
حتى تجيئى بنا الى ملك * توجه الله بالمهابات
يقول للريح كلما عصفت * هل لك يا ريح فى مباراتى
عليه تاجان فوق مفرقه * تاج جمال وتاج اخبات

قال فنكس رأسه ونكت بالقضيب ثم رفع رأسه فقال أنت القائل

الا ماالسيدتى مالها ادلت باجمل ادلالها
وجارية من جوارى الملوك قد اسكن الحسن سربالها

ثم سأله عن اشياء فالحم أبو العتاهية فامر المهدى بجلده نحوا من حد و أخرج مجلودا فلقيته عتبة وهو على تلك الحال فقال

بخ بخ ياعتب من مثلكم قد قتل المهدى فيكم قتيلا

فتغرغرت عيناها وفاض دمعها وصادفت المهدى عند الخيزران فقال مالعتبة تبكى قالوا الله رأت ابا العتاهية مجلودا وقال لها كيت وكيت فامر له بخمسين ألف درهم ففرقها ابو العتاهية على من بالباب فكتب صاحب الخبر بذلك فوجه اليه ماحملك على أن اكرمتك بكرامة فقسمتها فقال ما كنت لآكل ثمن من أحببت فوجه اليه بخمسين ألفا اخرى وحلف عليه أن لا يفرقها فاخذها وانصرف قال المبرد اهدى أبو العتاهية الى المهدى فى يوم نوروز برنية صينية فيها ثوب ممسك فيه سطران مكتوبان عليه بالغالية

نفسى بشئ من الدنيا معلقة الله والقائم المهدى يكفيها
انى لايأس منها ثم يطمعنى فيها احتقارك للدنيا ومافيها

فهم ان يدفع اليه عتبة فقالت له ياأمير المؤمنين مع حرمتى وخدمتى تدفعنى الى بائع جرار يكتسب بالشعر فبعث اليه اماعتبة فلاسبيل لك اليها وقد امر نالك بملء البرنية مالا فخرجت عتبة وهو يناظر الكتاب ويقول انما أمر لى بدنانير وهم يقولون بدراهم فقالت امالو كنت عاشقا لعتبة لما اشتغلت بتمييز العين من الورق وكان أبو العتاهية بائع جرار وكان أقدر الناس على وزن الكلام وكان حلو الالفاظ حتى انه يتكلم بالشعر قد جعله شعرا او نثارا واجتمع أبو نواس وجماعة فدعا أحدهم بماء فشرب ثم قال * عذب الماء وطابا * ثم قال لهم اجيزوا فلم يحضر أحدهم مايجانسه فى سهولته وقرب ماخذه حتى جاء أبو العتاهية فقال فيم أنتم فاعلموه وأنشدوه القسم فقال

* حبذا الماء شرابا * ومن مختار شعره فى عتبة

بالله ياحلوة العينين زورينى قبل الممات والا فاستزيرينى
هذان أمران فاختارى أحبهما اليك أولا فداعى الموت يدعونى
ان شئت موتا فانت الدهر مالكة روحى وان شئت أن احيا فاحيينى
ياعتب ما أنت الا بدعة خلقت من غير طين وخلق الناس من طين
انى لاعجب من حب يقربنى ممن يباعدنى عنه ويقصينى

لو كان ينصفني مما كلفت به ... اذا رضيت وكان النصف يرضيني
يا أهل ودي انى قد لطفت بكم ... فى الحب جهدي ولكن لا تبالوني
الحمد لله قد كنا نظنكم ... من أرحم الناس طرا بالمساكين
اما الكثير فلا ارجوه منك ولو ... اطمعتني فى قليل كان يكفيني

ومن مختار شعره فيها قوله

الا يا عتب ياقمر الرصافه ... و ياذات الملاحة والنظافه
رزقت مودتي ورزقت عطفي ... ولم ارزق فديتك منك رافه
وصرت من الهوى دنفا سقيما ... صريعا كالصريع من السلافه
اظل اذا رأيتك مستكينا ... كانك قد بعثت على آفه

وحدث المبرد محمد بن يزيد أن ريطة بنة أبي العباس السفاح وجهت الى عبد الله بن مالك الخزاعي فى شراء رقيق للعتق وأمرت جاريتها عتبة وكانت لها ثم صحبت الخيزران بعدها أن تحضر ذلك فبينا هى جالسة اذ جاء أبو العتاهية فى زى متنسك فقال جعلنى الله فداك شيخ ضعيف كبير لا يقوى على الخدمة فان رأيت اعزك الله بشراى وعتقى فعلت مأجورة فاقبلت على عبد الله فقالت انى لارى هيئة جميلة وضعفا ظاهرا ولسانا فصيحا ورجلا بليغا فاشتره وأعتقه فقال نعم فقال أبو العتاهية اتأذنين لى اصلحك الله فى تقبيل يدك فاذنت له فقبل يدها وانصرف فضحك عبد الله بن مالك وقال اتدرين من هذا قالت لا قال هذا أبو العتاهية وانما احتال عليك حتى قبل يدك فلو لم يكن لابى العتاهية سوى هذه الابيات التى أبان فيها عن صدق الاخاء ومحض الوفاء وهى

ان أخاك الصدق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك ... شتت شمل نفسه كي يجمعك

وهذه الصفة فى عصرنا معدومة ومستحيل وجودها ومتعذر كونها (وروى) ابن عياش أن المنصور كان قد ضم الشرقى بن القطامى الى المهدى حين خلفه بالرى وأمره أن يأخذ بحفظ أيام العرب ومكارم الاخلاق ودراسة الاخبار وقراءة الاشعار فقال له المهدى ذات ليلة ياشرقى أرح قلبي بشئ يلهيه قال نعم اصلح الله الامير ذكروا أنه كان فى ملوك الحيرة ملك يقال كان له نديمان قد نزلا من قلبه منزلة مكينة وكانا لا يفارقانه فى لهوه ومنامه ويقظته وكان لا يقطع امر دونهما ولا يصدر الا عن رأيهما فغبر بذلك دهرا طويلا فبينا هو ذات ليلة فى شربه ولهوه اذ غلب عليه الشراب فازال

عقله فدعا بسيفه و انتضاه و شد عليهما فقتلهما و غلبته عيناه فنام فلما أصبح سال عنهما فاخبر بما كان منه فأكب على الارض عاضا لها تاسفا عليهما و جزعا لفراقهما و امتنع من الطعام و الشراب ثم حلف لا يشرب شرابا يزعج قلبه ماعاش و وارا هما و بنى على قبريهما قبة و سماهما الغريين و سن أن لا يمر بهما أحد من الملك فن دونه الا سجد لهما وكان اذا سن الملك سنة توارثوها و أحيوا ذكرها و لم يميتوها و جعلوها عليهم حكما واجبا و فرضا لازما و أوصى بها الآباء أعقابهم فغبر الناس بذلك دهرا طويلا لا يمر أحد من صغير ولا كبير الا سجد لهما فصار ذلك سنة لازمة كالشريعة والفريضة وحكم فيمن ابى أن يسجد لهما بالقتل بعد أن يحكم له بخصلتين يجاب اليهما كائنا ما كان قال فمر يوما قصار معه كارة ثياب و فيها مدقته فقال الموكلون بالغريين للقصار اسجد فابى أن يفعل فقالوا له انك مقتول ان لم تفعل فابى فرفعوه الى الملك وأخبروه بقصته فقال مامنعك أن تسجد قال سجدت و لكن كذبوا على قال الباطل قلت فاحتكم في خصلتين فانك مجاب اليهما و انى قاتلك قال لا بد من قتلى بقول هؤلاء قال لا بد من ذلك قال فانى احتكم ان اضرب رقبة الملك بمدقتي هذه قال له الملك ياجاهل لو حكمت على ان اجرى على من تخلف وراءك مايغنيهم كان أصلح لهم قال ما أحكم الا بضربة لرقبة الملك فقال الملك لوزرائه ماترون فيما حكم به هذا الجاهل قال نرى ان هذه سنة وأنت أعلم بما في نقض السنن من العار والنار و عظم الاثم و أيضا انك متى نقضت سنة نقضت أخرى ثم يكون ذلك لمن بعدك كما كان لك فتبطل السنن قال فارغبوا الى القصار ان يحكم بما شاء و يعفيني من هذه فاني اجيبه الى ماشاء ولو بلغ حكمه شطر ملكي فرغبوا اليه فقال ما احكم الا بضربة فى عنق الملك قال فلما رأى الملك ذلك وماعزم عليه القصار فقعد له مقعدا عاما و احضر القصار فابدى مدقته وضرب بها عنق الملك فاوهنه وخر مغشيا عليه فاقام لما به سنة و بلغت به العلة الى ان كان يسقى الماء بالقطن فلما افاق و تكلم و اكل و شرب و استقل سال عن القصار فقيل انه محبوس فامر باحضاره فحضر فقال لقد بقيت لك خصلة فاحكم بها فانى قاتلك لا محالة اقامة للسنة قال القصار فاذا كان لا بد من قتلى فانى أحكم ان اضرب الجانب الآخر من رقبة الملك مرة اخرى فلما سمع الملك ذلك خر على وجهه من الجزع و قال ذهبت و الله نفسى اذا ثم قال للقصار ويلك دع عنك مالا ينفعك فانه لم ينفعك منه مامضى و احكم بغيره و أنفذه لك كائنا ما كان قال ماأرى حتى الاضربة أخرى فقال الملك لوزرائه ماترون قالوا نمت

على السنة قال ويلكم ان ضرب الجانب الآخر ماشربت الماء البارد أبدا لانى أعلم ماقدنالنى قالوا فما عندنا حيلة فلما رأى ماقد أشرف عليه قال للقصار أخبرنى ألم أكن قد سمعتك تقول يوم أتى بك الموكلون بالغر يين انك قد سجدت وأنهم كذبوا عليك قال قد كنت قلت ذلك فلم أصدق قال فكنت سجدت قال نعم فوثب من مجلسه وقبل رأسه وقال أشهد انك صادق وأنهم كذبوا عليك وقد وليتك موضعهم وجعلت اليك باسهم وأمرهم فضحك المهدى حتى فحص برجليه وقال أحسنت ووصله قال الهيثم بن عدى كنت فى مجلس المهدى فاتاه الحاجب فقال ابن أبى حفصة بالباب فقال لا تاذن له فانه منافق كذاب فكلمه الحسن بن أبى عطية فيه فادخله فقال له المهدى يافاسق ألست القائل فى معن

جبل تلوذ به نزار كلها　　صعب الذرى متمنع الاركان

قال بل أنا الذى أقول فيك ياأمير المؤمنين

ياابن الذى ورث النبى محمدا　　دون الاقارب من ذوى الارحام

وأنشده الابيات كلها فرضى عنه وأجازه وقال القعقاع بن حكيم كنت عند المهدى وأتى سفيان الثورى فلما دخل عليه سلم تسليم العامة ولم يسلم تسليم الخلافة والربيع قائم على رأسه متكئ على سيفه فاقبل المهدى بوجه طلق وقال له ياسفيان تفر منا ههنا وههنا وتظن انالو اردناك بسوء لم نقدر عليك فقد قدرنا عليك الآن افما تخشى ان نحكم فيك بهوانا قال سفيان ان تحكم فى يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل فقال له الربيع ياأمير المؤمنين ألهذا الجاهل ان يستقبلك بمثل هذا ائذن لى ان اضرب عنقه فقال له اسكت ويلك ما يريد هذا وأمثاله الا ان نقتلهم فنشقى بسعادتهم اكتبوا بعهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه فى حكم فكتب عهده ودفعه اليه فاخذه وخرج ورمى به فى الدجلة وهرب فطلب فى كل بلد فلم يوجد وقال على بن يقطين كنا مع المهدى بماسبذان فقال لى يوما أصبحت جائعا فاتنى بارغفة ولحم بارد ففعلت فاكل ثم دخل النهر ونام وكنا نحن فى الرواق فانتبهنا لبكائه فبادرنا اليه مسرعين فقال اما رأيتم ما رأيت قلنا ما رأينا شيأ قال وقف على رجل لو كان فى ألف رجل ماخفى على صوته فقال

كأنى بهذا القصر قد باد أهله　　وأوحش منه ربعه ومنازله

وصار عميد القوم من بعد بهجة　　وملك الى قبر عليه جنادله

فلم يبق الا ذكره وحديثه * تنادى عليه معولات حلائله

قال على فما أتت على المهدى بعد رؤياه الا عشرة أيام حتى توفى (قال المسعودى) وكانت وفاة زفر بن الهذيل الفقيه صاحب أبى حنيفة النعمان بن ثابت سنة ثمان وخمسين ومائة وفيها كانت بيعة المهدى كما قدمناه ومات سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى بالبصرة وكان من تميم وهو ابن ثلاث وستين سنة ويكنى أبا عبد الله فى أيام المهدى وذلك فى سنة احدى وستين ومائة ومات ابن أبى ذئب وهو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ويكنى أبا الحرث بالكوفة سنة تسع وخمسين ومائة وذلك فى أيام المهدى وفى سنة ستين ومائة مات شعبة بن الحجاج ويكنى أبا بسطام وهو مولى لبنى شقرة من الازد وفيها توفى عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى وفى سنة ست وستين ومائة مات حماد بن مسلمة فى أيام المهدى (قال المسعودى) وللمهدى أخبار حسان ولما كان فى أيامه من الكوائن والحروب وغيرها قد اتينا على مبسوطه فى الكتاب الاوسط وكذلك من مات فى سلطانه من الفقهاء وأصحاب الحديث وغيرهم وبالله التوفيق

﴿ذكر خلافة موسى الهادى﴾

وبويع موسى بن محمد الهادى لسبع بقين من المحرم وهو ابن أربع وعشرين سنة وثلاثة أشهر صبيحة الثلاثاء التى كانت فيها وفاة والده المهدى وذلك فى سنة تسع وستين ومائة وتوفى بعساباذ نحو مدينة السلام سنة سبعين ومائة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول من هذه السنة وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر وكان يكنى أبا جعفر وامه الخيزران بنت عطاء أم ولد حرشية وهى أم الرشيد وأتته البيعة وهو ببلاد طبرستان وجرجان فى حرب كانت هنالك فركب البريد وقد أخذ له أخوه هرون البيعة وفى ذلك يقول بعض الشعراء

لما أتت خير بنى هاشم * خلافة الله بجرجان
شمر للحرب سرابيله * برأى لاغمر ولاوان

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

كان موسى قاسى القلب شرس الاخلاق صعب المرام كثير الادب محبا له وكان شديدا شجاعا جوادا سخيا (حدث) يوسف بن ابراهيم الكاتب وكان صاحب المهدى عن ابراهيم أنه كان واقفا بين يديه وهو على حمار له ببستانه المعروف ببغداد اذ

قيل له قدظفر برجل من الخوارج فأمر بادخاله فلما قرب منه الخارجي أخذ سيفا من بعض الحرس فاقبل يريد موسى فتنحيت وكل من معي عنه وانه لواقف على حماره ما يتخلخل فلما ان قرب منه الخارجي صاح موسى اضربا عنقه وليس وراءه أحد فأوهمه فالتفت الخارجي لينظر وجمع موسى نفسه ثم ظهر عليه فصرعه فاخذ السيف من يده فضرب عنقه قال فكان خوفنا منه أكثر من الخارجي فوالله ما أفكر علينا تنحينا ولا عذلنا على ذلك ولم يركب حمارا بعد ذلك اليوم ولا فارقه سيفه وكان عيسى ابن داب يجالسه وكان من أهل الحجاز وكان أكثر أهل عصره ادبا وعلما ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم وكان الهادي يدعو له متكأ ولم يكن غيره يطمع منه في ذلك وكان يقول له ياعيسى ما استطلت بك يوما ولا ليلة ولا غبت عني الا ظننت اني لا أرى غيرك (وذكر) عيسى بن داب أنه رفع الى الهادي ان رجلا من بلاد المنصورة من بلاد السند من اشرافهم وأهل الرياسة فيهم من آل المهلب بن أبي صفرة ربى غلاما سنديا أو هنديا وان الغلام هوى مولاته فراودها عن نفسها فاجابته فدخل مولاه فوجدها معه فجب ذكر الغلام وخصاه ثم عالجه الى ان برئ فاقام مدة وكان لمولاه ابنان احدهما طفل والآخر يافع فغاب الرجل عن منزله وقد أخذ السندي الصبيين فصعد بهما الى أعالي سور الدار الى أن دخل مولاه فاذا هو بابنيه مع الغلام على السور فقال يافلان عرضت ابني للهلاك فقال دع ذا عنك والله لو لم تجب نفسك بحضرتي لارمين بهما فقال له الله الله في وفي ابني قال دع عنك هذا فوالله ماهي الا نفسي واني لاسمح بها من شربة ماء واهوى ليرمي بهما فاسرع مولاه فأخذ مدية فجب نفسه فلما رأى الغلام انه قد فعل رمى بالصبيين فتقطعا وقال ذاك الذي فعلت لفعلك بي وقتل هذين زيادة فأمر الهادي بقتل الغلام وتعذيبه بافظع ما يمكن من العذاب وأمر باخراج كل سندي في مملكته فرخص السند في أيامه حتى كانوا يتداولون بالثمن اليسير وكان الهادي قد استوزر الربيع وضم اليه ما كان لعمر بن بزيع من الزمام ثم ولى عمر بن بزيع الوزارة وديوان الرسائل وافرد الربيع بالزمام فمات الربيع في هذه السنة وقيل ان الهادي سقاه شربة لاجل جارية كان قد وهبها له المهدي كانت قبل ذلك للربيع وقيل غير ذلك وظهر في أيامه الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو المقتول بفخ وذلك على ستة أميال من مكة يوم التروية وكان على الجيش الذي حاربه جماعة من بني هاشم منهم سليمان بن أبي جعفر ومحمد بن سليمان بن علي

وموسى بن علي والعباس بن محمد بن علي في أربعة آلاف فارس فقتل الحسين وأكثر من كان معه وأقاموا ثلاثة أيام لم يواروا حتى أكلتهم السباع والطير وكان معه سليمان ابن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي فاسر في هذا اليوم وضربت رقبته بمكة صبرا وقتل معه عبدالله بن اسحق بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي واسر الحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي وضرب عنقه صبرا وأخذ لعبدالله بن الحسن ابن علي وللحسين بن علي الامان فحبسا عند جعفر بن يحيي بن خالد بن برمك وقتلا بعد ذلك فسخط الهادي على موسى بن عيسى لقتل الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن وترك المصير به اليه ليحكم فيه بما يرى وقبض أموال موسى واظهر الذين أتوا بالرأس الاستبشار فبكى الهادي وزجرهم وقال أتيتموني مستبشرين كانكم اتيتموني برأس رجل من الترك أو الديلم انه رأس رجل من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ان أقل جزائكم عندي لا أثيبكم شيأ وفي الحسين بن علي صاحب فخ يقول بعض شعراء ذلك العصر من أبيات

فلا بكين على الحسيـ * ـن بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذي * أثووه ليس له كفن
تركوا بفخ عدوة * في غير منزلة الوطن
كانوا كراما قتلوا * لا طائشين ولا جبن
غسلوا المذلة عنهم * غسل الثياب من الدرن
هدى العباد بجدهم * فلهم على الناس المنن

وكان الهادي كثير الطاعة لامه الخيزران مجيبا لها فيما تسال من الحوائج للناس فكانت المواكب لا تخلو من بابها ففي ذلك يقول أبو المعافي

ياخيزران هناك ثم هناك * ان العباد يسوسهم ابناك

فكلمته ذات يوم في أمر فلم يجد الى اجابتها فيه سبيلا فاعتل عليها بعلة فقالت لابد من اجابتي قال لا أفعل قالت فاني قد ضمنت هذه الحاجة لعبدالله بن مالك فغضب الهادي وقال ويل لا بن الفاعلة قد علمت انه صاحبها لا قضيتها لك قالت اذا والله لا أسالك حاجة أبدا قال اذا والله لا أبالي وقامت مغضبة فقال مكانك فاستوعي كلامي والله والا نفيت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغني انه وقف ببابك أحد من قوادي

اومن خاصتى أومن خدمى لاضر بن عنقه ولا قبضن ماله فن شاء فليلزم ذلك ماهذه المواكب التى تغدو الى بابك كل يوم أمالك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك اياك ثم اياك ان تفتحى فاك فى حاجة لمسلم ولا ذمى فانصرفت وما تعقل ماتطا فلم تنطق بحلو ولا مر بعدها (وذكر ابن دأب) قال دعانى الهادى فى وقت من الليل لم تجر العادة انه يدعونى فى مثله فدخلت اليه فاذا هو جالس فى بيت صغير شتوى وقدامه جزء صغير ينظر فيه فقال لى ياعيسى قلت لبيك ياامير المؤمنين قال انى أرقت فى هذه الليلة وتداعت الى الخواطر واشتملت على الهموم وهاج لى ماجرت اليه بنو أمية من بنى حرب وبنى مروان فى سفك دمائنا فقلت ياأمير المؤمنين هذا عبد الله بن على قد قتل منهم على نهر أبى فطرس فلانا وفلانا حتى أتيت على تسمية من قتل منهم وهذا عبد الصمد ابن على قد قتل منهم بالحجاز فى وقت واحد نحو ماقتل عبد الله بن على وهو القائل لسفك دمائهم

ولقد شفى نفسى وابرأ سقمها   أخذى بثارى من بنى مروان
ومن ال حرب ليت شيخى شاهد   سفكى دماء بنى أبى سفيان

قال ابن دأب فسر والله الهادى وظهرت منه أريحية فقال ياعيسى داود بن على هو القائل ماذكرت بالحجاز ولقد اذكرتنيهما حتى كانى ماسمعتهما قلت ياأمير المؤمنين وقد قيل انهما لعبد الله بن على قالهما على نهر أبى فطرس قال قد قيل ذلك قال ابن دأب ثم تغلغل بنا الكلام والحديث الى أخبار مصر وعيوبها وفضائلها وأخبار نيلها فقال لى الهادى فضائلها أكثر قلت ياأمير المؤمنين هذه دعوى المصريين لها بغير برهان أوردوه والبينة على الدعوى وأهل العراق يأبون هذه الدعوى ويذكرون ان عيوبها أكثر من فضائلها قال مثل ماذا قلت ياأمير المؤمنين من عيوبها أنها لا تمطر واذا امطرت كرهوا وابتهلوا الى الله بالدعاء قال الله عز وجل وهو الذى يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته فهذه رحمة مجللة لهذا الخلق وهم لها كارهون وهى لهم ضارة غير موافقة لايزكو عليها زرعهم ولا تخصب عليها أرضهم ومن عيوبها الريح التى يسمونها المريسية وذلك ان أهل مصر يسمون أعالى الصعيد الى بلاد النوبة مريس فاذا هبت الريح المريسية وهى الجنوبية ثلاثة عشر يوما اشترى أهل مصر الاكفان والحنوط وأيقنوا بالوباء القابل والبلاء الشامل ثم من عيوبها اختلاف هوائها لانهم فى يوم واحد يغيرون ملابسهم مرارا كثيرة فيلبسون القميص مرة والمبطنات اخرى والحشو مرة وذلك لاختلاف

جواهر الساعات بها ولتباين مهاب الهواء فيها في سائر فصول السنة من الليل والنهار وهي تمير ولا تمتار فاذا اجدبوا اهلكوا اوامافيلها فكفاك الذي هو عليه من الخلاف لجميع الانهار من الصغار والكبار وليس بالفرات ولا الدجلة ولا نهر بلخ ولا سيحان ولا جيحان شيء من التماسيح وهي في نيل مصر ضارة بلا منفعة ومفسدة غير مصلحة وفي ذلك يقول الشاعر

اظهرت للنيل هجرانا ومقلية اذقيل لي انما التمساح في النيل
فمن راى النيل راى العين من كثب فما ارى النيل الا في النواقيل

قال ويحك ما النواقيل التي ترى النيل فيها قلت القلال والكيزان يسمونها بهذا الاسم قال وما مراد الشاعر فيما وصف قال لانه لا يتمتع بالماء الا في الآنية لخوف مباشرة الماء في النيل من التمساح لانه يختطف الناس وسائر الحيوان قال ان هذا النهر قد منع هذا النوع من الحيوان مصالح الناس منه ولقد كنت متشوقا الى النظر اليها فلقد زهدتني بوصفك لها قال ابن دأب ثم سألني الهادي عن مدينة دنقلة وهي دار مملكة النوبة كم المسافة بينها وبين اسوان قلت قد قيل اربعون يوما على شاطئ النيل عمائر متصلة قال ابن دأب ثم قال الهادي ايها يا ابن دأب دع عنك ذكر المغرب واخباره وهلم بنا الى ذكر فضائل البصرة والكوفة وما زادت به كل واحدة منهما على الاخرى قال قلت ذكر عن عبد الملك بن عمير أنه قال قدم علينا الاحنف بن قيس الكوفة مع مصعب بن الزبير فما رأيت شيخا قبيحا الا ورأيت في وجه الاحنف منه شبها كان صعل الرأس اجنحى العين اعصف الاذن باخق العين ناتئ الوجه مائل الشدق متراكب الاسنان خفيف العارضين احنف الرجل ولكنه كان اذا تكلم جلى عن نفسه فجعل يفاخرنا ذات يوم بالبصرة ونفاخره بالكوفة فقلنا الكوفة اغذى وامرأ وأفسح وأطيب فقال له رجل والله ما اشبه الكوفة الا بشابة صبيحة الوجه كريمة الحسب ولا مال لها فاذا ذكرت حاجتها فكف عنها طالبها وما اشبه البصرة الا بعجوز ذات عوارض موسرة فاذا ذكرت يسارها وذكرت عوارضها فكف عنها طالبها فقال الاحنف اما البصرة فان اسفلها قصب واوسطها خشب واعلاها رطب نحن اكثر ساجا وعاجا وديباجا ونحن اكثر قندا ونقدا والله ما آتى البصرة الا طائعا ولا اخرج منها الا كارها قال فقام اليه شاب من بكر بن وائل فقال

يااباالبحر بم بلغت فى الناس ما بلغت فو الله ماانت باجملهم ولا باشرفهم ولا باشجعهم قال يااين أخى بخلاف ماانت فيه قال وماذاك قال بتركى مالايعنينى كاعناك من أمرى مالاينبغى ان يعنيك (قال المسعودى) ولابن دأب مع الهادى اخبار حسان يطول ذكرها ويتسع علينا شرحها ولايتأتى لنا ايراد ذلك فى هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على انفسنا الاختصار والايجاز بحذف الاسانيد وترك اعادة الالفاظ ولاهل البصرة وأهل الكوفة ومن شرب من دجلة مناظرات كثيرة فى مياههم ومنافعها ومضارها منها ماعاب به اهل الكوفة أهل البصرة فقالوا ماؤكم كدر زهك زفر فقال لهم أهل البصرة من أين يأتى ماؤنا الكدر وماء البحر صاف وماء البطيحة طاف وهما يمتزجان وسط بلادنا قال الكوفيون من طباع الماء العذب الصافى اذا خالط ماء البحر صارا جميعا الى الكدورة وقد يروق الانسان ماء اربعين ليلة فان جعل منه شيا فى قارورة اذبد وتكدر وقد افتخر أهل الكوفة بمائهم الذى هو الفرات على ماء دجلة وهو ماء البصرة فقالوا ماؤنا أعذب المياه وأغذاها وهو أصح للاجسام من ماء دجلة والفرات خير من النيل فاما دجلة فان ماءها يقطع شهوة الرجال ويذهب بصهيل الخيل ولا يذهب بصهيلها الامع ذهاب نشاطها ونقصان قواها وان لم يتدسم النازلون عليها أصابهم قحول فى عظامهم ويبس فى جلودهم وسائر من نزل من العرب على دجلة لايكادون يسقون خيولهم منها ويسقونها من الآبار والركاء لاختلاف مياهها واختلاف أنواعها ليست بماء واحد لمصب الانهار كالزابين وغيرهما وسبيل المشروب غير المأكول لان اختلاف المأكل غير ضار واختلاف الاشربة كالخمر والنبيذ وغيره من الانبذة اذا شربه الانسان كان ضارا واذا كان فضيلة مائنا على دجلة فما ظنك بفضيلته على ماء البصرة وهو يختلط بماء البحر ومن الماء المستنقع فى اصول القصب والهروى وقد قال الله هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج والفرات اعذب المياه عذوبة وانما اشتق الفرات لكل ماء عذب من ماء الكوفة وقد طعن أيضا أهل الكوفة على أهل البصرة فقالوا البصرة أسرع الارض خرابا واخبثها ترابا وابعدها من السماء واسرعها غرقا وقد أجاب أهل البصرة أهل الكوفة عما سالوا عنه وعابوهم به وكذلك من شرب من دجلة وعابوا أهل الكوفة وذكروا عيوبها ومايؤثر عن سكانها من الشح على المأكول والمشروب والغدر وقلة الوفاء وقد أتينا على وصف ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وكذلك أتينا على خواص الارض والمياه وفصول السنة وانقسام الاقاليم

وما لحق بهذه المعانى فيما سلف من كتبنا على الشرح والايضاح وذكرنا فى هذا الكتاب من جميع ذلك لمعا فلنرجع الآن الى أخبار الهادى وندل على هذا السانح وقد كان الهادى اراد ان يخلع اخاه الرشيد من ولاية العهد ويجعلها لابنه جعفر بن موسى وحبس يحيى بن خالد البرمكى واراد قتله فقال له يحيى وكان القيم بامر الرشيد يا أمير المؤمنين أرأيت ان كان ما أسال الله ان يعيذنا منه وان لا يبلغناه وينسا فى أجل أمير المؤمنين ايظن أن الناس يسلمون لجعفر بن أمير المؤمنين الامر ولم يبلغ الحنث ويرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوهم قال ما أظن ذلك قال فتامن ان يسمو اليها جلة أهل بيتك فتخرج من ولد أبيك الى غيرهم فتكون قد حملت الناس على النكث وهونت عليهم أيمانهم ولو تركت بيعة أخيك على حالها وبويع لجعفر بعده كان آكد فاذا بلغ مبلغ الرجال سالت أخاك أن يقدمه على نفسه قال نبهتنى والله على أمر لم أكن انتبهت له ثم عزم بعد ذلك على خلعه رضى أم كره وأمر بالتضييق عليه فى الاكثر من أموره فاشار عليه يحيى ان يستاذنه فى الخروج الى الصيد وان يطيل التشاغل بذلك فان مدة موسى قصيرة على ما أوجبته قضية المولد واستاذنه الرشيد فاذن له فسار الى شاطىء الفرات من بلاد الانبار وهيت وتوسط البر مما يلى السماوة وكتب الهادى اليه يامره بالقدوم فاكثر الرشيد التعلل وبسط الهادى لسانه فى شتمه وسنح للهادى الخروج نحو بلاد الحديثة فمرض هناك وانصرف وقد ثقل فى العلة فلم يجسر أحد من الناس على الدخول عليه الا صغار الخدم ثم اشار اليهم أن يحضروا الخيزران أمه فصارت عند رأسه فقال لها أنا هالك فى هذه الليلة وفيها يلى أخى هرون وأنت تعلمين ما قضى فيه أصل مولدى بالرى وقد كنت أمرتك باشياء ونهيتك عن اخرى مما أوجبته سياسة الملك لا موجبات الشرع من برك ولم أكن بك عاقا بل كنت لك صائنا وبرا واصلا ثم قضى قابضا على يدها واضعا لها على صدره وكان مولده بالرى وكذلك مولد الرشيد فكانت تلك الليلة فيها وفاة الهادى وولاية الرشيد ومولد المامون ويقال ان الهادى أوقف بين يديه رجلا من أولياء الدولة ذا أجرام كثيرة فجعل الهادى يذكره ذنوبه فقال له الرجل يا أمير المؤمنين اعتذارى عما تقرعينى به رد عليك واقرارى بما ذكرت يوجب ذنبا ولكنى أقول

فان كنت ترجو فى العقوبة راحة ... فلا تزهدن عند المعافاة فى الاجر

فاطلقه ووصله (وحدث) عدة من الاخباريين من ذوى المعرفة باخبار الدولة ان موسى

قال لهرون أخيه كانى بك تحدث نفسك بتمام الرؤيا وتؤمل ماأنت عنه بعيد ومن دون ذلك خرط القتاد فقال له هرون ياامير المؤمنين من تكبر وضع ومن تواضع رفع ومن ظلم خذل وان اوصل الامر الى وصلت من قطعت وبررت من حرمت وصيرت أولادك أعلى من أولادى وزوجتهم بناتى وقضيت بذلك حق الامام المهدى فانجلى عن موسى الغضب وبان السرور فى وجهه وقال ذلك الظن بك ياأباجعفر ادن منى فقام هرون فقبل يده ثم ذهب ليعود الى مجلسه فقال موسى والشيخ الجليل والملك النبيل لاجلست الامعى فى صدر المجلس ثم قال ياخزانى احمل اليه الساعة ألف ألف دينار فاذا افتتح الخراج فاحمل اليه نصفه فلما اراد هرون الانصراف قدمت دابته الى البساط قال عمرو الرومى فسالت الرشيد عن الرؤيا فقال قال المهدى رايت فى منامى كانى دفعت الى موسى قضيبا والى هرون قضيبا فاما قضيب موسى فاورق اعلاه قليلا واما قضيب هرون فاورق من اوله الى آخره فقص الرؤيا على الحكيم بن اسحق الصيمرى وكان يعبرها فقال له يملكان جميعا فاما موسى فتقل ايامه واما هرون فيبلغ آخر ماعاش خليفة وتكون أيامه احسن الايام ودهره احسن الدهور قال عمرو الرومى فلما افضت الخلافة الى هرون زوج حمدونة ابنته من جعفر بن موسى وفاطمة من اسمعيل ووفى له ماوعده (وحدث) عبدالله بن الضحاك عن الهيثم بن عدى قال وهب المهدى لموسى الهادى سيف عمرو بن معديكرب الصمصامة فدعا به موسى بعد ماولى الخلافة فوضعه بين يديه ودعا بمكتل وقال لحاجبه ائذن للشعراء فلما دخلوا امرهم ان يقولوا فى السيف فبدهم ابن يامين البصرى فقال

حاز صمصامة الزبيدى عمرو ... من جميع الانام موسى الامين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا ... خير ماأغمدت عليه الجفون
أوقدت فوقه الصواعق نارا ... ثم شابت فيه الذعاف المنون
واذا ماشهرته تبهر الشمـ ... ـس ضياء فلم تكد تستبين
وكان الفرند والجوهر الجا ... رى فى صفحتيه ماء معين
مايبالى اذا الضريبة خانت ... أشمال نيطت به أم يمين

وهى أبيات كثيرة فقال له الهادى لك السيف والمكتل فخذهما ففرق المكتل على الشعراء وقال دخلتم معى وحرمتم من أجلى وفى السيف عوض ثم بعث اليه الهادى فاشترى منه السيف بخمسين ألفا وللهادى أخبار حسان وان كانت أيامه قصرت وقد

أتينا على ذكرها فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وبالله التاييد

﴿ ذكر خلافة هرون الرشيد ﴾

وبويع هرون الرشيد بن المهدى يوم الجمعة صبيحة الليلة التى مات فيها الهادى بمدينة السلام وذلك لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة سبعين ومائة ومات بطوس بقرية يقال لها ساباذ يوم السبت لاربع ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة فكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وستة أشهر وقيل ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وولى الخلافة وهو ابن احدى وعشرين سنة ومات وهو ابن أربع وأربعين سنة وأربعة أشهر

﴿ ذكر جمل من أخباره وسيره ﴾

ولما أفضت الخلافة الى الرشيد دعا بيحيي بن خالد فقال له يا أبت أنت أجلستنى فى هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك وقد قلدتك الامر ودفع خاتمه اليه ففى ذلك يقول الموصلى

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة * فلما ولى هرون أشرق نورها
بيمن أمين الله هرون ذى الندى * فهرون واليها ويحيي وزيرها

وماتت ريطة بنت أبى العباس السفاح لشهور خلت من أيام الرشيد وقيل فى آخر أيام الهادى وماتت الخيزران أم الهادى والرشيد فى سنة ثلاث وسبعين ومائة ومشى الرشيد أمام جنازتها وكانت غلة الخيزران مائة ألف الف وستين ألف ألف درهم وفيها مات محمد بن سليمان وقبض الرشيد أمواله بالبصرة وغيرها فكان مبلغها نيفا وخمسين ألف ألف درهم سوى الضياع والدور والمستغلات وكان محمد بن سليمان يغل كل يوم مائة ألف درهم (وحكى) ان محمد بن سليمان ركب يوما بالبصرة وسوار القاضى يسايره فى جنازة ابنة عم له فاعترضه مجنون كان بالبصرة يعرف برأس النعجة فقال له يا محمد أمن العدل ان تكون نحلتك فى كل يوم مائة ألف درهم وأنا أطلب نصف درهم فلا أقدر عليه ثم التفت الى سوار فقال ان كان هذا عدلا فانا أكفر به فاسرع اليه غلمان محمد فكفهم عنه وامر له بمائة درهم فلما انصرف محمد وسوار معه اعترضه رأس النعجة فقال لقد كرم الله منصبك وشرف أبوتك وحسن وجهك وعظم قدرك وأرجو أن يكون ذلك لخير يريده الله بك ولأن يجمع الله لك الدارين فدنا منه سوار فقال يا خبيث ما كان هذا قولك فى البداءة فقال له سألتك بحق الله وبحق الامير الا ما أخبرتنى فى أى

سورة هذه الآية فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قال فى براءة قال صدقت فبرئ الله ورسوله منك فضحك محمد بن سليمان حتى كاد يسقط عن دابته ولما بنى محمد بن سليمان قصره بالبصرة على بعض الانهار دخل اليه عبد الصمد ابن شبيب بن شبة فقال له محمد كيف ترى بنائى قال بنيت أجل بناء باطيب فناء وأوسع فضاء وأرق هواء على أحسن ماء بين صرارى وحسان وظباء فقال محمد بناء كلامك أحسن من بنائنا وقيل ان صاحب الكلام والبانى للقصر هو عيسى بن جعفر على ماحدث به محمد بن زكريا الغلابى عن الفضل بن عبد الرحمن بن شبيب بن شبة وفى هذا القصر يقول ابن أبى عتبة

زر وادى القصر نعم القصر والوادى * لابد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شبه يقاربه * من منزل حاضر ان شئت أوباد
ترقى قراقيره والعيس واقفة * والضب والنون والملاح والحادى

وفى سنة خمس وسبعين ومائة مات الليث بن سعد المصرى اليمنى ويكنى أبا الحرث وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وكان قد حج سنة ثلاث عشرة ومائة وسمع من نافع وفى سنة خمس وسبعين ومائة مات شريك بن عبد الله بن سنان النخعى القاضى وكان يكنى أبا عبد الله وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وكان مولده ببخارى وليس بشريك بن عبد الله بن أبى نمر الليثى لان ابن انمر مات فى سنة أربعين ومائة وانما ذكرنا ذلك لانهما يتشابهان فى الآباء والامهات وبينهما تسع وثلاثون سنة وكان شريك بن عبد الله النخعى تولى القضاء بالكوفة أيام المهدى ثم عزله موسى الهادى وكان شريك مع فهمه وعلمه ذكيا فطنا وكان جرى بينه وبين مصعب بن عبد الله كلام بحضرة المهدى فقال له مصعب أنت تنتقص أبا بكر وعمر فقال والله ما أنتقص جدك وهو دونهما وذكر معاوية عند شريك بالحلم فقال ليس بحليم من سفه الحق وقاتل على بن أبى طالب وشم من شريك رائحة النبيذ فقال له اصحاب الحديث لو كانت هذه الرائحة منا لاستحيينا فقال لانكم أهل الريبة ومات فى أيام الرشيد أبو عبد الله مالك بن أنس بن ابى عامر الاصبحى وهو ابن تسعين سنة وحمل به ثلاث سنين وذلك فى ربيع الاول وقيل انه صلى عليه ابن أبى ذئب على ماذكر من التنازع فى وفاة ابن أبى ذئب وذكر الواقدى ان مالكا كان ياتى المسجد ويشهد الصلوات والجمع والجنائز ويعود المرضى ويقضى الحقوق ثم ترك ذلك كله ثم قيل له فيه فقال ليس كل انسان يقدر ان يتكلم بعذره وسعى به الى جعفر

ابن سليمان وقيل له انه لا يرى أيمان بيعتكم شيئا فضربه بالسياط ومد لذلك حتى انخلع كتفاه وفى السنة التى مات فيها مالك كانت وفاة حماد بن زيد وهى سنة تسع وسبعين ومائة وفى سنة احدى وستين ومائة مات عبد الله بن المبارك المروزى الفقيه بهيت بعد منصرفه من طرسوس وفى سنة اثنتين وثمانين ومائة مات أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم القاضى وهو ابن تسع وستين سنة وهو رجل من الانصار وولى القضاء سنة ست وستين ومائة فى أيام خروج الهادى الى جرجان وأقام على القضاء الى ان مات خمس عشرة سنة (قال المسعودى) وقد كانت أم جعفر كتبت مسئلة الى أبى يوسف تستفتيه فيها فأفتاها بما وافق مرادها على حسب ما أوجبته الشريعة عنده وأداه اجتهاده اليه فبعثت اليه بحق فضة فيه حقاق فى كل حق لون من الطيب وجام ذهب فيه دراهم وجام فضة فيه دنانير وغلمان وتخوت من ثياب وحمار وبغل فقال له بعض من حضره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها فقال أبو يوسف تاولت الخبر على ظاهره والاستحسان قد منع من امضائه ذاك اذ كان هدايا الناس التمر واللبن لا فى هذا الوقت وهدايا الناس اليوم العين والورق وغيره وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (وذكر الفضل بن الربيع) قال صار الى عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير فقال ان موسى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن على قد أرادنى على البيعة له فجمع الرشيد بينهما فقال الزبيرى لموسى سعيتم علينا وأردتم نقض دولتنا فالتفت اليه موسى فقال، ومن أنتم فغلب الرشيد الضحك حتى رفع رأسه الى السقف حتى لا يظهر منه ثم قال موسى ياأمير المؤمنين هذا الذى ترى المشنع على خروج والله مع أخى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على على جدك المنصور وهو القائل من أبيات

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا ان الخلافة فيكم يابنى حسن

فى شعر طويل وليس سعايته ياأمير المؤمنين حبا لك ولا مراعاة لدولتك ولكن بغضا لنا جميعا أهل البيت ولو وجد من ينتصر به علينا جميعا لكان معه وقد قال باطلا وأنا مستحلفه فان حلف أنى قلت ذلك فدمى لامير المؤمنين حلال فقال الرشيد احلف له ياعبد الله فلما اراده موسى على اليمين تلكأ وامتنع فقال له الفضل لم تمتنع وقد زعمت آنفا انه قال لك ماذكرته قال عبد الله فانى احلف له قال موسى قل تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته الى حولى وقوتى ان لم يكن ماحكيته عنى حقا فحلف له فقال موسى

الله أكبر حدثني أبي عن جدي عن أبيه عن جده علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ماحلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب الاعجل الله له العقوبة قبل ثلاث والله ما كذبت ولا كذبت وها أناياأمير المؤمنين بين يديك وفي قبضتك فتقدم بالتوكيل فان مضت ثلاثة أيام ولم يحدث على عبد الله بن مصعب حادث فدمي لامير المؤمنين حلال فقال الرشيد للفضل خذ بيد موسى فليكن عندك حتى انظر في أمره قال الفضل فوالله ماصليت العصر من ذلك اليوم حتى سمعت الصراخ من دار عبد الله بن مصعب فامرت من يتعرف خبره فعرفت انه اصابه الجذام وانه قد تورم واسود فصرت اليه فوالله ما كدت أعرفه لانه قد صار كالزق العظيم ثم اسود حتى صار كالفحم فصرت الى الرشيد فعرفته خبره فما انقضى كلامي حتى أتى خبر وفاته فبادرت بالخروج وأمرت بتعجيل أمره والفراغ منه وتوليت الصلاة عليه فلما دلوه في حفرته لم يستقر فيها حتى انخسفت به وخرجت منه رائحة مفرطة النتن فرأيت احمال شوك تمر في الطريق فقلت علي بالواح ساج فطرحت على موضع قبره ثم طرح التراب عليها وانصرفت الى الرشيد فعرفته الخبر فاكثر التعجب من ذلك وأمرني بتخلية موسى بن عبد الله رضي الله عنه وان اعطيه ألف دينار وأحضر الرشيد موسى فقال له لم عدلت عن اليمين المتعارفة بين الناس قال لانا روينا عن جدنا علي رضي الله عنه انه قال من حلف بيمين مجد الله فيها استحيا الله من تعجيل عقوبته ومامن أحد حلف بيمين كاذبة فازع الله فيها حوله وقوته الاعجل الله له العقوبة قبل ثلاث وقيل ان صاحب هذا الخبر هو يحيي بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي أخو موسى بن عبد الله رضوان الله عليهم وكان يحيي قد سار الى الديلم مستجيرا فباعه صاحب الديلم من عامل الرشيد بمائة ألف درهم فقتل اهـ وقد روى من وجه آخر على وجه حسب تباين النسخ وطرق الرواية في ذلك في كتب الانساب والتواريخ ان يحيي ألقي في بركة فيها سباع قد جوعت فامسكت عن اكله ولاذت بناحيته وهابت الدنو منه فبني عليه ركن بالجص والحجر وهو حي وقد كان محمد بن جعفر بن يحيي بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي كرم الله وجهه سار الى مصر فطلب فدخل المغرب واتصل ببلاد تاهرت السفلي واجتمع اليه خلق من الناس فظهر فيهم بعدل وحسن استقامة فمات هنالك مسموما وقد أتينا على كيفية خبره وما كان من امره في كتاب حدائق الاذهان في اخبار اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وتفرقهم في البلدان وفي سنة ثمان وثمانين ومائة حج الرشيد وهي آخر حجة حجها فذكر عن

ابى بكر بن عياش وكان من عليـة اهل العلم انه قال وقد اجتاز الرشيد بالكوفة فى حال منصرفه من هذه الحجة لا يعود الى هذه الطريق ولا خليفة من بنى العباس بعده ابدا فقيل له اضرب من الغيب قال نعم قيل بوحى قال نعم قيل اليك قال لا الى محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك خبر عنه عليه السلام المقتول فى هذا الموضع واشار الى الموضع الذى قتـل فيه بالكوفة رضى الله عنه وفى سنة تسع وثمانين ومائة وذلك فى أيام الرشـيد مات على بن حمزة الكسائى صاحب القرا آت ويكنى أبا الحسن وكان قد شخص مـع الرشيد الى الرى فمات بها وكذلك مات محمد بن الحسن الشيبانى القاضى ويكنى أبا عبد الله ودفن بالرى وهو مع الرشـيد وتطير من وفاة محمـد بن الحسن لرؤيا كان رآها فى نومه اه وفى هذه السنة كانت وفاة يحيى بن برمك بن خالد وفى سنة ثمـان وثمانين ومائة كان سخط الرشيد على عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب فحدث غوث بن المدرع عن الرياشى قال سمعت الاصمعى يقول كنت عند الرشـيد وأتى بعبد الملك بن صالح يرفل فى قيوده فلمـا نظر اليه قال هيه يا عبد الله كانى انظر اليك وشؤبوبها قد همع وعارضها قد لمع وكانى بالوليد قد أقلع عن براجم بلا معاصم ورءوس بلا غلاصم مهلا مهلا بنى هاشم والله والله سهل لـكم الوعر وصفا لـكم الـكـدر وألقت اليكم الامور أزمتها فخذوا احذركم منى قبل حلول داهية خبوط باليد والرجل فقال له عبد الملك أفذا اتـكلم او توأما فقال بل توأما قال فاتق الله يا امير المؤمنـين فيما ولاك وراقبه فى رعاياك التى استرعاك قد سهلت لك والله الوعور وجمعت على خوفك ورجائك الصدور وكنت كما قال اخو كعب بن كلاب

ومقـام ضيق فرجتـه ... بلسـان او بيان او جـدل
لو يقوم الفيل او فياله ... زل عن مثل مقامى اورحل

قال فاراد يحيى بن خالد البرمـكى ان يضع من مقـام عبـد الملك عند الرشيد فقـال له يا عبد الملك بلغنى انك حقود فقال اصلح الله الوزير ان يكن الحقد هو بقاء الخير والشر عندى انهما لباقيان فى قلبى فالتفت الرشيد الى الاصمعى فقال يا اصمعى حررها فو الله ما احتج احد للحقد بمثل ما احتج به عبـد الملك ثم امر به فرد الى محبسه ثم التفت الى الاصمعى فقال والله يا اصمعى لقد نظرت الى موضع السيف من عنقه مرارا يمنعنى من ذلك ابقائى على قومى فى مثله (حدث) يوسف بن ابراهيم بن المهدى قال حدثنى سليمان الخادم الخراسانى مولى الرشيد انه كان واقفا على راس الرشيد بالحيرة وهو يتغدى اذ دخل عليه عون العبادى وكان صاحب الحيرة وفى يده صحفة فيها سمكة منعوتة السمن

فوضعها بين يديه ومعه محبس قد اتخذها لخاول الرشيد اكل شيء منها فمنعه جبريل ابن بختيشوع واشار جبريل الى صاحب المائدة ان يشيلها عن المائدة ويعزلها له ففطن له الرشيد فلما رفعت المائدة وغسل الرشيد يده وخرج جبريل امرني الرشيد باتباعه وان اكبسه في منزله وهو يأكل فارجع اليه بخبره ففعلت ما امرني واحسب ان امرى لم يخف على جبريل فيما تبينت من تحرزه وانه صار الى موضع من دار عون ودعا بالطعام فاحضر له وفيه السمكة فدعا باقداح ثلاث فجعل في واحد منها قطعة من السمك وصب عليها من خمر طبريان (وهي قرية بين الكوفة والقادسية ذات كروم واشجار ونخل ورياض تخرقها الانهار من كل البقاع من الفرات شرابها موصوف بالجودة كوصف القطربلي) فصبه على السمكة وقال هذا أكل جبريل وجعل في قدح آخر قطعة منها وصب عليها ماء بثلج شديد البرودة وقال هذا أكل أمير المؤمنين أعزه الله ان لم يخلط السمك بغيره وجعل في القدح الثالث قطعا من اللحم من ألوان مختلفة من شواء ومن حلوى ومن بوارد وبقول ومن سائر ما قدم اليه من الالوان من كل واحد منها جزأ يسيرا مثل اللقمة واللقمتين وصب عليها ماء بثلج وقال هذا أكل أمير المؤمنين ان خلط السمك بغيره ودفع الثلاثة الاقداح الى صاحب المائدة وقال احتفظ بها الى ان ينتبه أمير المؤمنين أعزه الله ثم أقبل جبريل على السمكة فأكل منها حتى تضلع وكان كلما عطش دعا بقدح من الخمر الصرف فشربه ثم قام فلما انتبه الرشيد من نومه سألني عما عندي من خبر جبريل وهل أكل من السمكة شيأ ام لم يأكل فاخبرته بالخبر فامر باحضار الاقداح الثلاثة فوجد ما في القدح الاول وهو الذي ذكر جبريل انه اكله وصب عليه الخمر الصرف قد تفتت وانماع واختلط ووجد ما في القدح الثاني الذي قال جبريل انه أكل أمير المؤمنين وصب عليه الماء بالثلج قد ربا وصار على النصف مما كان ونظر الى القدح الثالث الذي قال جبريل وهذا اكل امير المؤمنين ان خلط السمك بغيره قد تغيرت رائحته وحدثت له سهوكة كاد الرشيد ان يتقايأ حين قرب منه فامر بحمل خمسة آلاف دينار الى جبريل وقال من يلومني على محبة هذا الرجل الذي يدبرني بهذا التدبير فاوصلت اليه المال (وذكر) عبد الله بن مالك الخزاعي وكان على دار الرشيد وشرطته قال اتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه قط فانتزعني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي فراعني ذلك فلما صرت الى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد خبري فاذن لي في الدخول فدخلت فوجدته قاعدا على

فراشه فسلمت فسكت ساعة فطار عقلي وتضاعف الجزع ثم قال لي ياعبد الله أتدرى لم طلبتك فى هذا الوقت قلت لا والله ياامير المؤمنين قال انى رايت الساعة فى منامى كان حبشيا قد أتانى ومعه حربة فقال ان لم تخل عن موسى بن جعفر الساعة والا نحرتك بهذه الحربة فاذهب نخل عنه فقلت ياأمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر ثلاثا قال نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر واعطه ثلاثين الف درهم وقل له ان احببت المقام قبلنا فلك عندى ماتحب وان أحببت المضى الى المدينة فالاذن فى ذلك اليك قال فمضيت الى الحبس لاخرجه فلما رآنى موسى وثب الى قائما وظن انى قد أمرت فيه بمكروه فقلت لاتخف قد أمرنى أمير المؤمنين باطلاقك وان أدفع اليك ثلاثين ألف درهم وهو يقول لك ان احببت المقام قبلنا فلك ماتحب وان احببت الانصراف فالامر فى ذلك مطلق اليك واعطيته الثلاثين ألف درهم وخليت سبيله وقلت له لقد رأيت من امرك عجبا قال فانى اخبرك بينما انا نائم اذ اتانى النبى صلى الله عليه وسلم فقال موسى حبست مظلوما فقل هذه الكلمات فانك لاتبيت هذه الليلة فى الحبس فقلت بابى وامى مااقول فقال قل ياسامع كل صوت وياسابق الفوت ويا كاسى العظام لحما ومنشرها بعد الموت اسألك باسمائك الحسنى وباسمك الاعظم الاكبر المخزون المكنون الذى لم يطلع عليه احد من المخلوقين ياحليما ذا اناة لايقوى على اناته ياذا المعروف الذى لاينقطع ابدا ولايحصى عددا فرج عنى فكان ماترى (وذكر) حماد بن اسحق بن ابراهيم الموصلى قال قال ابراهيم بن المهدى حججت مع الرشيد فبينا نحن فى الطريق وقد انفردت اسير وحدى وانا على دابتى اذ حملتنى عيناى فسلكت بى الدابة غير الطريق فانتبهت وانا على غير الجادة فاشتد بى الحر فعطشت عطشا شديدا فارتفع لى خباء فقصدته فاذا بقبة وبجنبها بئر ماء بقرب مزرعة وذلك بين مكة والمدينة ولم ار بها انسيا فاطلعت فى القبة فاذا انا باسود نائم فاحس بى ففتح عينيه كانهما اجانتى دم فاستوى جالسا واذا هو عظيم الصورة فقلت يااسود اسقنى من هذا الماء فقال يااسود اسقنى من هذا الماء محاكيا لى وقال ان كنت عطشا فانزل واشرب وكان تحتى برذون خبيث نفور فخشيت ان انزل عنه فينفر فضربت راس البرذون وما تفعنى الغناء قط الا فى ذلك اليوم وذلك انى رفعت عقيرتى وانا اغنى

كفنونى ان مت فى درع اروى　　واستقو الى من بئر عروة ماء
فلها مربع بجنب اجاج　　ومصيف بالقصر قصر قباء

فرفع الاسود راسه الى وقال ايما احب اليك ان اسقيك ماء وحده اوماء وسويقا قلت الماء والسويق فاخرج قعباله فصب السويق فى القدح فسقانى واقبل يضرب بيده على راسه وصدره ويقول واحر صدراه وانارات اللهب فى فؤادى يامولاى زدنى وانا ازيدك وشربت السويق ثم قال لى يامولاى ان بينك وبين الطريق اميالا ولست اشك انك تعطش لكن املا قربتى هذه واحملها قدامك فقلت افعل قال فلأ قربته وسار قدامى وهو يحجل فى مشيته غير خارج عن الايقاع فاذا أمسكت لاستريح أقبل على فقال يامولاى عطشت فأغنيه النصب الى ان أوقفنى على الجادة ثم قال لى سر رعاك الله ولا سلبك ما كساك من هذه النعم بكلام عجمى معناه هذا الدعاء فلحقت بالقافلة والرشيد قد فقدنى وقد بث البخت والخيل فى البريطلبونى فسر بى حين رآنى فاتيته فقصصت عليه الامر فقال على بالاسود فما كان الا هنيهة حتى مثل بين يديه فقال له ويلك ما حر صدرك فقال يامولاى ميمونة قال ومن ميمونة قال حبشية قال ومن حبشية قال بنت بلال يامولاى فأمر من يستفهمه فاذا الاسود عبد لبنى جعفر الطيار واذا السوداء التى يهواها القوم من ولد الحسن بن على فأمر الرشيد بابتياعها له فابى مواليها أن يقبلوا لها ثمنا ووهبوها للرشيد فاشترى الاسود وأعتقه وزوجه منها ووهب له من ماله بالمدينة حديقتين وثلثمائة دينار (ودخل ابن السماك) على الرشيد وبين يديه حمامة تلتقط حبا فقال له صفها وأوجز فقال كأنما تنظر من ياقوتتين وتلتقط بدرتين وتطأ على عقيقتين وأنشدونا لبعضهم

هتفت هاتفة أذنها الف بين ذات طوق مثل عطف النون أقنى الطرفين
وتراها ناظرة نحوك من ياقوتتين ترجع الانفاس من ثقبين كاللؤلؤتين
وترى مثل البساتين لها قادمتين ولها الحيان كالصدغين من عرعرتين
ولها ساقان حمراوان مثل الوردتين نسجت فوق جناحيها لها برنوستين
وهى طاوسية اللون ببان المنكبين تحت ظل من ظلال الايك صافى الكتفين
فقدت الفا فناحت من تباريح وبين فهى تبكيه بلا دمع جمود المقلتين
وهى لا تصبغ عيناها كما تصبغ عين

(ودخل) معن بن زائدة على الرشيد وقد كان وجد عليه فمشى فقارب الخطو فقال له هرون كبرت والله يامعن قال فى طاعتك ياامير المؤمنين قال وان فيك على ذلك لبقية قال هى لك يا امير المؤمنين قال وانك لجلد قال على أعدائك ياامير المؤمنين

فرضى عنه وولاه قال وعرض كلامه هذا على عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة قال ويح هذا ما ترك لربه شيأ وقال الرشيد يوما لمعن بن زائدة انى قد أعددتك لامر كبير فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أعد لك منى قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة بطاعتك وسيفا مشحوذا على عدوك فان شئت فقل وقيل ان هذا الجواب من كلام يزيد بن مزيد (وقال الكسائى) دخلت على الرشيد فلما اقضيت حق التسليم والدعاء وثبت للقيام فقال اقعد فلم ازل عنده حتى خف عامة من كان فى مجلسه ولم يبق الا خاصته فقال لى يا على الا تحب أن ترى محمدا وعبد الله قلت ما أشوقنى اليهما يا أمير المؤمنين وأسرنى بمعاينة نعمة الله على أمير المؤمنين فيهما فامر باحضارهما فلم البث ان أقبلا ككوكبى افق يزينهما هدوء ووقار وقد غضا أبصارهما وقاربا خطوهما حتى وقفا على باب المجلس فسلما على ابيهما بالخلافة ودعواله باحسن الدعاء فامرهما بالدنو منه فصير محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرنى أن استقرئهما واسالهما ففعلت فما سالتهما عن شىء الا احسنا الجواب فيه والخروج منه فسر بذلك الرشيد حتى تبينته فيه ثم قال لى يا على كيف ترى مذهبهما وجوابهما فقلت يا امير المؤمنين كما قال الشاعر

أرى قمرى مجد وفرعى خلافة يزينهما عرق كريم ومحتد

يا أمير المؤمنين هما فرع زكا أصله وطاب مغرسه وتمكنت فى الثرى عروقه وعذبت مشاربه أبوهما أغر نافذ الامر واسع العلم عظيم الحلم يحكمان بحكمه ويستضيئان بنوره وينطقان بلسانه ويتقلبان فى سعادته فامتع الله أمير المؤمنين بهما وآنس جميع الامة ببقائه وبقائهما فما رأيت أحدا من أولاد الخلفاء وأغصان هذه الشجرة المباركة أذرب ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على تادية ما حفظا منهما ودعوت لهما دعاء كثيرا وأمن الرشيد على دعائى ثم ضمهما اليه وجمع يده عليهما فلم يبسطها حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج فلما خرجا أقبل على فقال كانك بهما وقد حم القضاء ونزلت مقادير السماء وبلغ الكتاب أجله قد تشتت كلمتهما واختلف أمرهما وظهر تعاديهما ثم لم يبرح ذلك بهما حتى يسفك الدماء وتقتل القتلى وتهتك ستور النساء ويتمنى كثير من الاحياء انهم فى عداد الموتى قلت أيكون ذلك يا أمير المؤمنين لامر رؤى فى أصل مولدهما أو لاثر وقع لامير المؤمنين فى مولدهما فقال لا والله الا باثر واجب حملته العلماء عن الاوصياء عن الانبياء وقال الاحمر النحوى بعث الى الرشيد لتاديب ولده محمد الامين فلما دخلت قال يا أحمر ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة

قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعتك عليه واجبة فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين اقرئه القرآن وعرفه الآثار ورووه الاشعار وعلمه السنن وبصره مواقع الكلام و بدئه وامنعه الضحك الا فى أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم اذا دخلوا اليه ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير أن تخرق بك فتميت ذهنه ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ و يالفه وقومه ما استطعت بالقرب و الملاينة فان أباها فعليك بالشدة والغلظة (ويقال) ان العمانى الشاعر قام بحضرة الرشيد فلم يزل يحرض محمدا ويحضه على تجديد العهد له فلما فرغ من كلامه قال له ابشر يا عمانى بولاية العهد له فقال اى والله يا أمير المؤمنين سرور العشب بالغيث والمرأة النزور بالولد والمريض المدنف بالبرء لانه نسيج وحده وحامى مجده وشبيه جده قال فما تقول فى عبد الله قال مرعى ولا كالسعدان فتبسم الرشيد وقال قاتله الله ما أعرفه بمواضع الرعية أما والله انى لاتعرف فى عبد الله حزم المنصور ونسك المهدى وعزة نفس الهادى والله لو شاء الله ان أنسبه الى الرابعة لنسبته اليها (قال الاصمعى) بينما انا اساير الرشيد ذات ليلة اذ رأيته قد قلق قلقا شديدا فكان يقعد مرة ويضطجع مرة ويبكى ثم أنشأ يقول

قلد أمور عباد الله ذا ثقة ... موحد الرأى لا نكس ولا برم
واترك مقالة أقوام ذوى خطل ... لا يفهمون اذا ما معشر فهموا

فلما سمعت منه ذلك علمت أنه يريد أمرا عظيما ثم قال لمروان الخادم على بيحيى فما لبث أن أتاه فقال يا أبا الفضل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فى غير وصية والاسلام جذع والايمان جديد وكلمة العرب مجتمعة قد آمنها الله تعالى بعد الخوف وعزها بعد الذل فما لبث أن ارتد عامة العرب على أبى بكر وكان من خبره ما قد علمت وان أبا بكر صير الامر الى عمر فسلمت الامة له ورضيت بخلافته ثم صيرها عمر شورى فكان بعده ما قد بلغك من الفتن حتى صارت الى غير أهلها وقد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصييره الى من أرضى سيرته وأحمد طريقته وأثق بحسن سياسته وآمن ضعفه ووهنه وهو عبد الله وبنو هاشم مائلون الى محمد باهوائهم وفيه ما فيه من الانقياد لهواه والتصرف مع طويته والتبذير لما حوته يده ومشاركة النساء والاماء فى رأيه وعبد الله المرضى الطريقة الاصيل الرأى الموثوق به فى الامر العظيم فان ملت الى عبد الله اسخطت بنى هاشم وان افردت محمدا بالامر لم آمن تخليطه على الرعية فاشر على فى هذا الامر برأيك

مشورة يعم فضلها ونفعها فانك بحمد الله مبارك الرأى لطيف النظر فقال ياأمير المؤمنين ان كل زلة مستقالة وكل رأى يتلافى خلا هذا العهد فان الخطأ فيه غير مامون والزلة فيه لاتستدرك وللنظر فيه مجلس غير هذا فعلم الرشيد أنه يريد الخلوة فامرنى بالتنحى فقمت وقعدت ناحية بحيث اسمع كلامهما فما زالا فى مناجاة ومناظرة طويلة حتى مضى الليل وافترقا على ان عقدا الامر لعبد الله بعد محمد (ودخلت) أم جعفر على الرشيد فقالت ماانصفت ابنك محمدا حيث وليته العراق واعريته من العدد والقواد وصيرت ذلك الى عبد الله دونه فقال لها وماأنت وتمييز الاعمال وأخبار الرجال انى وليت ابنك السلم وعبد الله الحرب وصاحب الحرب احوج الى الرجال من المسالم ومع هذا فانا نتخوف ابنك على عبد الله ولا نتخوف عبد الله على ابنك ان بويع وفى سنة ست وثمانين ومائة خرج الرشيد حاجا ومعه ولياعهده الامين والمامون وكتب الشرطين بينهما وعلقهما فى الكعبة (وحكى) عن ابراهيم الحجبى ان الكتاب لما رفع ليعلق بالكعبة وقع فقلت فى نفسى وقع قبل ان يرتفع ان هذا الامر سريع انتقاضه قبل تمامه (وحكى) عن سعيد بن عامر البصرى قال حججت فى هذه السنة وقد استعظم الناس الشرط والايمان فى الكعبة فرأيت رجلا من هذيل يقود بعيره وهو يقول

وبيعة قد نكثت أيمانها * وفتنة قد سعرت نيرانها

فقلت له ويحك ماتقول قال أقول ان السيوف ستسل والفتنة ستقع والتنازع فى الملك سيظهر قلت وكيف ترى ذلك قال أماترى البعير واقفا والرجلان يتنازعان والغرابان قد وقعا على الدم والتطخا به والله لا يكون آخر هذا الامر الامحاربة وشر (ويروى) أن الامين لما حلف للرشيد بما حلف له به وأراد الخروج من الكعبة رده جعفر بن يحيى وقال له فان غدرت باخيك خذلك الله حتى فعل ذلك ثلاثا كلها يحلف له وبهذا السبب اضطغنت أم جعفر على جعفر بن يحيى فكانت أحد من حرض الرشيد على أمره وبعثه على مانزل به (قال المسعودى) وفى سنة سبع وثمانين ومائة بايع الرشيد لابنه القاسم بولاية العهد بعد المامون فاذا افضت الخلافة الى المامون كان امره اليه ان شاء أن يقره أقره وان شاء ان يخلعه خلعه اهـ وفى هذه السنة وهى سنة سبع وثمانين ومائة توفى الفضيل بن عياض ويكنى أبا على وكان مولده بخراسان وقدم الكوفة وسمع من المنصور ابن المعتمر وغيره ثم تعبد وانتقل الى مكة فاقام بها الى ان مات (حدث) سفيان بن عيينة

قال دعانا الرشيد فدخلنا عليه ودخل الفضيل آخرنا مقنعا رأسه بردائه فقال لى ياسفيان أيهم أمير المؤمنين فقلت هـذا وأومات الى الرشيد فقال أنت ياحسن الوجه الذى أمر هذه الامة في يدك وعنقك لقد تقلدت أمرا عظيما فبكى الرشيد ثم أتى كل رجل منا ببدرة فكل قبلها الا الفضيل فقال له الرشيد ياأباعلى ان لم تستحلها فاعطها ذا دين واشبع بها جائعا واكس بها عريانا فاستعفاه منها فلما خرجنا قلت له ياأباعلى اخطات ألا أخذتها وصرفتها فى أبواب البر فاخذ بلحيتى ثم قال ياأبامحمد أنت فقيه البلد وتغلط مثل هـذا الغلط لو طابت لاولئك لطابت لى (وقبض موسى) بن جعفر بن محمـد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب ببغداد مسموما لخمس عشرة سنة خلت من ملك الرشيد سنة ست وثمانين ومائة وهو ابن أربع وخمسـين سنة وقد ذكرنا فى رسالة بيان أسماء الائمة القطعية من الشيعة اسماءهم واسماء أمهاتهم ومواضع قبورهم ومقادير أعمارهم وكم عاش كل واحد منهم مع أبيه ومن أدرك اجداده عليهم السـلام ولكلثوم العتابى فى الرشيد من أبيات

امام له كف يضم بنانهـا عصا الدين ممنوع من البر عودها
وعين محيط بالـبرية طرفهـا سواء عليـه قربها وبعيدها
وأسمع يقظانا يبيت مناجيا له فى الحشا مستودعات يكيدها

(حدث) غوث بن المزرع قال حدثنى خالد عن عمرو بن بحر الجاحظ قال كان كلثوم العتابى يضع من قدر أبى نواس فقال له راوية أبى نواس يوما كيف تضع من قدر أبى نواس وهو الذى يقول

اذا نحن اثنينا عليـك بصالح فانت الذى نثنى وفوق الذى نثنى
وان جرت الالفاظ منا بمدحة لغيرك انسانا فانت الذى نعنى

قال العتابى هذا سرقة قال ممن قال من أبى الهذيل الجمحى حيث يقول

واذا يقال لبعضهم نعم الفتى فابن المغيرة ذلك النعم
عقم النساء فلا يجئن بمثله ان النسـاء بمثـله عقم

قال لقد أحسن فى قوله

فتمشت فى مفاصلهم كتمشى البرء فى السقم

قال سرقة أيضا قال له ممن قال من سوسة الفقعسى حيث يقول

اذا ماسقيم حل عنها وكاءها تصعد فيـه برؤها وتصوبا

وان خالطت منه الحشا خلت أنه على سالف الايام لم يبق موهبا

قال فقد أحسن فى قوله

وماخلقت الا لبذل اكفهم واقدامهم الا لاعواد منبر

قال وقد سرقه أيضا قال ممن قال من مروان بن أبى حفصة حيث يقول

وماخلقت الا لبذل اكفهم وألسنهم الا لتحبير منطق

فيوما يبارون الرياح سماحة ويوما لبذل الخاطب المتشدق

قال فسكت الراوية ولو أتى بشعره كله لقال له سرقه (وحدث) أبو العباس أحمد بن يحيي ثعلب قال كان أبو العتاهية قد اكثر مسئلة الرشيد فى عتبة فوعده بتزويجها وأنه يسالها فى ذلك فان أجابت جهزها وأعطاه مالا عظيما ثم ان الرشيد سنح له شغل استمر به فحجب أبو العتاهية عن الوصول اليه فدفع الى مسرور الكبير ثلاث مراوح فدخل بها على الرشيد وهو يتبسم وكانت مجتمعة فقرأ على واحدة منهن مكتوبا

ولقد تنسمت الرياح لحاجتى فاذا لها من راحتيه شميم

فقال أحسن الخبيث واذا على الثانية

اعلقت نفسى من رجائك ماله عنق يحث اليك بى ورسيم

فقال قد اجاد واذا على الثالثة

ولربما استاسيت ثم أقول لا ان الذى ضمن النجاح كريم

فقال قاتله الله ما أحسن ما قال ثم دعا به وقال ضمنت لك يا أبا العتاهية وفى غد نقضى حاجتك ان شاء الله وبعث الى عتبة ان لى اليك حاجة فانتظرينى الليلة فى منزلك فاكبرت ذلك وأعظمته وصارت اليه تستعفيه فخلف ان لا يذكر لها حاجته الا فى منزلها فلما كان الليل سار اليها ومعه جماعة من خواص خدمه فقال لها لست اذكر حاجتى او تضمنين قضاءها قالت انا امتك وأمرك نافذ فى ماخلا امر أبى العتاهية فانى حلفت لابيك رضى الله عنه بكل يمين يحلف بها بر وفاجر وبالمشى الى بيت الله الحرام حافية كلما انقضت عنى حجة وجبت على أخرى لا اقتصر على الكفارة وكلما افدت شيا تصدقت به الا ما أصلى فيه وبكت بين يديه فرق لها ورحمها وانصرف عنها وغدا عليه أبو العتاهية فقال له الرشيد والله ما قصرت فى أمرك ومسرور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لى بذلك وشرح له الخبر قال ابو العتاهية فلما أخبرنى بذلك مكثت مليا لا أدرى أين أنا قائم أو قاعد وقلت الآن يئست منها اذ ردتك وعلمت انها لا تجيب احدا بعدك فلبس

ابو العتاهية الصوف وقال فى ذلك من أبيات

قطعت منها حبائل الآمال　　وحططت عن ظهر المطى رحالى
ووجدت برد الياس بين جوانحى　　فغنيت عن حل وعن ترحال

(وذكر) أنه لما اتصل بالرشيد قول أبى العتاهية

ألا ان ظبيا للخليفة صادنى　　ومالى عن ظبى الخليفة من عذر

غضب الرشيد وقال أسخر منا فعبث وأمر بحبسه فدفعه الى تنجاب صاحب عقوبته وكان فظاغليظا فقال ابو العتاهية

تنجاب لاتعجل على　　فليس ذا من رائه
ماخلت هذا فى مخا　　يل ضوء برق سمائه

وكان من اشعاره فى الحبس بعد ماطال مكثه

انما أنت رحمة وسلامه　　زادك الله غبطة وكرامه
قيل لى قد رضيت عنى فمن لى　　ان أرى لى على رضاك علامه

فقال الرشيد لله أبوه لو رأيته ماحبسته وانما سمحت نفسى بحبسه لانه كان غائبا عنى وأمر باطلاقه وأبو العتاهية الذى يقول

نراع لذكر الموت ساعة وقته　　ونغتر بالدنيا فنلهو ونلعب
ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها　　وما كنت فيه فهو شىء محبب

وهو الذى يقول أيضا

حتوفها رصد وعيشها رنق　　وكدرها نكد وملكها دول

وقال

المرء فى تأخير مدته　　كالثوب يبلى بعد جدته
عجبا لمنتبه يضيع ما　　يحتاج فيه ليوم رقدته

وقال

لاتأمن الدنيا على غدرها　　كم غدرت قبل بامثالكا
أجمع الناس على ذمها　　وما أرى منهم لها تاركا

وقال

انما أنت مستعير ماسوى　　بردين والمعار يرد

كيف يهوى امرؤ الذاذة أيا　　م عليه الانفاس فيها تعد
حياتك انفاس تعد فكلما　　مضى نفس منها انتقصت به جزءا

وقال

ألا ياموت لم أر منك بدا　　أتيت بما يخيف ولا تحابى
كانك قد هجمت على مشيبى　　كما هجم المشيب على شبابى

وقال

نسيت الموت فيما قد نسيت　　كانى لم أر أحدا يموت
أليس الموت غاية كل حى　　فمالى لا أبادر مايفوت

وقال

وعظتك احداث صمت　　وبكتك ساكتة خفت
وتكلمت عن أعظم　　تبلى وعن صور سبت
وأرتك قبرك فى القبو　　ر وأنت حى لم تمت

وقال

ومشيد دارا ليسكن ظلها　　سكن القبور وداره لم يسكن

(حدث) اسحق بن ابراهيم الموصلى قال بينا أنا ذات ليلة عند الرشيد أغنيه اذ طرب لغنائى وقال لاتبرح ولم أزل أغنيه حتى نام فامسكت ووضعت العود من حجرى وجلست مكانى فاذا شاب حسن القد عليه مقطعات خز وهيئة جميلة فدخل وسلم وجلس فجعلت أعجب من دخوله فى ذلك الوقت الى ذلك الموضع بغير استئذان ثم قلت فى نفسى عسى بعض ولد الرشيد ممن لا نعرفه ولم نره فضرب بيده على العود فاخذه ووضعه فى حجره وجسه فرأيت انه جس أحسن خلق الله ثم أصلحه اصلاحا ماأدرى ماهو ثم ضرب ضربا فما سمعت اذنى صوتا أجود منه ثم اندفع يغنى

الاعللانى قبل ان نتفرقا　　وهات اسقنى صرفا شرابا مروقا
فقد كاد ضوء الصبح ان يفضح الدجى　　وكاد قميص الليل ان يتمزقا

ثم وضع العود من حجره وقال ياعاض بظر أمه اذا غنيت فغن هكذا ثم خرج فقمت على أثره فقلت للحاجب من الفتى الذى خرج الساعة فقال مادخل هنا أحد ولاخرج فقمت متعجبا ورجعت الى مجلسى وانتبه الرشيد فقال ماشانك فحدثته بالقضية فبقى متعجبا وقال لقد صادفت شيطانا ثم قال أعد على الصوت فاعدته فطرب طربا شديدا

وأمر لى بجائزة وانصرفت (وحدث) ابراهيم الموصلى قال جمع الرشيد ذات يوم المغنين فلم يبق أحد من الرؤساء الا حضر وكنت فيهم وحضر معنا مسكين المدنى ويعرف بابى صدقة وكان يوقع بالقضيب مطبوعا حاذقا طيب العشرة مليح البادرة فاقترح الرشيد وقد عمل فيه النبيذ صوتا فامر صاحب الستارة ابن جامع ان يغنيه ففعل فلم يطرب عليه ثم فعل مثل ذلك بجماعة ممن حضر فلم يحرك منه أحد فقال صاحب الستارة لمسكين المدنى يامرك أمير المؤمنين ان كنت تحسن هذا الصوت فغنه قال ابراهيم فاندفع فغناه فامسكنا جميعا متعجبين من جراءة مثله على الغناء بحضرتنا فى صوت قد قصر فافيه عن مراد الخليفة قال ابراهيم فلما فرغ منه سمعت الرشيد يقول يامسكين أعده فاعاده بقوة ونشاط فقال أحسنت وأجملت ورفعت الستارة بيننا وبينه قال مسكين ياأمير المؤمنين ان لهذا الصوت خبرا قال وماهو قال كنت عبدا خياطا لبعض آل الزبير وكان لمولاى على ضريبة ادفع اليه كل يوم درهمين فاذا دفعت ضريبتى تصرفت فى حوائجى فخطت يوما قميصا لبعض الطالبين فدفع الى درهمين وتغديت وسقانى اقداحا فخرجت وأنا جذلان فلقيتنى سوداء على رقبتها جرة وهى تغنى هذا الصوت فاذهلنى عن كل مهم وانسانى كل حاجة فقلت بصاحب هذا القبر والمنبر الا ألقيت على هذا الصوت فقالت وحق صاحب هذا القبر والمنبر لاالقيته عليك الا بدرهمين فاخرجت الدرهمين فدفعتهما اليها فانزلت الجرة عن عاتقها واندفعت فمازالت ترددده حتى كانه مكتوب فى صدرى ثم انصرفت الى مولاى فقال لى هلم خراجك فقلت كان وكان فقال ياابن اللخناء وبطحنى وضربنى وحلق لحيتى ورأسى فبت ياأمير المؤمنين من اسوأ خلق الله حالا وأنسيت الصوت مما نالنى فلما أصبحت غدوت نحو الموضع الذى لقيتها فيه وبقيت متحيرا لاأعرف اسمها ولا منزلها اذ نظرت بها مقبلة فأنسيت كل ما نالنى وملت اليها فقالت أنسيت الصوت ورب الكعبة فقلت الامر كما ذكرت وعرفتها مامر بى من حلق الرأس واللحية فقالت وحق القبر ومن فيه لافعلت الابدرهمين فأخرجت جلمى ورهنته على درهمين فدفعتهما اليها فأنزلت الجرة عن رأسها واندفعت فرت فيه ثم قالت كانى بك مكان الاربعة دراهم أربعة آلاف دينار ثم انصرفت الى مولاى وجلا فقال هلم خراجك فلويت لسانى فقال ياابن اللخناء ألم يكفك مامر عليك بالامس فقلت انى اعرفك انى اشتريت بخراجى امس واليوم هذا الصوت واندفعت اغنيه فقال لى ويحك معك مثل هذا الصوت ولم تعلمنى امرأته طالق

لو كنت قلته امس لاعتقتك فضحك الرشيد وقال ويلك ماادرى أيما أحسن حديثك أم غناؤك وقد أمرت لك بماذكرته السوداء فقبضه وانصرف والشعر

قف بالمنازل ساعة فتأمل　　فلسوف احمل للبلى فى محمل

وأجرى الرشيد الخيل يوما بالرقة فلما ارسلت صار الى مجلسه فى صدر الميدان حيث توافى اليه الخيل فوقف عن فرسه وكان فى أوائلها سوابق من خيله يقدمها فرسان فى عنان واحد لايتقدم أحدهما صاحبه فتأملها فقال فرسى والله ثم تأمل الآخرة فقال فرس ابنى المامون قال فجا آيحنكان أمام الخيل وكان فرسه السابق وفرس المامون ثانية فسر بذلك ثم جاء الخيل بعد ذلك فلما انقضى المجلس وهم بالانصراف قال الاصمعى وكان حاضرا للفضل بن الربيع ياأبا العباس هـذا يوم من الايام فاحب ان توصلنى الى أمير المؤمنين وقام الفضل فقال ياأمير المؤمنين هـذا الاصمعى يذكر شيا من أمر الفرسين يزيدالله به أمير المؤمنين سرورا قال هاته فلمادنا قال ماعندك ياأصمعى قال ياأمير المؤمنين كنت وابنك اليوم والفرسين كماقالت الخنساء

جارى اباه فاقبلا وهما　　يتنازعان كقاذف الحصر
وهما كانهما وقد برزا　　صقران قد حطا على وكر
برزت صفيحة وجه والده　　ومضى على غلوائه يجرى
أولى فاولى ان يقاربه　　لولا جلال السن والكبر

(حدث) ابراهيم بن المهدى قال استزرت الرشيد بالرقة فزارنى وكان يا كل الطعام الحار قبل البارد فلما وضعت البوارد رأى فيما قرب اليه منها جام قريض سمك فاستصغر القطع وقال لم صغر طباخك تقطيع السمك فقلت ياأمير المؤمنين هذه ألسنة السمك قال فيشبه ان يكون فى هذا الجام مائة لسان فقال مراقب خادمه ياأمير المؤمنين فيها أكثر من مائة وخمسين فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك فاخبره انه قام با كثر من ألف درهم فرفع الرشيد يده وحلف ان لايطعم شيأ دون أن يحضره مراقب ألف درهم فلما حضر المال أمر أن يتصدق به وقال أرجو أن يكون كفارة لسرفك فى انفاقك على جام سمك ألف درهم ثم ناول الجام بعض خدمه وقال أول سائل تراه فادفعه اليه قال ابراهيم وكان شراء الجام على الرشيد بمائتين وسبعين دينارا فغمزت بعض خدمى للخروج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير اليه وفطن الرشيد فقال له ياغلام اذا دفعته الى سائل فقل له يقول لك أمير المؤمنين احـذر أن تبيعه بأقل من مائتى دينار فانه خير منهـا ففعل

الخادم ذلك فوالله ماأمكن الخادم ان يخلصه من السائل الا بمائتى دينار * وقال ابراهيم ابن المهدى كنت أنا والرشيد على ظهر حراقة وهو يريد نحو الموصل والمدادون يعدون والشطرنج بين أيدينا فلما فرغنا قال لى الرشيد ياابراهيم ماأحسن الاسماء قلت اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما الثانى بعده قلت اسم هرون اسم أمير المؤمنين قال فما أسمجها قلت ابراهيم فزأرنى وقال ويلك ابراهيم خليل الرحمن جل وعز قلت بشؤم هذا الاسم لقى مالقى من نمرود قال وابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لاجرم لما سمى بهذا الاسم لم يعش قال فابراهيم الامام قلت بحرفة اسمه قتله مروان الجعدى فى جراب النورة وأزيدك ياأمير المؤمنين ابراهيم بن الوليد خلع وابراهيم ابن عبدالله بن الحسن قتل ولم أجد أحدا سمى بهذا الاسم الا رأيته مقتولا أو مضروبا أو مطرودا فما انقضى كلامى حتى سمعت ملاحا على بعض الحراقات يهتف بأعلى صوته ياابراهيم ياعاض كذا وكذا من أمه مدا فالتفت الى الرشيد فضحك حتى فحص برجله قال وكنت يوما عنده فاذا رسول عبدالله معه اطباق خيزران عليها مناديل ومعها كتاب فجعل الرشيد يقرأ الكتاب ويقول بر دالله ووصله ثم قال هذا عبدالله بن صالح ثم كشف المنديل فاذا بعضها فوق بعض فى أحدها فستق وفى الآخر بندق الى غير ذلك من الفاكهة فقلت ياأمير المؤمنين مافى هذا البر مايستحق به هذا الدعاء الا ان يكون فى الكتاب شئ قد خفى على فنبذه الى فاذا فيه دخلت ياأمير المؤمنين بستانا لى فى دارى عمرته بنعمتك وقد أينعت فواكهه فاخذت من كل شئ وصيرته فى اطباق قضبان ووجهته الى أمير المؤمنين ليصل الى من بركة دعائه ماوصل الى من نوافل بره قلت ولا والله مافى هذا أيضا مايستحق به هذا فقال ياصبى أماترى كيف كنى بالقضبان عن الخيزران اعظاما لأمنا رحمها الله تعالى ووقف رجل من بنى أمية فى طريق الرشيد ومعه كتاب فيه

يا أمين الله انى قائل ... قول ذى لب وصدق وحسب
لكم الفضل علينا ولنا ... بكم الفضل على كل العرب
عبد شمس كان يتلو هاشما ... وهما بعد لأم ولاب
فصل الارحام منا انما ... عبد شمس عم عبد المطلب

فامر له لكل بيت بالف دينار وقال لو زدتنا لزدناك ودخل عبد الملك بن صالح على الرشيد فقال له الحاجب ان أمير المؤمنين قد أصيب فى هذه الليلة بولد وولدله ولد

فعزوهن فلما مثل قال ياأمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك وجعل هذه لهذه ثوابا للصابر وجزاء للشاكر ولما اشتدت علته وصار الى طوس سنة ثلاث وتسعين ومائة هون عليه الاطباء علته فارسل الى طبيب فارسى كان هناك فاراه ماءه مع قوارير شتى فلما انتهى الى قارورته قال عرفوا صاحب هذا الماء انه هالك فليوص فانه لا برء له من هذه العلة فبكى الرشيد وجعل يردد هذين البيتين

ان الطبيب بطبه ودوائه　　لا يستطيع دفاع محذور أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذى　　قد كان يبرئ مثله فيما مضى

واشتد ضعفه وأرجف الناس بموته فدعا بحمار ليركبه فلما صار عليه سقطت فخذاه فلم يثبت على السرج فقال أنزلونى صدق المرجفون ثم دعا بأكفان فاختار منها ما أراد وامر بحفر قبر فلما اطلع فيه قال ما اغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ثم دعا باخى رافع فقال أنتم حشمتمونى حتى تجشمت هذه الاسفار مع علتى وضعفى وكان رافع ممن خرج عليه قال لاقتلنك قتلة ماقتل مثلها أحد قبلك ثم أمر ففصل عضوا عضوا واستأمن رافع بعد ذلك على المأمون وقد ذكرنا خبره فى غير هذا الكتاب ثم دعا من كان بعسكره من بنى هاشم فقال ان كل مخلوق ميت وكل جديد بال وقد نزل بى ماترون وأنا أوصيكم بثلاث الحفظ لامانتكم والنصيحة لأئمتكم واجتماع كلمتكم وانظروا محمدا وعبدالله فمن بغى منهما على صاحبه فردوه عن بغيه وقبحوا اله بغيه ونكثه وأقطع فى ذلك اليوم اموالا وضياعا قال الرياشى قال الاصمعى دخلت على الرشيد وهو ينظر فى كتاب ودموعه تنحدر على خديه فظللت قائما حتى سكن وحان منه التفاتة فقال اجلس يا أصمعى أرأيت ما كان قلت نعم ياأمير المؤمنين قال أما والله لو كان لأمر الدنيا ما رأيت هذا ورمى بقرطاس فاذا فيه شعر لابى العتاهية بخط جليل وهو

هل أنت معتبر بمن خليت　　منه غداة مضى دساكره
وبمن اذل الموت مصرعه　　فتبرأت منه عشائره
وبمن خلت منه أسرته　　وبمن خلت منه منابره
أين الملوك وأين غيرهم　　صاروا مصيرا أنت صائره
يامؤثر الدنيا بلذته　　والمستعد لمن يفاخره
نل ما بدا لك ان تنال من الـ　　ـدنيا فان الموت آخره

ثم قال الرشيد كانى والله اخاطب بذلك دون الناس فلم يلبث بعد ذلك الا يسيرا حتى

مات (قال المسعودى) قد ذكرنا جملا من أخبار الرشيد والله ولى التوفيق

(فلنذكر الآن جملا من أخبار البرامكة)

لم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده فى جودة رأيه وباسه وجميع خلاله لا يحيى فى رأيه ولا الفضل فى جوده ولا جعفر بن يحيى فى كتابته وفصاحته ولا محمد بن يحيى فى رأيه وهمته ولا موسى بن يحيى فى شجاعته وفيمن ذكرنا يقول الشاعر

أولاد يحيى بن خالد وهم　　أربعة سيد ومتبوع

الخير فيهم اذا سألت بهم　　مفرق فيهم ومجموع

ولما أفضت الخلافة الى الرشيد استوزر البرامكة فاحتازوا الاموال دونه حتى كان يحتاج الى اليسير من المال فلا يقدر عليه وكان ايقاعه بهم فى سنة سبع وثمانين ومائة واختلف فى سبب ذلك فقيل احتياز الاموال وأنهم أطلقوا رجلا من آل أبى طالب كان فى أيديهم وقيل غير ذلك والله أعلم (ويحكى) أنه ورد على الرشيد يوما كتاب صاحب البريد بخراسان ويحيى بن خالد بين يديه يذكر فيه أن الفضل بن يحيى تشاغل بالصيد واللذات عن النظر فى أمور الرعية فلما قرأه الرشيد رمى به ليحيى وقال له يا أبت اقرأ هذا الكتاب واكتب اليه كتابا يردعه عن مثل هذا فمد يده الى دواة الرشيد وكتب الى الفضل على ظهر كتاب الرشيد حفظك الله يا بنى وأمتع بك قد انتهى الى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر فى أمور الرعية ما أنكره فعاود ما هو أزين بك فانه من عاد الى ما يزينه لم يعرفه أهل دهره الا به والسلام وكتب فى أسفله هذه الابيات

انصب نهارا فى طلاب العلا　　واصبر على فقد لقاء الحبيب

حتى اذا الليل بدا مقبلا　　واستترت فيه وجوه العيوب

فبادر الليل بما تشتهى　　فانما الليل نهار الاريب

كم من فتى تحسبه ناسكا　　يستقبل الليل بأمر عجيب

ألقى عليه الليل استاره　　فبات فى لهو وعيش خصيب

ولذة الاحمق مكشوفة　　يسعى بها كل عدو رقيب

والرشيد ينظر الى ما يكتب فلما فرغ قال أبلغت يا أبت فلما ورد الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد نهارا الى ان انصرف عن عمله قال اسحق كنت عند الرشيد يوما وأحضر البرامكة الشراب وأحضر يحيى بن خالد جارية فغنت

أرقت حتى كأنى اعشق الارقا وذبت حتى كأن السقم لى خلقا
وفاض دمعى على قلبي فاغرقه يامن رأى غرقا فى الماء محترقا

فقال الرشيد لمن هذا فقيل لخالد بن يزيد الكاتب قال خالد فاحضرت وقيل للجارية اعيدى فاعادت فقال لمن هذا فقلت لى ياأمير المؤمنين فبينما نحن كذلك اذ أقبلت وصيفة معها تفاحة عليها مكتوب بغالية

سرورك ألهاك عن موعدى فصيرت تفاحتى تذكره

فأخذ الرشيد تفاحة وكتب عليها بغالية

تقاضيت وعدى ولم انسه فتفاحتى هذه معذره

ثم قال ياخالد قل فى هذا شيأ فقال

تفاحة خرجت بالدرمن فيها اشهى الى من الدنيا ومافيها
بيضاء من حمرة غلت بغالية كأنما قطفت من خدمهديها

(حدث الجاحظ) عن انس بن أبى شيخ قال ركب جعفر بن يحيي ذات يوم وأمر خادماله ان يحمل ألف دينار وقال سأجعل طريقى على الاصمعى فاذا حدثنى فرأيتنى ضحكت فاجعلها بين يديه ونزل جعفر عند الاصمعى فجعل يحدثه بكل اعجوبة ونادرة تطرب وتضحك فلم يضحك وخرج من عنده فقال له انس رأيت منك عجبا أمرت بألف دينار للاصمعى وقد حركك بكل مضحكة وليس من عادتك ان ترد الى بيت مالك ماقد خرج عنه فقال له ويحك انه قد وصل اليه من أموالنا مائة ألف درهم قبل هذه المرة فرأيت فى داره خباء مكسورا وعليه دراعة خلق ومقعدا وسخا وكل شئ عنده رثا وأنا أرى ان لسان النعمة انطق من لسانه وأن ظهور الصنيعة امدح وأهجى من مدحه وهجائه فعلى أى وجه اعطيه اذا كانت الصنيعة لم تظهر عنده ولم تنطق النعمة بالشكر عنه وفى الرشيد وجعفر يقول الشاعر

اضاف الى بيعته بيعة فقام بها جعفر وحده
بنو برمك اسسوا ملكه وشدوا لوارثه عقده

وكان يحيي بن خالد ذا بحث ونظر وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الاسلام وغيرهم من أهل النحل فقال لهم يحيي وقد اجتمعوا عنده قد أكثرتم الكلام فى الكون والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفى والحركة والسكون والمماسة والمباينة والوجود والعدم والجر والطفرة والاجسام والاعراض والتعديل والتحرير

والكمية والكيفية والمصاف والامامة أنص هى أم اختيار وسائر مانورده من الكلام فى الاصول والفروع فقولوا الآن فى العشق على غير منازعة وليورد كل واحد منكم ماسنح له فيه وخطر بباله فقال على بن هيثم ايها الوزير العشق ثمر المشاكلة وهو دليل على تمازج الروحين وهو من بحر اللطافة ورقة الصنيعة وصفاء الجوهر والزيادة فيه نقصان من الجسد وقال أبو مالك الحضرمى وهو خارجى المذهب أيها الوزير العشق نفث السحر وهو اخفى وأحر من الجمر ولا يكون الا بازدواج الطبعين وامتزاج الشكلين وله نفوذ فى القلب كنفوذ صيب المزن فى خلل الرمل تنقاد له العقول وتستكين له الآراء وقال أبو الهذيل وهو مغربى أيها الوزير العشق يختم على النواظر ويطبع على الافئدة مرتعه فى الاجساد ومسرعه فى الاكباد وصاحبه منصرف الظنون متغير الاوهام لا يصفو له موجود ولا يسلم له موعود تسرع اليه النوائب وهو جرعة من نقيع الموت وبقية من حياض الثكل غير أنه من أريحية تكون فى الطبع وطلاوة توجد فى الشمائل وصاحبه جواد لا يصغو الى داعية المنع ولا يسنح به نازع العدل وقال النظام ابراهيم بن يسار المعتزلى العشق أرق من الشراب وأدب من الشباب وهو من طينة عطرة عجنت فى اناء الحلى حلو المجتنى ما اقتصد فاذا أفرط عاد أصلا قاتلا وفسادا معضلا لا يطمع فى اصلاحه له سحابة غزيرة على القلوب فتعشب شغفا وتثمر كلفا وصريعه دائم اللوعة ضيق المتنفس مشارف الزمن طويل الفكر اذا جنه الليل أرق واذا وضحه النهار قلق صومه البلوى وافطاره الشكوى ثم قال الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر ومن يليهم حتى طال الكلام فى العشق بالفاظ مختلفة ومعان تتقارب وتتناسب وفيما مر دليل عليه (قال المسعودى) تنازع الناس فى ابتداء وقوع الهوى وكيفيته وهل ذلك من نظر وسماع واختيار واضطرار وما علة وقوعه بعد أن لم يكن وزواله بعد كونه وهل ذلك فعل النفس الناطقة أو الجسم وطباعه فقال بقراط هو امتزاج النفسين كما لو امتزج الماء بماء مثله عسر تخليصه بحيلة من الاحتيال والنفس ألطف من الماء وأرق مسلكا فمن أجل ذلك لا تزيله الليالى ولا تخلقه الدهور دق عن الاوهام مسلكه وخفى عن الابصار موضعه غير أن ابتداء حركته من القلب ثم تسير الى سائر الاعضاء فتظهر الرعدة فى الاطراف والصفرة فى الالوان واللجلجة فى الكلام والضعف فى الرأى حتى ينسب صاحبه الى النقص وذهب بعض الاطباء الى أن العشق طمع يتولد فى القلب وتجتمع اليه مواد الحكمة فاذا قوى زاد

بصاحبه الاهتياج واللجاج والفكر والامانى ويبس الدماغ وذلك أن التمادى فى الطمع للدم محرق فاذا احترق استحال الى السوداء فاذا قويت جلبت الفكر فتستعلى الحرارة وتلتهب الصفراء ثم تستحيل الصفراء سوداء وتصير مادة لها فتقوى طباع السوداء فتختلط الكيموسات فحينئذ يشتد ما به فيموت أو يقتل نفسه وربما شهق فتخفى روحه أربعا وعشرين ساعة فيظن أنه مات فيصير حيا وربما تنفس الصعداء فتخفى روحه فى تامور قلبه وينضم القلب ولا ينفرج حتى يموت وربما ارتاح وتشوق ونظر الى من يحب فجاة وقد يرى العاشق اذا سمع ذكر من يحب كيف يموت دمه ويحول لونه وقال بعضهم ان الله خلق كل روح مدورة على هيئة الكرة وجزاها انصافا وجعل كل نصف جسد فكل جسد لقى قسيمه وهو ذاك النصف من الكرة كان بينهما عشق المناسبة القديمة وقال نبينا صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وذهب قوم الى ما تعتقده العرب فى ذلك ومنه قول جميل فى بثينة

تعلق روحى روحها قبل خلقها ومن قبل ما كنا نطافا وفى المهد
فزاد كما زدنا فاصبح ناميا وليس وان متنا بمنتقض العهد
ولكنه باق على كل حالة وزائرنا فى ظلمة القبر واللحد

وقال جالينوس المحبة تقع بين العاقلين لتشاكلهما فى العقل ولا تقع بين الاحمقين وان كانا شكلين فى الحمق لان العقل يجرى على ترتيب فهما يجريان فيه على طريق واحدة والاحمق لا يجرى على ترتيب ولا يجوز أن يتفق فيه اثنان ولا يختلفان وقسم بعض العرب الهوى فقال

ثلاثة أحباب فحب علاقة وحب تملاق وحب هو القتل

وقال الصوفية ببغداد ان الله عز وجل انما امتحن الناس بالهوى ليأخذوا أنفسهم بطاعة من يهوونه ليشق عليهم سخطه ويسرهم رضاه فيستدلوا بذلك على قدر طاعة الله اذ كان لا مثل له ولا نظير فاذا أوجبوا على أنفسهم طاعة سواه كان تعالى أحرى أن يتبع رضاه وللباطنية المتصوفة فى هذا كلام كثير وقال افلاطون ما أدرى ما الهوى غير أنه جنون والهوى لا محمود ولا مذموم * وكتب بعض الكتاب الى أخ له انى صادفت منك جوهر نفسى فانا غير محمود على الانقياد اليك لان النفس يتبع بعضها بعضا وللناس ممن خلف وسلف من الفلاسفة والفلكيين والاسلاميين وغيرهم كلام

كثير فى العشق قد أتينا على ذلك فى كتابنا أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة وانما اخرجنا مما كنا فيه آنفا من أخبار البرامكة عند ذكرنا العشق فتغلغل بنا الكلام الى ايراد لمع مما قيل فى ذلك فلنرجع الآن الى ما كنا فيه من أخبارهم واتساق أيامهم وانتظامها لهم بالسعود ثم انعكاسها الى النحوس ذكر ذو معرفة باخبار البرامكة أنه لما بلغ جعفر بن يحيي بن خالد بن برمك ويحيي بن خالد والفضل وغيرهم من آل برمك ما بلغوا فى الملك وتناهوا فى الرياسة واستقامت لهم الامور حتى قيل ان أيامهم عروس وسرور دائم لا يزول قال الرشيد لجعفر بن يحيي ويحك يا جعفر ليس فى الارض طلعة أنا بها آنس ولا اليها أميل وأنا بها أشد استمتاعا وانسا منى برؤيتك وان للعباسة أختى منى موقعا ليس بدون ذلك وقد نظرت فى أمرى معكما فوجدتنى لا أصبر عنك ولا عنها ورأيتنى ناقص الحظ والسرور منك يوما أكون معها وكذلك حكمى فى يوم كونى معك دونها وقد رأيت شيأ يجتمع لى به السرور وتتكاثف لى به اللذة والانس فقال وفقك الله يا أمير المؤمنين وعزم لك على الرشد فى أمورك كلها قال له الرشيد قد زوجتكها تزويجا تملك به مجالستها والنظر اليها والاجتماع بها فى مجلس انا معكما فيه فزوجه الرشيد بعد امتناع كان من جعفر اليه فى ذلك وأتى فاشهد له من حضره من خدمه وخاصة مواليه وأخذ الرشيد عليه عهد الله ومواثيقه وغليظ أيمانه انه لا يخلو بها ولا يجلس معها ولا يظله وإياها سقف بيت الا وأمير المؤمنين الرشيد ثالثهما فحلف له جعفر على ذلك ورضى به والزمه نفسه وكانوا يجتمعون على هذه الحالة التى وصفنا وجعفر فى ذلك صارف بصره عنها مزور بوجهه هيبة لامير المؤمنين ووفاء بعهده وأيمانه ومواثيقه على ما وافقه الرشيد عليه وعلقته العباسة وأضرمت الاحتيال عليه وكتبت اليه رقعة فزال رسومها وتهددها وعادت فعاد بمثل ذلك فلما استحكم اليأس عليها قصدت لامه ولم تكن بالحازمة فاستمالتها بالهدايا من نفيس الجواهر والالطاف وما أشبه ذلك من كثرة المال وألطاف الملوك حتى اذا ظنت انها لها فى الطاعة كالامة وفى النصيحة والاشفاق كالوالدة ألقت اليها طرفا من الامر الذى تريده وأعلمتها ما لها فى ذلك من جزيل العاقبة وما لها من الفخر والشرف بمصاهرة أمير المؤمنين وأوهمتها ان هذا الامر اذا وقع كان به امان لها ولولدها من زوال النعمة وسقوط مرتبته فاستجابت لها أم جعفر ووعدتها اعمال الحيلة فى ذلك وأنها تلطف لها حتى تجمع بينهما فاقبلت على جعفر يوما فقالت له يا بنى قد وصفت لى وصيفة فى بعض

القصور من تربية الملوك قد بلغت في الادب والمعرفة والظرف والحلاوة مع الجمال الرائع والقد البارع والخصال المحمودة مالم ير مثله وقد عزمت على اشترائها لك وقد قرب الامر بيني وبين مالكها فاستقبل كلامها بالقبول وعلقت قلبه وتطلعت اليها نفسه وجعلت تمطله حتى اشتد شوقه وقويت شهوته وهو في ذلك يلح عليها فلما علمت أنه قد عجز عن الصبر واشتد به القلق قالت له أنا مهديتها اليك ليلة كذا وكذا وبعثت الى العباسة فأعلمتها بذلك فتأهبت وسارت اليها تلك الليلة وانصرف جعفر من عند الرشيد وقد بقي في نفسه من الشراب فضلة لما عزم عليه فدخل منزله وسأل عن الجارية فخبر بمكانها فادخلت على فتى سكران لم يكن بصورتها عالما ولا على خلقها واقفا فقام اليها فواقعها فلما قضى اليها حاجته قالت له كيف رأيت حيل بنات الملوك قال وأي بنات الملوك تعنين وهو يرى انها من بعض بنات الملوك فقالت انا مولاتك العباسة بنت المهدي فوثب فزعا قد زال عنه سكره وفارقه عقله فاقبل عليها وقال لقد بعتني بالثمن الرخيص وحملتني على المركب الوعر وانظري مايؤول اليه حالي وانصرفت مشتملة منه على حمل ثم ولدت غلاما فوكلت به خادما من خدمها يقال له رياش وحاضنة تسمى برة فلما خافت ظهور الخبر وانتشاره وجهت الصبي والخادم والحاضنة الى مكة وأمرتها بتربيته وطالت مدة جعفر وغاب هو وأبوه واخوته على أمر المملكة وكانت زبيدة من الرشيد بالمنزلة التي لا يتقدمها أحد من نظرائها وكان يحيي بن خالد لا يزال يتفقد أمر حرم الرشيد ويمنعهن من خدمة الخدم فشكت زبيدة الى الرشيد فقال ليحيي بن خالد ياأبت مابال أم جعفر تشكوك فقال ياأمير المؤمنين أمتهم انا في حرمك وتدبير منزلك عندك فقال لا والله فقال لا تقبل قولها قال الرشيد فلست اعاو لك فازداد يحيي لها منعا وعليها في ذلك غلظة وكان يامر بقفل أبواب الحرم بالليل ويمضي بالمفاتيح الى منزله فبلغ ذلك من أم جعفر كل مبلغ فدخلت ذات يوم على الرشيد فقالت ياأمير المؤمنين مايحمل يحيي على مالا نزاك تفعل من منعه اياي من خدمي ووضعه اياي في غير موضعي فقال لها الرشيد يحيي عندي غير متهم في حرمي فقالت ان كان كذلك لتحفظ ابنه مما ارتكبه فقال وماذاك نخبرته وقصت عليه قصة العباسة مع جعفر فسقط في يده وقال لها هل لك على ذلك من دليل وشاهد قالت وأي دليل أدل من الولد قالت وقد كان ههنا فلما خافت ظهور أمره وجهته الى مكة فقال لها فيعلم هذا أحد غيرك قالت مافي قصرك جارية الا وقد علمت به فأمسك على ذلك وطوى عليه كشحا وأظهر

أنه يريد الحج فخرج هو وجعفر بن يحيى وكتبت العباسة الى الخادم والحاضنة ان يخرجا بالصبي الى اليمن فلما صار الرشيد الى مكة وكل من يثق به بالفحص والبحث عن أمره فوجد الأمر صحيحا فلما قضى حجه ورجع اضمر في البرامكة على ازالة نعمهم فاقام ببغداد مديدة ثم خرج الى الانبار فلما كان في اليوم الذي عزم فيه على قتل جعفر دعا بالسندي بن شاهك فامره بالمضي الى مدينة السلام والتوكيل بدور البرامكة ودور كتابهم وقراباتهم وان يجعل ذلك سرا من حيث لا يكلم أحدا حتى يصل الى بغداد ثم يفضي بذلك لمن يثق به من أهله وأعوانه فامتثل السندي ذلك وقعد الرشيد وجعفر عنده في موضع يعرف في الانبار بالقمر فاقاما يومهما باحسن هيئة وأطيب عيش فلما انصرف جعفر من عنده خرج الرشيد حتى ركب مشيعا له ثم رجع فمضى جعفر الى منزله وفيه فضلة الشراب ودعا بابي بكار الاعمى الطنبوري وابن أبي نجيح كاتبه ومدت ستارة وجلس جواريه خلفها يضربن ويغنين وابن بكار يغنيه

ماتريد الناس منا ماتنام الناس عنا

انما همتهم أن يظهروا ما قد دفنا

وأمر الرشيد من ساعته ياسر اخادمه المعروف بوخلة فقال له اني أندبك لامر لم أر محمدا ولا القاسم له أهلا ولا موضعا ورأيتك به مستقلا ناهضا فحقق ظني واحذر أن تخالفني فقال يا أمير المؤمنين لو أمرتني ان ادخل السيف في بطني واخرجه من ظهري بين يديك لفعلت فمر بامرك فاني والله مسرع فقال ألست تعرف جعفر بن يحيي البرمكي قال يا أمير المؤمنين وهل أعرف سواه او ينكر مثل جعفر قال ألم تر تشييعي اياه عند خروجه قال بلى قال فامض الساعة اليه فاتني برأسه على أي حالة تجده عليها فارتج على ياسر الكلام وأخذته رعدة ووقف لا يحير جوابا فقال يا ياسر ألم اتقدم اليك بترك الخلاف على قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن الخطب اجل من ذلك والامر الذي ندبتني اليه امير المؤمنين وددت لو اني كنت مت قبل ان يجري على يدي منه شيء فقال دع عنك هذا وامض لما قد أمرتك فمضى ياسر حتى دخل على جعفر وهو على حال لهوه فقال له ان أمير المؤمنين قد أمرني فيك بكيت وكيت فقال جعفر ان أمير المؤمنين يمازحني باصناف من المزاح فاحسب ان هذا جنس منه فقال والله ماافتقدت من عقله شيا ولا ظننته شرب خمرا في يومه مع مارأيت من عبارته قال له فان لي عليك حقوقا لم تجد لها مكافأة وقتا من الاوقات الا هذا الوقت قال تجدني الى ذلك سريعا الا فيما خالف أمير المؤمنين قال فارجع اليه

فاعلمه انك قد نفذت ما أمرك به فان أصبح نادما كانت حياتى على يديك جارية وكانت لك عندى نعمة مجددة وان أصبح على مثل هذا الرأى نفذت ما أمرت به فى غد قال ليس الى ذلك سبيل قال فاصير معك الى مضرب امير المؤمنين حتى أقف بحيث أسمع كلامه ومراجعته اياك فاذا أبديت عذرا ولم يقنع الا بمصيرك اليه برأسى خرجت فاخذت رأسى من قرب قال له أما هذا فنعم فضيا جميعا الى مضرب الرشيد فدخل اليه ياسر فقال قد أخذت رأسه يا أمير المؤمنين وها هو ذا بالحضرة فقال له ائتنى به والا والله قتلتك قبله فخرج فقال أسمعت الكلام قال نعم فشانك وما امرت به فاخرج جعفر من كمه منديلا صغيرا فعصب به عينيه ومد رقبته فضربها وأدخل رأسه الى الرشيد فلما رأى الرأس بين يديه أقبل عليه وجعل يذكره بذنوبه ثم قال يا ياسر ائتنى بفلان وفلان فلما أتى بهم قال لهم اضربوا عنق ياسر فانى لا أقدر أنظر الى قاتل جعفر وقال الاصمعى وجه الى الرشيد فى تلك الليلة فلما ادخلت اليه قال يا أصمعى قد قلت شعرا فاسمعه قلت نعم يا أمير المؤمنين فانشد

لو أن جعفر هاب أسباب الردى ... لنجا بمهجته طمر ملجم
ولكان من حذر المنون بحيث لا ... يسمو اليه به الغراب القشعم
لكنه لما تقرب وقته ... لم يدفع الحدثان عنه منجم

قال الاصمعى ورجعت الى منزلى فلم أصر اليه حتى تحدث الناس بقتل جعفر واصيب على باب قصر على بن ماهان بخراسان فى صبيحة الليلة التى قتل فيها جعفر واوقع بالبرامكة مكتوب بقلم جليل

ان المساكين بنو برمك ... صبت عليهم غير الدهر
ان لنا فى امرهم عبرة ... فليعتبر ساكن ذا القصر

(قال المسعودى) وكان مدة دولة البرامكة وسلطانهم وايامهم النضرة الحسنة من استخلاف هرون الرشيد الى ان قتل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك سبع عشرة سنة وسبعة اشهر وخمسة عشر يوما وقد رثتهم الشعراء فمن ذلك قول على بن ابى معاذ

يا أيها المغتر بالدهر ... والدهر ذو صرف وذو غدر
لا تامن الدهر وصولاته ... وكن من الدهر على حذر
ان كنت ذا جهل بتصريفه ... فانظر الى المصلوب بالجسر

فان فيه عبرة فاعتبر ياذا الحجا والعقل والفكر
وخذ من الدنيا صفا عيشها واجر مع الدهر كما يجرى
كان وزير القائم المرتضى وذا الحجا والفضل والذكر
وكانت الدنيا باقطارها اليه فى البر وفى البحر
يشيد الملك بآرائه وكان فيه نافذ الامر
فبينما جعفر فى ملكه عشية الجمعة بالقمر
يطير فى الدنيا باجناحه باهل طول الجلد والعمر
اذ عثر الدهر به عثرة ياويلنا من عثرة الدهر
وزلت النعل به زلة كانت له قاصمة الظهر
فغودر البائس فى ليلة السبت قتيلا مطلع الفجر
واصبح الفضل بن يحيى وقد احيط بالشيخ ومايدرى
وجىء بالشيخ واولاده يحيى معا فى الغل والاسر
والبرمكيين واتباعهم من كان فى الآفاق والمصر
كانما كانوا على موعد كموعد الناس الى الحشر
واصبحوا للناس احدوثة سبحان ذى السلطان والامر

وقال

الى ان ارحنا واستراحت ركابنا وامسك من يجدى ومن كان يجتدى
فقل للمطايا قد امنت من السرى وطى الفيافى فدفدا بعد فدفد
ودونك سيفا برمكيا مهندا اصيب بسيف هاشمى مهند

وقال فيهم سلم الخاسر

خوت انجم الجدوى وشلت يد الندى وغاضت بحار الجود بعد البرامك
هوت انجم كانت لابناء برمك بها يعرف الهادى طويل المسالك

وقال فيهم صالح الاعرابى

لقد خان هذا الدهر ابناء برمك واى ملوك لم تخنها دهورها
الم يك يحيى والى الارض كلها فاضحى كمن وارته منها قبورها

وقال فيهم ابو حرة الاعرابى وقيل ابو نواس

مارمى الدهر آل برمك لما ان رمى ملكهم بامر بديع

ان دهر الم يرع حقا ليحيى غير راع حقا لآل الربيع

وقال يابنى برمك واهالكم ولأيامكم المقتبله

وقال اشجع فيهم

ولى عن الدنيا بنو برمك فلو والى الناس مازادا
كانما ايامهم كلها كانت لاهل الارض اعيادا

وقال منصور اليمنى

ابدت بنى برمك لدينا تبكى عليهم بكل واد
كانت بهم برهة عروسا فاضحت الارض فى حداد

وقال دعبل

الم تر صرف الدهر فى آل برمك وفى ابن نهيك والقرون التى تخلو

وقال اشجع فيهم ايضا

قد سار دهر ببنى برمك ولم يدع فيهم لنا القيا
كانوا اولى الخير وهم اهله فارتفع الخير عن الدنيا

وقال الفضل بن يحيى وهو وأبوه فى السجن

الى الله فيما نابنا نرفع الشكوى ففى يده كشف المضرة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلا نحن فى الاموات فيها ولا الاحيا
اذا جاءنا السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وكان الرشيد كثيرا ما ينشد بعد نكبة البرامكة

ان سهامنا اذا وقعت لتقدما تعلو بها رتبه
واذا ابدت للنمل اجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه

وقال محمد بن عبد الرحمن الهاشمى دخلت على والدتى يوم نحر فوجدتها وعندها برزة متكلمة فقالت لى اتعرف هذه قلت لا قالت هذه عبادة أم جعفر بن يحيى فأقبلت عليها بوجهى أحدثها واعظمها ثم قلت لها ياأماه ماعجب مارأيت فقالت يابنى لقد أتى على عيد مثل هذا وأنا على رأسى أربعمائة وصيفة وانى اعد ابنى عاقا ولقد أتى على هذا العيد وما أتمنى سوى جلد شاتين أفترش أحدهما وألتحف الآخر قال فدفعت اليها خمسمائة درهم فكادت تموت فرحا بها ولم تزل تختلف الينا حتى فرق الموت بيننا (وحكى) عن بعض عمومة الرشيد أنه صار الى يحيى عند تغير الرشيد له قبل الايقاع بهم فقال له ان

امير المؤمنين قد أحب جمع الاموال وقد كثر ولده عليك وعلى أصحابك فلو نظرت الى ضياعهم وأموالهم فجعلتها لامير المؤمنين وتقربت بها رجوت ان يكون لك السلامة وان يرجع لك أمير المؤمنين فقال له يحيي والله لأن تزول النعمة عني أحب الى من ان ازيلها عن قوم كنت سببها اليهم (وذكر) الخليل بن الهيثم وكان قد وكله الرشيد بيحيي والفضل فى الحبس قال أتانى مسرور الخادم ومعه جماعة من الخدم ومع خادم منهم منديل ملفوف فسبق الى نفسي ان الرشيد قد تعطف عليهم فوجه اليهم بلطف فقال لى مسرور أخرج الفضل بن يحيي فلما مثل بين يديه قال ان امير المؤمنين يقول لك انى قد امرتك ان تصدقنى عن اموالكم فزعمت انك قد فعلت وقد صح عندى انك ابقيت لك اموالا وقد امرت مسرورا ان لم تطلعه عليها ان يضربك مائتى سوط فقال له الفضل فعلت والله يا اباهاشم فقال له مسرور يا أباالعباس ارى لك ان لا تؤثر مالك على مهجتك فانى لا آمن ان انفذ ما امرت به فيك ان آتى على نفسك فرفع الفضل راسه الى السماء وقال له يا اباهاشم ما كذبت بامير المؤمنين ولو كانت الدنيالى وخيرت بين الخروج منها وبين ان اقرع مقرعة لاخترت الخروج منها وامير المؤمنين يعلم وانت تعلم انا كنا نصون أعراضنا باموالنا وكيف صرنا اليوم نصون أموالنا منكم بانفسنا فان كنت امرت بشىء فامض له فامر بالمنديل فنفض فسقط منه اسواط بأثمارها فضرب مائتى سوط وتولى ضربه أولئك الخدم فضربوه اشد الضرب الذى يكون بغير معرفة فكادوا ياتون على نفسه فخفنا عليه الموت فقال الخليل بن الهيثم لوكيله المعروف بابن يحيى ان هنا رجلا قد كان فى الحبس وهو بصير بالعلاج لمثل هذا أو شبهه فسر اليه واسأله ان يعالجه قال فانسب اليه ذلك قال لعلك تريد ان تعالج الفضل بن يحيى فقد بلغنى ماصنع به فقلت اياه أريد قال فامض بنا اليه حتى اعالجه فلما رآه قال أحسبه ضربه خمسين سوطا قال انه ضرب مائتى سوط قال ماأظن الا أن هذا أثر خمسين سوطا ولكن يحتاج ان ينام على بارية وادوس صدره ساعة فاخذ بيده فجذبه حتى أقامه وقد خرج الفضل ثم جاءبه فالقاه على البارية وجعل يدوس صدره ثم جذبه حتى اقامه على البارية فتعلق بها من لحم ظهره شىء كثير ثم جعل يختلف اليه ويعالجه الى ان نظر يوما اليه فخر ساجدا فقلت مالك فقال ياأبايحيي قد برىء ابو العباس ادن منى حتى ترى قال فدنوت منه فارانى فى ظهره لحما نابتا ثم قال أتحفظ قولى هذا أثر خمسين سوطا قلت نعم قال والله لو ضربت ألف صوت ما كان أثرها باشد من ذلك الاثر وانما قلت ذلك لكى تقوى نفسه

فيعيننى على علاجه فلما خرج الرجل قال لى الفضل يا أبى يحيى قد احتجت عشرة آلاف درهم فسر الى المعروف بالسنانى وأعلمه حاجتى اليها قال فاتيته بالرسالة فامر بحملها اليه فقال يا أبا يحيى احب ان تمضى بها الى هذا الرجل وتعتذر اليه وتسأله قبول ما وجهت به قال فمضيت اليه فوجدته قاعدا على حصير وطنبور له معلق ودساتيج فيها نبيذ وأداة رثة فقال ما حاجتك يا ابى يحيى فاقبلت أعتذر عن الفضل واذكر ضيق الامر عليه وأعلمه بما وجه به اليه فامتعض من ذلك حتى افزعنى وقال عشرة آلاف درهم فجهدت كل الجهد أن يقبلها فابى فصرت الى الفضل فاعلمته فقال لى استقلها والله ثم قال لى الفضل أحب أن تعود الى السنانى ثانية وتعلمه انى احتجت الى عشرة آلاف درهم أخرى فاذا دفعها اليك فسر بالكل الى الرجل قال فقبضت من السنانى عشرة آلاف أخرى ورجعت الى الرجل ومعى المال وعرفته الخبر فابى ان يقبل شيئا منه فقال انا اعالج فتى من الابناء بعدا اذهب عنى فوالله لو كانت عشرون ألف دينار ماقبلتها فرجعت الى الفضل واخبرته الخبر فقال لى يا أبى يحيى حدثنى باحسن ما رأيت أو بلغك من افعالنا قال فجعلت احدثه فقال لى دع عنك هذا فوالله ان مافعله هذا الرجل أحسن من كل مافعلناه فى ايامنا كلها * وقتل جعفر بن يحيى وهو ابن خمس واربعين سنة ومات يحيى بالرقة فى سنة تسع وثمانين ومائة على ماقدمنا (قال المسعودى) وللبرامكة أخبار حسان وسير وقد قدمنا ذكرها فيما سلف من كتبنا فى ذكر اخبارهم ملوك الروم بعد ظهور الاسلام وما كان بينه وبين يعفور فيما تقدم من هذا الكتاب وللبرامكة اخبار حسان وما كان منهم من الافاضل بالمعروف واصطناع المكارم وغير ذلك من عجائب اخبارهم وسيرهم وما مدحتهم الشعراء به ومراثيهم وقد اتينا على جميع ذلك فى كتابينا اخبار الزمان والكتاب الاوسط وانما نورد فى هذا الكتاب لمعا من الاخبار لم يتقدم لها ايراد فى غيره من كتبنا وكذلك ذكر بدء اخبارهم قبل ظهور الاسلام وكونهم على بيت النوبهار وهو بيت النار ببلخ المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وعلة تسمية برمك وخبر برمك الاكبر مع ملوك الترك وخبرهم بعد ظهور الاسلام وما كان منهم فى أيام بنى امية كهشام بن عبد الملك وغيره وما كان منهم فى ايام المنصور واكتفينا بما ذكرناه فى هذا الكتاب من التلويحات من اخبارهم واللمع من آثارهم

(ذكر خلافة محمد الامين)

وبويع محمد بن هرون فى اليوم الذى مات فيه هارون الرشيد وهو يوم السبت لاربع

ليال خلون من جمادى الاولى بطوس سنة ثلاث وتسعين ومائة وتقدم ببيعته رجاء الخادم وكان القيم ببيعته الفضل بن الربيع وكان محمد يكنى بابى موسى وأمه زبيدة ابنة جعفر بن ابى جعفر وكان مولده بالرصافة وقتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وثلاثة عشر يوما ودفنت جثته ببغداد وحمل رأسه الى خراسان وكانت خلافته أربع سنين وستة اشهر وكان اصغر من المأمون بستة اشهر وكانت ايامه من خلعه الى مقتله سنة ونصفا وثلاثة عشر يوما حبس فيها يومين

(ونذكر جملا من اخباره وسيره ولمعا مما كان فى ايامه)

قبض الرشيد والمأمون بمرو وبعث صالح بن الرشيد رجاء الخادم مولى محمد الامين الى محمد فاتاه بالخبر فى اثنى عشر يوما الى مدينة السلام يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة (وذكر) العتبى وغيره ان زبيدة رأت فى المنام ليلة علقت بمحمد كان ثلاث نسوة دخلن عليها وهى بمجلس فقعد اثنتان عن يمينها وواحدة عن يسارها فدنت احداهن فجعلت يدها على بطن أم جعفر ثم قالت ملك عظيم البذل ثقيل الحمل فكد الامر ثم فعلت الثانية كما فعلت الاولى وقالت ملك ناقص الجد مفلول الحد ممذوق الود تجوز احكامه وتخونه أيامه ثم فعلت الثالثة كما فعلت الثانية وقالت قصاف عظيم الايلاف كثير الخلاف قليل الانصاف قالت فاستيقظت وانا فزعة فلما كان فى الليلة التى وضعت فيها محمدا دخلن على وانا نائمة كما كن دخلن فقعدن عند رأسى ونظرن فى وجهى ثم قالت احداهن شجرة نضرة وريحانة حسنة وروضة زاهرة ثم قالت الثانية عين غدقة قليل لبثها سريع فناؤها عجل ذهابها وقالت الثالثة عدو لنفسه ضعيف فى بطشه سريع الى غشه مزال عن عرشه فاستيقظت وانا فزعة بذلك واخبرت بذلك بعض قهارمتى فقالت بعض مايطرق النائم وعبث من عبث التوابع فلما تم فصاله أخذت مرقدى ومحمد أمامى فى مهده اذ بهن قد وقفن على رأسى وأقبلن على ولدى محمد فقالت احداهن ملك جبار متلاف مهذار بعيد الآثار سريع العثار ثم قالت الثانية ناطق مخصوم ومحارب مهزوم وراغب محروم وشقى مهموم وقالت الثالثة احفروا قبره ثم شقوا لحده وقدموا اكفانه وأعدوا اجهازه فان موته خير من حياته قالت فاستيقظت وانا مضطربة وجلة وسألت مفسرى الاحلام والمنجمين فكل يخبرنى بسعادته وحياته طول عمره وقلبى يابى ذلك ثم زجرت نفسى وقلت وهل يدفع القدر او يقدر أحد ان يدفع عن احبابه الاجل (ومات ابو بكر بن عياش) الكوفى وهو ابن ثمان وتسعين

سنة بعد موت الرشيد بثمانى عشر ليلة ولما هم محمد بخلع المامون شاور عبدالله بن حازم فقال له انشدك الله ياامير المؤمنين أن لا تكون اول الخلفاء نكث عهده ونقض ميثاقه واستخف بيمينه فقال اسكت لله ابوك فعبد الملك بن صالح كان افضل منك رايا حيث يقول لا تجتمع فحلان فى اجمة وجمع القواد وشاورهم فاتبعوه فى مراده الى ان بلغ الى هرثمة بن حازم فقال ياأمير المؤمنين لن ينصحك من كذبك ولن يغشك من صدقك ولا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك فان الغادر مخذول والناكث مغلول ودخل على بن عيسى بن ماهان فتبسم محمد وقال تكن شيخ هذه الدعوة وباب هذه الدولة لا يخالف امامه ولا يوهن طاعته ثم رفعه الى موضع ما رفعه اليه فيما مضى وكان على بن عيسى أول من اجاب الى خلع المأمون فسيره فى جيش عظيم نحو المأمون فلما قرب من الرى قيل له ان طاهر بن الحسين مقيم بها وقد كان يظن ان طاهرا لا يثبت له فقال ما طاهر الا شوكة من اغصانى وشرارة من نارى ومامثل طاهر يؤمر على جيش وما بينه وبين الامين الا ان تقع عينه على سواد كم فان السخال لا تقوى على نطاح الكباش والثعالب لا تقدر على لقاء الاسد فقال له ابنه ابعث طلائع وارتدموضعا لعسكرك فقال ليس طاهر يستعد له بالمكايد والتحفظ ان حال طاهر يؤدى الى امرين اما ان يتحصن بالرى فيثب به اهلها ويكفونا مؤنته أو يخليها ويدبر راجعا لو قد قربت حيوانا منه فقال له ابنه ان الشرارة ربما صارت ضراما فقال ان طاهرا ليس قرنا فى هذا الموضع وانما تحترس الرجال من أقرانها وسار على بن عيسى وبث عساكره من الرى وتبين ما عليه طاهر من الجد واهبة الحرب وضم الاطراف فعدل الى رستاق من رساتيق الرى متياسرا عن الطريق فنزل وانبسطت عساكره واقبل طاهر فى نحو من اربعة آلاف فارس فاشرف على عساكر على بن عيسى وتبين كثرتها وعدة ما فيها فعلم ان لا طاقة له بذلك الجيش فقال لخواصه ومن معه نجعلها خارجية وكردس خيله كراديس وصمد فى نحو القلب فى سبعمائة من الخوارزمية وغيرهم من فرسان خراسان وخرج اليه من القلب العباس بن الليث مولى العهد وكان فارسا فقصده طاهر وضم يديه على سيفه فاتى عليه وكان على على برذون كميت ارجل وتمالا على رأسه الرجال وتنازعوا فى خاتمه ورأسه فذبحه رجل يعرف بطاهر بن الراجى وقبض آخر على خصلة من شعر لحيته وآخر على خاتمه وكان سبب هزيمة الجيش ضربة طاهر بيده جميعا للعباس بن الليث وبذلك سمى طاهر ذا اليمينين لجمعه يديه على السيف (وذكر) احمد بن

هشام وكان من وجود القواد قال جئت الى مضرب طاهر وقد توهم انى قتلت فى المعركة ومعى رأس على فقال البشرى هذه خصلة من رأس على مع غلامى فى المخلاة فطرحه قدامه ثم اتى بجثته وقد شدت يداه ورجلاه كما يفعل بالدواب اذا ماتت فامر به طاهر فالقى فى بئر وكتب الى ذى الرياستين فكان فى الكتاب اطال الله بقاءك وكبت اعداءك كتابى اليك ورأس على بن عيسى بين يدى وخاتمه فى اصبعى والحمد لله رب العالمين فسر المأمون بذلك وسلم عليه فى ذلك الوقت بالخلافة وقد كانت ام جعفر لا تعلق من الرشيد فشاور بعض مجالسيه من الحكماء وشكا ذلك اليه فاشار عليه بان يغيرها فان ابراهيم الخليل عليه السلام كانت عنده سارة فلم تكن تعلق منه فلما وهبت له هاجر علقت منه باسماعيل فغارت سارة عند ذلك فعلقت باسحق فاشترى الرشيد ام المأمون فاستخلاها فعلقت بالمأمون فغارت ام جعفر عند ذلك فعلقت بمحمد وقد قدمنا التنازع فى ذلك اعنى قصص ابراهيم واسمعيل واسحق عليهم السلام وقول من ذهب الى ان اسحق هو المامور بذبحه ومن قال بل اسمعيل وماذكر كل فريق منهم وقد تناظر فى ذلك السلف والخلف فمن ذلك ما جرى بين عبد الله بن عباس وبين مولاه عكرمة وقد قال عكرمة من المامور بذبحه فقال اسمعيل واحتج بقول الله عز وجل ومن وراء اسحق يعقوب الا ترى انه بشر ابراهيم بولادة اسحق فكيف يامره بذبحه فقال له عكرمة انا اوأخذك ان الذبيح اسحق من القرآن واحتج بقول الله عز وجل وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق فنعمته على ابراهيم ان نجاه من النار ونعمته على اسحق ان فداه بالذبح وكانت وفاة عكرمة مولى ابن العباس سنة خمس ومائة ويكنى اباعبد الله مات فى اليوم الذى مات فيه كثير عزة فقال الناس مات عظيم الفقهاء وكبير الشعراء وفيها كانت وفاة الشعبى (وحدث) ابراهيم بن المهدى قال بعث الى الامين وهو محاصر فصرت اليه فاذا هو جالس فى طارمة خشبها من عود وصندل عشرة فى عشرة واذا سليمان بن ابى جعفر المنصور معه فى الطارمة وهى قبة كان اتخذها فراشها مبطنا بانواع الحرير والديباج المنسوج بالذهب الاحمر وغير ذلك من انواع الابريسم فسلمت فاذا قدامه قدح بلور مخروز فيه شراب ينفذ مقداره خمسة ارطال وبين يدى سليمان قدح مثله فجلست بازاء سليمان فاتيت بقدح كالاول والثانى قال فقال انما بعثت اليكما لما بلغنى قدوم طاهر بن الحسين الى النهروان وما قد صنع فى امرنا من المكروه وقابلنا به من

الاساءة فدعوتكما لافرح بكما وبحديثكما فاقبلنا نحدثه ونؤنسه حتى سلا عما كان يجده وفرح ودعا بجارية من خواص جواريه تسمى ضعفا قال فتطيرت من اسمها ونحن على تلك الحال فقال لها غنينا فوضعت العود فى حجرها وغنت

كليب لعمرى كان اكثر ناصرا　　واكثر جرما منك ضرج بالدم

فتطير من قولها ثم قال لها اسكتى قبحك الله ثم عاد الى ما كان عليه من الغم والاقطاب فاقبلنا نحادثه ونبسطه الى ان سلا وضحك ثم اقبل عليها وقال هات ما عندك فغنت

هم قتلوه كى يكونوا مكانه　　كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فاسكتها وزأرها وعاد الى الحالة الاولى فسليناه حتى عاد الى الضحك فاقبل عليها الثالثة فقال غنى فغنت

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا　　انيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا اهلها فابادنا　　صروف الليالى والجدود العواثر

وقيل بل انها غنت

اما ورب السكون والحرك　　ان المنايا كثيرة الشرك

فقال لها قومى عنى فعل الله بك وصنع بك فقامت فعثرت بالقدح الذى كان بين يديه فكسرته فانهرق الشراب وكانت ليلة قمراء ونحن على شاطئ دجلة فى قصره المعروف بالخلد فسمعنا قائلا يقول قضى الامر الذى فيه تستفتيان قال ابن المهدى فقمت وقد وثب فسمعت منشدا من ناحية القصر ينشد هذين البيتين

لا تعجبن من العجب　　قد جاء ما يقضى العجب

قد جاء أمر فادح　　فيه لذى عجب عجب

قال فما قمنا معه بعدها الى ان قتل وكان الامين مولعا بأم ولده فطم وهى أم موسى الذى كان سماه الناطق بالحق وأراد خلع المأمون والعقد له من بعده فهلكت أم موسى فطم فجزع عليها جزعا شديدا فلما اتصل الخبر بأم جعفر زبيدة قالت احملونى الى أمير المؤمنين فحملت اليه فاستقبلها وقال يا سيدتى ماتت فطم فقالت

نفسى فداؤك لا يذهب بك اللهف　　ففى بقائك مما قد مضى خلف

عوضت موسى فماتت كل مرزية　　ما بعد موسى على مفقودة أسف

(وذكر) ابراهيم بن المهدى قال استاذنت على الامين يوما وقد اشتد الحصار عليه من كل وجه فابوا ان يأذنوا الى بالدخول عليه الى ان كاثرت ودخلت فاذا هو قد تطلع الى دجلة

بالشباك وكان فى وسط قصره بركة عظيمة لها مخترق الى الماء فى دجلة وفى المخترق شباك حديد فسلمت عليه وهو مقبل على الماء والخدم والغلمان قد انتشروا الى تفتيش الماء وهو كالواله فقال لى وقد ثنيت بالسلام وكررت لا تؤذونى فقرطتى قد ذهبت فى البركة الى دجلة والمقرطة سمكة كانت قد صيدت له وهى صغيرة فقرطها حلقتين من ذهب فيهما حبتا در قال فخرجت وأنا مؤيس من فلاحه وقلت لو ارتدع من وقت لكان هذا الوقت وكان محمد فى نهاية الشدة والقوة والبطش والبهاء والجمال الا أنه كان عاجز الرأى ضعيف التدبير غير مفكر فى امره (وحكى) انه اصطبح يوما وقد كان خرج اصحاب اللبابيد والحراب على البغال وهم الذين كانوا يصطادون السباع الى سبع كان بلغهم خبره بناحية كوثى والقصر فاحتالوا فى السبع الى ان اتوا به فى قفص من خشب على جمل بختى فحط بباب القصر وادخل فثل فى صحن القصر والامين مصطبح فقال خلوا عنه وشيلوا اباب القفص فقيل له يا أمير المؤمنين انه سبع هائل اسود وحش فقال خلوا عنه فشالوا اباب القفص فخرج سبع اسود له شعر عظيم مثل الثور فزأر وضرب بذنبه الى الارض فتهارب الناس وغلقت الابواب فى وجهه وبقى الامين وحده جالسا موضعه غير مكترث بالاسد فقصده الاسد حتى دنا منه فضرب الامين بيده الى مرفقة ارمنية فامتنع منه بها ومد السبع يده اليه فجذبها الامين وقبض على اصل اذنيه وغمزه ثم هزه ودفع به الى خلف فوقع السبع ميتا على مؤخره وتبادر الناس الامين فاذا اصابعه ومفاصل يديه قد زالت عن مواضعها فأتى بمجبر فرد عظام أصابعه الى مواضعها وجلس كانه لم يعمل شيأ فشقوا بطن الاسد فاذا مرارته انشقت عن كبده (وحكى) ان المنصور جلس ذات يوم ودخل اليه بنو هاشم من أهله فقال لهم وهو مستبشر أما علمتم ان محمدا المهدى ولد البارحة له ولد ذكر وقد سميناه موسى فلما سمع القوم ذلك وجموا وكأنما فقئ فى وجوههم الرماد ولم يحيروا جوابا فنظر اليهم المنصور فقال لهم هذا موضع دعاء وتهنئة وأراكم قد سكتم ثم استرجع فقال كانى بكم لما أخبرتكم بتسميتى اياه موسى اغتممتم به لان المولود المسمى بموسى بن محمد هو الذى على راسه تختلف الكلمة وتنتهب الخزائن ويضطرب الملك ويقتل أبوه وهو المخلوع من الخلافة ليس هو ذاك ولا هذا زمانه والله ان جد هذا المولود يعنى هرون الرشيد لم يولد بعد قال فدعوا له وهنوه وهنوا المهدى وكان هذا موسى الهادى أخا الرشيد وكان العهد الذى كتبه الرشيد بين الامين والمامون وأودعه الكعبة ان الغادر منهما خارج

من الامر أيهماغدر بصاحبه والخلافة للمغدور به (وذكر ياسر) انه لما احيط بمحمد دخلت أم جعفر باكية فقال لها مه انه ليس بجزع النساء وهلعهن عقدت التيجان والخلافة سياسة لا تسعها صدور المراضع وراءك وراءك ويقال ان محمدا اقصف عند طاهر فبينا طاهر فى بستانه اذ ورد كتاب من محمد بخطه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلم انه ما قام لنا مذ قمنا قائم بحقنا وكان جزاؤه الا السيف فانظر لنفسك أودع قال فلم يزل والله يتبين موقع الكتاب من طاهر فلما رجع الى خراسان أخرجه الى خاصته وقال لهم والله ماهذا كتاب مضعوف ولكنه كتاب مخذول ولم يكن فيمن سلف من الخلفاء الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من أبوه وأمه من بنى هاشم الا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومحمد بن زبيدة وفى محمد بن زبيدة يقول أبو الهذيل

ملك أبوه وأمه من نبعة منها سراج الامة الوهاج
شربت بمكة من ذرى بطحائها ماء النبوة ليس فيه مزاج

وفى سنة سبع وتسعين ومائة كان ابتداؤه بالغدر بالمامون وفى سنة سبع وتسعين ومائة مات بالرقة عبد الملك بن صالح بن على فى أيام الامين وكان عبد الملك أفصح ولد العباس فى عصره يقال ان الرشيد لما اجتاز ببلاد منبج من أرض الشام نظر الى قصر مشيد وبستان مغتم بالاشجار كثير الثمار فقال لمن هذا القصر قال لك ولى بك ياأمير المؤمنين قال فكيف بناء القصر قال دون منازلك وفوق منازل الناس قال فكيف مدينتك قال عذبة الماء باردة الهواء صلبة الموطا قليلة الادواء قال كيف ليلها قال سحر كله وقال له ياأبا عبد الرحمن ما أحسن بلادكم قال فكيف لا تكون كذلك وهى تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة خضراء فيافى فسيح وجبال وصيح بين قيصوم وشيح فالتفت الرشيد الى الفضل بن الربيع فقال ضرب السياط أهون على من هذا الكلام ولما سمى محمدا ابنه الناطق بالحق وأخذ له العهد على الناس الفضل بن الربيع وزفر وموسى يومئذ لا ينطق بامر ولا يعرف حسنا ولا يعقل قبيحا ولا يخلو من الحاجة الى من يخدمه فى ليله ونهاره ويقظته وقيامه وقعوده واحضنه على بن عيسى بن ماهان قال فى ذلك رجل أعمى من أهل بغداد يعرف بعلى بن أبى طالب

اضاع الخلافة غش الوزير وفعل الامام ورأى المشير
وما ذاك الا طريقا غرور وشر المسالك طرق الغرور
فعال الخليفة اعجوبة واعجب منه فعال الوزير

واعجب من ذاوذا أننا ... نبايع للطفل فينا الصغير
ومن ليس يحسن مسح انفه ... ولم يخل من متنه حجر ظير
وما ذاك الا بباغ وغاو ... يريدان نقض الكتاب المنير
وهذان لولا انقلاب الزما ... ن فى العير هذان أم فى النفير
ولكنها فتن كالجبال ... ترفع فيها بضع الحقير

ولما قتل طاهر بن الحسين على بن عيسى بن ماهان سار فنزل حلوان وذلك على خمسة أيام من مدينة السلام فتعجب الناس من أمره وادبار أصحاب الامين وهزيمتهم فى كل حال وايقنوا بقتله وظهور المامون واسقط فى يدى الفضل بن الربيع وأصحابه فقال الشاعر

عجبت لمعشر يرجون نجحا ... لامر ماتتم به الامور
وكيف يتم ماعقدوا وراموا ... وأس بنائهم منه الفجور
أهاب الى الضلال بهم غوى ... وشيطان مواعده غرور
يصيب بهم ويلعب كل لعب ... كما لعبت بشاربها الخمور
وكادوا الحق والمأمون غدرا ... وليس بمفلح أبدا غرور
هو العدل النجيب البر فينا ... تضمن حبه منا الصدور
وعاقبة الامور له يقينا ... به شهد الشريعة والزبور
فيملك أربعين لها وفاء ... يتم به الاهلة والشهور
فكيدوا أجمعين بكل كيد ... وكيدكم له فيه السرور

وبلغ محمدا الجمع قواده عند ما ظهر من أمر طاهر وشاورهم وقال أحضروا لى غناء كم كما أحضرت خراسان لعبد الله غناءها وكانت كما قال أعشى ربيعة

ثم ماهابوا ولكن قدموا ... كبش غارات اذا لاقى نطح

أما والله لقد حدثت بحديث الامم السالفة وقرأت كتب حروبها وقصص من أقام دولها فما رأيت فى حديثهم حديثا لرجل منهم وأبى كهذا الرجل فى اقدامه وسياسته وقد قصدنى واجترأ على وتملى الهامة العظيمة من الجند ومجمع القواد وساسة الحروب فهاتوا ما عندكم فقالوا ابقى الله أمير المؤمنين ويكفيه كما كفى الخلفاء قبله بغى من بغى عليهم ولما انهزم جيش محمد بين يدى طاهر ولم يقم له قائمة منهم قال سليمان بن أبى جعفر لعن الله الغدار ماذا جلب على الامة بغدره وسوء رأيه وأبعد الله نسبه أهل الفضل لامرع ما انتصر الله للمامون بكبش المشرق وفى ذلك يقول الشاعر

تبا لذى الايام والمترندق ... ماذا دعاه الى العظيم الموثق
والغدر بالبر الزكى أخي التقى ... والسائس المامون غير الاخرق
زين الخلافة والامامة والنهى ... أهل السماحة والندى المتدفق
ان تغدروا جهلا بوارث أحمد ... ووصى كل مسدد وموافق
فالله للمامون خير موازر ... والماجد القمقام كبش المشرق

ولما أحيط بمحمد من الجانب الشرقى والغربى وكان هرثمة بن أعين نازلا مما يلى النهروان بالقرب من باب خراسان وثلاثة أبواب وطاهر من الجانب الغربى مما يلى الناشرية وباب المحول والكناس جمع قواده فقال الحمد لله الذى يضع من يشاء بقدرته ويرفع والحمد لله الذى يعطى بقدرته من يشاء ويمنع والحمد لله الذى يقبض ويبسط واليه المصير أحمد على نوائب الزمان وخذلان الاعوان وتشتت الحال وكسوف البال وصلى الله على رسوله وآله وسلم وقال انى لافارقكم بقلب موجع ونفس حزينة وحسرة عظيمة انى محتال لنفسى فاسأل الله ان يلطف بى بمعونته ثم كتب الى طاهر أما بعد فانك تنصحت فنصحت وحاربت فنصرت وقد يغلب الغالب ويخذل المفلح وقد رأيت الصلاح فى معاونة أخي والخروج اليه من هذا السلطان اذ كان أولى به وأحق فاعطنى الامان على نفسى وولدى وأمى وجدتى وحاشيتى وانصارى واخوانى أخرج اليه وهذا الامر الى أخي فان رأى الوفاء لى بامانك والا كان أولى وأحق قال فلما قرأ طاهر الكتاب قال الان ضيق خناقه وهيض جناحه وانهزم فساقه لا والذى نفسى بيده حتى يضع يده فى يدى وينزل على حكمى فعند ذلك كتب الى هرثمة يسأله النزول على حكم امانه وقد كان المخلوع جهز جماعة من رجاله من الابناء وغيرهم ممن استامن اليه لدفع المامونية عنده فمالوا نحو هرثمة وكان طاهر يمد هرثمة بالرجال ولم يلق هرثمة مع ذلك كثير كيد فلما مال من ذكرنا الى حرب هرثمة وعلى الجيش بشر وبشر الازدمان وانفض الجمع وكان طاهر قد نزل فى البستان المعروف بباب الكباش بالطاهرى ففى ذلك يقول بعض العيارين من أهل بغداد ومن أهل السجون

لنا من طاهر يوم ... عظيم الشان والخطب
علينا فيه بالانجا ... دعن هرثمة الكلب
رمنا لابى الطيب ... يوم صادق الكرب
أتاه كل كرار ... ولص كان ذا نقب
وعريان على جنبيه ... آثار من الضرب
اذا ماحل من شرق ... أتيناه من الغرب

وضاق الامر بمحمد الامين ففرق فى قواده المحدثين دون غيرهم خمسمائة ألف درهم وقارورة غالية ولم يعط قدماء أصحابه شيا فاتت طاهرا عيونه وجواسيسه بذلك فراسلهم وكاتبهم ووعدهم ومناهم وأغرى الاصاغر بالقادة حتى غضبوا لذلك وسعوا على الامين وقال بعضهم

قل لامين الناس فى نفسه ماشتت الجند سوى الغاليه
وطاهر نفسى فدا طاهر برسله والعدة الكافيه
اضحى زمام الملك فى كفه مقابلا للفئة الباغيه
قد جاءك الليث بيدانه مستكلبا فى أسد ضاريه
فاهرب فلا مهرب من مثله حقا الى النار أو الهاويه

وانتقل طاهر من الناشرية فنزل بباب الانبار وحاصر أهل بغداد وغادى القتال وراوحه حتى تواكل الفريقان وخربت الديار وعفت الآثار وغلت الاسعار وذلك فى سنة ست وتسعين ومائة وقاتل الاخ أخاه والابن أباه هؤلاء محمدية وهؤلاء مامونية وهدمت المنازل وأحرقت الديار وانتهبت الاموال فقال الاعمى فى ذلك

تقطعت الارحام بين العشائر وأسلمهم أهل التقى والبصائر
فذاك انتقام الله من خلقه بهم لما اجترموه من ركوب الكبائر
فلا نحن اظهرنا من الذنب توبة ولا نحن اصلحنا فساد السرائر
ولا نستمع من واعظ ومذكر فينجع فينا وعظ ناه وآمر
فابك على الاسلام لما تقطعت رجاه ورجى خيرها كل كافر
فأصبح بعض الناس يقتل بعضهم فمن بين مقهور عزيز وقاهر
وصار رئيس القوم يحمل نفسه وصار رئيسا فيهم كل شاطر
فلا فاجر للبر يحفظ حرمة ولا يستطيع البر دفع الفاجر
تراهم كامثال الذئاب رأت دما فامته لاتلوى على زجر زاجر
واصبح فساق القبائل بينهم تسل على اقرانها بالخناجر
فابك لقتلى من صديق ومن اخ كريم ومن جار شفيق مجاور
ووالدة تبكى بحزن على ابنها فيبكى لها من رحمة كل طائر
وذات حليل اصبحت وهى أيم وتبكى عليه بالدموع البوادر
تقول له قد كنت عزا وناصرا فغيب عنى اليوم عزى وناصرى

وابك لاحراق وهدم منازل ... وقتل وانهاب اللهى والذخائر
وابراز ربات الخدور حواسرا ... خرجن بلا خمر ولا بمآزر
تراها حيارى ليس تعرف مذهبا ... نوافر امثال الظباء النوافر
كأن لم تكن بغداد أحسن منظرا ... وملهى رأته عين لاه وناظر
بلى هكذا كانت فاذهب حسنها ... وبددمنها الشمل حكم المقادر
وحل بهم ماحل بالناس قبلهم ... فاضحوا أحاديثا البادو حاضر
ابغداد يادار الملوك ومجتبى ... صروف المنايا مستقر المنابر
ويا جنة الدنيا ويامطلب الغنى ... ومستنبط الاموال عند الضرائر
أبيني لنا أين الذين عهدتهم ... يحلون فى روض من العيش زاهر
وأين ملوك فى المواكب تغتدى ... تشبه حسنا بالنجوم الزواهر
وأين القضاة الحاكمون برأيهم ... لورد امور مشكلات الاوامر
أو القائلون الناطقون بحكمة ... ورصف كلام من خطيب وسائر
واين مراح للملوك عهدتها ... مزخرفة فيها صنوف الجواهر
ترش بماء المسك والورد أرضها ... يفوح بها من بعد ريح المجامر
وروح الندامى فيه كل عشية ... الى كل فياض كريم العناصر
ولهو قيان تستجيب لنغمها ... اذا هو لباها حنين المزامر
فما للملوك العزمن آل هاشم ... وأشياعهم فيها اكتفوا بالمغادر
يروحون فى سلطانهم وكانهم ... يروحون فى سلطان بعض العشائر
يجادل عما نالهم كبراؤهم ... فنالتهمو بالكره ايدى الاصاغر
فاقسم لو أن الملوك تناصروا ... لذلت لها خوفا رقاب الجبابر

وبعث هرثمة بن اعين بن زهير بن المسيب الضبى من الجانب الشرقى فنزل الماطر مما يلى كلواذا وغشى ما فى السفن من اموال التجار الواردة من البصرة وواسط ونصب على بغداد المنجنيقات ونزل فى رقة كلواذا والجزيرة فتأذى الناس به وصمد نحوه خلق من العيارين وأهل السجون وكانوا يقاتلون عراة فى اوساطهم السامين والميازر وقد اتخذوا الرءوسهم دواخل من الخوص وسموها الخود ودرقا من الخوص والبوارى قد قرفت وحشيت بالحصى والرمل على كل عشرة عريف وعلى كل عشرة عرفاء نقيب وعلى كل عشرة نقباء قائد وعلى كل عشرة قواد أمير ولكل ذى مرتبة من المركوب على

مقسدار ماتحت يده فالعريف له اناس مركبهم غير ماذكرنا من المقاتلة وكذلك النقيب والقائد والامير وناس عراة قد جعل فى اعناقهم الجلاجل والصوف الاحمر والاصفر ومقاود قد اتخذت ولجم من مكاس ومذاب فيأتى العريف وقد اركب واحدا وقدامه عشرة من المقاتلة على رءوسهم خود ودرق البوارى ويأتى النقيب والقائد والامير كذلك فتقف النظارة ينظرون الى حربهم مع اصحاب الخيول المعدة والجواشن والدروع والتجافيف والرماح والدرق التبتية فهؤلاء عراة وهؤلاء على ماذكرنا فكانت للعراة على زهير وأتاه المدد من هرثمة فانهزمت العراة ورمت بهم خيولهم وتحاصروا جميعا وأخذهم السيف فقتل منهم خلق وقتل من النظارة خلق فقال فى ذلك بعضهم وذكر رمى زهير بالمنجنيق

لاتقرب المنجنيق والحجرا　　وقد رأيت القتيل اذ قبرا
باكر كيلا يفوته خبر　　ولا قتيل وخلف الخبرا
ياصاحب المنجنيق مافعلت　　كفاك لم تبقيا ولم تذرا
كان دراه سوى الذى امرا　　هيهات ان يغلب الهوى القدرا

فلما ضاق الامر بالامين فى ارزاق الجند ضرب آنية الذهب والفضة سرا وأعطى رجاله وتحيز الى طاهر أهل الاباضيات مما يلى باب الانبار وباب حرب وباب قطربل فصارت الحرب فى وسط الجانب الغربى وعملت المنجنيقات بين الفريقين وكثر الحرق والهدم ببغداد والكرخ وغيره من الجانبين حتى درست محاسنها واشتد الامر وتنقل الناس من موضع الى موضع وعم الخوف فقال الشاعر

من ذا أصابك يابغداد بالعين　　ألم تكونى زمانا قرة العين
ألم يكن فيك قوم كان قربهم　　وكان مسكنهم زينا من الزين
صاح الزمان بهم بالبين فانقرضوا　　ماذا لقيت بهم من لوعة البين
استودع الله قوما ماذكرتهم　　الا تحادر ماء الدمع من عينى
كانوا ففرقهم دهر وصدعهم　　والبين يصدع ما بين الفريقين

ولم تزل الحرب بين الفريقين أربعة عشر شهرا وضاقت بغداد باهلها وتعطلت المساجد وتركت الصلاة ونزل بها مالم ينزل بها قط مثله مذ بناها المنصور وقد كان لاهل بغداد فى أيام حرب المستعين والمعتز حرب نحو هذا من حروب العيارين ويسير الى الحرب فى خمسين الف عراة ولم ينزل باهل بغداد شر من هذا الحرب حرب المأمون والمخلوع وقد

استعظم اهل بغداد مانزل بهم فى هذا الوقت فى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خروج ابى اسحق المتقى عنهم وماكان قبل الوقت من البزيديين وبورون التركى وما دفعوا اليه من الوحشة بخروج ابى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان الملقب بناصر الدولة وأخيه على بن عبد الله عليهم لبعد العهد مما حل بالمنازل بها وطول السنين وغيبة ذلك عنهم وبعدهم وتقدم مثل أولئك العيارين الذين كانوا فى ذلك العصر واشتد الامر بين المامونية والعراة وغيرهم من اصحاب المخلوع وحصر محمد فى قصره من الجانب الغربى فكان بينهم فى بعض الايام مواقعة تفانى فيها خلق كثير من الفريقين فقال ذلك حسين الخليع

امين الله ثق بالله تصيب النعم والنصره
كل الامر الى الله كلاك الله ذو القدره
رأيت الحرب احيانا علينا ولنا مره

وكانت وقعة اخرى عظيمة بشارع دار الرقيق هلك فيها خلق كثير وكثر القتل فى الطرق والشوارع ينادى هذا بالمامون والآخر بالمخلوع ويقتل بعضهم بعضا وانتهب الدار فكان الفوز لمن نجا بنفسه من رجل وامرأة بما يسلم معه الى عسكر طاهر فيامن على نفسه وفى ذلك يقول الشاعر

بكت عينى على بغداد لما فقدت غضاضة العيش الانيق
تبدلنا هموما من سرور ومن سعة تبدلنا بضيق
أصابتنا من الحسادعين فافنت اهلها بالمنجنيق
فقوم احرقوا بالنار قسرا ونائحة تنوح على غريق
وصائحة تنادى ياصحابى وقائلة تنادى ياشقيقى
وحوراء المدامع ذات دل مضمخة المجاسد بالخلوق
تنادى بالشفيق فلا شفيق وقد فقد الشفيق مع الرفيق
وقوم أخرجوا من ظل دنيا متاعهم يباع بكل سوق
ومغترب بعيد الدار ملقى بلا رأس بقارعة الطريق
بوسط من قتالهم جميعا فما يدرون من أى الفريق
فلا ولد يقيم على أبيه وقد هرب الصديق عن الصديق
ومهما أنس من شئ تولى فانى ذاكر دار الرقيق

وسأل قائد من قواد خراسان طاهرا أن يجعل له الحرب فى يوم سماه فيه ففعل طاهر له ذلك فخرج القائد وقد حقرهم وقال ما يبلغ من كيد هؤلاء ولا سلاح معهم مع ذوى الباس والنجدة والسلاح والعدة فبصر به بعض العراة وقدر اماه مدة طويلة حتى فنيت سهام القائد وظن ان العريان فنيت حجارته فرماه بحجر بقيت فى المخلاة وقد حمل عليه القائد فما أخطا عينه وثناه بحجر آخر فكاد يصرع القائد عن فرسه ووقعت البيضة عن رأسه فكر راجعا وهو يقول يا أبا طاهر ليس هؤلاء بناس هؤلاء شياطين ففى ذلك يقول أبو يعقوب الخزيمى

الكرخ اسواقه معطلة　　يستن عيارها وعابرها

خرجت الحرب بين أسواقهم　　اسود غيل علت قساورها

وقال على الاعمى

خرجت هذه الحروب رجالا　　لا لقحطان لا ولا لنزار

معشر فى جواشن الحصر يعدو　　ن الى الحرب كالليوث الضوارى

ليس يدرون ماالفرار اذا ما　　الا بطال عاروا من القنا للفرار

واحد منهم يشد على ال　　فين عريان ماله من ازار

ويقول الفتى اذا طعن الطع　　نة خذها من الفتى العيار

وتوالت الحرب وطاهر فى قوة واقبال وأصحاب المخلوع فى نقص وادبار واصحاب طاهر يهدمون ويأخذون بعض الدور وينهبون المتاع فقال رجل من الحمدية

لنا كل يوم ثلمة لانسدها　　يزيدون فيما يطلبون وننقص

اذا هدموا دارا أخذنا سقوفها　　ونحن لاخرى مثلها نتربص

يثيرون بالطبل النقيص وان بدا　　لهم وجه صيد من قريب تقنصوا

وقد أفسدوا شرق البلاد وغربها　　علينا فما ندرى الى أين نشخص

اذا حضروا قالوا بما يبصرونه　　وان لم يروا شيأ قبيحا تخرصوا

وقد رخصت قراؤنا فى قتالهم　　وما قتل المقتول الا المرخص

ولما نظر طاهر الى صبر أصحاب المخلوع على هذه الحال الصعبة قطع عنهم مواد الاقوات وغيرها من البصرة وواسط وغيرهما من الطرق فكان الخبز فى حد المامونية عشرين رطلا بدرهم وفى حد الحمدية رطل بدرهم وضاقت النفوس وأيسوا من الفرج واشتد الجوع وسر من سار الى حيز طاهر وأسف من بقى مع المخلوع وتقدم طاهر فى سائر

أصحابه من مواضع كثيرة وقصد باب الكباش فاشتد القتال وتبادرت الرءوس وعمل السيف والنار وصبر الفريقان وكان القتل فى أصحاب طاهر وفنى من العراة خلق وكان ذلك فى يوم الاحد ففى ذلك يقول الاعمى

وقعة يوم الاحد كانت حديث الابد
كم جسد أبصرته ملقى وكم من جسد
وناظر كانت له منيـــة بالرصــــد
أتاه سهـم عائر فشق جوف الكبد
وآخـــر ملتهب مثل التهاب الاسد
وقائل قـد قتلوا ألفا ولما يزد
وقائل أكثر بل مالهـم من عـدد
قلت لمطعون وفيـه طعنة لم تشـد
من أنت ياويلك يا مسكين من محمد
فقال لامن نسب دان ولا من بلد
ولا أنا للغى قا تلت ولا للرشد
ولا لشئ عاجـــل يصيرمنه فى يدى

ولمـا ضاق بمحمد الحال واشتد الحصار أمر قائدا من قواده يقال له ذريح ان يتبع أصحاب الاموال والودائع والذخائر من أهل الملة وغيرهم وقرن معه آخر يعرف بالهرش فكانا يهجمان على الناس ويأخذان بالظنة فاجتبى بذلك السبب اموالا كثيرة فهرب الناس بعلة الحج وفر الاغنياء من ذريح والهرش ففى ذلك يقول على الاعمى

اظهروا الحج ومايبغونه بل من الهرش يريدون الهرب
كم اناس اصبحوا فى غبطة ركض الليــل عليهم بالعطب

من شعر له طويل ولما عم البلاء أهل الستر اجتمع التجار بالكرخ على مكاتبة طاهر انهم ممنوعون منه ومن الخروج اليه ومغلوب على اموالهم وان العراة والباعة هم الآفة فقال بعضهم ان كاتبتم طاهرا لم تامنوا صولة المخلوع بذلك فدعوهم فان الله مهلكهم وقال قائلهم

دعوا أهل الطريق فعن قريب تنالهـم مخـاليب الهصور
فتهتك حجب اكباد شداد وشيكا ماتصـير الى القبور

فان الله مهلكهم جميعا لاسباب التمرد والفجور

وثارت العراة ذات يوم فى نحو مائة ألف بالرماح والقصب والطرادات القراطيس على رءوسها ونفخوا فى القصب وقرون البقر وغيرهم من المحمدية وزحفوا من مواضع كثيرة نحو المامونية فبعث اليهم طاهر بعدة قواد وأمراء من وجوه كثيرة واشتد الجلاد وكثر القتل وكانت للعراة على المامونية الى الظهر وكان يوم الاثنين ثم ثارت المامونية على العراة من أصحاب محمد ففرق منهم وقتل وأحرق نحو عشرة آلاف ففى ذلك يقول الاعمى

بالامير الطاهر بن الحسين — صبحونا صبيحة الاثنين
جمعوا جمعهم فثار اليهم — كل صلب القناة والساعدين
ياقتيل العراة ملقى على الشط — تطاه الخيول فى الجانبين
ما الذى كان فى يديك اذا ما — اصطلح الناس أية الخلتين
أوزيرا من — قائد بل بعيد — أنت من ذين موضع الفرقدين
كم بصير غدا بعينين كينه — ظر ماحالهم فراح بعين

واشتد الامر بمحمد المخلوع فباع مافى خزائنه سرا وفرق ذلك أرزاقا فيمن معه ولم يبق معه مايعطيهم عند مطالبتهم اياه وضيق عليه طاهر وكان نازلا بباب الانبار فى بستان هنالك فقال محمد وددت ان الله قتل الفريقين جميعا فمامنهم الاعدو من معى ومن على اما هؤلاء فيريدون مالى وأما أولئك فيريدون نفسى وقال

تفرقوا أودعونى — يامعشر الاعوان
فكلكم ذووجوه — كثيرة الالوان
وماأرى غير افك — وترهات الامانى
ولست أملك شيأ — فسائلوا اخوانى
فالويل فيما دهانى — من نازل البستان

يعنى طاهر بن الحسين ولما اشتد الامر عليه ونزل هرثمة بن أعين بالجانب الشرقى وطاهر بالجانب الغربى وبقى محمد فى مدينة أبى جعفر شاور من حضر من خواصه فى النجاة بنفسه فكل أدلى برأى وأشار بوجه فقال قائل منهم تكاتب ابن الحسين وتحلف له انك مفوض أمرك اليه لعله أن يجيبك الى ماتريده منه فقال ثكلتك أمك لقد أخطأت الرأى فى طلبى المشورة منك أمارأيت آثار رجل لايؤول الى عذر وهل كان المامون

لو اجتهد لنفسه وتولى الامر برأيه بالغاعشر ما بلغه له طاهر ولقد دسست وخصت عن رأيه فما رأيته يطلب تأثيل المكارم وبعد الصيت والوفاء فكيف أطمع فى استدلاله بالاموال وفى غدره والاعتماد فى عقله ولو قد أجاب الى طاعتى وانصرف الى ثم ناصبنى جميع الترك والديلم ما اهتممت بمناصبتهم ولكنت كما قال أبو الاسود الدؤلى فى الازد عند أجارتها زيادا ابن أبيه

فلما رأيتم يطلبون وزيره وساروا اليه بعد طول تمادى
أتى الازد اذ خاف الذى لا بقاله عليه وكان الرأى رأى زياد
فقالوا له أهلا وسهلا ومرحبا أصبت فكاشف من أردت وعاد
فاصبح لا يخشى من الناس كلهم عدوا ولو مالوا بقوة عاد

والله لوددت أنه أجاب الى ذلك فأبحته خزائنى وفوضت اليه ملكى ورضيت بالمعاش تحت يديه ولا أظننى مفلته ولو كانت ألف نفس فقال السندى صدقت يا أمير المؤمنين ولو انك أبو الحسين بن مصعب ما استقال فقال محمد وكيف لنا بالخلاص الى هرثمة ولات حين مناص وراسل هرثمة ومال الى جنبته فوعده هرثمة بكل ما أحب وانه يمنعه ممن يريد قتله وبلغ ذلك طاهرا فاشتد عليه وزاد غيظه وحنقه ووعده هرثمة ان يأتيه فى حراقة الى مشرعة باب خراسان فيصير به الى عسكره ومن أحب فلما هم محمد بالخروج فى تلك الليلة وهى ليلة الخميس لخمس ليال بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة دخل اليه الصعاليك من أصحابه وهم فتيان الابناء والجند فقالوا له يا أمير المؤمنين ليس معك من ينصحك ونحن سبعة آلاف رجل مقاتلة وفى اصطبلك سبعة آلاف فرس ونفتح بعض أبواب المدينة ونخرج فى هذه الليلة فما يقدم علينا أحد الى ان نصير الى بلد الجزيرة وديار ربيعة فنجبى الاموال ونجمع الرجال ونتوسط الشام وندخل مصر ويكثر الجيش والمال وتعود الدولة مقبلة جديدة فقال هذا والله الرأى فعزم على ذلك وهم به وجنح اليه وكان لطاهر فى جوف دار الامين غلمان وخدم من خاصة الامين يبعثون اليه بالاخبار ساعة فساعة فخرج الخبر الى طاهر من وقته فخاف طاهر وعلم أنه الرأى ان فعله فبعث الى سليمان بن أبى جعفر والى ابن نهيك والسندى بن شاهك وكانوا معه الامين ان لم تزيلوه عن هذا الرأى لاخربن ضياعكم وأزيل نعمكم وأتلف نفوسكم فدخلوا على الامين فى ليلتهم فازالوه عن ذلك الرأى وأتاه هرثمة فى الحراقة الى باب خراسان ودعا الامين بفرس يقال له الزهيرى أغر محجل أدهم محذوف ودعا الامين بابنيه موسى

وعبد الله فعانقهما وشمهما وبكى وقال الله خليفتي عليكم فلست أدرى ألتقى معكما بعدها أولا وعليه ثياب بيض وطيلسان أسود وقدامه شمعة حتى أتى باب خراسان الى المشرعة والحراقة قائمة فنزل ودخل الحراقة فقبل هرثمة بين عينيه وقد كان طاهر نمى اليه خروجه فبعث بالرجال من الهرزية وغيرهم والملاحين في الزوارق وعلى الشط فدفعت الحراقة ولم يكن مع هرثمة عدة من رجاله فاتى أصحاب طاهر عراة فغاصوا تحت الحراقة فانقلبت بمن فيها فلم يكن لهرثمة شاغل الا بخشاشة نفسه فتعلق بزورق وصعد اليه من الماء ومضى الى عسكره الى الجانب الشرقي وشق محمد ثيابه عن نفسه وسبح فوقع نحو العراة الى عسكر قرين الديراني غلام طاهر فاخذه بعض السواس حين شم منه رائحة المسك والطيب فاستأذن فيه طاهرا فاتاه الاذن في الطريق وقد حمل الى طاهر فقتل في الطريق وهو يصيح انا لله وانا اليه راجعون أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخو المأمون والسيوف تأخذه حتى بردو أخذوا رأسه وكانت ليلة الاحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة (وذكر) أحمد بن سلام وقد كان مع الامين في الحراقة حين أصيب فسبح فقبض عليه بعض أصحاب طاهر وأراد قتله فارغبه في عشرة آلاف درهم وانه يحملها اليه في صبيحة تلك الليلة قال فادخلت بيتا مظلما فبينا أنا كذلك اذ دخل على رجل عريان عليه سراويل وعمامة متلثما بها وعلى كتفه خرقة فجعلوه معي وتقدموا الى من في حفظنا فلما استقر في البيت حسر العمامة عن وجهه فاذا هو محمد فاستعبرت واسترجعت فيما بيني وبين نفسي وجعل ينظر الى ثم قال أيهم أنت قلت أنا مولاك ياسيدى فقال وأى الموالى أنت قلت أحمد بن سلام قال وأعرفك بغير هذا كنت تأتيني بالرقة قلت نعم ثم قال يا أحمد قلت لبيك ياسيدى قال ادن منى وضمني اليك فاني أجد وحشة شديدة قال فضممته الى فاذا قلبه يخفق خفقا ناشديدا ثم قال أخبرني عن أخي المامون أحي هو قلت له فهذا القتال عمن اذن قال فبحهم الله ثم قال ذكروا انه مات قلت قبح الله وزراءك فهم أوردوك هذا المورد فقال لي يا أحمد ليس هذا موضع عتاب فلا تقل في وزرائى الا الخير افما لهم ذنب ولست باول من طلب أمرا فلم يقدر عليه قلت البس ازارك هذا وارم بهذه الخرقة التى عليك فقال يا أحمد من كان حاله مثل حالى فهذه له كثير ثم قال لي يا أحمد ما أشك أنهم سيحملوني الى أخي افترى اخي قاتلي قلت كلا ان الرحم ستعطفه عليك فقال لي هيهات الملك عقيم لا رحم له فقلت له ان امان هرثمة امان اخيك قال فلقنته الاستغفار وذكر الله فبينا نحن كذلك اذ فتح باب البيت

فدخل علينا رجل عليه سلاح فاطلع فى وجه محمد مستثبتا له فلما اثبته معرفة خرج واغلق الباب واذا هو محمد الطاهرى قال فعلمت ان الرجل مقتول وقد كان بقى على من صلاتى الوتر فخفت ان اقتل معه ولم اوتر فقمت لاوتر فقال لى يا احمد لا تبعد منى وصل بقربى فانى اجد وحشة شديدة فدنوت منه فقل ما لبثنا حتى سمعنا حركة الخيل ودق باب الدار ففتح الباب فاذا قوم من العجم بايديهم السيوف مصلتة فلما أحس بهم محمد قام قائما وقال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسى فى سبيل الله اما من حيلة اما من مغيث وجاؤا حتى قاموا على باب البيت الذى نحن فيه وجعل بعضهم يقول تقدم ويدفع بعضهم بعضا فاخذ محمد بيده وسادة وجعل يقول انا ابن عم رسول الله انا ابن هرون الرشيد انا اخو المامون الله الله فى دمى فدخل عليه رجل منهم مولى لطاهر فضربه ضربة فى مقدم راسه وضرب محمد وجهه بالوسادة التى كانت فى يده واتكأ عليه لياخذ السيف من يده فصاح بالفارسية قتلنى الرجل فدخل منهم جماعة فنخسه احدهم بسيفه فى خاصرته وكبوه فذبحوه من قفاه واخذوا راسه ومضوا به الى طاهر وقد قيل فى كيفية قتله غير هذا وقد اتينا على التنازع فى ذلك فى الكتاب الاوسط واتى بخادمه كوثر فنصب على باب من ابواب بغداد يعرف بباب الحديد نحو قطربل فى الجانب الغربى الى الظهر ودفنت جثته فى بعض تلك البساتين ولما وضع راس الامين بين يدى طاهر قال اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير وحمل الراس الى خراسان الى المامون فى منديل والقطن عليه والاطلية فاسترجع المامون وبكى واشتد تاسفه عليه فقال له الفضل بن سهل الحمد لله يا امير المؤمنين على هذه النعمة الجليلة فان محمدا كان يتمنى ان يراك بحيث رايته فامر المامون بنصب الراس فى صحن الدار على خشبة واعطى الجند وامر كل من قبض رزقه ان يلعنه فكان الرجل يقبض ويلعن الراس فقبض بعض العجم عطاءه فقيل له العن هذا الراس فقال لعن الله هذا والعن والديه وادخلهم فى كذا وكذا من امهاتهم فقيل له لعنت امير المؤمنين وذلك بحيث يسمعه المامون منه وتغافل وامر بحط الراس وترك ذلك المخلوع وطيب الراس وجعله فى سفط ورده الى العراق مع جثته ورحم الله اهل بغداد وخلصهم مما كانوا فيه من الحصار والجزع والقتل ورثاه الشعراء وقالت زبيدة ام جعفر

اودى بالفين من لم يترك الناسا ... فامنح فؤادك عن مقتولك الباسا

لما رايت المنايا قد قصدن له أصبن منه سواد القلب والراسا
فبت متكئا ارعى النجوم له اخال سنته فى الليل قرطاسا
والموت كان به والهم قارنه حتى سقاه التى أودى بها الكاسا
رزئته حين باهيت الرجال به وقد بنيت به للدهر آساسا
فليس من مات مردودا لنا أبدا حتى يرد علينا قبله ناسا

ورثته زوجته لبابة ابنة على بن المهدى ولم يكن دخل بها فقالت

ابكيك لا للنعيم والانس بل للمعالى والسيف والترس
ابكى على سيد فجعت به ارملنى قبل ليلة العرس
ياما لكا بالعراق مطرحا خانته أشراطه مع الحرس

ولما قتل محمد دخل الى زبيدة بعض خدمها فقال ما يجلسك وقد قتل أمير المؤمنين محمد فقالت ويلك وما اصنع فقال تخرجين فتطلبين بثاره كما خرجت عائشة تطالب بدم عثمان فقالت اخسا لا أم لك ما للنساء وطلب الثار ومنازلة الابطال ثم أمرت بثيابها فسودت ولبست مسحا من شعر ودعت بدواة وقرطاس وكتبت الى المامون

لخير امام قام من خير عنصر وأفضل راق فوق أعواد منبر
واورث علم الاولين وفخرهم وللملك المامون من أم جعفر
كتبت وعينى تستهل دموعها اليك ابن عمى مع جفونى ومحجرى
أصبت بادنى الناس منك قرابة ومن زال عن كبدى فقل تصبرى
أتى طاهر لا طهر الله طاهرا وما طاهر فى فعله بمطهر
فابرزنى مكشوفة الوجه حاسرا وأنهب أموالى وأخرب أدؤرى
يعز على هرون ماقد لقيته ومانالنى من ناقص الخلق أعور
فان كان ماأسدى لأمر أمرته صبرت لامر من قدير مقدر

فلما قرأ المامون شعرها بكى ثم قال اللهم انى أقول كما قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه لما بلغه قتل عثمان والله ما أمرت ولا رضيت اللهم جلل قلب طاهر حزنا (قال المسعودى) وللمخلوع أخبار وسير غير ماذكرنا قد أتينا عليها فى كتابينا فى اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط والله سبحانه ولى التوفيق

ذكر خلافة المامون

وبويع المامون عبدالله بن هرون وكنيته أبو جعفر وامه باذغيسية واسمها مراجل

وقيل كنيته أبو العباس وهو ابن ثمان وعشرين سنة وشهرين وتوفي بالبليدون على عين العشيرة وهي عين يخرج منها النهر المعروف بالبديدون وقيل ان اسمها بالرومية أيضا رقة وحمل الى طرسوس فدفن بها على يسار المسجد سنة ثماني عشرة ومائتين وهو ابن تسع وأربعين سنة فكانت خلافته احدى وعشرين سنة منها أربعة عشر شهرا كان يحارب اخاه محمد بن زبيدة على ماذكرناو قيل سنتان وخمسة أشهر وكان أهل خراسان في تلك الحروب يسلمون عليه بالخلافة ويدعى له على المنابر في الامصار والحرمين والكور والسهل والجبل مماحواه طاهر وغلب عليه ويسلم على محمد بالخلافة من كان ببغداد خاصة لاغيرها

﴿ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه ﴾

وغلب على المأمون الفضل بن سهل حتى ضايقه في جارية أراد شراءها فقتله وادعى قوم ان المأمون دس عليه من قتله ثم سلم عليه الوزراء بعد ذلك منهم أحمد بن خالد الاحول وعمرو بن مسعدة وأبو عبادة وكل هؤلاء سلم عليهم برسم الوزارة ومات عمرو بن مسعدة سنة سبع عشرة ومائتين فعرض لماله ولم يعرض لمال وزير غيره وغلب على المأمون آخر الفضل بن مروان ومحمد بن يزداذ وفي خلافته قبض علي بن موسى الرضا مسموما بطوس ودفن هنالك وهجا المامون ابراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة عمه وكان المأمون يظهر التشيع وابن شكلة التسنن فقال المأمون

اذا المرجي سرك ان تراه ... يموت لحينه من قبل موته
فجدد عنده ذكرى علي ... وصل على النبي وآل بيته

فاجابه ابراهيم رادا عليه

اذا الشيعي جمجم في مقال ... فسرك أن يبوح بذات نفسه
فصل على النبي وصاحبيه ... وزيريه وجاريه برمسه

ولابراهيم بن المهدي مع المامون أخبار حسان هي موجودة في كتاب الاخبار لابراهيم بن المهدي (ودخل) أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي على المامون فقال له ياقاسم ماأحسن أبياتك في صفة الحرب ولذاذتك بها وزهدك في المغنيات قال ياأمير المؤمنين أي أبيات هي قال قولك

لسل السيوف وشق الصفوف ... ونقض التراب وضرب القلل

قال ثم ماذا ياقاسم قال

ولبس العجاجة والخافقات ⁂ تريك المنايا بروس القلل
وقد كشفت عن سناها هناك ⁂ كأن عليهم شروق الطفل
خروس نطوق اذا استنطقت ⁂ جهول يطيش على من جهل
اذا خطبت أخذت مهرها ⁂ وزير السعافط بين القلل
ألذ وأشهى من المسمعات ⁂ وشرب المدامة فى يوم طل
انا ابن الحمام وترب الصفاح ⁂ وترب المنون وترب الاجل

ثم قال ياأمير المؤمنين هذه لذتى مع أعدائك وقوتى مع أوليائك ويدى معك ولئن استلذ مستلذ شيا من يد المعاقرة ملت الى المقادمة والمحاربة قال ياقاسم اذا كان هذا النمط من الاشعار شانك واللذة لذتك فماذا تركت للوسنان مما خلفت واظهرت له من قليل ماسترت قال ياأمير المؤمنين وأى أشعارى قال حيث تقول

أيها الراقد المؤرق عينى ⁂ نم هنيئا لك الرقاد اللذيذ
علم الله ان قلبى مما ⁂ قد جنت وجنتاك فيه وقيذ

قال ياأمير المؤمنين سهرة بعد سهرة غلبت وذلك متقدم وهذا ظن متاخر قال ياقاسم ماأحسن ماقال صاحب هذين البيتين

أذم لك الايام فى ذات بيننا ⁂ وما لليالى فى الذى بيننا عذر
اذا لم يكن بين المحبين زورة ⁂ سوى ذكر شئ قد مضى درس الفكر

فقال أبو دلف ماأحسن ماقال ياأمير المؤمنين هذا السيد الهاشمى والملك العباسى قال وكيف أدتك الفطنة ولم تداخلك الظنة حتى تحققت انى صاحبهما ولم يداخلك الشك فيهما قال ياأمير المؤمنين انما الشعر بساط صوف فمن خلط الشعر بنقى الصوف ظهر رونقه عند التصنيف ونار ضوءه عند التاليف وكان المامون يقول يغتفر كل شئ الا القدح فى الملك وافشاء السر والتعريض للحرم وقال المامون أخر الحرب ما استطعت فان لم تجد منها بدا فاجعلها فى آخر النهار وذكر انه من كلام أنوشروان وكان المامون يقول أعيت الحيلة فى الامر اذا أقبل ان يدبر واذا أدبر أن يقبل ولما أتى الملك للمامون قال هذا جسيم لولا أنه عديم وهذا ملك لولا ان بعده هلك وهذا سرور لولا أنه غرور وهذا يوم لوكان يوثق بعده وكان المامون يقول البشر منظر مونق وخلق مشرق وزراع للقلوب ومحل مالوف وفضل متشر وثناء بسط وتحف الاحرار وذرع رحيب وأول الحسنات وذريعة الى الجاه وأحمد للشيم وباب لرضا العامة

ومفتاح لمحبة القلوب وكان المامون يقول سادة الناس فى الدنيا الاسخياء وفى الآخرة الانبياء وان الرزق الواسع لمن لا يسمع منه بمنزلة طعام على هراب النحل لوكان طريقا ماسلكته ولوكان قميصا مالبسته (وحضر) المامون املا كالبعض أهل بيته فساله من حضر ان يخطب فقال الحمد لله المحمود الله والصلاة على المصطفى رسول الله وخير ماعمل به كتاب الله قال الله تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ولولم يكن فى المناكحة آية محكمة ولا سنة متبعة الاما جعل الله وذلك من تاليف البعيد والقريب لسارع اليه الموفق المصيب وبادر اليه العاقل النجيب وفلان من قد عرفتموه فى نسب لم تجهلوه خطب اليكم فتاتكم فلانة وبذل من الصداق كذا وكذا افشفعوا شافعنا وانكحوا اخاطبنا وقولوا خيرا تحمدوا عليه وتؤجروا وأقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم (وذكر) ثمامة ابن أشرس قال كنا يوما عند المامون فدخل يحيي بن اكثم وكان قد ثقل عليه موضعى منه فتذاكرنا شيا من الفقه فقال يحيي فى مسئلة دارت هذا قول عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عمر وجابر قلت أخطؤا كلهم وأغفلوا وجه الدلالة فاستعظم منى ذلك وأكبره وقال ياأمير المؤمنين ان هذا يخطئ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم فقال المامون سبحان الله أكذا يا ثمامة قلت ياأمير المؤمنين ان هذا لا يبالى ماقال ولا ماشنع به ثم اقبلت عليه فقلت ألست تزعم ان الحق فى واحد عند الله عز وجل قال نعم قلت فزعمت ان تسعة اخطؤا واصاب العاشر وقلت انا اخطأ العاشر فاانكرت قال فنظر المامون الى وتبسم وقال لم يعلم أبو محمد انك تجيب هذا الجواب قال يحيي وكيف ذلك قلت ألست تقول ان الحق فى واحد قال بلى قلت فهل يخلى الله عز وجل هذا الحق من قائل يقول به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قلت أفليس من يخالفه ولم يقل به فقد أخطا عندك الحق قال نعم قلت وقد دخلت فيما عبت وقلت بما أنكرت وبه شنعت وأنا أوضح دلالة منك لانى خطاتهم فى الظاهر وكل مصيب عند الله الحق وانما خطاتهم عند الخلاف وأدتنى الدلالة الى قول بعضهم فخطات من خالفنى وأنت خطات من خالفك فى الظاهر وعند الله عز وجل (وقدم) وفد الكوفة الى بغداد فوقفوا للمأمون فاعرض عنهم فقال شيخ منهم ياأمير المؤمنين يدك احق يد بتقبيل لعلوها فى المكارم وبعدها من المآثم وأنت يوسفى العفو فى قلة التثريب من أرادك بسوء جعله الله حصيد سيفك وطريد خوفك وذليل دولتك فقال ياعمرو نعم الخطيب

خطيبهم اقض حوائجهم (وذكر ثمامة) بن اشرس قال بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة ممن يذهب الى قول مانى ويقول بالنور والظلمة من أهل البصرة فامر بحملهم اليه بعد ان سموا واحدا واحدا فلما جمعوا نظر اليهم طفيلى فقال ما اجتمع هؤلاء الالصنيع فدخل فى وسطهم ومضى معهم ولا يعلم بشأنهم حتى صار بهم الموكلون الى السفينة فقال الطفيلى نزهة لاشك فيها فدخل معهم السفينة فما كان باسرع من ان جئ بالقيود فقيد القوم والطفيلى معهم فقال الطفيلى بلغ من تطفيلى الى القيود ثم أقبل على الشيوخ فقال فديتكم ايش أنتم قالوا بل ايش أنت ومن أنت من اخواننا قال والله ماأدرى غير انى رجل طفيلى خرجت فى هذا اليوم من منزلى فلقيتكم فرأيت منظرا جميلا وعوارض حسنة وبزة ونعمة فقلت شيوخ وكهول وشباب جمعوا الوليمة فدخلت فى وسطكم وحاذيت بعضكم كان فى جملة أحدكم فصرتم الى هذا الزورق فرأيته قد فرش بهذا الفرش ومهد ورأيت سفرا مملوءة وجربا وسلالا فقلت نزهة يمضون اليها الى بعض القصور والبساتين ان هذا اليوم مبارك فابتهجت سرورا اذجاء هذا الموكل بكم فقيدكم وقيدنى معكم فورد على ماقد أزال عقلى فاخبرونى ماالخبر فضحكوا منه وتبسموا وفرحوا به وسروا ثم قالوا الآن قد حصلت فى الاحصاء وأوثقت فى الحديد وأما نحن فمانية غمز بنا الى المامون وسندخل اليه ويسائلنا عن احوالنا ويستكشفنا عن مذهبنا ويدعونا الى التوبة والرجوع عنه بامتحاننا بضروب من المحن منها اظهار صورة مانى لنا ويامرنا ان نتفل عليها ونتبرأ منها ويامرنا بذبح طائر ماء وهو الدرج فمن أجابه الى ذلك نجا ومن تخلف عنه قتل فاذا دعيت وامتحنت فاخبر عن نفسك واعتقادك على حسب ماتؤديك الدلالة الى القول به وأنت زعمت انك طفيلى والطفيلى يكون معه مداخلات وأخبار فاقطع سفرنا هذا الى مدينة بغداد بشئ من الحديث وأيام الناس فلما وصلوا الى بغداد وادخلوا على المامون جعل يدعو باسمائهم رجلا رجلا فيسأله عن مذهبه فيخبر بالاسلام فيمتحنه ويدعوه الى البراءة من مانى ويظهر له صورته ويامره ان يتفل عليها والبراءة منها وغير ذلك فيأبون فيمرهم على السيف حتى بلغ الى الطفيلى بعد فراغه من العشرة وقد استوعبوا عدة القوم فقال المأمون للموكلين من هذا قالوا والله ماندرى غير انا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال له المأمون ماخبرك قال أمير المؤمنين امرأتى طالق ان كنت اعرف من أقوالهم شيأ وانما انا رجل طفيلى وقص عليه خبره من أوله الى

آخر دفضحك المأمون ثم اظهر له الصورة فلعنها وتبرأ منها وقال اعطو فيها حتى اساح عليها والله ماادرى ماماني ايهوديا كان أم مسلما فقال المأمون يؤدب على فرط تطفله ومخاطرته بنفسه (وكان) ابراهيم بن المهدى قائما بين يدى المأمون فقال ياأمير المؤمنين هب لى ذنبه واحدثك بحديث عجيب فى التطفيل عن نفسى قال قل ياابراهيم قال ياأمير المؤمنين خرجت يوما فررت فى سكك بغداد متطرفا حتى انتهيت الى موضع فشممت رائحة أبازير من جناح فى دار عالية وقدور قد فاح قتارها فتاقت نفسى اليها فوقفت على خياط فقلت لمن هذه الدار فقال لرجل من التجار من البزازين قلت مااسمه قال فلان بن فلان فرفعت طرفى الى الجناح فاذا فيه شباك فنظرت الى كف قد خرج من الشباك ومعصم مارأيت أحسن منهما قط فشغلنى ياأمير المؤمنين حسن الكف والمعصم عن رائحة القدور فبقيت باهتا قد ذهل عقلى ثم قلت للخياط هو ممن يشرب النبيذ قال نعم وأحسب ان عنده اليوم دعوة ولا ينادم الا تجارا مثله فانا كذلك اذ اقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب فقال لى الخياط هذان منادماه قلت مااسماهما وما كناهما فقال فلان وفلان فحركت دابتى حتى دخلت بينهما وقلت جعلت فداكما قد استبطأكما ابو فلان اعزه الله وسايرتهما حتى انتهينا الى الباب فقدمانى فدخلت ودخلا فلما رآنى صاحب المنزل لم يشك الا أنى منهما بسبيل فرحب وأجلسنى فى أجل موضع فجىء ياأمير المؤمنين بالمائدة وعليها خبز نظيف واتينا بتلك الالوان فكان طعمها اطيب من رائحتها فقلت فى نفسى هذه الالوان قد أكلتها وبقى الكف والمعصم ثم رفع الطعام فغسلنا أيدينا ثم صرنا الى مجلس المنادمة فاذا أنبل مجلس وأجل فرش وجعل صاحب المجلس يلطف بى ويقبل على بالحديث والرجلان لا يشك كان انه منى بسبيل وانما كان ذلك الفعل منه بى لما ظن انى منهما بسبيل حتى اذا شربنا أقداحا خرجت علينا جارية تتثنى كانها غصين بان فسلمت غير خجلة وهيئت لها وسادة وأتى بعود فوضع فى حجرها فجسته فتبينت الحذق فى جسها ثم اندفعت تغنى

توهمها طرفى فآلم خدها * فصار مكان الوهم من نظرى أثر
وصافحها كفى فآلم كفها * فمن لمس كفى فى أناملها عقر
ومرت بقلبى خاطرا فجرحتها * ولم أر شيا قط يجرحه الفكر

فهيجت والله ياأمير المؤمنين على بلابلى وطربت لحسن غنائها وحذقها ثم اندفعت تغنى

اشرت اليها هل علمت مودتى * فردت بطرف العين انى على العهد

فحدت عن الاظهار عمد السرها * وحادت عن الاظهار أيضا على عمد

فصحت السلاح وجاءنى من الطرب مالا املك معه النفس ولا الصبر واندفعت تغنى

أليس عجيبا ان بيتا يضمنى * واياك لا نخلو ولا نتكلم

سوى أعين تشكو الهوى بجفونها * وترجيع احشاء على النار تضرم

اشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسير اجفان وكف يسلم

فحسدتها والله ياأمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء واصابتها معنى الشعر وانها لم تخرج من الفن الذى ابتدأته فقلت بقى عليك ياجارية شىء فغضبت وضربت بعودها الارض ثم قالت متى كنتم تحضرون مجالس البغضاء فندمت على ما كان منى ورأيت القوم قد تغيروا فقلت أليس ثم عود قالوا بلى ياسيدنا فاتيت بعود فاصلحت من شانه ما اردت واندفعت اغنى

ماللمنازل لايجبن حزينا * اصممن أم بعد المدى فبلينا

راحوا العشية روحة مذكورة * ان متن متن وان حيين حيينا

فما استتمته جيدا حتى خرجت الجارية فاكبت على رجلى تقبلها وهى تقول المعذرة والله لك ياسيدى فاسمعت من يغنى هذا الصوت مثلك وقام مولاها وكل من كان عنده فصنعوا كصنعها وطرب القوم واستحثوا الشرب فشربوا بالطاسة ثم اندفعت اغنى

أبالله هل تمسين لاتذكرينى * وقد سجمت عيناى من ذكرك الدما

الى الله أشكو بخلها وسماحتى * لها عسل منى وتبذل علقما

فردى مصاب القلب أنت قتلته * ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما

الى الله أشكو أنها أجنبية * وانى لها باود ماعشت مكرما

فجاء من طرب القوم ياأمير المؤمنين ماخشيت ان يخرجوا من عقولهم فامسكت ساعة حتى اذا هدأ القوم اندفعت أغنى الثالثة

هذا محبك مطوى على كمده * صب مدامعه تجرى على جسده

له يد تسال الرحمن راحته * مما به ويد أخرى على كبده

يامن رأى كلفا مستهترا أسفا * كانت منيته فى عينه ويده

فجعلت الجارية ياأمير المؤمنين تصيح السلاح هذا والله الغناء يامولاى وسكر القوم وخرجوا من عقولهم وكان صاحب المنزل جيد الشراب ونديما دونه فامر غلمانه مع

غلمانهم بحفظهم وصرفهم الى منازلهم وخلوت معه فشربنا اقداحا ثم قال ياسيدى ذهب والله ماخلا من أيامى باطلا اذ كنت لا اعرفك فمن أنت يامولاى ولم يزل يلح على حتى أخبرته فقبل رأسى وقال ياسيدى وانى أعجب ان يكون هذا الادب الا لمثلك واذا أنا منذ اليوم مع الخلافة ولا اعلم وسالنى عن قصتى وكيف حملت نفسى على مافعلته فاخبرته خبر الطعام والكف والمعصم فقال يافلانة لجارية له قولى لفلانة تنزل فجعل ينزل الى جواريه واحدة واحدة فانظر الى كفها وأقول ليس هى حتى قال والله مابقى غير امى وأختى ولانزلنهما اليك فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت له جعلت فداك ابدأ بالاخت قبل الام فعسى ان تكون صاحبتى فقال صدقت ففعل فلما رأيت كفها ومعصمها قلت هى هى جعلت فداك فامر غلمانه من فوره فصاروا الى عشرة مشايخ من جلة جيرانهم فاحضروا وجيء ببدرتين فيهما عشرون ألف درهم ثم قال هذه اختى فلانة وانا اشهدكم انى قدزوجتها من سيدى ابراهيم بن المهدى وامهرتها عنه عشرين ألف درهم فرضيت وقبلت النكاح ودفعت اليها البدرة الواحدة وفرقت الاخرى على المشايخ وقلت لهم اعذروني بهذا الذى حضر فى الوقت فقبضوها وانصرفوا ثم قال ياسيدى امهد لك بعض البيوت تنام مع اهلك فاحشمنى والله ياامير المؤمنين مارايت من كرمه وسعة صدره فقلت بل احضر عمارية واحملها الى منزلى فقال افعل ماشئت فاحضرت عمارية وحملتها الى منزلى فوحقك ياامير المؤمنين لقد حمل الى من الجهاز ماضاق عنه بعض دورى فتعجب المامون من كرم ذلك الرجل واطلق الطفيلى واجازه بجائزة حسنة وامر ابراهيم باحضار ذلك الرجل فصار يعد من خواص المامون واهل مودته ولم يزل معه على افضل الاحوال السارة فى المنادمة وغيرها (وذكر) المبرد وثعلب قالا كان كلثوم العتابى واقفا بباب المامون فجاء يحيى بن اكثم فقال له العتابى ان رأيت ان تعلم أمير المؤمنين بمكانى قال لست بحاجب قال قدعلمت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بى غير طريقى قال ان الله قد الحقك بجاه ونعمة منه فهما مقيمان عليك بالزيادة ان شكرت وبالتغيير ان كفرت وانا لك اليوم خير منك لنفسك ادعوك لما فيه زيادة نعمتك وأنت تابى ذلك ولكل شىء زكاة وزكاة الجاه بذله للمستعين فدخل يحيى فاخبر المامون بالخبر فادخل اليه العتابى وفى المجلس اسحق بن ابراهيم الموصلى فامره بالجلوس واقبل يساله عن أحواله وشانه فيجيبه بلسان ناطق فاستظرفه المامون واخذ فى مداعبته فظن الشيخ انه قد استخف به فقال

ياأمير المؤمنين الايناس قبل الابساس فاشتبه عليه قوله فنظر الى اسحق ثم قال نعم ألف دينار فاتى بها فوضعت بين يدى العتابى ثم دعا الى المفاوضة وأغرى المامون اسحق بالعبث به فاقبل اسحق يعارضه فى كل باب يذكره ويزيد عليه فعجب منه وهو لا يعلم أنه اسحق ثم قال اياذن أمير المؤمنين فى مسئلة هذا الرجل عن اسمه ونسبه فقال العتابى من أنت وما اسمك قال أنا من الناس واسمى كل بصل فقال له العتابى اما النسبة فقد عرفت واما الاسم فمنكر وما كل بصل من الاسماء فقال له اسحق ما أقل انصافك وما كلثوم والبصل اطيب من الثوم قال العتابى قاتلك الله ما أملحك ما رأيت كالرجل حلاوة افياذن امير المؤمنين فى صلته بما وصانى به فقد والله غلبنى فقال له المامون بل ذلك موفر عليك ونامر له بمثله فانصرف اسحق الى منزله ونادمه بقية يومه وكان العتابى من أرض جند قنسرين والعواصم وسكن الرقة من ديار مصر وكان من العلم والقراءة والادب والمعرفة والترسل وحسن النظم للكلام وكثرة الحفظ وحسن الاشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان وملوكية المجالسة وبراعة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجودة الحفظ وصحة القريحة على مالم يكن كثير من الناس فى عصر مثله وذكر انه قال كاتب الرجل لسانه وحاجبه وجهه وجليسه كله ونظم فى ذلك شعرا فقال

لسان الفتى كاتبه ووجه الفتى حاجبه
وندمانه كله وكل له واجبه

وذكر عنه انه قال اذا وليت عملا فانظر من كاتبك فانما يعرف مقدارك من بعدعنك بكاتبك واستعقل حاجبك فانما يقضى عليك الوفود قبل الوصول اليك بحاجبك واستكرم واستظرف جليسك ونديمك فانما يؤذن للرجل بمن معه (وقد فاخر) كاتب نديما فقال الكاتب انا معونة وانت مؤنة وانا للجد وانت للهزل وانا للشدة وأنت للذة وانا للحرب وانت للسلم فقال النديم انا للنعمة وأنت للنقمة وأنا للحظوة وانت للمهنة وتقوم وأجلس وتحتشم وأنا مؤنس تدأب لحاجتى وتشقى بما فيه سعادتى وأنا شريك وأنت معين وأنا تابع وأنت قرين وانما سميت نديما للندم على مفارقتى * وللعتابى اخبار حسان وتصنيفات ملاح فى ذكرها خروج عما اليه قصدنا ونحوه يممنا وانما ذكرنا عنه هذه الفصول لتغلغل الكلام بنا اليها وتشعبه نحوها (وحكى) الجوهرى عن العتبى عن عياش الزيدى قال رفع رجل قصة الى المامون وسأله أن ياذن له فى الدخول عليه والاستماع منه فاذن له فدخل فسلم فقال له المامون تكلم بحاجتك

قال أخبر أمير المؤمنين ان مصائب الدهر وأعاجيب الايام قصدتني فاخذت مني ما كانت الدنيا أعطتني فلم تبق لي ضيعة الاخربت ولا نهر الا أبدى ولا منزل الا تهدم ولا مال الا ذهب وقد أصبحت لا أملك سبدا ولا لبدا وعلي دين كثير ولي عيال اطفال وصبية صغار وأنا شيخ كبير قد قعدت بي المطالب وكبرت عني المكاسب بي حاجة الى نظر أمير المؤمنين وعطفه قال فبينما هو في الكلام اذ ضرط فقال وهذا يا أمير المؤمنين من عجائب الدهر ومحنته ولا والله ما ظهر مني قط الا في موضعه فقال المامون لجلسائه ما رأيت قط أقوى قلبا ولا أربط جاشا ولا أشد تفسا من هذا الرجل ثم أمر له بخمسين ألف درهم * قال أبو العتاهية وجه الى المامون يوما فصرت اليه فالفيته مطرقا متفكرا مغموما فاحجمت فاطرق مليا ثم رفع رأسه فقال يا اسمعيل شان النفس المال وحب الاستطراف والانس بالوحدة كما تانس بالالف قلت أجل يا أمير المؤمنين ولي من هذا بيت شعر قال وما هو قلت

لا تصلح النفس ذ كانت مطرفة * الا التنقل من حال الى حال

قال أحسنت زدني فقلت لا أقدر على ذلك وآنسته بقية يومه وأمر لي بمال فانصرفت. (ويحكى) أن المامون أمر بعض خواصه من خدمه أن يخرج فلا يرى أحدا في الطريق الا أتى به كائنا من كان من رفيع أو خسيس فاتاه برجل من العامة فدخل وعنده المعتصم أخوه ويحيي بن أكثم ومحمد بن عمر الرومي وقد طبخ كل واحد منهم قدرا فقال محمد بن ابراهيم الطاهري هؤلاء من خواص أمير المؤمنين فاجبهم عما يسالون فقال المامون الى أين خرجت في هذا الوقت وقد بقي عليك من الليل ثلاث ساعات فقال غرني القمر وسمعت تكبيرا فلم اشك انه أذان فقال له المامون اجلس فجلس فقال له المامون قد طبخ كل واحد منا قدرا هو ذا يقدم اليك من كل واحد منها قدرا فاخبر عن فضائلها وما ترى من طيبها فقال هاتوا فقدمت في طبق كبير كلها موضوعة عليه لا يميز بينها ولكل واحدة ممن طبخها علامة فبدأ فذاق قدرا طبخها المامون فقال زهوا كل منها ثلاث لقمات وقال أما هذه فكانها مسكة وطباخها حكيم نظيف ظريف مليح ثم ذاق قدر المعتصم فقال هذه والله فكانها والاولى مزيد واحدة خرجتا وبحكمة طبختا ثم ذاق قدر عمر الرومي فقال وهذه قدر طباخ ابن طباخ جاد ما احكمه ثم ذاق قدر يحيي بن أكثم فاعرض بوجهه وقال شه هذه والله جعل طباخها فيها مكان.

بصلها اخرا فضحك القوم وذهب بهم الضحك وقعد يحادثهم ويطايبهم ويتلهى وطايبوا معه فلما برق الفجر قال له المامون لا يخرجن منك ما كنا فيه وعلم انه علم بهم فوصله باربعة آلاف دينار وقسط له على أصحاب القدور وقال اياك ان تعود الى الخروج فى مثل هذا الوقت مرة أخرى فقال لا اعدمكم الله الطبيخ ولا اعدمنى الخروج فسالوه عن تجارته وعرفوا منزله وجعل فى خدمة المامون وخدمة الجميع وصار فى جملتهم (وحدث) أبو عباد الكاتب وكان خاصا بالمامون قال قال لى المامون ما اعيانى الاجواب ثلاثة أنفس صرت الى أم ذى الرياستين اعزيها عنه فقلت لا تاسى عليه ولا تحزنى لفقده فان الله قد اخلف عليك منى ولدا يقوم لك مقامه فهما كنت تنبسطين اليه فيه فلا تنقبضين عنى منه فبكت ثم قالت يا أمير المؤمنين وكيف لا احزن على ولد اكسبنى ولدا مثلك واتيت برجل قد تنبأ فقلت له من أنت قال موسى بن عمران عليه السلام فقلت ويحك ان موسى بن عمران عليه السلام كانت له آيات ودلالات بان بها أمره التى عصاه فابتلعت كيد السحرة ومنها اخراجه يده من جيبه وهى بيضاء وجعلت اعدد عليه ما أتى به موسى بن عمران عليه السلام من دلائل النبوة وقلت له لو اتيتنى بشىء واحد من علاماته أو آية من آياته كنت أول من آمن بك والا قتلتك فقال صدقت الا انى اتيت بهذه العلامات لما قال فرعون انا ربكم الاعلى فان قلت أنت كذلك اتيتك من العلامات بمثل ما أتيته به والثالثة ان أهل الكوفة اجتمعوا يشكون عاملا كنت أحمد مذهبه وارتضى سيرته فوجهت اليهم انى اعلم سيرة هذا الرجل وأنا عازم على القعود لكم فى غداة غد فاختاروا رجلا يتولى المناظرة عنكم فانا اعلم بكثرة كلامكم فقالوا امافينا من نرتضيه لمناظرة أمير المؤمنين الا رجل أطروش فان صبر أمير المؤمنين عليه تفضل بذلك فوعدتهم الصبر عليه وحضروا من الغد فامرت بالرجال فدخلوا والاطروش فلما مثل بين يدى امرته بالجلوس ثم قلت له ما تشكو من عاملكم فقال يا أمير المؤمنين هو شر عامل فى الارض أما فى أول سنة ولينا فانا بعنا اثاثنا وعقارنا وفى السنة الثانية بعنا ضياعنا وذخائرنا وفى السنة الثالثة خرجنا عن بلدنا فاستغثنا بامير المؤمنين ليرحم شكوانا ويتطول علينا بالامر بصرفه عنا فقلت له كذبت لا امان لك بل هو رجل أحمدت سيرته ومذهبه وارتضيت دينه وطريقته واخترته لكم لمعرفتى بكثرة سخطكم على عمالكم قال يا أمير المؤمنين صدقت وكذبت أنا ولكن هذا العامل الذى ارتضيت دينه وأمانته وعدله وانصافه كيف خصصتنا به

هذه السنين دون البلاد حتى يشملهم من انصافه وعدله مثل الذى شملنا فقلت له قم فى غير حفظ الله فقد عزلته عنكم * وكان يحيى بن اكثم يقول كان المامون يجلس للمناظرة فى الفقه يوم الثلاثاء فاذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات ادخلوا حجرة مفروشة وقيل لهم انزعوا اخفافكم ثم احضرت الموائد وقيل لهم اصيبوا من الطعام والشراب وجددوا الوضوء ومن خفه ضيق فلينزعه ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها فاذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخروا وطيبوا ثم خرجوا فاستدناهم حتى يدنوا منه ويناظرهم أحسن مناظرة وانصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين فلا يزالون كذلك الى ان تزول الشمس ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون قال فانه يوما لجالس اذ دخل عليه على بن صالح الحاجب فقال يا أمير المؤمنين رجل واقف بالباب عليه ثياب بيض غلاظ مشمرة ويطلب الدخول للمناظرة فقلت انه بعض الصوفية فاردت بان اشير ان لا يؤذن له فبدأ المامون فقال ائذن له فدخل عليه رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله فى يده فوقف على طرف البساط فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال له المامون وعليك السلام فقال اتاذن فى الدنو منك قال ادن فدنا ثم قال اجلس فجلس ثم قال اتاذن فى كلامك فقال تكلم بما تعلم ان لله فيه رضا قال أخبرنى عن هذا المجلس الذى أنت قد جلسته اباجتماع من المسلمين عليك ورضاء منك أم بالمغالبة لهم بالقوة عليهم بسلطانك قال لم اجلسه باجتماع منهم ولا بمغالبة لهم وانما كان يتولى أمر المسلمين سلطان قبلى أحمده المسلمون اما على رضا واما على كره فعقد لى ولآخر معى ولاية هذا الامر بعده فى اعناق من حضره من المسلمين فاخذ على من حضر بيت الله الحرام من الحاج البيعة لى ولآخر معى فاعطوا ذلك اما طائعين واما كارهين فمضى الذى عقد له معى على هذا السبيل التى مضى عليها فلما صار الى علمت انى أحتاج الى اجتماع كلمة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها على الرضا ثم نظرت فرأيت أنى متى تخليت عن المسلمين اضطرب حبل الاسلام وانتقضت اطرافه وغلب الهرج والفتنة ووقع التنازع فتعطلت احكام الله سبحانه وتعالى ولم يحج احد بيته ولم يجاهد فى سبيله ولم يكن له سلطان يجمعهم ويسوسهم وانقطعت السبل ولم يؤخذ لمظلوم من ظالم فقمت بهذا الامر حياطة للمسلمين ومجاهد العدوهم وضابطا لسبلهم وآخذا على أيديهم الى أن يجتمع المسلمون على رجل تتفق كلمتهم عليه على الرضا به فاسلم الامر اليه وأكون كرجل من المسلمين وأنت أيها الرجل رسولى الى جماعة المسلمين فتى اجتمعوا على رجل

ورضوا به خرجت اليه من هذا الامر فقال السلام عليكم ورحمة الله وقام فامر المامون على بن صالح الحاجب ينفذ فى طلبه من يعرف مقصده ففعل ذلك ثم رجع وقال وجهت أمير المؤمنين الى مسجد فيه خمسة عشر رجلا فقالوا له لقيت الرجل فقال نعم قالوا فما قال لك قال ماقال لى الاخير اذكر أنه ناظر فى أمور المسلمين الى أن تامن سبلهم ويقوم بالحج والجهاد فى سبيل الله ويأخذ للمظلوم من الظالم ولا يعطل الاحكام فاذا رضى المسلمون برجل سلم الامر اليه وخرج اليه منه قالوا مانرى بهذا باسا وافترقوا فاقبل المامون على يحيى فقال كفينا مؤنة هؤلاء بايسر الخطب فقلت الحمد لله الذى الهمك ياأمير المؤمنين الصواب والسداد فى القول (قال المسعودى) وكان يحيى قد ولى قضاء البصرة قبل تأكد الحال بينه وبين المامون فرفع الى المامون انه افسد أولادهم بكثرة لواطه فقال المامون لو طعنوا عليه فى أحكامه قبل ذلك منهم قالوا ياأمير المؤمنين قد ظهرت منه الفواحش وارتكاب الكبائر واستفاض ذلك عنه وهو القائل ياأمير المؤمنين فى صفة الغلمان وطبقاتهم ومراتبهم فى أوصافهم فقال المامون وما الذى قال فدفعت اليه القصة فيها جمل مما رمى به وحكى عنه فى هذا المعنى وهو قوله

ارىعة تفتن الحاظهم فعين من يعشقهم ساهره
فواحد دنياه فى وجهه منافق ليست له آخره
وآخر دنياه مقبوحة من خلفه آخرة وافره
وثالث قد حاز كلتيهما قد جمع الدنيا مع الآخره
ورابع قد ضاع ما بينهم ليست له دنيا ولا آخره

فانكر المامون ذلك فى الوقت واستعظمه وقال أيكم سمع هذا منه قالوا هذا مستفاض من قوله فينا ياأمير المؤمنين فامر باخراجهم عنه وعزل يحيى عنهم وفى يحيى وما كان عليه بالبصرة يقول ابن أبى نعيم

ياليت يحيى لم يلده اكثمه ولم تطا أرض العراق قدمه
ألوط قاض فى العراق تعلمه أى دواة لم يلقها قلمه
وأى شعب لم يلجه ارقمه

وضرب الدهر ضرباته فاتصل يحيى بالمامون ونادمه ورخص له فى أمور كثيرة فقال له يوما ياأبا محمد من الذى يقول

قاض يرى الحد فى الزناء ولا يرى على من يلوط من باس

قال ذلك ابن أبي نعيم يا أمير المؤمنين وهو القائل

أمير نا يرتشي وحا كمنا ... يلوط والرأس شر ماراس

قاض يرى الحد في الزناء ولا ... يرى على من يلوط من باس

ما أحسب الجور ينقضي وعلى الا ... مة وال من آل عباس

فاطرق المأمون خجلا ساعة ثم رفع رأسه وقال ينفى ابن أبي نعيم الى السند وكان يحيي اذا ركب مع المامون في سفر ركب معه بمنطقة وقباء وسيف بمعاليق وساسية واذا كان الشتاء ركب في أقبية الخز وقلانس السمور والسروج المكشوفة وبلغ من اذاعته ومجاهرته باللواط ان المامون أمره ان يفرض لنفسه فرضا يركبون بركوبه ويتصرفون في أموره ففرض أربعمائة غلام مردا اختارهم حسان الوجوه فافتضح بهم وقال في ذلك راشد بن اسحق يذكر ما كان من أمر يحيي في الفرض

خليلي انظرا متعجبين ... لاظرف منظر مقلته عيني

لفرض ليس يقبل فيه الا ... أسيل الخد حلو المقلتين

والا كل أشقرا كشمى ... قليل نبات شعر العارضين

يقدم دون موقف صاحبيه ... بقدر جماله وبقبح ذين

يقودهم الى الهيجاء قاض ... شديد الطعن بالرمح الردبنى

اذا شهد الوغى منهم شجاع ... تجدل للجبين ولليدين

يقودهم على علم وحلم ... ليوم سلامة لا يوم حين

وصار الشيخ منحنيا عليه ... بمصرعه يجوز الركبتين

يغادرهم الى الاذقان صرعى ... وكلهم جريح الخصيتين

وفيه يقول راشد أيضا

وكنا نرجى ان نرى العدل ظاهرا ... فاعقبنا بعد الرجاء قنوط

متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها ... وقاضي قضاة المسلمين يلوط

وكان يحيي بن أكثم بن عمر بن أبي رباح من أهل خراسان من مدينة مرو وكان رجلا من بني تميم وسخط عليه المامون في سنة خمس عشرة ومائتين وذلك بمصر وبعث به الى العراق مغضوبا عليه وله مصنفات في الفقه وفي فروعه واصوله وكتاب أورده على العراقيين سماه بكتاب التنبيه وبينه وبين أبي سليمان أحمد بن أبي دواد بن علي مناظرات كثيرة وفي خلافة المامون كانت وفاة أبي عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن

شافع بن السائب بن عبد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف الشافعي فى رجب ليلة الجمعة وذلك سنة أربع ومائتين ودفن صبيحة الليلة وهو ابن أربع وخمسين سنة وصلى عليه السرى بن الحكم أمير مصر يومئذ كذلك ذكر عكرمة بن محمد بن بشر عن الربيع بن سليمان المؤذن وذكر أيضا محمد بن سفيان بن سعيد المؤذن وغيرهما عن الربيع بن سليمان مثل ذلك ودفن الشافعي بمصر نحو قبور الشهداء فى مقبرة بنى عبد الحكم وبين قبورهم وعند رأسه عمود من الحجر كبير وكذلك عند رجليه وعلى العالى الذى عند رأسه حفر قد كتب فيه فى ذلك الحجر هذا قبر محمد بن ادريس الشافعي امين الله وماذكرنا فشهور بمصر والشافعي يتفق نسبه مع بنى هاشم وبنى أمية فى عبد مناف لانه من ولد المطلب بن عبد مناف وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن وبنو المطلب كهاتين وأشار باصبعيه مضمومتين وقد كانت قريش حاصرت بنى المطلب مع بنى هاشم فى الشعب (وحدثنى) فقير بن مسكين عن المزنى بهذا وكان فقير يحدث عن المزنى وكان سماعنا من فقير بن مسكين بمدينة اسوان بصعيد مصر قال قال المزنى دخلت على الشافعي غداة وفاته فقلت له كيف أصبحت ياأباعبد الله قال اصبحت من الدنيا راحلا ولاخوانى مفارقا وبكاس المنية شاربا ولا أدرى الى الجنة تصير روحى فاهنيها أم الى النار فاعزيها وأنشا يقول

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى   جعلت رجائى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته   بعفوك ربى كان عفوك اعظما

وفى هذه السنة التى مات فيها الشافعي وهى سنة أربع ومائتين مات أبو داود سليمان بن داود الطيالسى وهو ابن احدى وتسعين سنة وفيها مات هشام بن محمد الكلبى (وادعى) رجل النبوة بالبصرة أيام المامون فحمل اليه موثقا بالحديد فمثل بين يديه فقال أنت نبى مرسل قال أما الساعة فانا موثق قال ويلك من غرك قال أبهذا تخاطب الانبياء أما والله لولا أنى موثق لامرت جبريل ان يدمدمها عليكم قال له المامون والموثق لايجاب له دعوة قال الانبياء خاصة اذا قيدت لا يرتفع دعاؤها فضحك المامون وقال من قيدك قال هذا الذى بين يديك قال فنحن نطلقك وتامر جبريل ان يدمدمها فان اطاعك آمنا بك وصدقناك فقال صدق الله اذ يقول فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ان شئت فافعل فامر باطلاقه فلما وجد راحة العافية قال ياجبريل ومد بها صوته ابعثوا من شئتم فليس بينى وبينكم الآن خير غيرى يملك الاموال وأنا لاشئ معى مايذهب لكم

الا السجان فامر باطلاقه والاحسان اليه (وحدث) ثمامة بن أشرس قال شهدت مجلسا للمامون وقد أتى برجل ادعى أنه ابراهيم الخليل فقال له المامون ماسمعت باجرأ على الله من هذا قلت ان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لى فى كلامه قال شانك واياه قلت ياهذا ان ابراهيم عليه السلام كانت له براهين قال وما براهينه قلت اضرمت له النار والقى فيها فكانت عليه بردا وسلاما فنحن نضرم لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك بردا وسلاما كما كانت عليه آمنا بك وصدقناك قال هات ماهو ألين على من هذا قلت فبراهين موسى عليه السلام قال وماهى قلت ألقى العصا فاذاهى حية تسعى تلقف مايافكون وضرب بها البحر فانفلق وبياض يده من غير سوء قال هذا أصعب ولكن هات ماهو ألين من هذا قلت فبراهين عيسى عليه السلام قال وما براهينه قلت احياء الموتى فقطع الكلام فى براهين عيسى وقال جئت بالطامة الكبرى دعنى من براهين هذا قلت فلابد من براهين قال مامعى من هذا شىء قلت لجبريل انكم توجهونى الى شياطين فاعطونى حجة اذهب بها والا لم اذهب فغضب جبريل عليه السلام على وقال جئت بالشر من ساعة اذهب أولا فانظر مايقول لك القوم فضحك المامون وقال هذا من الانبياء التى تصلح للمنادمة وفى سنة ثمان وتسعين ومائة خلع المامون أخاه القاسم بن الرشيد من ولاية العهد وفى سنة تسع وتسعين ومائة خرج أبو السرايا السرى بن منصور الشيبانى بالعراق واشتد أمره ومعه محمد بن ابراهيم بن اسمعيل بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب وهو ابن طباطبا ووثب بالمدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن ابن الحسن بن على رحمهم الله ووثب بالبصرة على بن محمد بن جعفر بن على بن الحسين عليهم السلام وزيد بن موسى بن جعفر فغلبوا على البصرة وفى هذه السنة مات ابن طباطبا الذى كان يدعو اليه أبو السرايا وهو محمد بن ابراهيم المقدم ذكره وظهر فى هذه السنة باليمن وهى سنة تسع وتسعين ومائة ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد وظهر فى أيام المأمون بمكة ونواحى الحجاز محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين رحمهم الله وذلك فى سنة مائتين ودعا لنفسه واليه دعت السمطية من فرق الشيعة وقالت بامامته وقد افترقوا فرقا فنهم من غلا ومنهم من قصر وسلك طريق الامامية وقد ذكرنا فى كتاب المقالات فى أصول الديانات وفى كتاب أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة فى الفن الثلاثين من أخبار خلفاء بنى العباس ومن ظهر فى أيامهم من الطالبيين وقيل ان محمد بن جعفر دعا فى بدء أمره وعنفوان شبابه الى محمد بن

ابراهيم بن طباطبا صاحب أبى السرايا فلما مات ابن طباطبا وهو محمد بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن دعا لنفسه وتسمى بامير المؤمنين غير محمد بن جعفر وكان يسمى بالديباجة لحسنه وبهائه وما كان عليه من البهاء والكمال وكان له بمكة ونواحيها اقصص حمل فيها الى المامون بخراسان والمامون يومئذ بمرو فامنه المامون وحمله معه الى جرجان مات محمد بن جعفر بها فدفن بها وقد أتينا على كيفية وفاته وما كان من أمره وغيره من آل أبى طالب فى كتابنا حدائق الاذهان فى أخبار آل أبى طالب ومقاتلهم فى بقاع الارض وظهر فى أيام المامون أيضا بالمدينة الحسن بن الحسين بن على بن على بن الحسين بن على وهو المعروف بابن الافطس وقيل انه دعا فى بدء أمره الى ابن طباطبا فلما مات ابن طباطبا دعا الى نفسه والقول بامامته وسار الى مكة فاتى الناس وهم بمنى وعلى الحاج داود بن عيسى بن موسى الهاشمى فهرب داود ومضى الناس الى عرفة ودفعوا الى مزدلفة بغير انسان عليهم من ولد العباس وقد كان ابن الافطس وافى الموقف بالليل ثم صار الى المزدلفة والناس بغير امام فصلى بالناس ثم مضى الى منى فنحر ودخل مكة وجرد البيت مما عليه من الكسوة الا القباطى البيض فقط وفى سنة مائتين ظهر حماد المعروف بالكبدعوس بن السرايا فاتى به الحسن بن سهل فقتله وصلبه على الجسر ببغداد وقد أتينا فى كتابنا فى أخبار الزمان على خبر أبى السرايا وخروجه وما كان منه فى خروجه وقتله عبدوس بن أبى خالد ومن كان معه من قواد الابناء واستباحة عسكره (قال المسعودى) وفى سنة مائتين بعث المامون برجاء بن أبى الضحاك وياسر الخادم الى على ابن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسن الرضا لاشخاصه فحمل اليه مكرما وفيها أمر المامون باحصاء ولد العباس من رجالهم ونسائهم وصغيرهم وكبيرهم فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفا ووصل الى المامون على بن موسى الرضا وهو بمدينة مرو فانزله المامون أحسن انزال وأمر المامون بجمع خواص الاولياء وأخبرهم أنه نظر فى ولد العباس وولد على رضى الله عنهم فلم يجد فى وقته أحدا أفضل ولا أحق بالامر من على بن موسى الرضا فبايع له بولاية العهد وضرب اسمه على الدنانير والدراهم وزوج محمد بن على بن موسى الرضا بابنته أم الفضل وأمر بازالة السواد من اللباس والاعلام ونمى ذلك الى من بالعراق من ولد العباس فاعظموه اذ علموا أن فى ذلك خروج الامر عنهم وحج بالناس ابراهيم بن موسى بن جعفر أخو الرضا بامر المامون واجتمع من بمدينة السلام من ولد العباس على خلع المامون ومبايعة ابراهيم بن المهدى المعروف بابن شكلة

فبويع له يوم الخميس لخمس خلون من المحرم سنة اثنتين ومائتين وقيل ان ذلك فى سنة ثلاث ومائتين وفى سنة اثنتين ومائتين قتل الفضل بن سهل فى حمام غيلة وذلك بمدينة سرخس من بلاد خراسان وذلك فى دار المامون فى مسيره الى العراق وقبض على بن موسى الرضا بطوس لعنب أكله وأكثر منه وقيل انه كان مسموما وذلك فى صفر سنة ثلاث ومائتين وصلى عليه المامون وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وقيل سبع وأربعين سنة وستة أشهر وكان مولده بالمدينة سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة وكان المامون زوج ابنته أم حبيبة لعلى بن موسى الرضا فكانت احدى الاختين تحت محمد بن على بن موسى والاخرى تحت أبيه على بن موسى واضطربت بغداد فى ايام ابراهيم بن المهدى وثارت الرويضية وسموا أنفسهم المطوعية وهم رؤساء العامة والتوابع ولما قرب المامون من مدينة السلام صلى ابراهيم بن المهدى بالناس فى يوم النحر واختفى فى يوم الثانى من النحر وذلك فى سنة ثلاث ومائتين تخلعه أهل بغداد وكان دخول المامون بغداد سنة أربع ومائتين ولباسه الخضرة ثم غير ذلك وعاد الى لباس السواد وذلك حين قدم طاهر ابن الحسين من الرقة اليه وفى سنة احدى ومائتين كان القحط العظيم ببلاد المشرق والوباء بخراسان وغيرها وفيها كان خروج بابك الخرمى ببلاد البدين فى أصحاب جاويذان بن شهرك وقد قدمنا ذكرنا بلاد بابل وهى البدين واذربيجان والران والبيلقان فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الجبل الفتح والباب والابواب ونهر الراس وجريانه نحو بلاد البدين وبث المأمون عيونه فى طلب ابراهيم بن المهدى وقد علم باختفائه فيها فظفر به لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة سبع ومائتين فى زى امرأة ومعه امرأتان أخذه حارس بن أسود فى الدرب المعروف بالطويل ببغداد فادخل الى المامون فقال هيه يا ابراهيم فقال يا أمير المؤمنين ولى الثار محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناوله الزمان واستولى عليه الاغترار بما مد له من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه وقد جعلك الله فوق كل ذى عفو كما جعل كل ذى ذنب دونى فان تعاقب فبحقك وان تعف فبفضلك قال بل العفو يا ابراهيم فكبر ثم خر ساجدا فامر المامون فصيرت التى كانت عليه على صدره ليرى الناس الحال التى أخذ عليها ثم أمر به فصير فى دار الحرس أياما ينظر الناس اليه ثم حول الى أحمد بن خالد ثم رضى عنه من بعد أن كان وكل به فقال ابراهيم فى ذلك من كلمة له

ان الذى قسم المكارم حازها * من صلب آدم للامام السابع

جمع القلوب عليك جامع أهلها وجرى ودادك كل خير جامع
فبذلت أعظم مايقوم بحمله وسع النفوس من الفعال البارع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله عفو ولم يشفع اليك بشافع

وانحدر المامون الى فم الصلح فى شعبان سنة تسع ومائتين وأملك بخديجة ابنة الحسن ابن سهل التى تسمى بوران ونثر الحسن فى ذلك من الاموال مالم ينثره ولم يفعله ملك قط فى جاهلية ولا فى اسلام وذلك انه نثر على الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك فيها رقاع باسماء ضياع وأسماء جوار وصفات دواب وغير ذلك فكانت البندقة اذا وقعت فى يد الرجل فتحها فقرأ مافيها فيجد على قدر اقباله وسعوده فيها فيمضى الى الوكيل الذى نصب لذلك فيقول له ضيعة يقال لها فلانة الفلانية من طسوج كذا من رستاق كذا وجارية يقال لها فلانة الفلانية ودابة صفتها كذا ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر وأنفق على المامون وقواده وعلى جميع أصحابه ومن كان معه من جنوده أيام مقامه عنده على المكارين والحمالين والملاحين وكل من ضمه العسكر من تابع ومتبوع مرتزق وغيره فلم يكن احد من الناس يشترى شيئا فى عسكر المامون مما يطعم ولا مما تعتلفه البهائم فلما اراد المامون ان يصعد فى دجلة الى مدينة السلام قال للحسن حوائجك يا أبا محمد قال نعم يا أمير المؤمنين أسالك ان تحفظ على مكانى من قلبك فانه لا يتهيا لى حفظه الا بك وأمر المامون بحمل خراج فارس وكور الاهواز اليه سنة فقالت فى ذلك الشعراء فاكثرت واطنبت الخطباء فى ذلك وتكلمت فمما استظرف مما قيل فى ذلك من الشعر قول محمد بن حازم الباهلى

بارك الله للحسن ولبوران فى الختن
يا ابن هرون قد ظفر ت ولكن ببنت من

فلما نمى هذا الشعر الى المامون قال والله ماندرى خيرا أراد أم شرا ودخل ابراهيم بن المهدى يوما على المامون بعد مدة من الظفر به فقال ان هذين يحملانى على قتلك يعنى المعتصم أخاه والعباس بن المامون فقال ما أشارا عليك الا بما يشار به على مثلك ولكن تدع ما تخاف لما ترجو وأنشد

رددت مالى ولم تبخل على به وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
فبوت منها وما كافيتها بيد هما الحياتان من موت ومن عدم
البر وطامنك العذر عندك لى فيما أتيت ولم تعذل ولم تلم

وقام عذرك بي فاحتج عندك لي مقام شاهد عدل غير متهم

ولا براهيم اخبار حسان وأشعار ملاح وما كان من أمره في حال اختفائه في سويقة غالب ببغداد وتنقله من موضع الى موضع بها وخبره في الليلة التي قبض عليه فيها قد أتينا على جميعها فيما سميناه من كتبنا التي كتابنا هذا تال لها وقد صنف يوسف بن ابراهيم الكاتب صاحب ابراهيم بن المهدي كتبا منها كتابه في أخبار المتطببين مع الملوك في المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك وكتابه المعروف بكتاب ابراهيم ابن المهدي في أنواع الاخبار وغير ذلك من كتبه ومن أحسن ما اختير من أخبار ابراهيم في حال تنقله واختفائه ببغداد خبره مع المزين وهو ان المامون لما دخل بغداد على ماذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من بثه العيون طلبا لابراهيم بن المهدي وجعل لمن دل عليه جعلا خطيرا من المال قال ابراهيم فخرجت في يوم صائف في وقت الظهر لاأدري أين أتوجه فصرت الى زقاق ولا منفذ له فرأيت أسود على باب دار فصرت اليه وقلت له أعندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح بابه فدخلت الى بيت فيه حصير نظيف ووسادة جلد نظيفة ثم تركني وأغلق الباب في وجهي ومضى فتوهمته قد سمع الجعالة في وانه خرج ليدل علي فبينما أنا كذلك اذ أقبل ومعه طبق عليه كل مايحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديد وآلتها وجرة نظيفة وكيزان نظاف كل ذلك جديد وقال لي جعلني الله فداك اني حجام واني اعلم أنك تتقذر ما أتولاه فشانك بما لم تقع عليه يدي وكانت بي حاجة شديدة الى الطعام فقمت فطبخت لنفسي قدرا ما أذكر اني أكلت أطيب منها ثم قال لي بعد ذلك هل لك في النبيذ فقلت ما أكره ذلك ففعل مثل فعله في الطعام وأتاني بكل شيء نظيف لم يمس شيئا منه يد ثم قال لي بعد ذلك أتاذن لي جعلني الله فداك أن اقعد ناحية منك فآتي بنبيذ فاشرب منه سرورا بك قال فقلت افعل ذلك فلما شرب ثلاثا دخل خزانة له وأخرج منها عودا وقال ياسيدي ليس من قدري أن اسالك أن تغني ولكن قد وجبت عليك حرمتي فان رأيت ان تشرف عبدك بان تغنيه قال فقلت وكيف توهمت علي اني أحسن الغناء فقال متعجبا ياسبحان الله أنت أشهر من أن لا أعرفك أنت ابراهيم بن المهدي الذي قد جعل المامون لمن دل عليك مائة ألف درهم قال فلما قال لي ذلك تناولت العود فلما هممت بالغناء قال ياسيدي أتجعل ما تغنيه ما أقترحه عليك قلت هات فاقترح ثلاثة أصوات أتقدم فيها كل من غني قلت هبك عرفتني هذه الاصوات من اين لك قال أنا أخدم ابراهيم بن اسحق

الموصلي وكثيرا ما كنت اسمعه يذكر المحسنين وما يجيدونه ولم أتوهم أني اسمع ذلك منك في منزلي فغنيته وانست به واستظرفته فلما كان الليل خرجت من عنده وقد كنت حملت معي خريطة فيها دنانير فقلت له خذها فاصرفها في بعض مؤنتك ولك عندنا مزيد ان شاء الله تعالى فقال ما أعجب هذا والله عزمت على اني أعرض عليك جملة عندي وأسألك ان تتفضل بقبولها ثم اجللتك عن ذلك فامتنع من قبول شيء ومضى حتى دلني على الموضع الذي احتجت اليه وانصرف وكان آخر العهد به وفي سنة ست ومائتين وذلك في خلافة المامون مات يزيد بن هارون بن زادان الواسطي وله تسع وثمانون سنة وكان مولده سنة سبع عشرة ومائة وهو مولى بني سليم وكان أبوه يخدم في مطبخ زياد بن أبيه وعبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير والحجاج بن يوسف وهذا عمدة أهل الحديث في علمهم وعظيم من عظمائهم وكانت وفاته بواسط العراق وفيها مات جرير بن خزيمة بن حازم وشيبة بن سوار المدني والحجاج بن محمد الاعور الفقيه وعبد الله بن نافع الصانع المدني مولى لبني مخزوم ووهب بن جرير ومؤمل بن اسماعيل وروح بن عبادة وفيها مات الهيثم بن عدي وكان يضمر عليه نسبه وله يقول القائل

اذا نسبت عديا في بني ثعل فقدم الدال قبل العين في النسب

وفي سنة تسع ومائتين مات الواقدي وهو محمد بن عمر بن واقد مولى لبني هاشم وهو صاحب السير والمغازي وقد ضعف في الحديث وذكر ابن أبي الازهر قال حدثني أبو سهل الداري عمن حدثه عن الواقدي قال كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة فنالتني ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتي اما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم لانهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة فلو احتلت بشيء تصرفه في كسوتهم قال فكتبت الى صديقي الهاشمي أساله التوسعة على لما حضر فوجه الى كيسا مختوما ذكر أنه فيه ألف درهم فما استقر قراري اذ كتب الى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت الى صاحبي فوجهت اليه الكيس بحاله وخرجت الى المسجد فاقمت فيه ليلي مستحييا من امرأتي فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه فبينا أنا كذلك اذوافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي أصدقني عما فعلته فيما وجهت اليك فعرفته الخبر على جهته فقال انك وجهت الي وما أملك على الارض الا ما بعثت به اليك وكتبت الى صديقنا أساله المواساة فوجه بكيسي

بخاتمي قال فتواسينا الالف اثلاثا ثم انا أخرجنا الى المرأة قبل ذلك مائة درهم ونمى الخبر الى المأمون فدعاني فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد ألفا دينار وللمرأة ألف دينار وقبض الواقدي وهو ابن سبع وسبعين سنة وفيها كانت وفاة يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ببغداد وصلى عليه المأمون وقد اتينا على خبره فيما سلف من كتبنا وفيها مات أزهر السمان وكان صديقا لابي جعفر المنصور في أيام بني أمية وكانا قد سافرا جميعا وسمعا الحديث وكان المنصور يالفه ويانس اليه ويكبر عنده فلما افضت الخلافة اليه اشخص اليه من البصرة فساله المنصور عن زوجته وبناته وكان يعرفهن باسمائهن واظهر بره واكرامه ووصله باربعة آلاف درهم وأمره أن لا يقدم اليه مستميحا فلما كان بعد حول صار اليه فقال له ألم آمرك أن لا تصير الي مستميحا فقال له ماصرت اليك الا مسلما ومجددا بك عهدا قال ماأرى الامر كما ذكرت فامر له باربعة آلاف درهم وأمره ان لا يصير اليه مسلما ولا مستميحا فلما كان بعد سنة صار اليه فقال اني لم اقدم عليه للامرين اللذين نهيتني عنهما وانما بلغني ان علة عرضت لامير المؤمنين فاتيته عائدا فقال ماا ظنك اتيت الا مستوصلا فامر له باربعة آلاف درهم فلما كان بعد الحول ألح عليه بناته وزوجته وقلن له أمير المؤمنين صديقك فارجع اليه فقال ويحكن ماذا أقول له وقد قلت له اتيتك مستميحا ومسلما وعائدا ماذا أقول في هذه المرة وبم أحتج فابوا على الشيخ الا الالحاح فخرج فاتى المنصور وقال لم آتك مسترفدا ولا زائرا ولا عائدا وانما جئت لسماع حديث كنا سمعناه جميعا في بلد كذا من فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه اسم من أسماء الله تعالى من سال الله به لم يرده ولم يخيب دعوته فقال له المنصور لا ترده فاني قد جربته فليس هو بمستجاب وذلك اني مذ جئتني أسال الله به ان لا يردك الي وها أنت ترجع لا تنفك من قولك مسلما أو عائدا او زائرا ووصله باربعة آلاف درهم وقال له قد اعيتني فيك الحيلة فصر الي متى شئت وفي سنة تسع ومائتين ركب المامون الى المطبق بالليل حتى قتل ابن عائشة وهو رجل من ولد العباس بن عبد المطلب واسمه ابراهيم ابن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام أخي ابي العباس والمنصور وقتل معه محمد ابن ابراهيم الافريقي وغيره وابن عائشة هذا أول عباسي صلب في الاسلام وتمثل المامون حين قتله بقول الشاعر

اذا النار في أحجارها مستكنة * متى مايهجها قادح تتضرم

وكان رجل من ولد العباس بن على بن أبى طالب ذو مال وثروة وعز ومنعة وفهم وبلاغة وهو العباس بن العباس بن العلوى بمدينة السلام وكان المعتصم يشناه لحال كانت بينهما فسكن فى نفس المامون انه شانئ لدولته ماقت لايامه فلما كان فى تلك الليلة لحق العباس المامون على الجسر فقال له المامون مازلت تنتظرها حتى وقعت فقال اعيذك بالله ياأمير المؤمنين ولكنى ذكرت قول الله عز وجل ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه فحسن موقع ذلك منه ولم يزل يسايره حتى بلغ المطبق فلما قتل ابن عائشة قال ياذن أمير المؤمنين فى الكلام قال تكلم قال الله الله فى الدماء فان الملك اذا ضرى بها لم يصبر عنها ولم يبق على أحد قال لو سمعت هذا الكلام منك قبل أن أركب ماركبت ولا سفكت دما وأمر له بثلثمائة الف درهم وقد اتينا على خبر ابن عائشة هذا وماأراد من الايقاع بالمامون وما كان من أمره فى كتابنا فى أخبار الزمان وفى سنة احدى عشرة ومائتين مات أبو عبيدة العمرى معمر بن المثنى وكان يرى رأى الخوارج وبلغ نحوا من مائة سنة ولم يحضر جنازته أحد من الناس بالمصلى حتى اكترى لها من يحملها ولم يكن يسلم عليه شريف ولا وضيع الا تكلم فيه وله مصنفات حسان فى ايام العرب وغيرها منها كتاب المثالب يذكر فيه العرب وفسادها ويرميهم بما يسيء الناس ذكره ولا يحسن وصفه وكان أبو نواس كثير العبث به وكان أبو عبيدة يقعد فى مسجد البصرة الى سارية من سواريه فكتب ابو نواس عليها فى غيبته

صلى الاله على لوط وشيعته * اباعبيدة قل بالله آمينا

فلما جاء أبو عبيدة الى تلك السارية رأى ذلك فقال هذا فعل الماجن اللواط ابى نواس حكوه وان كان فيه صلاة على نبى وفى هذه السنة وهى سنة احدى عشرة ومائتين مات أبو العتاهية اسمعيل بن القاسم متنسكا لابسا للصوف وكان له مع الرشيد اخبار من ذلك ماقدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب ومنها ان الرشيد أمر ذات يوم بحمله وامر ان لايكلم فى طريقه ولا يعلم مايراد منه فلما صار فى بعض الطريق كتب بعض من معه فى الطريق انما يراد قتلك فقال ابو العتاهية

ولعل ماتخشاه ليس بكائن * ولعل ماترجوه سوف يكون

ولعل ماهونت ليس بهين * ولعل ماشددت سوف يهون

وحج فى بعض الحجج مع الرشيد فنزل الرشيد يوما عن راحلته ومشى ساعة ثم

أعيافقال هل لك ياأباالعباس ان تستند الى هذا الميل فلما قعد الرشيد قال له ياأباالعتاهية حركنافقال

ألا ياطالب الدنيا * دع الدنيا لشانيكا
وماتصنع بالدنيا * وظل الميل يكفيكا

ولابى العتاهية أخبار وأشعار كثيرة حسان قدقدمنافيماسلف من كتبنا جملامما اختير من شعره وما انتخب من قوافيه وكذلك قدمنامن ذلك لمعافيماسلف من هذا الكتاب فى أخبار بنى العباس ومما استحسن من ذلك قوله

احمد قال لى ولم يدر مابى * أتحب الغداة عتبة حقا
فتنفست ثم قلت نعم حب * اجرى فى العروق عرقافعرقا
ليتنى مت فاسترحت فانى * أبدا ماحييت منها ملقى
لا أرانى ابقى ومن يلق مالا * قيت من لوعة الجوى ليس يبقى
فاحتسب صحبتى وقل رحمة الله * على صاحب لنا مات عشقا
أفاعبدها وان كنت لا أر * زق منها والحمد لله عتقا

ومما استحسن من شعره أيضا قوله

ياعتب مالى ولك * ياليتنى لم ارك
ملكتنى فانتهكى * ماشئت ان تنتهكى
ابيت ليلى ساهرا * أرعى نجوم الفلك
مفترشا جمر الغضى * ملتحفا بالحسك

ومن قوافيه الغريبة واشعاره المستحسنة قوله

اخلاى بى شجو وليس بكم شجو * وكل امرئ عن شجو صاحبه خلو
رايت الهوى جمر الغضى غيرانه * على جمره فى صدر صاحبه حلو
اذاب الهوى جسمى وعظمى وقوتى * فلم يبق الا الروح والبدن النضو
ومامن حبيب نال ممن يحبه * هوى صادقا الا يداخله زهو
وانى لنائى الطرف من غير خلتى * ومالى سواهامن حديث ولالهو
لهادون اخوانى واهل مودتى * من الود منى فضلة ولها العفو

ومما انتخب من شعره واستحسنه الناس من قوله قوله

يالهف نفسى على الذى اجتنبت * باى جرم ترونها عتبت
تبارك الله بئس ما صنعت * بى فى هواها وبئس ماارتكبت

اتيتهـا زائرا فـا انحرفت * على اذجئتهـا وما احتسـبت
كم مـن ديون والله يعلمها * لنـاعليهـا لم تقـض اذوجبت
ما وهبت لى من فضلها عدة * الااستردت جميع ماوهبت
فاى خـير وأى منفعة * لذات دل تريق ماحلبت
الله بينى وبين ظالمتى * طلبت منها وصالها فابت
ماذا عليها لوانها بعثت * منها رسولا الى أوكتبت
رغبت فى وصلها وقدزهدت * عتبة فى وصلنا ومارغبت

وكان ابو العتاهية قبيح الوجه مليح الحركات حلو الانشاد شديد الطرب ومن مليح شعره قوله

من لم يذق لصبابة طعما * فلقد احطت بطعمها علما
انى منحت مودتى سكنا * فرأيته قد عدها جرما
ياعتب ماابقيت من جسدى * لحما ولا ابقيت لى عظما
ياعتب ماانا من صنيعك بى * اعمى ولكن الهوى اعمى
ان الذى لم يدر ما كانى * ليرى على وجهى به وسما

وله اشعار خرج فيها عن العروض مثل قوله

هم القاضى بيت يطرب * قال القاضى لماعوتب
مافى الدنيا الا مذنب * هذا عذر القاضى واقلب

وزنه فعلن أربع مرات وقد قال قوم ان العرب لم تقل على وزن هذا شعرا ولا ذكره الخليل ولا غيره من العروضيين (قال المسعودى) وقد زاد جماعة من الشعراء على الخليل بن احمد فى العروض من ذلك المديد وهو ثلاثة اعاريض وستة ضروب عند الخليل وفيه عروض رابع وضربان محدثان فالضرب الاول من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر

من لعين لاتنام * دمعها سح سجام

والضرب الثانى من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر

يالبكر لاتنوا * ليس هذا حين ونا

وغير ذلك مما ذكرناه وتكلموا فيه وذكروا فى هذا المعنى من الزيادات مما قد اتينا على وصفه وقدمنا من ذكره فى كتابنا فى اخبار الزمان وقد صنف ابو العباس عبد الله بن

محمد الناشى الكاتب الانبارى عن الخليل بن أحمد عن تقليد العرب الى باب التعسف والنظر ونصب العالم عن أوضاح الجدل كان ذلك له لازما ولما أورده كاسرا و للناشى أشعار كثيرة حسان منها قصيدة واحدة نحو من أربعة آلاف بيت قافية واحدة نونية منصوبة يذكر فيها أهل الآراء والنحل والمذاهب والملل واشعار كثيرة ومصنفات واسعة فى انواع من العلوم فما جورى فيه قوله حين سار من العراق الى مصر وبها كانت وفاته وذلك فى سنة ثلاث وتسعين ومائتين على حسب ما قدمنا ذكره

يا ديار الاحباب هل من مجيب * عنك يشفى غليل فائى المزار
ما أجابت ولكن الصمت منها * فيه للسائلين طول اعتبار
ان تكن أوحشت فبعد أنيس * اوخلت منهم فبعد قرار
قد لهونا بها زمانا وحينا * ووصلنا الاسحار بالاسحار
واغتبقنا على صبوح ولهو * وحنين النايات والاوتار
بين ورد ونرجس وخزامى * وبنفس وسوسن وبهار
وأقاح وكل صنف من النو * رالشهى الجنى والجلنار
فرمتنا الايام احسن ماكـ * ـنا على حين غفلة واغترار
فافترقنا من بعد طول اجتماع * ونأينا بعد اقتراب الديار

وفى سنة اثنتى عشرة ومائتين نادى منادى المأمون برئت الذمة من أحد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدمه على احد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم فى أشياء من التلاوة انها مخلوقة وغير ذلك وتنازع الناس فى السبب الذى من أجله أمر بالنداء فى أمر معاوية فقيل فى ذلك أقاويل منها أن بعض سماره حدث بحديث عن مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفى وقد ذكر هذا الخبر ابن بكار فى كتابه فى الاخبار المعروفة بالموفقيات التى صنفها للموفق وهو ابن الزبير قال سمعت المدائنى يقول قال مطرف بن المغيرة بن شعبة وفدت مع أبى المغيرة الى معاوية فكان أبى يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف الى فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب مما يرى منه اذجاء ذات ليلة فامسك عن العشاء فرأيته مغتما فانتظرته ساعة وظننت انه لشىء حدث فينا أو فى عملنا فقلت له مالى أراك مغتما منذ الليلة قال يا بنى انى جئت من عند أخبث الناس قلت له وماذاك قال قلت له وقد خلوت به انك قد بلغت منا يا أمير المؤمنين فلو

أظهرت عدلا وبسطت خيرا فانك قد كبرت ولو نظرت الى اخوتك من بنى هاشم فوصلت ارحامهم فوالله ماعندهم اليوم شئ تخافه فقال لى هيهات هيهات ملك اخو تيم فعدل وفعل مافعل فوالله ماغدا ان هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل أبو بكر ثم هلك أخو عدى فاجتهد وشمر عشر سنين فوالله ماغدا ان هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل عمر ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد فى مثل نسبه فعمل ماعمل وعمل به فوالله ماغدا أن هلك فهلك وذكره وذكر مافعل به وان أخا هاشم يصرخ به فى كل يوم خمس مرات أشهد أن محمدا رسول الله فاى عمل يبقى مع هذا الا أم لك والله الادفنا دفنا وان المامون لما سمع هذا الخبر بعثه ذلك على ان أمر بالنداء على حسب ماوصفنا وانشئت الكتب الى الآفاق بلعنه على المنابر فاعظم الناس ذلك وأكبروه واضطربت العامة فاشير عليه بترك ذلك فاعرض عما كان هم به وفى خلافة المامون كانت وفاة أبى عاصم النبيل وهو الضحاك بن مخلد بن سنان الشيبانى وذلك فى سنة اثنتى عشرة ومائتين وفيها مات محمد بن يوسف الفارابى وفى سنة خمس عشرة ومائتين وذلك فى خلافة المامون مات هوذة بن خليفة بن عبد الله بن أبى بكر ويكنى بابى الاشهب ببغداد وهو ابن سبعين سنة ودفن بباب البردان فى الجانب الشرقى وفيها مات محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الانصارى وفيها مات اسحق بن الطباع باذنة من الثغر الشامى ومعاوية بن عمرو ويكنى بابى عمرو وقبض ابن عقبة ويكنى بابى عامر من بنى عامر ابن صعصعة وفى سنة سبع عشرة ومائتين دخل المامون مصر وقتل بها عبدوس وكان قد تغلب عليها وفى سنة ثمان عشرة ومائتين غزا المامون أرض الروم وقد كان شرع فى بناء الطوانة مدينة من مدنهم على فم الدرب مما يلى طرسوس وعمد الى سائر حصون الروم ودعاهم الى الاسلام وخيرهم بين الاسلام والجزية والسيف وذلل النصرانية فاجابه خلق من الروم الى الجزية (قال المسعودى) وأخبرنا القاضى أبو محمد عبد الله بن أحمد بن زيد الدمشقى بدمشق قال لما توجه المامون غازيا ونزل البديدون جاءه رسول ملك الروم فقال له ان الملك يخيرك بين أن يرد عليك نفقتك التى انفقتها فى طريقك من بلدك الى هذا الموضع وبين ان يخرج كل أسير من المسلمين فى بلد الروم بغير فداء ولا درهم ولا دينار وبين ان يعمر لك كل بلد للمسلمين مما خربت النصرانية ويرده كما كان وترجع عن غزاتك فقام المامون ودخل خيمة فصلى ركعتين واستخار الله عز وجل وخرج فقال للرسول قل له أما قولك ترد على نفقتى فانى سمعت الله تعالى يقول فى

كتابنا حاكيا عن بلقيس وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون وأما قولك انك تخرج كل اسير من المسلمين في بلد الروم فما في يدك الا أحد رجلين اما رجل طلب الله عز وجل والدار الآخرة فقد صار الى ما أراد واما رجل يطلب الدنيا فلا فك الله أسره وأما قولك انك تعمر كل بلد للمسلمين قد خربته الروم فلو أني قلعت أقصى حجر فى بلاد الروم ما اعتضت بامرأة عثرت عثرة فى حال أسرها فقالت وامحمداه وامحمداه عدا الى صاحبك فليس بيني وبينه الا السيف ياغلام اضرب الطبل فرحل فلم يثن عن غزاته حتى فتح خمسة عشر حصنا وانصرف من غزاته فنزل على عين البديدون المعروفة بالقشيرة على حسب ما قدمنا فى هذا الكتاب فاقام هنالك حتى ترجع رسله من الحصون فوقف على العين ومنع الماء فاعجبه برد مائها وصفاؤه وبياضه وطيب حسن الموضع وكثرة الخضرة فامر بقطع خشب طوال وأمر به فبسط على العين كالجسر وجعل فوقه كالازج من الخشب وورق الشجر وجلس تحت الكنيسة التى قد عقدت له والماء تحته وطرح فى الماء درهم صحيح فقرأ كتابته وهو فى قرار الماء لصفاء الماء ولم يقدر أحد يدخل يده فى الماء من شدة برده فبينا هو كذلك اذ لاحت سمكة نحو الذراع كانها سبيكة فضة فجعل لمن يخرجها سيفا فبدر بعض الفراشين فاخذها وصعد فلما صارت على حرف العين أو على الخشب الذى عليه المامون اضطربت وافلتت من يد الفراش فوقعت فى الماء كالحجر فنضح من الماء على صدر المامون ونحره وترقوته فبلت ثوبه ثم انحدر الفراش ثانية فاخذها ووضعها بين يدى المامون فى منديل تضطرب فقال المامون تقلى الساعة ثم أخذته رعدة من ساعته فلم يقدر يتحرك من مكانه فغطى باللحف والدواويج وهو يرتعد كالسعفة ويصيح البرد البرد ثم حول الى المغرب ودثر واوقد النيران حوله وهو يصيح البرد البرد ثم أتى بالسمكة وقد فرغ من قليها فلم يقدر على الذوق منها وشغله ماهو فيه عن تناول شىء منها ولما اشتد به الامر سأل المعتصم بختيشوع وابن ماسويه فى ذلك الوقت عن المامون وهو فى سكرات الموت وما الذى يدل عليه علم الطب من أمره وهل يمكن برؤه وشفاؤه فتقدم ابن ماسويه فاخذ احدى يديه وبختيشوع الاخرى واخذ الجسة من كلتا يديه فوجدا نبضه خارجا عن الاعتدال منذرا بالفناء والانحلال والتزقت أيديهما ببشرته لعرق كان يظهر منه من سائر جسده كالزيت اوكلعاب بعض الافاعى فاخبر المعتصم بذلك فسألهما عن ذلك فانكرا معرفته

وانهما لم يجداه فى شئ من الكتب وانه دال على انحلال الجسد وافاق المامون من غشيته وفتح عينيه من رقدته فامر باحضار أناس من الروم فسالهم عن اسم الموضع والعين فاحضر له عدة من الاسارى والادلة وقيل لهم فسروا هذا الاسم التشيرة فقيل له تفسيره مدرجليك فلما سمعها اضطرب من هذا الفال وتطير به وقال سلوهم ما اسم الموضع بالعربية فقالوا الرقة وكان فيما عمل من مولد المامون أنه يموت بالموضع المعروف بالرقة وكان المامون كثيرا ما يحيد عن المقام بمدينة الرقة فرقا من الموت فلما سمع هذا من الروم علم أنه الموضع الذى وعد فيه فيما تقدم من مولده وان فيه وفاته وقيل ان اسم البديدون تفسيره مدرجليك والله أعلم بكيفية ذلك فاحتضر المعتصم الاطباء حوله يؤمل خلاصه مما هو فيه فلما ثقل قال أخرجونى أشرف على عسكرى وأنظر الى رجالى وأتبين ملكى وذلك فى الليل فاخرج فاشرف على الخيم والجيش وانتشاره وكثرته وما وقد وقدمن النيران فقال يامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ثم رد الى مرقده وأجلس المعتصم رجلا يشهده لما ثقل فرفع الرجل صوته ليقولها فقال له ابن ماسويه لاتصح فوالله ما يفرق بين ربه وبين مانى فى هذا الوقت ففتح عينيه من ساعته وبهما من العظم والكبر والاحمرار مالم ير مثله قط واقبل يحاول البطش بيديه بابن ماسويه ورام مخاطبته فعجز عن ذلك فرمى بطرفه نحو السماء وقد امتلات عيناه دموعا فانطلق لسانه من ساعته وقال يامن لا يموت ارحم من يموت وقضى من ساعته وذلك فى يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين وحمل الى طرسوس فدفن بها على حسب ماقدمنا فى أول هذا الكتاب (قال المسعودى) وللمامون أخبار حسان ومعان وسير ومجالسات وأشعار وأخلاق جميلة قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن ذكرها وفى المامون يقول أبو سعيد المخزومى

هل رأيت النجوم اغنت عن الما ... مون شيا وملكه المانوس
خلفوه بعرصتى طرسوس ... مثل ماخلفوا اباه بطوس

وكان المامون كثيرا ماينشد هذه الابيات

ومن لايزل عرضا للمنو ... ن يتركنه ذات يوم عميدا
فان هن اخطانه مرة ... فيوشك مخطئها ان يعودا
فبينا تحيد وتخطينه ... قصدن فاعجلنه ان يحيدا

ذكر خلافة المعتصم

وبويع المعتصم في اليوم الذي كانت فيه وفاة المامون على عين البديدون وهو يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين واسمه محمد بن هارون ويكنى بابي اسحق وكان بينه وبين العباس بن المامون في ذلك الوقت تنازع في المجلس ثم انقاد العباس الى بيعته والمعتصم يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة وشهرين وامه اساحية اسمها مارية بنت شبيب وقيل انه بويع سنة تسع عشرة وتوفي بسر من رأى سنة سبع وعشرين وهو ابن ست وأربعين سنة وعشرة اشهر فكانت خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وقبره بالجوسق على ماذكرنا

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

واستوزر المعتصم محمد بن عبد الملك الى آخر أيامه وغلب عليه ابن ابى دواد ولم يزل محمد ابن عبد الملك في أيام المعتصم والواثق الى أن ولى المتوكل وكان في نفسه عليه شيء فقتله وسنذكر لمعامن مقتله فيما يرد من هذا الكتاب في اخبار المتوكل وان كنا قد أتينا على ذلك ملخصا في الكتاب الاوسط وكان المعتصم يحب العمارة ويقول ان فيها أمورا محمودة فاولها عمران الارض التي يحيا بها العالم وعليها يزكو الخراج وتكثر الاموال وتعيش البهائم وترخص الاسعار ويكثر الكسب ويتسع المعاش وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك اذا وجدت موضعا متى انفقت فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة احد عشر درهما فلا تؤامرني فيه وكان المعتصم ذا باس وشدة في قلبه فذكر أحمد بن أبى دواد وكان به انسا قال فلما انكر المعتصم نفسه وقوته دخلت عليه يوما وعنده ابن ماسويه فقام المعتصم فقال لى لا تبرح حتى اخرج اليك فقلت ليحيى بن ماسويه ويحك انى أرى أمير المؤمنين قد حال لونه ونقصت قوته وذهبت سورته فكيف تراه أنت قال هو والله زبرة من زبر الحديد الاان في يديه فأسا يضرب بها تلك الزبرة فقلت وكيف ذاك قال كان قبل ذلك اذا اكل السمك اتخذ له صباغا من الخل والكراويا والكمون والسذاب والكرفس والخردل فاكله بذلك الصباغ فدفع اذى السمك واضرار بالعصب واذا أكل الرءوس اتخذت له أصباغ تدفع أذاها وتلطفها وكان في أكثر أموره يلطف غذاءه ويكثر مشورتي فصار اليوم اذا انكرت شيأ خالفنى وقال آكل هذا على رغم انف ابن ماسويه قال وهو خاف الستر يسمع ما نحن فيه فقلت ويحك يا يحيي ادخل أصبعك في عينيه قال جعلت فداك ماأقدر أراده ولا

أجترئ عليه فى خلاف فلما فرغ من كلامه خرج علينا المعتصم فقال لى ماالذى كنت فيه مع ابن ماسويه قلت ناظرته ياأمير المؤمنين فى لونك الذى أراه حائلا وفى قلة طعمك الذى قد هد جوارحى وأنحل جسمى قال فما قال لك قلت شكا أنك كنت تقبل مايشير به عليك وكنت ترى فى ذلك على مايحب وانك الآن تخالفه قال فما قلت له أنت قال فجعلت أصرف الكلام قال فضحك وقال هذا بعدما دخل فى عينى أو قبل ذلك قال فارفضضت عرقا وعلمت أنه قد سمع ما كنا فيه ورأى ما قد داخلنى فقال يغفر الله لك ياأحمد لقد فرحت بما ظننت انه احزنك اذا سمعته وعلمت أنه نوع من أنواع الانبساط والبسط وكان المعتصم يأنس بعلى بن الجنيد الاسكافى وكان عجيب الصورة عجيب الحديث فيه سلامة أهل السواد فقال المعتصم يوما لمحمد بن حماد اذهب بالغداة الى على بن الجنيد فقل له يتهيأ حتى يزامانى فأتاه فقال ان أمير المؤمنين يأمرك ان تزامله فتهيأ الشروط مزاملة الخلفاء فقال على بن الجنيد وكيف اتهيأ اهيئ لى رأساغير رأسى اشترى لحية غير لحيتى أأزيد فى قامتى انا متهيئ وفضلة قال لست تدرى بعد ماشروط مزاملة الخلفاء ومعادلتهم فقال على بن الجنيد وماهى هات يامن تدرى قال له ابن حماد وكان أديبا ظريفا وكان برسم الحجاب شرط المعادلة الامتاع بالحديث والمذاكرة والمناولة وأن لايبزق ولا يسعل ولا يتنحنح ولا يمخط وأن يتقدم الرئيس فى الركوب اشفاقا عليه من الميل وأن يتقدمه فى النزول فتى لم يفعل المعادل هذا كان سواء والمثقلة الرصاص التى تعدل بها القبة واحدا وليس له أن ينام وان نام الرئيس بل يأخذ نفسه بالتيقظ ومراعاة حال من هو معه وماهو راكبا لانهما اذا ناما جميعا قال جانب لايشعر بميله كان فى ذلك مالاخفاء به وعلى بن الجنيد ينظر اليه فلما أكثر عليه فى هذا الوصف والشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول أهل السواد آه حرها اذهب له فقل له مايزاملك الامن امه زانية وهو كشخان فرجع ابن حماد فقال للمعتصم ماقال فضحك المعتصم وقال جئنى به فجاءه فقال ياعلى ابعث اليك تزاملنى فلاتفعل فقال ان رسولك هذا الجاهل الازعر جاءنى بشروط حسان الشاشى وخالويه المحاكى فقال لاتبزق ولاتفعل كذا وافعل كذا وجعل يتطلط فى كلامه ويترفع من صاداته ويشير بيديه ولا يسعل ولا يعطس وهذا لايقوم لى ولاأقدر عليه فان رضيت ان ازاملك فان جاءنى الفساء فسوت عليك وضرطت واذا جاءك أنت فأده فافسو وأضرط والافاليس بينى وبينك عمل فضحك المعتصم حتى فحص برجليه وذهب به الضحك كل مذهب وقال نعم زاملنى على هذه

الشريطة قال نعم وكرامة فزامله في قبة على بغل فسار ساعة وتوسطا البر فقال على يا أمير المؤمنين حضر ذلك المتاع فما ترى قال ذلك اليك اذا شئت قال تحضر ابن حماد فأمر المعتصم باحضاره فقال له على تعال حتى أسارك فلما دنا منه فساو قاوله كمه وقال أجد دبيب شيء في كمي فانظر ماهو فادخل رأسه فشم رائحة الكنيف فقال ما أرى شيأ ولكني لم أعلم ان في جوف ثيابك كنيفا والمعتصم قد غطى فمه بكمه وقد ذهب به الضحك كل مذهب ثم جعل يفسو فساء متصلا ثم قال لابن حماد قلت لى لا تسعل ولا تبزق ولا تمخط فلم أفعل ولكني أخر أعليك قال فاتصل فساؤه والمعتصم يخرج رأسه من العمارية ثم قال للمعتصم قد نضجت القدر وأريد أخرى فقال المعتصم ورفع صوته حين كثر ذلك عليه ويلك ياغلام الارض الساعة أموت ودخل على بن الجنيد الاسكافي يوما على المعتصم فقال له بعد أن ضاحكه وزهاله ياعلى مالى لا أراك ويلك أنسيت الصحبة وماحفظت المودة فقال له حينئذ بالغ الكلام الذي أريد أن أقوله قلته أنت ما أنت الا ابليس فضحك ثم قال لا تجئنى قال آه كم أجىء فلا أصل أنت اليوم نبيل فكانك من بنى مارية وبنو مارية اناس من أهل السواد يضرب بهم أهل السواد الامثال لكبرهم في نفوسهم فقال له المعتصم هذا اسندان التركي وأشار الى غلام على رأسه بيده مذبة وقال له ياسندان اذا حضر على فأعلمنى وان أعطاك رقعة فأوصلها الى وان حملك رسالة فأخبرني بها قال نعم ياسيدى وانصرف فاقام أياما ثم جاء يطلب سندان فقالوا هو ذا ثم فانصرف ثم عاد فقالوا هو داخل ولا تصل اليه فانصرف وعاد فقالوا هو عند أمير المؤمنين فاحتال حتى دخل عند المعتصم من جهة أخرى فضاحكه ساعة وعاتبه وقال له ياعلى ألك حاجة قال نعم ياأمير المؤمنين ان رأيت سندان التركي فاقرءه منى السلام فضحك وقال ماحاله قال حاله انك جعلت بيني وبينك انسانا رأيتك قبل أن أراه وقد اشتقت اليه فاسألك ان تبلغه منى السلام فغلب المعتصم الضحك وجمع بينه وبين سندان واكد عليه في مراعاة أمره فكان لا يمنع منه وعبر المعتصم من سر من رأى من الجانب الغربي وذلك في يوم مطير وقد تبع ذلك ليلة مطيرة وانفرد من أصحابه واذا حمار قد زلق ورمى بما عليه من الشوك وهو الشوك الذي توقد به التنانير بالعراق وصاحبه شيخ ضعيف واقف ينتظر انسانا يمر فيعينه على حمله فوقف عليه وقال مالك ياشيخ قال فديتك حمارى وقع عنه هذا الحمل وقد بقيت أنظر انسانا يعيننى على حمله فذهب المعتصم ليخرج الحمار من الطين فقال جعلت

فداك تفسد ثيابك هذه وطيبك الذى اشمه من أجل حمارى هذا قال لا عليك فنزل واحتمل الحمار بيد واحدة وأخرجه من الطين فبهت الشيخ وجعل ينظر اليه ويتعجب ويترك الشغل بحماره ثم شد عنان فرسه فى وسطه واهوى الى الشوك وهو حزمتان فحملهما فوضعهما على الحمار ثم دنا من غدير فغسل يديه واستوى على فرسه فقال الشيخ السوادى رضى الله عنك وقال بالنبطية اسعل فرمى باجوافنا وتفسير ذلك فديتك ياشاب وأقبلت الخيول فقال لبعض خاصته أعط هذا الشيخ أربعة آلاف درهم وكن معه حتى تجاوز به أصحاب المسالح وتبلغ به قريته وفى سنة تسع عشرة ومائتين كانت وفاة أبى نعيم الفضل بن دكين مولى طلحة بن عبد الله بالكوفة وبشر بن غياث المريسى وعبد الله بن رجاء العراقى وفيها ضرب المعتصم أحمد بن حنبل ثمانية وثلاثين سوطا ليقول بخلق القرآن وفى هذه السنة وهى سنة تسع عشرة ومائتين قبض محمد بن على بن موسى ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وذلك لخمس خلون من ذى الحجة ودفن ببغداد فى الجانب الغربى بمقابر قريش مع جده موسى بن جعفر وصلى عليه الواثق وقبض وهو ابن خمس وعشرين سنة وقبض أبوه على بن موسى الرضا ومحمد ابن سبع سنين وثمانية أشهر وقيل غير ذلك وقيل ان ام الفضل بنت المامون لما قدمت معه من المدينة الى المعتصم سمته وانما ذكرنا من امره ما وصفنا لان اهل الامامة اختلفوا فى مقدار سنه عند وفاة ابيه وقد اتينا على ما قيل فى ذلك فى رسالة البيان فى اسماء الائمة وما قالت فى ذلك الشيعة من القطعية وفى هذه السنة وهى سنة تسع عشرة ومائتين اخاف المعتصم محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رحمهم الله وكان بالكوفة من العبادة والزهد والورع ونهاية الوصف فلما خاف على نفسه هرب فصار الى خراسان فتنقل من مواضع كثيرة من كورها كمرو وسرخس والطالقان ونسا فكانت له هناك حروب وكوائن وانقاد اليه والى امامته خلق كثير من الناس ثم حمله عبد الله بن طاهر الى المعتصم فحبسه فى ازج اتخذه فى بستان بسر من رأى وقد تنوزع فى محمد بن القاسم فمن قائل يقول انه قتل بالسم ومنهم من يقول ان ناسا من شيعته من الطالقان أتوا ذلك البستان فتاقوا للخدمة فيه من غرس وزراعة واتخذوا سلالم من الحبال واللبود والطالقانية ونقبوا الازج وأخرجوه فذهبوا به فلم يعرف له خبر الى هذه الغاية وقد انقاد الى امامته خلق كثير من الزيدية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ومنهم خلق كثير يزعمون أن محمدا لم يمت وأنه حى

يرزق وأنه يخرج فيملؤها عدلا كما ملئت جورا وأنه مهدى هذه الامة واكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان وقول هؤلاء فى محمد بن القاسم نحو قول رافضة الكيسانية فى محمد بن الحنفية ونحو من قول الواقفية فى موسى بن موسى بن جعفر وهم المطورة بهذا تعرف هذه الطائفة من بين فرق الشيعة وقد أتينا على وصف قولهم فى المقالات فى أصول الديانات ووصف قول غلاتهم من العلوية وغيرهم من المحمدية وسائر فرق أهل الباطل ممن قال بتنقل الارواح فى أنواع الاشخاص من بهم الحيوان وغيره فى كتابنا المترجم بكتاب سر الحياة وكان المعتصم يحب جمع الاتراك وشراءهم من أيدى مواليهم فاجتمع له منهم أربعة آلاف فالبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة وأبانهم بالزى عن سائر جنوده وقد كان اصطنع قوما من حوف مصر ومن حوف اليمن وحوف قيس فسماهم المغاربة واستنقذ رجال خراسان من الفراعنة وغيرهم من الاشروسية فكثر جيشه وكانت الاتراك تؤذى العوام بمدينة السلام بجريها الخيول فى الاسواق وماينال الضعفاء والصبيان من ذلك فكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمة لامرأة أو شيخ كبير أو صبى أو ضرير فعزم المعتصم على النقلة منهم وأن ينزل فى فضاء من الارض فنزل البراذان على أربعة فراسخ من بغداد فلم يستطب هواءها ولا اتسع له هواؤها فلم يزل يتنقل وينقر المواضع والاماكن الى دجلة وغيرها حتى انتهى الى الموضع المعروف بالقاطول فاستطاب الموضع وكان هناك قرية يسكنها خلق من الجرامقة وناس من النبط على النهر المعروف بالقاطول آخذا من دجلة فبنى هناك قصرا وبنى الناس وانتقلوا عن مدينة السلام وخلت من السكان الا اليسير وكان فيما قاله بعض العيارين فى ذلك معيرا للمعتصم بانتقاله عنهم

أياساكن القاطول بين الجرامقه	تركت ببغداد الكباش البطارقه

ونالت من المعتصم شدة عظيمة لبرد الموضع وصلابة أرضه وتأذوا بالليالى ففى ذلك يقول بعض من كان فى الجيش

قالوا لنا ان بالقاطول مشتانا	فنحن نأمل صنع الله مولانا
الناس يأتمرون الرأى بينهم	والله فى كل يوم محدث شانا

ولما تاذى المعتصم بالموضع وتعذر البناء فيه خرج يتقرى المواضع فانتهى الى موضع سامرا وكان هناك للنصارى دير عادى فسأل بعض أهل الدير عن اسم الموضع فقال

يعرف بسامرا قال له المعتصم وما معنى سامرا قال نجدها في الكتب السالفة والامم الماضية انها مدينة سام بن نوح قال له المعتصم ومن أي بلاد هي والام تضاف قال من بلاد طيرهات واليها تضاف فنظر المعتصم الى فضاء واسع تسافر فيه الابصار وهواء طيب وأرض صحيحة فاستمراها واستطاب هواءها وأقام هنالك ثلاثا يتصيد في كل يوم فوجد نفسه تتوق الى الغذاء وتطلب الزيادة على العادة الجارية فعلم أن ذلك لتاثير الهواء والتربة فلما استطاب الموضع دعا باهل الدير فاشترى منهم أرضهم باربعة آلاف دينار وارتاد لبناء قصره موضعا فيها فاسس بنيانه وهو الموضع المعروف بالوزيرية بسر من رأى واليها يضاف التين الوزيري وهو أعذب الاتيان وارقها قشرا وأصغرها حبا لا يبلغه تين الشام ولا تين أهوان وحلوان فارتفع البنيان وأحضر له الفعلة والصناع وأهل المهن من سائر الامصار ونقل اليها من سائر البقاع أنواع الغروس والاشجار فجعل للاتراك قطائع متحيزة وجاورهم بالفراعنة والاشروسية وغيرهم من مدن خراسان على قدر قربهم منهم في بلادهم وأقطع اشناس التركي وأصحابه من الاتراك الموضع المعروف بكرخ سامرا ومن الفراعنة من أنزلهم الموضع المعروف بالعمري والجسر واختطت الخطط واقتطعت القطائع والشوارع والدروب وأفرد أهل كل صنعة بسوق وكذلك التجار فبنى الناس وارتفع البنيان وشيدت الدور والقصور وكثرت العمارة واستنبطت المياه وجرت من دجلة وغيرها وتسامع الناس أن دار ملك قد اتخذت فقصدوها وجهزوا اليها من أنواع الامتعة وسائر ما ينتفع به الناس وغيرهم من الحيوان وكثر العيش واتسع الرزق وشملهم الاحسان وعمهم العدل وكان بدء ما وصفنا فيما فعله المعتصم سنة احدى وعشرين ومائتين واشتد أمر بابك وسار عساكره نحو تلك الامصار فدق العساكر وكثر الجيوش فسير اليه المعتصم بالجيوش وعليها الافشين وكثرت حروبه واتصلت وضاق بابك في بلاده حتى افتض جمعه وقتل رجاله وامتنع بالجبل المعروف بالبذ من أرض الران وهي بلاد بابك وبه يعرف الى هذا الوقت فلما استشعر بابك ما نزل به وأشرف عليه هرب من موضعه وزال عن مكانه فتنكر هو وأخوه وولده وأهله ومن تبعه من خواصه وقد تزيا بزي السفر وأهل التجارة والقوافل فنزل موضعا من بلاد أرمينية على بعض المياه وبالقرب منهم راعي غنم فابتاعوا منه شاة وساموا اشراء شيء من الزاد لهم فمضى من فوره الى سهل بن سنباط فاخبره الخبر وقال هو بابك لا شك فيه وقد كان الافشين لما هرب بابك من موضعه وزال عن جبله خشي أن يعتصم ببعض الجبال المنيعة أو يتحصن ببعض القلاع أو ينضاف

الى بعض الامم القاطنة ببعض تلك الديار فيكثر جمعه وينضاف اليه فلال عسكره فيرجع الى ما كان من أمره فأخذ الطرق وكاتب البطارقة فى الحصون والمواضع من بلاد أرمينية وأذربيجان والران والبيلقان وضمن فى ذلك الرغائب فلما سمع سهل بن سنباط من الراعى ما أخبره به سار من فوره فيمن حضر من عدده وأصحابه حتى أتى الموضع الذى به بابك فترجل له ودنا منه وسلم عليه بالملك وقال له أيها الملك قم الى قصرك الذى فيه وليك وموضع يمنعك فيه الله من عدوك فسار معه الى أن أتى قلعته وأجلسه على سريره ورفع منزلته ووطاله منزله ومن معه وقدمت المائدة وقعد يأكل معه فقال له بابك بجهله وقلة معرفته بما هو فيه وما دفع اليه أمثلك يأكل معى فقام سهل عن المائدة وقال اخطأت أيها الملك وأنت أحق من احتمل عبده اذ كانت منزلتى ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك وجاءه بحداد وقال له مد رجليك أيها الملك وأوثقه بالحديد فقال له بابك أغدرا يا سهل قال يا ابن الخبيثة انما أنت راعى غنم وبقر ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسات وقيد من كان معه وأرسل الى الافشين يخبره الخبر وأن الرجل عنده فسرح اليه الافشين أربعة آلاف فارس عليهم الحديد وعليهم خليفة يقال له بومادة فتسلمه ومن معه وأتى به الى الافشين ومعه ابن سنباط فرفع الافشين منزلة سهل وخلع عليه وحمله وتوجه وقاد بين يديه واسقط عنه الخراج فاطلقه واطلقت الطيور الى المعتصم وكتب اليه بالفتح فلما وصل اليه ذلك ضج الناس بالتكبير وعمهم الفرح وأظهروا السرور وبثت الكتب الى الامصار بالفتح وقد كان افنى عساكر السلطان فسار الافشين ببابك وتنقل بالعساكر حتى أتى سر من رأى وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين وتلقى الافشين هرون بن المعتصم وأهل بيت الخلافة ورجال الدولة ونزل بالموضع المعروف بالقاطول على خمسة فراسخ من سامرا وبعث اليه بالفيل الاشهب وكان قد حمله بعض ملوك الهند الى المأمون وكان فيلا عظيما قد جلل بالديباج الاحمر والاخضر وأنواع الحرير الملون ومعه ناقة عظيمة نجيبة قد جللت بما وصفنا وحمل الى الافشين دراعة من الديباج الاحمر منسوجة بالذهب قد رصع صدرها بأنواع الياقوت والجوهر ودراعة دونها وقلنسوة عظيمة كالبرنس ذات سفاسك بالوان مختلفة وقد نظم على القلنسوة كثيرا من اللؤلؤ والجوهر وألبس بابك الدراعة وألبس أخوه الاخرى وجعلت القلنسوة على رأس بابك وعلى رأس أخيه نحوها وقدم اليه الفيل والى أخيه الناقة فلما رأى صورة الفيل استعظمه وقال ما هذه الدابة العظيمة

واستحسن الدراعة وقال هذه كرامة ملك عظيم جليل الى أسير فقد العز ذليل اخطاته الاقدار وزالت عنه الجدود وتورطته المحن انها الفرحة تقتضي ترحة وضرب له المصاف صفين في الخيل والرجل والسلاح والحديد والرايات والبنود من القاطول الى سامرا مددا واحدا متصل غير منفصل وبابك على الفيل وأخوه وراءه على الناقة والفيل يخطر بين الصفين به وبابك ينظر الى ذات اليمين وذات الشمال ويميز الرجال والعدد ويظهر الاسف والحنين على مافاته من سفك دمائهم غير مستعظم لما يرى من كثرتهم وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين ولم ير الناس مثل ذلك اليوم ولا مثل تلك الزينة ودخل الافشين على المعتصم فرفع منزلته وأعلى مكانه وأتى بابابك فطوف به بين يديه فقال له المعتصم أنت بابك فلم يجب وكررها عليه مرارا وبابك ساكت فمال اليه الافشين وقال الويل لك أمير المؤمنين يخاطبك وأنت ساكت فقال نعم أنا بابك فسجد المعتصم عند ذلك وأمر بقطع يديه ورجليه (قال المسعودى) ورأيت في كتاب أخبار بغداد لما وقف بابك بين يديه لم يكلمه طويلا ثم قال له أنت بابك قال نعم أنا عبدك وغلامك وكان اسم بابك الحسين واسم أخيه عبد الله قال جردوه فسلبه الخدام ما عليه من الزينة وقطعت يمينه وضرب بها وجهه وفعل مثل ذلك بيساره وثلث برجليه وهو يتمرغ في النطع في دمه وقد كان تكلم بكلام كثير يرغب في أموال عظيمة قبله فلم يلتفت الى قوله واقبل يضرب بما بقى من زنديه وجهه وأمر المعتصم السياف ان يدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه اسفل من القلب ليكون اطول لعذابه ففعل ثم أمر بجز لسانه وصلب اطرافه مع جسده ثم حمل الرأس الى مدينة السلام ونصب على الجسر وحمل الى خراسان بعد ذلك يطاف به كل مدينة من مدنها وكورها لما كان في نفوس الناس من استفحال امره وعظم شانه وكثرة جنوده واشرافه على ازالة الملك وقلب ملة وتبديلها وحمل أخوه عبد الله مع الرأس الى مدينة السلام ففعل به اسحق بن ابراهيم ما فعل باخيه بابك بسامرا وصلب جثة بابك على خشبة طويلة في اقاصى سامرا وموضعه مشهور الى هذه الغاية يعرف بكنيسة بابك وان كانت سامرا في هذا الوقت مما خلا ساكنها وبان عنها قاطنها الا اليسير امن الناس في بعض المواضع بها ولما قتل بابك وأخوه وكان من أمره ما تقدم ذكره قام في مجلس المعتصم الخطباء فتكلموا وقالت الشعراء فممن قام في ذلك اليوم ابراهيم بن المهدى فقال شعرا بدلا من الخطبة وهو

يأمين الله ان الحمد لله كثيرا ‏ ‏ هكذا النصر فلا زال لك النصر وزيرا
وعلى الاعداء اعطيت من الله ظهيرا ‏ ‏ هنالك الله لك الفتح يسيرا
فهو فتح لم ير الناس له فتحا نظيرا ‏ ‏ وجزى الافشين عبد الله خيرا وحبورا
فلقد لاقى به بابك يوما قمطريرا ‏ ‏ ذاك مولاك الذى ألفيته جلدا صبورا
لك حتى ضرج السيف له خدا نضيرا ‏ ‏ ضربة أبقت على الدهر له فى الوجه نورا

وتوج الافشين بتاج من الذهب مرصع بالجوهر واكليل ليس فيه من الجوهر الا الياقوت الاحمر والزمرذ الاخضر قد شبك بالذهب وألبس وشاحين وزوج المعتصم الحسن بن الافشين باترجة بنت اشناس وزفت اليه وأقيم لها عرس يجاوز المقدار فى البهاء والجمال وكانت توصف بالجمال والكمال ولما كان من ليلة الزفاف ماعم سروره خواص الناس وكثيرا من عوامهم قال المعتصم ابياتا يصف حسنهما وجمالهما واجتماعهما وهى

زفت عروس الى عروس ‏ ‏ بنت رئيس الى رئيس
ايهما كان ليت شعرى ‏ ‏ أجل فى الصدر والنفوس
أصاحب المذهب المحلى ‏ ‏ أم ذى الوشاحين والشموس

وفى هذه السنة وهى سنة ثلاث وعشرين خرج نوفل ملك الروم فى عساكره ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الامم حتى نزل على مدينة زبطرة من الثغر الجورى فافتتحها بالسيف وقتل الصغير والكبير وأغار على بلاد ملطية فضج الناس فى الامصار واستغاثوا فى المساجد والديار فدخل ابراهيم بن المهدى على المعتصم فأنشده قائما قصيدة طويلة يذكر فيها مانزل بمن وصفنا ويحثه على الجهاد فيها

ياغارة الله قد عاينت فانتهكى ‏ ‏ هتك النساء ومامنهن يرتكب
هب الرجال على اجرامها قتلت ‏ ‏ مابال أطفالها بالذبح تنتهب

وابراهيم بن المهدى أول من قال فى شعره ياغارة الله فخرج المعتصم من فوره فافرا عليه دراعة من الصوف بيضاء وقد تعمم بعمامة الغزاة فعسكر غربى دجلة وذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ونصبت الاعلام على الجسر ونودى فى الامصار بالنفير والسير مع أمير المؤمنين فسارت اليه العساكر والمطوعة من سائر الاسلام وجعل على مقدمته اشناس التركى ويتلوه محمد بن ابراهيم وعلى ميسرته جعفر بن دينار وعلى ساقته بغا الكبير وعلى القلب عجيف وسار المعتصم من الثغور الشامية ودخل من درب السلامة ودخل الافشين من درب

الحرث ودخل الناس من سائر الدروب فلم يكن يحصى الناس العدد ولا يضبطون كثرة فمن مكثر ومقلل فالمكثر يقول خمسمائة ألف والمقلل مائتى ألف والتقى ملك الروم الافشين لخار به فهزمه الافشين وقتل أكثر بطارقته وأصحابه وحماه رجل من المنتصرة يقال له نصير فى خلق من أصحابه وقد كان الافشين قصر عن أخذ الملك فى ذلك اليوم حين ولى وقال هو ملك والملوك تبقى بعضها على بعض وفتح المعتصم حصونا كثيرة ونزل على مدينة عمورية ففتحها الله على يديه وخرج لاوى البطريق منها وسلمها اليه وأسر البطريق الكبير منها وهو ماطس وقتل منها ثلاثين ألفا وأقام عليها أربعة أيام يهدم ويحرق وأراد المسير الى القسطنطينية والنزول على خليجها والحيلة فى فتحها برا وبحرا فأتاه ماأزعجه وأزاله عما كان عزم عليه من أمر العباس بن المأمون وان ناسا قد بايعوه وانه كاتب طاغية الروم فاعجل المعتصم فى مسيره وحبس العباس وشيعته وفى هذه السنة مات العباس بن المامون وفى سنة خمس وعشرين ادخل المازيار بن مازن ابن بندار هرمس صاحب جبال طبرستان الى سامرا فاقر على الافشين أنه بعثه على الخروج والعصيان لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس وقبض على الافشين قبل قدوم المازيار بسامرا بيوم وأقر عليه كاتب يقال له سابور فضرب المازيار بسوط حتى مات بعد أن شهر وصلب الى جانب بابك وقد كان المازيار رغب المعتصم فى أموال كثيرة يحملها ان هو من عليه بالبقاء فأبى قبول ذلك وتمثل

ان الاسود أسود الغيل همتها يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

ومالت خشبة مازيار الى خشبة بابك فتدانت اجسامهما وقد كان صلب فى ذلك الموضع باطس بطريق عمورية وقد انحنت نحوهما خشبته ففى ذلك يقول أبو الهمام لهما

ولقد شفى الاحشاء من برحائها اذ صار بابك جار مازيار
ثانيه فى كبد السماء ولم يكن لاثنين ثان اذ هما فى الغار
فكأنما انحنيا لكيما يطويا عن باطس خبرا من الاخبار

ومات الافشين فى الحبس بعد أن جمع بينه وبين مازيار فأقر عليه وأخرج الافشين ميتا فصلب بباب العامة واحضرت أصنام زعموا انها كانت حملت اليه فألقيت عليه وأضرمت النار فاتت على الجميع وفى سنة ست وعشرين ومائتين مات أبو دلف العجلى وكان سيد أهله ورئيس عشيرته من عجل وغيرها من ربيعة وكان شاعرا مجيدا شجاعا بطلا مغنيا مصيبا وهو القائل

يوماترانى على طمر ترهبنى الاجبل الرواسى
ويوم لهو أحث كاسا وخاف أذنى قضيب آسى

(وذكر) أن أبادلف طعن فارسا فنفذت الطعنة الى أن وصل السنان آخر كان خلفه فقتلهما ففى ذلك يقول بكر بن النطاح

قالوا وينظم فارسين بطعنة يوم الهياج ولاتراه كليلا
لاتعجبوا فلو ان طول قناته ميل اذا نظم الفوارس ميلا

(وذكر) عيسى بن أبى دلف ان أخاه دلف وكان يكنى أبو دأبادلف كان ينتقص عليا ويضع منه ومن شيعته وينسبهم الى الجهل وانه قال يوما وهو فى مجلس أبيه ولم يكن أبوه حاضرا انهم يزعمون أن لا ينتقص عليا أحد الا كان لغير رشدة وأنتم تعلمون غيرة الامير وانه لا يتهيا الطعن على أحد من ضربته وأنا أبغض عليا قال فما كان باوشك من أن خرج أبو دلف فلما رأينا دقمنا له فقال قد سمعت ماقاله دلف والحديث لا يكذب والخبر الوارد فى هذا المعنى لا يختلف هو والله لزنية وحيضة وذلك انى كنت عليلا فبعثت الى اختى جارية لها كنت بها معجبا فلم أتمالك أن وقعت عليها وكانت حائضا فعلقت به فلما ظهر حملها وهبتها لى فبلغ من عداوة دلف هذا لابيه ونصبه ومخالفته له لان الغالب على أبيه التشيع والميل الى على ان شنع عليه بعد وفاته وهو ماحدث به الفرهيسانى قال حدثنا دلف بن أبى دلف قال رأيت فى المنام آتيا أتانى فقال لى أجب الامير فقمت معه فأدخلنى دارا وحشة وعرة وأصعدنى على درج منها ثم ادخلنى غرفة فى حيطانها أثر الرماد واذابه عريان واضع رأسه بين ركبتيه فقال كالمستفهم دلف قلت دلف فأنشأ يقول

فلو أنا اذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حى
ولكنا اذا متنا بعثنا ونسال بعده عن كل شى

ثم قال أفهمت قلت نعم وانتبهت * وفى خلافة المعتصم وذلك سنة أربع وعشرين ومائتين مات جماعة من نقلة الاخبار وعلية أصحاب الحديث منهم عمرو بن مرزوق الباهلى المصرى وأبو النعمان حازم ومحمد بن الفضل السدوسى وأبو أيوب سليمان بن حرب الواشجى البصرى من الازد وسعد بن الحكم بن أبى مريم البصرى وأحمد بن عبدالله العرانى وسليمان الساذكونى وعلى بن المدنى وفى سنة تسع وعشرين ومائتين مات بشر الحافى ببغداد وكان من مرو وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسى

بالبصرة وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وعبدالله بن عبد الوهاب الجحى وابراهيم بن يسار الرمادى وقيل ان فيها كانت وفاة محمد بن كثير العبدى والصحيح ان وفاته كانت فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين (قال المسعودى) وفى سنة سبع وعشرين كانت وفاة المعتصم على دجلة فى قصره المعروف بالخاقانى يوم الخميس لثمانى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول وقيل لساعتين من ليلة الخميس وهو ابن ثمان واربعين سنة وقيل ست وأربعين سنة على ماقدمنا فى انقضاء صدر هذا الباب وكان مولده بالخلد ببغداد سنة ثمان وسبعين ومائة فى الشهر الثامن من السنة وهو ثامن الخلفاء والثامن من ولد العباس ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات وللمعتصم أخبار حسان وما كان من أمره فى فتح عمورية وما كان من حروبه قبل الخلافة فى أسفاره نحو الشام ومصر وغير ذلك وما كان منه بعد الخلافة وماحكى عنه من حسن السيرة واستقامة الطريقة ابن دواد القاضى ويعقوب بن الليث الكندى فى لمع أوردها فى رسالته المترجمة بسبيل الفضائل قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا فى أخبار الزمان والكتاب الاوسط وقد ذكرنا فى هذا لمعا منبهة على ماسلف وباعثة على درس ماتقدم

﴿ ذكر خلافة الواثق ﴾

وبويع هرون بن محمد بن هرون الواثق ويكنى بابى جعفر وأمه أم ولد رومية وتسمى قراطيس وذلك فى اليوم الذى كانت فيه وفاة المعتصم وهو يوم الخميس لثمانى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين وبويع وهو ابن احدى وثلاثين سنة وتسعة أشهر وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما وقيل انه توفى يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وهو ابن أربع وثلاثين سنة ووزيره محمد بن عبد الملك وعلى حسب ماقدمنا فى أيام المعتصم من هذا الكتاب والتواريخ متباينة فى مقادير أعمارهم وأيامهم فى الزيادة والنقصان

﴿ ذكر لمع من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه ﴾

كان الواثق كثير الاكل والشرب واسع المعروف متعطفا على أهل بيته متفقدا الرعيته وسلك فى المذهب مذهب أبيه وعمه من القول بالعدل وغلب عليه أحمد بن أبى دواد ومحمد بن عبد الملك الزيات فكان لا يصدر الا عن رأيهما ولا يعاب عليهما فيما رأيا وقلدهما الامر وفوض اليهما ملكه (وذكر) أبو تمام حبيب بن أوس الطائى الجاسمى نسبة الى جاسم وهى قرية من أعمال دمشق بين بلاد الاردن ودمشق بموضع يعرف بالجولان

ويعرف بحاسم على أميال من الجابية وبلاد براوهى من مراعى أيوب عليه السلام قال خرجت فى أيام الواثق الى سر من رأى فلما قربت منها القينى أعرابى فأردت ان أعلم خبر العسكر منه فقلت يا أعرابى ممن أنت قال من بنى عامر قلت كيف علمك بعسكر أمير المؤمنين قال قتل أرضاعالمها قلت ماتقول فى أمير المؤمنين قال وثق بالله فكفاه اشجى القاصية وقصم العادية ورغب عن كل ذى جناية قلت فماتقول فى أحمد بن أبى دواد قال هضبة لاترام وجبل لايضام تشحذله المدى وتنصب له الحبائل حتى اذا أقبل كان قد وثب وثبة الذئب وختل ختلة الضب قلت فماتقول فى محمد بن عبد الحكم الزيات قال وسع الدانى شره ووصل الى البعيد ضرره فى كل يوم صريع لايرى فيه أثر ناب ولا مخلب قلت فماتقول فى عمرو بن فرج قال ضخم نهم استعذب الدم بنصبه القوم ترسا للدعاء قلت فما تقول فى الفضل بن مروان قال رجل نبش بعدما قبر ليس تعدله حياة فى الاحياء وعليه خفة الموتى قلت فماتقول فى الوزير قال تخاله كبش الزنادقة أماتراه اذا أخمله الخليفة سمن ورتع واذا اهزدامطر فامرع قلت فماتقول فى احمد بن الخصيب قال ذاك اكل اكلة نهم فزرق زرقة بشم قلت فماتقول فى ابراهيم اخيه قال اموات غير احياء ومايشعرون ايان يبعثون قلت فماتقول فى احمد بن اسرائيل قال لله درداى فاعل هو واى صابر هو اعدالصبر دثارا والجود شعارا واهون عليه بهم قلت فماتقول فى المعلى بن ايوب قال ذاك رجل خير نصيح السلطان عفيف اللسان سلم من القوم وسلموا منه قلت فماتقول فى ابراهيم بن رباح قال ذاك رجل أوثقه كرمه وأسلمه فضله وله دعاء لايسلمه ورب لايخذله وفوقه خليفة لايظلمه قلت فماتقول فى الحسن ابنه قال ذاك عود نضار غرس فى منابت الكرم حتى اذا اهتز حصدوه قلت فماتقول فى نجاح بن سلمة قال لله دره أى طالب وتر ومدرك ثار يلتهب كانه شعلة نار له من الخليفة فى الاحيان جلسة تزيل نعما وتحل نقما قلت يا أعرابى أين منزلك حتى آتيك قال اللهم غفرا مالى منزل أنا اشتمل النهار وألتحف الليل فحيثما ادركنى الرقاد رقدت قلت فكيف رضاك عن أهل العسكر قال ان اعطونى لم أحمدهم وان ضيعونى لم أذمهم وانى كما قال هذا الغلام الطائى

وما أبالى وخير القول اصدقه حقنت لى ماء وجهى أو حقنت دمى

قلت فانا قائل هذا الشعر قال أئنك أنت الطائى قلت نعم قال لله أبوك وأنت القائل

ماجود كفك ان جادت وان بخلت من ماء وجهى وقد اخلقته عوض

قلت نعم قال أنت أشعر أهل زمانك وفى رواية أخرى ليست فى الكتاب قال أنشدنى شيامن شعرك فانشدنى

أقول وجنح الدجا ملبد　　والليل فى كل فج يد
ونحن ضجيعان فى مجسد　　فلله ماضمن المجسد
فياغدا ان كنت بى محسنا　　فلا تدن من ليلتى ياغد
ويا ليلة الوصل لا تنفدى　　كما ليلة الهجر لا تنفد

فقلت لله أبوك ورددته معى حتى لقيت ابن أبى دواد وحدثته بخبره فاوصله الى الواثق فامر له بالف دينار وأخذ له من سائر الكتاب وأهل الدولة ما أغناه به وأغنى عقبه بعده وهذا الخبر فخرجه عن أبى تمام فان كان صادقا فيما قال ولا اراه فقد أحسن الاعرابى فى الوصف وان كان أبو تمام هو الذى صنعه وعزاه الى هذا الاعرابى فقد قصر فى نظمه اذ كانت منزلته أكبر من هذا * وكانت وفاة أبى تمام بالموصل سنة ثمان وعشرين ومائتين وكان خليعا ما جناورعا أداه ذلك الى ترك وجبات فرضه تماجنا لا اعتقادا (وحدث) محمد بن يزيد المبرد عن الحسن بن رجاء قال صار الى ابو تمام وأنا بفارس فاقام عندى مقاما طويلا ونمى الى من غير وجه أنه لا يصلى فوكلت به من يراعيه ويتفقده أوقات الصلاة فوجدت الامر على ما اتصل بى عنه فعاتبته على فعله ذلك فكان من جوابه أن قال لم انشط للشخوص اليك من مدينة السلام وأتجشم هذه الطرقات الشاقة واكسل عن ركعات لا مؤونة على فيها لو كنت أعلم ان لمن صلاها ثوابا أو على من تركها عقابا قال فهممت والله بقتله ثم تخوفت ان يصرف الامر الى غير جهته وهو القائل

وأحق الانام ان يقضى الديـ　　ـن امرؤ كان للاله غريما

وهذا قول مباين لدليل العقل والناس فى أبى تمام فى طرفى نقيض متعصب له يعطيه أكثر من حقه ويتجاوز به فى الوصف ويرى ان شعره فوق كل شعر ومنحرف له معاند فهو ينفى عنه حسنه ويعيب مختاره ويستقبح المعانى الظريفة التى سبق اليها وتفرد بها (وذكر) عبد الله بن الحسن بن سعدان عن المبرد قال كنت فى مجلس القاضى أبى اسحق واسماعيل بن اسحق وحضر جماعة سماهم منهم الحارثى الذى قال فيه على بن الجهم الشامى

لم يطلعا الا لآبدة　　الحارثى وكوكب الذنب

فجرى ذلك الشعر وان كان الكلام تسلسل الى ذكر أبى تمام وشعره وأن الحارثى انشد لابى تمام معاتبة أحسن فيها وان المبرد استحيا ان يستعيد الحارثى الشعر او

يكتبه منه لا جل القاضي قال ابن سعد اذ فاعلمت المبرد انى احفظ الشعر فانشدته اياه فاستحسنه واستعاده منى مرارا حتى حفظه منى وهو

جعلت فداك عبد الله عبدى تعقب النأى عنه والبعاد
له لمة من الفتيان بيض قضوا احق الصداقة والوداد
دعوتهم عليك وكنت ممن يعينه على الفقر الجياد

قال وسالت عن ابى تمام والبحترى ايهما اشعر قال لابى تمام استخراجات لطيفة ومعان ظريفة وجيده اجود من شعر البحترى ومن شعر من تقدمه من المحدثين وشعر البحترى احسن استواء من ابى تمام لان البحترى يقول القصيدة كلها فتكون سليمة من طعن طاعن اوعيب عائب وابو تمام يقول البيت النادر ويتبعه البيت السخيف وما اشبهه الا بغائص البحر يخرج الدرة والمخشلبة فى نظام واحد وانما يؤتى هو وكثير من الشعراء من البخل باشعارهم والا فلو اسقط من شعره على كثرة عدده ما افكر منه لكان اشعر نظرائه فدعانى هذا القول منه الى ان قرات عليه شعر ابى تمام واسقطت خواطئه وكل ماذم من شعره وافردت جيده ووجدت مايتمثل به ويجرى على السنة العامة وكثير من الخاصة مائة وخمسين بيتا ولا اعرف شاعرا جاهليا ولا اسلاميا يتمثل له بهذا المقدار من الشعر ثم قال المبرد وبالبحترى يختم الشعر وانشدنى له بيتين زعم المبرد انهما لو اضيفا الى شعر زهير لجاز افيه وهما

وما سفه السفيه وان تعدى بانجع فيك من حلم الحليم
متى احفظت ذا كرم تخطى اليك ببعض افعال الائيم

قال وكان مما ذكرنا من شعر البحترى فى هذا المجلس وقدمه محمد بن يزيد على نظرائه فى قوله فى بنى صاعد بن مخلد

واذا رأيت مخايل ابنى صاعد ادت اليك مخايل ابنى مخلد
كالفرقدين اذا تامل ناظر لم يعل موضع فرقد من فرقد

وقوله

من شاكر عنى الخليفة للذى أولاه من بر ومن احسان
حتى لقد أفضلت من افضاله ورأيت نهج الجود حيث يرانى
أغنت يداه يدى وشرد جوده بخلى فافقرنى كما اغنانى
ووثقت بالخلق الجميل معجلا منه واعطيت الذى اعطانى

وقوله

وددت بياض السيف يوم لقيتنى مكان بياض الشيب كان بمفرق

وقوله دنوت تواضعا وعلوت قدرا فشأناك انحدار وارتفاع
كذاك الشمس تبعد أن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع

وقوله فى الفتح بن خاقان وقد نزل الى أسد فقتله

حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا
فاحجم لما لم يجد فيك مطمعا وصمم لما لم يجد منك مهربا
وكنت متى تجمع يمينك بالعلا لدى ضيغم لم تبق للسيف مضربا

وقوله مازال صرف الدهر يؤيس صفقتى حتى رهنت على المشيب شبابى

وقوله فى المنتصر

وان عليا لاولى بكم وأزكى يدا عندكم من عمر
وكان له فضله والحجو ل يوم البراذين قبل الغرر

وقوله تعيب الغانيات على شيبى ومن لى ان امتع بالمشيب

ثم ذكر انتقاض الصلح بين عشيرته فقال

اذا ما الجرح رم على فساد تبين فيه تفريط الطبيب

وقوله وللسهم الشريد أخف عبا على الرامى من السهم المصيب
ومامنع الفتح بن خاقان نيله ولكنها الايام تعطى وتحرم
سحاب خطانى جوده وهو مسبل وبحر عدانى فيضه وهو مفعم
أأشكو نداه بعد أن وسع الورى ومن ذا يذم الغيث الامذمم

وذكر محمد بن ابى الازهر قال كان ابراهيم بن المدبر مع محله فى العلم والادب والمعرفة يسىء الرأى فى أبى تمام ويحلف أنه لا يحسن شيأ قط فقلت له يوما ماتقول فى قوله

غدا الشيب مختطا بفودى خطة سبيل الردى منها الى النفس مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى وذو الالف يقلى والجديد يرقع
له منظر فى العين أبيض ناصع ولكنه فى القلب أسود أسفع
ونحن نرجيه على الكره والرضا وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

وفيمن يقول فان ترم عن عمر وتداعى به المدى فخانك حتى لم تجد فيه منزعا
فما كنت الا السيف لاقى ضريبة فقطعها ثم انثنى فتقطعا

وفيمن يقول شرف على اول الزمان وانما شرف المناسب مايكون كريما

وفيمن يقول اذا احسن الاقوام ان يتطاولوا بلا نعمة أحسنت أن تتطولا

وفيمن يقول ممطرلى الحياة والمال لا ألقاك الا مستوهبا أو وهوبا
واذا ما أردت كنت رشاء واذا ما أردت كنت قليبا
والقائل خشعوا الصولتك التى عودتهم كالموت يأتى ليس فيه عثار
فالمشى همس والنداء اشارة خوف انتقامك والحديث سرار
أيامنا معقودة اطرافها بك والليالى كلها أسحار
تبدى عقابك للعصاة ويغتدى رفقا الى زوارك الزوار
وفيمن يقول اذا أوهدت أرضا كان فيها رضاك فلا نحن الى رباها

قال فوالله لكأنى اغريت ابن المدبر بابى تمام حتى سبه ولعنه فقلت اذا فعلت ذلك لقد حدثنى عمر بن أبى الحسين الطوسى الراوية أن أباه وجه به الى ابن الاعرابى يقرأ عليه أشعار هذيل فمرت بنا اراجيز فانشدته ارجوزة لابى تمام لم أنسبها اليه وهى

وعاذل عذلته من عذله فظن انى جاهل من جهله
ماغبن المغبون مثل عقله من لك يوما باخيك كله
لبست ريعانى فدعنى ابله وملك فى كبره ونبله
وسوقة فى قوله وفعله بذلت مدحى فيه باغى بذله
فجز حبل املى من وصله من بعد ما استعذبنى بمطله
ثم اغتدى معتديا بجهله ذاعنق فى الجهل لم يخله
يلحظنى فى جده وهزله يعجب من تعجبى من بخله
لحظ الاسير حلقات كبله حتى كانى جئته بعذله
ياواحدا منفردا بعدله أكسبته المال فلا تمله
مايصنع الغمد بغير نصله والمدح ذم مالم يكن فى أهله

فقال لابنه اكتبها فكتبها على ظهر كتاب من كتبه فقلت له جعلت فداك انها لابى تمام فقال خرق خرق وهذا من ابن المدبر قبيح من علمه لان الواجب أن لا يدفع احسان محسن عدوا كان أو صديقا وان تؤخذ الفائدة من الوضيع والرفيع فقد روى عن أمير المؤمنين أنه قال الحكمة ضالة المؤمن فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك وقد ذكر عن بزرجمهر وكان من حكماء الفرس وقد قدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار ملوك ساسان وهم الفرس الثانية انه قال أخذت من كل شئ أحسن مافيه حتى من الكلاب

والهرة والخنزير والغراب قيل ما أخذت من الكلب قال الفه لاهله وذبه عن صاحبه قيل فما اخذت من الغراب قال شدة حذره قيل فمن الخنزير قال بكورته فى حوائجه قيل فمن الهرة قال حسن نغمتها وتملقها لاهلها عند المسئلة ومن عاب مثل هذه الاشعار التى ترتاح لها القلوب وتحرك بها النفوس وتصغى اليها الاسماع وتشحذ بها الاذهان ويعلم كل من له قريحة وفضل ومعرفة أن قائلها قد بلغ فى الاجادة أبعد غاية واقصى نهاية فانما غض من نفسه وطعن على معرفته واختياره (وقد روى) عن ابن عباس انه قال الهوى اله معبود واحتج بقوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه * ولابى تمام اشعار حسان ومعان لطاف واستخراجات بديعة (وحكى) عن بعض العلماء بالشعر أنه سئل عن أبى تمام فقال كانه جمع شعر العالم فانتخب جوهره وقد كان ابو تمام ألف كتابا وسماه الحماسة وفى الناس من يسميه كتاب الخيبة انتخب فيه شعر الناس ظهر بعد وفاته وقد صنف ابو بكر الصولى كتابا جمع فيه أخبار أبى تمام وشعره وتصرفه فى أنواع علومه ومذاهبه واستدل الصولى على ما وصف عن أبى تمام بما يوجد من شعره من ذلك قوله فى صفة الخمر

جهمية الاوصاف الأأنهم ... قد لقبوها جوهر الاشياء

وقد رثته الشعراء بعد وفاته والادباء من اخوانه منهم الحسن بن وهب الكاتب وكان شاعرا ظريفا له حظ فى المنثور والمنظوم فقال

سقى بالموصل الجدث الغريبا ... سحائب ينتحبن له نحيبا
اذا اطللنه اطلان فيه ... شعيب المزن يتبعها شعيبا
ولطمت البروق به خدودا ... وشققت الخدود لها جيوبا
فان تراب ذاك القبر يحوى ... حبيبا كان يدعى لى حبيبا
لبيبا شاعرا فطنا أديبا ... أصيل الرأى فى الجلى أريبا
اذا شاهدته رواك فيما ... يسرك رقة منه وطيبا
أبا تمام الطائى ماذا ... لقينا بعدك العجب العجيبا
فقدنا منك علقا لا ترانا ... نصيب له مدى الدنيا ضريبا
وكنت أخا لنا أبدى الينا ... ضمير الود والنسب القريبا
فلما بنت كدرت الليالى ... قريب الدار والاقصى الغريبا
فابدى الدهر أقبح صفحتيه ... ووجها كالحاجهما قطوبا
فاحر بان يطيب الموت فيه ... وأحر بعيشنا أن لا يطيبا

وللحسن أشعار حسان ومعان جياد منها قوله

أبت مقلتاك لفرط الحزن عليك الرقاد وبرد الوسن
وحق لعينيك أن لاتناما وقلبك مختلس مرتهن
وبين الجوانح داء دفين لعمرك مستتر قد كمن
نجى الهموم وقرن الكلوم ووهى الحلوم وبعد الوطن
شديد النفار كثير العثار خليع العذار يجر الرسن
أفى كل يوم تطيل الوقوف تناجى الديار وتبكى الدمن
وتستخبر الدار عن أهلها وتذرى الدموع على من ظعن
كانك لم تر فيما مضى من الدهر ذا صبوة مفتتن
عذرتك أيام شرخ الشباب وفرعك فرع نضير الغصن
فاما وقد زال ظل الشبا ب عنك وولى كان لم يكن
وألبسك الشيب بعد الشباب قناع بياض كلون القطن
وصرت قذى فى عيون الحسان يخنك عهداوان لم تخن
ويصدفن عنك اذا رمتهن وكنت لهن زمانا سكن
فمالك عذر وانت امرؤ بعافيه رشدك طب فطن

وفى خلافة الواثق مات على بن الجعد مولى بنى مخزوم وكان من علية اصحاب الحديث وأهل النقل وذلك فى سنة ثلاثين ومائتين وفى سنة احدى وثلاثين ومائتين قتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعى فى المحنة على القرآن (قال المسعودى) وكان يحضر مجلس الواثق فتى يرسم الندماء يقوم تمام الصغر سنه ولم يكن لذلك يلحق فى الجلوس بمراتب ذوى الاسنان وكان ذكيا ماذونا له فى الافاضة مع الجلساء فى كل مايعرض لهم الكلام فيه والتكلم بما يسنح ويختلج فى صدره من مثل سائر وبيت نادر وحديث ممتع وجواب مسرع قال وكان الواثق من شدة الشهوة للطعام والنهمة فيه على الحالة المشهورة المتعالية فقال لهم الواثق يوما ماتختارون من النقل فبعض قال نبات السكر وبعض قال رمان وبعض قال تفاح وبعض قال قصب السكر ينضح بماء الورد وبعض اخرجته الفلسفة الى النقيض فقال ملح يغلى وبعض قال صبر يمحى بعذاب النبيذ ويجلى على سورة الشراب ومرارة النقل قال ماصنعتم شيأ ولكن ماتقول أنت ياغلام قال خشكنانج مشير فوافق ذلك مافى نفس الواثق وقال اصبت واحسنت بارك الله لك

وكان ذلك أول جلوسه وقيل ان اباجعفر محمد بن على بن موسى الرضا عليهم الرضوان توفى فى خلافة الواثق وقد بلغ من السن ماقدمناه فى خلافة المعتصم من هذا الكتاب وقيل انه كتب الى الواثق ياأمير المؤمنين ليس من أحد وان ساعدته المقادير يستخلص غضارة عيش الامن خلال مكروه ومن ترك معاجلة الدرك انتظار مؤاجلة الاشياء سلبته الايام فرصته فان شرط الزمان الآفات وحكم الدهر السلب وفى سنة ثلاثين ومائتين وذلك فى خلافة الواثق توفى عبدالله بن طاهر فى ربيع الاول من هذه السنة وفيه يقول الشاعر وقت كون عبدالله بن طاهر بمصر

يقول اناس ان مصر بعيدة　　وما بعدت مصر وفيها ابن طاهر
وابعد من مصر رجال تراهم　　بحضرتنا معروفهم غير حاضر
عن الخير موتى ماتبالى أزرتهم　　على طمع أم زرت أهل المقابر

وكان الواثق محبا للنظر مكرما لاهله مبغضا للتقليد وأهله محبا للاشراف على علوم الناس وآرائهم ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة والمتطببين فجرى بحضرته أنواع من علومهم فى الطبيعيات وما بعد ذلك من الالهيات فقال لهم الواثق قد احببت ان أعلم كيفية ادراك معرفة الطب وماخذ اصوله اذلك من الحس أم من القياس والسنة أم يدرك من جهة العقل أم علم ذلك وطريقه يعلم عندكم من جهة السمع كما يذهب اليه جماعة من أهل الشريعة وقد كان ابن بختيشوع وابن ماسويه وميخائيل فيمن حضر وقيل ان حنين بن اسحق وسلمويه فيمن حضر فى هذا المجلس فقال منهم قائل زعم طوائف من الاطباء وكثير من متقدميهم ان الطريق الذى يدرك به الطب هو التجربة فقط وحدوده بان يتكرر الحس على محسوس واحد فى أحوال متغايرة فيوجد بالحس فى آخر الاحوال كما يوجد فى أولها والحافظ لذلك المجرب وزعموا أن التجربة ترجع الى مبادأربعة هن لها أوائل ومقدمات وبها علمت وصحت واليها تنقسم التجربة فصارت بذلك اجزاء لها فزعموا أن قسما من تلك الاقسام طبيعى وهو ماتفعله الطبيعة فى الصحيح والمريض من الرعاف والعرق والاسهال والقئ التى تعقب فى المشاهدة منفعة أو ضررا وقسما اراديا وهو مايقع من قبل النفس الناطقة وذلك كمثل منام يراه الانسان وهو أن يرى كانه عالج مريضا به علة مشاهدة معقولة بشئ من الاشياء معروف فيبرأ ذلك المريض من مرضه او يخطر مثل ذلك بباله فى حال فكره فيتردد ويغلب ظنه بعطبه فيجربه بان يفعله كما يرى فى منامه فيجده كما يرى أو يخالف ذلك ويفعله مرارا

فيجده كذلك وقسماه ونقل وهو على ثلاثة أقسام اما أن ينقل الدواء الواحد من مرض الى مرض يشبهه وذلك كالنقلة من ورم الحمرة الى الورم المعروف بالنملة واما من عضو الى عضو يشبهه وذلك كالنقلة من السفرجل الى الزعرور فى علاج انطلاق البطن وكل ذلك لا يعمل به عندهم الا بالتجربة وذهب طائفة أخرى منهم الى أن الحيلة فى تقريب أمر صناعة الطب وتسهيلها ان تردا شخاص من العلل ومولداتها الى الاصول الحاصرة الجامعة لها اذا كان لا غاية لتولدها وأن يستدل على الدواء من نفس الطبيعة والمرض الحاضر الموجود فى الحال والوقت دون الاسباب الفاعلة التى عدمت ودون الازمان والاوقات والاسباب والعادات ومعرفة طبائع الاعضاء وحدودها وألزموا التحفظ بكل مايكون فى كل علة وجدت أولم توجد وبرهنوا بان زعموا أن من المعلومات الظاهرة التى لاريب فيها ان الضدين لا يجوز اجتماعهما فى حال وان وجود أحدهما ينفى الآخر فى الحال لا محالة قالوا وليس هذا كشئ ظاهر يستدل به على كل شئ خفى والشئ الظاهر يحتمل الوجود فيختلف الاستدلال فيكون القطع على مايوجبه غير بين وهذا قول جماعة من حذاق المتطببين وأهل التقدم فى اليونانيين مثل ماموس وساساليس وغيرهما وهم قوم يعرفون باصحاب الطب الجبلى قال الواثق لهم جميعا فاخبرونى عن جمهورهم الاعظم إلام يذهبون فى ذلك فقالوا القياس قال وكيف ذلك قالوا جميعا زعمت هذه الطائفة أن الطريق والقانون الى معرفة الطب ماخوذ من مقدمات أولية فمنها معرفة طبائع الابدان والاعضاء وافعالها ومنها معرفة الابدان فى الصحة والمرض ومعرفة الاهوية واختلافها والاعمال والصنائع والعادات والاطعمة والاشربة والاسفار ومعرفة قوى الامراض وقالوا ثبت فى الشاهد ان الحيوان يختلف فى صورته وطباعه وكذلك اعضاؤه مختلفة فى طباعها وصورها وان الاجساد الحيوانية تتغير بالاهوية المحيطة بها وبالحركة والسكون والاغذية من المأكول والمشروب والنوم واليقظة واستفراغ مايخرج من الجسد واحتباسه من الاعراض النفسانية من الغم والحزن والغضب والهم قالوا والغرض بالطب هو تدبير الاجسام وحفظ الصحة الموجودة فى البدن الصحيح واجتلابها للعليل فالواجب ان يكون حفظ الصحة انما هو بمعرفة الاسباب المصححة فالواجب على الطبيب لا محالة من هذه المقدمات التى قد صحت اذا أراد علاج المريض النظر فى طبائع الامراض والابدان والاغذية والعادات والازمان والاوقات الحاضرة والاسباب

ليستدل بجميع ذلك وهذا ياأمير المؤمنين قول ابقراط وجالينوس فيمن تقدم وتأخر عنهم قالوا وقد اختلفت هذه الطائفة فى كثير من الاغذية والادوية مع اتفاقهم على ماوصفنا وذلك لاختلافهم فى كيفية الاستدلال فمنهم من زعم أنه يستدل على طبيعة الشئ من الاغذية والادوية بطعمه أو ريحه أو لونه أو قوامه أو فعله وتاثيره فى الجسد وزعموا أن الوثيقة فى الاستدلال بالاجزاء اذا كانت الالوان والاراييح وسائر ماذكرنا من أفعال الطبائع الاربع كما أن الاسخان والتبريد والتليين فعل لها وزعمت طائفة اخرى منهم أن اصح الشهادات واثبت القضايا فى الحكم على طبيعة الدواء والغذاء ماأخذ من فعله فى الجسد دون الطعم والرائحة وماسوى ذلك فان الاستدلال بماسوى الفعل والتأثير لايقطع به ولا يعول على طبيعة الدواء المفرد والمركب قال الواثق لحنين من بين الجماعة ماأول آلات الغذاء من الانسان قال أول آلات الغذاء الفم وفيه الاسنان والاسنان اثنتان وثلاثون سنا منها فى اللحى الاعلى ستة عشر سنا وفى اللحى الاسفل كذلك ومن ذلك أربعة فى كل واحد من اللحيين عراض محددة الاطراف تسميها الاطباء من اليونانيين القواطع وذلك أن بها يقطع مايحتاج الى قطعه من الاطعمة اللينة كما يقطع هذا النوع من المأكل بالسكين وهى الثنايا والرباعيات وعن جنبى هذه الاربعة فى كل واحد من اللحيين سنان رءوسهما حادة وأصولهما عريضة وهى الانياب وبها يكسر كل مايحتاج الى تكسيره من الاشياء الصلبة مما يؤكل وعن جنبى النابين فى كل واحد من اللحيين خمس اسنان أخر عوارض خشن وهى الاضراس ويسميها اليونانيون الطواحن لانها تطحن مايحتاج الى طحنه مما يؤكل وكل واحد من الثنايا والرباعيات والانياب له أصل واحد وأما الاضراس فما كان منها فى اللحى الاعلى فله ثلاثة أصول خلا الضرسين الاقصيين فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول أربعة وما كان من الاضراس فى اللحى الاسفل فلكل واحد منها أصلان خلا الضرسين الاقصيين فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول ثلاثة وانما احتيج الى كثرة أصول الاضراس دون سائر الاسنان لشدة قوة العمل بها وخصت العليا منها بالزيادة فى الاصول لتعلقها باعلى الفم قال الواثق أحسنت فيما ذكرت من هذه الآلات فصنف لى كتابا تذكر فيه جميع مايحتاج الى معرفته من ذلك فصنف له كتابا جعل له ثلاث مقالات يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء والمسهل وآلات الجسد (وقد ذكر) أن الواثق سأل حنينا فى هذا المجلس وفى غيره عن مسائل كثيرة وأن حنينا أجاب عن ذلك وصنف

فى كل ذلك كتابا ترجمه بكتاب المسائل الطبيعية يذكر فيه أنواعا من العلوم فكان مما سأل الواثق حنينا من المسائل وقيل بل أحضر له نديما من ندمائه فكان يسأله بحضرته والواثق يسمع ويتعجب مما يورده السائل الى أن قال فما الاشياء المغيرة للهواء قال حنين خمس وهى أوقات السنة وطلوع الكواكب وغروبها والرياح والبلدان والبحار * قال السائل فكم هى أوقات السنة قال أربع الربيع والصيف والخريف والشتاء فمزاج الربيع معتدل فى الحرارة والرطوبة ومزاج الصيف حار يابس ومزاج الخريف بارد يابس ومزاج الشتاء بارد رطب * قال السائل أخبرنى عن كيفية تغيير الكواكب للهواء قال ان الشمس متى قربت منها أو قربت هى من الشمس كان الهواء ازيد سخونة وخاصة كلما كانت اعظم ومتى بعدت الشمس أو بعدت هى من الشمس كان الهواء ازيد بردا قال أخبرنى عن كمية أعداد الرياح قال أربع الشمال والجنوب والصبا والدبور فأما قوة الشمال فباردة يابسة وأما الجنوب فحارة رطبة وأما الصبا والدبور فمعتدلان غير أن الصبا اميل الى الحرارة واليبس والدبور اميل الى البرودة والرطوبة من الصبا * قال فأخبرنى عن احوال البلدان فى ذلك قال هى أربعة الاول الارتفاع والثانى الانخفاض والثالث مجاورة الجبال والبحار والرابع طبيعة تربة الارض والنواحى أربع وهى الجنوب والشمال والمشرق والمغرب فناحية الجنوب اسخن وناحية الشمال ابرد وأما ناحيتا المشرق والمغرب فمعتدلتان واختلاف البلدان بارتفاعها يجعلها ابرد وانخفاضها يجعلها اسخن والبلدان تختلف بحسب مجاورة الجبال لها لان الجبل متى كان من البلد فى ناحية الجنوب جعل ذلك البلد ازيد بردا لانه يستره من الرياح الجنوبية وانما تهب فيه الريح الشمالية فقط ومتى كان الجبل من البلد فى ناحية الشمال جعل ذلك البلد اسخن * قال فاخبرنى عن اختلاف البلدان عند مجاورتها البحار كيف اختلفت قال حنين ان كان البحر من البلد فى ناحية الجنوب فان ذلك البلد يسخن ويرطب وان كان فى ناحية الشمال كان ذلك البلد أبرد * قال السائل فاخبرنى عن البلدان كيف اختلفت بحسب طبيعة تربتها قال ان كانت أرضها حجرية جعلت ذلك البلد ابرد وأخف وان كانت طينا جعلته ابرد وارطب * قال فلم اختلف الهواء من قبل البحار قال اذا جاورت نقائع ماء أو جيفا أو بقولا عفنة وغير ذلك مما يتعفن تغير هواؤها * فلما كثر هذا الكلام من السائل والمجيب اضجر ذلك الواثق فقطع ذلك وأجاز كل واحد ممن حضر * ثم أمرهم ان يخبر كل واحد منهم عما حضره فى الزهد فى هذا العالم الذى هو عالم الدثور

والفناء والغرور فذكر كل واحد منهم ماسنح له من الاخبار عن زهد الفلاسفة من اليونانيين والحكماء المتقدمين كسقراط ودوجانس * قال الواثق قد أكثرتم فيما وصفتم وقد احسنتم الحكاية فيما ذكرتم فليخبرني كل واحد عن أحسن ماسمع من نطق الحكماء الذين حضروا وفاة الاسكندر وقد جعل فى التابوت الاحمر فقال بعضهم ياأمير المؤمنين كل ماذكروه حسن وأحسن مانطق به من حضر ذلك المشهد من الحكماء دوجانس وقد قيل انه لبعض حكماء الهند فقال ان الاسكندر امس انطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس وأخذ هذا المعنى من قول الحكيم ابو العتاهية حيث قال

كفى حزنا بدفنك ثم انى ... نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عظات ... وانت اليوم أوعظ منك حيا

فاشتد بكاء الواثق وعلا نحيبه وبكى كل من حضر من الناس ثم قام من فوره ذلك وهو يقول

وصروف الدهر فى تقديره ... خلقت فيها انخفاض وانحدار
بينما المرء على اعلائها ... اذهوى فى هوة منها فحار
انما متعة قوم ساعـــة ... وحياة المرء ثوب مستعار

(قال المسعودى) وللواثق أخبار حسان مما كان فى أيامه من الاحداث وما كان يجرى من المباحثة فى مجلسه الذى عقده للنظر بين الفقهاء والمتكلمين فى أنواع العلوم من العقليات والسمعيات فى جميع الفروع والاصول وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب فى باب خلافة القاهر بن المعتضد جملا من الاخبار فى أخلاق الخلفاء من بنى العباس لمعنى أوجب ايرادها فى باب خلافة القاهر واعتل الواثق فصلى بالناس يوم النحر احمد بن أبى دواد وكان قاضى القضاة فدعا فى خطبته للواثق فقال اللهم اشفه مما ابتليته وقد قدمنا فيما سلف من أخباره فى هذا الكتاب فاغنى ذلك عن اعادته

﴿ذكر خلافة المتوكل على الله﴾

وبويع جعفر بن محمد بن هرون ولقب بالمنتصر بالله فلما كان فى اليوم الثانى لقبه احمد ابن أبى دواد المتوكل على الله وذلك فى اليوم الذى مات فيه الواثق أخوه وهو يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ويكنى بابى الفضل وبويع له وهو ابن سبع وعشرين سنة واشهر وقتل وهو ابن احدى وأربعين سنة وتسعة اشهر وتسع ليال وأمه أم ولد خوارزمية يقال لها شجاع وقتل ليلة الاربعاء

لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين

ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه

ولما أفضت الخلافة الى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة في الجدال والترك لما كان عليه الناس في أيام المعتصم والواثق وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث واظهار السنة والجماعة وأظهر لباس ثياب الملحم وفضل ذلك على سائر الثياب واتبعه من في داره على لبس ذلك وشمل الناس لبسه وبالغوا في ثمنه اهتماما بعمله واصطناع الجيد منها المبالغة الناس فيها وميل الراعي والرعية اليها فالباقي في أيدي الناس الى هذه الغاية من تلك الثياب يعرف بالمتوكلية وهي نوع من ثياب الملحم نهاية في الحسن والصبغ وجودة الصنع * وكانت أيام المتوكل أحسن أيام وانضرها من استقامة الملك وشمول الناس بالامن والعدل ولم يكن المتوكل ممن يوصف في عطائه وبذله بالجود ولا بتركه وامساكه بالبخل ولم يكن أحد ممن سلف من خلفاء بني العباس ظهر في مجلسه اللعب والمضاحك والهزل مما قد استفاض في الناس تركه الا المتوكل فانه السابق الى ذلك والمحدث له وأحدث أشياء من نوع ما ذكر فاتبعه فيها الاغلب من خواصه وأكثر رعيته فلم يكن في وزرائه والمتقدمين من كتابه وقواده من يوصف بجود ولا افضال أو يتعالى عن مجون وطرب * وكان الفتح بن خاقان التركي مولاه اغلب الناس عليه وأقربهم منه وأكثرهم تقدما عنده ولم يكن الفتح مع هذه المنزلة من الخلافة ممن يرجى فضله و يخاف شره وكان له نصيب من العلم ومنزلة من الادب وألف كتابا في الادب ترجمه بكتاب البستان * واحدث المتوكل في أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيري والكمين والاروقة وذلك أن بعض سماره حدثه في بعض الليالي ان بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بني نصر أحدث بنيانا في دار قراره وهي الحيرة على صورة الحرب وهيئته للهجته بها وميله نحوها لئلا يغيب عنه ذكرها في سائر أحواله فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر والكمان ميمنة وميسرة ويكون في البيتين اللذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه وفي اليمين منهما خزانة الكسوة وفي الشمال ما احتيج اليه من الشراب والرواق قد عم فضاؤه الصدر والكمين والابواب الثلاثة على الرواق فسمى هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيري والكمين اضافة الى الحيرة واتبع الناس المتوكل في ذلك ائتماما بفعله واشتهر الى هذه الغاية وبايع لبنيه الثلاثة محمد المنتصر بالله وأبي عبد الله المعتز بالله

والمستعين بالله وفى ذلك يقول ابن المدبر فى ذكره لهذه البيعة

يا بيعة مثل بيعة الشجره   فيها لكل الخلائق الخيره
أكدها جعفر وصيرها   الى بنيه الثلاثة البرره

وفى ذلك يقول على بن الجهم

قل للخليفة جعفر ياذا الندى   وابن الخلائف والائمة والهدى
لما أردت صلاح دين محمد   وليت عهد المسلمين محمدا
وثنيت بالمعتز بعد محمد   وجعلت ثالثهم أعز مؤيدا

وكان استخلاف المتوكل على الله بعد أن استخلف أبو العباس السفاح بمائة سنة وبعد موت العباس بن عبد المطلب بمائتى سنة وقد قيل غير ذلك والله أعلم على تفاوت التواريخ فى كمية أوقاتهم وعدد سنيهم والزيادة فى الايام والشهور والنقصان عن مدة ملكهم وقد كان سخط المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات بعد خلافته باشهر فقبض أمواله وجميع ما كان له وقلد مكانه أبا الوزير وقد كان ابن الزيات اتخذ للمصادرين والمغضوب عليهم تنورا من الحديد رءوس مساميره الى داخل قائمة مثل رءوس المسال فى أيام وزارته للمعتصم والواثق فكان يعذب الناس فيه فامر المتوكل بادخاله فى ذلك التنور فقال محمد بن عبد الملك الزيات للموكل به ان ياذن له فى دواة وبطاقة ليكتب فيها ما يريد فاستاذن المتوكل فى ذلك فاذن له فكتب

هى السبيل فمن يوم الى يوم   كانه ما تريك العين فى النوم
لا تجزعن رويدا انها دول   دنيا تنقل من قوم الى قوم

قال وتشاغل المتوكل فى ذلك اليوم فلم تصل الرقعة اليه فلما كان الغد قرأها فامر باخراجه فوجده ميتا وكان حبسه فى ذلك التنور الى أن مات أربعين يوما وكان كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا وهو القائل فى تحريض المامون على ابراهيم بن المهدى حين خرج عليه

ألم تر أن الشئ للشئ علة   يكون له كالنار تقدح بالزند
كذلك جربنا الامور وانما   يدلك ما قد كان قبل على البعد
وظنى بابراهيم ان فكاكه   سيبعث يوما مثل ايامه النكد
تذكر امير المؤمنين قيامه   وأيامه فى الهزل منه وفى الجد
اذا هز أعواد المنابر باسمه   تغنى بليلى أو بمية أو هند

فى شعر طويل جدا ومن شعره قوله فى مرثية المعتصم بالله

وظل له سيف النبي كانما مدامعه من شدة الحزن تذرف

حمائله والبرد تشهد أنه هو الطيب الاولى الذى كان يعرف

أقول ومن حق الذى قلت أننى أقول وأثنى بعد ذاك وأحلف

لماهاب أهل الظلم مثلك سائسا ولا أنصف المظلوم مثلك منصف

وقد أتينا على أخباره وما استحسن من أشعاره فى الكتاب الاوسط فكانت أيام أبى الوزير فى الوزارة يسيرة وقد كان اتخذ للوزارة محمد بن الفضل الجرجانى ثم صرفه فاستكتب عبيد الله بن يحيى سنة ست وثلاثين ومائتين الى أن قتل وقد أتينا فى الكتاب الاوسط على أخباره واتصاله بالمتوكل وأخبار الفتح بن خاقان (وذكر) محمد ابن يزيد المبرد قال ذكرت للمتوكل منازعة جرت بينه وبين الفتح بن خاقان فى تأويل آية وتنازع الناس فى قراءتها فبعث الى محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان الهاشمى وكانت اليه البصرة فحملنى اليه مكرما فلما اجتزت بناحية النعمان بين واسط وبغداد ذكر لى أن بدير هرقل جماعة من المجانين يعالجون فلما حاذيته دعتنى نفسى الى دخوله فدخلته ومعى شاب ممن يرجع الى دين وأدب فاذا أنا بمجنون من المجانين قد دنا الى فقلت مايقعدك بينهم وأنت بائن عنهم فكسر جفنه ورفع عقيرته وأنشأ يقول

ان وصفونى فناحل الجسد أو فتشونى فابيض الكبد

أضعف وجدى وزاد فى سقمى أن لست أشكو الهوى الى أحد

وضعت كفى على فؤادى من حر الاسى وانطويت فوق يدى

آه من الحب آه من كبدى ان لم أمت فى غد فبعد غد

كأن قلبى اذا تذكرهم فريسة بين ساعدى أسد

فقلت أحسنت لله درك زدنى فانشأ يقول

ماأقتل البين للنفوس وما أوجع فقد الحبيب للكبد

عرضت نفسى من البلاء لما أسرف فى مهجتى وفى جلدى

ياحسرتى ان أموت معتقلا بين اعتلاج الهموم والكمد

فى كل يوم يفيض معوله عينى لعضو يموت فى جسدى

فقلت احسنت لافض فوك زدنى فانشأ يقول

الله يعلم اننى كمد لاأستطيع أبث ماأجد

نفسان لى نفس تضمنها بلد وأخرى حازها بلد

وأرى المقيمة ليس ينفعها صبر وليس بعينها جلد
وأظن غائبتى كشاهدتى بمكانها تجد الذى أجد

فقلت والله أحسنت فاستزدته فقال أراك كلما أنشدتك استزدتنى وماذاك الا لفرط أدب وفراق شجن فانشدنى أنت أيضا فقلت للذى معى أنشده فانشأ يقول

عذل وبين وتوديع ومرتحل اى العيون على ذا ليس تنهمل
تالله ماجلدى من بعدهم جلد ولا اختزاز دموعى عنهم بخل
بلى وحرمة ماألقين من خبل قلبى اليهن مشتاق ومارحلوا
وددت ان البحار السبع لى مدد وان جسمى دموع كلها همل
وأن لى بدلا من كل جائحة فى كل جارحة يوم النوى مقل
لادر در النوى لو صادفت جبلا لانهد منها وشيكا ذلك الجبل
الهجر والبين والواشون والابل طلائع يتراءى أنها الاجل

فقال المجنون احسنت وقد حضرنى فى معنى ماأنشدت الى شعر افانشده قلت هات فانشأ يقول

ترحلوا ثم نيطت دونهم سجف لو كنت املكهم يوما لما رحلوا
ياحادى العيس مهلا كى نودعها رفقا قليلا ففى توديعها الاجل
ماراعنى اليوم شئ غير فقدهم حتى استقلت وسارت بالدمى الابل
انى على العهد لم انقض مودتهم فليت شعرى وطال الدهر مافعلوا

قال المبرد فقال الفتى الذى معى ماتوا فقال المجنون آد آد ان ماتوا فسوف أموت وسقط ميتا فابرحت حتى غسل وكفن وصليت عليه ودفنته ووردت سر من رأى فادخلت على المتوكل وقد عمل فيه الشراب فسئلت عن بعض ماوردت له فاجبت وبين يدى المتوكل البحترى الشاعر فابتدأ ينشده قصيدة يمدح بها المتوكل وفى المجلس ابو العتاهية الصيمرى فانشد البحترى قصيدته التى أولها

عن اى ثغر تبتسم وباى طرف تحتكم
حسن يضىء بحسنه والحسن اشبه بالكرم
قل للخليفة جعفر الـ ـمتوكل ابن المعتصم
المرتضى ابن المجتبى والمنعم ابن المنتقم
اما الرعية فهى من أمان عدلك فى حرم

ياباني المجـــد الذي قد كان قوض فانهدم
اسـلم لدين محمد فاذا سلمت فقد سـلم
فلنا الهدى بعد العمى بك والغنى بعد العدم

فلما انتهى مشى القهقرى للانصراف فوثب ابو العنبس فقال ياأمـير المؤمنـين تأمر برده فقد والله عارضته في قصيدته هذه فامر برده فاخذ أبو العنبس ينشد شيا لولا أن في تركه بتر الخبر لماذكرناه وهو

من أي ساح تلتقم وباي كف تلتطم
ادخلت رأس البحتر ي أبي عبادة في الرحم

ووصل ذلك بما أشبهه من الشتم فضحك المتوكل حتى استلقى على قفاه وفحص برجـله اليسرى وقال يدفع الى أبي العنبس عشرة آلاف درهم فقال الفتح ياسيدي البحـتري الذي هجي وأسمع المـكروه ينصرف خائبا قال و يدفـع الى البحتري عشرة آلاف درهم قال ياسيدي وهذا البصري الذي أشخصناه من بلده لايشركهم فيما حصلوه قال و يدفع اليه عشرة آلاف درهم فانصرفنا كلنا في شفاعة الهزل ولم ينفع البحتري جده واجتهاده وحزمه ثم قال المتوكل لابي العنبس أخبرني عن حمارك ووفاته وما كان من شعره في الرؤيا التي أريتها قال نعم ياأمير المؤمنين كان اعقل من القضاة ولم يكن له جرية ولا زلة فاعتل على غفلة فمات منها فرأيته فيما يرى النائم فقلت له ياحماري ألم أبرد لك الماء وأنق لك الشعير وأحسن اليك جهدي فلم مت على غفـلة وما خبرك قال نعم لما كان في اليوم الذي وقفت على فلان الصيدلاني تـكلمه في كذا وكذا مرت بي أتان حسناء فرأيتها فاخذت بمجامع قلبي فعشقتها واشتد وجـدي بها فمت كمداً متأسـفا فقلت له ياحماري فهل قلت في ذلك شعرا قال نعم وأنشدني

هام قلبي باتان * عند باب الصيدلاني
تيمتني يوم رحنا * بثناياها الحسان
وبخـــد ذي دلال * مثل خـد الشنغراني
فبها مت ولوعشـ * ـت اذا طال هواني

قال فقلت ياحماري فما الشنغراني فقال هذا من غريب الحمير فطرب المتوكل وأمر الملهين والمغنين أن يغنوا ذلك اليوم بشعر الحمار وفرح في ذلك اليوم فرحا وسرورا لم ير مثـله

وزادفى تكرمة ابى العنبس وجائزته (وحدث) أبو عبدالله محمد بن عرفة النحوى قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال قال المتوكل لأبى الحسن على بن محمد بن على بن موسى ابن جعفر بن محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم مايقول ولد أبيك فى العباس بن عبد المطلب قال ومايقول ولد ابى ياأمير المؤمنين فى رجل افترض الله طاعة بنيه على خلقه وافترض طاعته على بنيه فامر له بمائة ألف درهم وانما أراد ابو الحسن طاعة الله على بنيه فعرض وقد كان سعى بابى الحسن على بن محمد الى المتوكل وقيل له ان فى منزله سلاحا وكتبا وغيرها من شيعته فوجه اليه ليلا من الاتراك وغيرهم من هجم عليه فى منزله على غفلة ممن فى داره فوجد فى بيت وحده مغلق عليه وعليه مدرعة من شعر ولا بساط فى البيت الا الرمل والحصى وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجها الى ربه يترنم بآيات من القرآن فى الوعد والوعيد فاخذ على ماوجد عليه وحمل الى المتوكل فى جوف الليل فمثل بين يديه والمتوكل يشرب وفى يده كاس فلما رآه اعظمه واجلسه الى جنبه ولم يكن فى منزله شئ مما قيل فيه ولا حالة يتعلل عليه بها فناوله المتوكل الكاس الذى فى يده فقال ياامير المؤمنين ماخامر لحمى ودمى قط فاعفنى منه فعافاه وقال انشدنى شعرا استحسنه فقال انى لقليل الرواية للاشعار فقال لابد ان تنشدنى فانشده

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فمااغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عزعن معاقلهم * فاودعوا حفرا يابئس مانزلوا
ناداهم صارخ من بعد ماقبروا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت منعمة * من دونها تضرب الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وماشربوا * فاصبحوا بعد طول الاكل قد أكلوا
وطالما عمروا دورا لتحصنهم * ففارقوا الدور والاهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الاموال وادخروا * فخلفوها على الاعداء وارتحلوا
اضحت منازلهم قفرا معطلة * وساكنوها الى الاجداث قدرحلوا

قال فاشفق من حضر على على وظنوا أن بادرة تبدر منه اليه قال والله لقد بكى المتوكل بكاء طويلا حتى بلت دموعه لحيته وبكى من حضره ثم أمر برفع الشراب ثم قال له ياأبا الحسن أعليك دين قال نعم أربعة آلاف دينار فامر بدفعها اليه ورده الى منزله من ساعته مكرما * قال وكانت وفاة محمد بن سماعة القاضى صاحب محمد بن الحسن

وصاحب أبي حنيفة في خلافة المتوكل وذلك في سنة ثلاثين ومائتين وهو ابن مائة سنة صحيح الجسم والعقل والحواس يفتض الابكار و يركب الخيل التي تقطف وتعتق لم ينكر من نفسه شيأ (وحكى) ابنه سماعة بن محمد قال قال لي ابي محمد بن سماعة وجدت في حياة سوار بن عبد الله قاضي المنصور كتابا له بخطه أراه من شعره او أبيات استحسنها وهي

سلبت عظامي لحمها فتركتها ... عواري في اجلادها تتكسر
وأخليت منها مخها فكأنها ... قوارير في أجوافها الريح تصفر
اذا سمعت ذكر الفراق ترعدت ... فرائصها من خوف ماتتحذر
خذي بيدي ثم ارفعي الثوب وانظري ... ضني جسدي لكنني اتستر

ولمحمد بن سماعة تصنيفات حسان في الفقه وروايات عن محمد بن الحسن وغيره منها كتاب نوادر المسائل عن محمد بن الحسن ألوف أوراق وفي هذه السنة وهي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين مات يحيى بن معين وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين مات أبو بكر بن أبي شيبة والقواريري وكانا من علية أصحاب الحديث وحفاظهم وفيها مات اسحق بن ابراهيم ابن مصعب وكان على بغداد وولي مكانه وله أخبار حسان قد أتينا على غررها في كتابنا أخبار الزمان (ومن ظريف أخباره) والمستحسن مما كان في أيامه وسيره ببغداد ماحدث به عنه موسى بن صالح بن سيح بن عميرة الاسدي أنه رأى في منامه كأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول له أطلق القاتل فارتاع لذلك روعا عظيما ونظر في الكتب الواردة لاصحاب الحبوس فلم يجد فيها ذكر قاتل فامر باحضار السندي وعباس فسألهما هل رفع اليهما أحد ادعي عليه بالقتل فقال له العباس نعم وقد كتبنا بخبره فاعاد النظر فوجد الكتاب في أضعاف القراطيس واذا الرجل قد شهد عليه بالقتل وأقر به فامر اسحق باحضاره فلما دخل عليه ورأى مابه من الارتياع قال له ان صدقتني أطلقتك فابتدأ يخبره بخبره وذكر أنه كان هو وعدة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة ويستحلون كل محرم وانه كان اجتماعهم في منزل بمدينة ابي جعفر المنصور يعتكفون فيه على كل بلية فلما كان في هذا اليوم جاءتهم عجوز كانت تختلف اليهم للفساد ومعها جارية بارعة الجمال فلما توسطت الجارية الدار صرخت صرخة فبادرت اليها من بين أصحابي فادخلتها بيتا وسكنت روعها وسألتها عن قصتها فقالت الله الله في فان هذه العجوز خدعتني وأعلمتني أن في خزانتها حقا لم ير مثله فشوقتني الى النظر الى مافيه

فخرجت معها واثقة بقولها فهجمت بى عليكم وجدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمى فاطمة وأبى الحسن بن على فاحفظوهم فى قال الرجل فضمنت خلاصها وخرجت الى أصحابى فعرفتهم فكأنى أغريتهم بها وقالوا ما قضيت حاجتك منها أردت صرفنا عنها وبادروا اليها وقمت دونها أمنع عنها فتفاقم الامر بيننا الى أن نالنى جراح فعمدت الى أشدهم كان فى أمرها وأكلبهم على هتكها فقتلته ولم أزل أمنع عنها الى أن خلصتها سالمة وتخلصت الجارية آمنة مما خافته على نفسها فاخرجتها من الدار فسمعتها تقول سترك الله كما سترتنى وكان لك كما كنت لى وسمع الجيران الضجة فتبادروا الينا والسكين فى يدى والرجل يتشحط فى دمه فرفعت على هذه الحالة فقال لى اسحق قد عرفت لك ما كان من حفظك للمرأة ووهبتك لله ورسوله قال فوحق من وهبتنى له لاعاودت معصية ولادخلت فى ريبة حتى ألقى الله فاخبر د اسحق بالرؤيا التى رآها وان الله لم يضيع له ذلك وعرض عليه براواسعا فأبى قبول شىء من ذلك * وفى سنة تسع وثلاثين ومائتين رضى المتوكل عن أبى محمد يحيى بن اكثم الصيفى شخص الى سر من رأى وولى قضاء القضاة وسخط على أحمد بن أبى دواد وولده أبى الوليد محمد بن أحمد وكان على القضاء وأخذ من أبى الوليد مائة ألف وعشرين ألف دينار وجوهرا بأربعين ألف دينار واحضر الى بغداد وقد كان أبو عبد الله أحمد بن أبى دواد فلج بعد موت عدوه ابن الزيات بسبعة وأربعين يوما وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين وفى سنة أربعين ومائتين كانت وفاة أبى عبد الله أحمد بن أبى دواد بعد وفاة أبى الوليد محمد بن احمد بعشرين يوما وكان ممن أدى الله الخير على يديه على ما اشتهر من أمره وسهل الله سبيله اليه وحبب اليه المعروف وفعله (وذكر) أن المعتصم كان بالجوسق يوما مع ندمائه وقد عزم على الاصطباح وأمر كل واحد منهم أن يطبخ قدرا اذ بصر بسلامة غلام ابن أبى دواد فقال هذا غلام ابن أبى دواد يتعرف خبرنا والساعة يأتى فيقول فلان الهاشمى وفلان القرشى وفلان الانصارى وفلان العربى فيعطلنا بحوائجه عما عزمنا عليه وأنا أشهدكم أنى لا أقضى اليوم له حاجة فلم يكن بين قوله وبين استئذان الاتباع لابى عبد الله الاهنيهة فقال لجلسائه كيف ترون قولى قالوا فلا تأذن له قال سوء الكمى سنة اهون على من ذلك ودخل فما هو الا ان سلم وجلس وتكلم حتى اسفر وجه المعتصم وضحكت اليه جوارحه ثم قال له يا أبا عبد الله قد طبخ كل واحد من هؤلاء قدرا وقد جعلناك حكما فى طبخها قال فلتحضر ثم آكل ثم أحكم بحكم بعلم فحملت اليه القدور

ووضعت بين يديه فجعل يأكل من اول قدر اكلا تاما فقال له المعتصم هذا ظلم قال وكيف ذلك قال لانى أراك قد امعنت فى هذا اللون وستحكم لصاحبه قال ياأمير المؤمنين على ان آكل من هذه القدور كلها كما أكلته من هذا القدر فتبسم له المعتصم وقال له شأنك اذا فأكل كما قال ثم قال أما هذه فقد أحسن طابخها اذ أكثر فلفلها واقل كمونها وأما هذه فقد اجاد طابخها اذ أكثر خلها وأقل زيتها وأما هذه فقد طيبها طابخها باعتدال توابلها وأما هذه فقد حذق من عملها بقلة مائها وكثرة مرقها حتى وصف القدور بصفات سر أهلها بها ثم أكل مع القوم كما أكلوا أنظف أكل وأحسنه مرة يحدثهم باخبار الاكلة فى صدر الاسلام معاوية بن أبى سفيان وعبيد الله بن زياد والحجاج بن يوسف وسليمان بن عبد الملك ومرة يحدثهم عن أكلة دهره مثل سردة التمار ودورق القصاب وحاتم الكيال واسحق الحمامى فلما رفعت الموائد قال له المعتصم ألك حاجة ياأبا عبد الله قال نعم ياأمير المؤمنين قال اذكرها فان أصحابنا يريدون أن يتشاغلوا قال نعم ياأمير المؤمنين رجل من أهلك وطئه الدهر فغير حاله وخشن معيشته قال ومن هو قال سليمان بن عبد الله النوفلى قال قدر له ما يصلحه قال خمسين ألف درهم قال انفذت ذلك له قال وحاجة أخرى قال وماهى قال ضياع ابراهيم ابن المعتمر تردها له قال قد فعلت قال وحاجة أخرى قال قد فعلت قال فوالله ما خرج حتى سأل ثلاث عشرة حاجة لا يرده عن شىء منها حتى قام خطيبا فقال ياأمير المؤمنين عمرك الله طويلا فبعمرك تخصب جنات رعيتك ويلين عيشهم وتثمر أموالهم ولازلت ممتعا بالسلامة محبوا بالكرامة مرفوعا عنك حوادث الايام وغيرها ثم انصرف فقال المعتصم هذا والله الذى يتزين بمثله ويبتهج بقربه ويعدل به ألوف من جنسه أما رأيتم كيف دخل وكيف سلم وكيف تكلم وكيف أكل وكيف وصف القدور ثم انبسط فى الحديث وكيف طاب أكلنا ما يرد هذا عن حاجة الا لئيم الاصل خبيث الفرع والله لو سألنى فى مجلسى هذا ماقيمته عشرة آلاف ألف درهم مارددته عنها وأنا أعلم أنه يكسبنى فى الدنيا حمدا وفى الآخرة ثوابا * وفى أحمد بن أبى دواد يقول الطائى

لقد أنسى مساوى كل دهر محاسن أحمد بن أبى دواد
فما سافرت فى الآفاق الا ومن جدواه راحلتى وزادى
مقيم الظن عندك والامانى وان قلقت ركابى فى البلاد

(وحكى) عن الفتح بن خاقان قال كنت عند المتوكل وقد عزم على الصبوح بالجعفرى وقد وجه خلف الندماء والمغنين قال فجعلنا نطوف وهو متكئ على وأنا أحادثه حتى وصلنا الى موضع نشرف منه على الخليج فدعا بكرسى فقعد عليه وأقبل يحادثنى اذ بصر بسفينة مشدودة بالقرب من شاطئ الخليج وملاح بين يديه قدر كبيرة يطبخ فيها سكباج من لحم بقر وقد فاحت روائحها فقال يافتح رائحة قدر سكباج والله ويحك أماترى ماأطيب رائحتها على بها على حالها فبادر الفراشون فانتزعوها من بين يدى الملاحين فلما عاين الملاحون أصحاب السفينة مافعل بهم ذهبت نفوسهم فرقا وخوفا وجاؤا المتوكل بالقدر تفور كهيئتها فوضعت بين أيدينا فاستطاب ريحها واستحسن لونها ودعا برغيف فكسر منه كسرة ودفعها الى وأخذ هو منه مثلها وأكل كل واحد منا ثلاث لقم وأقبل الندماء والمغنون فجعل يلقم كل واحد منهم لقمة من القدر وأقبل الطعام ووضعت الموائد فلما فرغ من أكله أمر بتلك القدر ففرغت وغسلت بين يديه وأمر أن تملأ دراهم فجئ ببدرة ففرغت فيها ففضل من الدراهم مقدار ألفى درهم فقال لخادم كان بين يديه خذ هذه القدر فامض بها حتى تدفعها الى من طبخها ومافضل من هذه البدرة من الدراهم هو هبة له على تجويده طبخها قال الفتح فكان المتوكل كثيرا مايقول اذا ذكر قدر الملاح ماأكلت أحسن من سكباج أصحاب السفينة فى ذلك اليوم وأخبرنا القاسم بن جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى الفقيه بجهينة وكان من حديثة الموصل قال حدثنا أبو الحسن الصالحى قال قال الجاحظ ذكرت لامير المؤمنين المتوكل لتاديب بعض ولده فلما رآنى استبشع منظرى فامر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى وخرجت من عنده فلقيت محمد بن ابراهيم وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض على الخروج معه والانحدار فى حراقته فركبنا فيها فلما أتينا فم نهر القاطول وخرجنا من سامرا نصب ستارته وأمر بالغناء فاندفعت عوادة فغنت

كل يوم قطيعة وعتاب ينقضى دهرنا ونحن غضاب
ليت شعرى انا خصصت بهذا دون ذا الخلق أم كذا الاحباب

وسكتت فامر الطنبورية فغنت

وارحمتا للعاشقينا ما ان أرى لهم معينا
كم يهجرون ويصرمو ن ويقطعون فيصبرونا

قال فقالت هذه العوادة فيصنعون ماذا قالت هكذا يصنعون وضربت بيدها الى الستارة فهتكتها وبرزت كانها فلقة قمر فزجت بنفسها الى الماء وعلى رأس محمد غلام يضاهيها فى الجمال وبيده مذبة فاتى الموضع ونظر اليها وهى تمر بين الماء فانشا يقول

وأنا الذى غرقتنى بعد القضا لو تعلمينا

فزج بنفسه فى أثرها فادار الملاح الحرافة فاذا بهما معتنقان ثم غاصا فلم يريا فهال ذلك محمدا واستعظمه وقال يا عمرو لتحدثنى حديثا يسلينى عن فقد هذين والا ألحقتك بهما قال فحضرنى حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها ان رأى أمير المؤمنين أعزه الله أن يخرج جاريته فلانة حتى تغنينى ثلاثة أصوات فعل فاغتاظ يزيد وأمر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ثم أمر بان يتبع الرسول برسول آخر يأمره ان يدخل اليه الرجل فلما وقف بين يديه قال له ما الذى حملك على ما صنعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فامره بالجلوس حتى لم يبق أحد من بنى أمية الا اخرج ثم أمر فاخرجت الجارية ومعها عودها فقال لها الفتى غنى

افاطم مهلا بعد هذا التدلل وان كنت قد أزمعت صرمى فاجملى

فغنته فقال له يزيد قل قال غنى

تألق البرق نجديا فقلت له يا أيها البرق انى عنك مشغول

يكفيك عنى عدو ثائر حنق فى كفه صارم كالملح مسلول

فغنته فقال قل قال يامر لى برطل خمر فما استتم شرابه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى بنفسه على دماغه فمات فقال يزيد انا لله وانا اليه راجعون أتراه الاحمق الجاهل ظن انى أخرج اليه جاريتى واردها الى مالى يا غلمان خذوا بيدها واحملوها الى أهله ان كان له أهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه فانطلقوا بها الى أهله فلما توسطت الدار نظرت الى حفرة فى دار يزيد قد أعدت للمطر فجذبت نفسها من أيديهم وأنشأت تقول من مات عشقا فليمت هكذا لا خير فى عشق بلا موت

فزجت بنفسها على دماغها فماتت فسرى عن محمد وأحسن صلتى وقيل ان هذا الخبر انما كان مع سليمان بن عبد الملك قال فذكرت هذا الحديث لابى عبد الله محمد بن جعفر الاخبارى بالبصرة فقال أنا أخبرك بنحو من هذا الحديث الذى حدثتنى به حدثنى واثق الخادم وكان مولى لمحمد بن حميد الطوسى أن محمد بن حميد كان جالسا مع ندمائه يوما فغنت جارية من وراء الستارة

ياقمر الغصن متى تطلع أشقى وغيرى بك يستمتع
ان كان ربى قدقضى ماأرى منك على رأسى فما اصنع

وعلى رأس محمد غلام بيده قدح يسقيه فرمى بالقدح عن يده وقال تصنعين هكذا ورمى بنفسه من الدار الى دجلة فهتكت الجارية الستارة ثم رمت بنفسها على أثره فنزلت الغلمة خلفهما فلم يجدوا أحدا منهما فقطع محمد الشراب وقام عن مجلسه (قال المسعودى) وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين سخط المتوكل على عمر بن مصرح الراجحى وكان من علية الكتاب وأخذ منه مالا وجوهرا نحو مائة ألف وعشرين ألف دينار وأخذ من أخيه نحوا من مائة ألف وخمسين ألف دينار ثم صولح محمد على أحد وعشرين ألف ألف درهم على ان يرد اليه ضياعه ثم غضب عليه غضبة ثانية وأمر ان يصفع فى كل يوم فاحصى ماصفع فكان ستة آلاف صفعة وألبسه جبة صوف ثم رضى عنه وسخط عليه ثالثة واحدر الى بغداد وأقام بها حتى مات * وأهدى المؤيد الى المتوكل قارورة دهن وكتب اليه ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فلطفت ودقت كان ابهى لها وأحسن وان كانت من الكبير الى الصغير فعظمت كان ارفع لها وانفع (قال المسعودى) وكانت وفاة أحمد بن حنبل فى خلافة المتوكل بمدينة السلام وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة احدى وأربعين ومائتين ودفن بباب حرب فى الجانب الغربى وصلى عليه محمد بن طاهر وحضر جنازته خلق من الناس لم ير مثل ذلك اليوم والاجتماع فى جنازة من سلف قبله وكان للعامة فيه كلام كثير جرى بينهم بالعكس والضد فى الامور منها أن رجلا منهم كان ينادى العنوا الواقف عند الشبهات وهذا بالضد عما جاء عن صاحب الشريعة عليه السلام فى ذلك وكان عظيم من عظمائهم ومقدم فيهم يقف موقفا بعد موقف أمام الجنازة وينادى باعلى صوته

وأظلمت الدنيا لفقد محمد وأظلمت الدنيا لفقد ابن حنبل

يريد بذلك ان الدنيا أظلمت عند وفاة محمد عليه السلام وانها اظلمت عند موت ابن حنبل كظلمتها عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم * وفى هذه السنة انقضت الكواكب الانقضاض الذى لم ير مثله قط وذلك فى ليلة الخميس لست خلون من جمادى الآخرة وقد كان فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة انقضاض لكوكب عظيم هائل وهى الليلة التى وقعت فيها القرامطة بحاج العراق من طريق الكوفة وذلك فى ذى القعدة من سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة * وفى السنة التى مات فيها

ابن حنبل كانت وفاة محمد بن عبد الله بن محمد الاسكافى وكان من أهل النظر والبحث وماعليه اهل العدل وكانت وفاة جعفر بن المبشر سنة أربع وثلاثين ومائتين وكان من كبار أهل العدلية وأهل الديانة من البغداديين ومات جعفر بن حرب سنة ست وثلاثين ومائتين وهو رجل من همدان ووجوه قحطان والى أبيه يضاف شارع باب حرب فى الجانب الغربى من مدينة السلام وهو شيخ البغداديين من المتكلمين ومات عيسى بن طفج سنة خمس واربعين ومائتين وكان من حذاقهم وأهل الديانات منهم وذكر أبو الحسن الخياط أن أبا الهذيل محمد بن الهذيل كانت وفاته سنة سبع وعشرين ومائتين ثم تنازع اصحابه فى مولده فقال قوم سنة احدى وثلاثين ومائة وقد كان ابو الهذيل هذا اجتمع مع هشام بن الحكم الكوفى الحرار وكان هشام شيخ المجسمة والرافضة فى وقته ممن وافقه على مذهبه وكان أبو الهذيل يذهب الى نفى التجسيم ورفع التشبيه والى ضد قول هشام فى التوحيد والامامة فقال هشام لابى الهذيل اذا زعمت ان الحركة ترى فلم لا زعمت انها تلمس قال لانها ليست بجسم فيلمس لان اللمس انما يقع على الاجسام فقال له هشام فقل أيضا انها لا ترى لان الرؤية انما تقع على الاجسام فرجع أبو الهذيل سائلا فقال له من أين قلت ان الصفة ليست الموصوف ولا غيره قال هشام من قبل أنه يستحيل أن يكون فعلى انا و يستحيل أن يكون غيرى لان التغاير انما أوقعه على الاجسام والاعيان القائمة بانفسها فلما لم يكن فعلى قائما بنفسه ولم يجز أن يكون فعلى أنا وجب أنه لا أنا ولا غيرى وعلة أخرى أنت قائل بها زعمت يا أبا الهذيل أن الحركة ليست مماسة ولا مباينة لانها عندك مما لا يجوز عليه المماسة ولا المباينة فلذلك قلت انا ان الصفة ليست أنا ولا غيرى وعلتى فى أنها ليست أنا ولا غيرى علتك فى انها لا تماس ولا تباين فانقطع أبو الهذيل ولم يرد جوابا * وكانت وفاة أبى موسى الفراء سنة ست وعشرين ومائتين وكان من شيوخ العدلية وكبار المتكلمين من البغداديين ومات واصل بن عطاء ويكنى بابى خزيمة فى سنة احدى وثلاثين ومائتين وهو شيخ المعتزلة وقديمها وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وهو أن الفاسق من أهل الملة ليس بمؤمن ولا كافر وبه سميت المعتزلة وهو الاعتزال وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار بنى أمية قول المعتزلة فى الاصول الخمسة فاغنى ذلك عن اعادته وكذلك فيما سلف من كتبنا خبر عمرو بن عبيد ووفاته وكان شيخ المعتزلة والمتقدمين فيها وان وفاته كانت سنة أربع وأربعين ومائة وقد كان عمرو

ابن عبيد اجتمع مع هشام بن الحكم وهشام يذهب الى القول بان الامامة نص من الله ورسوله على على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه وعلى من يلى عصره من ولده الطاهرين كالحسن والحسين ومن يلى أيامهم وعمرو يذهب الى أن الامامة اختيار من الامة فى سائر الاعصار فقال هشام لعمرو بن عبيد لم خلق الله لك عينين قال لانظر بهما الى ماخلق الله من السموات والارض وغير ذلك فيكون ذلك دليلا لى عليه فقال هشام فلم خلق الله لك سمعا قال لاسمع به التحليل والتحريم والامر والنهى فقال له هشام فلم خلق الله لك قلبا قال عمرو لتكون هذه الحواس مؤدية اليه فيكون مميزا بين منافعها ومضارها قال هشام فكان يجوز أن يخلق الله سائر حواسك ولا يخلق لك قلبا تؤدى هذه الحواس اليه قال عمرو لا فقال هشام ولم قال لان القلب باعث لهذه الحواس على مايصلح له فلما لم يخلق الله فيها انبعاثا من نفسها استحال أن لا يخلق لها باعثا يبعثها على ماخلقت له الا بخلق القلب فيكون هو الباعث لها على ماتفعله والمميز لها بين مضارها ومنافعها ويكون الامام من الخلق بمنزلة القلب من سائر الحواس اذ كانت الحواس راجعة الى القلب لا الى غيره ويكون سائر الخلق راجعين الى الامام لا الى غيره فلم يأت عمرو بفرق يعرف وهذا الذى حكيناه ذكره أبو عيسى محمد بن هارون الوراق ببغداد فى كتابه المعروف بكتاب المجالس وكانت وفاة أبى عيسى بالرملة سنة سبع وأربعين ومائتين وله تصنيفات كثيرة منها كتابه فى المقالات فى الامامة وغيرها من النظر وكانت وفاة أبى الحسين أحمد بن يحيى بن اسحق الراوندى برحبة مالك بن طوق وقيل ببغداد سنة خمس ومائتين وله نحو من أربعين سنة وله كتب مصنفة مائة كتاب وأربعة عشر كتابا وقد ذكرنا فى كتابنا فى أخبار الزمان وفاة أرباب المقالات وأهل المذاهب والجدل والآراء والنحل وأخبارهم ومناظراتهم وتباينهم فى مذاهبهم وكذلك فى الكتاب الاوسط الى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وانما يسنح لنا ذكر بعضهم فى هذا الكتاب فنذكر لهم لمعا وكذلك غيرهم من الفقهاء وأصحاب الحديث وفيها مات ابراهيم بن العباس الصولى الكاتب وكان كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتاب أشعر منه وكان يكتسب فى حداثته بشعره ورحل الى الملوك والامراء ومدحهم طلبا لجدواهم وذكر رجل من الكتاب أن اسحق بن ابراهيم أخا زيد بن ابراهيم حدثه انه كان يتقلد الصيمرة والسيروان وأن ابراهيم بن العباس اجتاز به يريد خراسان والمأمون بها وقد بايع بالعهد لعلى بن موسى الرضى وقد امتدحه بشعر

يذكر فيه فضل آل على وأنهم أحق بالخلافة من غيرهم قال فاستحسنت القصيدة وسالته أن ينسخها الى ففعل ووهبت له ألف درهم وحملته على دابة وضرب الدهر من ضربه الى أن ولى ديوان الضياع مكان موسى بن عبد الملك وكنت أحد عمال موسى وكان يحب أن يكشف أسباب موسى فعزلنى وأمر أن تعمل مؤامرة فعملت وكثر على فيها وحضرت للمناظرة عنها فجعلت أحتج بما لا يدفع فلا يقبله ويحكم لى الكتاب فلا يلتفت الى حكمهم ويسمعنى فى خلال ذلك بدعا من الكلام الى أن أوجب على الكتاب اليمين على باب من الابواب فحلفت عليه فقال ليست يمين السلطان عندك يمينا لانك رافضى فقلت له تاذن لى فى الدنو منك فاذن لى فقلت ليس مع تمريضك بمهجتى للقتل صبر وها هو المتوكل ان كتبت اليه بما يسمع منك لم آمنه على نفسى وقد احتملت كل ما جرى سوى الرفض والرافضى من زعم أن على بن أبى طالب أفضل من العباس وأن ولده أحق من ولد العباس بالخلافة قال ومن ذلك قلت أنت وخطك عندى به وأخبرته بالشعر فوالله ماهو الا أن قلت ذلك له حتى سقط فى يده ثم قال أحضر الدفتر الذى بخطى فقلت له هيهات لا والله أو توثق لى بما أسكن اليه أنك لا تطالبنى بشئ مما جرى على يدى وتخرق هذه المؤامرة ولا تنظر لى فى حساب فحلف لى على ذلك وخرق العمل المعمول وأحضرته الدفتر فوضعه فى خفه وانصرفت وقد زالت عنى المطالبة * ولابراهيم بن العباس مكاتبات قد دونت وفصول حسان من كلامه قد جمعت قد أتينا على كثير منها فى الكتاب الاوسط فمما استحسن من فصوله وان كانت كلها فى نهاية الجودة وانتخبناه من كلامه وقد يما غذت المعصية أبناءها فحلبت عليهم من درها مرضعة وبسطت لهم من أمانيها مطمعة وركبت فيهم مخاطرها موضعة حتى اذا رتعوا فامنوا وركبوا فاطمانوا وانقضى رضاع وآن فطام سقتهم سما فجرت مجارى ألبانها منها دما وأعقبتهم من غذائها مرا وحطت بهم من معقل الى عقال ومن عز الى حسرة قتلا وأسرا واباحة وقسرا وقل من أوضع فى الفتنة مرهجا فى لهبها ومقتحما عند ضلالها الا استقحمته آخذة بمخنقه وموهنة بالحق كيده حتى تجعله لعاجله جزرا ولآجله حطبا وللحق موعظة وللباطل حجة ذلك لهم جزاء فى الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر وما ربك بظلام للعبيد وله أشعار حسان فمما استحسن من شعره الذى لم يسبقه عند جماعة أهل الادب أحد من زمانه قوله

لنا ابل كوم يضيق بها الفضا * ويفتر عنها أرضها وسماؤها

فمن دونها أن تستباح دماؤنا * ومن دوننا أن يستدم دماؤها
حمى وقرى فالموت دون مرامها * وأهون خطب فى الحقوق فناؤها

وقوله

ولكن الجواد أباهشام * وفى العهد مامون المغيب

وقوله

ومن ذخرت زمانى * شنات فى الخلان
ومن ذخرت لنفسى * فعاد ذخر الزمان
لو قيل لى خذ أمانا * من أعظم الحدثان
لما أخذت أمانا * الا من الاخوان

وقوله

واذا جزى الله امرأ بفعاله * فجزى أخالك ماجدا سمحا
نبهته من كذبه فكأنما * نبهت اذ نبهته صبحا

ومما يجب على الرؤساء أن يحفظوه قوله

تزيد الايام ان اقبلت * حزما وعلما بتصاريفها
كانها فى وقت اسعافها * تسمعه صوت تخاريفها

ومما أحسن فيه و برز عن نظرائه قوله

سقيا و رعيا لايام لنا سلفت * بكيت منها فصرت اليوم ابكيها
كذاك أيامنا لاشك نندبها * اذا تقضت ونحن اليوم نشكوها

وقوله

أولى البرية طرا أن تواسيه * عند السرور لمن واساك فى الحزن
ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يالفهم فى المنزل الخشن

وقوله

لاتلمنى فان همك أن تث * رى وهمى مكارم الاخلاق
كيف يسطيع حفظ ماجمعت ك * فاه من ذاق لذة الانفاق

وقوله

أسدضار اذا ماهجته * وأب بر اذا ماقدرا
يعلم الاقصى اذا أثرى ولا * يعلم الادنى اذا ما افتقرا

وكان ابراهيم بن العباس يقول مثل أصحاب السلطان مثل قوم علوا اجبلا ثم وقعوا منه فكان أقربهم الى التلف أبعدهم من الارتقاء وكان ابراهيم يدعى خؤولة العباس بن الاحنف الشاعر (وحكى) أبو العباس أحمد بن جعفر بن حمدان القاضى عن سليمان بن الحسن بن مخلد عن أبيه الحسن قال انشدهم ابراهيم بن العباس قول العباس بن الاحنف

ان قال لم يفعل وان سيل لم * يبذل وان عوتب لم يعتب
صب بهجرانى ولو قال لى * لاتشرب البارد لم اشرب

فقال هذا والله الشعر الحسن المعنى السهل اللفظ العذب المستمع القليل النظير ماسمعت كلا مااحزل منه فى رقة ولا اسهل فى صعوبة ولا ابلغ فى انصاف من هذا فقال له الحسن كلامك والله أحسن من شعره ومما استحسن من شعر العباس بن الاحنف قوله

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وان كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فطوبى لمن اغفى من الليل ساعة * وذاق اغتماضا ان ذاك لناعم

وقوله

اصرف فؤادك ياعباس معتمدا * عنها والاتمت فى حبها كمدا
لو أنها من وراء الروم فى بلد * ما كنت أسكن الا ذلك البلدا
يامن شكا شوقه من هول غيبته * اصبر لعلك تلقى ماتحب غدا

وقوله

اغب الزيارة لما بدا * له الهجر أو بعض أسبابه
وما صدعنا ولكنه * طريد ملالة أحبابه

حدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى قال حدثنا الرياشى قال ذكر جماعة من أهل البصرة قالوا اخرجنا نريد الحج فلما كنا ببعض الطريق اذا غلام واقف على المحجة وهو ينادى ياأيها الناس هل فيكم أحد من أهل البصرة قال فلنا اليه وقلنا له ماتريد قال ان مولاى لما به يريد أن يوصيكم فلنا معه فاذا بشخص ملقى على بعد من الطريق تحت شجرة لايحير جوابا فجلسنا حوله فأحس بنا فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفا وأنشا يقول

ياغريب الدار عن وطنه * مفردا يبكى على شجنه
كلما جد البكاء به * دبت الاسقام فى بدنه

ثم أغمى عليه طويلا وانا الجلوس حوله اذ أقبل طائر فوقع على أعلى الشجرة وجعل يغرد

ففتح الفتى عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر ثم قال

ولقد زاد الفؤاد شجى * طائر يبكي على فننه

شفه ماشفني فبكى * كلنا يبكي على سكنه

قال ثم تنفس تنفسا فاضت نفسه منه فلم نبرح من عنده حتى غسلناه وكفناه وتولينا الصلاة عليه فلما فرغنا من دفنه سالنا الغلام عنه فقال هذا العباس بن الاحنف وقد أخبرنا بهذا الخبر أبو اسحق الزجاجي النحوي عن أبي العباس المبرد عن المازني قال حدثنا جماعة من أهل البصرة بما ذكرناه وكانت وفاة أبي ثور ابراهيم بن مخلد الكلبي سنة أربعين ومائتين وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين نفي المتوكل علي بن الجهم الشاعر الى خراسان وقيل في سنة تسع وثلاثين ومائتين وقد أتينا على خبره وما كان من أمره ورجوعه بعد ذلك الى العراق وخروجه يريد السفر وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين فلما صار بالقرب من حلب من بلاد قنسرين والعواصم بالموضع المعروف بخشاف لقيته خيل الكلبيين فقال في ذلك وهو في الشرق

أزيد في الليل ليل * أم سال بالصبح سيل

ذكرت أهل دجيل * وأين مني دجيل

وكان علي بن الجهم السامي هذا مع انحرافه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه واظهارد التسنن مطبوعا مقتدرا على الشعر عذب الالفاظ غزير الكلام وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب طعن من طعن على نسبه وما قال الناس في عقب سامة بن لؤى ابن غالب وقول علي بن محمد بن جعفر العلوي الشاعر

وسامة منا فامابنوه فامرهم عندنا مظلم

أناس أتونا بانسابهم خرافة مضطجع يحلم

وقلت لهم مثل قول النبي وكل أقاويله محكم

اذا ماسئلت ولم تدرما تقول فقل ربنا أعلم

وقول العلوي فيه أيضا

لو اكتنفت النضر أو معدا أو اتخذت البيت كفامهدا

وزمزما شريعة ووردا والاخشبين محضرا ومبدى

ماازددت الامن قريش بعدا أوكنت الامصقليا وغدا

وانما أعدنا هذا الشعر في هذا الموضع وان كنا قد قدمناه فيما سلف من هذا الكتاب

لماسنح لنامن ذكر على بن الجهم فى أيام المتوكل ولما احتجنا اليه عند ذكرنا الشعر على بن الجهم واجابته العلوى على هذا الشعر فكان ما أجاب به على بن الجهم لعلى بن محمد بن جعفر العلوى

لم تذقنى حلاوة الانصاف ... وتعسفتنى اشد اعتساف
وتركت الوفاء علما بما فيـ ... ـه وأسرفت غاية الاسراف
غير أنى اذا رجعت الى حـ ... ـق بنى هاشم بن عبدمناف
لم أجد لى الى التشفى سبيلا ... بقواف ولا بغـير قواف
لى نفس تأبى الدنية والاشـ ... ـراف لا تعتدى على الاشراف

وله فى الحبس شعر معروف لم يسبقه الى معناه أحد وهو قوله

قالوا حبست فقلت ليس بضائر ... حبسى وأى مهند لا يغمد
أوما رأيت الليث يألف غيله ... كبرا وأوباش السباع تردد
والشمس لولا أنها محجوبة ... عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار فى أحجارها مخبوأة ... لا تصطلى ان لم تثرها الازند
والحبس مالم تغشه لدنية ... شنعاء نعم المنزل المستورد
بيت يجدد للكريم كرامة ... ويزار فيه ولا يزور ويحفد
لولم يكن فى الحبس الا أنه ... لا يستذلك بالحجاب الاعبد

ومما أحسن فيه قوله

خليلى ما أحلى الهوى وأمره ... وأعلمنى بالحلو منه وبالمر
بما بيننا من حرمة هل رأيتما ... أرق من الشكوى وأقسى من الهجر
وافصح من عين المحب لسره ... ولا سيما ان اطلقت عبرة تجرى

ومما اختير من قوله

حسرت عنى القناع ظلوم ... وتولت ودمعها مسجوم
شرما انكرت تصرم عهد ... لم يدم لى وأى عهد يدوم
أنكرت مارأت برأسى وقالت ... أمشيب أم لؤلؤ منظوم
قلت أولاهما علمت فقالت ... آية يستثيرها المهموم
هى عندى من الهموم التى يحـ ... ـسن فيها العزاء والتسليم
ان أمرا أخنى على بشيب الـ ... ـرأس فى ليلة لامر عظيم
ليس عندى وان تعزيت الا ... طاعة حرة وقلب سليم

ومن جيد شعره

هى النفس ماحملتها تتحمل … وللدهر أيام تجور وتعدل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة … وأكمل أخلاق الرجال التفضل
ولاعار ان زالت عن المرء نعمة … ولكن عارا أن يزول التجمل
وما المال الاحسرة ان تركته … وغنم اذا قدمته متعجل

ومما اعتذر فيه فاحسن قوله فى المتوكل

ان ذل السؤال والاعتذار … خطة صعبة على الاحرار
ليس من باطل يورد ها المر … ء ولكن سوابق الاقدار
فارض للسائل الخضوع وللقا … رف ذنبا بذلة الاعتذار
ان تجافيت منعما كنت أولى … من تجافى عن الذنوب الكبار
أو تعاقب فانت أعرف بالله … وليس العقاب منك بعار

ومما جوده قوله لما قيد

فقلت لها والدمع شتى طريقه … ونار الهوى بالقلب يذكو وقودها
فلا تجزعى امارأيت قيوده … فان خلاخيل الرجال قيودها

وكان فى لسانه فضل قل من سلم معه منه وكان محمد بن عبد الله منحرفا عنه فاستشفع عليه بوصيف التركى حتى أصلح له ناحيته ثم فسد عليه وصيف فاستشفع عليه بمحمد بن عبد الله وكتب اليه

الحمد لله شكرا * فلو بنا فى يديه
صار الامير شفيعا * الى شفيعى اليه

وله أشعار نادرة وامثال سائرة اخترنا منها ماقدمنا ذكره واقتصرنا بذلك عن غيره وقد رثاه جماعة من الشعراء بعد قتله منهم ا وصاعد فقال

أريقى الدمع واجتنبى الهجوعا … وصونى شمل وجدك أن يضيعا
وقولى ان كهف بنى لؤى … غدا بالشام منجدلا صريعا
عزاء يابنى جهم بن بدر … فقد لاقيتم خطبا فظيعا
أما والله لوتدرى المنايا … بما لاقيتم لبكت نجيعا
توى كهف الارامل واليتامى … ومن كان الزمان به ربيعا
فتى كان السهام على الاعادى … وليثا دون حادثة منيعا

قال وفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين كان خروج المتوكل من دمشق الى سرمن رأى فكان بين خروجه منها ورجوعه اليها ثلاثة أشهر وسبعة أيام وفى خروجه يقول المهلبى شعرا طويلا اخترنا منه قوله

أظن الشام يشمت بالعراق اذا عزم الامام على انطلاق
فان تدع العراق وساكنيها فقد تبلى المليحة بالطلاق

ولما نزل بدمشق أبى أن ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها ومايرتفع من بخار مياهها فنزل قصر المامون وذلك بين داريا ودمشق على ساعة من المدينة فى اعلى الارض وهذا الموضع بدمشق يشرف على المدينة وأكثر الغوطة ويعرف بقصر المأمون الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة * وذكر سعيد ابن نكيس قال كنت واقفا بين يدى المتوكل فى مضربه بدمشق اذ سعت الجند واجتمعوا وضجوا يطلبون الاعطية ثم خرجوا الى تجريد السلاح والرمى بالنشاب واقبلت أرى السهام ترتفع فى الرواق فقال لى ياأباسعد ادع لى رجاء الحضارى فدعوته فقال له يارجاء أماترى ماخرج اليه هؤلاء فما الرأى عندك فقال ياأمير المؤمنين قد كنت مشفقا فى هذا السفر من مثل هذا فاشرت بما أشرت من تأخيره فقال امير المؤمنين اليه وقال دع مامضى وقل الآن ماحضر برأيك فقال ياأمير المؤمنين توضع الاعطية فقال له فهذا ماأراد واوفيه معماخرجوا اليه مايعلم قال ياأمير المؤمنين مر بهذا فان الرأى بعده فامر عبد الله بن يحيى بوضع الاعطية فيهم فلما خرج المال وبدىء بانفاقه دخل رجاء فقال مر الآن ياأمير المؤمنين بضرب الطبل للرحيل الى العراق فانهم لاياخذون مماأخرج اليهم شيأ ففعل ذلك فترك الناس الاعطية حتى ان المعطى ليتعلق بالرجل ليعطيه رزقه فلاياخذه * قال سعيد وقد كان الاتراك قد رأوا انهم يقتلون المتوكل بدمشق فلم يمكنهم فيه حيلة بسبب بغا الكبير فانهم دبروا فى ابعاده عنه فطرحوا فى مضرب المتوكل الرقاع يقولون فيها ان بغا دبر أن يقتل أمير المؤمنين والعلامة فى ذلك أن يركب فى يوم كذا فى خيله ورجله فياخذ عليه أطراف عسكره ثم ياخذ جماعة من الغلمان العجم يدخلون عليه فيفتكون به فقرأ المتوكل الرقاع فبهت مما تضمنته ودخل فى قلبه من بغا كل مدخل وشكا الى الفتح ذلك وقال له فى أمر بغا والاقدام عليه وشاوره فى ذلك فقال ياأمير المؤمنين ان الذى كتب الرقاع قد جعل

للامر دلائل فى وقت بعينه من ركوب الرجل الاطراف من العسكر وتوكيله بنواحيه وبعد ذلك يتبين الامر وأنا أرى أن تمسك فان صح هذا الدليل نظرنا كيف يفعل وان بطل ما كتب به فالحمد لله وأقبلت الرقاع تطرح فى كل وقت على جهة النصح والصدق فلما علموا بما علم به الخليفة وتمكن به ماعندهم من الامر كتبوا رقاعا فطرحوها فى مضرب بغا يقولون فيها ان جماعة من الغلمان والاتراك قد عزموا على الفتك بالخليفة فى عسكره ودبروا ذلك واتفقوا عليه وتعاقدوا على أن يأتوه من نواحى كذا ونواحى كذا فالله الله الا ما احترست لامير المؤمنين وحرسته فى هذه الليلة من هذه المواضع وحصنتها بنفسك ومن تثق به فانا قد نصحنا وصدقنا وأكثروا طرح الرقاع بهذا المعنى والتوكيد فى حراسة الخليفة فلما وقف بغا عليها وتتابعت عليه لم يأمن أن يكون ما كتب اليه فيها حقا مع ما كان وقع عليه من الامر قبل ذلك فلما كانت الليلة التى ذكروها جمع جيوشه وأمرهم بالركوب بالسلاح وركب بهم الى المواضع التى ذكرت فاخذها على المتوكل وحرسها واتصل الخبر بالمتوكل فلم يشك أن ما كتب له حق فاقبل يتوقع من يوافيه فيفتك به وسهر ليلته وامتنع من الاكل والشرب فلم يزل على تلك الحال الى الغداة وبغا يحرسه والامر عند المتوكل على خلاف ذلك وقد اتهم بغا واستوحش من فعله فلما عزم المتوكل على الانصراف قال له يابغا قد أبت نفسى مكانك منى ورأيت أن أقلدك هذا الصقع واقر عليك ما كان لك من رزق وحباء ونزل ومعونة وكل سبب فقال أنا عبدك ياأمير المؤمنين فافعل ماشئت وأمرنى بما أحببت فخلفه بالشام وانصرف فاحدث الموالى عليه ما أحدثوا فلم يعلم المتوكل وجه الحيلة ولم يعلم كل واحد منهما الحيلة فى ذلك الى أن تمت الحيلة * قال ولما عزم بغا الصغير على قتل المتوكل دعا باغر التركى وكان قد اصطنعه واتخذه وملأ عينه من الصلات وكان مقداما أهوج فقال له ياباغر أنت تعلم محبتى لك وتقديمى اياك وايثارى لك واحسانى اليك وانى قد صرت عندك فى حد من لا يعصى له أمر ولا يخرج عن محبسه وأريد أن آمرك بشئ فعرفنى كيف قلبك فيه فقال أنت تعلم كيف أفعل فقل لى ماشئت حتى أفعله قال ان ابنى فارس قد أفسد على عملى وعمل على قتلى وسفك دمى وقد صح عندى ذلك منه قال فتريد منى ماذا قال أريد أن يدخل على غدا فالعلامة بيننا أن أضع قلنسوتى فى الارض فاذا أنا وضعتها فى الارض فاقتله قال نعم ولكن أخاف أن يبدو لك أو تجد فى نفسك على قال قد آمنك الله من ذلك فلما دخل فارس حضر باغر ووقف موقف

الضارب فلم يزل يراعي بغا أن يضع قلنسوته فلم يفعل وظن انه نسي فغمزه بعينه أي افعل قال لا فلما لم ير العلامة وانصرف فارس قال له بغا اعلم أني فكرت في انه حدث وانه ولد وقدرت ان استخلصه هذه المرة فقال له باغر انا قد سمعت واطعت وافت اعلم وما دبرت وقدرت عليه فيه صلاحه ثم قال له وههنا امر اكبر من ذلك واهم فعرفني كيف تريد ان تكون فيه قال له قل ما شئت حتى افعله قال اخي وصيف قد صح عندي انه يدبر علي وعلى رفقائي وان مكاننا قد ثقل عليه وانه عول على ان يقتلنا ويفنينا وينفرد بالامور قال فماذا تريد ان يصنع به قال افعل هذا فانه يصير الى غدا فالعلامة ان انزل عن المصلى الذي يكون معي قاعدا عليه فاذا رايتني نزلت عنه فضع سيفك عليه واقتله قال نعم فلما صار وصيف الى بغا حضر باغر وقام مقام المستعد فلم ير العلامة حتى قام وصيف وانصرف قال فقال له بغا يا باغر اني فكرت في انه اخي واني قد عاقدته وحلفت له فلم استجر ان افعل ما دبرته ووصله واعطاه ثم انه امسك عنه مدة مديدة ودعا به فقال يا باغر قد حضرت حاجة اكبر من الحاجة التي قدمتها فكيف قلبك قال قلبي على ما تحب فقل ما شئت حتى افعله فقال هذا المنتصر قد صح عندي انه على ايقاع التدبير علي وعلى غيري حتى يقتلنا واريد ان اقتله فكيف ترى نفسك في ذلك ففكر باغر في ذلك ونكس راسه وقال هذا لا يجيء منه شيء قال وكيف قال يقتل الابن والاب باق اذا لا يستوي لكم شيء ويقتلكم ابوه كلكم به قال فما ترى عندك قال نبدأ بالاب اولا فنقتله ثم يكون أمر الصبي ايسر من ذلك فقال له ويحك ويفعل هذا ويتهيا قال نعم افعله وادخل عليه حتى اقتله فجعل يردد عليه فيقول لا تفعل غير هذا ثم قال له فادخل أنت في أثري فان قتلته والا فاقتلني وضع سيفك علي وقل أراد أن يقتل مولاه فعلم بغا حينئذ انه قاتله وتوجه له في التدبير في قتل المتوكل * وفي سنة سبع وأربعين توفيت شجاع أم المتوكل وصلى عليها المنتصر وذلك في شهر ربيع الآخر ثم قتل المتوكل بعد وفاتها بستة اشهر ليلة الاربعاء لثلاث ساعات خلت من الليل وذلك لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وقيل لاربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين * وكان مولده بفم الصلح حدث البحتري قال اجتمعنا ذات يوم مع الندماء في مجلس المتوكل فتذاكرنا أمر السيوف فقال بعض من حضر بلغني يا أمير المؤمنين انه وقع عند رجل من أهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير ولم ير مثله فامر المتوكل بكتاب الى عامل البصرة يطلبه بشرائه بما بلغ فنفذت الكتب على

البريد وورد جواب عامل البصرة بأن السيف اشتراه رجل من أهل اليمن فأمر المتوكل بالبعث الى اليمن يطلب السيف وابتياعه فنفذت الكتب بذلك قال البحترى فبينا نحن عند المتوكل اذ دخل عليه عبيد الله والسيف معه وعرفه انه ابتيع من صاحبه باليمن بعشرة آلاف درهم فسر بوجوده وحمد الله على ما سهل من أمره واقتضاه فاستحسنه وتكلم كل واحد منا بما يحب وجعله تحت ثنى فراشه فلما كان من الغداة قال للفتح اطلب لى غلاما تثق بنجدته وشجاعته أدفع له هذا السيف ليكون واقفا به على رأسى لا يفارقنى فى كل يوم ما دمت جالسا قال فلم يستتم الكلام حتى أقبل باغر التركى فقال الفتح يا أمير المؤمنين هذا باغر التركى قد وصف لى بالشجاعة والبسالة وهو يصلح لما أراده أمير المؤمنين فدعا به المتوكل فدفع اليه السيف وأمره بما أراد وتقدم أن يزاد فى مرتبته وأن يضعف له الرزق قال البحترى فوالله ما انتضى ذلك السيف ولا أخرج من غمده من الوقت الذى دفع اليه الا فى الليلة التى ضرب به فيها باغر بذلك السيف قال البحترى لقد رأيت من المتوكل فى الليلة التى قتل فيها عجبا وذلك انا تذاكرنا أمر الكبر وما كانت تستعمله الملوك من الجبرية فجعلنا نخوض فى ذلك وهو يتبرأ منه ثم حول وجهه الى القبلة فسجد وعفر وجهه بالتراب خضوعا لله عز وجل ثم أخذ من ذلك التراب فنثره فى لحيته ورأسه وقال انما أنا عبد الله وان من صار الى التراب لحقيق أن يتواضع ولا يتكبر قال البحترى فتطيرت له من ذلك وانكرت ما فعله من نثره التراب على رأسه ولحيته ثم قعد للشراب فلما عمل فيه غنى من حضره من المغنين صوتا استحسنه ثم التفت الى الفتح فقال يا فتح ما بقى أحد سمع هذا الصوت من مخارق غيرى وغيرك ثم أقبل على البكاء قال البحترى فتطيرت من بكائه وقلت هذه ثانية فانا فى ذلك اذ أقبل خادم من خدم فتيحة ومعه منديل وفيه خلعة وجهت بها اليه فتيحة فقال له الرسول يا أمير المؤمنين تقول لك فتيحة انى استعملت هذه الخلعة لامير المؤمنين واستحسنتها ووجهت بها لتلبسها قال فاذا فيه دراعة حمراء لم أر مثلها قط ومطرف خز أحمر كأنه دبقى من رقته قال فلبس الخلعة والتحف المطرف قال فانى على ذلك اذ تحرك المتوكل فيه وقد كان التف عليه المطرف فجذبه جذبة نخرقه من طرفه الى طرفه قال فأخذه ولفه ودفعه الى خادم فتيحة الذى جاءه بالخلعة وقال قل لها احتفظى بهذا المطرف عندك ليكون كفنا لى عند وفاتى فقلت فى نفسى انا لله وانا اليه راجعون انقضت والله المدة وسكر المتوكل سكرا شديدا قال وكان من عادته أنه اذا تمايل عند سكره أن يقيمه الخدم الذين

عند رأسه قال فبينما نحن كذلك ومضى نحو ثلاث ساعات من الليل اذ أقبل باغر ومعه عشرة نفر من الاتراك وهم متلثمون والسيوف فى أيديهم تبرق فى ضوء تلك الشمع فهجموا علينا وأقبلوا نحو المتوكل حتى صعد باغر وآخر معه من الاتراك على السرير فصاح بهم الفتح ويلكم مولاكم فلما رآهم الغلمان ومن كان حاضرا من الجلساء والندماء تطايروا على وجوههم فلم يبق أحد فى المجلس غير الفتح وهو يحاربهم ويمانعهم قال البحترى فسمعت صيحة المتوكل وقد ضربه باغر بالسيف الذى كان المتوكل دفعه اليه على جانبه الايمن فقده الى خاصرته ثم ثناه على جانبه الايسر ففعل مثل ذلك وأقبل الفتح يمانعهم عنه فبعجه واحد منهم بالسيف الذى كان معه فى بطنه فاخرجه من متنه وهو صابر لا يتنحى ولا يزول قال البحترى فما رأيت أحدا كان أقوى نفسا ولا أكرم منه ثم طرح بنفسه على المتوكل فماتا جميعا فلفا فى البساط الذى قتلا فيه وطرحا ناحية فلم يزالا على حالهما فى ليلتهما وعامة نهارهما حتى استقرت الخلافة للمنتصر فامر بهما فدفنا جميعا وقيل ان قبيحة كفنته بذلك المطرف المخرق بعينه وقد كان بغا الصغير توحش من المتوكل فكان المنتصر يجتذب قلوب الاتراك وكان اوتامش غلام الواثق مع المنتصر فكان المتوكل يبغضه لذلك وكان أوتامش يجتذب قلوب الاتراك الى المنتصر وعبيد الله بن خاقان الوزير والفتح بن خاقان منحرفين عن المنتصر مائلين الى المعتز وكانا قد أوغرا قلب المتوكل على المنتصر فكان المنتصر لا يبعد أحدا من الاتراك الا اجتذبه فاستمال قلوب الاتراك وكثيرا من الفراعنة والاشروسية الى ان كان من الامر ما ذكرناه وهذا ما اخترناه فى هذا الموضع اذ كان أحسن ألفاظا وأقرب ماخذا وقد أتينا على جميع ما قيل فى ذلك فى الكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن اكثاره فى هذا الكتاب ولم يكن المتوكل يوما أشد سرورا منه فى اليوم الذى قتل فيه فلقد أصبح فى هذا اليوم نشيطا فرحا مسرورا وقال كانى أجد حركة الدم فاحتجم فى ذلك اليوم وأحضر الندماء والملهين فاشتد سروره وكثر فرحه فانقلب ذلك الفرح ترحا والسرور حزنا فمن ذا الذى يغتر بالدنيا ويسكن اليها ويأمن الغدر والنكبات فيها الا جاهل مغرور فهى دار لا يدوم نعيمها ولا يتم فيها سرور ولا يؤمن فيها محذور وقد قرنت منها السراء بالضراء والشدة بالرخاء والنعيم بالبلوى ثم يتبعها الزوال فمع نعيمها البؤس ومع سرورها الحزن ومع محبوبها المكروه ومع صحتها السقم ومع حياتها الموت ومع فرحاتها الترحات ومع لذاتها الآفات عزيزها ذليل وقويها مهين وغنيها محروب وعظيمها مسلوب

ولا يبقى الا الحى الذى لا يموت ولا يزول ملكه وهو العزيز الحكيم وفى ذلك يقول البحترى فى غدر المنتصر بابيه وفتكه به من قصيدة له

أكان ولى العهد أضمر غدره ... فمن عجب أن ولى العهد غادره

فلا ملك الباقى تراث الذى مضى ... ولا حملت ذاك الدعاء منابره

وكانت أيام المتوكل فى حسنها ونضارتها ورفاهية العيش بها وحمد الخاص والعام لها ورضاهم عنها أيام سراء لا ضراء كما قال بعضهم كانت خلافة المتوكل أحسن من أمن السبيل ورخص السعر واما فى الحب وأيام الشباب وقد أخذ هذا بعض الشعراء فقال

قربك أشهى موقعا عندنا ... من لين السعر وأمن السبيل

ومن ليالى الحب موصولة ... بطيب أيام الشباب الجميل

(قال المسعودى) وقد قيل انه لم تكن النفقات فى عصر من الاعصار ولا وقت من الاوقات مثلها فى أيام المتوكل ويقال انه انفق على الهارونى والجوسق الجعفرى أكثر من مائة ألف ألف درهم هذا مع كثرة الموالى والجند والشاكرية ودرور العطاء لهم وجليل ما كانوا يقبضونه فى كل شهر من الجوائز والهبات ويقال انه كان له أربعة آلاف سرية وطئهن كلهن ومات وفى بيوت الاموال أربعة آلاف ألف دينار وسبعة آلاف ألف درهم ولا يعلم أحد فى صناعته فى جد ولا هزل الا وقد حظى فى دولته وسعد بايامه ووصل اليه نصيب وافر من ماله وذكر محمد ابن أبى عون قال حضرت مجلس المتوكل على الله فى يوم فيروز وعنده محمد بن عبد الله ابن طاهر وبين يديه الحسن بن الضحاك الخليع الشاعر فغمز المتوكل خادما على رأسه حسن الصورة أن يسقى الحسن كاسا ويحييه بتفاحة عنبر ففعل ذلك ثم التفت المتوكل الى الحسن فقال قل فيه أبياتا فانشا يقول

وكالدرة البيضاء حيا بعنبر ... من الورد يسعى فى قراطيس كالورد

له عبثات عند كل تحية ... بعينيه تستدعى الخلى الى الوجد

تمنيت أن أسقى بعينيه شربة ... تذكرنى ماقد نسيت من العهد

سقى الله دهرا لم أبت فيه ساعة ... من الليل الا من حبيب على وعد

قال المتوكل أحسنت والله يعطى لكل بيت مائة دينار فقال محمد بن عبد الله ولقد أجاب فاسرع وذكر فاوجع ولولا أن يد أمير المؤمنين لا تطاولها يد لاجزلت له العطاء ولو بالطارف والتالد فقال المتوكل عند ذلك يعطى لكل بيت ألف دينار قال ويروى

انه لما أتى بمحمد بن المغيث الى المتوكل وقد دعا له بالنطع والسيف قال له يا محمد ما دعاك الى المشاقة قال الشقوة يا أمير المؤمنين وأنت ظل الله الممدود بينه وبين خلقه ان لى فيك لظنين أسبقهما الى قلبي أولاهما بك وهو العفو عن عبدك وانشا يقول

أبى الناس الا انك اليوم قاتلي ... امام الهدى والعفو بالحر أجمل

وهل أنا الا جبلة من خطيئة ... وعفوك من نور النبوة يجمل

تضاءل ذنبي عند عفوك قلة ... فمن لى بفضل منك والمن أفضل

لانك خير السابقين الى العلا ... وانك خير الفعلتين ستفعل

فقال المتوكل أفعل خيرهما وأمن عليك ارجع الى منزلك قال ابن المغيث يا أمير المؤمنين الله أعلم حيث يجعل رسالته ولما قتل المتوكل رثته الشعراء فمن رثاه على بن الجهم فقال من قصيدة له

عبيد أمير المؤمنين قتلنه ... وأعظم آفات الملوك عبيدها

بنى هاشم صبرا فكل مصيبة ... سيبلى على وجه الزمان جديدها

وفيه يقول ابن زيد المهلبي من قصيدة طويلة

جاءت منيته والعين هاجعة ... هلا أتته المنايا والقنا قصد

علتك أسياف من لا دونه احد ... وليس فوقك الا الواحد الصمد

خليفة لم ينل ما ناله أحد ... ولم يصغ مثله نور ولا جسد

وفيه يقول بعض الشعراء سرت ليلا منيته اليه ... وقد خلى مناعمه وناما

فقالت قم فقام وكم أقامت ... أخا ملك الى هلك فقاما

وفيه يقول الحسن بن الضحاك الخليع

ان الليالى لم تحسن الى أحد ... الا أساءت اليه بعد احسان

أما رأيت خطوب الدهر مافعلت ... بالهاشمى وبالفتح بن خاقان

وذكر على بن الجهم قال لما افضت الخلافة الى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله أهدى اليه الناس على اقدارهم وأهدى اليه ابن طاهر هدية فيها مائتا وصيفة ووصيف وفى الهدية جارية يقال لها محبوبة كانت لرجل من أهل الطائف قد أدبها وثقفها وعلمها من صنوف العلم وكانت تحسن كل ما يحسنه علماء الناس فحسن موقعها من المتوكل وحلت من قلبه محلا جليلا لم يكن أحد يعدلها عنده قال على فدخلت عليه يوما للمنادمة فلما استقربى المجلس قام فدخل بعض المقاصير ثم خرج وهو يضحك

فقال ويلك ياعلى دخلت فرأيت قينة قد كتبت فى خدها بالمسك جعفر افما رأيت أحسن منه فقل فيه شيأ فقلت ياسيدى أناوحدى أو أنا ومحبوبة قال لا بل أنت ومحبوبة قال فدعوت بدواة وقرطاس فسبقتنى الى القول ثم أخذت العود فترنمت ثم خفقت عليه حتى صاغت له لحنا وتضاحكت مليا ثم قالت ياأمير المؤمنين تأذن لى فاذن لها فغنت

وكاتبـة فى الخـد بالمسك جعفرا | بنفسى محط المسـك من حيث أثرا
لئن أودعت خطامن المسك خدها | لقد أودعت قلبي من الوجد اسطرا
فيامن لمملوك يظل مليكه | مطيعا له فيما أسر وأجهرا
ويامن لعينى من رأى مثل جعفر | سقى الله صوب المستهلات جعفرا

قال على وتغلبت خواطرى حتى كانى ماأحسن حرفا من الشعر قال فقال لى المتوكل ويلك ياعلى ماأمرتك به فقلت ياسيدى اقلنى فوالله لقد عزب عن ذهنى فلم يزل يضرب به على رأسى ويعيرنى به الى ان مات قال على ودخلت اليه أيضا لانادمه فقال لى ويلك ياعلى علمت انى غاضبت محبوبة وامرتها بلزوم مقصورتها ونهيت الحشم عن الدخول اليها وانفت من كلامها فقلت ياسيدى ان كنت غاضبتها اليوم فصالحها غدا ويديم الله سرور امير المؤمنين ويمد فى عمره قال فاطرق مليا ثم قال للندماء انصرفوا وأمر برفع الشراب فرفع فلما كان من غد دخلت اليه فقال ويلك ياعلى انى رأيت البارحـة فى النوم أنى قد صالحتها فقالت جارية يقال لها شاطر كانت تقف أمامه والله لقد سمعت الساعة فى مقصورتها هينمة لاأدرى ماهى فقال لى قم ويلك حتى ننظر ماهى فقام حافيا وقمت أتبعه حتى قربنا من مقصورتها فاذا هى تخفق عودا وتترنم بشئ كانها تصوغ لحنا ثم رفعت عقيرتها وتغنت

أدور فى القصر لاأرى أحدا | أشكو اليـه ولا يكلمنى
حتى كانى أتيت معصية | ليس لهـا توبة تخلصنى
فمن شفيع لنا الى ملك | قدزارنى فى الكرا وصالحنى
حتى اذاما الصباح عادلنا | عاد الى هجره وصـار منى

قال فصفق المتوكل طربا وصفقت معه فدخل اليها فلم تزل تقبل رجـل المتوكل وتمرغ خديها على التراب حتى أخذ بيديها ورجعنا وهى ثالثتنا قال على فلما قتل المتوكل ضمت هى وكثير من الوصائف الى بغا الكبير فدخلت عليه يوما للمنادمة فامر بهتك الستارة وأمر بالقينات فاقبلن يرفلن فى الحـلى والحلل واقبلت محبوبة حاسرة من

الحلى والحلل عليها بياض فجلست مطرقة منكسة فقال لها وصيف غنى قال فاعتلت عليه فقال أقسمت عليك وأمر بالعود فوضع فى حجرها فلما لم تجد بدا من القول تركت العود فى حجرها ثم غنت عليه غناء مرتجلا

اى عيش يلذلى لا ارى فيه جعفرا
ملك قد رأيته فى نجيع معفرا
كل من كان ذا خبا ل وسقم فقد برا
غير محبوبة التى لو ترى الموت يشترى
لاشترته بما حوتـ ـه يداها لتقبرا

قال فغضب عليها وصيف وأمر بسجنها فسجنت وكان آخر العهد بها (قال المسعودى) ومات فى خلافة المتوكل جماعة من أهل العلم ونقلة الآثار وحفاظ الحديث منهم على ابن جعفر المدنى بسامرا يوم الاثنين لثلاث بقين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين ومائتين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة واشهر وقد تنوزع فى السنة التى مات فيها ابن المدينى وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب السنة التى قيل فيها ان وفاته كانت فيها * وفى هذه السنة مات ابو الربيع بن الزهرى وقد تنوزع فى السنة التى مات فيها يحيى بن معين فنهم من رأى ما قدمنا فى هذا الكتاب ومنهم من رأى وهو الاكثر أنه مات فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ويكنى بابى زكريا مولى بنى مرة وقد بلغ من السن خمسا وسبعين سنة واشهرا بالمدينة وقيل ان فى هذه السنة كانت وفاة أبى الحسن على بن محمد المدائنى الاخبارى وقيل مات فى أيام الواثق فى سنة ثمان وعشرين ومائتين وفيها كانت وفاة مسدد بن مسرهد واسمه عبد الملك بن عبد العزيز * وفيها مات الحمانى الفقيه وابن عائشة واسمه عبد الله بن محمد بن حفص ويكنى بابى عبد الرحمن وهو من تيم قريش * وفى خلافة المتوكل مات هدبة بن خالد وسفيان بن فرج الايلى وابراهيم بن محمد الشافعى وذلك فى سنة ست وثلاثين ومائتين * وفى سنة سبع وثلاثين ومائتين مات العباس بن الوليد الرسى بالبصرة وعبد الاعلى بن حماد الرسى وعبيد الله بن معاذ العبدى * وفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين مات اسحق ابن ابراهيم المعروف بابن راهويه وبشر بن الوليد القاضى الكندى صاحب أبى يوسف وقد قيل ان فى هذه السنة مات العباس بن الوليد الرسى * وفى سنة تسع وثلاثين ومائتين مات عثمان بن أبى شيبة الكوفى بالكوفة والصلت بن مسعود الجحدرى * وفى سنة أربعين ومائتين مات هياب بن خليفة العصفرى

وعبدالواحد بن عتاب * وفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين مات هشام بن عمار الدمشقى وحميد بن مسعود الناجى وعبدالله بن معاوية الجمحى وفيها مات يحيى بن أكثم القاضى فى الربذة ومحمد بن عبدالملك بن ابى الشوارب * وفى سنة ست وأربعين ومائتين مات محمد بن المصطفى الحمصى وعنبسة بن اسحق بن شمر وموسى ابن عبدالملك (قال المسعودى) وللمتوكل أخبار وسير حسان غير ماذكرنا وقد أتينا عليها على الشرح والاختصار فى كتابنا فى أخبار الزمان والله الموفق للصواب

﴿ ذكر خلافة المنتصر بالله ﴾

و بويع محمد بن جعفر المنتصر فى صبيحة الليلة التى قتل فيها المتوكل وهى ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين و يكنى بابى جعفر وأمه أم ولد يقال لها حبشية رومية واستخلف وهو ابن خمس وعشرين سنة وكانت بيعته بالقصر المعروف بالجعفرى الذى احدث بناءه المتوكل ومات سنة ثمان واربعين ومائتين وكانت خلافته ستة اشهر

﴿ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه ﴾

كان الموضع الذى قتل فيه المتوكل هو الموضع الذى قتل فيه شيرويه اباه كسرى ابرويز وكان الموضع يعرف بالماخورة وكان مقام المنتصر بعد أبيه فى الماخورة سبعة أيام ثم انتقل عنه وامر بتخريب ذلك الموضع وحكى عن أبى العباس محمد بن سهل قال كنت أكتب لعتاب بن عتاب على ديوان جيش الشاكرية فى خلافة المنتصر فدخلت الى بعض الاروقة فاذاهو مفروش ببساط سوسجرد ومسند ومصلى ووسائد بالحمرة والزرقة وحول البساط دارات فيها أشخاص ناس وكتابة بالفارسية وكنت احسن القراءة بالفارسية واذا عن يمين المصلى صورة ملك وعلى رأسه تاج كانه ينطق فقرأت الكتابة فاذاهى صورة شيرويه القاتل لابيه ابرويز الملك ملك ستة اشهر ثم رأيت صور ملوك شتى ثم انتهى بى النظر الى صورة عن يسار المصلى عليها مكتوب صورة يزيد بن الوليد بن عبدالملك قتل ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبدالملك ملك ستة اشهر فعجبت من ذلك واتفاقه عن يمين مقعد المنتصر وعن شماله فقلت لا أرى يدوم ملكه أكثر من ستة اشهر فكان والله كذلك فخرجت من الرواق الى مجلس وصيف وبغا وهما فى الدار الثانية فقلت لوصيف أعجز هذا الفراش أن يفرش تحت أمير المؤمنين الا هذا البساط الذى عليه صورة يزيد بن الوليد قاتل ابن عمه

وصورة شيرويه قاتل أبيه ابرويز وعاش استة أشهر بعدما قتلا لجزع وصيف من ذلك وقال على بايوب بن سليمان النصرانى خازن الفرش فمثل بين يديه فقال له وصيف لم تجد ما يفرش فى هذا اليوم تحت أمير المؤمنين الا هذا البساط الذى كان تحت المتوكل ليلة الحادثة وعليه صورة ملك الفرس وغيره وقد كان ناله آثار الدماء قال سألنى أمير المؤمنين المنتصر عنه وقال ما فعل البساط فقلت عليه آثار دماء فاحشة وقد عزمت أن لا أفرشه من ليلة الحادثة فقال لم لا تغسله وتطويه فقلت خشيت ان يشيع الخبر عند من يرى ذلك البساط من أثر الحادثة فقال ان الامر أشهر من ذلك يريد قتل الاتراك لابيه المتوكل فطوينا وبسطناه تحته فقال وصيف وبغا اذا قام أمير المؤمنين من مجلسه فخذه وأحرقه بالنار فلما قام أحرق بحضرة وصيف وبغا فلما كان بعد أيام قال لى المنتصر افرش ذلك البساط الفلانى فقلت وأين ذلك البساط فقال وما الذى كان من أمره فقلت ان وصيفا وبغا أمرانى باحراقه قال فسكت ولم يعد فى أمره شيا الى أن مات * وقد كان المنتصر طرب فى هذه الايام فدعا بينان بن الحرث العواد وكان مطربا مجيدا وقد كان غضب عليه فاحضره فغناه

لقد طال عهدى بالامام محمد ... وما كنت اخشى أن يطول به عهدى
فاصبحت ذا بعد و دارى قريبة ... فيا عجبا من قرب دارى ومن بعدى
رأيتك فى برد النبى محمد ... كبدر الدجا بين العمامة والبرد

وكان ذلك ثانى يوم الاضحى وقد كان المنتصر صلى بالناس فى هذا العيد ومما غنى به من الشعر للمنتصر فى ذلك اليوم

رأيتك فى المنام أقل بخلا ... وأطوع منك فى غير المنام
فليت الصبح باد ولا نراه ... وليت الليل آخر ألف عام
ولو أن النعاس يباع بيعا ... لاغليت النعاس على الاقام

ومن شعر المنتصر أيضا مما غنى بحضرته

انى رأيتك فى المنام كانى ... اعطيتنى من ريق فيك البارد
وكأن كفك فى يدى وكانما ... بتنا جميعا فى لحاف واحد
ثم انتبهت ومعصماك كلاهما ... بيدى اليمين وفى يمينك ساعدى
فظللت يومى كله متراقدا ... لاراك فى نومى ولست براقد

وقد كان استوزر أحمد بن الخصيب وندم على ذلك وكان نفى عبد الله بن خاقان وذلك

أن احمد ركب ذات يوم فتظلم اليه متظلم بقصة فاخرج رجله من الركاب فزج بها فى صدر المتظلم فقتله فتحدث الناس بذلك فقال بعض شعراء ذلك الزمان

قل للخليفة ياابن عم محمد اشكل وزيرك انه ركال
اشكله عن ركل الرجال فان ترد مالا فعند وزيرك الاموال

(قال المسعودى) ولو لحق هذا الشاعر الوزير حامد بن العباس فى وزارته للمقتدر بالله لرأى منه قريبا مما ظهر من ابن الخصيب وذلك انه خاطبه مخاطب ذات يوم فقلب ثيابه على كتفه ولكم حلقه ولقد دخلت عليه ذات يوم أم موسى القهرمانة الهاشمية أو غيرها من القهارمة فخاطبته فى شىء من الاموال عن رسالة المقتدر فكان مما خاطبها به أن قال

اضرطى والتقطى واحسبى لاتغلطى

فاخجلها ذلك فقطعها عما له فصدت فمضت من فورها الى المقتدر والسيدة فاخبرتهما بذلك فامر القيان يغنين ذلك اليوم بذلك الكلام وكان يوم طرب وسرور وقد أتينا على خبره وأخبار غيره من وزراء بنى العباس وكتاب بنى أمية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى الكتاب الاوسط وأخبرت عن أبى العباس أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات قال كان أحمد بن الخصيب سيىء الرأى فى والده وكان عاملا له فجاءنى مخبر من خدم الخاصة فقال ان الوزير قد ندب لاعمالكم فلانا وقد أمره فى والدك بكل مكروه وأن يصادره على جملة من المال غليظة ذكرها فقعدت وعندى بعض أصدقائنا من الكتاب ابادر بالكتاب الى والدى بذلك فاشتغلت عن جليسى الكاتب فاتكأ على الوسادة وغفا فانتبه مرعوبا وقال انى قد رأيت رؤيا عجيبة رأيت أحمد بن الخصيب واقفا فى هذا الموضع وهو يقول يموت الخليفة المنتصر الى ثلاثة أيام قال قلت له الخليفة فى الميدان يلعب بالصولجان وهذه الرؤيا ضرب من البلغم والمرار وقد قدمنا الطعام فما استتممنا الكلام حتى دخل علينا داخل فقال رأيت الوزير بدار الخاصة غير مسفر الوجه وانى سألت عن سبب ذلك فقيل لى ان الخليفة المنتصر انصرف من الميدان وهو عرق فدخل الحمام ونام فى الباذهنج فضربه الهواء وركبته حمى هائلة فدخل عليه أحمد بن الخصيب فقال ياسيدى أنت متفلسف وحكيم الزمان تنزل من الركوب تعبا فتدخل الحمام ثم تخرج عرقا فتنام فى الباذهنج فقال له المنتصر أتخاف أن اموت رأيت فى المنام البارحة آتيا أتانى فقال لى تعيش خمسا وعشرين سنة فعلمت أن ذلك بشارة فى المستقبل من عمرى وانى ابقى فى الخلافة هذه

المدة قال فمات فى اليوم الثالث فنظروا فاذا هو قد استوفى خمسا وعشرين سنة * وقد ذكر جماعة من أصحاب التواريخ أن المنتصر ضربته الريح يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع الاول ومات مع صلاة العصر لخمس ليال خلون من ربيع الآخر وصلى عليه أحمد ابن محمد المستعين وكان أول خليفة من بنى العباس أظهر قبره وذلك ان أمه حبشية سألت ذلك فأذن لها وأظهرته بسامرا * وقد قيل ان الصنفورى الطبيب سمه فى مشراط حجمه به وقد كان عزم على تفريق جمع الاتراك فأخرج وصيفا فى جمع كثير الى غزاة الصائفة بطرسوس ونظر يوما الى بغا الصغير وقد أقبل فى القصر وحوله جماعة من الاتراك فاقبل على الفضل بن المأمون فقال قتلنى الله ان لم أقتلهم وأفرق جمعهم فقتلهم المتوكل على الله فلما نظر الاتراك الى ما يفعل بهم وما قد عزم عليه وجدوا منه الفرصة وقد شكا ذات يوم حرارة فأراد الحجامة فخرج له من الدم ثلثمائة درهم لما كان فى المبضع وشرب شربة بعد ذلك فخلت قواه ويقال ان السم كان فى مبضع الطبيب حين فصده * وقد ذكر ابن أبى الدنيا عن عبد الملك بن سليمان بن أبى جعفر قال رأيت فى نومى المتوكل والفتح بن خاقان وقد أحاطت بهما نار وقد جاء محمد المنتصر فاستاذن عليهما فمنع الوصول ثم أقبل المتوكل على فقال ياعبد الملك قل لمحمد بالكاس الذى سقيتنا تشرب قال فلما أصبحت غدوت على المنتصر فوجدته محموما فواظبت على عيادته فسمعته فى آخر علته يقول عجلنا فعوجلنا فمات من ذلك المرض * وكان المنتصر واسع الاحتمال راسخ العقل كثير المعروف راغبا فى الخير سخيا أديبا عفيفا وكان يأخذ نفسه بمكارم الاخلاق وكثرة الانصاف وحسن المعاشرة بما لم يسبقه خليفة الى مثله وكان وزيره أحمد بن الخصيب قليل الخير كثير الشر شديد الجهل وكان آل أبى طالب قبل خلافته فى محنة عظيمة وخوف على دمائهم قد منعوا زيارة قبر الحسين والغرى من أرض الكوفة وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد وكان الامر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين وفيها أمر المعروف بالديزج بالمسير الى قبر الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما وهدمه ومحو ارضه وازالة أثره وأن يعاقب من وجد به فبذل الرغائب لمن تقدم على هذا القبر فكل خشى العقوبة وأحجم فتناول الديزج مسحاة وهدم اعالى قبر الحسين فحينئذ أقدم الفعلة فيه وانهم انتهوا الى الحفرة وموضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة ولا غيرها ولم تزل الامور على ماذكرنا الى أن استخلف المنتصر فامن الناس وتقدم بالكف عن آل أبى طالب وترك البحث عن أخبارهم وأن لا يمنع

أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين رضى الله تعالى عنه ولا قبر غيره من آل أبى طالب وأمر برد فدك الى ولد الحسن والحسين وأطلق أوقاف آل أبى طالب وترك التعرض لشيعتهم ودفع الاذى عنهم وفى ذلك يقول البحترى من أبيات له

وان عليا لاولى بكم   وازكى يدا عندكم من عمر
وكل له فضلة والحجو   ل يوم التراهين دون الغرر

وفى ذلك يقول يزيد بن محمد المهلبى وكان من شيعة آل أبى طالب وما كان امتحن به الشيعة فى ذلك الوقت وأغريت بهم العامة

ولقد بررت الطالبية بعدما   ذموا زمانا بعدها وزمانا
ورددت ألفة هاشم فرأيتهم   بعد العداوة بينهم اخوانا
آنست ليلهم وجدت عليهم   حتى نسوا الاحقاد والاضغانا
لو يعلم الاسلاف كيف بررتهم   لرأوك أثقل من بها ميزانا

وفى سنة ثمان وأربعين ومائتين خلع المنتصر بالله أخويه المعتز وابراهيم من ولاية العهد بعده وقد كان المتوكل بالله أخذ لهم العهد فى كتب كتبها وشروطا اشترطها وأفرد لكل واحد منهم جزأ من الاعمال رسمه له وجعل ولى عهده والتالى للملك محمدا المنتصر وتالى المنتصر وولى عهده المعتز وتالى المعتز وولى عهده ابراهيم المؤيد وأخذت البيعة على الناس بما ذكرنا وفرق فيها أموالا وعم الناس بالجوائز والصلات وتكلمت فى ذلك الخطباء ونطقت به الشعراء فمما اختير من قولهم فى ذلك قول مروان بن أبى الجنوب من قصيدة

ثلاثة أملاك فاما محمد   فنور هدى يهدى به الله من يهدى
وأما أبو عبد الاله فانه   شبيهك فى التقوى ويجدى كما تجدى
وذو الفضل ابراهيم للناس عصمة   تقى وفى بالوعيد وبالوعد
فاولهم نور وثانيهم هدى   وثالثهم رشد وكلهم مهدى

وقوله للمتوكل مما أجاد فيه وأحسن

ياعاشر الخلفاء دمت ممتعا   بالملك تعقد بعدهم للعاشر
حتى تكون امامهم وكأنهم   زهر النجوم دنت لبدر زاهر

وفى بيعة المتوكل لمن ذكرنا من ولده الثلاثة بولاية العهد يقول الشاعر المعروف بالسلمى   لقد شد ركن الدين بالبيعة الرضا   وطائر سعد جعفر بن محمد

لمنتصر بالله أثبت ركنه وأكد بالمعتز قبل المؤيد

وممن قال فى ذلك فاحسن القول وأجاد النظم ادريس بن أبى حفصة

ان الخلافة ماالهاعن جعفر نور الهدى وبنيه من تحويل
فاذاقضى منها الخليفة جعفر للناس لافقدوه خير بديل
فبقاء ملكك وانتظار محمد خيرلنا وله من التعجيل

وقد كان خرج بايام المنتصر بناحية اليمن والبوازيج والموصل أبو العمود الشارى فحكم واشتد أمره فيمن انضاف اليه من المحكمة من ربيعة وغيرهم من الاكراد فسرح اليه المنتصر جيشا عليهم سيما التركى فكانت له مع الشارى حروب فاسر الشارى وأتى به المنتصر فجاد عليه بالعفو وأخذ عليه العهد وخلى سبيله (وحكى) عنه وزيره أحمد بن الخصيب بن الضحاك الجرجانى أنه قال حين رضى عن الشارى ان لذة العفو أعذب من لذة التشفى وأقبح أفعال المقتدر الانتقام * وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد قال رأى بعض الكتاب فى المنام فى الليلة التى استخلف فى صبيحتها المنتصر كان قائلا يقول

هذا الامام المنتصر والملك الحادى عشر
وأمره اذا أمر كالسيف مالاقى بتر
وطرفه اذا نظر كالدهر فى خير وشر

وقد كان أظهر الانصاف فى الرعية فمالت اليه قلوب الخاصة والعامة مع شدة الهيبة منها له * وحدثنى أبو الحسن أحمد بن على بن يحيى المعروف بابن النديم قال حدثنا على بن يحيى المنجم قال مارأيت أحدا مثل المنتصر ولا أكرم أفعالا بغير تبجح منه ولا تكلف لقد رآنى يوما وأنا مغموم شديد الفكر بسبب ضيعة مجاورة لضيعتى وكنت أحب شراءها فلم أزل أعمل الحيلة على مالكها حتى أجابنى الى بيعها ولم يكن عندى فى ذلك الوقت قيمة ثمنها فصرت الى المنتصر وأنا على تلك الحال فتبين الانكسار فى وجهى وشغل القلب فقال لى أراك مفكرا فما قصتك فجعلت أزوى عنه خبرى وأستر قصتى فاستحلفنى فصدقته عن خبر الضيعة فقال لى المنتصر فكم مبلغ ثمنها فقلت ثلاثون ألف درهم قال فكم عندك منها قلت عشرة آلاف فأمسك عنى ولم يجبنى وتشاغل عنى ساعة ثم دعا بدواة وبطاقة ثم وقع فيها بشىء لاأدرى ماهو وأشار الى خادم كان على رأسه بما لم أفهم فمضى الغلام مسرعا وأقبل يشغلنى بالحديث ويطاعمنى الكلام الى أن

أقبل الغلام فوقف بين يديه فنهض المنتصر وقال لي يا علي اذا شئت فانصرف الى منزلك وقد كنت قدرت عند مسئلته انه سيأمر لي بالثمن أو نصفه فاتيت وأنا لا أعقل غما فلما وصلت الى داري استقبلني وكيلي فقال ان خادم أمير المؤمنين صار الينا ومعه بغل عليه بدرتان فسلمهما الي وأخذ خطي بقبضهما قال فداخلني من الفرح والسرور ما لم أملك به نفسي ودخلت وأنا لا أصدق قول الوكيل حتى أخرج الي البدرتين فحمدت الله تعالى على ما حباه لي ووجهت في وقتي الى صاحب الضيعة فوفيته الثمن وتشاغلت سائر يومي بتسليمها والاشهاد بها على البائع ثم بكرت الى المنتصر من الغد فما أعاد علي حرفا ولا سالني عن شيء من خبر الضيعة حتى فرق الموت بيننا (قال المسعودي) وذكر الفضل بن أبي طاهر في كتابه في أخبار المؤلفين قال حدثني أبو عثمان سعيد بن محمد الصغير مولى أمير المؤمنين قال كان المنتصر في أيام امارته ينادمه جماعة من أصحابه وفيهم صالح بن أحمد المعروف بالحريري فجرى في مجلسه ذات يوم ذكر الحب والعشق فقال المنتصر لبعض من في المجلس أخبرني عن أي شيء أعظم عند النفس فقدا وهي به أشد تفجعا قال فقد خل مشاكل وموت شكل موافق وقال آخر ممن حضر ما أشد جولة الرأي عند أهل الهوى وفطام النفس عند الصبا وقد تصدعت أكباد العاشقين من لوم العاذلين فلوم العاذلين قرط في آذانهم ولوعات الحب نيران في أبدانهم مع دموع المعاني كغروب السواني وانما يعرف ما أقول من أبكته المغاني والطلول وقال آخر مسكين العاشق كل شيء عدوه هبوب الرياح يقلقه ولمعان البرق يؤرقه والعذل يؤلمه والبعد ينحله والذكر يسقمه والقرب يهيجه والليل يضاعف بلاءه والرقاد يهرب منه ورسوم الدار تحرقه والوقوف على الطلول يبكيه ولقد تداوت منه العشاق بالقرب والبعد فما نجع فيه دواء ولا هداه عزاء ولقد أحسن الذي يقول

وقد زعموا أن المحب اذا دنا يمل وأن النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد

فكل قال وأكثر الخطب في ذلك فقال المنتصر لصالح بن محمد الحريري يا صالح هل عشقت قط قال إي والله أيها الامير وان بقايا ذلك في صدري قال ويلك لمن قال أيها الملك كنت آلف الرصافة في أيام المعتصم وكانت لقينة أم ولد الرشيد جارية تخرج في جواريها وتقوم في أمرها وتلقى الناس عنها وكانت قينة تتولى أمر القصر اذ ذاك وكانت تمر بي فاحتشمها وأعاينها ثم راسلتها فطردت رسولي وهددتني وكنت أقعد

على طريقتها الا كلها فاذا رأتني ضحكت وغمزت الجواري بالعبث بي والهزء ثم فارقتها وفي قلبي منها نار لا تخمد وغليل لا يبرد ووجد يتجدد فقال له المنتصر فهل لك ان أحضرها وأزوجكها ان كانت حرة او أشتريها ان كانت امة فقال والله ايها الامير ان بي الى ذلك أعظم الفاقة وأشد الحاجة قال فدعا المنتصر باحمد بن الخصيب وساله أن يوجه له في ذلك غلاما من غلمانه منفردا ويكتب معه كتابا مؤكدا الى ابراهيم بن اسحق وصالح الخادم المتولى لامر الحرم بمدينة السلام فمضى الرسول وقد كانت أعتقها وخرجت من حد الجواري الى حد النساء البوالغ فحملها الى المنتصر فلما حضرت نظر اليها فاذا عجوز قد حدبت وعنست وبها بقية من الجمال فقال لها تحبين أن أزوجك قالت انعم أنا أمتك أيها الامير ومولاتك فافعل ما بدا لك فاحضر صالحا وأملكها بها وأمهرها ثم مزح به فاحضر حورا مرصصا وعركا مخلقا فنثره عليه وأقامت مع صالح مدة طويلة ثم ماتت ففارقها وقال يعقوب التمار في ذلك

منح الله أبا الفضـ ـل حياة لا تنغص
وتولاه فقد بالغ في الحب وأخلص
عاشقا كان على التز ويج للعقد تحرص
من هوى من شعرها يخضب بالحنا المعفص
فتراه عند ماينـ ـصل كالبرد المحرص
فهي من أملح خلق الله في التاج المفصص
رزق الصبر عليها فتأنى وتربص
شيخة هام بها من وجده شيخ مقرفص
قرنصت في عهد نوح صاحب الفلك وقرنص
أي حظ نال لولا الـ ـعرك والحور المرصص
ليته قد جعل الامـ ـر اليها وتخلص
فابو الجوذن منها حين يدنو يتقاص

وذكر أبو عثمان سعيد بن محمد الصغير قال كان المنتصر في أيام امارته قد وجهني الى مصر في بعض أموره للسلطان فعشقت جارية كانت لبعض النخاسين عرضت للبيع محسنة في الصنعة مقبولة في الخلقة قائمة على الوزن من المحاسن والكمال فساومت مولاها

فابى أن يبيعها الا بالف دينار ولم يكن ثمنها متهيئا معى فازعجنى السفر وقد علقها قلبى فاخذنى المقيم المقعد من حبها وندمت على مافاتنى من شرائها فلما قدمت وفرغت مما وجهنى اليه وأديت اليه ماعملت حمد أثرى فيه وسألنى عن حاجتى وخبرى فاخبرته بمكان الجارية وكلفى بها فاعرض عنى وجعل لا يزداد الا حدة وقلبى لا يزداد الا كلفا وصبرى لا يزداد الا ضعفا وسليت نفسى عنها بغيرها فكأنى أغريتها ولم تسل عنها وجعل المنتصر كلما دخلت اليه وخرجت من عنده يذكرها ويهيج شوقى اليها وتحيلت اليه بندمائه وأهل الانس به وخاص من يحظى من جواريه وأمهات أولاده وجدته أم الخليفة أن يشتريها لى وهو لا يجيبنى الى ذلك ويعيرنى بقلة الصبر وكان قد أمر أحمد بن الخصيب أن يكتب الى عامل مصر فى ابتياعها وحملها اليه من حيث لا أعلم فحملت اليه وصارت عنده فنظر اليها وسمع منها فعذرنى فيها ودفعها الى قيمة جواريه فاصلحت من شأنها فلما كان يوما من الايام استجلسنى وأمرها أن تخرج الى الستارة فلما سمعت غناءها عرفتها وكرهت انى أعلمه أنى قد عرفتها حتى ظهر فى ما كتمت وغاب على صبرى فقال مالك ياسعيد قلت خيرا أيها الامير قال فاقترح عليها صوتا فاقترحت عليها صوتا كنت قد أعلمته أنى سمعته منها وانى استحسنته من غنائها فغنته فقال أتعرف هذا الصوت قلت إى والله أيها الامير وكنت أطمع فى صاحبته فاما الآن فقد أيست منها وكنت كالقاتل نفسه بيده وكالجالب الحتف الى حياته فقال والله ياسعيد ما اشتريتها الا لك ويعلم الله انى مارأيت لها وجها الا ساعة دخلت عليها وقد استراحت من ألم السفر وخرجت من شحوبة التبذل فهى لك فدعوت له بما أمكننى من الدعاء وشكره عنى من حضره من الجلساء وأمر بها فهيئت وحملت الى فردت الى حياتى بعد أن أشرفت على الهلكة ولا أحد عندى أحظى منها * ومن ملاحات أحاديث الملهين المجان ماذكره أبو الفضل بن أبى طاهر قال حدثنى أحمد بن الحرث الخزاز عن أبى الحسن المدائنى وأبى على الحرمازى قالا كان بمكة سفيه يجمع بين الرجال والنساء على أخش الريب وكان من أشراف قريش ولم يذكرا اسمه فشكا أهل مكة ذلك الى الوالى فغربه الى عرفات فاتخذها منزلا ودخل الى مكة مستترا فاتى بها حرفاءه من الرجال والنساء فقال ومايمنعكم منى فقالوا واين بك وأنت بعرفات فقال حمار بدرهمين وصرتم الى الامن والنزهة والخلوة واللذة قالوا انشهد انك لصادق فكانوا يأتونه فكثر ذلك حتى أفسد على أهل مكة أحداثهم وحواشيهم فعادوا بالشكية الى أميرهم فارسل اليه فاتى به فقال أى عدو الله طردتك

من حرم الله فصرت الى المشعر الاعظم تفسد فيه وتجمع بين الخبائث فقال أصلح الله الامير انهم يكذبون علي ويحسدونني فقالوا للوالي بيننا وبينه واحدة تجمع حمر المكارين وترسلها الى عرفات فان لم تقصد الى بيته لما تعودت من اتيان السفهاء والفجار فالقول ما قال فقال الوالي ان في هذا لدليلا وأمر بجمع الحمر فجمعت ثم أرسلت فقصدت منزله وأتاه أمناؤه فقال ما بعد هذا شيء جردوه فلما نظر الى السياط قال ولا بد من ضربي قال لا بد يا عدو الله قال اضرب فوالله ما في هذا شيء باشد من أن يسخر بنا أهل العراق ويقولون أهل مكة يجيزون شهادة الحمير مع تقريعهم لنا بقبول شهادة الواحد مع يمين الطالب قال فضحك الوالي وقال لا أضربك اليوم وأمر بتخلية سبيله وترك التعرض له (قال المسعودي) وللمنتصر بالله أخبار حسان وأشعار وملح ومنادمات ومكاتبات ومراسلات قبل الخلافة وقد أتينا على مبسوطها وما استحسناه منها مما لم نورده في هذا الكتاب في كتابنا أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة وكذلك في الكتاب الاوسط اذ كنا ما ضمناه كل كتاب منها لم نتعرض لذكره في الآخر ولو كان كذلك لم يكن بينها فرق وكان الجمع واحدا وسنورد بعد فراغنا من هذا الكتاب كتابا نضمنه فنونا من الاخبار ونخلله بالآداب وفنون الآثار تاليا لما سلف من كتبنا ومعتقبا لما تقدم من تصنيفنا ان شاء الله تعالى

ذكر خلافة المستعين بالله

وبويع أحمد بن محمد بن المعتصم في اليوم الذي توفي فيه المنتصر وهو يوم الاحد لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ويكنى بابي العباس وكانت أمه أم ولد صقلبية يقال لها مخارق وخلع نفسه وسلم الخلافة الى المعتز فكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر وقيل ثلاث سنين وتسعة أشهر وكانت وفاته يوم الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وقتل وهو ابن خمس وثلاثين سنة

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

واستوزر المستعين بالله أبا موسى أوتامش وكان المتولي لامر الوزارة والقيم بها كاتبا لاوتامش يقال له شجاع وبعد ان قتل أوتامش وكاتبه صار على وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد ولما قتل وصيف وبغا باغر التركي تعصبت الموالي وانحدر وصيف وبغا الى مدينة السلام والمستعين معهما فانزلاه دار محمد بن عبد الله بن طاهر وذلك في المحرم

سنة احدى وخمسين ومائتين والمستعين لا امر له والامر لبغا ووصيف وكان من حصار بغداد ما ذكرناه فى الكتاب الاوسط وفى المستعين بالله يقول بعض الشعراء

خليفة فى قفص　　بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له　　كما يقول الببغا

وقد كان المستعين نفى أحمد بن الخصيب الى اقريطس سنة ثمان وأربعين ومائتين ونفى عبد الله بن يحيى بن خاقان الى برقة واستوزر عيسى بن فرخانشاه وقلد سعيد بن حميد ديوان الرسائل وكان سعيد حافظا لما يستحسن من الاخبار ويستجاد من الاشعار متصرفا فى فنون العلم ممتعا اذا حدث مفيدا اذا جولس وله أشعار كثيرة حسان فمما يستحسن ويختار من شعره قوله

وكنت أخوفه بالدعاء　　وأخشى عليه من المأثم
فلما اقام على ظلمه　　تركت الدعاء على الظالم

وقوله　أسيدتى مالى اراك بخيلة　　مقيم على الحرمان من يستزيدها
فاصبحت كالدنيا تذم صروفها　　ونتبعها ذما ونحن عبيدها

وقوله　الله يعلم والدنيا مولية　　والعيش منتقل والدهر ذو دول
فللفراق وان هاجت فجيعته　　عليك أخوف فى قلبى من الاجل
وكنت أفرح بالدنيا ولذتها　　واليأس يحكم للاعداء فى الامل

وقوله

وما كان حبيها لاول نظرة　　ولا غمرة من بعدها فتجلت
ولكنها الدنيا تولت وما الذى　　يسلى عن الدنيا اذا ما تولت

وقوله

كان انحدار الدمع حين تجيله　　على خدها الريان در على در

الا ان سعيدا على ما وصفنا عنه من الادب كان يتنصب ويظهر التسنن والتحيل وظهر عنه الانحراف عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وعن الطاهرين من ولده وفى ذلك يقول بعض الشعراء

مارأينا لسعيد بن حميد من شبيه　　ماله يؤذى رسول الله فى شتم اخيه
* انه الزنديق مستول على دين أبيه *

وكان سعيد بن حميد من أبناء المجوس وفيه يقول بعض الشعراء وهو ابو على البصير

رأس من يدعى البلاغة منى ومن الناس كلهم فى حرامه
وأخونا ولست أعنى سعيدبن حميد تؤرخ الكتب باسمه

وكان لسعيد بن حميد وابى على البصير وأبى العيناء معاتبات ومكاتبات ومداعبات وقد اتينا على ذكرها فى الكتاب الاوسط وكان أبو على البصير من اطبع الناس فى زمانه لا يزال ياتى بالبيت الناد والمثل السائر الذى لا يأتى به غيره وكان ابن ميادة بسوء اختياره يرى انه أشعر من جرير و يحسبه مقدما على أهل عصره وهو فوق نظرائه فى وقته ودون البحترى فمن مشهور شعره قوله فى المعلى بن ايوب

لعمر أبيك ما نسب المعلى الى كرم وفى الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعى الهشيم

ومما استحسن له من شعره قوله

اذا ما اغتدت طلابة العلم مالها من العلم الا ما يخلد فى الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم فحبرتى سمعى ودفترها قلبى

ومما استحسن من قوله وهو يريد الحج

خرجنا نبتغى مكـ ـة حجاجا وعمارا
فلما شارف الحير ة راعى ابلى حارا
فقلت احططبها رحلى ولا تعبا بمن جارا
فصادفنا بها لهوا وبستانا وخمارا
وظبيا عاقدا بين الـ ـنقا والخصر زنارا
فما ظنك بالخلفا ء ان اشعلتها نارا

وظهر فى هذه السنة وهى سنة ثمان وار بعين ومائتين بالكوفة ابو الحسن يحيى بن عمر ابن يحيى بن الحسين بن عبد الله بن اسمعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الطيار وقيل ان ظهوره كان بالكوفة سنة خمسين ومائتين فقتل وحمل رأسه الى بغداد وصلب فضج الناس من ذلك لما كان فى نفوسهم من المحبة له لانه استفتح اموره بالكف عن الدماء والتورع عن أخذ شىء من اموال الناس وأظهر العدل والانصاف وكان ظهوره لذل نزل به وجفوة لحقته ومحنة نالته من المتوكل وغيره من الاتراك ودخل الناس الى محمد بن طاهر يهنئونه بالفتح ودخل عليهم أبو هاشم الجعفرى وهو داود بن القاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بينه و بين جعفر الطيار

ثلاثة آباء ولم يكن يعرف فى ذلك الوقت اقعد نسبا فى آل أبى طالب وسائر بنى هاشم وقريش منه وكان ذا زهد وورع ونسك وعلم صحيح العقل سليم الحواس منتصب القامة وقبره مشهور وقد اتينا على خبره وماروى عنه من الرواية عن أبيه ومن شاهد من سلفه فى كتاب حدائق الاذهان فى أخبار النبى صلى الله عليه وسلم فقال لابن طاهر ايها وخرج من داره وهو يقول يا بنى طاهر البيتين وقد كان المستعين أمر بنصب الرأس فامر ابن طاهر بازالته لما رأى من الناس وما هم عليه وفى ذلك يقول أبو هاشم الجعفرى

يا بنى طاهر كلوه وبيا ... ان لحم النبى غير مرى

ان وترا يكون طالبه الله ... لوتر بالفوت غير حرى

وقد رثى ابو الحسن يحيى بن عمر باشعار كثير وقد أتينا على خبر مقتله ومارثى به من الشعر فى الكتاب الاوسط ومما رثى به ماقاله فيه أحمد بن أبى طاهر الشاعر من قصيدة طويلة

سلام على الاسلام فهو مودع ... اذا مامضى آل النبى فودعوا

فقدنا العلا والمجد عند افتقادهم ... واضحت عروس المكرمات تضعضع

أتجمع عين بين نوم ومضجع ... ولابن رسول الله فى الترب مضجع

فقد أقفرت دار النبى محمد ... من الدين والاسلام فالدار بلقع

وقتل آل المصطفى فى خلالها ... وبدد شمل منهم ليس يجمع

الم تر آل المصطفى كيف تصطفى ... نفوسهم ام المنون فتتبع

بنى طاهر واللؤم منكم سجية ... وللغدر منكم حاسر ومقنع

قواطعكم فى الترك غير قواطع ... ولكنها فى آل أحمد تقطع

لكم كل يوم مشرب من دمائهم ... وغلتها من شربها ليس تنقع

رماحكم للطالبيين شرع ... وفيكم رماح الترك بالقتل شرع

لكم مرتع فى دار آل محمد ... وداركم للترك والجيش مرتع

أخلتم بان الله يرعى حقوقكم ... وحق رسول الله فيكم مضيع

وأضحوا يرجون الشفاعة عنده ... وليس لمن يرميه بالوتر يشفع

فيغلب مغلوب ويقتل قاتل ... ويخفض مرفوع ويدنى المرفع

وقال وكان يحيى دينا كثير التعطف والمعروف على عوام الناس بار بخواصهم واصلا لاهل بيته مؤثرا لهم على نفسه مثقل الظهر بالطالبيات يجهد نفسه ببرهن والتحنن عليهن

لم تظهر له زلة ولا عرفت له خزية ولما قتل يحي جزعت عليه نفوس الناس جزعا كثيرا ورثاه القريب والبعيد وحزن عليه الصغير والكبير وجزع لقتله الملىء والدنىء وفى ذلك يقول بعض شعراء عصره ومن جزع على فقده

بكت الخيل شجوها بعد يحي ... وبكاء المهند المصقول
وبكته العراق شرقا وغربا ... وبكاه الكتاب والتنزيل
والمصلى والبيت والركن والحجـ ... ـر جميعا لهم عليه عويل
كيف لم تسقط السماء علينا ... يوم قالوا أخو الحسين قتيل
وبنات النبي يندبن شجوا ... موجعات دموعهن تسيل
ويؤبن للرزية بدرا ... فقده مفظع عزيز جليل
قطعت وجهه سيوف الاعادى ... بابى وجهه الوسيم الجميل
وليحيي الفتى بقلبي غليل ... كيف يرضى بالجسم ذاك العليل
قتله مذكر لقتل على ... وحسين ويوم أوذى الرسول
فصلاة الاله وقفا عليهم ... ما بكى موجع وحن ثكول

وكان ممن رثاه على بن محمد بن جعفر العلوى الحمانى الشاعر وكان ينزل بالكوفة فى حمان فاضيف اليهم فقال

يا بقايا السلف الصا*لح والتجر الربيح ... نحن للايام من بـ*ين قتيل وجريح
خاب وجه الارض كم غيـ*ب من وجه صبيح ... آه من يومك ما أو*داه للقلب القريح

وفيه يقول

تضوع مسكا جانب القبر اذ ثوى ... وما كان لولا شلوه يتضوع
مصارع فتيان كرام اعزة ... اتيح ليحيي الخير منهن مصرع

وقوله

انى لقومى من أحساب قومكم ... بمسجد الخيف فى بحبوحة الخيف
ماعلق السيف منا بابن عاشرة ... الا وهمته أمضى من السيف

وقد كان على بن محمد بن جعفر العلوى هذا وهو أخو اسمعيل العلوى لامه لما دخل الحسن بن اسمعيل الكوفة وهو صاحب الجيش الذى لقى يحيي بن عمر قعد عن سلامه ولم يمض اليه ولم يتخلق عن سلامه أحد من آل على بن أبى طالب الهاشميين وكان على بن محمد الحمانى مفتيهم بالكوفة وشاعرهم ومدرسهم ولسانهم ولم يكن أحد بالكوفة

من آل على بن ابى طالب يتقدمه فى ذلك الوقت فتفقد الحسن بن اسمعيل وسال عنه و بعث بجماعة فاحضر ودفا فذكر الحسن تخلفه فاجابه على بن محمد بجواب مستقتل آيس من الحياة فقال أردت أن آتيك مهنئا بالفتح وداعيا بالظفر وأنشد شعر الايقوم على مثله من يرغب فى الحياة

قتلت أعز من ركب المطايا　　وجئتك استلينك فى الكلام
وعز على أن القاك الا　　وفيما بيننا حد الحسام
ولكن الجناح اذا أهيضت　　قوادمه يرف على الاكام

فقال له الحسن بن اسمعيل انت موتور فلست أذكر ما كان منك وخلع عليه وحمله الى منزله قال وكان أبو أحمد الموفق بالله حبس على بن محمد العلوى لامر شنع به عليه من انه يريد الظهور فكتب اليه من الحبس

قد كان جدك عبد الله خير أب　　لابنى على حسين الخير والحسن
فالكف يوهن منها كل انملة　　ما كان من أختها الاخرى من الوهن

فلما وصل هذا الشعر اليه كفل وخلى الى الكوفة وله أشعار ومراث فى أخيه اسمعيل وغيره من أهله وفى ذم الشيب قد أتينا على كثير من ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان عند ذكر أخبار الطالبيين وفى كتاب مزاهر الاخبار وظرائف الآثار فى أخبار النبى صلى الله عليه وسلم ومما رثى به على بن محمد أبا الحسن يحيى بن عمر فاجاد فيه وافتخر على غيرهم من قريش قوله

لعمرى لئن سرت قريش بهلكه　　لما كان وقافا غداة التوقف
فان مات تلقاء الرماح فانه　　لمن معشر يشنون موت الترف
فلا تشمتوا فالقوم من يبق منهم　　على سنن منهم مقام المخلف
لهم معكم اما جدعتم انوفكم　　مقامات ما بين الصفا والمعرف
تراث لهم من آدم ومحمد　　الى الثقلين من وصايا ومصحف

وفيه يقول أيضا فى الشيب

قد كان حين علا الشباب به　　يقق السوالف حالك الشعر
وكانه قمر تمنطق فى　　أفق السماء بدارة البدر
يا ابن الذى جعلت فضائله　　فلك العلا وقلائد السور
من أسرة جعلت مخايلهم　　للعالمين مخايل النظر

تهيب الاقدار قدرهم فكانهم قدر على قدر
والموت لاتسوى رميته فلك العلا ومواضع الغرر

ومن مراثيه المستحسنة فى اخيه

هذا ابن امى عديل الروح فى جسدى شق الزمان به قلبى الى كبدى
فاليوم لم يبق شئ استريح به الاتفتت اعضائى من الكمد
أومقلة بحياء الهم باكية أو بيت مرثية تبقى على الابد
ترى اناجيك فيها بالدموع وقد نام الخلى ولم اهجع ولم أكد
من لى بمثلك يانور الحياة ويا يمنى يدى التى شلت من العضد
من لى بمثلك أدعوه لحادثة تشكى اليه ولاأشكو الى أحد
قدذقت أنواع ثكل كنت ابلغها على القلوب واجناها على كبد
قل للردى لاتغادر بعده احدا وللمنية من أحببت فاعتمدى
ان الزمان تقضى بعد فرقته والعيش آذن بالتفريق والنكد

وكانت وفاة محمد العلوى فى خلافة المعتمد فى سنة ست ومائتين وفى خلافة المستعين وذلك فى سنة خمسين ومائتين ظهر ببلاد طبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه نغلب عليها وعلى جرجان بعدحروب كثيرة وقتال شديد ومازالت فى يده الى ان مات سنة سبعين ومائتين وخلفه أخوه محمد بن زيد فيها الى أن حاربه رافع بن هرثمة ودخل محمد بن زيد الى الديلم فى سنة سبع وسبعين ومائتين فصارت فى يده وبايعه بعد ذلك رافع بن هرثمة وصار فى جملته وانقاد لدعوته والقول بطاعته وكان الحسن بن زيد ومحمد بن زيد يدعوان الى الرضا من آل محمد وكذلك من طرأ بعدهما ببلاد طبرستان وهو الحسن بن على الحسنى المعروف بالاطروش وولده ثم الداعى الحسن بن القاسم الذى قتله التتار بطبرستان وكان الحسن بن القاسم من ولد الحسن بن على بن أبى طالب وقد أتينا على خبر سائر آل أبى طالب بطبرستان ومن ظهر منهم بالمشرق والمغرب وغير ذلك من بقاع الارض الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى كتابنا أخبار الزمان وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا من سائر مايجب ذكره لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكرهم وظهر فى هذه السنة وهى سنة خمسين ومائتين بالرى محمد بن جعفر بن الحسن ودعا للحسن بن زيد صاحب طبرستان وكانت

له حروب بالرى مع أهل خراسان من المسودة فأسر وحمل الى نيسابور الى محمد بن عبد الله ابن طاهر فمات فى مجلسه بنيسابور وظهر بعده بالرى أحمد بن عيسى بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ودعا الى الرضى من آل محمد وحارب محمد بن طاهر وكان بالرى فانهزم عنها وسار الى مدينة السلام فدخلها العلوى وفى هذه السنة وهى سنة خمسين ومائتين ظهر بقزوين الكركى وهو الحسن بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وهو من ولد الاوسط وقيل ان اسم الكركى الحسن بن أحمد ابن محمد بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فسار به موسى وبغا وصار الكركى الى الديلم ثم وقع الى الحسن بن زيد الحسنى فهلك قبله وظهر بالكوفة الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب فسرح اليه محمد بن عبد الله بن طاهر من بغداد جيشا عليه ابن خاقان فانكشف الطالبى واختفى لترك أصحابه له وتخلفهم عنه وكان ذلك فى سنة احدى وخمسين ومائتين وفى سنة تسع وأربعين ومائتين عقد المستعين لابنه العباس على مكة والمدينة والبصرة والكوفة وعزم على البيعة له فاخرها لصغر سنه وكان عيسى بن فرخانشاه قال لابى البصير الشاعر أن يقول فى ذلك شعرا يشير فيه بالبيعة له فقال فى ذلك قصيدة طويلة يقول فيها

بك الله حاط الدين واحتاش أهله	من الموقف الدحض الذى مثله يردى
فول ابنك العباس عهدك انه	له موضع واكتب الى الناس بالعهد
فان خلفته السن فالعقل بالغ	به رتبة الشيخ الموفق للرشد
فقد كان يحيى أوتى العلم قبله	صبيا وعيسى كلم الناس فى المهد

وقال أبو العباس المكى كنت أنادم محمد بن طاهر بالرى قبل مواقعته الطالبيين فما رأيته فى وقت من الاوقات أشد سرورا منه ولا أكثر نشاطا قبل ظهور العلوى بالرى وذلك فى سنة خمسين ومائتين ولقد كنت عنده ليلة أتحدث والخير وافد والستر مسبل اذ قال كأنى اشتهى الطعام فما آكل قلت صدر دراج او قطعة من جدى باردة قال ياغلام هات رغيفا وخلا وملحا فاكل من ذلك فلما كان فى الليلة الثانية قال يا ابا العباس كأنى جائع فما ترى ان آكل قلت ما أكلت البارحة فقال انت لا تعرف فرق ما بين الكلامين قلت البارحة كأنى اشتهى الطعام وقلت الليلة كأنى جائع وبينهما فرق فدعا بالطعام ثم قال لى صف لى الطعام والشراب والطيب والنساء والخيل قلت أيكون ذلك

منثورا اومنظوما قال لا بل منثورا قلت اطيب الطعام مالقى الجوع بطعم وافق شهوة قال فما اطيب الشراب قلت كاس مـدام تبرد بها غليلك وتعاطى بها خليلك قال فاى السماع أفضل قلت أوتار أربعة وجارية مترعة غناؤها عجيب وصوتها مصيب قال فاى الطيب أطيب قلت ريح حبيب تحبه وقرب ولد تربه قال فاى النساء أشهى قلت من تخرج من عندها كارها وترجع اليها والها قال فاى الخيل أفره قلت الاشدق الاعين الذى اذا طلب سبق واذا طلب لحق قال أحسنت يابشر أعطه مائة دينار قلت وأين تقع منى مائتا دينار قال أوقد زدت نفسك مائة دينار ياغلام أعطه المائة كما ذكرنا والمائة الاخرى لحسن ظنه بنا فانصرفت بمائتى دينار فما كان بين هـذا الحديث وبين تنحيه من الرى الا جمعة * وكان المستعين حسـن المعرفة بايام الناس وأخبارهم لهجا باخبار الماضـين (وحدث) محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنى أبو البيضاء مولى جعفر الطيار وكان طيب الحديث قال وفدنا فى أيام المستعين من المدينة الى سامرا وفينا جماعة من آل أبى طالب وغيرهم من الانصار فاقمنا ببابه نحوا من شهر ثم وصلنا اليه فـكل تكلم وعبر عن نفسه فقرب وآنس وابتدأ بذكر المدينة ومكة وأخبارها وكنت اعرف الجماعة بما شرع فيه فقلت اياذن أمير المؤمنين فى الـكلام قال ذلك اليك فشرعت معه فيما قصد اليه وتسلسل بنـا الـكلام الى فنون من العـلم فى أخبار الناس ثم انصرفنا واقيم لنا الانزال والافضال فلما كان فى أول الليل أتانا خادم ومعه عدة من الاتراك فرسان فحملت على جنيبة كانت معهم وأتى بى الى المستعين فاذا هو جالس فى الجوسق فقربنى وأدنانى ثم أخذ بعد أن آنسنى فى أخبار العرب وأيامها وأهل التتيم فانتهى بنا الـكلام الى أخبار العذريين والمتيمين فقال ماعندك من أخبار عروة بن حزام وما كان منه مع عفراء فقلت ياأمير المؤمنين ان عروة بن حزام لما انصرف من عند عفراء بنت عقال ثى فى وجدابها وصبابة اليها فربه ركب فعرفوه فلما انتهوا الى منزل عفراء صاح صائح منهم

ألا أيها القصر المغفل اهله   نعينا اليكم عروة بن حزام

ففهمت صوته وأشرفت عليه وقالت

ألا أيها الركب المجدون ويحكم   بحق نعيتم عروة بن حزام

فاجابها رجل من القوم فقال

نعم قد تركناه بارض بعيدة   مقيما بها فى سبسب واكام

فقالت لهم

فان كان حقا ماتقولون فاعلموا بان قـد نعيتم بدر كل ظـلام
فلا لقى الفتيـان بعـدك لذة ولارجعوا من غيبـة بسـلام
ولاوضعت أنثى شريفا كمثـله ولا فرحت من بعـده بغـلام
ولالا بلغتم حيث وجهـتم له و نغصـتم لذات كل طعـام

ثم سألتهم أين دفنوه فاخبروها فصارت الى قبره فلما قاربته قالت أنزلونى فانى أريد قضاءحاجة فانزلوها فانسلت الى قبره فاكبت عليه فاراعهم الا صوتها فلما سمعوه بادروا اليها فاذاهى ممتدة على القبر قدخرجت نفسها فدفنوها الى جانب قبره قال فقال لى فهل عندك من خبره غير ماذكرت قلت نعم ياامير المؤمنين هذاما اخبرنا به مالك بن الصباح العدوى عن هيثم بن عدى بن عروة عن ابيه قال بعثنى عثمان بن عفان مصدقا فى بنى عذرة فى بلاد حى منهم يقال لهم بنو منبذة فاذا بيت جـديد منحاش عن الحى فملت اليه فاذا بشاب قائم فى ظل البيت واذا عجوز جالسة فى كسر البيت فلمارآنى ترنم بصوت ضعيف يقول

جعلت لعرافة اليمامة حكمه وعراف نجدان هما شفيـانى
فقالا نعم نشفى من الداء كله وقاما مع العواد يبتدران
فما تركالى رقيـة يعر فانهـا ولاشربة الا بهـا سـقيانى
وقالا شفاك الله والله مالنـا بما حملت منك الضلوع يدان
فلهفى على عفراء لهفا كانه على النحر والاحشاء حد سنان
فعفراء احظى الناس عندى مودة وعفراء عنى المعرض المتدانى
وانى لاهوى الحشر اذ قيل اننى وعفراء يوم الحشر ملتقيان
الا لعن الله الوشاة وقولهم فلانة اضحت خلة لفلان

ثم شهق شهقة خفيفة فنظرت فى وجهه فاذا هو قد مات فقلت ايتها العجوز ما اظن هذا النائم بفناء بيتك الا قـد مات قالت وانا والله اظن ذلك فنظرت فى جهه وقالت فض ورب الكعبة فقلت من هذا فقالت عروة بن حزام العذرى وانا امه والله ما سمعت له انه من سنة الا فى صدر يومى هذا فانى سمعته يقول

من كان من امهات باكيا ابدا فاليوم انى ارانى فيه مقبوضا
تسمعيه فانى غير سامعه اذا علوت رقاب القوم معروضا

قال فاقمت حتى شهدت غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه قال فقال عثمان وما دعاك

الى ذلك قلت اكتساب الاجر فيه والله قال فوصل الجماعة وفضلني عليهم في الجائزة (قال المسعودى) ولمن سلف من المتيمين اخبار عجيبة واشعار حسان فمن ذلك ماحدثنا به ابو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى القاضى قال حدثنا محمد بن سلام الجمحى قال اخبرنى ابو الهياج بن سابق النجدى ثم الثقفى قال خرجت الى ارض بنى عامر لا لشئ الا للقاء المجنون فاذا ابوه شيخ كبير واذا اخوته رجال واذا نعم ظاهرة وخير كثير فسالتهم عن المجنون فاستعبروا وقال الشيخ كان والله ابر هؤلاء عندى فهوى امراة من قومه والله ما كانت تطمع في مثله فلما عرف امره وامرها كره ابوها ان يزوجها منه فزوجها من رجل آخر فقيدناه فكان يعض شفتيه ولسانه حتى خشينا ان يقطعهما فلما راينا ذلك خلينا سبيله فر في هذه الفيافي يذهب اليه في كل يوم بطعامه فيوضع له بحيث يراه فاذا اعاينه جاء فاكل واذا خلقت ثيابه جاؤه بثياب فوضعت بحيث يراها فسالتهم ان يدلوني عليه فدلوني على فتى من الحى وقالوا انه لم يزل صديقا له وليس يانس باحد سواه فسالته ان يدلنى عليه فقال ان كنت تريد شعره فكل شعره عندى الى امس وانا ذاهب اليه غدا فان كان قد ذكر شيا اتيتك به قلت اريد ان تدلنى عليه قال ان رآك نفر منك واخاف أن يذهب منى فيما بعد فيذهب شعره فابيت الا أن يدلنى فقال اطلبه في هذه الصحراء فاذا رأيته فادن منه مستأنسا فانه يتهددك ويتوعدك أن يرميك بشئ في يده فاجلس كأنك لا تنظر اليه والحظه فاذا رأيته قد سكن فاجهد أن تروى لقيس بن الذريح شيأ فانه معجب به قال فخرجت اليه يومى فوجدته بعد العصر جالسا على تل يخط باصبعه خطط فدنوت منه غير منقبض ففر والله كما يفر الوحش من الانسان والى جانبه أحجار فتناول منها واحدا فاقبلت حتى جلست قريبا منه فكنت ساعة وهو كانه نافر فلما طال جلوسى سكن وأقبل يعبث باصبعه فنظرت اليه وقلت أحسن والله قيس بن الذريح حيث يقول

وانى لمفن دمع عينى بالبكا ... حذارا لما قد كان أو هو كائن

وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلة ... فراق حبيب لم يبن وهو بائن

وما كنت أخشى ان تكون منيتى ... بكفى الا ان ماحان حائن

قال فبكى والله حتى سالت دموعه ثم قال أنا والله أشعر منه حيث أقول

أبى القلب الا حبه عامرية ... لها كنية عمرو وليس لها عمرو

تكاد يدى تندى اذا مالمستها ... وينبت في أطرافها الورق الخضر

عجبت لسعى الدهر بينى و بينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فياحبها زدنى جوى كل ليـلة ويا سلوة الايام موعدك الحشر

قال ثم نهض فانصرفت ثم عدت من الغد فاصبته ففعلت فعلى بالامس و فعل مثل فعله فلما أنس قلت أحسن والله قيس بن الذريح حيث يقول قال ماذا قلت

هبونى امرأ ان تحسنوا فهو شاكر لذاك وان لم تحسنوا فهو صافح
فان يك قوم قد أشاروا بهجرنا فان الذى بينى و بينك صالح

قال فبكى و قال انا والله أشعر منه حيث أقول

وأدنيتنى حتى اذا ماسبيتنى بقول يحل العصم سهل الاباطح
تجافيت عنى حيث مالى حيـلة وخلفت ماخلفت بين الجوانح

ثم ظهرت لنا ظبية فوثب فى اثرها فانصرفت ثم عدت فى اليوم الثالث فلم اصادفه فرجعت فاخبرتهم فوجهوا الذى كان يذهب بطعامه فرجع واخبرهم ان الطعام على حاله ثم غدوت مع اخوته فطلبناه يومنا وليلتنا فلما أصبحنا أصبناه فى واد كثير الحجارة واذا هو ميت فاحتمله اخوته ورجعت الى بلدى (قال) وفى سـنة ثمان و اربعين ومائتين كانت وفاة بغا الـكبير التركى وقد نيف على التسـعين سنة وقد كان باشر من الحروب مالم يباشره أحد فما أصابته جراحة قط وتقلد ابنه موسى بن بغا ما كان يتقلده وضم اليه أصحابه وجعلت له قيادته وكان بغا دينا بين الاتراك وكان من غلمان المعتصم يشهد الحروب العظام و يباشرها بنفسه فيخرج منها سالما و يقول الاجل جوشن ولم يكن يلبس على بدنه شيأ من الحديد فعذل فى ذلك فقال رأيت فى نومى النبى صلى الله عليه وسـلم ومعه جماعـة من أصحابه فقال لى يا بغا أحسنت الى رجل من امتى فدعا لك بدعوات استجيبت له فيك قال فقلت يارسول الله ومن ذلك الرجل قال الذى خلصته من السباع فقلت يارسول الله سل ربك ان يطيل عمرى فرفع يديه نحو السماء وقال اللهم أطل عمره وأتم اجله فقلت يارسول الله خمس وتسعون سنة فقال رجل كان بين يديه و يوقى من الآفات فقلت للرجل من انت قال أنا على بن ابى طالب فاستيقظت من نومى وأنا أقول على بن أبى طالب وكان بغا كثير التعطف والبر للطالبيين فقيل له من كان ذلك الرجل الذى خلصته من السباع قال كان أتى المعتصم برجل قـد رمى ببدعة فجرت بينهم فى الليل مخاطبة فى خلوة فقال لى المعتصم خذه فالقه الى السـباع فاتيت بالرجل الى السباع لالقيه اليها وأنا مغتاظ عليه فسـمعته يقول اللهم انك تعلم

ماتكلمت الا فيك ولم أرد بذلك غيرك وتقربا اليك بطاعتك واقامة الحق على من خالفك أفتسلمنى قال فارتعدت ودخلتنى له رقة وملئ قلبى له رعبا فجذبته عن طرف بركة السباع وقد كدت أن أزج به فيها وأتيت به حجرتى فاخفيته فيها وأتيت المعتصم فقال هيه قلت ألقيته قال فما سمعته يقول قلت انا عجمى وهو يتكلم بكلام عربى ما أدرى مايقول وقد كان الرجل اغلظ فلما كان فى السحر قلت للرجل قد فتحت الابواب وأنا مخرجك مع رجال الحرس وقد آثرتك على نفسى ووقيتك بروحى فاجهد أن لا تظهر فى أيام المعتصم قال نعم قلت فما خبرك قال هجم رجل من عماله فى بلدنا على ارتكاب المكاره والفجور واماتة الحق ونصر الباطل فسرى ذلك الى فساد الشريعة وهدم التوحيد فلم أجد عليه ناصرا فوثبت عليه فى ليلة فقتلته لان جرمه كان يستحق به فى الشريعة أن يفعل به ذلك (قال المسعودى) ولما انحدر المستعين ووصيف وبغا الى مدينة السلام اضطربت الاتراك والفراعنة وغيرهم من الموالى بسامرا وأجمعوا على بعث جماعة اليه يسالونه الرجوع الى دار ملكه فصار اليه عدة من وجوه الموالى ومعهم البرد والقضيب وبعض الخزائن ومائتا ألف دينار ويسالونه الرجوع الى دار ملكه واعترفوا بذنوبهم وأقروا بخطئهم وضمنوا أن لا يعودوا ولا غيرهم من نظرائهم الى شئ من ذلك مما أنكره عليهم وتذللوا وخضعوا فاجيبوا بما يكرهون وانصرفوا الى سر من رأى فاعلموا أصحابهم وأخبروهم بما نالهم واياسهم من رجوع الخليفة وقد كان المستعين اعتقل المعتز والمؤيد حين انحدر الى بغداد ولم ياخذهما معه وقد كان حذر من محمد بن الواثق حين انحداره فاخذه معه ثم انه هرب منه مع رجال الحرب فاجمع الموالى على اخراج المعتز والمبايعة له والانقياد الى خلافته ومحاربة المستعين وناصريه ببغداد فانزلوه من الموضع المعروف بلؤلؤة الجوسق وكان معتقلا فيه مع أخيه المؤيد فبايعوه وذلك يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة احدى وخمسين ومائتين وركب من ذلك اليوم الى دار العامة فاخذ البيعة على الناس وخلع على أخيه المؤيد وعقد له عقدين اسود وأبيض فكان الاسود لولاية العهد بعده والابيض لولاية الحرمين وتقلدهما وانبثت الكتب فى سامرا بخلافة المعتز بالله من سائر الامصار وأرخت باسم جعفر بن محمد الكاتب وأحدر أخاه أبا أحمد مع عدة من الموالى لحرب المستعين الى بغداد فنزل عليها فكان أول حرب جرت بينهم ببغداد بين أصحاب المعتز والمستعين وهرب محمد بن الواثق الى

المعتز بالله ولم تزل الحرب بينهم وبين أهل بغداد للنصف من صفر من هذه السنة فلما نشبت الحرب بينهم كانت أمور المعتز تقوى وحالة المستعين تضعف والفتنة عامة فلما رأى محمد بن عبد الله بن طاهر ذلك كاتب المعتز وجنح اليه ومال الى الصلح على خلع المستعين وقد كانت العامة ببغداد حين علمت ما قد عزم عليه من خلع المستعين ثارت منكرة لذلك متحيزة الى المستعين ناصرة له فظهر محمد بن عبد الله المستعين على أعلى قصره نخاطبته العامة وعليه البردة فأنكر ما بلغهم من خلعه وشكر محمد بن عبد الله بن طاهر ثم التقى محمد بن عبد الله بن طاهر وأبو أحمد الموفق بالشماسية فاتفقا على خلع المستعين على أن له الامان ولاهله وولده وما حوته أيديهم من أملاكهم وعلى أن ينزل مكة هو ومن شاء من أهله وأن يقيم بواسط العراق الى وقت مسيره الى مكة فكتب له المعتز على نفسه شروطا أنه متى نقض شيئا من ذلك فالله ورسوله منه براء والناس في حل من بيعته وعهودا يطول ذكرها وقد خذل المعتز بعد ذلك لمخالفتها حين عالج في نقضها نخلع المستعين نفسه من الخلافة وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين فكان له منذ ان في مدينة السلام الى ان خلع سنة كاملة وكانت خلافته منذ تقلد الامر على ما بيناه آنفا الى ان زال عنه ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوما على ماذكرناه من الخلاف وأحدر الى دار الحسن بن وهب ببغداد وجمع بينه وبين أهله وولده ثم أحدر الى واسط وقد وكل به أحمد بن طولون التركي وذلك قبل ولايته مصر وعلم عجز محمد بن عبد الله بن طاهر عن قيامه بامر المستعين حين استجار به وخذلانه اياه وميله الى المعتز بالله وفي ذلك يقول بعض شعراء العصر من أهل بغداد

أطافت بنا الاتراك حولا محرما * ومابرحت في حجرها أم عامر
أقامت على ذل بها ومهانة * فلما بدت ابدت لنا اللؤم غادر
ولم ترع حق المستعين فاصبحت * تعين عليه حادثات المقادر
لقد جمعت لؤما وخبثا وذلة * وأبقت لها عارا على آل طاهر

ولما كان من الامر ما قدمنا من خلع المستعين انصرف أبو أحمد الموفق من بغداد الى سامرا فخلع عليه المعتز وتوج ووشح بوشاحين وخلع على من كان معه من قواده وقدم على المعتز عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أخو محمد بن عبد الله بالبرد والقضيب والسيف وبجوهر الخلافة ومعه شاهك الخادم وكتب محمد بن عبد الله الى المعتز في شاهك ان

من أتاك بارث رسول الله صلى الله عليه وسلم الجدير أن لا تخفر ذمته وخلع المستعين وعلى وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد ولما كان فى شهر رمضان من هذه السنة وهى سنة اثنتين وخمسين ومائتين بعث المعتز بالله سعيد بن صالح الحاجب ليلقى المستعين وقد كان فى جملة من حمله من واسط فلقيه سعيد وقد قرب من سامرا فقتله واحتز رأسه وحمله الى المعتز بالله وترك جثته ماقاة على الطريق حتى تولى دفنها جماعة من العامة * وكانت وفاة المستعين بالله يوم الاربعاء لست خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وهو ابن خمس وثلاثين سنة على ما قدمنا فى صدر هذا الباب * وذكر شاهك الخادم قال كنت عديلا للمستعين عند اشخاص المعتز له الى سامرا ونحن فى عمارية فلما وصل الى القاطول تلقاه جيش كثير فقال يا شاهك انظر من رئيس القوم فان كان سعيد الحاجب فقد هلكت فلما عاينته قلت هو والله سعيد فقال إنا لله وإنا إليه راجعون ذهبت والله نفسى وجعل يبكى فلما قرب سعيد منه جعل يقنعه بالسوط ثم اضجعه وقعد على صدره واحتز رأسه وحمله على ما ذكرنا واستقامت الامور للمعتز واجتمعت الكلمة عليه * وللمستعين أخبار غير ما ذكرناه فى هذا الكتاب وأوردناه فى هذا الباب قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما ذكرنا ما أوردنا فى هذا الكتاب لئلا يتوهم أنا أغفلنا ذكرها أو عزب عنا فهمها فانا بحمد الله لم نترك شيئاً من أخبار الناس وسيرهم وما جرى فى أيامهم الا وقد ذكرناه وأوردنا فى كتبنا أحسنه وفوق كل ذى علم عليم والله الموفق للصواب

﴿ ذكر خلافة المعتز بالله ﴾

بويع المعتز بالله وهو الزبير بن جعفر المتوكل وأمه أم ولد يقال لها قبيحة ويكنى أبا عبد الله وله يومئذ ثمانى عشرة سنة بعد خلع المستعين لنفسه وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم وقيل لثلاث خلون منه سنة اثنتين وخمسين ومائتين على ما قدمنا وبايعه القواد والموالى والشاكرية وأهل بغداد وخطب له فى المسجد الجامع ببغداد فى الجانبين ثم خلع المعتز نفسه يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ومات بعد ان خلع نفسه بستة ايام فكانت خلافته اربع سنين وستة اشهر ودفن بسامرا فجملة ايامه منذ بويع بسامرا قبل خلع المستعين الى اليوم الذى خلع فيه اربع سنين وستة اشهر واياما ومنذ بويع له بمدينة السلام ثلاث سنين وسبعة اشهر

وتوفى وله اربع وعشرون سنة

﴿ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه ﴾

ولما خلع المستعين بالله وأحدر الى واسط بعد أن أشهد على نفسه انه قد برئ من الخلافة وانه لا يصلح لها لما رأى من الخلاف الواقع وانه قد جعل الناس فى حل من بيعته قالت فى ذلك الشعراء فأكثرت ووصفته فى شعرها فأغرقت فقال فى ذلك البحترى من قصيدة طويلة

الى واسط خلب الدجاج ولم يكن ... لينبت فى لحم الدجاج مخالب

وفى ذلك يقول الشاعر المعروف بالكنانى من قصيدة

انى أراك من الفراق جزوعا ... أمسى الامام مسيرا مخلوعا

وغدا الخليفة أحمد بن محمد ... بعد الخلافة والبهاء خليعا

كانت به الايام تضحك زهرة ... وهو الربيع لمن أراد ربيعا

فأزاله المقدور من رتب العلا ... فثوى بواسط لا يحس رجوعا

وكان بين خلع المستعين وقتله تسعة أشهر ويوم * ومات فى خلافة المستعين جماعة من أهل العلم والمحدثين منهم أبو هاشم محمد بن زيد الرفاعى وأيوب بن محمد الوراق وأبو بكر محمد بن العلاء الهمدانى بالكوفة وأحمد بن صالح المصرى وأبو الوليد السرى الدمشقى وعيسى بن حماد زغبة المصرى بمصر ويكنى أبا موسى وأبو جعفر بن سوار الكوفى وذلك فى سنة ثمان واربعين ومائتين * وفى خلافة المستعين وذلك فى سنة تسع وأربعين ومائتين كانت وفاة الحسن بن صالح البزار وكان من علية أصحاب الحديث وهشام بن خالد الدمشقى ومحمد بن سليمان الجهنى بالمصيصة والحسن بن محمد بن طالوت وأبو جعفر الصيرفى بسامرا ومحمد بن زنبور المكى بمكة وسليمان بن أبى طيبة وموسى ابن عبد الرحمن البرقى وفى خلافة المستعين وذلك فى سنة خمسين ومائتين مات ابراهيم بن محمد التميمى قاضى البصرة ومحمود بن خداش وأبو مسلم أحمد بن شعيب الحرانى والحرث بن مسكين المصرى وأبو طاهر أحمد بن عمر و بن السرح وغير هؤلاء ممن أعرضنا عن ذكره من شيوخ المحدثين ونقلة الآثار ممن قد أتينا على ذكرهم من أول زمن الصحابة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى سنة ست من كتابنا المترجم بالاوسط وانما نذكر لمعا من وفاة من ذكرنا لئلا نخلى هذا الكتاب من نبذ مما يحتاج الى ذكره على قدر الطالب له وقد كان المستعين فى سنة ثمان وأربعين ومائتين

أخرج من خزانة الخلافة فص ياقوت أحمر يعرف بالحلى وكانت الملوك تصونه وكان الرشيد اشتراه بأربعين ألف دينار ونقش عليه اسمه أحمد ووضع ذلك الفص فى اصبعه فتحدث الناس بذلك وقد ذكر أن ذلك الفص قد تداولته الملوك من الاكاسرة وقد نقش فى قديم الزمان وذكر أنه لم ينقشه ملك الامات قتيلا وكان الملك اذا مات وجلس تاليه فى الملك حك النقش فتداولته فى اللبس الملوك وهو غير منقوش فيقع النادر من الملوك فينقشه وكان ياقوتا أحمر يضئ بالليل كضياء المصباح اذا وضع فى بيت لا مصباح فيه أشرق ويرى فيه بالليل تماثيل تلوح وله خبر طويل ظريف قد ذكرناه فى كتابنا أخبار الزمان فى ذكر خواتم ملوك الفرس وقد كان هذا الفص ظهر فى أيام المقتدر ثم خفى أثره بعد ذلك وقد كان جماعة من الشعراء قالوا فى المعتز حين استتم له الامر واستقامت له الخلافة وخلعها المستعين أقوالا كثيرة فمن ذلك قول مروان ابن أبى الجنوب من قصيدة طويلة

ان الامور الى المعتز قد رجعت والمستعين الى حالاته رجعا
قد كان يعلم أن الملك ليس له وأنه لك لكن نفسه خدعا

وفى ذلك يقول رجل من أهل سامرا وقد قيل انه البحترى

لله در عصابة تركية ردوا نوائب دهرهم بالسيف
قتلوا الخليفة أحمد بن محمد وكسوا جميع الناس ثوب الخوف
وطغوا فاصبح ملكنا متقسما وامامنا فيه شبيه الضيف

وفى المعتز ورجوع الامر اليه واتفاق الكلمة عليه يقول أبو على البصير

آب أمر الاسلام خير مآب وغدا الملك ثابتا فى نصابه
مستقرا قراره مطمئنا آهلا بعد نأيه واغترابه
فاحمد الله وحده والتمس بالـ عفو عمن هفا جزيل ثوابه

وكان على وزارة المعتز جعفر بن محمد ثم استوزر جماعة فكانت الكتب تخرج باسم صالح بن وصيف كانه مرسوم بالوزارة وكانت وفاة أبى الحسن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد فى خلافة المعتز بالله وذلك فى يوم الاثنين لاربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين وهو ابن أربعين سنة وقيل ابن اثنتين وأربعين وقيل أكثر من ذلك وسمع فى جنازته جارية تقول ماذا لقينا فى يوم الاثنين قديما وحديثا وصلى عليه أحمد بن المتوكل على الله فى

شارع أبي أحمد في داره بسامرا ودفن هناك حدثنا أبو الازهر قال حدثني القاسم ابن عباد قال حدثني يحيى بن هرثمة قال وجهني المتوكل الى المدينة لاشخاص علي ابن محمد بن علي بن موسى بن جعفر لشيء بلغه عنه فلما صرت اليه ضج أهلها وعجوا ضجيجا وعجيجا ما سمعت مثله فجعلت اسكنهم واحلف لهم اني لم أومر فيه بمكروه وفتشت بيته فلم أجد فيه الا مصحفا ودعاء وما أشبه ذلك فاشخصته وتوليت خدمته وأحسنت عشرته فبينا أنا نائم يوما من الايام والسماء صاحية والشمس طالعة اذ ركب وعليه ممطر وقد عقب ذنب دابته فعجبت من فعله فلم يكن بعد ذلك الا هنيهة حتى جاءت سحابة فارخت عزاليها ونالنا من المطر أمر عظيم جدا فالتفت الي وقال أنا أعلم انك أنكرت ما رأيت وتوهمت اني علمت من الامر ما لا تعلمه وليس ذلك كما ظننت ولكن نشأت بالبادية فانا أعرف الرياح التي يكون في عقبها المطر فلما أصبحت هبت ريح لا تخلف وشممت منها رائحة المطر فتاهبت لذلك فلما قدمت مدينة السلام بدأت باسحق بن ابراهيم الطاهري وكان على بغداد فقال يا يحيى ان هذا الرجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتوكل من تعلم وان حرضته على قتله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمك فقلت والله ما وقفت له الا على كل أمر جميل فصرت الى سامرا فبدأت بوصيف التركي وكنت من أصحابه فقال والله لئن سقطت من رأس هذا الرجل شعرة لا يكون المطالب بها غيري فعجبت من قولهما وعرفت المتوكل ما وقفت عليه وما سمعته من الثناء عليه فأحسن جائزته وأظهر بره وتكرمته وحدثني محمد بن الفرج بمدينة جرجان في المحلة المعروفة سراى غسان قال حدثني أبو دعامة قال أتيت علي بن محمد ابن علي بن موسى عائدا في علته التي كانت وفاته منها في هذه السنة فلما هممت بالانصراف قال لي يا أبا دعامة قد وجب حقك أفلا أحدثك بحديث تسر به قال فقلت له ما أحوجني الى ذلك يا ابن رسول الله قال حدثني أبي محمد بن علي قال حدثني أبي علي بن موسى قال حدثني أبي موسى بن جعفر قال حدثني أبي جعفر بن محمد قال حدثني أبي محمد بن علي قال حدثني أبي علي بن الحسين قال حدثني أبي الحسين بن علي قال حدثني أبي علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب قال قلت وما اكتب قال لي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم الايمان ما وقرته القلوب وصدقته الاعمال والاسلام ما جرى به اللسان وحلت به المناكحة قال أبو دعامة فقلت يا ابن رسول الله ما أدري والله أيهما أحسن الحديث أم الاسناد فقال انها الصحيفة بخط علي بن أبي طالب باملاء رسول الله

صلى الله عليه وسلم فتوارثها اصاغر اعن كابر (قال المسعودى) وقد ذكرنا خبر على بن محمد بن موسى رضى الله عنه مع زينب الكذابة بحضرة المتوكل ونزوله الى بركة السباع وتذللها له ورجوع زينب عما ادعته من انها ابنة الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام وأن الله تعالى أطال عمرها الى ذلك الوقت فى كتابنا أخبار الزمان وقيل انه مات مسموما عليه السلام (قال المسعودى) وفى سنة ثلاث وخمسين ومائتين وذلك فى خلافة المعتز مات محمد بن عبد الله بن طاهر للنصف من ذى القعدة بعد قتل وصيف بثلاثة عشر يوما والقمر مكسوف وكان من الجود والكرم وغزارة الادب وكثرة الحفظ وحسن الاشارة وفصاحة اللسان وملوكية المجالسة على مالم يكن عليه أحد من نظرائه وفيه يقول الحسن بن على بن طاهر من قصيدة له

كسف البدر والامير جميعا ... فانجلى البدر والامير غميد
عاود البدر نوره لتجليـ ... ـه ونور الامير ليس يعود
يا كسوفين فى ليلة الاحد النحـ ... ـس أحلكما هناك السعود
واحد كان حده مثل حد الـ ... ـسيف والنار شب فيها الوقود

(وذكر) أبو العباس المبرد قال ارتاح محمد بن عبد الله بن طاهر يوما للمنادمة وقد حضره ابن طالوت وكان وزيره وأخص الناس به واحضرهم لخلواته فأقبل عليه وقال لابد لنا اليوم من ثالث تطيب لنا به المعاشرة وتلذ بمنادمته المؤانسة فمن ترى أن يكون وأعفنا ان يكون شرير الاخلاق اودنس الاعراق اوظاهر الاملاق قال فاعملت الفكر وقلت ايها الامير خطر ببالى رجل ليس علينا من مجالسته من مؤونة وقد برئ من ابرام المجالس وخلا من ثقل المؤانس خفيف الوطاة اذا احببت سريع الوثبة اذا اردت قال ومن ذلك قلت مانى الموسوس قال احسنت والله فليتقدم الى اصحاب الثمانية والعشرين الرابع فى طلبه يرفعه رفعة فما كان باسرع من ان اقتنصه صاحب الكرخ فصار به الى باب الامير فاخذ وحذف ونظف وادخل الحمام والبس ثيابا نظافا وادخل عليه فقال السلام عليك ايها الامير فقال محمد وعليك السلام يامانى اما آن لك ان تزورنا على حين توقان منا اليك ومنازعة قلوب منا نحوك فقال مانى الشوق شديد والحب عتيد والمزار بعيد والحجاب صعب والبواب فظ ولو سهل لنا فى الاذن لسهلت علينا الزيارة فقال الطف فى الاستئذان فليلطف لك فى الاذن لا يمنع مانى اى وقت ورد من ليل اونهار ثم اذن له فى الجلوس فجلس ودعا بالطعام فاكل ثم غسل يديه واخذ مجلسه وكان محمد قد تشوق الى

السماع من مؤنسة جارية بنت المهدى فاحضرت فكان اول ماغنت به

ولست بناس اذغدوا فتحملوا دموعى على الاحباب من شدة الوجد
وقولى وقد زالت بليل حمولهم بواكر نجد لا يكن آخر العهد

فقال مانى احسنت وبحق الامير الامازدت فيه

وقمت اناجى الفكر والدمع حائر بمقلة موقوف على الضر والجهد
ولم يعدنى هذا الامير بغيرة على ظالم قد لج فى الهجر والصد

فاندفعت تغنيه فقال له محمد اعاشق انت يامانى فاستحى وغمزه ابن طالوت ان لا يبوح له بشئ فيسقط من عينيه فقال مبلغ طرب وشوق كان كامنا فظهر وهل بعد الشيب صبوة ثم اقترح محمد على مؤنسة هذا الصوت

حجبوها عن الرياح لانى قلت ياريح بلغيها السلاما
لورضوا بالحجاب هان ولكن منعوها عن الرياح الكلاما

فغنته فطرب محمد ودعا برطل فشرب فقال مانى ماعلى قائل هذا الشعر لوزاد فيه

فتنعست ثم قلت لطيفى آه ان زرت طيفها الماما
خصه بالسلام منى فاخشى يمنعوها الشقوتى أن تناما

لكان أثقب لزند الصبابة بين الاحشاء واشد تغلغلا الى الكبد الصديامن زلال الماء مع حسن تأليف نظمه والانتهاء بالمعنى الى نهاية تمامه فقال محمد أحسنت يامانى ثم أمر مؤنسة بالحاقهما بالبيتين الاولين والغناء بهما ففعلت ثم غنت بهذين البيتين

ياخليلى ساعة لاتريما وعلى ذى صبابة فاقيما
مامررنا بدار زينب الا هتك الدمع سرنا المكتوما

فاستحسنه محمد فقال مانى لولا رهبة التعدى لاضفت الى هذين البيتين بيتين لايردان على سمع ذى لب فيصدران الاعن استحسان لهما فقال محمد يامانى الرغبة فى حسن ماتاتى به حائلة دون كل رهبة فهات ماعندك فقال

ظبية كالهلال لوتلحظ الصخـ ـر بطرف لغادرته هشيما
واذا ماتبسمت خلت ايما ض بروق اولؤلؤا منظوما

فقال أحسنت يامانى فاجز هذا الشعر

لم تطب اللذات الا بمن طابت بها اللذات مانفوسه
غنت بصوت اطلقت عبرة كانت بسجن الصبر محبوسه

فقال مانى وكيف صبر النفس عن غادة أظلمها ان قلت طاووسه
وجرت ان سميتها بانة فى جنة الفردوس مغروسه
وغير عدل ان عدلنا بها جوهرة فى البحر مغموسه

ثم سكت فقال محمد ماعدا فى وصفه لها فقال مانى

جلت عن الوصف فما فكرة تلحقها بالنعت محسوسه

فقال محمد أحسنت فقالت مؤنسة وجب شكرك يامانى فساعدك دهرك وعطف عليك الفك وقارنك سرورك وفارقك محذورك والله يديم لنا ذلك ببقاء من به اجتمع شملنا فقال لها مانى عند قولها وعطف عليك الفك مجيبا

ليس لى الف فيعطفنى فارقت نفسى الاباطيل
فاموصول بنعمة من حبله بالمجد موصول
أنا مغبوط بنعمة من طبعه بالمجد مامول

فاوما اليه ابن طالوت بالقيام فنهض وهو يقول

ملك قل النظير له زانه الغر البها ليل
ظاهرى فى مواكبه عرفه فى الناس مبذول
دم من يشقى بصارمه مع هبوب الريح مطلول
ياأبا العباس صن ادبا حده بالدهر مفلول

فقال محمد وجب جزاؤك لشكرك على غير نعمة سبقت ثم أقبل على ابن طالوت فقال ليست خساسة المرء ولا اتضاع الدهر ولا نبو العين عن الظاهر بمذهب جوهرية الادب المركب فى الانسان وما أخطأ صالح بن عبد القدوس حيث يقول

لايعجبنك من يصون ثيابه خوف الغبار وعرضه مبذول
فلربما افتقر الفتى فرأيته دنس الثياب وعرضه مغسول

قال ابن طالوت فما رأيت احضر ذهنا منه اذ تقول الجارية عطف عليك الفك وانشاده عند قولها ذلك ليس لى الف فيعطفنى فارقت نفسى الاباطيل

قال فلم يزل محمد مجرياعليه رزقه حتى توفى * ونمى الى المعتز أن المؤيد يدبر عليه وانه قد استمال جماعة من الموالى لخبس المؤيد وأبا أحمد وهما لاب وأم وطولب المؤيد بان يخلع نفسه من ولاية العهد فضرب أربعين عصا الى أن أجاب وأشهد على نفسه بذلك ثم اتصل بالمعتز أن جماعة من الاتراك اجتمع رأيهم على اخراج المؤيد من حبسه

فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين أخرج المؤيد ميتا وأحضر القضاة والفقهاء حتى رأوه ولا أثر فيه فيقال انه أدرج في لحاف مسموم وشد طرفاه حتى مات فيه وضيق حبس أبي أحمد فكان بين دخوله سر من رأى وما لقى بها من الاكرام وبين حبسه ستة أشهر وثلاثة أيام ثم أشخص الى البصرة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان بعد قتل المؤيد بخمسين يوما ورتب اسمعيل بن فتيحة وهو اخو المعتز لابيه وامه مكان المؤيد في ولاية العهد واجتمع قواد الموالى الى المعتز فسالوه الرضا عن وصيف وبغا فاجابهم الى ذلك * وفي هذه السنة مات زرافة صاحب دار المتوكل بمصر * وقد كان يوسف بن اسمعيل العلوي غلب على مكة فمات في هذه السنة فخلفه بعد وفاته أخوه محمد بن يوسف وكان أسن منه بعشرين سنة فنال الناس في هذه السنة جهد شديد فبعث المعتز بابن الساج الاشروسي الى الحجاز فهرب محمد بن يوسف وقتل خلق من اصحابه * وفيها أوقع الحسن بن زيد الحسيني بسليمان بن عبد الله بن طاهر فاخرجه عن طبرستان * وفي هذه السنة قدم الى سامرا عيسى ابن الشيخ الشيباني من مصر ومعه مال كثير وستة وسبعون رجلا من سائر ولد أبي طالب من ولد علي وجعفر وعقيل كانوا اخرجوا من الحجاز خوف الفتنة والجهد النازل بالحجاز الى مصر فحملوا منها فامر المعتز بتكفيلهم والتخلية عنهم لما وقف عليه من أمرهم * وولى عيسى ابن الشيخ فلسطين * وفي هذه السنة وهي سنة ثلاث وخمسين ومائتين مات صفوان العقيلي صاحب ديار مصر في حبس سامرا * وفي هذه السنة قتل أهل كرخ سامرا من الفراعنة والاتراك لوصيف التركي وتخلص بغا منهم واشتد امر شاور الشاري ورتب صالح بن وصيف في موضع وصيف وفي سنة اربع وخمسين ومائتين خرج بغا من سامرا الى ناحية الموصل فانتهبت الموالى داره وانفض من كان معه من الجيش وانحدر في زورق فوقع به بعض المغاربة بجسر سامرا فقتل ونصب راسه بسامرا وهو بغا الصغير ثم اخذ الرأس الى مدينة السلام فنصب على الجسر وكان المعتز في حياة بغا لا يلتذ بالنوم ولا يخلع سلاحه لا في ليل ولا في نهار خوفا من بغا وقال لا ازال على هذه الحالة حتى اعلم لبغا رأسي او رأسه لي وكان يقول اني لاخاف ان ينزل علي بغا من السماء او يخرج علي من الارض وقد كان بغا عزم على ان ينحدر سرا فيصل الى سامرا في الليل ويصرف الاتراك عن المعتز ويفيض فيهم الاموال فكان من أمره ما وصفنا ولما رأى الاتراك من اقدام المعتز على قتل رؤسائهم واعماله الحيلة في فنائهم وانه قد

اصطنع المغاربة والفراعنة دونهم صاروا اليه باجمعهم وذلك لاربع بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وجعلوا يقرعونه بذنوبه ويوبخونه على أفعاله وطالبوه بالاموال وكان المدبر لذلك صالح بن وصيف مع قواد الاتراك فلج وأنكر أن يكون قبله شئ من المال فلما حصل المعتز في أيديهم بعث الى مدينة السلام فى محمد بن الواثق الملقب بالمهتدى وقد كان المعتز نفاه اليها واعتقله فيها فاتى به فى يوم وليلة الى سامرا فتلقاه الاولياء فى الطريق ودخل الى الجوسق وأجاب المعتز الى الخلع على أن يعطوه الامان أن لا يقتل وأن يؤمنوه على نفسه وماله وولده وأبى محمد بن الواثق أن يقعد على سرير الملك أو يقبل البيعة حتى يرى المعتز ويسمع كلامه فاتى بالمعتز وعليه قميص مدنس وعلى رأسه منديل فلما رآه محمد بن الواثق وثب اليه فعانقه وجلسا جميعا على السرير فقال له محمد بن الواثق يا أخى ماهذا الامر قال المعتز أمر لا أطيقه ولا أقوم به ولا اصلح له فاراد المهتدى أن يتوسط أمره ويصلح الحال بينه وبين الاتراك فقال المعتز لا حاجة لى فيها ولا يرضونى لها قال المهتدى فانا فى حل من بيعتك قال انت فى حل وسعة فلما جعله فى حل من بيعته حول وجهه عنه فأقيم عن حضرته ورد الى محبسه فقتل فى محبسه بعد أن خلع بستة أيام على ماقدمنا فى صدر هذا الباب * وقد قالت الشعراء فى خلع المعتز وقتله فاكثرت ورثته فاحسنت فمن ذلك قول بعض اهل ذلك العصر من قصيدة له

عين لا تبخلى بسفح الدموع ... واندبى خير فاجع مفجوع
خانه الناصح السفيه ونالتـ ... ـه أكف الردى بحتف سريع
بكر الترك ناقمين عليه ... خلعته افديه من مخلوع
قتلوه ظلما وجورا فالفو ... ه كريم الاخلاق غير جزوع
كان يغشى بحسنه بهجة البد ... ر فتلقاه مظهر الخضوع
وترى الشمس تستكين فلا تشـ ... ـرق ما رأته وقت الطلوع
لم يهابوا جيشا ولا رهبوا السيـ ... ـف فلهفى على القتيل الخليع
أصبح الترك مالكى الامر والعا ... لم ماين سامع ومطيع
وترى الله فيهم مالك الامـ ... ـر سيجزيهم بقتل ذريع

وقال فيه آخر من قصيدة طويلة

أصبحت مقلتى بدمع سفوحا ... حين قالوا أضحى الامام ذبيحا

قتلوه ظلما وجورا وغدرا ❊ حين أهدوا اليه حتفا مريحا
نضر الله ذلك الوجه وجها ❊ وسقى الله ذلك الروح روحا
أيها الترك سوف تلقون للدهـ ❊ ـر سيوفا لا تستبل الجريحا
فاستعدوا للسيف عاقبة الامـ ❊ ـر فقد جئتم فعالا قبيحا

وقال آخر من قصيدة طويلة أيضا

أصبحت مقلتي تسح الدموعا ❊ اذ رأت سيد الانام خليعا
لهف نفسي عليه ما كان أملا ❊ ه واسراه تابعا متبوعا
ألزموه ذنبا على غير جرم ❊ فثوى فيهم قتيلا صريعا
وبنو عمه وعم أبيه ❊ أظهروا ذلة وأبدوا خضوعا
ما بهذا يصح ملك ولا يغـ ❊ ـزى عدو ولا يكون جميعا

وكان المعتز أول خليفة أظهر الركوب بحلية الذهب وكان من سلف قبله من خلفاء بني العباس وكذلك جماعة من بني أمية يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة والمناطق واتخاذ السيوف والسروج واللجم فلما ركب المعتز بحلية الذهب اتبعه الناس في فعل ذلك * وكذلك المستعين قبله أحدث لبس الاكمام الواسعة ولم يكن يعهد ذلك فجعل عرضها ثلاثة أشبار ونحو ذلك وصغر القلانس وكانت قبل ذلك طوالا كاقباع القضاة * وفي سنة خمس وخمسين ومائتين ظهر بالكوفة علي بن زيد وعيسى بن جعفر العلوي فسرح اليهما المعتز سعيد بن صالح المعروف بالحاجب في جيش عظيم فانهزم الطالبيان لتفرق أصحابهما عنهما * وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وفاة اسمعيل بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وما ناله أهل المدينة وغيرهم من أهل الحجاز في أيامه من الجهد والضيق وما كان من أمر أخيه بعد وفاة محمد بن يوسف مع أبي الساج وحربه اياه ولما انكشف من بين يدي أبي الساج سار الى اليمامة والبحرين فغلب عليها وخلفه بها عقبة المعروف ببني الاخيضر الى اليوم وقد كان ظهر بناحية المدينة بعد ذلك ابن لموسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (قال المسعودي) وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان سائر اخبار من ظهر من آل ابي طالب ومن مات منهم في الحبس وبالسم وغير ذلك من انواع القتل منهم عبد الله بن محمد بن علي بن ابي طالب وهو ابو هاشم سقاه عبد الملك بن مروان السم ومحمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن

على بن أبي طالب حمله سعيد الحاجب من البصرة فحبس حتى مات وكان معه ابنه علي فلما مات الاب خلي عنه وذلك في ايام المستعين وقيل غير ذلك وجعفر بن اسمعيل بن موسى بن جعفر قتله ابن الاغلب بارض المغرب والحسن بن يوسف بن ابراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب قتله العباس بمكة وحمل في ايام المعتز من الري علي بن موسى بن اسمعيل بن موسى بن جعفر بن محمد ومات في حبسه * وحمل سعيد الحاجب من المدينة موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن علي بن ابي طالب وكان من النسك والزهد في نهاية الوصف وكان معه ادريس بن موسى فلما صار سعيد بناحية زبالة من جادة الطريق اجتمع خلق من العرب من بني فزارة وغيرهم لاخذ موسى من يده فسمه فمات هنالك وخلصت بنو فزارة ابنه ادريس بن موسى * وفي خلافة المعتز في سنة اثنتين وخمسين ومائتين كان بدو الفتنة بين الملالية والسعدية بالبصرة وما فتح من ذلك من ظهور صاحب الزنج * وللمعتز اخبار حسان غير ما ذكرنا قد اتينا على مبسوطها في كتابينا اخبار الزمان والاوسط وبالله التوفيق

﴿ذكر خلافة المهتدي بالله﴾

وبويع المهتدي محمد بن هرون الواثق قبل الظهر من يوم الاربعاء لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وامه ام ولد رومية يقال لها قرب ويكنى بابي عبد الله وله يومئذ سبع وثلاثون سنة وقيل تسع وثلاثون سنة وانه قتل ولم يستكمل الاربعين سنة في سنة ست وخمسين ومائتين فكانت ولايته احد عشر شهرا ودفن بسامرا وقيل ان مولده كان في سنة ثماني عشرة ومائتين

﴿ذكر جمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه﴾

واستوزر المهتدي بالله جماعة على قصر مدته فسلموا امنه من قتل وغيره منهم عيسى بن فرخانشاه وبنى المهتدي قبة لها اربعة ابواب وسماها قبة المظالم وجلس فيها للعام والخاص للمظالم وامر بالمعروف ونهى عن المنكر وحرم الشراب ونهى عن القيان واظهر العدل وكان يحضر كل جمعة الى المسجد الجامع ويخطب الناس ويؤمهم فثقلت وطاته على العامة والخاصة بحمله اياهم على الطريق الواضحة فاستطالوا خلافته وسئموا ايامه وعملوا الحيلة عليه حتى قتلوه وذلك ان موسى بن بغا الكبير كان عاملا غائبا بالري مشتغلا بحرب آل أبي طالب كالحسن بن زيد الحسني وما كان من الديلم ببلاد قزوين ودخولهم اياها عنوة وقتلهم اهلها فلما نعي الى موسى بن بغا قتل المعتز وما كان من أمر

صالح بن وصيف والاتراك فى ذلك فقفل من تلك الديار متوجها الى سامرا منكرا لما جرى على المعتز وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار المعتز قتل المعتز مجملا ولم نبين كيفية قتله وتنازع الناس فى ذلك مفصلا ورأيت أصحاب السير والتواريخ وذوى العناية بأخبار الدول قد تباينوا فى مقتله فنهم من ذكر أن المعتز مات فى حبسه فى خلافة المهتدى بالله على ما قدمنا من التاريخ حتف أنفه ومنهم من ذكر أنه منع فى حبسه من الطعام والشراب فمات عند قطع مواد الغذاء عنه من المأكل والمشرب ومنهم من رأى أنه حقن بالماء الحار المغلى فمن أجل ذلك حين أخرج الى الناس وجدوا جوفه وارما والاشهر فى الاخباريين ممن عنى باخبار العباسيين أنه أدخل حماما وأكره فى دخوله اياه وكان الحمام محميا ومنع الخروج منه ثم تنازع هؤلاء فنهم من قال انه ترك فى الحمام حتى فاضت نفسه ومنهم من ذكر أنه أخرج بعد أن كادت نفسه تتلف للحمى ثم أسقى شربة ماء مقراة بثلج فنثرت الكبد وغيره فخمد من فوره وذلك ليومين خلوا من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وقد أتينا على مبسوط هذه الاخبار فى كتابنا اخبار الزمان ولما اتصل بالمهتدى مسير موسى بن بغا الى دار الخلافة أنكر ذلك وكاتبه بالمقام فى موضعه وأن لا يحل عن مركزه للحاجة اليه فابى موسى بن بغا الا اغذاذ المسير والسرعة فيه حتى وافى سامرا وذلك فى سنة ست وخمسين ومائتين وصالح بن وصيف يدبر الامر مع المهتدى فلما دنا موسى من سامرا صاحت العامة فى مواضعها والغوغاء فى طرقاتها يافرعون قد جاء موسى وكان صالح بن وصيف قد نفر عن المهتدى حين علم بموافاة موسى وقال ان المهتدى راسل موسى فى السر فى المسير الى سامرا والشخوص اليها وكاتبه فى ظاهر الامر وراسله أن لا يقدم وكان رجل من قواد الاتراك يقال له بايكيال قد غلب على الامر أيضا وترأس فدخل موسى سامرا حتى انتهى الى مجلس المهتدى وهو جالس للمظالم والدار غاصة بخواص الناس وعوامهم فشرع أصحاب موسى فدخلوا الدار وجعلوا يخرجون العامة منها باشد ما يكون من الضرب بالدبابيس والطبرزينات والعسف فضجت العامة فقام المهتدى منكرا عليهم فعلهم بمن فى الدار فلم يرجعوا عما هم عليه فتنحى مغضبا فقدم اليه فرس وقد استشعر منهم الغدر فمضى به الى دار مارجوج وقد كان موسى بن بغا انصرف عن دار المهتدى لما نظر الى ضجة العامة فيها فنزل تلك الدار فسير بالمهتدى اليها فاقام فيها ثلاثا عند موسى بن بغا وكان فيه ديانة وتقشف حتى ان الجند تأسوا به ولم

يكن يشرب النبيذ وكان المهتدى فى أخلاقه شراسة فنافر موسى وكاد الامر أن ينفرج والحال أن يتسع غير أن موسى تعطف عليه وأعملا الحيلة فى قتل صالح بن وصيف وخاف موسى أن يكون صالح بن وصيف يعمل الحيلة عليهم فى حال اختفائه فبث فى طلبه العيون حتى وقع عليه فقاتل ومانع عن نفسه فقتل واحتز رأسه وأتى به الى موسى بن بغا ومنهم من رأى أنه أحمى له حمام وادخل اليه فمات على حسب مافعل بالمعتز وقوى أمر شاور الشارى ودنا فى عسكره من سامرا وعم الناس بالاذى وانقطعت السابلة وظهرت الاعراب فاخرج المهتدى بالله موسى بن بغا وبايكيال الى حرب الشارى وخرج معهما فشيعهما ثم قفلا من غير أن يلقيا شرا فلما استشعر المهتدى رجوعهما خرج فعسكر بجسر سامرا فى جمع من المغاربة والفراعنة وغيرهم من الرسوم ليحارب بايكيال فانصرف موسى على ظهر سامرا متحرجا للقتال المهتدى فكانت بين المهتدى وبين بايكيال حرب عظيم قتل فيها خلق كثير من الناس وانكشف بايكيال واستظهر المهتدى عليه فخرج كمين بايكيال على المهتدى وفيه مارجوج التركى فولى المهتدى وأصحابه ودخل سامرا مستغيثا بالعامة مستنصرا بالناس يصيح فى الاسواق فلا مغيث وقدامه ناس من الانصار فمضى مؤيسا من النصر الى دار ابن خيعونة بسامرا مختفيا فهجموا عليه وعزلوه وحملوه منها الى دار مارجوج وقيل له أتريد أن تحمل الناس على سيرة عظيمة لم يعرفوها فقال أريد أن أحملهم على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والخلفاء الراشدين فقيل له الرسول صلى الله عليه وسلم كان مع قوم قد زهدوا فى الدنيا ورغبوا فى الآخرة كابى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم وأنت انما رجالك تركى وجزرى ومغربى وغير ذلك من أنواع الاعاجم لا يعلمون مايجب عليهم من أمر آخرتهم وانما غرضهم مااستعجلوه من هذه الدنيا فكيف تحملهم على ماذكرت من الواضحة فكثر منهم ومنه الكلام والمراجعة فى هذا المعنى واشباهه ثم انقادوا اليه على حسب ماظهر للناس من ذلك فلما كاد الامر ان يتم قام فيهم سليمان بن وهب الكاتب وقيل غيره وقال هذا سوء رأى منكم وخطأ فى تدبيركم ان أعطاكم بلسانه فنيته فيكم غير هذا قال وسيأتى عليكم جميعا ويفرق جمعكم فلما سمعوا هذا القول استرجعوا وجاؤه بالخناجر فكان اول من جرحه ابن عم لبايكيال جرحه بخنجر فى أوداجه وانكب عليه فالتقم الجرح والدم يفور منه واقبل يمص الدم حتى روى منه والتركى سكران فلما روى من دم المهتدى قام قائما وقد مات

المهتدى فقال يا أصحابنا قد رويت من دم المهتدى كما رويت فى هذا اليوم من الخمر وقد تنوزع فيما ذكرنا من قتل المهتدى والاشهر ماذكرناه من قتله بالخناجر ومنهم من رأى أنه عصرت مذا كيره حتى مات ومنهم من رأى انه جعل بين لوحين عظيمين وشد بالحبال الى أن مات وقيل خنقا وقيل كبس عليه بالبسط والوسائد حتى مات فلما مات داروا به ينوحون ويبكون عليه وندموا على ما كان منهم من قتله لما تبينوا من نسكه وزهده وقيل ان ذلك كان يوم الثلاثاء لاربع عشرة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وكان موسى بن بغا ومارجوج التركى غير داخلين فى فعل الاتراك وكان حنق الاتراك على لمهتدى بسبب قتله بايكيال وذلك أن بايكيال وقع بيد المهتدى فضرب عنقه ورمى به الى أصحابه ومنهم من رأى أنه قتل فى الحرب المتقدم ذكرها فى الموضع المعروف بجسر سامرا وقد كان المهتدى لما أفضت الخلافة اليه أخرج أحمد بن اسرائيل الكاتب وأبا نوح الكاتب الى باب العامة بسامرا يوم الخميس لثلاث خلون من شهر رمضان فضرب كل واحد منهما خمسمائة سوط فماتا وذلك لامور كانت منهما استحقا عند المهتدى فيما يجب فى حكم الشريعة أن يفعل بهما ذلك وقتل المهتدى وله من الولد سبعة عشر ذكرا وست بنات وقد كان المهتدى ولى أحمد ابن المدبر خراج فلسطين وكانت له معه أخبار قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا وأخبار ابن المدبر لما وصل الى فلسطين وما حمل الى سامرا وقيل ان المعتز بالله كان أخرجه الى الشام ولاحمد بن المدبر أخبار حسان ولابراهيم بن المدبر أخيه مع صاحب الزنج أخبار حين أسره (قال المسعودى) فمن أخبار أحمد بن المدبر المستحسنة مما دونها الناس فى أخبار الطفيليين أن أحمد كان قليل الجلوس للمنادمة وكان له سبعة ندماء لا يأنس بغيرهم ولا ينبسط الى سواهم قد اصطفاهم لعشرته وأخذهم لمنادمته كل رجل منهم قد انفرد بنوع من العلم لا يساويه فيه غيره وكان طفيلى يعرف بابن دراج من أكمل الناس أدبا وأخفهم روحا وأشدهم فى كل مليحة افتنانا فلم يزل يحتال الى أن عرف وقت جلوس أحمد بن المدبر للندماء فتزيا فى زى ندمائه ودخل فى جملتهم وظن حاجبه أن ذلك بعلم من صاحبه ومعرفة من أولئك الندماء ولم ينكر شيأ من حاله وخرج أحمد بن المدبر فنظر اليه بين القوم فقال لحاجبه اذهب الى ذلك الرجل فقل له ألك حاجة فسقط فى يد الحاجب وعلم أن الحيلة قد تمت عليه وان ابن المدبر لا يرضى فى عقوبته الا بقتله فمر وهو يجر برجليه فقال له الاستاذ يقول لك ألك حاجة فقال قل له لا فقال له ارجع اليه

فقل له ماجلوسك فقال الساعة جلسنا بابغيض فقال ارجع اليـه فقل له اى شئ أنت فقال قـل له طفيلى يرحمك الله فقـال له ابن المدبر أنت طفيـلى قال نعم أعزك الله قال ان الطفيلى يحتمل على دخوله بيوت الناس وافساده عليهم مايريدونه من الخلوة بندمائهم والخوض فى أسرارهم لخصال منها أن يكون لاعبا بالشـطرنج أو بالنرد اوضاربا بالعود اوالطنبور فقال ايدك الله انا احسن هذه الاشياء كلها قال وفى اى وظيفة انت منها قال فى العليا من جميعها قال لبعض ندمائه لاعبه بالشطرنج فقال الطفيلى أصلح الله الاستاذ فان قمرت قال أخرجناك من ديارنا قال فان قمرت قال أعطيناك ألف درهم قال فان رأيت أيدك الله أن تحضر الالف درهم فان فى حضورها قوة للنفس والايقان بالظفر فاحضرت فلعبا فغلب الطفيلى ومد يده ليأخذ الدراهم فقال الحاجب لينفى عن نفسه بعض ماوقع فيـه أعز الله الاستاذ انه زعم انه فى الطبقة العليا وابن فلان غلامك يغلبه فاحضر الغلام فغلب الطفيلى فقال له انصرف فقال أحضروا النرد فاحضرت فلوعب فغلب فقال الحاجب ولا هـذا ياسيدى فى الطبقة العليا من النرد ولكن بوابنا فلان يغلبه فاحضر البواب فغلب الطفيلى فقال له اخرج فقال ياسيدى فالعود فاتى بالعود فضرب فاصاب وغنى فاطرب فقال الحاجب ياسيـدى فى جوارنا شيخ هاشمى يعـلم القيان أحـذق منه فاحضر الشيخ فـكان أطرب منه فقال له اخرج فقال فالطنبور فاعطى طنبورا فضرب ضربا لم ير الناس أحسن منه وغنى غناء فى النهاية فقال الحاجب اعز الله الاستاذ فلان المحتـكر فى جوارنا أحذق منه فاحضر المحتـكر فـكان أحذق منه وأطيب فقال له ابن المدبر قد تقصينا لك بـكل جهد فابت حرفتك الا طردك عن منزلنا فقال ياسيدى بقيت معى بابة حسنة قال ماهى قال تامر لى بقوس بندق مع خمسين بندقة رصاص ويقام هذا الحاجب على أربع وأرميه فى دبره فان أخطات بواحدة منهن ضربت رقبتى فضج الحاجب من ذلك ووجـد ابن المدبر فى ذلك شفـاء لنفسه وعقوبة ومكافاة له على مافرط منـه فى ادخال الطفيلى الى مجلسه فامر با كافين فاحضرا وجعل أحدهما فوق الآخر وشد الحاجب فوقهما وأمر بالقوس والبندق فدفع الى الطفيلى فرمى به فـأخطاه وخلى عن الحاجب وهويتاوه لما به فقال له الطفيلى أعلى باب الاستاذ من يحسن مثل هذا فقال ياقرنان مادام البرجاس استى فلا وللطفيليين أخبار حسان مثل خبر ساسان الطفيلى مع المتوكل فى اللوزنيج وما ابتدأ من العـدد من الواحد الى مافوقه من القران ولغيره منهم ماقد أتينا على ذكره فى كتابنا أخبار الزمان

والاوسط على الشرح والتمام والكمال وانما نورد في هذا الكتاب لمعا لم يتقدم له ذكر فيما سلف من كتبنا في هذا المعنى وقد كان المهتدى بالله ذهب في أمره الى القصد والدين فقرب العلماء ورفع من منازل الفقهاء وعمهم ببره وكان يقول يا بني هاشم دعوني حتى أسلك مسلك عمر بن عبد العزيز فاكون فيكم مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية وقلل من اللباس والفرش والمطعم والمشرب وأمر باخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن فكسرت وضربت دنانير ودراهم وعمد الى الصور التي كانت في المجالس فحيت وذبح الكباش التي كان يناطح بها بين يدي الخلفاء والديوك وقتل السباع المحبوسة ورفع بسط الديباج وكل فرش لم ترد الشريعة باباحته وكانت الخلفاء قبله تنفق على موائدها في كل يوم عشرة آلاف درهم فازال ذلك وجعل لمائدته وسائر مؤنه في كل يوم نحو مائة درهم وكان يواصل الصيام وقيل انه لما قتل أخرج رحل من الموضع الذى كان يأوي اليه فأصيب له سفط مقفل فتوهموا أن فيه مالا أو جوهرا فلما فتح وجد فيه جبة صوف وغل وقيل جبة شعر فسالوا من كان يخدمه فقال كان اذا جن الليل لبسها وغل نفسه وكان يركع ويسجد الى أن يدركه الصباح وانه كان ينام من الليل ساعة من بعد العشاء الآخرة ثم يقوم وانه سمعه بعض من كان يانس اليه قبل ان يقتل وقد صلى المغرب وقد دنا من افطاره وهو يقول اللهم انه قد صح عن نبيك محمد صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا تحجب لهم دعوة عن الله دعوة الامام العادل وقد أجهدت نفسي في العدل على رعيتي ودعوة المظلوم وانا مظلوم ودعوة الصائم حتى يفطر وانا صائم وجعل يدعو عليهم وأن يكفي شرهم (وذكر صالح) بن على الهاشمي قال حضرت يوما من الايام جلوس المهتدى للمظالم فرأيت من سهولة الوصول اليه ونفوذ الكتب عنه الى النواحي فيما يتظلم به اليه ما استحسنته فاقبلت أرمقه ببصري اذ نظر في القصص فاذا رفع طرفه الى أطرقت فكانه علم ما في نفسي فقال يا صالح احسب ان في نفسك شيأ تحب أن تذكره قلت نعم يا أمير المؤمنين فامسك فلما فرغ من جلوسه أمرني ان لا أبرح ونهض فجلست جلوسا طويلا ثم دعاني فدخلت اليه وهو على حصير الصلاة فقال لي يا صالح أتحدثني بما في نفسك أو أحدثك به قلت بل هو من امير المؤمنين أحسن فقال كاني بك قد استحسنت ما رأيت من مجلسنا فقلت أى خليفة ان لم يكن يقول بخلق القرآن فقلت نعم فقال قد كنت على ذلك برهة من الدهر حتى أقدم على الواثق شيخ من أهل الفقه والحديث من أهل أذنة من الثغر الشامي مقيد طوال حسن الهيئة فسلم عليه غير هائب

ودعافا وجز فرأيت الحياء منه في حماليق عين الواثق والرحمة له فقال له ياشيخ أجب أباعبدالله احمد بن ابى دوادفيما يسألك عنه فقال ياامير المؤمنين احمد يقل و يضعف عن المناظرة فرأيت الواثق قدصار في مكان الرقة والرحمة له غضبا فقال له أبو عبدالله يضعف عن المناظرة فقال له هو ن عليك ياأمير المؤمنين أتأذن في كلامه فقال له الواثق قد أذنت لك فاقبل الشيخ على احمد فقال له ياأحمد الى ماذا دعوت الناس اليه فقال الى القول بخلق القرآن فقال الشيخ مقالتك هذه التى دعوت الناس اليها من القول بخلق القرآن داخلة في الدين فلا يكون الدين تاما الا بالقول بها قال نعم قال الشيخ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس اليها أو تركهم قال تركهم قال فعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يعلمها قال علمها قال فلم دعوت الناس الى مالم يدعهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم منه فامسك أحمد فقال الشيخ ياأمير المؤمنين هذه واحدة ثم قال له بعد ساعة ياأحمد قال الله في كتابه العزيز اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقلت أنت لا يكون الدين تاما الا بمقالتكم بخلق القرآن فالله أصدق في اكماله واتمامه أو أنت في نقصانك فامسك فقال الشيخ ياأمير المؤمنين وهذه ثانية ثم قال له بعد ساعة أخبرني ياأحمد عن قول الله عز وجل في كتابه ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية فمقالتك هذه التى دعوت الناس اليها مما بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم للامة أم لا فامسك فقال الشيخ ياأمير المؤمنين وهذه ثالثة ثم قال بعد ساعة اخبرني ياأحمد ماعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالتك هذه التى دعوت الناس اليها والى القول بها من خلق القرآن أوسعه أن أمسك عنهم أم لا قال احمد بل اتسع له ذلك فقال وكذلك لابى بكر وعمر وكذلك لعثمان وكذلك لعلى رضى الله عنهم قال نعم فصرف وجهه الى الواثق وقال ياأمير المؤمنين اذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه فلا وسع الله علينا فقال الواثق نعم لا وسع الله علينا ان لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه ثم قال الواثق اقطعوا قيده فلما فكوا قيده جاذب عليه فقال الواثق دعوه ثم قال للشيخ لم جاذبت عليه قال لانى عقدت في نيتى ان أجاذب عليه فاذا أخذته أوصيت أن يجعل بين كفنى و بدنى حتى أقول يارب سل عبدك هذا لم قيدنى ظلما وأراع في أهلى فبكى الواثق و بكى الشيخ وكل من حضر ثم قال له الواثق ياشيخ

اجعلني في حل فقال ياأمير المؤمنين ماخرجت من منزلي حتى جعلتك في حل اعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقرابتك منه فتهلل وجه الواثق وسره ثم قال له اقم عندي آنس بك فقال مكاني في ذلك الثغر انفع انا شيخ كبير ولي حاجة قال سل مابدالك قال ياذن امير المؤمنين لي في الرجوع الى الموضع الذي أخرجني منه هذا الظالم قال قد أذنت لك وأمر له بجائزة فلم يقبلها فرجعت من ذلك الوقت وأحسب أن الواثق رجع عنها * قال وعرض على المهتدي يوما دفاتر خزائن الكتب فاذا على ظهر كتاب منها هذه الابيات قالها المعتز بالله وكتبها بخطه وهي

انى عرفت علاج الطب من وجعي ... وماعرفت علاج الحب والخدع
جزعت للحب والحمى صبرت لها ... انى لاعجب من صبري ومن جزعي
من كان يشغله عن الفه وجع ... فليس يشغلني عن حبكم وجعي
وماأمل حبيبي ليتني أبدا ... مع الحبيب وياليت الحبيب معي

فقطب وجه المهتدي بالله وقال حدث وسلطان الشباب وكان المهتدي كثيرا ماينشد البيت الاول من هذا الشعر * وكان محمد بن علي الربعي ممن يكثر ملازمة المهتدي فقال لي ذات ليلة أتعرف خبر نوف الذي حكاه عن علي بن أبي طالب حين كان ياتيه قلت نعم ياأمير المؤمنين ذكر نوف قال رأيت عليا رضي الله عنه قد أكثر الخروج والدخول والنظر الى السماء ثم قال لي يانوف انائم أنت قال قلت بل رامق أرمق بعيني منذ الليلة ياأمير المؤمنين فقال لي يانوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة اولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطا وترابها ثيابا وماءها طيبا والكتاب شعارا والدعاء دثارا ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح عيسى بن مريم عليه السلام يانوف ان الله تعالى أوحى الى عبده عيسى عليه السلام أن قل لبني اسرائيل أن لايدخلوا الى الا بقلوب وجلة وأبصار خاشعة وأكف نقية واعلم اني لاأجيب لاحد منهم دعوة ولاحد من خلقي قبلهم مظلمة قال محمد بن علي الربعي فوالله لقد كتب المهتدي هذا الخبر بخطه ولقد كنت اسمعه في جوف الليل وقد خلا بربه في بيت كان لخلوته وهو يبكي ويقول يانوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة ويمر في الخبر الى آخره الى ان كان من أمره ما كان مع الاتراك وقتلهم اياه قال محمد بن علي قلت للمهتدي ذات يوم وقد خلوت به وقد أكثر نامن ذكر آفات الدنيا ومن رغب فيها ومن انحرف عنها ياأمير المؤمنين ماللانسان العاقل المميز مع علمه بجميع آفات الدنيا وسرعة

افتقالها وزوالها وغرورها الطلابها يحبها ويأنس اليها قال المهتدى حق ذلك له منها خلق فهى امه وفيها نشأ فهى عيشه ومنها قدر رزقه فهى حياته وفيها يعاد فهى كفاته وفيها اكتسب الجنة فهى مبدأ سعادته والدنيا ممر الصالحين الى الجنة فكيف لا يحب طريقا تاخذ بسالكها الى الجنة فيها نعيم مقيم خالدا ان كان من أهلها وقيل ان هذا الكلام فى جواب على بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجاب به سائلا ساله عن ذلك وهو ماخوذ من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه حين مدح الدنيا وذم الذام لها على حسب ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من باب ذكر زهده وأخباره (قال المسعودى) وكان خروج صاحب الزنج بالبصرة فى خلافة المهتدى وذلك فى سنة خمس وخمسين ومائتين وكان يزعم انه على بن احمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب وأكثر الناس يقول انه دعى آل ابى طالب وكان من أهل قرية من أعمال الرى يقال لها وزيق وظهر من فعله مادل على تصديق مارمى به انه كان يرى رأى الازارقة من الخوارج لان افعاله فى قتل النساء والاطفال وغيرهم من الشيخ الفانى وغيره ممن لا يستحق القتل يشهد بذلك عليه وله خطبة يقول فى أولها الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله والله اكبر ألا لا حكم الا لله وكان يرى الذنوب كلها شركا وكان أنصاره الزنج وكان ظهوره ببرغيل بين مدينة الفتح وكرخ البصرة فى ليلة الخميس لثلاث بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين وقيل ليلة السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين وذلك فى خلافة المعتمد على الله وقد صنف الناس فى أخباره وحروبه وما كان من أمره كتبا كثيرة وكان أول من صنف أخباره وما كان من بدو أمره ووقوعه الى بلاد البحرين وما كان من خبره مع الاعراب محمد بن الحسن بن سهل ابن أخى ذى الرياستين الفضل ابن سهل صاحب المامون وهو الرجل الذى كان من أمره مع المعتضد بالله ماقد ذكرناه واشتهر قبل ذلك فى الناس وما كان من امره الى ان جعله كدجاج على النار وجلده ينتفخ ويتفرقع * وقد ذكر الناس صاحب الزنج فى أخبار المبيضة وكتبهم وقد أتينا على جميع خبره وبدو خبر البلالية والسعدية بالبصرة فى الكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن اعادته وانما أوردنا فى هذا الكتاب فى الموضع المستحق له لمعا من ذكره وما كان من أمره فى مقتله (قال المسعودى) وفى هذه السنة سنة خمس وخمسين ومائتين وقيل سنة ست وخمسين ومائتين كانت وفاة عمرو بن بحر الجاحظ بالبصرة فى المحرم ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتبا منه مع قوله بالعثمانية وقد كان

أبو الحسن المدائني كثير الكتب الا أن أبا الحسن المدائني كان يؤدي ماسمع وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور تجلو صدأ الاذهان وتكشف واضح البرهان لانه نظمها أحسن نظم ورصفها أحسن رصف وكساها من كلامه أجزل لفظ وكان اذا تخوف ملل القارئ وسآمة السامع خرج من جد الى هزل ومن حكمة بليغة الى نادرة ظريفة وله كتب حسان منها كتاب البيان والتبيين وهو أشرفها لانه جمع فيه بين المنثور والمنظوم وغرر الاشعار ومستحسن الاخبار وبليغ الخطب مالو اقتصر عليه مقتصر لاكتفى به وكتاب الحيوان وكتاب الطفيليين والبخلاء وسائر كتبه في نهاية الكمال مالم يقصد منها الى نصب ولا الى دفع حق ولا يعلم ممن سلف وخلف من المعتزلة افصح منه وكان غلام ابراهيم بن يسار النظام وعنه أخذ ومنه تعلم (وحدث يموت بن المزرع) وكان الجاحظ خاله قال دخل الى خالي أناس من البصرة من أصدقائه في العلة التي مات فيها فسألوه عن حاله فقال عليل من مكانين من الاسقام والدين ثم قال أنا في هذه العلة المتناقضة التي يتخوف من بعضها التلف وأعظمها نيف وسبعون سنة يعني عمره قال يموت بن المزرع وكان يطلى نصفه الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض ماشعر به من خدره وبرده قال ابن المزرع وسمعته يقول رأيت رجلا يروح ويغدو في حوائج الناس فقلت له قد أتعبت بذلك بدنك وأخلقت ثيابك وأعجفت برذونك وقتلت غلامك فما لك راحة ولا قرار فلو اقتصدت بعض الاقتصاد قال سمعت تغريد الاطيار فما طربت طربي لنغمة شاكر أوليته معروفا أو سعيت له في حاجة وكان يموت لا يعود مريضا خوفا من ان يتطير باسمه وله اخبار حسان واشعار جياد وقد كان سكن طبرية من بلاد الاردن من الشام فمات بها وذلك بعد الثلثمائة وكان من أهل العلم والنظر والمعرفة والجدل وله ولد يقال له مهلهل بن يموت بن المزرع وهو شاعر مجيد من شعراء هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وفيه يقول أبوه يموت بن المزرع

مهلهل قد حلبت شطور دهر ... فكافحني بها الزمن العنوت
وجاريت الرجال بكل ربع ... فما دعت الجبالة والدموت
فاوجع ماأجن عليه قلبي ... كريم عضه زمن عنوت
كفى حزنا بغيبة ذي وداع ... وابقاء العتيد لها النحوت
وقد أسهرت عيني بعد غمض ... مخافة أن يضيع اذا فنيت

وفى لطف المهيمن لى عزاء   بعذلك ان فنيت وان بقيت
وان يشتد عظمك بعد موتى   فلا تقطعك جائحة سيوت
وقل بالعلم كان أبى جوادا   يقال ومن أبوك فقل يموت
تقرلك الاباعد والادانى   بعلم ليس يجحده البهوت

وللمهتدى أخبار حسان قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا والله ولى التوفيق

﴿ ذكر خلافة المعتمد على الله ﴾

وبويع المعتمد أحمد بن جعفر المتوكل يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وهو ابن خمس وعشرين سنة ويكنى أبا العباس وأمه أم ولد كوفية يقال لها فتيان ومات فى رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وهو ابن ثمان وأربعين سنة فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة

﴿ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه ﴾

ولما أفضت الخلافة الى المعتمد على الله استوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان ثم استوزر الحسن بن مخلد ثم صارت الوزارة الى سليمان بن وهب ثم صارت الى صاعد وخلع المعتمد على أخيه أبى أحمد الموفق وعلى مفلح يوم الخميس مستهل ربيع الاول سنة ثمان وخمسين ومائتين وأشخصهما الى البصرة لمحاربة صاحب الزنج فأوقع مفلح التركى بصاحب الزنج يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين ومائتين فاصاب مفلحا سهم فى صدغه فاصبح يوم الاربعاء ميتا وحمل الى سامرا فدفن بها وانصرف أبو أحمد عن محاربة صاحب الزنج * وفى سنة ستين ومائتين قبض أبو محمد الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام فى خلافة المعتمد وهو ابن تسع وعشرين سنة وهو أبو المهدى المنتظر والامام الثانى عشر عند القطيعة من الامامية وهم جمهور الشيعة وقد تنازع هؤلاء فى المنتظر من آل النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاة الحسن بن على عشرين فرقة وقد ذكرنا احتجاج كل طائفة منهم لما أحبته نفسها واختارته لمذهبها فى كتابنا المترجم بسر الحياة وفى كتاب المقالات فى اصول الديانات وماذهبوا اليه من الغيبة وغير ذلك (وقد كان المهتدى) سير بفتيحة أم المعتز وعبد الله بن المعتز واسمعيل بن المتوكل وطلحة بن المتوكل وعبد الوهاب بن المنتصر الى مكة فلما أفضت الخلافة الى المعتمد بعث بحملهم الى سامرا وفى سنة اثنتين وستين ومائتين كان مسير يعقوب

ابن الليث الصفار نحو العراق فى جيوش عظيمة فلما نزل دير العاقول على شاطئ دجلة بين واسط وبغداد وقد أتينا فى كتابنا فى أخبار الزمان على بدو خبر يعقوب بن الليث ببلاد سجستان وكونه فى حال صغره صفارا وخروجه مع مطوعة سجستان الى حرب الشراة واتصاله بورهم بن نصر وخبر شاروق مدينة الشراة مما يلى بلاد سجستان المعروفة باوق وترقى الامر بيعقوب الى أن كان من أمره ودخوله بلاد زياستان وهى بلاد فيروز بن كيك بن زياستان وما كان من أمره مع زميل ملك السند على جسر نسط ودخوله بلاد هراة ثم بلخ واعماله الحيلة الى أن دخل بلاد نيسابور وقبضه على محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ثم دخوله الى بلاد طبرستان ومواقعته الحسن ابن زيد الحسينى مع ماقدمنا قبل وصفنا من خبر حمزة بن أدرك الخارجى وما كان من أمره فى أيام عبد الله بن طاهر واليه تضاف الحمزية من الخوارج وانتهينا باخبار يعقوب ابن الليث من بدئه الى غايته ووفاته ببلاد جندى سابور من كور الاهواز فلما نزل يعقوب ابن الليث دير العاقول خرج المعتمد فعسكر يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين فى الموضع المعروف بالقائم بسامرا واستخلف ابنه المفوض ووصل المعتمد الى سيب بنى كرماز يوم الخميس لخمس خلون من رجب من هذه السنة فواقع الصفار يوم الاحد لتسع خلون من رجب من السنة فى الموضع المعروف باضطربين السيب ودير العاقول فهزم الصفار واستباح عسكره وأخذ من أصحابه نحو عشرة آلاف رأس من الدواب وذلك أنه فجر عليه النهر المعروف بالسيب فغشى الماء الصحراء وعلم الصفار أن الحيلة قد توجهت عليه وقد كان حمل على أصحاب السلطان فى ذلك اليوم بضع عشرة حملة وغرق ابراهيم بن سبا وقتل بيده خلقا كثيرا وطعن محمد بن أوتامش التركى وكان يتوهم أنه خادم وقال لاصحابه مارأيت فى عسكرهم مثل هذا الخادم وقد كان الصفار فى هذا اليوم قصد الميمنة وكان عليها موسى بن بغا وقتل خلقا كثيرا من الناس منهم المغربى المعروف بالمبرقع ونجا الصفار بنفسه والخواص من أوليائه واتبعه جيش المعتمد وأهل القرى والسواد فغنم الاكثر من ماله وعدده واستنقذ محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر وكان مقيدا كان أسره من نيسابور على ماقدمنا ومعه الحسن بن قريش وأتى الموفق وكان فى القلب محمد بن طاهر ففك قيوده وخلع عليه ورده الى مرتبته وقيل ان السبب كان فى هزيمة الصفار فى ذلك اليوم مع ماذكرنا من فجر النهر وانتظام الخيول فيه أن بصير الديلمى مولى سعيد بن

صالح الحاجب كان فى الشذوات فى بطن دجلة فوافى مؤخر عسكر الصفار وسواده فخرج ومن الشذات فطرح النار فى الابل والبغال والخيول وكان فى عسكره خمسة آلاف جمل بختى من حمر وغيرها فتفرقت الابل فى العسكر وشردت البغال والخيل واضطرب الناس فى مصاف الصفار لما سمعوه ورأوه فى عسكره وسواده من ورائهم فكانت الهزيمة على الصفار بما ذكرنا ويقال ان يعقوب بن الليث قال فى سفرته هذه أبياتا وفى مسيره وأنه خرج منكرا على المعتمد ومن معه من الموالى اضاعتهم الدين واهمالهم أمر صاحب الزنج فقال

خراسان أحويها وأعمال فارس ... وما أنا من ملك العراق بآيس

اذا ما أمور الدين ضاعت وأهملت ... ورثت فصارت كالرسوم الدوارس

خرجت بعون الله يمنا ونصرة ... وصاحب رايات الهدى غير حارس

(وكانت وفاة الصفار) يوم الثلاثاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وستين ومائتين على ماذكرنا بجندى سابور (وخلف فى بيت ماله) خمسين ألف ألف درهم وثمانمائة ألف ألف دينار وخلفه أخوه عمرو بن الليث مكانه وكانت سياسة يعقوب بن الليث لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من الملوك من الامم الغابرة من الفرس وغيرهم ممن سلف وخلف وحسن انقيادهم لامره واستقامتهم على طاعته لما كان قد شملهم من احسانه وغمرهم من بره وملأ قلوبهم من هيبته فمما ذكر من ظهور طاعتهم له انه كان بأرض فارس وقد أباح الناس أن يرتعوا ثم حدث أمر أراد النقلة والرحيل من تلك الكورة فنادى مناديه بقطع الدواب عن الرتع وانه رؤى رجل من أصحابه قد أسرع الى دابته والحشيش فى فمها فاخرجه من فيها مخافة أن تلوكه بعد سماعه النداء وأقبل على الدابة مخاطبا لها فقال بالفارسية أمير المؤمنين دوابرا أزتر بريدند وتفسير ذلك اقطعوا الدواب عن الرطبة وأنه رؤى فى عسكره فى ذلك الوقت رجل من قواده ذو مرتبة والدرع الحديد على بدنه لا ثوب بينه وبين بشرته فقيل له فى ذلك فقال نادى منادى الامير البسوا السلاح وكنت اغتسل من جنابة فلم يسعنى التشاغل بلبس الثياب عن السلاح وكان الرجل اذا أتاه راغبا فى خدمته مؤثرا للانقطاع اليه تفرس فيه فاذا أعجبه منظره امتحن خبره واستبر ماعنده من رمى أو طعان أو غير ذلك من ثقافة فاذا رأى منه ما يعجبه سأله عن خبره وحاله ومن أين أقبل ومع من كان فاذا وافقه ما سمعه منه قال له اصدقنى عما معك من المال والمتاع والسلاح فيقف على جميع مامعه

ثم يبعث أناساقد رتبو الذلك فيبيعون جميع ذلك ويجعلونه عيناأو ورقاويدفع اليه ويثبت فى الديوان ثم يزيح علله فى اللباس والسلاح والمأكل والمشرب والدواب والبغال والحمير من اصطبله حتى لا يفقد الرجل جميع ما يحتاج اليه من أمره على قدر مكانه ومرتبته فان نقم عليه بعد ذلك مذهبه ولم يرض اختياره سلبه جميع ما أنعم به عليه حتى يخرج من عسكره نحو مادخل اليه محتملا بجامعه من ذلك العين والورق الا أن يكون ذلك الرجل معتضدا فيصير له فضل من أرزاقه فلا يمنعه ما كان له من متقدم ماله وكان جميع دوابه ملكاله وان اعلافهامن قبله ولها سياسة ووكلاء يقومون بامرها الاخصوص دوابهم التى تكون عندهم الاأن ملكهاله واتخذ لنفسه عريشا من خشب يشبه السرير حيثما توجه من مسيره فيكثر الجلوس عليه ويشرف منه على أهل عسكره وعلى قضيم دوابه ويؤمن الخلل من وكلائه فاذا رأى شيأ يكرهه بادر بتغييره وقدكان انتخب من أصحابه ألف رجل على اختيار لهم والغنى الظاهر منهم والنكاية فى حروبهم فجعلهم أصحاب الاعمدة الذهب كل عمود منها فيه ألف مثقال من الذهب ثم يليهم فى اللباس والغنى فوج ثانى أصحاب الاعمدة الفضة فاذا كان فى الاعياد أو فى الايام التى يحتاج فيها الى مباهاة الاعداء والاحتفال دفع اليهم تلك الاعمدة وانما ضربت هذه الاعمدة عدة للنوائب (وسئل بعض ثقاته) ممن ينظر حاله عن اشغاله فى خلواته وعن مجالسته مع اهل بطانته وهل يسير مع أحداو يجالسه فذكر أنه لا يطلع أحدا على سره ولا يعرف احد بتدبيره وعزمه واكثر نهاره خاليا بنفسه يفكر فيما بين يده ويظهر غير مايضمره ولا يشرك احدافيما بين يده برأى ولا غيره وان تفرجه واشتغاله بغلمان صغار يتخذهم ويؤدبهم ويخرجهم ويدعوهم ويدفع لهم ماقد عمله لهم من السيور يتضاربون بها بين يديه ففى هذا اكثر شغله اذا فرغ من تدبيره ولما واقع الصفار الحسن بن زيد الحسينى بطبرستان وذلك فى سنة ستين ومائتين وقيل سنة تسع وخمسين ومائتين وانكشف الحسن بن زيد وأمعن يعقوب فى الطلب وكانت معه رسل السلطان قدقصدوه بكتب ورسالة من المعتمد وهم راجعون فى طلب الحسن بن زيد قال له بعضهم لما رأى من طاعة رجاله وما كان منهم فى تلك الحرب مارأيت أيها الامير كاليوم قال له الصفار وأعجب منه ماأريك اياه ثم قربوا من الموضع الذى كان فيه عسكر الحسن بن زيد فوجدوا البدر والكراع والسلاح والعدد وجميع ماخلف فى العسكر حين الهزيمة على حاله لم يلتبس أحد من أصحابه منه بشئ ولا دنوا اليه

معسكر يزبالقرب منه من حيث يرونه بالموضع الذى خلفهم فيه الصفار فقال له الرسول هذه سياسة ورياضة راضهم الامير بها الى أن تاتى له منهم ماأراده وكان لايجاس الاعلى قطعة مسح يشبه أن يكون طوله سبعة أشبار فى عرض ذراعين أو أرجح والى جانبه ترسه وعليه اتكؤه وليس فى مضربه شئ غير دفاذا أراد أن ينام من ليله أو نهاره اضطجع على ترسه ونزع راية فيجعلها مخدته وأكثر لباسه خفتان مصبوغ فاختى (وكان من سنته) لقوادو الرؤساء والعظماء عنده مراتب فى الدخول بباب مضربه بحيث تقع عينه عليهم ويرى مداخلهم فيمرون مع أطناب الشقاق الى خيمة مضروبة بحيث لايرى هو موضعها لكنه يرى مداخلهم اليها ومخرجهم منها فمن احتاج اليه منهم واحتاج الى كلامه أو أمره أونهيه دعاه فامره وكان دخولهم بحيث يقع نظره عليهم عوضا من السلام عليه ولم يكن لاحد أن يتقدم الى باب مجلسه الارجل من خواصه يعرف بالعزيز واخوته وله من وراء خيمته خيمة تقرب من أطناب مجلسه فيها غلمان من خواصه فاذا احتاج الى أمر يامره به صاح بهم فخرجوا اليه والافهو فى أكثر نهاره وليله فى ذلك الموضع لايقرمون على رأسه وخيمته من داخل أخبية مطنبة كلها يدور فيها خمسمائة غلام يبيتون من داخل مضربه على كل نفس منهم ثقة قد وكل بتفقد أحواله لئلا يكون منهم عبث أو فساد فهو الماخوذ به ويذبح له فى كل يوم عشرون شاة فتطبخ فى خمس قدور من الصفر الكبار وله قدور حجارة يتخذ له فيها بعض مايشتهيه وله اوزة فى كل يوم وخبيصة وفالوذج مع القدور الخمس وهى ألوان غليظة فيا كل منها ويفرق الباقى فى الغلمان الذين فى داخل مضربه ثم اهل عسكره حول مضربه وقربهم منه على حسب مراتبهم عنده (وقال بعض من ورد اليه) برسالة السلطان أيها الامير أنت فى رياستك ومجلسك ليس فى خيمتك الاسلاحك ومسح أنت عليه قال ان رئيس القوم يأتم به أصحابه فى أفعاله وسيرته فلو استعملت ماذكرت من الاثاث لاثقلنا البهائم ولا تم بى فى فعلى من فى عسكرى ونحن نقطع فى كل يوم المهامه والمفاوز والاودية والقيعان ولايصلح لنا الا التخفيف وكان قليل الاستعمال للبغال فى عسكره وكان فى عسكره خمسة آلاف جمل بخت وأضعاف عددها حمير شهب كالبغال وهى الحمير المعروفة بالصفارية تحمل الاثقال عوضا من البغال وكان السبب فى ذلك أنه اذا نزل خليت الجمال والحمير للراعى وليس فى وسع البغال ذلك (قال المسعودى) وليعقوب بن الليث الصفار وعمرو بن الليث أخيه سير وسياسات

عجيبة وحيل ومكايد فى الحروب قد أتينا على ذكرها وما انتظم لنا فى وصفها فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب منها لمعا لم نعرض لذكرها فيما سلف من كتبنا (وفى سنة أربع وستين ومائتين) وذلك فى خلافة المعتمد كانت وفاة موسى بن بغا وفيه يقول بعض الشعراء وكان قد امتدحه فلم يصله بشىء

مات موسى فهان ذاك علينا   لم يضرنى اذ قيل قد مات شيا
وكذا لا يضرنى من من لم   يسد خيرا الى اذ كان حيا

(وفى هذه السنة) وهى سنة اربع وستين ومائتين مات أبو ابراهيم اسمعيل بن يحيى المزنى صاحب المختصر من علم محمد بن ادريس الشافعى يوم الخميس لست بقين من شهر ربيع الاول من هذه السنة بمصر (وفيها) مات ابو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ابن أخى عبد الله بن وهب وهو صاحب مالك بن انس وقد روى عن عمه عبد الله بن وهب عن مالك (وفيها) مات يونس بن عبد الاعلى الصدفى بمصر وهو ابن اثنتين وتسعين سنة (وفيها) مات ابو خالد يزيد بن سنان بمصر وصلى عليه بكار بن قتيبة القاضى (وشخص الموفق) لمحاربة صاحب الزنج فى صفر سنة سبع وستين ومائتين وقدم الموفق ابنه أبا العباس فى ربيع الآخر الى سوق الخميس وقد كان الشعرانى صاحب العلوى قد تحصن بها فى جمع كثير من الزنج ففتح هذا الموضع وغنم جميع ما كان فيه وفتح مواضع كثيرة وقتل من كان فيها من الزنج وسار الموفق الى الاهواز فاصلح ما أفسده الزنج ثم عاد الى البصرة فلم يزل منازلا لصاحب الزنج حتى قتل فكانت مدة أيامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر يقتل الصغير والكبير والذكر والانثى ويحرق ويخرب وقد كان أتى بالبصرة فى وقعة واحدة على قتل ثلثمائة ألف من الناس (وقد كان المهلبى) من علية أصحاب على بن محمد بعد هذه الوقعة بالبصرة فنصب منبرا بالموضع المعروف بمقبرة بنى يشكر وكان يصلى يوم الجمعة بالناس ويخطب على ذلك المنبر لعلى بن محمد ويترحم بعد ذلك على أبى بكر وعمر ولا يذكر عثمان ولا عليا فى خطبته ويلعن جبابرة بنى العباس وأبا موسى الاشعرى وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان على ما قدمنا من قوله فى هذا الكتاب وانه كان يذهب الى رأى الازارقة من الخوارج ولما ركن من بقى بالبصرة الى هذا الفعل من المهلبى فاجتمعوا فى بعض الجمع فوضع فيهم السيف فمن ناج سالم ومن مقتول ومن غريق واختفى كثير من الناس فى الدور والآبار فكانوا يظهرون بالليل فياخذون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها والفيران

والسنانير فافنوها حتى لم يقدروا منها على شئ فكانوا اذا مات منهم الواحد أكلوه وعدموا مع ذلك الماء العذب (وذكر) عن امرأة منهم أنها حضرت امرأة تنازع ومعها أختها وقد احتوشوها ينظرون أن تموت فيأكلون لحمها قالت المرأة فماماتت حتى ابتدرناه فقطعناها وأكلناها ولقد حضرت أختها وقد جاءت على النهر وهى تبكى ومعها رأس أختها فقيل لها ويحك مالك تبكين قالت اجتمعوا على أختى فما تركوها حتى تموت موتا حسنا حتى قطعوها فظلمونى فلم يعطونى من لحمها شيأ الا رأسها هذا وهى تشتكى ظلمهم لها فى أختها ومثل هذا كثير وأعظم مما وصفنا (وبلغ) من أمر عسكره أنه كان ينادى فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وابناء الناس تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة وينادى عليها بنسبها هذه ابنة فلان الفلانى لكل زنجى منهم العشرة والعشرون والثلاثون يطؤهن الزنج ويخدمن النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف ولقد استغاثت الى على بن محمد امرأة من ولد الحسن بن على بن أبى طالب كانت بعض الزنج وسالته أن ينقلها منه الى غيره من الزنج أو يعتقها مما هى فيه فقال هو مولاك وأولى بك من غيره (وقد تكلم) الناس فى مقدار ماقتل فى هذه السنين من الناس فمكثر ومقلل فاما المكثر فانه يقول أفنى من الناس مالا يدركه العد ولا يقع عليه الاحصاء ولا يعلم ذلك الا عالم الغيب فيما افتتح من هذه الامصار والبلدان والضياع وأباد أهلها والمقلل يقول افنى من الناس خمسمائة ألف ألف وكلا الفريقين يقول فى ذلك ظنا وحدسا اذ كان شيأ لا يدرك ولا يضبط (وكان مقتله) مابينا آنفا سنة سبعين ومائتين وذلك فى خلافة المعتمد (وقد كان الموفق) بعد ذلك وجه بصاعد بن مخلد فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين الى حرب الصفار فامره على من معه من الجيوش وشيعه الموفق فلما صار الى بلاد فارس تجبر واشتد سلطانه وانصرف من المدائن فى بعض الايام فاحتجم فى حفة وأذنة عليه ونمى ذلك الى الموفق وماهو عليه من التجبر فقال فى ذلك أبو محمد عبد الله بن الحسن بن سعيد القطربلى الكاتب فى قصيدة طويلة اقتصرنا منها على مانذكره وهو

بكتعم لما ظعن ودان بدين العجم
وأصبح فى حفة وفى اذنة محتجم

فاشخصه الموفق الى واسط فكان مدة مقامه فى الوزارة سبع سنين الى أن قبض عليه وعلى أخيه عبدون النصرانى ومات جارية لصاعد بعد حبسه وكانت الغالبة على أمره

وكان يقال لها جعفر وماتت بعدها بايام أم الموفق ففي ذلك يقول عبد الله بن الحسين بن سعيد من أبيات له

أخذت جعفر برأس القطار ثم قالت آذنتكم بالبوار
فاجابت أم الامير وقالت قد أتيناك أول الزوار
وسيأتيك صاعد عن قريب كتبه للتلاق والاشكدار

وأحصى ما وجد لصاعد من الرقيق والمتاع والكسوة والسلاح والآلات في خاصة نفسه دون ما وجد لاخيه عبدون فكان مبلغه ثلثمائة ألف دينار وكان مبلغ غلته في سائر ضياعه ألف ألف وثلثمائة ألف (ومات صاعد) في الحبس وذلك في سنة ست وسبعين ومائتين (وفي سنة) سبعين ومائتين كانت وفاة أبي سليمان بن وهب الكاتب واحمد بن طولون وذلك بمصر يوم السبت لعشر خلون من ذي القعدة من سنة سبعين ومائتين وله خمس وستون سنة (وكانت) ولاية احمد بن طولون سبع عشرة سنة وكان ابن المظفر يصاحب الزنج ومرض احمد بن طولون عشرة اشهر ولما يئس احمد بن طولون من نفسه بايع لابنه ابى الجيش بالامر من بعده فلما توفي جدد ابو الجيش خمارويه ابن أحمد بن طولون العهد لنفسه (ووجه الموفق) ابنه أبا العباس لمحاربة أبي الجيش خمارويه في سنة احدى وسبعين ومائتين فكانت الوقعة بينهما بالطواحين من أعمال فلسطين يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من شوال من هذه السنة فكانت الهزيمة على أبي الجيش واحتوى أبو العباس على جميع عسكره وأفلت أبو الجيش في جماعة من قواده حتى أتى الفسطاط وتخلف غلامه سعيد الاعشر فواقع أبا العباس فهزمه واستباح عسكره وقتل رؤساء قواده وجلة أصحابه ومضى أبو العباس لا يلوى على شئ حتى أتى العراق وقلد أبو الجيش أمر وزارته على بن أحمد المادرانى وأبو بكر محمد بن على ابن أحمد المادرانى هو المعتقل في يد الاخشيد أحمد بن طغج في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وقد كان على وزارته بمصر هو وولده الحسن بن محمد فلما استوزر الاخشيد أبا الحسن على بن خلف بن طباب واتصل من دمشق الى الفسطاط قبض عليه وعلى أخيه ابراهيم بن خلف واستوزر أبا الحسن محمد بن عبد الوهاب (وفي سنة) سبعين ومائتين كانت وفاة الربيع بن سليمان المرادى المؤذن صاحب محمد بن ادريس الشافعي والراوى لاكثر كتبه عنه بمصر وأخبرنا أبو عبد الله الحسن بن مروان المصرى وغيره عن الربيع بن سليمان قال استعار الشافعي من محمد بن الحسن الكوفى

شيأ من كتبه فلم يبعث بها اليه فكتب اليه الشافعي

يا قل لمن لم تر عين من رآه مثله
من كان من قد راءه ماقد رأى من قبله
ومن كلا منا له حيث عقلنا عقله
لان مايجنه فاق الكمال كله
العلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله
لعله يبذله لاهله لعله

فبعث اليه محمد بن الحسن با كثر كتبه التي سال عنها (وبايع المعتمد) لا بنه جعفر وسماه المفوض الى الله وقد كان المعتمد آثر اللذة وغلب الملاهي وغلب أخوه أبو أحمد الموفق على الامور يدبرها ثم حصر على المعتمد وحبسه فكان أول خليفة قهر وحجر عليه ووكل به فم الصلح وقد كان قبل ذلك هرب وصار الى حديثة الموصل فبعث الموفق بصاعد الى سامرا وكتب الى اسحق بن كنداج فرده من الموصل (وفي سنة) أربع وستين ومائتين كان خروج أحمد بن طولون من مصر مظهر الغز وفي عساكر كثيرة وخلق من المطوعة قد انجذبوا امعه من مصر وفلسطين فقبل وصوله الى دمشق مات ماجور التركي وقد كان عليها فدخلها أحمد واحتوى على جميع تركته من الخزائن وغيرها وسار منها الى حمص وسار منها الى بلاد انطاكية ووصلت مقدمته الى الاسكندرية من شاطئ بحر الروم ووصل هو الى الموضع المعروف بسفواس من جبل الاكام وقد تقدمته المطوعة والغزاة الى الثغر الشامي ثم عطف هو راجعا من غير أن يكون تقدم الى الناس معرفة ذلك منه حتى نزل مدينة انطاكية وفيها يومئذ سيما الطويل في عدة منيعة من الاتراك وغيرهم وقد قدمنا فيما تقدم من هذا الكتاب الخبر عن كيفية بناء انطاكية وقصة سورها والملك الباني لها وصفة سورها في السهل الجبل وقد كان قبل نزول أحمد بن طولون على انطاكية وقع بين سيما وبين أحمد المؤيد حروب كثيرة ببلاد جند قنسرين والعواصم من أرض الشام وكان سيما الطويل قد عم أذاه أهلها من قتل وأخذ مال وكان نزول ابن طولون على باب من أبوابها يعرف بباب البحر وقد كان لؤلؤ بعد ذلك انحدر الى السلطان مستامنا فاتى الموفق وهو منازل لصاحب الزنج فكان من أمره وقتل صاحب الزنج ماقدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من وقوع المشاجرة بين أصحاب لؤلؤ وأصحاب الموفق كما قدمنا أيهم القاتل لصاحب

والزنج وكادت الحال أن تنفرج بينهم فى ذلك اليوم حتى قيل فى عسكر الموفق

كيفما شئتم فقولوا   انما الفتح للولو

فكان ابن طولون على انطاكية فى آخر سنة أربع وستين ومائتين وكان افتتاحه اياها فى سنة خمس وستين ومائتين بالحيلة من داخلها من بعض أهلها بالليل وقد أخذوا بحراسهم سورها فتحدر بعضهم مما يلى الجبل وباب فارس فاتى ابن طولون وقد يئس من فتحها لمنعها وحصانة سورها فوعدوه فتحها فضم اليه عدة من رجاله فتسلقوا من حيث نزلوا واستعدهو فى عسكره وأخذ أهبته وسيما فى داره فما انفرج عمود الصبح الا والطولونية قد كبر واعلى سورها ونزلوا منحدرين اليها وارتفع الصوت وكثر الضجيج وركب سيما فيمن يسرع معه من خواصه فارسلت عليه امرأة من أعالى سطح حجر رحا فاتت عليه وأخذ بعض من عرفه رأسه فاتى به ابن طولون وقد دخل من باب فارس ونزل على عين هنالك ومعه الحسين بن عبد الرحمن القاضى المعروف بابن الصابونى الانطاكى الحنفى فعاث أصحاب ابن طولون ساعة بانطاكية وشمل الناس أذاهم ثم رفع ذلك لساعتين من النهار وارتحل ابن طولون يؤم الثغر الشامى فاتى المصيصة وأذنة وامتنع منه أهل طرسوس وفيها مازنار الخادم فلم يكن له فى فتحها حيلة فرجع عنها وقد أراد الغزو على ما قيل والله أعلم لامر بلغه أن العباس ولده قد عصى عليه وفزع أن يحال بينه وبين مصر فحث فى السير ودخل الفسطاط ولحق العباس ببرقة من بلاد المغرب خوفا من أبيه وقد حمل معه ما أمكنه حمله من الخزائن والاموال والعدد وقد أتينا على ماجرى بين أحمد بن طولون وولده العباس من المراسلات فى كتابنا أخبار الزمان وكانت وفاة مازنار الخادم فى أرض النصرانية غازيا فى جيش الاسلام تحت الحصن المعروف بكوكب وكان مولى للفتح بن خاقان فحمل الى طرسوس فدفن بباب الجهاد وذلك للنصف من رجب سنة ثمان وسبعين ومائتين وكان معه فى تلك الغزاة من أمراء السلطان المعروف بالعجيفى وابن أبى عيسى وكان على امرة طرسوس وكان مازنار فى نهاية البلاغة فى الجهاد فى البر والبحر وكان معه رجال من البحريين لم ير مثلهم ولا أشد منهم وكان له فى العدو نكاية عظيمة وكان العدو يهابه وتفزع منه النصرانية فى حصونها ولم ير فى الثغور الشامية والجزرية بعد عمر وبن عبيد الله الاقطع صاحب ملطية وعلى بن يحيي الارمنى صاحب الثغور الشامية أشد أقداما على الروم من مازنار

الخادم (وكانت) وفاة عمرو بن عبيد الله الاقطع وعلى بن يحيى الارمنى فى سنة واحدة استشهدا جميعا وذلك فى سنة تسع وأربعين ومائتين فى خلافة المستعين بالله وقد كان عمرو بن عبيد الله غازيا فى تلك السنة فى المطلبين فالتقى ملك الروم فى خمسين ألفا صف الفريقان جميعا فاستشهد عمرو بن عبيد الله ومن كان معه من المسلمين الا اليسير وذلك يوم الجمعة للنصف من رجب من هذه السنة وقد كان على بن يحيى الارمنى انصرف عن الثغر الشامى وولى أرمينية ثم صرف عنها فلما صار الى بلاد ميافارقين من ديار بكر عدل الى ضياع له هنالك ووقع النفير فخرج مسرعا وقد أغارت جيوش الروم فقتل على بن يحيى مقدار أربعمائة نفس والروم لا تعلم أنه على بن يحيى الارمنى (وأخبرنى) بعض الروم ممن كان قد أسلم وحسن اسلامه أن الروم صورت عشرة أنفس فى بعض كنائسها من أهل الباس والنجدة والمكايد فى النصرانية والحيلة من المسلمين منهم الرجل الذى بعث به معاوية حين احتال على البطريق فاسره من القسطنطينية فاقادمنه بالضرب ورده الى القسطنطينية وعبد الله البطال وعمرو بن عبيد الله وعلى بن يحيى الارمنى والعربل ابن بكار وأحمد بن أبى قطيعة وقرماس السلقانى صاحب مدينة ابريق وهى اليوم للروم وكان بطريق البيالقة وكانت وفاته فى سنة تسع وأربعين ومائتين وحرس حارس أخت قرماس ومازنار الخادم فى موكبه والرجال حوله وأبو القاسم بن عبد الباقى وقد أتينا على وصف مذهب البيالقة واعتقاداتهم وهو مذهب بين النصرانية والمجوسية وقد دخلوا فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى جملة الروم وقد فسرنا خبرهم فى كتابنا أخبار الزمان (فأما خبر معاوية) وما ذكرناه من خبر الرجل الذى أسر البطريق من مدينة القسطنطينية فهو أن المسلمين غزوا فى أيام معاوية فأسر جماعة منهم فاوقفوا بين يدى الملك فتكلم بعض أسارى المسلمين فدنا منه بعض البطارقة ممن كان واقفا بين يدى الملك فلطم حر وجهه فآلمه وكان رجلا من قريش فصاح واسلاماه أين أنت عنا يامعاوية اذ اهملتنا وضيعت ثغورنا وحكمت العدو فى ديارنا ودمائنا وأعراضنا فنمى الخبر الى معاوية فآلمه وامتنع من لذيذ الطعام والشراب فخلا بنفسه وامتنع من الناس ولم يظهر ذلك لاحد من المخلوقين ثم أجمل الامر فى اعمال الحيلة باقامة الفداء للمسلمين فلما صار الرجل الى دار الاسلام دعاه معاوية فبره وأحسن اليه ثم قال له لم نهملك ولم نضيعك ولا أبحنا دمك وعرضك ومعاوية مع ذلك يجيل الرأى ويعمل الحيلة ثم بعث الى رجل من ساحل دمشق من مدينة صور وكان به عارفا كثير الغزوات

فى البحر مبل من الرجال مرطان بالر ومية فاحضره وخلا به وأخبره بما قدعزم عليه وساله اعمال الحيلة فيه والتانى له فتو افقا على أن يدفع للرجل مالا عظيما يبتاع به أنواعا من الطرف والملح والجهاز والطيب والجوهر وغير ذلك وابتنى له مركب لا يلحق فى جريه سرعة ولا يدرك فى مسيره بنيانا عجيبا فسار الرجل حتى أتى مدينة قبرس فاتصل برئيسها وأخبره أن معه جارية للملك وأنه يريد التجارة الى القسطنطينية قاصدا الى الملك وخواصه بذلك فروسل الملك بذلك واعلم بحال الرجل فاذن له فى الدخول فدخل خليج القسطنطينية وسار فيه حتى انتهى الى القسطنطينية وقد أتينا على مقدار مسافة هذا الخليج واتصاله بالبحر الرومى وبحر مانطس عند ذكرنا البحار فيما سلف من هذا الكتاب فلما وصل الى القسطنطينية أهدى للملك وجميع بطارقته وبايعهم وشاراهم ولم يعط للبطريق الذى لطم وجه القرشى شيا وقصده الى ذلك البطريق الذى لطم الرجل القرشى وتانى الصورى فى الامر على حسب مارسمه معاوية وأقبل الرجل من القسطنطينية الى الشام وقد أمرد البطارقة والملك بابتياع حوائج ذكروها وأنواع من الامتعة وصفوها فلما صار الى الشام سار الى معاوية سرا وذكر له من الامر ماجرى فابتيع له جميع ماطاب منه وماعلم أن رغبتهم فيه وتقدم اليه فقال ان ذلك البطريق اذا عدت الى كرتك هذه سيعذلك عن تخلفك عن بره واستهانتك به فاعتذر اليه ولاطفه بالتقصد والهدايا واجعله القيم بأمرك والمتفقد لاحوالك وانظر ماذا يطلب منك حين أوبك الى الشام فان منزلتك ستعلو وأحوالك تزداد عندهم فاذا أتقنت جميع ماأمرتك به وعلمت غرض البطريق منك وأى شىء يأمرك بابتياعه لتكون الحيلة بحسب ذلك فلما رجع الصورى الى القسطنطينية ومعه جميع ماطلب منه والزيادة على مالم يطلب منه زادت منزلته وارتفعت أحواله عند الملك والبطارقة وسائر الحاشية فلما كان فى بعض الايام وهو يريد الدخول الى الملك قبض عليه ذلك البطريق فى دار الملك وقال له ماذنبى اليك وبماذا استحق غيرى أن تقصده وتقضى حوائجه وتعرض عنى فقال له الصورى أكثر من ذكرت ابتدائى وأنا غريب ادخل الى هذا الملك والبلد كالمتنكر من أسارى المسلمين وجواسيسهم ائلا ينموا بخبرى ويعنوا بأمرى الى المسلمين فيكون فى ذلك فقدى واذ قد علمت ميلك الى فلست أحب أن يعتنى أمرى سواك ولا يقوم به عند الملك وغيره غيرك فامرنى بجميع حوائجك وجميع مايعرض من أمورك بارض الاسلام وأهدى الى البطريق هدية حسنة من الزجاج

المخروط والطيب والجواهر والطرائف والثياب ولم يزل هذا فعله يتردد من الروم الى معاوية ومن معاوية الى الروم ويسأل الملك والبطريق وغيره الحوائج والحيلة لا تتوجه لمعاوية حتى مضى على ذلك سنين فلما كان في بعضها قال البطريق للصورى وقد أراد الخروج الى دار الاسلام قد اشتهيت أن تغمرني بقضاء حاجة وتمن بها على أن تبتاع لي بساطا سوسجرى بمخاده ووسائده يكون فيه من أنواع الالوان من الحمرة والزرقة وغيرهما ويكون من صفته كذا وكذا ولو بلغ ثمنه كل مبلغ فانعم له بذلك وكان من شان الصورى اذا ورد الى القسطنطينية تكون مركبه بالقرب من موضع ذلك البطريق وللبطريق ضيعة سرية وفيها قصر مشيد ومنتزه حسن على أميال من القسطنطينية راكبة على الخليج وكان البطريق أكثر أوقاته في ذلك المنتزه وكانت الضيعة مما يلي فم الخليج مما يلي بحر الروم والقسطنطينية فانصرف الصورى الى معاوية سرا وأخبره بالحال فاحضر معاوية بساطا بوسائد ومخاد ومجلس فانصرف به الصورى مع جميع ما طلب منه من دار الاسلام وقد تقدم اليه معاوية بالحيلة وكيفية ايقاعها وكان الصورى فيما وصفنا من هذه المدة قد صار كاحدهم في المؤانسة وفي العشرة وفي الروم طمع وشره فلما دخل من البحر الى خليج القسطنطينية وقد طابت له الريح وقد قرب من ضيعة البطريق أخذ الصورى خبر البطريق من أصحاب القوارب والمراكب فاخبر أن البطريق في ضيعته وذلك أن الخليج طوله نحو من ثلثمائة ميل وخمسين ميلا بين هذين البحرين وهما الرومى ومانطس على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب والضياع والعمائر على هذا الخليج من حافتيه والمراكب تختلف والقوارب بانواع المتاع والاقوات الى القسطنطينية وهذه المراكب لا تحصى في هذا الخليج كثرة فلما علم الصورى ان البطريق في ضيعته فرش ذلك البساط ونضد ذلك الصدر والمجلس بالوسائد والمخاد في صحن المركب ومجلسه والرجال تحت المجلس بايديهم المجاذف مشكلة قائمة غير قاذفين بها ولا يعلم بهم أنهم في بطن المركب الا من ظهر منهم في المركب عمله والريح في القلع والمركب مار في الخليج كانه سهم قد خرج من كبد قوس لا يستطيع القائم على الشط أن يملأ بصره منه لسرعة سيره واستقامته في جريه فاشرف على قصر البطريق وهو جالس في مستشرفه مع حرمه وقد أخذت منه الخمر وعلاه الطرب وذهب به الفرح والسرور فلما رأى البطريق مركب الصورى غنى طربا وصاح فرحا وسرورا

وابتهاجا بقدومه فدنا من أسفل القصر وحط القلع وأشرف البطريق على المركب فنظر الى مافيه من حسن ذلك البساط وفظم ذلك الفرش كانه رياض تزهر فلم يستطع اللبث فى موضعه حتى نزل قبل أن يخرج الصورى من مركبه اليه فطلع المركب فلما استقرت قدمه فى المركب ودنا من المجلس ضرب الصورى بعقبه على من تحت البساط من الوقوف وكانت علامة بينه وبين الرجال الذين فى بطن المركب فما استقر دقه بقدمه حتى اختطف المركب بالمجاديف فاذا هو فى وسط البحر لا يلوى على شىء وارتفع الصوت ولم يدر ما الخبر لمعاجلة الامر فلم يكن الليل حتى خرج من الخليج وتوسط البحر وقد أوثق البطريق كتافا وطابت له الريح وأسعده الجد وحملة المجاديف فى ذلك الخليج فتعلق اليوم السابع بساحل الشام ورأى البر وحمل الرجل فكانوا اليوم الثالث عشر حضورا بين يدى معاوية بالفرح والسرور لا ثلاجه بالامر وتمام الحيلة وأيقن معاوية بالظفر وعلو الجد فقال على بالرجل القرشى فأتى به وقد حضره خواص الناس فاخذوا مجالسهم وانغص المجلس باهله فقال له معاوية انظر لا تتعد ما جرى عليك منه واقتص منه على حسب ماصنع بك ولا تتعدو راع ماأوجب الله عليك من المماثلة فلطمه القرشى لطمات ووكزه فى حلقه ثم انكب القرشى على يد معاوية وأطرافه يقبلها وقال ماأضاعك من سودك ولا خاب فيك أمل من أملك أنت ملك لا تضام تمنع حماك وتصون رعيتك وأغرق فى دعائه ووصفه وأحسن معاوية الى البطريق وخلع عليه وبره وحمل معه البساط وأضاف الى ذلك أمورا كثيرة وهدايا الى الملك وقال له ارجع الى ملكك وقل له تركت ملك العرب يقيم الحدود على بساطك ويقتص لرعيته فى دار مملكتك وسلطانك وقال للصورى سر معه حتى تأتى الخليج فتطرحه فيه ومن كان أسر معه ممن بادر فصعد المركب من غلمان البطريق وخاصته فحملوا الى صور مكرمين وحملوا فى المركب فطابت لهم الريح فكانوا فى اليوم الحادى عشر متعلقين ببلاد الروم وقربوا من فم الخليج واذا به قد أحكم بالسلاسل والمنعة من الموكلين به فطرح البطريق ومن معه وانصرف الصورى راجعا وحمل البطريق من ساعته الى الملك ومعه الهدايا والامتعة فتباشرت الروم بقدومه وتلقوه مهنين له من الاسر فكافا الملك معاوية على ما كان من فعله بالبطريق والهدايا فلم يكن يستضام أسير من المسلمين فى أيامه وقال الملك هذا أمكر الملوك وأدهى العرب ولهذا قدمته العرب عليها فساس أمرها والله لوهم باخذى لتمت له الحيلة على (وقد أتينا) على خبر معاوية فيما سلف من هذا

الكتاب وأتينا على مبسوطه وأخبار الوافدين والوافدات عليه من الامصار فيما سلف من كتبنا وان كنا قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من أخبار معاوية جملا ولملوك الروم وبطارقتها ممن سلف وخلف الى هذا الوقت أخبار حسان مع ملوك بنى أمية والخلفاء من بنى العباس فى المغازى والسرايا وغيرها وكذلك لاهل الثغور الشامية والجزرية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا وقدمنا فى هذا الكتاب جملا من أخبارهم ومقادير أعمارهم وأيامهم ولمعا من سيرهم وكذلك أخبرنا عن ملوك الامم وسيرهم (قال المسعودى) وكان المعتمد مشغوفا بالطرب والغالب عليه المعاقرة ومحبة أنواع اللهو والملاهى وذكر عبدالله بن خرداذبه أنه دخل عليه ذات يوم وفى المجلس عدة من ندمائه من ذوى العقول والمعرفة والحجى فقال له أخبرنى عن أول من اتخذ العود قال ابن خرداذبه قد قيل فى ذلك يا أمير المؤمنين أقاويل كثيرة أول من اتخذ اللهو لمك بن متوشلح بن محويل بن عاد بن خنوخ بن فاد بن آدم وذلك أنه كان له ابن يحبه حبا شديدا فمات فعلقه بشجرة فتقطعت أوصاله حتى بقى منه فخذه والساق والقدم والاصابع فاخذ خشبا فرققه وألصقه فجعل صدر العود كالفخذ وعنقه كالساق ورأسه كالقدم والملاوى كالاصابع والاوتار كالعروق ثم ضرب به وناح عليه فنطق العود قال الحمدونى

ونـاطق بلسـان لاضمير له كانه فخـذ نيطت الى قـدمى
يبدى ضمير سواه فى الحديث كما يبدى ضمير سواه منطق القدم

واتخذ موسك بن لمك الطبول والدفوف وعملت ضلال بنت لمك المعازف ثم اتخذ قوم الطنابير يستميلون بها الغلمان والاكراد نوعا مما يصفر به فكانت أغنامهم اذا تفرقت صفروا فاجتمعت ثم اتخذ الفرس الناى للعود والشانى للطبلوت والسريانى للطبل والسنج والصنج وكان غناء الفرس بالعيدان والصنوج وهى لهم ولهم النغم والايقاعات والمقاطع والطروق الملوكية وهى سبع طرق فأولها ساسكاف وهو أكثرها استعمالا لتفعل الانهار وهو أفصحها مقاطع وأمرسه وهو أجمعها لمحاسن النغم وأكثرها تصعدا وانحدارا وماداروسنان وهو أثقلها وسابكاد وهو المحبوب للارواح وسسم وهو المجلس المنقل وحوبران وهو الدرج الموقوف على نغمة وكان غناء أهل خراسان وماوالاها بالزنج وعليها سبعة أوتار وايقاعه يشبه ايقاع الصنج وكان غناء أهل الرى

وطبرستان والديلم بالطنابير وكانت الفرس تقدم الطبور على كثير من الملاهي وكان غناء النبط والجرامقة بالعيروارات وايقاعها يشبه ايقاع الطنابير وقال قندروس الرومي جعلت الاوتار أربعة بازاء الطبائع فجعلت الزير بازاء المرة الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء المرة السوداء وللروم من الملاهي الاوعر وعليه ستة عشر وترا وله صوت بعيد المذهب وهو من صنعة اليونانيين والسلبان وله أربعة وعشرون وترا وتفسيره الغصون ولهم اللاوزا وهي الرباب وهي من خشب ولها خمسة أوتار ولهم القشاوة ولها اثنا عشر وترا ولهم الصليح وهو من جلود العجاجيل وكل هذه معازف مختلفة الصنعة ولهم الارغين وهو منافخ من الجلود والحديد وللهند الكيكلة وهو وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام العود والصنج قال وكان الحداء في العرب قبل الغناء وقد كان مضر بن نزار بن معد سقط عن بعير في بعض أسفاره فانكسرت يده فجعل يقول يايداه يايداه وكان من أحسن الناس صوتا فاستوسقت الابل وطاب لها السير فاتخذه العرب حداء برجز الشعر وجعلوا كلامه أول الحداء فمن قول الحادي يا هاديا يا هاديا ويايداه يايداه

فكان الحداء أول السماع والترجيع في العرب ثم اشتق الغناء من الحداء وتحن نساء العرب على موتاها ولم تكن أمة من الامم بعد فارس والروم أولع بالملاهي والطرب من العرب وكان غناؤهم النصب ثلاثة أجناس الركباني والسناد الثقيل والهزج الخفيف (وكان أول) من غنى من العرب الجرادتان وكانتا قينتين على عهد عاد لمعاوية بن بكر العلقمي وكانت العرب تسمى القينة الكرينة والعود المزهر وكان غناء أهل اليمن بالمعازف وايقاعها جنسا من واحد وغناؤهم جنسان حنفي وحميري والحنفي أحسنهما ولم تكن قريش تعرف من الغناء الا النصب حتى قدم النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي من العراق وافدا على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغناء عليه فقدم مكة فعلم أهلها فاتخذوا القينات (والغناء) يرق الذهن ويلين العريكة ويهيج النفس ويسرها ويشجع القلب ويسخي البخيل وهو مع النبيذ يعاونان على الحزن الهادم للبدن ويحدثان له نشاطا ويفرجان الكرب والغناء على الانفراد يفعل ذلك وفضل الغناء على المنطق كفضل المنطق على الخرس والبرء على السقم وقد قال الشاعر

لا تبعثن على همومك اذ ثوت غير المدام ونغمة الأوتار

فلله در حكيم استنبطه وفيلسوف استخرجه أى غامض أظهر وأى مكنون كشف وعلى أى فن دل والى أى علم وفضيلة سبق فذلك نسيج وحده وقريع دهره (وقد كانت الملوك) تنام على الغناء ليسرى فى عروقها السرور وكانت ملوك الاعاجم لا تنام الا على غناء مطرب أو سهر لذيذ والعربية لا تنوم ولدها وهو يبكى خوف أن يسرى الهم فى جسده ويدب فى عرقه ولكنها تنازعه وتضاحكه حتى ينام وهو فرح مسرور فينمو جسده ويصفو لونه ودمه ويشف عقله والطفل يرتاح الى الغناء ويستبدل ببكائه ضحكا وقد قال يحيى بن خالد بن برمك الغناء ما أطربك فارقصك وأبكاك فاشجاك وما سوى ذلك فبلاء وهم (قال المعتمد) قد قلت فاحسنت ووصفت فاطنبت وأقمت فى هذا اليوم سوقا للغناء وعلم أنواع الملاهى وان كان كلامك لمثل الثوب الموشى يجتمع فيه الاحمر والاصفر والاخضر وسائر الالوان فصف صفة المغنى الحاذق قال ابن خرداذبه المغنى الحاذق يا أمير المؤمنين من تمكن من أنفاسه ولطف فى اختلاسه وتفرغ فى أجناسه (قال المعتمد) فعلى كم تنقسم أنواع الطرب قال على ثلاثة أوجه يا أمير المؤمنين وهى طرب محرك مستخف لاريحية ينعش النفس ودواعى الشيم عند السماع وطرب شجن وحزن لاسيما اذا كان الشعر فى وصف أيام الشباب والشوق الى الاوطان والمراثى لمن عدم الصبر من الاحباب وطرب يكون فى صفاء النفس ولطافة الحس لاسيما عند سماع جودة التاليف واحكام الصنعة اذا كان من لا يعرفه ولا يفهمه لا يسره بل تراه متشاغلا عنه فذلك كالحجر الجلمد وجماد الصلد سواء وجوده وعدمه وقد قال يا أمير المؤمنين بعض الفلاسفة المتقدمين وكثير من حكماء اليونانيين من عرضت له آفة فى حاسة الشم كره رائحة الطيب ومن غلظ حسه كره سماع الغناء وتشاغل عنه وعابه وذمه (قال المعتمد) فما منزلة الايقاع وأنواع الطرق وفنون الغناء قال قد قال فى ذلك يا أمير المؤمنين من تقدم ان منزلة الايقاع من الغناء بمنزلة العروض من الشعر وقد أوضحوا الايقاع ورسموه بسمات ولقبوه بالقاب وهو أربعة أجناس ثقيل الاول وخفيفه وثقيل الثانى وخفيفه والرمل الاول وخفيفه والهزج وخفيفه والايقاع هو الوزن ومعنى أوقع وزن ولم يوقع خرج من الوزن والخروج ابطاء عن الوزن أو سرعة فالثقيل الاول نقره ثلاثة ثلاثة اثنتان ثقيلتان بطيئتان ثم نقرة واحدة وخفيف ثقيل الثانى نقره اثنتان متواليتان وواحدة بطيئة واثنتان مزدوجتان وخفيف الرمل نقره اثنتان اثنتان مزدوجتان وبين كل زوج وقفة والهزج نقره واحدة واحدة

مستويتان ممسكة وخفيف الهزج نقره واحدة واحدة متساويتان فى نسق واحد أخف قدرا من الهزج والطرائق ثمان الثقيلان الاول والثانى وخفيفاهما وخفيف الثقيل منهما يسمى بالماخورى وانما سمى بذلك لان ابراهيم بن ميمون الموصلى وكان من أبناء فارس وسكن الموصل كان كثير الغناء فى هذه المواخير بهذه الطريقة والرمل وخفيفه ويتفرع من كل واحد من هذه الطرائق مرموم ومطلق وتختلف مواقع الاصطلاح فيها فيحدث لها ألقابا تميزها كالمحصور والمخبول والمجثوث والمخدوع والارواح والعود عند أكثر الامم وجل الحكماء يونانى صنعة أصحاب أهل الهندسة على هيئة طبائع الانسان فان اعتدلت أوتاره على الاقدار الشريفة جانس الطبائع فاطرب والطرب رد النفس الى الحال الطبيعية دفعة وكل وتر مثل الذى يليه ومثل ثلثه والرسان الذى يلى الانف موضوع على خط النسع من جملة الوتر فهذه يا أمير المؤمنين جوامع فى صفة الايقاع ومنتهى حدوده ففرح المعتمد فى هذا اليوم وخلع على ابن خرداذبه وعلى من حضره من ندمائه وفضله عليهم وكان يوم لهو وسرور (فلما كان) فى صبيحة تلك الليلة دعا المعتمد من حضر فى اليوم الاول فلما أخذوا مراتبهم من المجلس قال لبعض من حضره من ندمائه صف لى الرقص وأنواعه والصفة المحمودة من الرقاص واذكر لى شمائله فقال المسؤول يا أمير المؤمنين أهل الاقاليم والبلدان مختلفون فى رقصهم من أهل خراسان وغيرهم فجملة الايقاع فى الرقص ثمانية أجناس الخفيف والهزج والرمل وخفيف الرمل وثقيل الثانى وخفيفه وخفيف الثقيل الاول وثقيله والرقاص يحتاج الى أشياء فى طباعه وأشياء فى خلقته وأشياء فى عمله فأما ما يحتاج اليه فى طباعه نخفة الروح وحسن الطبع على الايقاع وأن يكون طالبه مرحا الى التدبير فى رقصه والتصرف فيه وأما ما يحتاج اليه فى خلقته فطول العنق والسوالف وحسن الدل والشمائل والتمايل فى الاعطاف ودقة الخصر وحسن أقسام الخلق واقع المناطق واستدارة الثياب من أسافلها ومخارج النفس والاراحة والصبر على طول الغاية ولطافة الاقدام ولين الاصابع وامكان لينها فى نقلها وفيما يصرف فيه من أنواع الرقص من الابل ورقص الكرة وغيره ولين المفاصل وسرعة الانفتال فى الدوران ولين الاعطاف وأما ما يحتاج اليه فى عمله فكثرة التصرف فى ألوان الرقص واحكام كل جزء من حدوده وحسن الاستدارة وثبات القدمين على مدارهما واستواء ما تعمل يمنى الرجل ويسراها حتى يكون فى ذلك واحدا ولوضع القدم ورفعها وجهان أحدهما أن يوافق بذلك

الايقاع والآخر أن يتثبط به فاكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن فليكن ما يوافق الايقاع فهو من الحب والحسن سواء وأما ما يتثبط به فاكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن فليكن ما يوافق الايقاع مترافعا وما يتثبط به متسافلا (قال المسعودى) وللمعتمد مجالسات ومذاكرات ومجالس قد دونت فى أنواع من الادب منها مدح النديم وصفاته وعفافه وأمن عبثه والتداعى فى المنادمات والمراسلات فى ذلك وعدد أنواع الشرب فى الكثرة وهيئة السماع وأقسامه وأنواعه وأصول الغناء ومباديه فى العرب وغيرها من الامم وأخبار الاعلام من مشهورى المغنين المتقدمين والمحدثين وهيئة المجالس ومنازل التابع والمتبوع وكيفية مراتبهم وتعبية مجالس الندماء والتحيات كما قال العطوى فى ذلك

حى التحية أصحاب التحيات　　القائلين اذا لم تسقهم هات
أما الغداة فسكرى فى نعيمهم　　وبالعشى فصرعى غير أموات
وبين ذلك قصف لا يعادله　　قصف الخليفة فى لهو ولذات

وقد أتينا على وصف جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان مما لم يتقدم له ذكر كصنوف الشراب والاستعمال لانواع النقل اذا وضع ذلك فى المناقل والاطباق فنض نضا ورصف رصفا والابانة عن المراتب فى ذلك ووصف جميل لذات الطبيخ مما يحتاج التابع الى معرفته والاريب الى قيمته من المتولدات فى معرفة الالوان ومقادير التوابل والابزار وأنواع المحادثات وغسل اليدين بحضرة الرئيس والمقام عن مجلسه وادارات الكاسات وما حكى فى ذلك عن الاسلاف من ملوك الامم وغيرهم وما قيل فى الاكثار والاقلال من الشراب وما ورد فى ذلك من الاخبار وطلب الحاجات والاستماحات من أهل الرياسة على المعاقرات وهيئة النديم وما يلزمه لنفسه وما يلزم الرئيس لنديمه والفرق بين التابع والمتبوع والنديم والمنادم وما قال الناس فى العلة التى من أجلها سمى النديم نديما وكيفية الادب فى لعب الشطرنج والفرق بينها وبين النرد وما ورد فى ذلك من الاخبار وانتظمت فيه من الدلائل والآثار وما ورد عن العرب أفى سماء الخمر وورود التحريم فيها وتنازع الناس فى ردغيرها من أنواع الانبذة عليها قياسا ووصف أنواع آنيتها ومن كان يشربها فى الجاهلية ومن حرمها ووصف السكر وما قال الناس فى ذلك وكيفية وقوعه أمن الله أم من خلقه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب واتصل بهذه المعانى وانما نذكر هذه اللمع منبهين بها على ما قدمنا فيما سلف من كتبنا

(وكان أبو العباس) المعتضد محبوسا فلما خرج أبوه الموفق خلفه بدار الوزير اسمعيل ابن بلبل وكان مضيقا عليه الى أن وافى الموفق من أذربيجان عليلا مدنفا مورما فى بيت من الخشب قد اتخذ له مبطنا بالخز والحرير وفى أسفله حاق قد جعل فيها الدهن فتحمله الرجال على أكتافها نوائب وكان وصوله الى بغداد يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين فاقام بمدينة السلام أياما فاشتدت علته وأرجفت بموته وانصرف اسمعيل بن بلبل وقد يئس منه فوجه اسمعيل بن بلبل الى كنفهمن وقيل الى بكتمن وكان موكلا بالمعتضد بالمدائن على أقل من يوم من مدينة السلام ان يتصرف بالمعتضد والمفوض الى الله الى بغداد فدخل المعتضد اليها فى يومه واتصل باسمعيل صلاح الموفق فانحدر ومعه المعتضد والمفوض فى طيارة الى ولده وقد كان يانس الخادم ومؤنس الخادم وصاف الحرمين وغيرهم من خدم الموفق وغلمانه أخرجوا أبا العباس من الموضع الذى كان فيه محبوسا وساروا به الى الموفق ولما أحضر اسمعيل بن بلبل الموفق والمعتضد معه وكثر اضطراب القواد والموالى وأسرعت العامة وسائر الخدم فى النهب فانتهبوا دار اسمعيل بن بلبل ولم تبق دار جليل ولا كاتب نبيل الا نهبوها وفتحت الجسور وأبواب السجون ولم يبق أحد فى المطبق ولا فى الحديد الا أخرج وكان أمرا فاظعا غليظا وخلع على أبى العباس وعلى اسمعيل بن بلبل وانصرف كل واحد منهما الى منزله فلم يجد اسمعيل فى داره ما يقعد عليه حتى وجه اليه الشاه بن ميكال ما قعد عليه وقام بامر طعامه وشرابه وقد كان اسمعيل أسرع فى بيوت الاموال واسرف فى النفقات والجوائز والخلع وأمد العرب وأجزل لهم الانزال والارزاق واصطنع بنى شيبان من العرب وغيرهم من ربيعة وكان يزعم أنه رجل من بنى شيبان وطالب بخراج سنة مبهمة فثقل على الرعية وكثر الداعى عليه ومكث الموفق بعد ذلك ثلاثة أيام ثم توفى يوم الخميس لثلاث بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ومات وله تسع وأربعون سنة وأمه أم ولد رومية يقال لها اسحق وكان اسم الموفق طلحة وفيه يقول الشاعر

لما استظل بظل الملك واجتمعت ... له الامور فمنقاد ومقسور
حطت عليه لمقدار منيته ... كذاك تصنع بالناس المقادير

فلما مات الموفق قام المعتضد بامور الناس فى التدبير مكان أبيه الناصر وهو الموفق

وخلع جعفر المفوض من ولاية العهد وقام اسمعيل بن بلبل فى الوزارة بعد شغب كثير كان فى مدينة السلام وكان لابى عبد الله بن أبى الساج ولخادمه وصيف خطب جليل وقيد اسمعيل بن بلبل ووجه أبو العباس الى أبى عبد الله بن سليمان بن وهب فاحضره وخلع عليه ورد اليه أمر كتابته وذلك فى يوم الثلاثاء لثمان بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ولم يزل اسمعيل بن بلبل يعذب بانواع العذاب وجعل فى عنقه غلا فيه رمانة حديد والغل والرمانة مائة وعشرون رطلا وألبس جبة صوف قد صبرت فى ودك الاكارع وعلق معه رأس ميت فلم يزل على ذلك حتى مات فى جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين ومائتين ودفن بغله وقيوده وأمر المعتضد بضرب جميع الآنية التى كانت فى خزانته فضربت وفرقت فى الجند (قال المسعودى) وقد كان المعتمد قعد للغداء واصطبح يوم الاثنين لاحدى عشرة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين فلما كان عند العصر قدم الطعام فقال يامو شكيره للموكل به مافعلت الرؤوس بارقابها وقد كان قدم من الليل أن يقدم له رأسا جملين وقد فصل فيهما أرقابهما فقدمتا وكان معه على المائدة رجل من ندمائه يعرف بقف الملقم ورجل آخر يعرف بخلف المضحك فاول من ضرب بيده الى الرؤوس الملقم فانتزع أذن واحد منهما واما المضحك فانه يقتلع اللهازم والاعين فاكلوا وأكل المعتمد وأتموا يومهم فاما الملقم صاحب اللقمة الاولى فانه تهرى فى الليل واما المضحك فانه مات قبل الصباح واما المعتمد فاصبح ميتا قد لحق بالقوم ودخل اسمعيل بن حماد القاضى الى المعتضد وعليه السواد فسلم عليه بالخلافة وكان أول من سلم عليه بها وحضر الشهود منهم ابو عوف والحسين بن سالم وغيرهم من العدول حتى أشرفوا على المعتمد ومعهم بدر غلام المعتضد يقول هل ترون به من باس أو آثر مات فجاة وقتلته مداومته لشرب النبيذ فنظروا اليه فاذا ليس به من أثر فغسل وكفن وحمل فى تابوت قد أعد له الى سامرا فدفن بها (وذكروا) والله اعلم أن سبب وفاته انه سقى نوعا من السم فى شرابهم الذى كانوا يشربونه وهو نوع يقال له البيش يحمل من بلاد الهند وجبال الترك والتبت وربما وجدوه فى سنبل الطيب وهو ألوان ثلاثة وفيه خواص عجيبة (وللمعتمد) أخبار حسان وما كان فى أيامه من الكوائن والحوادث مما كان من حروب الصفار وما كان بديار بكر من بلاء وأمر وغيرهما من أحمد بن عيسى بن الشيخ وما كان باليمن قد أتينا على مبسوطها وجميع ذلك كله والغرر منه وما حدث فى كل سنة من أيامه من الحوادث فى كتابنا

أخبار الزمان والاوسط فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الكتاب

﴿ ذكر خلافة المعتضد بالله ﴾

وبويع ابو العباس احمد بن طلحة المعتضد بالله فى اليوم الذى مات فيه المعتمد على الله عمه وهو يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وأمه أم ولد رومية يقال لها ضرار وكانت وفاته يوم الاحد لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر ويومين وتوفى بمدينة السلام وله سبع وأربعون سنة وقيل انه ولى الخلافة وهو ابن احدى وثلاثين سنة وتوفى سنة تسع وثمانين على ماذكرناوله اربعون سنة وأشهر على تباين أصحاب التواريخ فى كتبهم وماأرخوه فى أيامهم والله الموفق

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

ولما أفضت الخلافة الى المعتضد بالله سكنت الفتن وصلحت البلدان وارتفعت الحروب ورخصت الاسعار وهدأ الهرج وسالمه كل مخالف وان كان مظفرا قددانت له الامور وانفتح له الشرق والغرب واديل له فى أكثر المخالفين عليه والمنابذين له وظفر بهارون الشارى وكان صاحب المملكة والقيم بامر الخلافة بدر مولاه واليه جميع المعارف فى جميع الآفاق واليه أعمل الجيوش وسائر القواد وخلف المعتضد فى بيوت الاموال تسعة آلاف ألف دينار ومن الورق أربعون ألف ألف درهم والدواب والبغال والحمير والجمال اثنى عشر ألف رأس وكان مع ذلك شحيحا بخيلا ينظر فيما لاينظر فيه العوام (وحكى عبدالله بن حمدون) وكان نديمه وخاصته وممن كان يانس به فى خلواته أنه أمر أن تنقص حشمه ومن كان يجرى عليه من الاتراك من كل رغيف أوقية وأن يبتدأ بامر خبزه لان للوصائف عددا من الرغفان فيها ثلاث وأربع كذا وأكثر من ذلك قال ابن حمدون فتعجبت من ذلك فى أول أمره ثم تبينت القصة فاذا أنه يتوفر من ذلك فى كل شهر مال عظيم وتقدم الى خزانه أن يختار له من الثياب التسترية والدبيقية أحسنها لتقطيعها لنفسه (وكان) مع ذلك قليل الرحمة كثير الاقدام سفاكا للدماء شديد الرغبة فى أن يمثل بمن يقتله (وكان) اذا غضب على القائد النبيل والذى يختصه من غلمانه أمر أن تحفر له حفيرة ثم يدلى على رأسه فيها ويطرح التراب عليه ونصفه الاسفل ظاهر على التراب ويداس التراب فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره (وذكر) من عذابه انه كان ياخذ الرجل فيكتف

و يقيد فيؤخذ القطن فيحشى فى أذنه وخيشومه وفمه وتوضع المنافخ فى دبره حتى ينفخ و يعظم جسمه ثم يسد الدبر بشئ من القطن ثم يفصد وقد صار كالجمل العظيم من العرقين اللذين فوق الحاجبين فتخرج النفس من ذلك الموضع ور بما كان يقتل الرجل فى أعلى القصر مجردا موثقا و يرمى بالنشاب حتى يموت (واتخذ) المطامير وجعل فيها صنوف العذاب وجعل عليها الحرمى المتولى لعذاب الناس ولم يكن له رغبة الا فى النساء والبناء فانه انفق على قصره المعروف بالثريا أر بعمائة ألف دينار وكان طول قصره المعروف بالثريا ثلاثة فراسخ (وأقر عبيد الله) بن سليمان على وزارته فلما مات استوزر القاسم بن عبيد الله (وقد كان المعتضد) فى هذه السنة وهى سنة تسع وسبعين ومائتين ركب يوم الفطر وهو يوم الاثنين الى مصلى اتخذه بالقرب من داره وكبر فى الركعة الاولى ست تكبيرات وفى الآخرة تكبيرة واحدة ثم صعد المنبر فحصر ولم تسمع له خطبة (ففى ذلك) يقول بعض الشعراء

حصر الامام ولم يبين خطبة   للناس فى حل ولا احرام
ماذاك الا من حياء لم يكن   ما كان من عى ولا افحام

(وفى هذه السنة) قدم الحسن بن عبد الله المعروف بابن الجصاص رسولا من مصر لخمارويه بن أحمد ومعه هدايا كثيرة وأموال جليلة فوصل الى المعتضد يوم الاثنين لثلاث خلون من شوال وخلع عليه وعلى سبعة نفر معه ثم سعى فى تزويج ابنة خمارويه من على المكتفى فقال المعتضد انما أراد أن يتشرف بنا وأنا أزيد فى تشريفه انا أتزوجها فتزوجها وتولى ابن الجصاص امرها وحمل جهازها فيقال انه حمل معها جوهر الم يجتمع مثله عند خليفة قط فاقتطع ابن الجصاص بعضه واعلم قطر الندى بنت خمارويه أن ما أخذ مودع لها عنده الى وقت حاجتها اليه فماتت والجوهر عنده فكان ذلك سبب غناه واستقلاله وقد كانت لابن الجصاص محن بعد ذلك فى أيام المقتدر وما كان من القبض عليه وما أخذ منه من الاموال بهذا السبب وغيره وحمل المعتضد صداق قطر الندى وهو بمدينة بلد الى أبى الجيش وكان الصداق ألف ألف درهم وغير ذلك من المتاع والطيب ولطائف الصين والهند والعراق وكان مما خص به ابا الجيش فى نفسه وحباه به بدرة من الجوهر المثمن فيها در و ياقوت وانواع من الجوهر ووشاح وتاج واكليل وقيل قلنسوة وكردف وكان وصولهم الى مصر فى رجب سنة ثمانين ومائتين وانحدر المعتضد من مدينة بلد والموصل بعد أن حمل

ماوصفنا الى مدينة السلام فى الماء (وحدث أبو سعيد) أحمد بن الحسين بن منقذ قال دخلت يوما على الحسين بن الجصاص واذا بين يديه سفط خيار مبطن بالحرير فيه جوهر قد نظم منه سبح فرأيت شيأ حسنا ووقع فى نفسى أن عددها يجاوز العشرين فقلت له جعلنى الله فداك كم عدد كل سبحة فقال لى مائة حبة وزن كل حبة كوزن صاحبتها لا تزيد ولا تنقص قد عدلت كل سبحة وزن صاحبتها واذا بين يديه سبائك ذهب توزن بقبان كما يوزن الحطب فلما خرجت من عنده تلقانى ابو العيناء فقال لى يا أبا سعيد على أى حال تركت هذا الرجل فوصفت له ما رأيت فقال رافعا رأسه الى السماء اللهم انك لم تساو بينى و بينه فى العمى ثم اندفع يبكى فقلت يا أبا عبد الله ما شانك فقال لا تنكر ما رأيت منى لو رأيت ما رأيت لسعفت ثم قال الحمد لله على هذه الحالة وقال يا أبا سعيد ما حمدت الله تعالى على العمى الا فى وقتى هذا فقلت لمن يخبر حال ابن الجصاص باى شىء ختم هذه السبح فقال بياقوتة حمراء لعل قيمتها أكثر مما تحتها (وكانت وفاة ابى العيناء) سنة اثنتين وثمانين ومائتين بالبصرة فى جمادى الآخرة وكان يكنى بابى عبيد الله وكان قد انحدر من مدينة السلام الى البصرة فى زورق فيه ثمانون نفسا فى هذه السنة فغرق الزورق ولم يتخلص مما كان فيه الا أبو العيناء وكان ضريرا تعلق بطلال الزورق فاخرج حيا وتلف كل من كان معه فبعد أن سلم ودخل البصرة مات (وكان) لابى العيناء من اللسان وسرعة الجواب والذكاء مالم يكن عليه أحد من نظرائه وله أخبار حسان وأشعار ملاح مع أبى البصير وغيره وقد اتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا (وحضر) مجلس بعض الوزراء فتعارضوا حديث بعض البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود فقال الوزير لابى العيناء وقد كان أمعن فى وصفه وما كانوا عليه من البذل والافضال قد أكثرت من ذكرهم ووصفك اياهم وانما هذا من تصنيف الوراقين وتاليف المحسنين فقال له أبو العيناء فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير بالبذل والجود فامسك عنه الوزير وتعجب الناس من اقدامه عليه (واستأذن) يوما على الوزير صاعد بن مخلد فقال له الحاجب الوزير مشغول فانتظر فلما أبطأ اذنه قال للحاجب ما صنع الوزير قال يصلى قال صدقت لكل جديد لذة يعيره بأنه حديث عهد بالاسلام (وقد كان أبو العيناء) دخل على المتوكل فى قصره المعروف بالجعفرى وذلك فى سنة ست وأربعين ومائتين فقال له كيف قولك فى دارنا هذه فقال ان الناس بنوا الدور فى الدنيا وأنت بنيت الدنيا فى دارك فاستحسن ذلك ثم قال له

كيف شربك النبيذ فقال أعجز عن قليله وأفتضح من كثيره فقال له دع هذا عنك وقادمنا فقال أنا امرؤ محجوب والمحجوب تتخطرف اشارته ويجور قصده وينظر منه الى مالا ينظر اليه وكل من فى مجلسك يخدمك وأنا أحب أن أخدم وأخرى لست آمن أن تنظر الى بعين راض وقلبك غضبان أو بقلب غضبان وعينك راضية ومتى لم أميز بين هاتين هلكت فاختار العافية على التعرض للبلاء واحفظ فقال بلغنا عنك بذاء قال ياأمير المؤمنين قد مدح الله تعالى وذم فقال نعم العبد انه أواب وقال جل ذكره هماز مشاء بنميم الآية فان لم يكن البذاء بمنزلة العقرب يلدغ النبى والذمى فلا ضير فى ذلك قال الشاعر

اذا انا بالمعروف لم أك صادقا ولم أشتم النكس اللئيم المذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لى الله المسامع والفما

قال من أين أنت قال من البصرة قال ماتقول فيها قال ماؤها أجاج وحرها عذاب وتطيب فى الوقت الذى تطيب فيه جهنم وكان وزيره عبد الله بن يحيى بن خاقان واقفا على رأسه قال ماتقول فى عبد الله بن يحيى بن خاقان قال نعم العبد منقسم بين طاعة الله تعالى وخدمتك ودخل ميمون بن ابراهيم صاحب ديوان البريد فقال له ماتقول فى ميمون قال يدتسرق واست تضرط وهو بمنزلة يهودى قد سرق نصف خزينة له اقدام ومعه احجام احسانه تكليف واساءته طبيعة فاضحك ذلك منه ووصله وصرفه (وفى سنة) ثلاث وثمانين ومائتين وردت هدايا من قبل عمرو بن الليث الصفار مائة دابة من مهارى خراسان وحمارات كثيرة وصناديق كثيرة وأربعة آلاف ألف درهم وكان معها صنم من صفر على مثال امرأة لها أربعة أيد وعليها وشاحان من فضة مرصعان بالجوهر الاحمر والابيض وبين يدى هذا المثال أصنام صغار لها أيد ووجوه وعليها الحلى والجوهر وكان هذا التمثال على عجل قد عمل على مقدارها تجره الحمارات فصير بذلك أجمع الى دار المعتضد ثم رد هذا التمثال الى مجلس الشرطة فى الجانب الشرقى فنصب للناس ثلاثة أيام ثم رد الى دار المعتضد وذلك يوم الخميس لاربع خلون من شهر ربيع الآخر من هذه السنة فسمت العامة هذا التمثال شغلا لاشتغالهم عن أعمالهم بالنظر اليه عدة هذه الايام وقد كان عمرو بن الليث قد حمل هذا الصنم من مدن افتتحها من بلاد الهند ومن جبالها مما يلى بلاد بسط ومعبر وبلاد الدوار وهى ثغور فى هذا الوقت وهو سنة

اثنتين وثلاثين وثلثمائة مما يليها من الاكابر والامم المختلفة حضر وبدو فمن الحضر بلاد كابل وبلاد ماحان وهى بلاد متصلة ببلاد زابلستان والرخج وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار الامم الماضية والملوك الغابرة أن زابلستان تعرف ببلاد فيروز بن كنك ملك زابلستان (وقد كان) عيسى بن على بن ماهان دخل فى طلب الخوارج فى أيام الرشيد الى السند وجبالها والقندهار والرخج وزابلستان يقتل ويفتح فتوحا لم يتقدم مثلها فى تلك الديار (ففى ذلك يقول) الاعمى الشاعر المعروف بابن القذافى القمى

كاد عيسى يكون ذا القرنين　　بلغ المغربين والمشرقين

لم يدع كابلا ولا زابلستا　　ن فما حولها الى الرخجين

وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الاخبار عن قلاع فيروز بن كنك الملك ببلاد زابلستان التى ليس فى قلاع العالم على ماظهر للناس من ذوى العناية والتنقير ومن أكثر فى الارض المسير أحصن منها ولا أمنع ولا أعلى فى الجو ولا أكثر عجائب منها وذكرنا عجائب تلك الديار الى بلاد الطسيس وبلاد خراسان واتصالها بسجستان وعجائب المشرقين والمغربين من عامر وغامر ومافى العامر من الامم المختلفة الخلق والخلق (وقد كان) أهل البصرة وردوا على المعتضد فى مراكب بحرية بيض مشحمة بالشحم والنورة على مافى بحرهم ووفد فيها خلق من خطبائهم ومتكلميهم وأهل الرياسة والشرف والعلم منهم أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى وكان مولى آل جمح من قريش وكان ولى القضاء بعد ذلك يشكون الى المعتضد مانزل بهم من محن الزمان وجدب لحقهم وجور من العمال اعتورهم وألحوا بالصياح والضجيج فى مراكبهم فى دجلة فجلس لهم المعتضد من وراء حجاب وأمر الوزير القاسم بن عبيد الله وغيره من كتاب الدواوين بالجلوس لهم من حيث يسمع المعتضد خطابهم فيقضون لهم بما يشكونه من حكم الدواوين ثم أذن للبصريين فدخلوا وأبو خليفة فى أولهم عليهم الطيالسة الزرق والاقناع على رؤوسهم ذووعوارض جميلة وهيئة حسنة فاستحسن المعتضد مارأى منهم وكان المبتدئ منهم بالنطق أبو خليفة فقال عمر العامر ودثر الظاهر واختلفت العواء وحسفت الجوزاء وأناخت علينا المصائب واعتورتنا المحن وقام كل رجل منا فى ظلمة واصطلمت الضياع وانخفضت القلاع فانظر الينا بعين الامام تستقيم لك الايام وتنقاد لك الانام والا فنحن البصريون لاندفع عن فضيلة ولا نتنافس عن جليلة وسجع فى

كلامه وأغرق فى خطابه فقال له الوزير أحسبك مؤدبا أيها الشيخ فقال له أيها الوزير المؤدبون أجلسوك هـذا المجلس قال له الوزير كم فى خمس من الابل قال له أبو خليفة للخبير سألت فى خمس من الابل شاة وفى العشر شاتان ثم مضى فى وصف فرائض الابل واصفا لما يجب فيها ذاكرا للتنازع فى موضعه منها ثم شرع فى البقر والغنم بلسان فصيح وخطاب حسن فى ايجاز من خطاب وبيان من الوصف فبعث المعتضد وقد أعجبه ماسمع وأكثر لذلك من الضحك بخادم الى الوزير فقال له اكتب لهم عما يريدون وأجبهم الى ماسألوه ولا تصرفهم الا شاكرين فهذا شيطان قذف به البحر ومثله فليقذف على الملوك (وكان) أبو خليفة لا يتكلف الاعراب بل قد صار له كالطبع لدوام استعماله اياه من عنفوان حداثته وكان ذا محل من الاسناد (وله أخبار) ونوادر حسان قد دونت (منها) أن بعض عمال الخراج بالبصرة كان مصروفا من عمله وأبو خليفة مصروفا عن قضائه فبعث العامل الى أبى خليفة أن مبرمان النحوى صاحب أبى العباس المبرد قد زارنى فى هـذا اليوم الى بعض الانهار والبساتين فأتوه متنكرين مع من حضرنا من أصحابنا وسألوا الحضور معهم فجلسوا فى سمارية متفكهين قد غيروا ظواهر زيهم حتى أتوا نهرا من أنهار البصرة وقدم اليهم ما حملوا معهم من الطعام وكان أيام المبادى وهى الايام التى يثمر فيها التمر والرطب فيكبسونه فى القواصر تمرا وتكون حينئذ البساتين مشحونة بالرجال ممن يعمل فى التمر من الاكرة وهم الزراع وغيرهم فلما أكلوا قال بعضهم لابى خليفة غير مكن له خوفا أن يعرفه من حضر ممن ذكرنا من الاكرة والعمال فى النخل أخبرنى أطال الله بقاءك عن قول الله عز وجل قوا أنفسكم وأهليكم نارا هـذه الواو ماموقعها من الاعراب قال أبو خليفة موقعها رفع وقوله قوا هو أمر للجماعة من الرجال قال له كيف تقول للواحد من الرجال وللاثنين قال يقال للواحد من الرجال ق وللاثنين قيا وللجماعة قوا قال كيف تقول للواحدة من النساء وللاثنتين منهن وللجماعة منهن قال أبو خليفة يقال للواحدة قى وللاثنتين قيا وللجماعة قين قال فاسألك أن تعجل بالعجلة كيف يقال للواحد من الرجال والاثنين والجماعة والواحدة من النساء والاثنتين منهن والجماعة منهن قال أبو خليفة عجلا ق قيا قوا قى قيا قين وكان بالقرب منهم جماعة من الاكرة فلما سمعوا ذلك استعظموه وقالوا يازنادقة أنتم تقرؤن القرآن بحرف الدجاج وغدوا عليهم فصفعوهم فما تخلص أبو خليفة والقوم الذين كانوا معه من ايديهم الا بعد كد طويل (وقد أتينا) على نوادر أبى خليفة

وأخباره ومخاطبته لبغلته حين القته وماتكلم به حين دخول اللص الى داره وغير ذلك فى كتابنا الاوسط (وكانت) وفاة أبى خليفة بالبصرة فى سنة خمس وثلثمائة (وفى سنة) ست وثمانين ومائتين فى ربيع الاول نزل المعتضد على آمد وذلك بعد وفاة أحمد بن عيسى ابن الشيخ عبد الرزاق وقد تحصن بها ولده محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد الرزاق فبث جيوشه حولها وحاصرها فحدث علقمة بن عبد الرزاق قال حدثنا رواحة بن عيسى بن عبد الملك عن شعلة بن شهاب اليشكرى قال وجه بى المعتضد الى محمد بن أحمد بن عيسى ابن الشيخ لآخذ بالحجة عليه فلما سرت اليه واتصل الخبر بام الشريف أرسلت الى فقالت ياشهاب كيف خلفت أمير المؤمنين قال فقلت خلفته والله ملكا جذلا وحكما عدلا أمارا بالمعروف فعالا للخير متعززا على أهل الباطل متذللا للحق لا تاخذه فى الله لومة لائم قال فقالت لى هو والله أهل لذلك ومستحقه ومستوجبه وكيف لا يكون ذلك كذلك وهو ظل الله الممدود على بلاده وخليفته المؤتمن على عباده أعز به دينه وأحيا به سنته وثبت به شريعته ثم قالت لى وكيف رأيت صاحبنا تعنى ابن أخيها محمد بن أحمد قال فقلت رأيت غلاما حدثا معجبا قد استحوذ عليه السفهاء فاستمد بآرائهم وأنصت لاقوالهم فهم يزخرفون له الكلام ويوردونه الندم فقالت لى فهل لك أن ترجع اليه بكتاب فلعلنا أن نحل ما عقده السفهاء قال قلت أجل فكتبت اليه كتابا لطيفا حسنا أجزلت فيه الموعظة واخلصت فيه النصيحة وكتبت فى آخره هذه الابيات

اقبل نصيحة أم قلبها وجع عليك خوفا واشفاقا وقل سددا
واستعمل الفكر فى قولى فانك ان فكرت ألقيت فى قولى لك الرشدا
ولا تثق برجال فى قلوبهم ضغائن تبعث الشنآن والحسدا
مثل النعاج خمول فى بيوتهم حتى اذا امنوا ألفيتهم أسدا
وداو ذلك والادواء ممكنة واذ طبيبك قد ألقى اليك يدا
واعط الخليفة ما يرضيه منك ولا تمنعه مالا ولا أهلا ولا ولدا
واردد أخا يشكر ردا يكون له ردا من السوء لا تشمت به احدا

قال فاخذت الكتاب وسرت به الى محمد بن احمد فلما نظر فيه رمى به الى ثم قال يا اخا يشكر ما بآرا النساء تساس الدول ولا بعقولهن يساس الملك ارجع الى صاحبك فرجعت الى أمير المؤمنين فاخبرته الخبر عن حقه وصدقه فقال وأين كتاب أم الشريف قال فاظهرته فلما عرض عليه عجبه شعرها وعقلها ثم قال والله انى لارجو أن أشفعها فى كثير من القوم فلما كان

فى فتح امدماكان ونزل محمد بن أحمد على الامان لماعظم القتال وجه الى أمير المؤمنين فقال ياشعلة بن شهاب هل عندكم علم من أم الشريف قال قلت لا والله ياأمير المؤمنين قال امض مع هذا الخادم فانك تجدها فى جملة نسائها قال فمضيت فلما بصرت بى أسفرت عن وجهها وأنشأت تقول

ريب الزمان وصرفه   وعتوه كشف القناعا
وأذل بعـد العز منا   الصعب والبطل الشجاعا
ولقـد نصحت فما أطعـ   ـت وكم حرمت بان أطاعا
فابى بنا المقـدور الا   أن نقسم أو نباعا
ياليت شعرى هل نرى   يوما لفرقتنا اجتماعا

قال ثم بكت وضربت بيدها على الاخرى ثم قالت لى باشهاب كانى والله كنت أرى ماأرى فانالله وانااليه راجعون قال فقلت لها ان أمير المؤمنين قد وجهنى اليك وماذاك الا لحسن رأى منه فيك قالت فهل لك أن توصل اليه كتابى هذا بما قلت فيه قلت نعم فكتبت اليه بهذه الابيات

قل للخليفة والامام المرتضى   رأس الخلائق من قريش الابطح
بك أصلح الله البلاد وأهلها   بعد الفساد وطالما لم تصلح
وتزحزحت بك قبة العزالتى   لولاك بعد الله لم تتزحزح
وأراك ربك ما تحب فلاترى   مالا يحب فجد بعفوك واصفح
يابهجـة الدنيا وبدر ملوكها   هب ظالمى ومفسـدى لمصلح

قال فاخذت الكتاب وصرت به الى أمير المؤمنين فلما عرضت عليه الابيات أعجبتـه وأمر أن يحمل اليها تخوت من الثياب وجملة من المال والى ابن أخيها محمد بن أحمـد مثل ذلك وشفعها فى كثير من أهلها ممن عظم جرمه واستحق العقوبة عليـه (وكتب) المعتضد الى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف بمواقعة رافع بن هرثمة وذلك فى سنة سبع وسبعين ومائتين فسار أحمد بن عبد العزيز الى رافع والتقوا بالرى لسبع بقين من ذى القعدة من هذه السنة وأقامت الحرب بينهم أياما ثم كانت على رافع بن هرثمة فولى وركب أصحاب ابن أبى دلف أكتافهم واستولوا على عسكرهم وكان وصول هذا الخبر الى بغداد لست خلون من ذى الحجة من هذه السنة (وفى سنة) ثمانين ومائتين أخـذ

ببغداد رجل يعرف بمحمد بن الحسن بن سهل ابن أخى ذى الرياستين الفضل بن سهل يلقب بشميلة ومعه عبيد الله بن المهتدى ولمحمد بن الحسن بن سهل هذا تصنيفات فى أخبار المبيضة وله كتاب مؤلف فى أخبار على بن محمد صاحب الزنج على حسب ماذكرنا من أمره فيما سلف من هذا الكتاب فاقر عليه جماعة من المستأمنة من عسكر العلوى وأصيبت له جرائد فيها أسماء رجال قد أخذ عليهم البيعة لرجل من آل أبى طالب وكانوا قد عزموا على أن يظهروا ببغداد فى يوم بعينه ويقتلوا المعتضد فادخلوا الى المعتضد فابى من كان مع محمد بن الحسن أن يقروا وقالوا أما الرجل الطالبى فانا لانعرفه وقد أخذت علينا البيعة له ولم نره وهذا كان الواسطة بيننا وبينه يعنون محمد بن الحسن فامر بهم فقتلوا واستبقى شميلة طمعا فى أن يدله على الطالبى وخلى عبيد الله بن المهتدى لعلمه ببراءته ثم اراد المعتضد بالله بمحمد بن الحسن بجميع الجهات ان يدله على الطالبى الذى أخذ له العهد على الرجال فابى وجرى بينه وبين المعتضد خطب طويل وكان فى مخاطبته للمعتضد أن قال لو شويتنى على النار مازدتك على ماسمعت منى ولم أقر على من دعوت الناس الى طاعته وأقررت بامامته فاصنع ما أنت له صانع فقال له المعتضد لسنا نعذبك الا بما ذكرت فذكر أنه حمل فى حديدة طويلة أدخلت فى دبره واخرجت من فمه وامسك باطرافها على نار عظيمة حتى مات بحضرة المعتضد وهو يسبه ويقول فيه العظائم والاشهر انه جعل بين رماح ثلاثة وشد أطرافها وكتف وجعل فوق النار من غير ان يماسها وهو فى الحياة يدار عليها ويشوى كما تشوى الدجاج وغيرها الى ان تفرقع جسمه وأخرج فصلب بين الجسرين من الجانب الغربى (وفى هذه السنة) كان خروج المعتضد فى طلب الاعراب من بنى شيبان وكانوا اعتوا وأكثروا الفساد وأوقع بهم مما يلى الجزيرة والدواب فى الموضع المعروف بوادى الذئاب فقتل واسر وساق الذرارى وسار الى الموصل (وفى هذه السنة) افتتح أبو عبيد الله بن ابى الساج المراغة من بلاد اذربيجان فقبض على عبد الله بن الحسن واستبقى أمواله ثم أتى عليه بعد ذلك (وفى هذه السنة) كانت وفاة أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف (وفى هذه السنة) افتتح أحمد بن ثور عمان وكان مسيره اليها من بلاد البحرين فواقع الشراة من الاباضية وكانوا فى نحو من مائتى الف وكان امامهم الصلت بن مالك ببلاد دبوا من أرض عمان وكانت له عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وحمل كثيرا من رؤوسهم الى بغداد (وفيها) دخل المعتضد بغداد منصرفا من الجزيرة (وفى هذه السنة) كان دخول عمرو بن الليث نيسابور (وفى هذه

السنة) نقلت ابنة محمد بن أبى الساج الى بدر غلام المعتضد وقد أتينا على خبر ابن أبى الساج وما كان من تزويجه ابنته لبدر بحضرة المعتضد وما كان من خبر ابن أبى الساج ورحلته عن باب خراسان متوجها الى اذربيجان فى الكتاب الاوسط (وفى هذه السنة) سار اسمعيل بن أحمد بعد وفاة أخيه نصر بن أحمد واستيلائه على امرة خراسان الى أرض الترك ففتح المدينة الموصوفة من مدنهم بدار الملك وأسر خاتون زوجة الملك وأسر خمسة عشر ألفا من الترك وقتل منهم عشرة آلاف ويقال ان هذا الملك يقال له طفكس وهذا الاسم سمة لكل ملك هذا البلد من ملوكهم واراه من الجنسين المعروفين بالخدلجية وقد أتينا فيما سلف من هذا الكتاب على جمل من أخبار الترك وأجناسهم وأوطانهم وكذلك فيما سلف من كتبنا (وفى سنة) احدى وثمانين ومائتين كانت الحرب بين وصيف خادم ابن ابى الساج وعمرو بن عبد العزيز ببلاد الجبل وكان من أمره ماذكرنا فيما سلف من كتبنا وكان المعتضد خرج فى هذه السنة الى الجبل لامور بلغته منها قصة محمد بن زيد العلوى الحسينى صاحب بلاد طبرستان فولى ولده عليا المكتفى الرى وأنزله بها وأضاف اليه قزوين وزنجان وأبهر وقم وهمدان وانصرف المعتضد الى بغداد وقد قلد عمرو بن عبد العزيز اصبهان وكرخ بعد ابن أبى دلف وفيها استأمن الى المكتفى على كوره وسار الى المعتضد فى عدة كثيرة وفيها سار طغج ابن شيث بن الاخشيد صاحب مصر فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى عساكر كثيرة من دمشق فدخل طرسوس غازيا وافتتح لوريه مما يلى بلاد برغوث ودرب الراهب (وفى هذه السنة) نزل المعتضد على حمدان بن حمدون وقد تحصن فى القلعة المعروفة بالصوارة نحو عين الزعفران وسارع اسحق بن ايوب العنبرى ومن كان معه من أصحابه الى المعتضد وقد أتينا على خبر حمدان بن حمدون وما كان من أمره وصعود الجبل الجودى وعبور دجلة وكاتبه النصرانى ودخول عسكر المعتضد ليلا الى اسحق بن يعقوب حتى أتى به الى المعتضد واخراب المعتضد لهذه القلعة وقد كان حمدان أنفق عليها أموالا جليلة وهو حمدان بن حمدون بن الحرث بن منصور بن لقمان وهو جد أبى محمد الحسن بن عبد الله الملقب بناصر الدولة فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وما كان من الحسن بن حمدان فى طلبه هرون الشارى وما كان من اخذ الحسين بن حمدان اياه بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب (قال المسعودى)وفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ذبح ابو الجيش خمارويه بن أحمد بن

طولون بدمشق فى ذى القعدة وقد كان بنى فى سفح الجبل أسفل من دير مروان قصرا وكان يشرب فيه فى تلك الليلة وعنده طغج وكان الذى تولى ذلك خادما من خدمهم وأتى بهم على أميال فقتلوا وصلبوا ومنهم من رمى بالنشاب ومنهم من شرح لحمه من أفخاذه وعجيزته وأكله السودان من مماليك أبى الجيش وقد اتينا على اخبار الخدم من السودان والصقالبة والروم والصين وذلك أن أهل الصين يخصون كثيرا من اولادهم كفعل الروم بأولادهم وما اجتمع عليه الخصيان من التضاد وذلك لما حدث بهم من قطع هذا العضو فى كتابنا أخبار الزمان وما أحدثته الطبيعة عند الفلاسفة فيهم عند ذلك كما قاله الناس فيهم وما ذكر ودمن الصفات (وذكر المدائنى) أن معاوية بن ابى سفيان دخل ذات يوم على امرأته فاختة وكانت ذات عقل وحزم ومعه خصى وكانت مكشوفة الرأس فلما رات معه الخصى غطت رأسها فقال لها معاوية انه خصى فقالت يا أمير المؤمنين أترى المثلة به أحلت له ما حرم الله عليه فاسترجع معاوية وعلم أن الحق ماقالته فلم يدخل بعد ذلك على حرمه خادما وان كان كبيرا فانيا (وقد تكلم) الناس فيهم وذكروا الفرق بين المجبوب والمسلوب وانهم رجال مع النساء ونساء مع الرجال وهذا خلف من الكلام وفاسد من المقال بل هم رجال وليس فى عدم عضو من اعضاء الجسد ما يوجب الحاقهم بما ذكروا ولا عدم نبت اللحية محيلا لهم عما وصفوا ومن زعم انهم بالنساء أشبه فقد اخبر عن تغيير فعل البارى جل وعز لانه خلقهم رجالا ذكرانا لا اناثا وليس فى الجناية عليهم ما يقلب اعيانهم ويزيل خلق البارى جل وعز وقد قلنا فى علة عدم نتن الآباط فى الخدم وما قالته الفلاسفة فيما سلف من كتبنا لان الخادم بطئ لا يوجد لآباطه رائحة وهذا من فضائل الخدم (وحمل ابو الجيش) فى تابوت الى مصر وورد الخبر بذلك الى مصر فاخرج من التابوت وجعل على السرير وذلك على باب مصر وخرج ولده الامير جيش وسائر الامراء والاولياء فتقدم القاضى أبو عبيد الله محمد ابن عبدة المعروف بالعبدانى وصلى عليه وذلك فى الليل فحكى ابو بشر الدولابى عن ابى عبد الله النجارى وكان شيخا من اهل العراق وكان يقرا فى دور آل طولون ومقابرهم أنه كان بات فى تلك الليلة ممن يقرأ عند القبر وقد قدم أبو الجيش ليدلى فى القبر ونحن نقرأ جماعة من القراء سبعة سورة الدخان فاحدر من السرير ودلى فى القبر وانتهينا من السورة فى هذا الوقت الى قوله عز وجل خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم قال فخفضنا أصواتنا

وأذعرنا حياء ممن حضر (ومما ذكر) من خبر المعتضد وحزمه فى الامور وحيله أنه أطلق من بيت المال لبعض الرسوم فى الجند عشر بدر فحملت الى منزل صاحب عطاء الجيش ليصرفها فيهم فنقب منزله فى تلك الليلة وأخذت العشر البدر فلما أصبح نظر الى النقب ولم ير المال فأمر باحضار صاحب الحرس وكان على الحرس يومئذ مؤنس العجلى فلما أتاه قال له ان هذا المال للسلطان والجند ومتى لم تأت به أو بالذى نقبه وأخذ المال ألزمك أمير المؤمنين غرمه فجد فى طلبه وطلب اللص الذى جسر على هذا الفعل فصار الى مجلسه وأحضر التوابين والشرط والتوابون هم شيوخ أنواع اللصوص الذين قد كبروا وتابوا فاذا جرت حادثة علموا من فعل من هى فدلوا عليه وربما يتقاسمون اللصوص ماسرقوه فتقدم اليهم فى الطلب وتهددهم وأوعدهم وطالبهم فتفرق القوم فى الدروب والاسواق والغرف والمواخير ودكاكين الرواسين ودور القمار فالبثوا أن أحضروا رجلا نحيفا ضعيف الجسم رث الكسوة هين الحالة فقالوا ياسيدى هذا صاحب الفعلة وهو غريب من غير هذا البلد وأطبق القوم كلهم على أنه صاحب النقب ولص المال فاقبل عليه مؤنس العجلى فقال له ويلك من كان معك ومن أعانك وأين أصحابك ما أظنك تقدر على عشر بدر وحدك فى ليلة ما كنتم الا عشرة وأقل ذلك خمسة فاقر لى بالمال ان كان مجتمعا وعلى أصحابك ان كان المال قد قسم فمازاده على الانكار شيأ فأقبل يترفق به ويعده أن يثيبه ويرزقه ويعظم جائزته ويعده بكل جميل على رده والاقرار به ويتوعده بكل مكروه على جحوده وانكاره فلما غاظه ذلك وأنكره ويئس من اقراره أخذ فى عقوبته ومساءلته فضربه بالسوط والقلوس والمقارع والدرة على ظهره وبطنه وقفاه ورأسه وأسفل رجليه وكعابه وعضله حتى لم يكن للضرب فيه موضع وبلغ به ذلك الى حالة لا يعقل فيها ولا ينطق فلم يقر بشئ فبلغ ذلك المعتضد فاحضر صاحب الجيش فقال له ماصنعت فى المال فاخبره الخبر فقال له ويلك تاخذ لصا قد سرق من بيت المال عشر بدر فتبلغ به الموت والتلف حتى يهلك الرجل ويضيع المال فاين حيل الرجال فاتى به وقد حمل فى جل فوضع بين يديه وقد عقل فسأله فانكر فقال له ويلك ان مت لم ينفعك وان برئت من هذا الضرب لم أدعك تصل اليه فلك الامان والضمان على ماتصلح به حالتك ويحمد به أمرك فابى الا الانكار فقال على باهل الطب فاحضروا فقال خذوا هذا الرجل اليكم فعالجوه بارفق العلاج وواظبوا عليه بالمراهم والغذاء والتعاهد واجتهدوا أن تبرؤه فى أسرع وقت فاخذوه اليهم وأخرج

مالامكان المال وأمر بتفريقه على الجند فيقال انه برئ وصلح فى أيام يسيرة ثم واظبوا عليه بالطعام والشراب والوطاء والطيب حتى صح وقوى جسمه وظهر لونه ورجعت اليه نفسه ثم ذكر به فأمر باحضاره فلما حضر بين يديه ساله عن حاله فدعا وشكر وقال أنا بخير ما أبقى الله أمير المؤمنين ثم ساله عن المال فعاد الى الانكار فقال له ويلك لست تخلو من أن تكون أخذته وحدك كله أو وصل اليك بعضه فان كنت أخذته كله فانك تنفقه فى أكل وشرب ولهو ولا أظنك تفنيه قبل موتك وان مت فعليك وزره وان كنت أخذت بعضه سمحنا لك به فاقر على أصحابك فانى أقتلك ان لم تقر ولا ينفعك بقاء المال بعدك ولا يبالى أصحابك بقتلك ومتى أقررت دفعت اليك عشرة آلاف درهم وأخذت لك من أصحاب الجسر مثل ذلك ورسمتك من التوابين وأجريت لك فى كل شهر عشرة دنانير تكفيك لأكلك وشربك وكسوتك وطيبك وتكون عزيزا وتنجو من القتل وتتخلص من الاثم فابى الا الانكار فاستحلفه بالله وأظهر له مصحفا فحلف عليه فقال انى ساظهر على المال فان أنا ظهرت عليه بعد هذه اليمين قتلتك ولم أستبقك فابى الا الانكار فقال له فضع يدك على رأسى واحلف بحياتى فوضع يده على رأسه وحلف بحياته انه ما أخذه وانه مظلوم متهم وان التوابين قد تبرؤا به فقال له المعتضد فان كنت قد كذبت قتلتك وأنا برئ من دمك قال نعم فامر باحضار ثلاثين أسود بحيث يراهم ويرونه وأمرهم أن يتناوبوا فى ملازمته فاتت عليه أيام وهو قاعد لا يتكئ ولا يستلقى ولا يضطجع وكلما خفق خفقة وجئ فكه وقمع رأسه حتى اذا ضعف وقارب التلف أمر باحضاره فاعاد عليه ما كان خاطبه به واستحلفه بالله وبغير ذلك من الأيمان فحلف على ذلك كله وبما لم يستحلفه به انه ما أخذ المال ولا يعرف من أخذه فقال المعتضد لمن حضر قلبى يشهد أنه برئ وأن ما يقول حق وان التوابين قد عرفوا صاحبه وقد أثمنا فى هذا الرجل وساله أن يجعله فى حل ففعل ثم أمر باحضار مائدة عليها طعام واحضر بارد الشراب وأمره بالجلوس والاكل والشرب فاقبل ياكل ويشرب ويحث على الاكل ويلقم ويعاد الشراب عليه ويكرر حتى لم يبق للاكل والشرب موضع ثم أمر ببخور وطيب فبخر وطيب وأتى له بحشية ريش فوطئ له ومهد فلما استلقى واستراح وغفا أمر بازعاجه وسرعة ايقاظه فحمل من موضعه حتى أقعد بين يديه وفى عينيه الوسن فقال له حدثنى كيف صنعت وكيف نقبت ومن أين خرجت والى أين ذهبت بالمال ومن كان معك قال ما كنت الا وحدى وخرجت من النقب الذى دخلت منه وكان مقابل

الدار حمام له كوم شوك يوقد به فاخذت المال ورفعت ذلك الشوك والقماش والقصب فوضعته تحته وغطيته وهو هنالك فامر برده الى فراشه فردوه وأضجعوه عليه ثم أمر باحضار المال فاحضر عن آخره وأحضر مؤنس العجلى وأحضر الوزير والجلساء وقد غطى المال بالبساط ناحية من المجلس ثم أمر بايقاظ اللص وقد اكتفى فى النوم وذهب عنه الوسن فقال له بحضرة الجميع مثل قوله الاول فجحد وأنكر فامر بكشف البساط وقال له ويلك أليس هذا المال أليس فعلت كذا وكذا يصف له ما كان حدثه به ناسقط فى يد اللص ثم أمر فقبض على يديه ورجليه وأوثق ثم أمر بمنفاخ فنفخ فى دبره وأتى بقطن فحشى فى أذنيه وفمه وخيشومه وأقبل ينفخ وخلى عن يديه ورجليه من الوثاق وأمسك بالايدى وقد صار كأعظم ما يكون من الزقاق المنفوخة وقد ورم سائر أعضائه وعظم جسمه وعيناه قد امتلأتا وبرزتا فلما كاد أن ينشق أمر بعض الاطباء فضربه فى عرقين فوق الحاجبين وهما فى الجبين فاقبلت الريح تخرج منهما مع الدم ولها صوت وصفير الى أن خمد وتاف وكان ذلك أعظم منظر رؤى فى ذلك اليوم من العذاب وقيل ان البدر كانت عيناه وأن عددها كان أكثر مما وصفنا (وقد كان ببغداد رجل) يتكلم على الطريق ويقص على الناس باخبار ونوادر ومضاحك ويعرف بابن المغازلى وكان فى نهاية الحذق لا يستطيع من يراه ويسمع كلامه أن لا يضحك قال ابن المغازلى فوقفت يوما فى خلافة المعتضد على باب الخاصة أضحك وأنادر فحضر حلقتى بعض خدمة المعتضد فاخذت فى حكاية الخدم فاعجب الخادم بحكايتى وأشغف بنوادرى ثم انصرف عنى فلم يلبث ان عاد وأخذ بيدى وقال انى لما انصرفت عن حلقتك دخلت فوقفت بين يدى المعتضد أمير المؤمنين فذكرت حكايتك وماجرى من نوادرك فاستضحكت فرآنى أمير المؤمنين فانكر ذلك منى وقال ويلك مالك فقلت ياأمير المؤمنين على الباب رجل يعرف بابن المغازلى يضحك ويحاكى ولا يدع حكاية أعرابى وتركى ومكى ونحوى ونبطى وزنجى وسندى وخادم الاحكاها ويخلط ذلك بنوادر تضحك الثكول وتصبى الحليم وقد أمرنى باحضارك ولى نصف جائزتك فقلت له وقد طمعت فى الجائزة السنية ياسيدى أنا ضعيف وعلى عيلة وقد من الله على بك فاعليك ان أخذت بعضها سدسها أو ربعها فابى الا نصفها فطمعت فى النصف وقنعت به فاخذ بيدى وأدخلنى عليه فسلمت وأحسنت ووقفت فى الموضع الذى أوقفت فيه فرد على السلام وقد كان ينظر فى كتاب فلما نظر فى أكثره أطبقه ثم رفع رأسه الى وقال أنت ابن المغازلى قلت نعم

ياأمير المؤمنين قال قد بلغني انك تحكى وتضحك وانك تاتى بحكايات عجيبة ونوادر ظريفة قلت نعم ياامير المؤمنين الحاجة تفتق الحيلة اجمع بها الناس واتقرب الى قلوبهم بحكايتها التمس برهم واتعيش بما اناله منهم قال فهات ماعندك وخذ فى فنك فان اضحكتنى أجزتك بخمسمائة درهم وان لم أضحك فمالى عليك فقلت للجبن والخذلان مامعى الاقفاى فاصفعه ماأحببت وكم شئت وبما شئت فقال لى قد أنصفت ان أضحكت فلك ماضمنت وان أنالم أضحك صفعتك بهذا الجراب عشر صفعات فقلت فى نفسى ملك لايصفع الابشئ يسير وبشئ خفيف هين ثم التفت واذا أنا بجراب أدم ناعم فى زاوية البيت فقلت فى نفسى ماأخطا حزرى ولاأخاف ظنى وماعسى أن يكون من جراب فيه ريح ان أنا أضحكته ربحت وان أنا لم أضحكه فامر عشر صفعات بجراب منفوخ هين ثم أخذت فى النوادر والحكايات والنفاسة والعبارة فلم أدع حكاية أعرابى ولانحوى ولامخنث ولاقاض ولازطى ولانبطى ولاسندى ولازنجى ولاخادم ولاشطارة ولاعبارة ولانادرة ولاحكاية الاأحضرتها وأتيت بها حتى نفد جميع ماعندى وتصدع رأسى ولم يبق ورائى خادم الاهرب ولاغلام الاذهب لما استفزهم الضحك وورد عليهم من الامر فقلت ياأمير المؤمنين قد نفد والله مامعى وتصدع رأسى وذهب معاشى ومارأيت قط مثلك ومابقيت لى الانادرة واحدة فقال هاتها فقلت ياأمير المؤمنين وعدتنى أن تصفعنى عشرا وجعلتها مكان الجائزة فاسألك أن تضعف الجائزة وتضيف اليها عشرا فاراد أن يضحك فاستمسك ثم قال تفعل ياغلام خذ بيده فاخذ بيدى ومددت قفاى فصفعت بالجراب صفعة فكانما سقط على قفاى قلعة واذا فيه حصى مدور كانه صنجات فصفعت به عشرا كادت أن تنفصل رقبتى وينكسر عنقى وطنت أذناى وقدح الشعاع من عينى فلما استوفيت العشرة صحت ياسيدى نصيحة فرفع الصفع عنى بعد أن عزم لى ايفاء ماكنت سألته من اضعاف جائزتى فقال مانصيحتك قلت ياسيدى انه ليس فى الدنيا أحسن من الامانة ولاأقبح من الخيانة وقد ضمنت للخادم الذى أدخلنى عليك نصف هذه الجائزة على قلتها أوكثرتها وأمير المؤمنين أطال الله بقاءه بفضله وكرمه قد أضعفها فقد استوفيت نصفها وبقى لخادمك نصفها فضحك حتى استلقى واستفزه ماكان قد سمعه منى أولا وتحامل له وصبر عليه فمازال يضرب بيده ويفحص برجله ويمسك بمراق بطنه حتى اذا سكن ضحكه ورجعت اليه نفسه قال على بفلان الخادم فاتى به وكان طوالا فامر بصفعه

فقال يا أمير المؤمنين أي شئ قضيتي وأي جناية جنايتي فقلت له هذه جائزتي وأنت شريكي وقد استوفيت نصفها وبقي نصيبك منها فلما أخذ الصفع وطرق قفاه الصافع أقبلت عليه أقول له أقول لك اني ضعيف معيل وشكوت اليك الحاجة والمسكنة وأقول يا سيدي لا تأخذ نصفها لك سدسها لك ربعها وأنت تقول ما آخذ الا نصفها ولو علمت ان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه جوائزه صفع وهبتها لك كلها فعاد الى الضحك من قولي للخادم وعتابي له فلما استوفى صفعه وسكن امير المؤمنين من ضحكه أخرج من تحت تكائه صرة قد كان أعدها فيها خمسمائة درهم ثم قال له وقد أراد الانصراف قف هذه كنت أعددتها لك فلم يدعك فضولك حتى أحضرت لك شريكا فيها ولعلني كنت أمنعه منها فقلت يا امير المؤمنين وأين الامانة وقبح الخيانة وودت انك كنت تدفعها كلها اليه وتصفعه مع العشرة عشرة اخرى وتدفع له الخمسمائة درهم فقسم الدراهم بيننا وانصرفنا (وفي سنة) اثنتين وثمانين ومائتين كانت وفاة اسمعيل بن اسحق القاضي والحرث بن ابي اسامة وبلال بن العلاء الرقي (وفي سنة) ثلاث وثمانين ومائتين نزل المعتضد تكريت وسار الحسن بن حمدان في الاولياء لحرب هرون الشاري فكانت بينهم حرب عظيمة كانت للحسن بن حمدان عليه فأتى به المعتضد اسيرا بغير أمان ومعه أخوه فدخل المعتضد بغداد وقد نصبت له القباب وزينت له الطرقات وعبى المعتضد بالله جيوشه بباب الشماسية أحسن ما يكون من التعبية وأكمل هيئة فاشتقوا بغداد الى القصر المعروف بالحسني ثم خلع المعتضد على الحسن بن حمدان خلعا شرفه بها وطوقه بطوق من ذهب وخلع على جماعة من فرسانه ورؤساء أصحابه وأهله وشهرهم في الناس كرامة لما كان من فعلهم وحسن بلائهم ثم أمر بالشاري فاركب فيلا وعليه دراعة ديباج وعلى رأسه برنس خز طويل وخلفه اخوه على جمل فالج وهو ذو السنامين وعليه دراعة ديباج وبرنس خز وسيرهم في أثر الحسن بن حمدان واصحابه ثم دخل المعتضد في أثره عليه قباء أسود وقلنسوة محدودة على فرس ضاف عن يساره أخوه عبد الله بن الموفق وخلفه بدر غلامه وابو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيره وابنه القاسم بن عبد الله فاكثر الناس الدعاء له وتكاثف الناس في منصرفهم من الجانب الشرقي الى الغربي فانخسف بهم كرسي الجسر الاعلى وسقط على زورق مملوء ناسا فغرق في هذا اليوم نحو من ألف نفس ممن عرف دون من لم يعرف واستخرج الناس من دجلة بالكلاليب والغاصة وارتفع الضجيج وكثر الصراخ من الجانبين جميعا فبينما

الناس كذلك اذا خرج بعض الغاصة صبيا عليه حلي فاخرة من ذهب وجوهر فبصر به شيخ من النظارة طرار فجعل يلطم وجهه حتى دمي انفه ثم تمرغ في التراب واظهر انه ابنه وجعل يقول ياسيدي لم تمت اذا خرجوك صحيحا سويا الميا كالك السمك ولم تمت حبيبي اذ كحلت عيني بك مرة قبل الموت واخذه فحمله على حمار ثم مضى به فما برح القوم الذين راوا من الشيخ ماراوا حتى اقبل رجل معروف باليسار مشهور من التجار حين بلغه الخبر وهو لا يشك الا ان الصبي في ايديهم وليس معه ما كان عليه من حلي وثياب وانما اراد ان يكفنه ويصلي عليه ويدفنه فخبره الناس بالخبر فبقي هو ومن معه من التجار متعجبين مبهوتين وسالوا عنه واستبحثوا افاذا لا عين ولا اثر وعرف توابو هذا الجسر هذا الشيخ المحتال فايسوا الا الغريق منه وذكروا انه شيخ قد اعياهم امره وحيرهم كيده وانه بلغ من حيله وخبثه ودهائه انه اتى يوما من اول الصباح الى باب بعض العدول الكبار المشهورين باليسار ياسة واليسار ومعه جرة فارغة على عاتقه وفاس وزنبيل فقام في ثوب خلق ولم يتكلم حتى وضع الفاس في الدكاكين التي على باب ذلك العدل فهدمها وجعل ينقي الآجر ويعزله فسمع ذلك العدل بهدمها ووقع الفاس والهدم فخرج لينظر فاذا الشيخ دائب يهدم دكاكينه التي على باب داره فقال ياعبد الله اي شيء تصنع ومن أمرك بهذا فجعل الشيخ يعمل عمله ولا يلتفت الى العدل ولا يكلمه فاجتمع الجيران وهما في المحاورة فاخذوا بيد الشيخ فوكزه هذا ودفعه هذا فالتفت اليهم فقال ويلكم أي شيء تريدون مني أما تستحيون تعبثون بي وأنا شيخ كبير فقالوا مالنا والعبث بك ويحك من أمرك بهذا قال ويحكم أمرني صاحب الدار فقالوا هذا صاحب الدار يكلمك قال لا والله ماهو هذا فلما سمعوا كلامه وغفلته رحموه وقالوا هذا مجنون أو مخدوع خدعه بعض جيران هذا العدل ممن قد حسده على ما انعم الله تعالى به عليه وهم الذين حملوا هذا الشيخ على هذا الفعل فلما منعوه من الهدم مضى الى الجرة التي جاء بها وقد كان وضعها الى جانب الباب فأدخل يده فيها كأنه قد خبا ثيابه فيها فصرخ وبكى فلم يشك العدل أن محتالا خدعه وأخذ ثيابه فقال وأي شيء ذهب لك قال قميص جديد اشتريته أمس وملحفة لبيتي وسراويل ففرقوا له جميعا ودعاه العدل فكساه ووهب له دراهم كثيرة ووهب له الجيران دراهم كثيرة وانصرف غانما وهذا الشيخ كان يعرف بالعقاب ويكنى بابي الباز وله أخبار عجيبة وحيل وهو الذي احتال للمتوكل حين بايعه بختيشوع الطبيب أنه ان سرق من داره شيا يعرفه في

ثلاث ليال ذكرت من ذلك الشهر فعليه ان يحمل الى خزانة أمير المؤمنين عشرة آلاف دينار وان خرجت هذه الليالى ولم يتم عليه ماذكرناه فله الضيعة المعين ذكرها فى المبايعة فاتى بهذا الشيخ فى عنفوان شبابه الى المتوكل فضمن للمتوكل أن يأخذ من دار بختيشوع شيأ لا ينكره وقد كان بختيشوع حرس داره وحصنها فى هذه الليالى فاحتال هذا الشيخ المعروف بالعقاب بحيل لطيفة الى ان سرق بختيشوع وجعله فى صندوق وأتى به المتوكل فى خبر ظريف وانه رسول لعيسى بن مريم نزل الى بختيشوع بشمع أسرجه وتخليط عمله وبنج فى طعام اتخذه وأطعمه الحراس لداره فى تلك الليلة وقد ذكرنا ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وهذا الشيخ قد برز فى مكايده وما اورده من حيله على دالة المحتالة وغيرها من سائر المكارين والمحتالين ممن سلف وخلف منهم (ولطلاب صنعة الكيمياء) من الذهب والفضة وانواع الجوهر من اللؤلؤ وغيره وصنعة انواع الاكسيرات من الاكسير المعروف بالفرار وغيره واقامة الزئبق وصنعته فضة وغير ذلك ممن خدعهم وحيلهم فى القرع والمغناطيس والتقطير والتكليس والبوادق والحطب والفحم والمنافخ اخبار عجيبة وحيل قد اتينا على ذكرها ووجوه الخدع فيها وكيفية الاحتيال بها فى كتابنا اخبار الزمان وماذكروه فى ذلك من الاشعار وماعزوه الى من سلف من اليونانيين والروم مثل قلوبطرة الملكة ومارية وماذكره خالد بن يزيد بن معاوية فى ذلك وهو عند اهل الصنعة من المتقدمين فيهم فى شعره الذى يقول فيه

خذ الطلق مع الاشق ... ومايوجد فى الطرق
وشيا يشبه البرقا ... فدبره بلا حرق
فان احببت مولاكا ... فقد سودت فى الخلق

(وقد صنف) يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندى رسالة فى ذلك وجعلها مقالتين يذكر فيها تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع اهل هذه الصناعة وحيلهم وترجم الرسالة بابطال دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة من غير معادنهما وقد نقض هذه الرسالة على الكندى ابو بكر محمد بن زكريا الرازى الفيلسوف صاحب الكتاب المنصورى فى صناعة الطب الذى هو عشر مقالات وارى القول ان ماذكره الكندى فسد وان ذلك قد يتاتى فعله ولابى بكر بن زكريا فى هذا المعنى كتب قد صنفها وافرد كل واحد منها بنوع من الكلام فى هذه الصنعة فى الاحجار

المعدنية وغير ذلك من كيفية الاعمال وهذا باب قد تنازع الناس فيه من فعل قارون وغيره ونحن نعوذ بالله من التهوس فيما يخسف الدماغ ويذهب بنور الابصار ويكسف الالوان من بخار التصعيدات ورائحة الزاجات وغيرها من الجمادات (وفى سنة) ثلاث وثمانين ومائتين كان الفداء بالاسر بين المسلمين والروم فى شعبان وكان بدؤه يوم الثلاثاء وفيه كان مسير جيش بن خمارويه بن احمد بن طولون من الشام الى مصر فى جيوشه لخالفه طغج بدمشق بعد ذلك (وفيها) خرج عن جيش بن خمارويه خاقان المفلحى وبندفة بن كسجور وبن كنداح فساروا الى وادى القرى ودخلوا مدينة السلام فخلع عليهم المعتضد (وفيها) كان الشغب بمصر وقتل احمد الماوردى بن محمد بن على المارداني المقبوض عليه فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بمصر وقبض على جيش بن خمارويه ونصب اخوه هرون بن خمارويه بمكانه وكانوا اقد نقموا على جيش تقدمه لغلامه نحجح المعروف بالطولونى واخيه سلامة المعروف بالمؤتمن وقد كان أخوه سلامة هذا بعد ذلك صحب جماعة من الخلفاء منهم القاهر والراضى وأراه مع المتقى فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة (وفى سنة) ثلاث وثمانين ومائتين كانت وفاة أبى عمرو مقدام بن عمرو الرعينى بمصر ليومين بقيا من شهر رمضان وكان من جلة الفقهاء ومن كبار أصحاب مالك (وفيها) ولى المعتضد يوسف بن يعقوب القضاء بمدينة السلام وخلع عليه وانتدبه للجانب الشرقى (وفى هذه السنة) وهى سنة ثلاث وثمانين ومائتين قبض المعتضد على احمد بن الطيب بن مروان السرخسى صاحب يعقوب بن اسحق الكندى وسلمه الى بدر غلامه ووجه الى داره من قبض على جميع ماله وقررجواريه على المال حتى استخرجوه فكان جملة ماحصل من العين والورق وثمن الآلات خمسين ومائة ألف دينار وكان ابن الطيب قد ولى الحسبة ببغداد وكان موضعه من الفلسفة لا يجهل وله مصنفات حسان فى انواع من الفلسفة وفنون من الاخبار (وقد تنازع الناس) فى كيفية قتله والسبب الذى من أجله كان قتل المعتضد اياه وقد أتينا على ماقيل فى ذلك فى كتابنا المترجم بالاوسط فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الكتاب (وفيها) ورد الخبر بقتل عمرو بن الليث ورافع ابن هرثمة (وفى سنة) أربع وثمانين ومائتين أدخل الى بغداد رأس رافع بن هرثمة ثم صلب ساعة من نهار ثم رد الى دار السلطان (وفى هذه السنة) كان لاهل بغداد ثورة مع السلطان لصياحهم بالخدم السودان ياعقيق صب ماء واطرح دقيق ياعاق ياطويل الساق

وذلك أن الخدم في دار السلطان منهم اجتمعوا فكاموا المعتضد بما يلحقهم في الازقة والشوارع والدروب وسائر الطرق من الصغير والكبير من العوام فأمر المعتضد بجماعة من العامة فضربوا بالسياط فتشعب العامة لذلك (وفي هذه السنة) ظهر للمعتضد شخص في صور مختلفة في داره فكان تارة يظهر في صورة راهب ذي لحية بيضاء وعليه لباس الرهبان وتارة يظهر شابا حسن الوجه ذا لحية سوداء بغير تلك البزة وتارة يظهر شيخا أبيض اللحية ببزة التجار وتارة يظهر بيده سيف مسلول وضرب بعض الخدم فقتله فكانت الابواب تؤخذ وتغلق فيظهر له أين كان في بيت أو صحن أو غيره وكان يظهر له في أعلى الدار التى بناها فاكثر الناس القول في ذلك واستفاض الامر واشتهر في خواص الناس وعوامهم وسارت به الركبان وانتشرت به الاخبار والقول في ذلك على حسب ما كان يقع لكل واحد منهم فمن قائل ان شيطانا مريدا اصمد له يظهر فيؤذيه ومنهم من يقول ان بعض مؤمنى الجن رأى ماهو عليه من المنكر وسفك الدماء فظهر له رادعا وعن المنكر زاجرا ومنهم من رأى أن ذلك بعض خدمه كان قد هوى بعض جواريه فاحتال بحيلة فلسفية من بعض العقاقير الخاصة فيضعها في فمه فلا يدرك بحاسة البصر وكل ذلك ظن وحسبان فاحضر المعتضد المعزمين واشتد قلقه واستوحش وحار عليه أمره فقتل وغرق جماعة من خدمه وجواريه وضرب وحبس جماعة منهم وقد أتينا على الخبر في ذلك وما حكى عن افلاطون في هذا المعنى وعلى خبر سعب أم المقتدر بالله والسبب الذى من أجله حبسها المعتضد واراد قطع أنفها والتشويه بها في كتابنا أخبار الزمان (وفي هذه السنة) ورد الخبر بقتل أبي الليث الحرث بن عبد العزيز بن أبي دلف بسيفه لنفسه في الحرب وذلك أن سيفه كان على عاتقه مشهرا فكبا به فرسه فذبحه سيفه فاخذ عيسى النوشرى رأسه وأنفذ الى بغداد (وفي سنة) خمس وثمانين ومائتين وقع صالح بن مدرك الطائى في نبهان وسنبس وغيرهم من طيء بالحاج وعلى الحاج يحيي الكبير وكانت ليحيي مع صالح ومن معه من الطالبيين حرب عظيمة في الموضع المعروف بقاع الاجفر وتشوش الحاج وأخذهم السيف فمات عطشا وقتلا خلائق من الحاج وأصاب يحيي ضربات كثيرة وكانت العرب ترتجز في ذلك اليوم وتقول

ماان رأى الناس كيوم الاجفر   الناس صرعى والقبور تحفر

وأخذ من الناس نحو من ألفي ألف دينار (وفي هذه السنة) وهي سنة خمس وثمانين ومائتين

كانت وفاة أبى اسحق ابراهيم بن محمد الفقيه المحدث فى الجانب الغربى وله خمس وثمانون سنة وكانت يوم الاثنين لسبع بقين من ذى الحجة ودفن مما يلى باب الانبار وشارع الكبش والاسد وكان صدوقا عالما فصيحا جوادا عفيفا وكان زاهدا عابدا ناسكا وكان مع ما وصفنا من زهده وعبادته ضاحك السن ظريف الطبع سلس القياد ولم يكن معه تجبر ولا تكبر وربما مزح مع أصدقائه بما استحسن منه ويستقبح مع غيره وكان شيخ البغداديين فى وقته وظريفهم وناسكهم وزاهدهم ومسندهم فى الحديث وكان يتفقه لاهل العراق وكان له مجلس يوم الجمعة فى المسجد الجامع الغربى (وأخبرنا) أبو اسحق ابن جابر قال كنت أجلس يوم الجمعة فى حلقة ابراهيم الحربى وكان يجلس الينا غلامان فى نهاية الحسن والجمال من الصورة والبزة من أبناء التجار من الكرخيين وبينهما واحدة كانهما روحان فى جسد ان قاما قاما معا وان قعدا قعدا معا فلما كان فى بعض الجمع حضر أحدهما وقد بان الاصفرار بوجهه والانكسار فى عينيه فتوسمت أن غيبة الآخر لعلة قد لحق الحاضر من أجل ذلك الانكسار فلما كان الجمعة الثانية حضر الغائب ولم يحضر الذى كان فى الجمعة الاولى منهما وان الصفرة والانكسار أبين فى لونه ونشاطه فعلمت أن ذلك للفراق بينهما ولاجل الالفة الجامعة لهما فلم يزالا يتسابقان فى كل جمعة الى الحلقة فايهما سبق صاحبه الى الحلقة لم يجلس الآخر فصح عندى ما كان تقدم فى نفسى جواز كونه فلما كان فى بعض الجمع حضر أحدهما فجلس الينا وجاء الآخر فاشرف على الحلقة فاذا صاحبه قد سبق واذا المسبوق المطلع على الحلقة قد خنقته العبرة فتبينت ذلك فى حماليق عينيه واذا فى يسراه رقاع صغار مكتوبة فقبض بيمينه رقعة من تلك الرقاع وحذف بها فى وسط الحلقة وانساب بين الناس مارا مستحيا وأنا أرمقه ببصرى وكذلك جماعة ممن كان جالسا فى الحلقة وكان الى جانبى على اليمين أبو عبد الله على بن الحسين بن جوية وذلك فى عنفوان الشباب وأوان الحداثة فوقعت الرقعة بين يدى ابراهيم الحربى فقبض عليها ونشرها وقرأها وكان من شانه فعل ذلك اذا وقعت فى يده رقعة فيها دعاء أن يدعو لصاحبها مريضا كان أو غير ذلك ويؤمن على دعائه من حضر فلما اقرأ الرقعة أقبل يتامل ما فيها تأملا شافيا الا انه رأى ملقيها ثم قال اللهم اجمع بينهما وألف بين قلوبهما واجعل ذلك مما يقرب منك ويزلف لديك وأمنوا على دعائه كما جرت العادة منهم بفعله ثم أدرج الرقعة بسبابته وابهامه وحذفنى بها فتاملت ما فيها وقد كنت مستطلعا نحوها لتبين الملقى لها فاذا فيها مكتوب

عفا الله عن عبد أعان بدعوة ... لخلين كانا دائمين على الود
الى أن وشى واشى الهوى بنميمة ... الى ذاك من هذا فحالا عن العهد

فكانت الرقعة معى فلما كانت الجمعة الثانية حضرا معا واذا الاصفرار والانكسار قد زال فقلت لابى جويرية انى لارى الدعوة قد سبقت لهما بالاجابة من الله تعالى وان دعاء الشيخ كان على التمام ان شاء الله تعالى فلما كان فى تلك السنة كنت ممن حج فكانى أنظر اليهما بين منى وعرفات محرمين جميعا فلم أزل اراهما متالفين الى أن كهلا وأرى أنهما فى صف اصحاب الديباج فى الكرخ أو غيره من الصفوف (قال المسعودى) وهذا الخبر سمعته من ابراهيم بن جابر القاضى قبل ولايته القضاء وهو يومئذ ببغداد يعالج الفقر ويتلقاه من خالقه بالرضا ناصرا للفقر على الغنى فامضت ايام حتى لقيته بحلب من بلاد قنسرين والعواصم من أرض الشام وذلك فى سنة تسع وثلثمائة واذا هو بالضد عما عهدته متوليا القضاء على ما وصفنا ناصرا ومشرفا للغنى على الفقر فقلت له ايها القاضى تلك الحكاية التى كنت تحكيها عن الوالى الذى كان بالرى وانه قال لك ان الخواطر اعترضتنى بين منازل الفقراء والاغنياء فرأيت فى النوم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال لى يا فلان ما احسن تواضع الاغنياء للفقراء شكرا لله تعالى واحسن من ذلك تعزز الفقراء على الاغنياء ثقة بالله تعالى فقال لى ان الخلق تحت التدبير لا ينفكون من احكامه فى جميع متصرفاتهم وكنت كثيرا ما اسمعه فيما وصفنا من حال فقره يذم ذوى الحرص على الدنيا ويذكر فى ذلك خبرا عن على كرم الله وجهه وهو أن عليا عليه السلام كان يقول ابن آدم لا تتحمل هم يومك الذى لم يات على يومك الذى أنت فيه فانه ان يكن من أجلك يات الله فيه برزقك واعلم أنك لن تكتسب شيئا فوق قوتك الا كنت خازنا فيه لغيرك فركب بعد ذلك الهماليج من الخيل (ولقد أخبرت) انه قطع لزوجته أربعين ثوبا تستريا وقصبا وأشباه ذلك من الثياب على مقراض واحد وخلف مالا عظيما لغيره (وفى هذه) السنة وهى سنة خمس وثمانين ومائتين كانت وفاة أبى العباس محمد بن يزيد النحوى المعروف بالمبرد ليلة الاثنين لليلتين بقيتا من ذى الحجة وله تسع وسبعون سنة ودفن بمقابر باب الكوفة من الجانب الغربى بمدينة السلام (وفى سنة) ست وثمانين ومائتين مات محمد بن يونس الكوفى المحدث ويكنى بابى العباس يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة وله مائة سنة وست سنين ودفن بمقابر الكوفة من الجانب الغربى وكان عالى الاسناد (وفى هذه السنة) كان الفزع من أبى سعيد

الجبائي بالبصرة ومن معه بالبحرين خوفا من أن يكسبها وكتب الواثقي وهو أحمد بن محمد وكان على حربها الى المعتضد بذلك فاطلق لسورها أربعة عشر ألف دينار فبنيت وحصنت (وفى هذه السنة) ظفر أبو الاغر خليفة بن المبارك السلمى بصالح بن مدرك الطائى بناحية فيد مكرا فى ذهابهم الى مكة وقد كانت الاعراب جمعت لابى الاغر ليستنقذوا صالحا من يده فواقعهم وقتل رئيسهم جحش بن ديال وجماعة معه وأخذ رأسه فلما علم صالح بن مدرك بقتل جحش بن ديال يئس من الخلاص من يد ابى الاغر فلما نزل المنزل المعروف بمنزلة القرشى أتاهم غلام بطعام فاستلب منه سكينا وقتل نفسه فاخذ أبو الاغر رأسه وأظهره بالمدينة فتباشر الحاج وكانت لابى الاغر فى رجوعه وقعة عظيمة اجتمع هو ونحرير وغيرهما من أمراء قوافل الحاج مع الاعراب وكانت الاعراب قد اجتمعت وتحشدت من طيء وأحلافها فكانت رجالتها نحوا من ثلاثة آلاف راجل والخيل نحوا من ذلك فكانت الحرب بينهم ثلاثا وذلك بين معدان القرشى والحاجز ثم انهزمت الاعراب وسلم الناس وكان ممن تولى مع أبى الاغر الحيلة على صالح بن مدرك سعيد بن عبد الاعلى (ودخل) أبو الاغر مدينة السلام وقدامه رأس صالح وجحش ورأس غلام لصالح أسود وأربعة أسارى وهم بنو عم صالح بن مدرك فخلع السلطان فى ذلك اليوم على أبى الاغر وطوقه بطوق من ذهب ونصب الرؤوس على الجسر من الجانب الغربى وادخل الاسارى المطبق (وفى هذه) السنة مات اسحق ابن أيوب العبدى وكان على حرب ديار ربيعة (وفيها) شخص العباس بن عمرو الغنوى الى البصرة لحرب القرامطة بالبحرين (وفى هذه السنة) كانت الحرب بين اسمعيل ابن احمد وعمرو بن الليث صاحب بلخ فاسر عمرو وقد أتينا على كيفية أسره فى الكتاب الاوسط (وفى سنة) سبع وثمانين ومائتين كان خروج العباس بن عمرو من البصرة فى جيش عظيم ومعه خلق من المطوعة نحو هجر فالتقى هو وأبو سعيد الجبائى فكانت بينهم وقائع انهزم فيها أصحاب العباس وأسر وقتل من أصحابه نحو سبعمائة صبرا ودون من هلك من الرمل والعطش فاحرقت الشمس أجسادهم ثم ان اباسعيد من على العباس بن عمرو وبعد ذلك فاطلقه فصار الى المعتضد فخلع عليه وبعد هذه الوقعة افتتح أبو سعيد مدينة هجر بعد حصار طويل وقد اتينا على مبسوط هذه الحروب والسبب الذى كان من اجله تخلية ابى سعيد العباس بن عمرو الغنوى مع من بالبحرين من قومه وعصبتهم له (وفى هذه السنة) وهى سنة سبع وثمانين ومائتين كان مسير الداعى العلوى من

طبرستان الى بلد جرجان فى جيوش كثيرة من الديلم وغيرهم فلقيته جيوش المسودة من قبل اسمعيل بن أحمد وعليها محمد بن هرون فكانت وقعة لم ير مثلها فى ذلك العصر وصبر الفريقان جميعا وكانت للمبيضة على المسودة ثم كانت مكيدة من محمد بن هرون لما رأى من ثبوت الديلم على مصافها فلم ينتقض صفوفه وولى فاسرعت الديلم ونقضت صفوفها فرجعت عليهم المسودة وأخذهم السيف فقتل منهم بشر كثير وأصاب الداعى ضربات وذلك أن أصحابه لما نقضوا اصفوفهم فى الغنيمة ولم يعرجوا عليه ثبت مع من وقف لنصره فكرت عليهم الجيوش فاسفرت الحرب وقد أثخن بالكلوم وأسر ولده زيد بن محمد بن زيد وغيره وبقى محمد الداعى أياما يسيرة وتوفى لما ناله فدفن بباب جرجان وقبره هنالك معظم الى هذه الغاية (وقد أتينا) على خبره بطبرستان وغيرها وما كان من سيرته وخبر بكر بن عبد العزيز بن أبى دلف حين دخل اليه مستامنا فى كتابنا أخبار الزمان وكذلك ذكرنا خبر يحيي بن الحسين الحسنى الرسى باليمن وتظافره هو وأبو سعد بن يعفر على ما كان من حروبهم باليمن مع القرامطة وما كان من أمرهم مع على بن الفضل صاحب المذيخرة وما كان من قصته وخبر وفاته وقصة شيخ لاعة صاحب قلعة نحل وخبر ولده الى هذا الوقت بها وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ونزول يحيي بن الحسين الرسى مدينة صعدة من بلاد اليمن وخبر ولده ابى القاسم وخبر ولد ولده الى هذه الغاية وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا منبهين على ما قدمنا من تصنيفنا مما بسطناه من أخبار من ذكرناه وشرحنا من قصصهم وسيرهم وما كان منهم (وفى هذه السنة) وهى سنة ثمان وثمانين ومائتين كان دخول المعتضد الى الثغر الشامى فى طلب وصيف الخادم وراسله مع رشيق المعروف بالخزامى واستأمن الى المعتضد وصيف اليشكرى وغيره من القواد قواد الخادم وأصحابه وقد كان وصيف الخادم لما أخذ الاكثر من اصحابه اراد الدخول الى أرض الروم والتعلق بالدروب وقد كان المعتضد أسرع فى السير من بغداد وستر أخباره ولم يعلم بذلك وصيف مع شدة حذره وتفقده لامره حتى عبر المعتضد الفرات وسار الى الشأم فلم يفلح جسد المعتضد لذلك لما أتعب نفسه فى سرعة السير وقد كان المعتضد لما توسط الثغر الشامى خلف سواده بالكنيسة السوداء وجرد القواد فى طلب وصيف فساروا فى طلبه خمسة عشر ميلا الى ان أدركه أوائل الخيل وفيهم خاقان المفلحى ووصيف موشكير وعلى كوزه وغيرهم

من القواد فقاتلهم وصيف وذلك فى الموضع المعروف بدرب الحب فلما أشرف المعتضد ووصيف قد خذله أصحابه وتفرق عنه جمعه أسر وأتى به المعتضد فسلمه الى مؤنس العجلى وأمن جميع أصحابه الا نفرا انضافوا اليه من الثغر الشامى وغيره وأحرق المعتضد المراكب الحربية وحمل من طرسوس أباسحق امام الجامع وأباعمير عدى ابن أحمد بن عبد الباقى صاحب مدينة اذنة من الثغر الشامى وغيرهم من البحريين مثل اسمعيل وابنه وكان دخول المعتضد الى مدينة السلام فى الماء لسبع خلون من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين ودخل جعفر بن المعتضد وهو المقتدر و بدر الكبير وسائر الجيش على الظهر وقد زينت الطرق و بين ايديهم وصيف الخادم على جمل فالج وعليه دراعة ديباج و برنس وخلفه على جمل آخر البغيل وخلف البغيل ابنه على جمل آخر وخلف ابن البغيل على جمل آخر رجل من أهل الشأم يعرف بابن المهندس وقد لبسوا الدراريع من الحرير الاحمر والاصفر وعلى رؤوسهم البرانس وطوق وسور خاقان المفلحى وغيره من القواد ممن أبلى فى ذلك اليوم الذى كان فيه اسر وصيف الخادم وقد كان المعتضد اراد استحياء وصيف وأسف على موت مثله لشهامته وشجاعته وحسن حيله واقدامه ثم قال ليس فى طبع هذا الخادم أن يرأسه أحد بل فى طبعه ان يرؤس فى نفسه وقد كان بعث اليه بعد أن قبض عليه واوثق بالحديد هل لك من شهوة قال نعم باقة من الريحان أشمها وكتب من سير الملوك الغابرة أنظر فيها فلما رجع الرسول الى المعتضد واخبر أنه يديم النظر فى سير الملوك وحروبها ومحنها دون سائر ما حمل الى حضرته من الدفاتر فتعجب المعتضد وقال هو يهون على نفسه الموت (وفى هذه السنة) كانت وفاة ابى عبيد الله محمد بن ابى الساج باذربيجان واختلفت كلمة أصحابه وغلمانه بعده فمنهم من انحاز الى أخيه يوسف بن ابى الساج ومنهم من انحاز الى ولده بودار (وفى هذه السنة) أدخل عمرو بن الليث الى مدينة السلام فى جمادى الاولى قدم به عبد الله بن الفتح رسول السلطان فشهر عمرو واركب على جمل فالج وقد ألبس دراعة ديباج وخلفه بدر والوزير القاسم بن عبيد الله فى الجيش فاتوا به الثريا فرآه المعتضد ثم أدخل المطامير وقد كان فى هذا الوقت سارت عساكر الشاكرية من قبل طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث غضبا لجده عمرو ولحقته ببلاد الاهواز وخرجت عن حدود فارس واضطرب الامر وبعث المعتضد بعبد الله بن الفتح واشناس الى اسمعيل بن أحمد بهدايا منها مائة بدلة ديباج منسوجة بالذهب

مرصعة بالجوهر ومنطقة ذهب مرصعة بالجوهر وغير ذلك من الجواهر وثلثمائة ألف دينار ليفرقها فى أصحابه ويبعثهم الى بلاد سجستان الى حرب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث وأمر عبدالله بن الفتح ان يحمل فى طريقه من خراج ما يجتاز به من بلاد الجبل عشرة آلاف ألف درهم ويضيفها الى الثلثمائة ألف دينار وسار بدر غلام المعتضد بالله فى عساكره الى بلاد فارس من هذه السنة فنزل شيراز وانكشف عن البلد اليشكرية (وفى أول يوم) من المحرم وهو يوم الثلاثاء من سنة تسع وثمانين ومائتين توفى وصيف الخادم فاخرج وصلب على الجسر بدنا بلا راس وقد كان الخدم سألوا المعتضد أن يستروا عورته فاباح لهم ذلك فالبس ثيابا ولف عليه ثوب جديد وخيط على مكان الثياب من سرته الى الركبتين وطلى بدنه بالصبر وغيره من الاطلية القابضة والماسكة لاجزاء جسمه فاقام مصلوبا على الجسر لا يبلى الى سنة ثلثمائة فى خلافة المقتدر بالله (وفى هذه السنة) تشعب الجند والعامة فعمدت العامة اليه تماجنا وحطوه من فوق الخشبة وقالوا قد وجب علينا حق الاستاذ أبى على وصيف الخادم لطول مجاورته لنا وصبره علينا الا يبلى على هذه الخشبة فلفوه فى رداء بعضهم وحملوه على أكتافهم وهم نحو من مائة ألف من الناس يرقصون ويغنون ويصيحون حوله الاستاذ الاستاذ فلما ضجروا من ذلك طرحوه فى دجلة وذلك أنهم شيعوه فى الماء سباحة فغرق منهم فى جرية الماء خلق كثير (وفى هذه السنة) أتى بجماعة من القرامطة من ناحية الكوفة منهم المعروف بابى الفوارس وبعد أن قطعت يداه ورجلاه صلب الى جانب وصيف الخادم ثم حول الى ناحية الكناس مما يلى الناشرية من الجانب الغربى فصلب مع قرامطة هناك (وقد كان لاهل بغداد) فى قتل أبى الفوارس هذا أراجيف كثيرة وذلك أنه لما قدم ليضرب عنقه أشاعت العامة أنه قال لمن حضر قتله من العوام هذه عمامتى تكون قبلك فانى راجع بعد أربعين يوما فكان يجتمع فى كل يوم خلائق من العوام تحت خشبته ويحصون الايام ويقتتلون ويتناظرون فى الطرق فى ذلك فلما تمت الاربعون ليلة وقد كان كثر لغطهم واجتمعوا فكان بعضهم يقول هذا جسده ويقول آخر قد مروا أعا السلطان قتل رجلا آخر وصلبه موضعه لكى لا يفتتن الناس فكثر تنازع الناس فى ذلك حتى نودى بتفريقهم فترك التنازع والخوض فيه (وكان وردمال) من محمد بن زيد من بلاد طبرستان ليفرق فى آل ابى طالب سرا فغمز بذلك

الى المعتضد فاحضر الرجل الذى كان يحمل المال اليهم فانكر عليه اخفاء ذلك وأمره باظهاره وقرب آل أبى طالب وكان السبب فى ذلك قرب النسب ولما أخبرنا به أبو الحسن محمد بن على الوراق الانطاكى الفقيه المعروف بابن الغنوى بانطاكية قال أخبرنى محمد ابن يحيي بن أبى عباد الجليس قال رأى المعتضد بالله وهو فى سجن أبيه كان شيخا جالسا على دجلة يمد يده الى ماء دجلة فيصير فى يده وتجف دجلة ثم يرده من يده فتعود دجلة كما كانت قال فسألت عنه فقيل لى هذا على بن أبى طالب عليه السلام قال فقمت اليه وسلمت عليه فقال يا أحمد ان هذا الامر صائر اليك فلا تتعرض لولدى ولا تؤذهم فقلت السمع والطاعة يا أمير المؤمنين وعم الناس تاخر الخراج عنهم وكان انعام المعتضد عليهم فقالت الشعراء فى ذلك واكثرت ووصفت فى أشعارها ذلك واطنبت فاحسن يحيي ابن على المنجم فقال

يا محيي الشرف اللباب ومجدد الملك الخراب
ومعيد ركن الدين فيـ ـنا ثابتا بعد اضطراب
فت الملوك مبرزا فوت المبرز فى الحلاب
أسعد بنيروز جمعـ ـت الشكر فيه الى الثواب
قدمت فى تاخير ما قد قدموه الى الصواب

وقوله

يوم فيروزك يوم واحد لا يتأخر من حزيران يوافى ابدا فى أحد عشر

(وكان) وصول قطر الندا بنت خمارويه الى مدينة السلام مع ابن الجصاص فى ذى الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين ففى ذلك يقول على بن العباس الرومى

ياسيد العرب الذى زفت له باليمن والبركات سيدة العجم
اسعد بها كسعودها بك انها ظفرت بما فوق المطالب والهمم
ظفرت بملأى فاظريها بهجة وضميرها نبلا وكفيها كرم
شمس الضحى زفت الى بدر الدجى فتكشفت بهما عن الدنيا ظلم

(ولما أدخل) عمرو بن الليث الى مدينة السلام من المصلى العتيق رافعا يديه يدعو وهو على جمل فالج وهو ذو السنامين وكان انفذه الى المعتضد فى هدايا تقدمت له قبل أسره فقال فى ذلك الحسن بن محمد بن مهر

ألم تر هذا الدهر كيف صروفه يكون عسيرا مرة ويسيرا

وحسبك بالصفار فبلاوعزة   يروح ويغدو فى الجيوش أميرا
حباهم جمال ولم يدر انه   على جمل منها يقاد اسيرا

وفى ذلك يقول محمد بن بسام

ايها المغتر بالدنـ   ـيا اما ابصرت عمرا
مقبلا قد أركب الفا   لج بعد الملك قسرا
وعليه برنس السخـ   ـطة اذلالا وقهرا
رافعا كفيه يدعو الله   اسرارا وجهرا
أن ينجيه من القتـ   ـل وأن يعمل صفرا

ولما قتل محمد بن هرون لمحمد بن زيد العلوى أظهر المعتضد لذلك النكير والحزن تاسفا على قتله (وكانت) وفاة نصر بن أحمد صاحب ماوراء النهر ببلخ فى أيام المعتضد وذلك فى سنة تسع وثمانين ومائتين وصار الامر الى أخيه اسمعيل بن أحمد (وكانت) وفاة أحمد بن أبى طاهر الكاتب صاحب كتاب أخبار بغداد سنة ثمانين ومائتين (وفيها كانت) وفاة أحمد بن محمد القاضى الذى يحدث (وفى سنة) احدى وثمانين ومائتين كانت وفاة أبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا القرشى مؤدب المكتفى بالله فى المحرم وهو صاحب الكتب المصنفة فى الزهد وغيره (وفى سنة) اثنتين كانت وفاة أبى سهل محمد بن أحمد الرازى المحدث وانما نذكر وفاة هؤلاء لدخولهم فى التاريخ وحمل الناس العلم عنهم من الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكانت) وفاة عبيد الله بن شريك المحدث فى سنة خمس وثمانين ومائتين ببغداد (وفيها) وفاة بكر بن عبد العزيز بن أبى دلف بطبرستان (وفيها) مات محمد بن الحسين بن الجنيد (وفى سنة) ثمان وثمانين ومائتين مات أبو على بشر بن عميرة الاسدى وله نيف وتسعون سنة وقبض ولده وهو ابن تسع وتسعين سنة وفيها مات أبو المثنى معاذ بن المثنى بن معاذ العبدى فى أيام المعتضد (قال المسعودى) وقد ذكرنا من اشتهر من الفقهاء والمحدثين وغيرهم من أهل الآراء والادب فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا ملوحين على ماسلف (وكانت) وفاة المعتضد لاربع ساعات خلت من ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين فى قصره المعروف بالحسنى بمدينة السلام وقيل ان وفاته كانت بسم اسمعيل بن بلبل قبل قتله اياه فكان يسرى فى جسده ومنهم من ذكر أن جسمه تحلل فى مسيره فى طلب وصيف الخادم على

ماذ كرناو منهم من رأى ان بعض جواريه سمته فى منـديل أعطته اياه يتنشف به وقيـل غير ذلك مما عنه اعرضنا (وقد كان) اوصى ان يدفن فى دار محمد بن عبد الله بن طاهر فى الجانب الغربى من الدار المعروفـة بدار الرخام فلما اعـتراه الغشى ووقع للموت شكوا فى وفاته فتقدم الطبيب الى بعض اعضائه لجسـه فاحس به وهو على ما به من السكرات فانف من ذلك وركله برجله فقلبه أذرعا فيقال ان الطبيب مات منها ومات المعتضد من ساعته وسمع ضجة وهو على ما به من الحال ففتح عينيه وأشار بيديه كالمستفهم فقال له مؤنس الخادم ياسـيدى الغلمان قد ضجوا اعنـد القاسم بن عبيد الله فاطلقنا لهم العطاء فقطب وهمهم فى سكرته فـكادت أنفس الجماعة أن تخرج من هيبته وحمل الى دار محمد بن عبد الله بن طاهر فدفن بها (قال المسعودى) وللمعتضد أخبار وسير وحروب ومسير فى الارض غير ماذ كرنا قـد أتينا على ذكرها والغرر من مبسوطها فى كتاب أخبار الزمان والاوسط

﴿ ذكر خلافة المكتفى بالله ﴾

وبويع المكتفى بالله وهو على بن أحمد المعتضد بمدينـة السـلام فى اليوم الذى كانت فيه وفاة أبيه المعتضد وهو يوم الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سـنة تسع وثمانين ومائتين وأخذ له البيعة القاسم بن عبيد الله والمكتفى يومئذ بالرقة وللمكتفى يومئذ نيف وعشرون سنة ويكنى بأبى محمد فكان وصول المكتفى الى مدينة السلام يوم الاثنين لسبع ليال بقين من جمادى الاولى سنة تسع وثمانين ومائتين وكان دخوله فى الماء ونزل قصر الحسنى على دجلة وكانت وفاته يوم الاحد لثلاث عشرة ليـلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وهو يومئذ ابن احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر فكانت خلافته ست سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما وقيل ست سنين وستة أشهر وستة عشر يوما على تباين الناس فى تواريخهم والله أعلم

﴿ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه ﴾

ولم يتقلد الخلافة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة المتقى لله من اسمه على الا على بن أبى طالب والمكتفى ولما نزل المكتفى قصر الحسنى فى اليوم الذى كان دخوله الى مدينة السـلام خلع على القاسم بن عبيد الله ولم يخلع على أحـد من القواد وأمر بهدم المطامير التى كان المعتضد اتخذها لعذاب الناس واطـلاق من كان محبوسا فيها وأمر برد المنازل التى كان المعتضـد اتخـذها لموضع المطامير الى أهلها

وفرق فيهم أموالا فمالت قلوب الرعية اليه وكثر الداعى له بهذا السبب وغلب عليه القاسم بن عبيد الله وفاتك مولاه ثم غلب عليه بعد وفاة القاسم بن عبيد الله وزيره العباس ابن الحسين وفاتك وقد كان القاسم بن عبيد الله أوقع بمحمد بن غالب الاصبهانى وكان يتقلد ديوان الرسائل وكان ذا علم ومعرفة وأوقع بمحمد بن يسار وابن منارة لشئ بلغه عنهم فاوثقهم بالحديد وأحدرهم الى البصرة فيقال انهم غرقوا فى الطريق ولم يعرف لهم خبر الى هذه الغاية ففى ذلك يقول على بن بسام

عذرناك فى قتلك المسلمين وقلنا عداوة أهل الملل

فهذا المنارى ماذنبه ودينكما واحد لم يزل

وقد كانت الحال انفرجت بين القاسم بن عبيد الله وبدر قبل هذا الوقت فلما استخلف المكتفى أغراه القاسم ببدر وكان ميل جماعة من القواد الى بدر فساروا الى حضرة السلطان وسار بدر الى واسط فأخرج القاسم المكتفى الى نهر زيال فعسكر هنالك وجعل فى نفس المكتفى من بدر كل حالة يقدر عليها من الشر وأغراه به فاحضر القاسم اباحازم القاضى وكان ذا علم ودراية فامره عن امير المؤمنين بالمسير الى بدر فيأخذ له الامان ويجئ به معه ويضمن له عن امير المؤمنين ما احب فقال ابو حازم ما كنت ابلغ عن امير المؤمنين رسالة لم اسمعها منه فلما امتنع عليه احضر اباعمرو بن يوسف القاضى . فارسل به الى بدر فى سر فاعطاه الامان والعهود والمواثيق عن المكتفى وضمن له أنه لا يسلمه عن يده الا عن رؤية امير المؤمنين فخلى عسكره وجلس معه فى السرا مصعدين فلما انتهوا الى ناحية المدائن والسبب تلقاه جماعة بالحذ فاحاطوا بالسرا وتنحى ابو عمرو عنه الى طيار فركب فيه وقرب بدر الى الشط وسالهم ان يصلى ركعتين وذلك فى يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان سنة تسع وثمانين ومائتين وقت الزوال فامهلوه للصلاة فلما كان فى الركعة الثانية قطعت عنقه وأخذ رأسه فحمل الى المكتفى . فلما وضع الراس بين يدى المكتفى سجد وقال الآن ذقت طعم الحياة ولذة الخلافة ودخل المكتفى الى مدينة السلام يوم الاحد لثمان خلون من شهر رمضان ففى محمد بن يوسف القاضى يقول بعض الشعراء فى ضمانه لبدر العهود والمواثيق عن المكتفى

قل لقاضى مدينة المنصور بم احللت اخذ رأس الامير

بعد اعطائه المواثيق والعهـ ـد وعقد الامان فى مسطور

اين ايمانك التى يشهد الله على انها يمين فجور *

اين تاكيـدك الطلاق ثلاثا　　ليس فيهن فيـة التخيير
ان كفيك لاتفارق كفيـ　　ـه الى ان ترى مليك السرير
ياقليل الحياء ياكذب الامـ　　ـة ياشاهـدا شـهاة زور
ليس هذا فعل القضاة ولا يحـ　　ـسن امثاله ولاة الجسور
قدمضى من قتلت فى رمضان　　را كعا بعد سجدة التكبير
أى ذنب أتيت فى الجمعة الزهـ　　ـراء فى خير خير خير الشهور
فاعـد الجواب للحكم العا　　دل من بعد منكر ونكير
يابنى يوسف بن يعقوب أضحى　　أهل بغداد منكم فى غرور
شتت الله شملكم وأرانى　　بكم الذل بعـد ذل الوزير
أنتم كلكم فـداء أبى حا　　زم المستقيم كل الامور

قالوا وكان بدر حرا وهو بدر بن خير من موالى المتوكل وكان بدر فى خدمة ناشئ غلام الموفق صاحب ركابه ثم اتصل بالمعتضد وقرب من قلبه وخف بين يديه فى أيام الموفق وكان للمعتضد غلام يقال له فاتك وكان من أعلى غلمانه فبعد من قلبه وانحطت مرتبته وكان السبب فى ذلك أن المعتضد غضب على بعض جواريه فامر ببيعها فدس فاتك من ابتاعها له فكان السبب فى ابعاده من قلب المعتضد عند نمو ذلك اليه وزاد أمر بدر وعلت مرتبته حتى كان يلتمس الحوائج به من المعتضد وكانت الشعراء تقرن مدح بدر بمدح المعتضـد وكذلك من خاطبه فيما عدا المنظوم من الكلام (قال المسعودى) وأخبرنى أبو بكر محمد بن يحيى الصولى النديم الشطرنجى بمدينة السلام قال كان لى وعد على المعتضد فما ظفرت به حتى عملت قصيدة ذكرت فيها بدرا أولها

أيها الهاجر مز حالا مجد　　أجزاء الود أن يلقى بصد
لامير المؤمنين المعتضـد　　بحر جود ليس يعدوه أحد
وأبو النجم لمن يقصده　　جدول منه الى البحر يرد
قدمضى الفطر الى الاضحى وقد　　ان أن يقرب وعد قد بعد
ما اقتضانى الوعد أن لست على　　ثقة من أنه أخذ بيد
غير أن النفس تهوى عاجلا　　وسوا أعطى كريم أو وعد

قال فضحك وأمر لى بما وعدنى به (وأخبرنا) محمد بن النديم بمدينة السلام قال سمعت المعتضد يقول انا آنف من هبة القليل ولا أرى الدنيا لو كانت لى أموالها

وجمعت عندي تنى بقدر جودي والناس يزعمون أني بخيل أتراهم لا يعلمون أني جعلت أبا النجم بيني وبينهم أعرف مامبلغ ماينفقه يوما فيوما ولو كنت بخيلا ما أطلقت ذلك له (وأخبرنا) أبو الحسن محمد بن علي الفقيه الوراق الانطاكي بمدينة انطاكية قال اخبرني ابراهيم بن محمد الكاتب عن يحيي بن علي المنجم النديم قال كنت يوما بين يدى المعتضد وهو مقطب فاقبل بدر فلما رآه من بعيد ضحك وقال لي يا يحيي من الذي يقول من الشعراء

في وجهه شافع يمحو اساءته من القلوب وجيه حيثما شفعا

فقالت يقوله الحكم بن مرة المازني لله دره أنشدني هذا الشعر فانشدته

ويلي على من أطار النوم فامتنعا وزاد قلبي على أوجاعه وجعا
كأنما الشمس في أعطافه لمعت حسنا او البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وان كثرت منه الذنوب ومعذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو اساءته من القلوب وجيه حيثما شفعا

قال وأخذ قوله أو البدر من أزراره طلعا أحمد بن يحيي بن العراف الكوفي فقال

بدا وكأنما قمر على أزرار طلعا
يحت المسك عن عرق الـ ـجبين بنانه ولعا

(وفي سنة) تسع وثمانين ومائتين ظهر القرمطي بالشام وكان في حروبه مع طغج وعساكر المصريين ماقد اشتهر خبره وقد أتينا على ذكره فيما سلف وما كان من خروج المكتفي الى الرقة وأخذ القرامطة وذلك في سنة احدى وتسعين ومائتين وكذلك ما كان من ذكرويه ابن مبرويه ووقوعه بالحاج في سنة أربع وتسعين ومائتين الى أن قتل وادخل الى مدينة السلام (قال المسعودي) وكان فداء الغدر في ذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين ومائتين بالامنين بعد أن فادوا بجماعة المسلمين ثم ان الروم قدروا بعد ذلك وكان فداء التمام بالامنين بين المسلمين على التمام في شوال من سنة خمس وتسعين ومائتين والامير في الفداءين جميعا رستم وكان على الثغور الشامية فكان عدة من فدي به من المسلمين في فداء ابن طغان في سنة ثلاث وثمانين ومائتين على حسب ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من ذكره ألفي نفس وأربعمائة وخمسا وتسعين نفسا من ذكر وأنثى وكان عدة من فدي به من المسلمين في الغدر ألفا ومائة وأربعا وخمسين نفسا وعدد من فودي به في فداء التمام ألفين وثمانمائة واثنتين وأربعين نفسا ومات المكتفي وقد خلف في بيوت الاموال ثمانية آلاف ألف دينار ومن الورق خمسة وعشرين ألف

ألف درهم ومن الدواب والبغال والحمارات وغيرها تسعة آلاف رأس وكان مع ذلك بخيلا ضيقا (وأخبرنا) أبو الحسن أحمد بن يحيي المنجم المعروف بابن النديم وكان من حذاق أهل النظر والبحث وأهل الرياسة من أهل التوحيد والعدل وفى ابنه على ابن يحيي يقول أبو هفان

لربيع الزمان فى الحول وقت　　وابن يحيي فى كل وقت ربيع
رجل عنده المكارم سوق　　يشترى دهره ونحن نبيع

قال وكانت وظيفة المكتفى بالله عشرة ألوان فى كل يوم وجدى فى كل جمعة وثلاث جامات حلوا وكان يردد عليه الحلوا ووكل على مائدته بعض خدمه وأمره أن يحصى ما فضل من الخبز فما كان من المكسر عزله للثريد وما كان من الصحاح رد الى مائدته من الغد وكذلك كان يفعل بالنوادر والحلوا وامر أن يتخذ له قصر بناحية الشماسية بازاء قطربل فاخذ بهذا السبب ضياعا كثيرة ومزارع كانت فى تلك النواحى بغير ثمن من ملاكها فكثر الداعى عليه فلم يستتم ذلك البناء حتى توفى وكان هذا الفعل مشاكلا لفعل أبيه المعتضد فى بناء المطامير (وكان وزيره) القاسم بن عبيد الله عظيم الهيبة شديد الاقدام سفاكا للدماء وكان الكبير والصغير على رعب منه لا يعرف أحد منهم لنفسه نعمة معه (وكانت) وفاته عشية الاربعاء لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وماءتين وله نيف وثلاثون سنة ففى ذلك يقول بعض أهل الادب وأراه عبد الله بن الحسن ابن سعد

شربنا عشية مات الوزير　　ونشرب ياقوم فى ثالثه
فلا قدس الله تلك العظام　　ولا بارك الله فى وارثه

(وكان) ممن قتل القاسم بن عبيد الله عبد الواحد بن الموفق وكان معتقلا عند مؤنس فبعث اليه حتى أخذ برأسه وذلك فى أيام المكتفى وقد كان المعتضد يعزه ويميل اليه ميلا شديدا ولم يكن لعبد الواحد همة فى خلافة ولا سمو الى رياسة بل كان همته فى اللعب مع الاحداث وقد كان المكتفى أنه خبر عنه أأرسل عدة من غلمانه الخاصة فوكل به من يراعى خبره وما يظهر من قوله اذا أخذ الشراب منه فسمع منه وقد طرب وهو ينشد شعر العتابى حيث يقول

تلوم على ترك الغناء باهله　　طوى الدهر عنها من طريف وتالد

رأت حولها النسوان يمشين حلقة   مقلدة أجيادها بالقلائد
يسرك أنى نلت ما نال جعفر   من الملك أوما نال يحيي بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصنى   مغصهما بالمرهفات البوارد
ذرينى تجئنى ميتتى مطمئنة   ولم اتجشم هول تلك الموارد
فان نفيسات الامور مشوبة   بمستوغدات فى بطون الاساود
وان الذى يسمو الى درك العلا   ملقى بأسباب الردى والمكايد

فقال له بعض ندمائه وقد أخذ منه الشراب ياسيدى أين أنت عما تمثل به يزيد بن المهلب

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد   حياة لنفسى مثل أن أتقدما

فقال له عبد الواحد مه لقد أخطات الغرض وأخطا ابن المهلب واخطا قائل هذا البيت وأصاب أبو فرعون التميمى حيث يقول قال النديم حيث يقول ماذا قال قال

ومابى شئ فى الوغى غير اننى   أخاف على مجراى أن يتحطما
ولوكنت مبتاعا من السوق مثلها   لدى الدرع ما باليت أن أتقدما

فلما انتهى ذلك الى المكتفى ضحك وقال قد قلت للقاسم ليس عمى عبد الواحد ممن تسمو همته اليها هذا قول من ليس له همة غير فرجه وجوفه وأمرد يعانقه وكلاب يهارش بها وكباش يناطح بها وديوك يقاتل بها أطلقوا لعمى كذا وكذا فلم يزل القاسم بعبد الواحد حتى قتله (وقد كان) المكتفى لما أن مات القاسم وتبين قتله لعبد الواحد أراد نبش القاسم من قبره وضربه بالسوط وحرقه بالنار وقد قيل غير ذلك والله أعلم (وممن أهلك) القاسم بن عبيد الله على ماقيل بالسم فى خشكنانجه على بن العباس بن سريج الرومى وكان منشؤه ببغداد ووفاته بها وكان من مختلقى معانى الشعراء والمجودين فى القصير والطويل متصرفا فى المذاهب تصرفا حسنا وكان أقل أدواته الشعر ومن محكم شعره وجيده قوله

رأيت الدهر يجرح ثم يأسو   يعوض أو يسلى أو ينسى
أبت نفسى الهلاك لفقد شئ   كفى حزنا لنفسى فقد نفسى

(ومن قوله) العجيب الذى ذهب فيه الى معانى فلاسفة اليونانيين ومن مهر من المتقدمين قوله فى القصيدة التى قالها فى صاعد بن مخلد

لما تؤذن الدنيا به من زوالها   يكون بكاء الطفل ساعة يوضع
والا فما يبكيه منها وانها   لافسح مما كان فيه وأوسع

وبما دق فيه فاحسن وذهب الى معنى لطيف من النظر على ترتيب الجدليين وطريقة حذاق المتقدمين قوله

غموض الشئ حين تذب عنه يقلل ناصر الخصم المحق
تضيق عقول مستمعيه عنه فيقضى للمجل على المدق

(ومما أجاد) فيه فى وصف القناعة قوله

اذا ما شئت أن تعلم يوما كذب الشهوه
فكل ماشئت يصدرك عن المرة والحلوه
وطأ ما شئت يحصنك عن الحسناء والدره
وكم انساك ما تهوا ه فيل الشئ لم تهوه

وقوله

بابى حسن وجهك اليوسفى يا كنى الهوى وفوق الكنى
فيه ورد ونرجس وعجيب اجتماع الشتوى والصيفى

وقوله فى العنب الرازقى

ورازقى مخطف الخصور كانه مخازن البلور ألين فى المس من الحرير
لو أنه يبقى على الدهور لقرطوه للحسان الحور

(ولابن الرومى) أخبار حسان مع القاسم بن عبيد الله وأبى الحسن على بن سليمان الاخفش النحوى وأبى العباس الزجاجى النحوى وكان ابن الرومى الاغلب عليه من الاخلاط السوداء وكان شرها نهما وله أخبار تدل على ماذكرناه من هذه الجمل مع أبى سهل اسمعيل بن على النوبختى وغيره من آل النوبخت (وفى سنة) تسعين ومائتين مات عبد الله بن أحمد بن حنبل يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة (وفى سنة) احدى وتسعين ومائتين كانت وفاة أبى العباس أحمد بن يحيي المعروف بثعلب ليلة السبت لثمان بقين من جمادى الاولى ودفن فى مقابر الشام فى حجرة اشتريت له وخلف احدى وعشرين ألف درهم وألفى دينار وغلة بشارع باب الشام قيمتها ثلاثة آلاف دينار ولم يزل احمد بن يحيي مقدما عند العلماء منذ أيام حداثته الى أن كبر وصار اماما فى صناعته ولم يخلف وارثا الا ابنة لابنه فردماله عليها وكان هو وأحمد بن المبرد عالمين قدختم بهما خاتم الادباء وكانا كما قال بعض الشعراء من المحدثين

أيا طالب العلم لا تجهل وعذبا لمبرد أو ثعلب

تجد عند هذين علم الورى　　وانك كالجمل الاجرب
علوم الخلائق مقرونة　　بهذين فى الشرق والمغرب

(وكان) محمد بن يزيد المبرد يحب أن يجتمع فى المناظرة مع أحمد بن يحيى ويستكثر منه وكان أحمد بن يحيى يمتنع من ذلك (وأخبرنا) أبو القاسم جعفر بن حمدان الموصلى الفقيه وكان صديقهما قال قلت لابى عبيد الله الدينورى ختن ثعلب لم يأب أحمد بن يحيى الاجتماع مع المبرد فقال لى أبو العباس محمد بن يزيد حسن العبارة حلو الاشارة فصيح اللسان ظاهر البيان وأحمد بن يحيى مذهبه مذهب المعلمين فاذا اجتمعا فى محفل حكم لهذا على الظاهر الى أن يعرف الباطن (وأخبرنا) أبو بكر القاسم بن بشار الانبارى النحوى أن أبا على الدينورى هذا كان يختلف الى أبى العباس المبرد يقرأ عليه كتاب سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر فكان ثعلب يعذله على ذلك فلم يكن ذلك يردعه وقيل ان وفاة أحمد بن يحيى ثعلب كانت فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين (وفى هذه السنة) مات محمد بن محمد الجدوعى القاضى وله أخبار عجيبة فيما كان به من المذهب قد أتينا على وصفه ونوادره فيها وما كان به من التعزز فى الاوسط (وفى سنة) اثنتين وتسعين ومائتين كانت وفاة أبى حازم عبد العزيز بن عبد الحميد القاضى يوم الخميس لسبع ليال خلون من جمادى الآخرة من هذه السنة ببغداد وله نيف وتسعون سنة (وفى هذه السنة) تغلب ابن الخليجى فى ستة آلاف وتسعين بمصر وأبوه على مصر (وفيها) وقع الحريق العظيم فاحرق الغلة بباب المطاق نحو من ثلثمائة دكان وأكثر وظفر بابن الخليجى فى سنة ثلاث وتسعين ومائتين بمصر وأدخل الى بغداد وقد أشهر وقدامه أربعة وعشرون انسانا من أصحابه منهم العراجمى الخادم الاسود وذلك للنصف من شهر رمضان من هذه السنة (وفى سنة) أربع وتسعين ومائتين مات موسى بن هرون ابن عبد الله بن مروان البزار المحدث المعروف بالجمال فى يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان ببغداد ويكنى أبا عمران وهو ابن نيف وثمانين سنة ودفن فى مقابر باب حرب الى جانب أحمد بن حنبل وقد قدمنا العذر فيما سلف من هذا الكتاب لذكرنا وفاة هؤلاء الشيوخ اذ كان الناس فى أغراضهم مختلفين وفى طلبهم الفوائد متباينين وربما قد يقف على هذا الكتاب من لا غرض له فيما ذكرناه فيه ويكون غرضه معرفة وفاة هؤلاء الشيوخ (وكانت) وفاة أبى مسلم ابراهيم بن عبد الله الكجى البصرى المحدث فى المحرم سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكان مولده فى شهر رمضان سنة مائتين

(وقبض) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وهو فى سن أبى مسلم على ماذكرنا من تنازع الناس فى تاريخ وفاته وقد كان أبو العباس أحمد بن يحيى قد ناله صمم وزاد عليه قبل موته حتى كان المخاطب له يكتب مايريده فى رقاع (واخبرنا) محمد بن يحيى الصولى الشطرنجى قال كنا يوما نأكل بين يدى المكتفى فوضعت بين ايدينا قطائف رفعت من بين يديه فى نهاية النضارة ورقة الخبز واحكام العمل فقال هل وصفت الشعراء هذا فقال له يحيى بن على نعم قال أحمد بن يحيى فيها

قطائف قد حشيت باللوز ... والسكر المازى حشو الموز
تسبح فى أزى دهن الجوز ... سررت لما وقعت فى حوزى
سرور عباس بقرب فوز

قال وانشدت لابن الرومى

وأتت قطائف بعد ذاك لطائف

فقال هذا يقتضى ابتداء فانشدنى الشعر من أوله فانشدته لابن الرومى

وخبيصة صفراء دينارية ... ثمنا ولو نازفهالك جؤذر
عظمت فكادت أن تكون اوزة ... وثوت فكاد اهابها يتفطر
طفقت تجود بوبلها جوزابه ... فاذالباب اللوز فيها السكر
نعم السماء هناك ظل صبيبها ... يهمى ونعم الارض ظلت تمطر
ياحسنها فوق الخوان وبقتها ... قدامها بصهيرها تتغرغر
ظللنا نقشر جلدها عن لحمها ... وكان تبرا عن لجين يقشر
وتقدمتها قبل ذاك ثرائد ... مثل الرياض بمثلهن يصدر
ومرققات كلهن مزخرف ... بالبيض منها ملبس ومدثر
وأتت قطائف بعد ذاك لطائف ... ترضى اللهاة بها ويرضى الحنجر
ضحك الوجود من الطبرزذ فوقها ... دمع العيون مع الدهان يعصر

فاستحسن المكتفى بالله الابيات وأوما الى أن اكتبها له فكتبتها له (قال محمد) بن يحيى الصولى وأكلنا يوما بين يديه بعد هذا بمقدار شهر فجاءت لوزينجة فقال هل وصف ابن الرومى اللوزينج فقلت نعم فقال انشد فيه فانشدته

لايخطئنى منك لوزينج ... اذا بدا أعجب أو أعجبا
لم تغلق الشهوة أبوابها ... الا ابت زلفاه أن تحجبا

لوشاء ان يذهب فى صحنه　　لسهل الطيب له مذهبا
يدور بالنفحة فى جامه　　دور اترى الدهن له لولبا
عاون فيه منظر مخبرا　　مستحسن ساعد مستعذبا
كالحسن المحسن فى شدوه　　تم فاضحى مغربا مطربا
مستكثف الحشو ولكنه　　ارق جلدا من نسيم الصبا
كأنما قدت جلابيبه　　من أعين القطر الذى طنبا
تخال فى رقة خرسانه　　شارك فى الاضحية الجندبا
لوانه صور من خبزه　　ثغر الكان الواضح الاشنبا
من كل بيضاء يود الفتى　　أن يجعل الكف لها مركبا
مدهونة أرقاء مدفونة　　شهباء تحكى الاورق الاشهبا
دين له اللوز فلا مرة　　مرت على الذائق الاابا
وانتقد السكر نقاده　　وشارفوا فى نقده المذهبا
فلا اذا العين رأتها نبت　　ولا اذا الطرس علاها نبا

فحفظها المكتفى فكان ينشدها (ومما استحسن) من شعر المكتفى لنفسه

انى كلفت فلا تحلو بجارية　　كانها الشمس بل زادت على الشمس
لها من الحسن اعلاه فرؤيتها　　سعدى وغيبتها عن ناظرى نحسى

وللمكتفى أيضا

بلغ النفس ما اشتهت　　فاذاهى قد أشتفت
انما العيش ساعة　　انت فيها وما انقضت
كل من يعذل المحب　　اذا ماهدا سكت

وله أيضا

من لى بان تعلم ماألقى　　فتعرف الصبوة والعشقا
مازال لى عبدا وحبى له　　صيرنى عبدا له رقا
أعتق من رقى ولكننى　　من حبه لاأملك العتقا

(وأخبرنا) أبو عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوى المعروف بنفطويه قال أخبرنا ابو محمد عبد بن حمدون قال تذاكرنا يوما بحضرة المكتفى فقال فيكم من يحفظ فى نبيذ الدوشاب شيأ فانشدته قول ابن الرومى

اذا أخذت حبه ودبسه   ثم أخذت ضربه ومرسه
ثم اطلت فى الاناء حبسه   شربت منه البابلى قفسه

فقال المكتفى قبحه الله ما اشرهه لقد شوقنى فى هذا اليوم الى شرب الدوشابى وقدم الطعام فوضع بين أيدينا طيفورية عظيمة فيها هريسة وقد جعل فى وسطها مثل السكرجة الضخمة فيها دسم الدجاج فضحكت وخطر ببالى خبر الرشيد مع أبان القارى فلحظنى المكتفى وقال يا اباعبد الله ماهذا الضحك فقلت خبر ذكرته فى الهريسة يا أمير المؤمنين ودهن الدجاج مع جدك الرشيد فقال ماهو قلت نعم يا أمير المؤمنين ذكر العتبى والمدائنى ان أبان القارى تغدى مع الرشيد فجاؤا بهريسة عجيبة فى وسطها مثل السكرجة الضخمة على هذا المثال من دهن الدجاج قال ابان فاشتهيت من ذلك الدسم واجللت الرشيد من أن امد يدى فاغمس فيه قال ففتحت باصبعى فيه فتحا يسيرا فانقلب الدسم نحوى فقال الرشيد يا أبان أخرقتها لتفرق اهلها فقال ابان لا يا أمير المؤمنين ولكن سقناه لبلد ميت فضحك الرشيد حتى أمسك صدره (وفى سنة) خمس وتسعين ومائتين وردت الى مدينة السلام هدية زيادة الله بن عبد الله ويكنى ابا مضر وكانت الهدية مائتى خادم اسود وأبيض ومائة وخمسين جارية ومائة من الخيل العربية وغير ذلك من اللطائف وقد كان الرشيد فى سنة اربع وثمانين ومائة وذلك بالرقة قلد ابراهيم بن الاغلب أمر افريقية من ارض المغرب فلم يزل آل الاغلب امراء افريقية حتى اخرج عنها زيادة الله بن عبد الله هذا فى سنة ست وتسعين ومائتين وقيل فى سنة خمس وتسعين ومائتين أخرجه من المغرب أبو عبد الله المحتسب الداعية الذى ظهر فى كنانة وغيرها من البربر فدعا الى عبد الله صاحب المغرب وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب تولية المنصور للاغلب بن سالم السعدى المغرب (قال) واشتدت علة المكتفى بالله بالدرب فاحضر محمد بن يوسف القاضى وعبد الله بن على بن أبى الشوارب فاشهدهما على قضيته بالعهد الى اخيه جعفر وقد قدمنا ذكر وصيته فيما سلف من هذا الكتاب فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع (قال المسعودى) وللمكتفى بالله أخبار حسان وما كان فى عصره من الكوائن فى قصة ابن الخلبى بمصر وامر القرمطى بالشام وامر دكرويه وخروجه على الحاج وغير ذلك مما كان فى خلافته قد اتينا على جميع ذلك فى كتابنا اخبار الزمان والاوسط فاغنى ذلك عن اعادة ذكره

﴿ ذكر خلافة المقتدر بالله ﴾

وبويع المقتدر جعفر بن احمد في اليوم الذى توفى فيه اخوه المكتفى بالله وكان يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ويكنى ابا الفضل وامه ام ولد يقال لها شغب وكذلك ام المكتفى ام ولد يقال لها ظلوم وقيل غير ذلك وكان له يوم بويع ثلاث عشرة سنة وقتل ببغداد بعد صلاة العصر يوم الاربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة فكانت خلافته اربعا وعشرين سنة واحد عشر شهرا وستة عشر يوما وبلغ من السن ثمانيا وثلاثين سنة وخمسة عشر يوما وقد قيل في مقدار عمره غير ما ذكرنا والله اعلم

﴿ ذكر جمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه ﴾

وبويع المقتدر وعلى وزارته العباس بن الحسن الى ان وثب الحسين بن حمدان ووصيف بن سوارتكين وغيرهما من الاولياء على العباس بن الحسن فقتلوه وفاتكا معه وذلك في يوم السبت لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين وكان من امر عبد الله بن المعتز ومحمد بن داود وغيرهما ما قد اتضح في الناس واشتهر واتينا على ذكره في الكتاب الاوسط وغيره من اخبار المقتدر وقد صنف جماعة من الناس اخبار المقتدر مجتمعة مع اخبار غيره من الخلفاء ومفردة وعمل ذلك في اخبار بغداد وقد صنف ابو عبد الله بن عبدوس الجهشارى اخبار المقتدر في الوف من الاوراق ووقع لى منها اجزاء يسيرة (واخبرنى) غير واحد من اهل الدراية ان ابن عبدوس صنف اخبار المقتدر في الف ورقة وانما نذكر من اخبار كل واحد منهم لمعا وانما الغرض جوامع من اخبارهم تبعث على درسه وحفظ ما فيه ونسخه (وكان) عبد الله بن المعتز اديبا بليغا شاعرا مطبوعا مجودا مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الاقتراح للمعانى فمن ذلك قوله

يقول العاذلون تعزعنها ... واطف لهيب قلبك بالسلو
وكيف وقبلة منها اختلاسا ... الذ من الشماتة بالعدو

(وقوله)

ضعيفة اجفانه ... والقلب منه حجر
كانما الحاظه ... من فعله تعتذر

(وقوله) تولى الجهل وانقطع العتاب ولاح الشيب وافتضح الخضاب
لقد ابغضت نفسي في مشيبي فكيف تحبني الخود الكعاب

(وقوله)

عجبا للزمان من حالتيه وبلاء دفعت منه اليه
رب يوم بكيت فيه فلما صرت في غيره بكيت عليه

وقوله في ابي الحسن علي بن محمد بن الفرات الوزير

اباحسن ثبت في الارض وطاتي وادركتني في المعضلات الهزاهز
وألبستني درعا على حصينة فناديت صرف الدهر هل من مبارز

(وقوله)

ومن شر أيام الفتى بذل وجهه الى غير من خفت عليه الصنائع
متى يدرك الاحسان من لم تكن له الى طلب الاحسان نفس تنازع

(وقوله)

فان شئت عادتني السقاة بكاسها وقد فتح الاصباح في ليلة فما
نخلت الدجا والفجر قد مد خيطه رداء موشى بالكواكب معلما

(وقوله)

وابكي اذاما غاب نجم كانني فقدت صديقا اورزئت حميما
فلو شق من طرف الليالي كواكب شققت لها من ناظري نجوما

ومما أحسن فيه قوله في عبيد الله بن سليمان

لآل سليمان بن وهب صنائع الى ومعروف لدى تقدما
هموا علموا الايام كيف بنوتي وهم غسلوا من ثوب والدي الدما

وقوله عند وفاة المعتصم بالله

قضوا ما قضوا من حقه ثم قدموا اماما يؤم الخلق بين يديه
وصلوا عليه خاشعين كانهم صفوف قيام للسلام عليه

وقوله في فصادة المعتضد بالله

يادما سال من ذراع الامام انت از كى من عنبر ومدام
قد ظنناك اذ جريت الى الطسـ ـت دموعا من مقلتي مستهام
انما غرق الطبيب شبا المبـ ـضع في نفس مهجة الاسلام

(وقوله)

اصبر على حسد الحسو د فان صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها ان لم تجد ماتأكله

(وقوله)

يطوف بالراح بيننا بشر محكم فى القلوب والمقل
يكاد لحظ العيون حين بدا يسفك من خده دم الخجل

(وقوله)

رشا يتيه بحسن صورته عبث الفتور بلحظ مقلته
وكان عقرب صدغه وقفت لما دنت من نار وجنته

(وقوله)

اذا اجتنى وردة من خده فه تكونت تحتها اخرى من الخجل

(قال) وكانت وفاة ابى بكر محمد بن داود بن على بن خلف الاصبهانى الفقيه سنة ست وتسعين ومائتين وكان ممن قد علا فى رتبة الادب وتصرف فى بحار اللغة وتفنن فى موارد المذاهب وأشفى على أغراض المطالب وكان عالما بالفقه منفردا وواحدا فيه فريدا وألف فى عنفوان صباه وقبل كماله وانتهائه الكتاب المعروف بالزهرة ثم تناهت فكرته ونسقت قوته فصنف الفقهيات ككتابه فى الوصول الى معرفة الاصول وكتاب الانذار وكتاب الاعذار والابحار وكتابه المعروف بالانتصار على محمد بن جرير وعبد الله بن شرشي وعيسى بن ابراهيم الضرير (ومما قال) فيه فأحسن فى عنفوان شبابه وأثبته فى كتابه المترجم بالزهرة وعزاه الى بعض أهل عصره وان كان محسنا فى سائر كلامه من منظومه ومنثوره قوله

على كبدى من خيفة البين لوعة يكاد لها قلبى أسى يتصدع
يخاف وقوع البين والشمل جامع فيبكى بعين دمعها متسرع
فلو كان مسرورا بما هو واقع كما هو محزون بما يتوقع
لكان سواء برؤه وسقامه ولكن وشك البين أدهى وأوجع

(وقوله)

تمتع من حبيبك بالوداع الى وقت السرور بالاجتماع
فكم جربت من وصل وهجر ومن حال ارتفاع واتضاع

وكم كأس أمر من المنايا   شربت فلم يضق عنها ذراعي
فلم أر في الذي لاقيت شيأ   أمر من الفراق بلا وداع
تعالى الله كل مواصلات   وان طالت تؤول الى انقطاع

(وقوله)

لا خير في عاشق يخفي صبابته   بالقول والشوق في زفراته بادي
يخفي هواه وما يخفي على أحد   حتى على العيس والركبان والحادي

(وفي سنة) ثلاث وثلثمائة في خلافة المقتدر بالله كانت وفاة علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام وكان شاعر السنا مطبوعا في الهجاء ولم يسلم منه وزير ولا أمير ولا صغير ولا كبير وله في هجاء أبيه واخوته وسائر أهل بيته فما قال في أبيه

بنى أبو جعفر دار افشيدها   ومثله لخيار الدور بناء
فالجوع داخلها والذل خارجها   وفي جوانبها بؤس وضراء

(وله فيه)

ماينفع الدار من تشييد حائطها   وليس داخلها خبز ولا ماء

(وله فيه)

هبك عمرت عمر عشرين نسرا   أترى أنني أموت وتبقى
فلئن عشت بعد يومك يوما   لأشقن جيب مالك شقا

(وله فيه)

رأى الجوع طبافهو يحمي ويحتمي   فلست ترى في داره غير جائع
ويزعم أن الفقر في الجود والسخا   وأن ليس حظ في اكتساب الصنائع
لقد أمن الدنيا ولم يخش صرفها   ولم يدر أن المرء رهن الفجائع

(وأنشدني) أبو الحسن محمد بن علي الفقيه الوراق الانطاكي بانطاكية لعلي بن محمد بن بسام يهجو الموفق والوزير أبا الصقر اسمعيل بن بلبل والطائي أمير بغداد وعبدون النصراني أخا صاعد وأبا العباس بن بسام وحامد بن العباس وزير المقتدر بالله بعد ذلك واسحق بن عمران أمير الكوفة يومئذ

أيرجو الموفق نصر الاله   وأمر العباد الى دانيه
ومن قبلها كان أمر العباد   لعمر أبيك الى زانيه
فان رضيت أنه   كدالية فوقها داليه

وظل ابن بلبل يدعى الوزير ولم يك فى الاعصر الخاليه
وطحان طى تولى الجسور وسقى الفرات وز رقاميه
و يحكم عبدون فى المسلمين ومن ضله موجد الحاليه
وأحول بسطام ظل المشير وكان يحوك ببرزاطيه
وحامد ياقوم لو أمره الى لألزمته الراويه
نعم ولأرجعته صاغرا الى بيع رمان حصراويه
واسحق عمران يدعى الامير لداهية أيما داهيه
فهذى الخلافة قد ودعت وظلت على عرشها خاويه
فحل الزمان لاوغاده الى لعنة الله والهاويه
فيارب قدركب الارذلون ورجلى فى رجلهم عاليه
فان كنت حاملنا مثلهم والا فأرحل بنى الزانيه

جمع فى شعره هذا جميع رؤساء أهل الدولة فى ذلك العصر (وأنشد) أبو اسحق الزجاج النحوى صاحب المبرد فى المعتضد وقد ختن ابنه جعفر المقتدر

انصرف الناس من ختان يدعون من جوعهم حزاما
فقلت لا تعجبوا لهذا فهكذا تختن اليتامى

(وله أيضا فى المعتضد)

الى كم لا نرى ما ترتجيه ولا تنفك من أمل كذوب
لئن سموك معتضدا فانى أظنك سوف تعضد عن قريب

(وله فى الوزير) العباس بن الحسن وابن عمرويه الخراسانى وكان أمير بغداد يومئذ

لعن الله الذى قلد عباس الوزاره
والذى ولى ابن عمرويه بغداد الاماره
لوزير سمج الوجه بطين كالقواره
وقفا فيه سناما ن ورأس كالخياره
لم يزل يعرف بالزفن قديما والعياره
وأمير أعجمى كحمار ابن حماره
رحل الاسلام عنا بتوليه الوزاره

(وأنشدنى فى أبى الحسن جحظة البرمكى المغنى)

لجحظة المحسن عندى يد أشكرها منه الى المحشر
لما أرانى وجه برذونه وصانني عن وجهه المنكر

(وله فى أبيه محمد بن نصر بن منصور بن بسام)

خبيصة تعقد من سكره وبرمة تطبخ فى قنبره
عند فتى أسمح من حاتم يطبخ قدرين على مجمره
وليس ذاقى كل أيامه لكنه فى الدعوة المنكره
فى يوم لهو فطع هائل ومجمع للذات والقرقره
يقول للآكل من خبزه تعسا لهذا البطن ما أكبره

(وله فى أبيه أيضا)

خبز أبى جعفر طباشير فيه الافاويه والعقاقير
فيه دواء لكل معضلة للبطن والصدر والبواسير
وقصعة الاكل مثل مدهنة يرهق من حولها النواظير
ونيل ما ترتجيه من يده ما ليس تجرى به المقادير

(وله فيه)

بعثت لاستهديه عيرا ولم أكن لاعلم أن العير صار لنا صهرا
فوجه لى كى نستوى فى ركوبه فيركبه بطنا وأركبه ظهرا

(وقال فى جماعة من الرؤساء)

قل للرؤوس ومن ترجى نوافلهم ومن يؤمل فيه الرفد والعمل
ان تشغلون بأعمال أصيرها شغلا والا ففى أعراضكم شغل

وقوله

مالى رأيتك دائبا مستسخطا أبدا لرزقك
ارجع الى ما تستحق فان قوتك فوق حقك

(وله فى عبيد الله بن سليمان الوزير)

عبيد الله ليس له معاد ولا عقل وليس له سداد
رددت الى الحياة فعدت عنها لقول الله لو ردوا لعادوا

(وله فى القاسم بن عبيد الله بن سليمان)

قل للمولى دولة السلطان عند الكمال توقع النقصان

كم من وزير قد رأيت معظما أضحى بدار مذلة وهوان

(وله فى عبيد الله بن سليمان)

لا بد يانفس من سجود فى زمن القرد للقرود
هبت لك الريح ياابن وهب نخذ لها أهبة الركود

(وله فى اسمعيل بن بلبل الوزير)

لابى الصقر دولة مثله فى التخلف
مزنة حين ألمعت آذنت بالتكشف

(وله فى العباس بن الحسن الوزير)

تحمل أوزار البرية كلها وزير بظلم العالمين يجاهر
ألم تر أسباب الذين تقدموا وكيف أتتهم بالبلاء الدوائر

(وله فى الوزير صاعد بن مخلد)

سجدنا للقرود رجاء دنيا حوتها دوننا أيدى القرود
فما نالت أنا ملنا بشئ عملناه سوى ذاك السجود

(وله فى العباس بن الحسن الوزير)

بنيت على دجلة مجلسا تباهى به فعل من قد مضى
فلا تفرحن فكم مثل ذا رأيناه ماتم حتى انقضى

(وله فى الوزير على بن محمد بن الفرات)

وقفت شهورا للوزير أعدها فلم تثنه نحوى الحقوق السوالف
فلا هو يرعى لى رعاية مثله ولا أنا أستحيي الوقوف وآنف

(وله فى أبى جعفر محمد بن جعفر الفوملى)

سألت أبا جعفر فقال يدى تقصر
فقلت له عاجلا يكون كما تذكر

(وله فيه)

لحية كثة أضربها النتف ووجه مشوه ملعون
قلت لما بدا يجمجم فى القول ويهذى كأنه مجنون
صدق الله أنت من ذكر الله مهين ولا يكاد يبين

(وله فى ابن المرزبان وقد كان سأله دابة فنعه)

بخلت عني بعقرف عطب   فلم تراني ما عشت أركبه
وان تكن صنته فما خلق الله مصونا وأنت تركبه

(وله مما أحسن فيه)

تضمن لى فى حاجة ما أحبه   فلما اقتضيت الوعد قطب واعتلى
وصرت عذار اشغله واتصاله   ولولا اتصال الشغل ما كان أشغلا

(ولعلى بن محمد بن بسام)

فى هذه المعانى أشعار كثيرة اكتفينا بذكر البعض عن ايرادها وأكثر منه فى هذا الكتاب لما قدمناذكره فيما سلف قبله من الكتب وقد كان أبو محمد بن جعفر فى غاية الستر والمروأة وكان رجلا مترفا حسن الزى ظاهر المروأة مشغوفا بالنساء (وذكر) أبو عبد الرحمن العتبى قال دخلت عليه يوما شاتيا شديد البرد ببغداد فاذا هو فى قبة واسعة قد طليت بالطين الاحمر الارمنى وهو يلوح بريقا فقدرت أن تكون القبة عشرين ذراعا فى مثلها وفى وسطها كانون بزرافين اذا اجتمع ونصب كان مقداره عشرة أذرع فى مثلها وقد ملئ جمر الغضى وهو جالس فى صدر القبة عليه غلالة تسترية وما فضل عن الكانون مفروش بالديباج الاحمر فأجلسنى بالقرب منه فكدت أتلظى فدفع الى جام ماء الورد وقد مزج بالكافور فمسحت به وجهى ثم رأيته قد استسقى ماء فاتوه بماء رأيت فيه ثلجا فلم يكن لى وكد الا قطع ما بينى وبينه ثم خرجت من عنده الى بردمائع وقد قال لى لا يصلح هذا البيت لمن يريد الخروج منه (قال) ودخلت عليه فى بعض الايام وهو جالس فى موضع فى آخر داره وقد رفعه على بركة وفى صدره صفة وهو يشرف منها على البستان وعلى حيز الغزلان وحظيرة القمارى وأشباهها فقلت له يا أبا جعفر أنت والله جالس فى الجنة قال فليس ينبغى لك أن تخرج من الجنة حتى تصطبح فيها فجلست واستقر بى المجلس حتى أتوه بمائدة جزع لم أر أحسن منها وفى وسطها جام جزع ملونة قد لوى على جنباتها الذهب الاحمر وهى مملوءة من ماء ورد وقد جعل سافا على ساف كهيئة الصومعة من صدور الدجاج وعلى المائدة سكرجات جزع فيها الاصباغ وأنواع الملح ثم أتينا بشنبوشق بلور وبعده جامات اللوزينج ورفعت المائدة وقمنا من فورنا الى موضع الستارة فقدم بين أيدينا اجانة صينى بيضاء قد كرمت بالبنفسج والخيرى وأخرى مثلها قد عبئ فيها التفاح الشامى قدرنا مقدار ما حضر فيها ألف حبة فما رأيت طعاما أنظف منه ولا ريحا أظرف

منـه فقال لى هـذا حق الصبوح فما أنسى الى الساعـة طيب ذلك اليوم (قال المسعودى) وانما ذكرناهذا الخبرعن محمدبن جعفر ليعلم أن على بن محمـد ابنـه أخبر بضدما كان عليه وانه لم يسلم من لسانه انسان وله أخبار وهجو كثير فى الناس قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا وما كان من قوله فى القاسم بن عبيدالله ودخوله الى المعتضد وهو يلعب بالشطرنج و يتمثل بقول على بن بسام

حياة هذا كموت هذا   فليس يخلومن المصائب

فلما شال رأسه نظر الى القاسم فاستحيا فقال ياقاسم اقطع لسان ابن بسام عنك فخرج القاسم مبادرا ليقطع لسانه فقال له المعتضد بالبر والشغل ولا تعرض له بسوء فولاه القاسم البريد والجسر جسر قنسرين والعواصم من ارض الشام وما كان من قوله فى اسد بن جهور الـكاتب وخبره معه وماعم بهجائه أسدا وغيره من الـكتاب وهو

تعس الزمان لقد أتى بعجائب   ومحا رسوم الظرف والآداب
أو ماترى أسد بن جهور قد أتى   متشبها باجـلة الـكتاب
وأتى باقوام لوانبسطت يدى   فيهم رددتهم الى الـكتاب

(ولما قتل) العباس بن الحسن استوزر المقتدر على بن محمـد بن موسى بن الفرات يوم الاربعاء لاربع ليال خلون من ذى الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين فكانت وزارته الى أن سخط عليه ثلاث سنين وتسعة أشهر وأياما واستوزر محمـد بن عبيدالله بن يحيي ابن خاقان فى اليوم الذى سخط فيه على على بن محمد بن موسى بن الفرات وهو يوم الاربعاء لاربع خلون من ذى الحجة وخلع عليه ولم يخلع على احد غيره وقبض عليه يوم الاثنين لعشر خلون من المحرم سنـة احدى وثلثمائة وخلع على الوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة احـدى وثلثمائة وقبض عليه يوم الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة سنة أربع وثلثمائة واستوزر على بن محمد بن الفرات ثانية وخلع عليـه يوم الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة سنـة أربع وثلثمائة وقبض عليه يوم الخميس لاربع بقين من جمادى الاولى سنـة ست وثلثمائة وخلع على الوزير حامد بن العباس يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ست وثلثمائة وأطلق على بن عيسى فى اليوم الثانى من وزارته وهو يوم الاربعاء وفوضت الامور اليـه وقبض على حامـد بن العباس واستوزر على بن محمـد بن الفرات وهى الثالثة من وزارته وقـد كان ولده محسن بن على هو الغالب على الامور فى هـذه الوزارة فاتى على

جماعة من الكتاب واستوزر المقتدر عبد الله بن محمد بن عبد الله الخاقانى ثم استوزر بعده أحمد بن عبيد الله الخصيبى ثم استوزر على بن عيسى ثانية ثم استوزر على بن محمد ابن على بن مقلة ثم استوزر بعده سليمان بن الحسن بن مخلد ثم استوزر بعده عبيد الله بن محمد الكلوذى ثم استوزر بعده الحسن بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وهو المقتول بالرقة ثم استوزر بعده الفضل بن جعفر بن موسى بن الفرات (وقتل المقتدر بالله) ببغداد وقت صلاة العصر يوم الاربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة وكان قتله فى الوقعة التى كانت بينه وبين مؤنس الخادم بباب الشماسية من الجانب الشرقى وتولى دفن المقتدر العامة وكان وزيره فى ذلك اليوم أبا الفتح الفضل ابن جعفر (وذكر) ان الفضل أخذ الطالع فى وقت ركوب المقتدر بالله الى الوقعة التى قتل فيها فقال له المقتدر أى وقت هو فقال وقت الزوال فقطب له المقتدر وأراد أن لا يخرج حتى أشرفت عليه خيل مؤنس فكان آخر العهد به من ذلك الوقت وكل سادس من خلفاء بنى العباس مخلوع مقتول فكان السادس منهم محمد بن هرون المخلوع والسادس الآخر المستعين والسادس الآخر المقتدر بالله (وللمقتدر أخبار حسان) وما كان فى أيامه من الحروب والوقائع وأخبار ابن أبى الساج وأخبار مؤنس وأخبار سليمان بن الحسن الجبارى وما كان منه بمكة فى سنة سبع عشرة وثلثمائة وغيرها وما كان فى المشرق والمغرب قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا اخبار الزمان مفصلا وفى الكتاب الاوسط مجملا وذكرنا منه فى هذا الكتاب لمعا وارجوان يفسح الله لنا فى البقاء ويمدلنا فى العمر ويسعدنا بطول الايام فنعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمنه فنون الاخبار وانواعا من طرائف الآثار على غير نظم من تأليف ولا ترتيب من تصنيف على حسب ما يسمح من فوائد الاخبار ويوجد من نوادر الآثار ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الاخبار ومخلط الآداب تاليا لما سلف من كتبنا ولاحقا لما تقدم من تصنيفنا (وكانت) وفاة موسى بن اسحق القاضى فى خلافة المقتدر وذلك فى سنة سبع وتسعين ومائتين ومحمد بن عثمان بن أبى شيبة الكوفى ودفن فى الجانب الشرقى وكان هذا من علماء أهل الحديث وكبار أهل النقل

وورد الخبر الى مدينة السلام بان أركان البيت الحرام الاربعة غرقت حتى عم الغرق الطواف وفاضت بئر زمزم وان ذلك لم يعهد فيما سلف من الزمان (وفيها) كانت وفاة يوسف بن يعقوب بن اسمعيل بن حماد القاضى وذلك فى شهر رمضان بمدينة السلام

وهو ابن خمس وتسعين سنة وقيل ان في هذه السنة كانت وفاة محمد بن داود بن خلف الاصبهاني الفقيه وقد قدمنا ذكره وان وفاته كانت في سنة ست وتسعين ومائتين وانما حكينا الخلاف في ذلك (وفي هذه السنة) وهي سنة سبع وتسعين ومائتين كانت وفاة ابن أبي عوف البروري المعدل ببغداد وذلك في شوال وهو ابن نيف وثمانين سنة ودفن في الجانب الغربي وانما نذكر هؤلاء لنقلهم السنن واشتهارهم بذلك وحاجة أهل العلم وأصحاب الآثار الى معرفة وقت وفاتهم (وفيها) مات أبو العباس أحمد بن مسروق المحدث وهو ابن أربع وثمانين سنة ودفن بباب آل حرب من الجانب الغربي وقد قدمنا في هذا الكتاب أخبار من ظهر من آل أبي طالب في أيام بني أمية وبني العباس وفي غيره مما سلف من كتبنا وما كان من أمرهم من قتل أو حبس أو حرب وقد كان ظهر بصعيد مصر أحمد بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فقتله أحمد بن طولون بعد أقاصيص قد أتينا عليها فيما سلف من كتبنا وانما نذكر من ظهر من آل أبي طالب واللمع من أخبارهم في هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على أنفسنا من ايراد ذكرهم ومقاتلهم وغير ذلك من أخبارهم من منذ أمير المؤمنين الى الوقت الذي ينتهي اليه تصنيفنا لهذا الكتاب (وكانت) وفاة يحيى بن الحسين الرسي بعد أن قطن بمدينة صعدة من أرض اليمن في سنة ثمان وسبعين ومائتين وقام بعده ولده الحسين بن يحيى وكان ظهور أبي الرضا وهو محسن بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد في أعمال دمشق في سنة ثلثمائة وكانت له مع أبي العباس أحمد بن كيغلغ وقعة فقتل صبرا وقيل قتل في المعركة وحمل رأسه الى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربي وظهر ببلاد طبرستان والديلم الاطروش وهو الحسن بن علي وأخرج عنها المسودة وذلك في سنة احدى وثلثمائة وقد كان ذا فهم وعلم ومعرفة بالآراء والنحل وقد كان أقام في الديلم سنين وهم كفار على دين المجوسية ومنهم جاهلية وكذلك الجيل فدعاهم الى الله عز وجل فاستجابوا وأسلموا وقد كان للمسلمين بازائهم ثغور مثل قزوين وغيرها وبنى في الديلم مساجد والديلم زعم كثير من الناس من ذوي المعرفة بالنسب أنهم من ولد باسل بن ضبة بن أد وأن الجيل من تميم وقد قيل ان دخول الاطروش الى طبرستان كان في أول يوم من المحرم سنة احدى وثلثمائة وان في هذا اليوم دخل صاحب البحرين البصرة وقتل أميرها عسكر المفلحي وقد أتينا على خبر الاطروش العلوي وخبر ولده وخبر أبي محمد الحسن بن القاسم الحسني الداعي

واستيلائه على طبرستان ومقتله وما كان من الجيل والديلم فى أمره فى كتابنا أخبار الزمان (وكانت) وفاة أبى العباس أحمد بن شريح القاضى فى سنة ست وثلثمائة (وكانت) وفاة أبى جعفر محمد بن ابراهيم بن جابر القاضى بحلب وأدخل الليث بن على بن الليث بن أخى الصفار الى مدينة السلام على الفيل فى سنة سبع وتسعين ومائتين وقدامه الجيش وحوله وقد شهر وقيل ان الليث أدخل الى مدينة السلام فى سنة ثمان وتسعين ومائتين (وفى هذا السنة) وهى سنة ثمان وتسعين ومائتين مات ببغداد أبو بكر محمد بن سليمان المروزى المحدث صاحب الجاحظ وقيل أيضا ان وفاته كانت فى سنة ثمان وتسعين (وفى هذه السنة) كان دخول فارس صاحب مراكب الروم وحربها الى ساحل الشأم فافتتح حصن القبة بعد حرب طويل وعدم مغيث يغيثهم من المسلمين وافتتح مدينة اللاذقيــة فسبى منها خلقا كثيرا ووقع فى الكوفة برد عظيم الواحدة رطل بالبغدادى وريح مظلمة وذلك فى شهر رمضان وانهدم كثير من المنازل والبنيان وكان فيها رجفة عظيمة هلك فيها خلق كثير من الناس هكذا كان بالكوفة فى سنة تسع وثمانين ومائتين وكان بمصر فى هذه السنة زلزلة عظيمة وفيها طلع نجم الذنب (وفيها) غزا وهنانة صاحب الغزو البحر الرومى فى مراكب المسلمين جزيرة قبرس وقد كانوا نقضوا العهد الذى كان فى صدر الاسلام أن لا يعينوا الروم على المسلمين ولا المسلمين على الروم وأن خراجه نصفه للمسلمين ونصفه للروم وأقام وهنانة فى هذه الجزيرة أربعة أشهر يسبى ويحرق ويفتح مواضع قد تحصن فيها وقد أتينا على خبر هذه الجزيرة فيما سلف من هذا الكتاب عند اخبارنا عن جمل البحار ومبادى الانهار ومطارحها فمنع ذلك من اعادة وصفها (وفى سنة) احدى وثلثمائة مات عبدالله بن ناجية المحدث بمدينة السلام وكان مولده فى سنة اثنتى عشرة ومائتين وكان القبض على ابن الجصاص الجوهرى بمدينة السلام فى سنة اثنتين وثلثمائة والذى صح مما قبض من ماله من العين والورق والجوهر والفرش والثياب والمستغلات خمسة آلاف ألف وخمسمائة ألف دينار (وفيها) مات القاسم بن الحسن بن الاشيب ويكنى أبا محمد يوم الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الأولى وكان من كبار العلماء والمحدثين ودفن فى الجانب الغربى فى الشارع المعروف بشارع الحماليق وحضر جنازته محمد بن يوسف القاضى وأبو جعفر محمد بن اسحق بن البهلول القاضى وغيرهم من الفقهاء والعدول والكتاب وأهل الدولة وهو أبو أبى عمران موسى بن القاسم بن

الحسن المعروف بابن الاشيب وهو كبير من فقهاء الشافعيين فى هذا الوقت (وفى هذه السنة) وهى سنة اثنتين وثلثمائة وردا الجيش من الغرب فكان لاهل مصر من أصحاب السلطان معهم حروب عظيمة وقتل فيها خلق كثير واستامن رجل من وجوه البرابرة يعرف بابى حرة الى السلطان وسار الى مدينة السلام فخلع عليه (وفى سنة) سبع عشرة وثلثمائة أدخل يوسف بن أبى الساج الى مدينة السلام وقد شهر على الجمل الفالج وعليه دراعة الديباج التى لبسها عمرو بن الليث ووصيف الخادم وعلى رأسه برنس طويل بشقائق وجلاجل وحوله الجيوش ومؤنس الخادم وراءه مع أرباب الدولة من أصحاب السيوف وقد أتينا على خبر هذه الوقعة التى أسر فيها مؤنس الخادم ابن أبى الساج بناحية اردبيل ومن حضرها من الامراء مثل ابن أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان وعلى بن حسان وأبى الفضل المروى وأحمد بن على بن صعلوك وغيرهم من الامراء والقواد وذكرنا تخلية المقتدر لابن أبى الساج وخروجه من ديار ربيعة ومضر الى بلاد اذربيجان التى هى من أعماله وأرمينية وما كان من غلامه مسك واستيلائه على عمل مولاه ومفارقته الفارقى وما كان من سائر أخبار ابن أبى الساج ومسيره الى واسط ثم مسيره الى الكوفة وما كان من خبره فى حربه لابى طاهر سليمان ابن الحسن الجبائى واسره اياه وقتله له نحو الانبار وهيت حين أشرف على سواده بليق ونظيف غلام ابن أبى الساج وما كان فى هذه الوقعة وهزمه لبليق ونظيف ومسير القرمطى ونزوله على هيت وغير ذلك وذلك فى سنة خمس عشرة وثلثمائة فيما سلف من كتبنا وكذلك ذكرنا ما كان من مؤنس الخادم ومن كان معه من أولياء السلطان من القتال لجيش صاحب المغرب بمصر وذلك فى سنة تسع وثلثمائة

﴿ ذكر خلافة القاهر بالله ﴾

وبويع القاهر محمد بن أحمد المعتضد بالله يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة ثم خلع يوم الاربعاء لخمس خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وسملت عيناه وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام ويكنى بابى منصور وأمه أم ولد

﴿ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه ﴾

واستوزر القاهر أبا على محمد بن على بن مقلة فى سنة احدى وعشرين وثلثمائة ثم عزله واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبد الله الخصيبى وكانت أخلاقه لاتكاد تحصى

لتقلبه وتلونه وكان شهما شديد البطش باعدائه واباد جماعة من أهل الدولة منهم مؤنس الخادم وبليق وعلى بن بليق فهابه الناس وخشوا صولته واتخذ حربة عظيمة يحملها فى يده اذا سعى فى داره ويطرحها بين يديه فى حال جلوسه يباشر الحرب بتلك الحربة لمن يريد قتله فسكن من كان يستعدى على من قبله من الخلفاء والتشعب والوثب عليهم وكان قليل التثبت فى أمره مخوف السطوة فاذا ما وصفنا من فعله الى أن احتيل عليه فى داره فقبض عليه وسملت كلتا عينيه وهو حى هذا فى الجانب الغربى فى دار ابن طاهر على ما نمى الينا من خبره واتصل بنا من أمره وذلك أن الراضى بالله غيب خبره وقطع ذكره فلما بويع ابراهيم المتقى لله أصيب القاهر معتقلا فى بعض المقاصير فامر به الى دار ابن طاهر فاعتقل بها الى هذه الغاية التى وصفنا (وذكر) محمد بن على العبدى الخراسانى الاخبارى وكان القاهر به آنسا قال خلا بى القاهر فقال أصدقنى أو هذه وأشار الى بالحربة فرأيت والله الموت عيانا بينى وبينه فقلت أصدقك ياأمير المؤمنين فقال لى انظر يقولها ثلاثا فقلت نعم ياأمير المؤمنين قال عما أسالك عنه ولا تغيب عنى شيا ولا تحسن القصة ولا تسجع فيها ولا تسقط منها شيا قلت نعم ياأمير المؤمنين قال أنت علامة بأخبار بنى العباس من أخلاقهم وشيمهم من أبى العباس فمن دونه فقلت على أن لى الامان ياأمير المؤمنين قال ذلك لك قال قلت اما أبو العباس السفاح فكان سريعا الى سفك الدماء واتبعه عماله فى الشرق والغرب من فعله واستنوا بسيرته مثل محمد بن الاشعث بالمغرب وصالح بن على بمصر وحازم بن جذيمة وحميد بن قحطبة وكان مع ذلك بحرا سمحا وصولا جوادا بالمال وسلك من ذكرنا ممن كان فى عصره سبيله وذهبوا مذهبه مؤتمين به قال وأخبرنى عن المنصور قلت الصدق ياأمير المؤمنين قال الصدق قلت كان والله أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبد المطلب وبين آل أبى طالب وقد كان قبل ذلك أمرهم واحدا وكان أول خليفة قرب المنجمين وعمل باحكام النجوم وكان معه نوبخت المجوسى المنجم وأسلم على يديه وهو أبو هؤلاء النوبختية وابراهيم الفزارى المنجم صاحب القصيدة فى النجوم وغير ذلك من علوم النجوم وهيئة الفلك وعلى بن عيسى الاسطرلابى المنجم وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية الى العربية منها كتاب كليلة ودمنة وكتاب السندهند وترجمت له كتب ارسطاطاليس من المنطقيات وغيرها وترجم له كتاب المجسطى لبطليموس وكتاب الارثماطيقى وكتاب اقليدس وسائر الكتب القديمة من

اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية وخرجت الى الناس فنظروا فيها وتعلقوا الى علمها وفى أيامه وضع محمد بن اسحق كتاب المغازى والسير وأخبار المبتدا ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة ولا مصنفة وكان أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه وصرفهم فى مهماته وقدمهم على العرب فاتخذت ذلك الخلفاء من بعده من ولده فسقطت وبادت العرب وزال باسها وذهبت مراتبها وأفضت الخلافة اليه وقد نظر فى العلوم وقرأ المذاهب وارتاض فى الآراء ووقف على النحل وكتب الحديث فكثرت فى أيامه روايات الناس واتسعت عليهم علومهم قال القاهر قد قلت فاحسنت وعبرت فبينت فاخبرنى عن المهدى كيف كانت خلافته قلت كان سمحا سخيا كريما جوادا فسالك الناس فى عصره سبيله وذهبوا فى أمرهم مذهبه واتسعوا فى مساعيهم وكان من فعله فى ركوبه أن يحمل معه بدر الدنانير والدراهم فلا يساله أحد الا أعطاه وان سكت ابتدأه المفرق بين يديه وقد تقدم بذلك اليه وأمعن فى قتل الملحدين والمداهنين عن الدين لظهورهم فى أيامه واعلانهم باعتقاداتهم فى خلافته لما انتشر من كتب مانى وابن دميان ومرقيون مما نقله عبد الله بن المقفع وغيره وترجمت من الفارسية والفهلوية الى العربية وماصنف من ذلك ابن أبى العرجاء وحماد عجرد ويحيى بن زياد ومطيع بن اياس من تاييد المذاهب المانية والدنساقية والمرقونية فكثر بذلك الزنادقة وظهرت آراؤهم فى الناس وكان المهدى أول من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم وأقاموا البراهين على المعاندين وازالوا شبه الملحدين فاوضحوا الحق للشاكين وشرع فى بناء المسجد الحرام ومسجد النبى صلى الله عليه وسلم على ماهما عليه الى هذه الغاية وبنى بيت المقدس وقد كان هدمته الزلازل قال فاخبرنى عن الهادى على قصر أيامه كيف كانت أخلاقه وشيمه قلت كان جبارا عظيما وأول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والاعمدة المشهورة والقسى الموتورة فسلكت عماله طريقته وعموا منهجه وكثر السلاح فى عصره قال لقد أجدت فى وصفك وبالغت فيما ذكرت من قولك فاخبرنى عن الرشيد كيف كانت طريقته قلت كان مواظبا على الحج والغزو واتخاذ المصانع والآبار والبرك والقصور فى طريق مكة وأظهر ذلك بها وبمنى وعرفات ومدينة النبى صلى الله عليه وسلم فعم الناس احسانه مع ماقرن به من عدله ثم بنى الثغور ومدن المدن وحصن فيها الحصون

مثل طرسوس وأذنة وعمر المصيصة ومرعش وأحكم بناء الحرب وغير ذلك من دور السبيل والمواضع للمرابطين واتبعه عماله وسلكوا طريقته وقفته رعيته مقتدية بعمله مستنة بإمامته فغمط الباطل وأظهر الحق وأنار الاسلام وبرز على سائر الامم وكان أحسن الناس فى أيامه فعلا أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور لما أحدثته من بناء دور السبيل بمكة واتخاذ المصانع والبرك والآبار بمكة وطريقها المعروف الى هذه الغاية وما أحدثته من الدور للتسبيل بالثغر الشامى وطرسوس وما أوقفت على ذلك من الوقوف وظهر فى أيامه من فعل البرامكة وجودهم وافضالهم وما اشتهر عنهم من أفعالهم وكان الرشيد أول خليفة لعب بالصولجان فى الميدان ورمى بالنشاب فى البرجاس ولعب بالاكرة والطبطاب وقرب الحذاق فى ذلك فعم الناس ذلك الفعل وكان أول من لعب بالشطرنج من خلفاء بنى العباس والنرد وقدم اللعاب وأجرى عليهم الرزق فسمى الناس أيامه لنضارتها وكثرة خيرها وخصبها أيام العروس وكثير ممن يجاوز النعت ويتفاوت فيه الوصف قال القاهر فاراك قد قصرت فى تفصيل أم جعفر فلم ذلك قلت ياأمير المؤمنين ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز قال فتناول الحربة وهزها فرايت الموت الاحمر فى طرفها ثم برق عينيه مع ذلك فاستسلمت وقلت هذا ملك الموت ولم أشك أنه يقبض روحى فاهوى بها نحوى فزغت منها فاسترجع وقد أخطاتنى فقال ويلك أبغضت مافيه عيناك ومللت الحياة قلت ماهو ياأمير المؤمنين قال أخبار أم جعفر زدنى منها قلت نعم ياأمير المؤمنين كان من فعلها وحسن سيرتها فى الجد والهزل مابرزت فيه على غيرها فاما الجد والآثار الجميلة التى لم يكن فى الاسلام مثلها مثل حفرها العين المعروفة بعين المشاش بالحجاز فانها حفرتها ومهدت الطريق لمائها فى كل خفض ورفع وسهل وجبل ووعر حتى أخرجتها من مسافة اثنى عشر ميلا الى مكة فكان جملة ماأنفق عليها مماذكروأحصى ألف ألف وسبعمائة ألف دينار وماقدمت ذكره من المصانع والدور والبرك والآبار بالحجاز والثغور وانفاقها الالوف على ذلك دون ما كان فى وقتها من البذل وماعم أهل الفاقة من المعروف والخصب وأما الوجه الثانى مما تتباهى به الملوك فى أعمالهم وينعمون به فى أيامهم ويصونون به دولهم ويدونون فى أفعالهم وسيرهم فهو أنها أول من اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجوهر وصنع لها الرفيع من الوشى حتى بلغ الثوب من الوشى الذى اتخذ لها خمسين ألف دينار وهى اول من اتخذ الشاكرية من الخدم والجوارى يختلفون على الدواب فى جهاتها ويذهبوا

فى حوائجها برسائلها وكتبها وأول من اتخذ القباب الفضة والآبنوس والصندل وكلاليبها من الذهب والفضة ملبسة بالوشى والسمور والديباج وأنواع الحرير من الاحمر والاصفر والاخضر والازرق واتخذت الخفاف المرصعة بالجوهر وشمع العنبر وتشبه الناس فى سائر أفعالهم بام جعفر ولما أفضى الامر الى ولدها يا أمير المؤمنين قدم الخدم وآثرهم ورفع منازلهم ككوثر وغيره ممن خدمه فلما رأت أم جعفر شدة شغفه بالخدم واشتغاله بهم اتخذت الجوارى المقدودات الحسان الوجوه وعممت رؤوسهن وجعلت لهن الطرر والاصداغ والاقفية وألبستهن الاقبية والقراطق والمناطق فبانت قدودهن وبرزت أردافهن وبعثت بهن اليه فاختلفن فى يديه فاستحسنهن واجتذبن قلبه اليهن وابرزهن للناس من الخاصة والعامة واتخذ الناس من الخاصة والعامة الجوارى المطمومات والبسوهن الاقبية والمناطق وسموهن الغلاميات فلما سمع القاهر ذلك الوصف ذهب به الفرح والطرب والسرور ونادى بأعلى صوته يا غلام قدح على وصف الغلاميات فبادر اليه جوار كثيرة قدهن واحد توهمتهن غلمانا بالقراطق والاقبية والطرر والاقفية ومناطق الذهب والفضة فاخذ الكاس بيده فاقبلت أتامل صفاء جوهر الكاس ونورية الشراب وشعاعه وحسن أولئك الجوارى والحربة بين يديه وأسرع فى شربه فقال هيه فقلت نعم يا أمير المؤمنين ثم أفضى الامر الى المأمون فكان فى بدء أمره لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره يستعمل النظر فى احكام النجوم وقضاياها وينقاد الى موجباتها ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان كاردشير بن بابك واجتهد فى قراءة الكتب القديمة وامعن فى درسها وواظب على قراءتها فافتتن فى فهمها وبلغ درايتها فلما كان من الفضل بن سهل ذى الرياستين ما اشتهر وقدم العراق انصرف عن ذلك كله واظهر القول بالتوحيد والوعد والوعيد وجالس المتكلمين وقرب اليه كثيرا من الجدليين والنظار ين كابى الهذيل وأبى اسحق ابراهيم بن سيار النظام وغيرهم ممن وافقهم وخالفهم وألزم مجلسه الفقهاء واهل المعرفة من الادباء وأقدمهم من الامصار وأجرى عليهم الارزاق فرغب الناس فى صنعة النظر وتعلموا البحث والجدل ووضع كل فريق منهم كتبا ينصر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله وكان أكثر الناس عفوا وأشدهم احتمالا وأحسنهم مقدرة وأجودهم بالمال الرغيب وأبذلهم للعطايا وأبعدهم من التسافه واتبعه وزراؤه وأصحابه فى فعله وسلكوا سبيله وذهبوا مذهبه ثم المعتصم فانه يا أمير المؤمنين سلك فى النحلة رأى

أخيه المامون وغلب عليه حب الفروسية والتشبه بالملوك الاعاجم فى الآلة ولبس القلانس والشاشيات فلبسها الناس اقتداء بفعله وائتماما به فسميت المعتصميات وعم الناس افضاله وأمنت به السبل فى أيامه وشمل احسانه ثم هرون بن محمد الواثق فانه اتبع ديانة أبيه وعمه وعاقب المخالف وامتحن الناس وكثر معروفه وامر القضاة فى سائر الامصار ان لا يقبلوا شهادة من خالفه وكان كثير الاكل واسع العطاء سهل الانقياد متحببا الى رعيته ثم المتوكل يا أمير المؤمنين فانه خالف ما كان عليه المامون والمعتصم والواثق من الاعتقاد ونهى عن الجدل والمناظرة فى الآراء وعاقب عليه وأمر بالتقليد وأظهر الرواية للحديث فحسنت أيامه وانتظمت دولته ودام ملكه وغير ذلك يا أمير المؤمنين مما اشتهر من أخلاقه قال القاهر قد سمعت كلامك وكأنى مشاهد للقوم على ما وصفت معاين لهم فيما ذكرت ولقد سر فى ما سمعت منك ولقد فتحت ابواب السياسة واخبرت عن طرق الرياسة ثم أمر لى بجائزة عجل لى عطاءها فى وقتها ثم قال لى اذا شئت فقم فقمت وقام على أثرى بحربته فخيل والله لى ان يرمينى بها من ورائى ثم عطف نحو دار الخدم فما مضت الايام يسيرة حتى كان من أمره ما ظهر (قال المسعودى) وهذا الرجل الذى أخبرت عنه بهذا الحديث له أخبار حسان وهو حى يرزق الى هذه الغاية وهى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة مداحا للملوك شاعرا لاهل الرياسات حسن الفهم جيد الرأى (وفى خلافة القاهر بالله) وهى سنة احدى وعشرين وثلثمائة كانت وفاة ابى بكر محمد بن الحسن بن دريد ببغداد وكان ممن قد برع فى زمننا هذا فى الشعر وانتهى فى اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها وأورد أشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدمين وكان يذهب فى الشعر كل مذهب فطورا يجزل وطورا يرق وشعره أكثر من أن نحصيه أو يأتى عليه كتابنا هذا فمن جيد شعره قصيدته المقصورة وأولها

أماترى رأسى حاكى لونه ... طرة صبح تحت أذيال الدجى
واشتعل المبيض فى مسوده ... مثل اشتعال النار فى جزل الغضى

(ومنها)

ان الجديدين اذا ما استوليا ... على جديد أدنياه للبلى
لست اذا ماأنهضتنى غمرة ... ممن يقول بلغ السيل الزبى

(ومنها)

وان ثوت بين ضلوعى زفرة ... تملا ما بين الرحا الى الرحا

وقد عارضه فى هذه القصيدة المقصورة جماعة من الشعراء منهم ابو القاسم على بن محمد ابن داود بن الفهم التنوخى الانطاكى وهو فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بالبصرة فى جملة البز يديين واول قصيدته المقصورة التى يمدح فيها تنوخ وقومه من قضاعة

لولا انتهائى لم أطع نهى الهوى　　مدى الصبا نطلب من حاز المدى
ان كنت اقصرت فما أقصر قلـ　　ـب داميا ترميه ألحاظ الدمى
ومقلة ان مقلت أهـل الفضا　　أغضت وفى اجفانها جمر الغضى

(وفيها يقول)

وكم ظباء رعيها ألحاظها　　أسرع فى الانفس من حد الظبى
أسرع من حرف الى جر ومن　　حب الى حبة قلب وحشى
فصاعد من ملك بن حمير　　ما بعده للمرتقين مرتقا

وقد سبق الى المقصورة أبو المقاتل نصر بن نصر الحلوانى بن محمد بن زيد الداعى بطبرستان بقوله

قفا خليلى على تلك الربى　　وسائلاها أين هاتيك الدمى
أين اللواتى ربعت ربوعها　　عليك باستنجادها تشفى الجوى

(ولابن ورقاء فى المقصورة أيضا)

ماشئت قل هى المهاهى التى　　جواهر بكين أطراف الدمى

وممن تاخر بعد موت ابن دريد العمانى أبو عبد الله المفجع وكان كاتبا شاعرا بصيرا بالغريب وهو صاحب الباهلى المصرى الذى كان يناقض ابن دريد فما جود فيه المفجع قوله

ألا طرب الفؤاد الى ردين　　ودون مزارها ذو الحلمتين
ألم خيالها وهنا برحلى　　فولى رعيه الشرطين عينى

وقد أتينا على ما كان فى أيام القاهر مع قصر مدته من الكوائن فى الكتاب الاوسط فمنع ذلك من ذكره فى هذا الكتاب

ذكر خلافة الراضى بالله

وبويع الراضى بالله محمد بن جعفر المقتدر ويكنى أبا العباس يوم الخميس لست خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة فاقام فى الخلافة الى أن مضى من ربيع الاول عشرة أيام سنة تسع وعشرين وثلثمائة ومات حتف أنفه بمدينة السلام وكانت

خلافته ست سنين واحد عشر شهرا وثلاثة أيام ولدو أم أم يقال لها ظلوم

﴿ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه ﴾

واستوزر الراضي أبا علي محمد بن علي بن مقلة ثم استوزر أبا علي عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح ثم أبا جعفر محمد بن قاسم الكرخي ثم ابا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد ثم أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ثم أبا عبد الرحمن بن محمد اليزيدي وكان الراضي أديبا شاعرا ظريفا وله اشعار حسان في معان مختلفة ان لم يكن ضاهى بها ابن المعتز فما نقص عنه فمن ذلك قوله في حاله وحال معشوقه اذا التقيا

يصفر وجهي اذا تأمله　　طرفي ويحمر وجهه خجلا
حتى كأن الذي بوجنته　　من دم وجهي اليه قد نقلا

﴿ ومن جيد شعره قوله ﴾

يارب ليل قد دنا مزاره　　يسترني ومؤنسي أزراره
ساق مليح القد كدجاره　　سراجه ووجهه مناره
يشهد لي ببذله زناره　　تاه بخد ظهر احمراره
ماس مع الخمرة جلناره　　أي كثيب قد حوى ازاره
وأي نور ضمنت ازراره　　طوع الكؤوس غره عذاره
اخفاؤه تعتاده اسراؤه　　لا كان هو لم يثر غباره

(وقد كان) أبو بكر الصولي يروي كثيرا من أشعار الراضي ويذكر حسن أخلاقه وجميل أخباره وارتياضه بالعلم وفنون الادب واشرافه على علوم المتقدمين وخوضه في بحار الجدليين من أهل الدراية والمتفلسفين (وذكر) أن الراضي رأى في بعض منتزهاته بالبونا بستانا مونقا وزهرا رائقا فقال لمن حضر هل رأيتم أحسن من هذا فكل قال أشياء ذهب فيها الى مدحه ووصف محاسنه وانها لا يفي بها شيء من زهرات الدنيا فقال لعب الصولي بالشطرنج والله أحسن من هذا ومن كل ما تصفون (وذكر) أن الصولي في بدء دخوله الى المكتفي وقد كان ذكر له بجودة لعبه الشطرنج وكان الماوردي اللاعب معجبا بلعبه فلعبا جميعا بحضرة المكتفي فحمل المكتفي حسن رأيه في الماوردي وتقدم الخدمة والالفة على نصرته وتسميعه حتى أدهش ذلك الصولي في أول وهلة فلما اتصل اللعب بينهما وجمع له الصولي غايته غلبا لا يكاد يرد عليه شيا وتبين حسن لعب للمكتفي فعدل عن هواه ونصره للماوردي وقال له صار ماء وردك

بولا (قال المسعودى) وقد تناهى بنا الكلام وتغلغل بنا التصنيف الى جمل من أخبار الشطرنج وما قيل فيهامع ماقدمنافيماسلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لاخبار الهند ومبادى اللعب بالشطرنج والنرد واتصال ذلك بالاجسام العلوية والاجرام السماوية فلنذكر جملا مماذكر فى ذلك ممالم يتقدم له ذكرفيماسلف من هذا الكتاب وذكر عمرو بن بحر الجاحظ فى كتابه فى تفصيل صنعة الكلام وهى الرسالة المعروفة بالهاشمية أن الخليل بن أحمد من أجل احسانه فى النحو والعروض وضع كتابا فى الايقاع وتراكيب الاصوات وهو لم يعالج وتراقط ولامس بيده قضيبا قط ولا كثرت مشاهدته للمغنين وكتب كتابا فى الكلام ولو جهد كل بليغ فى الارض أن يتعمد ذلك الخطا والتعقيد لما وقع له ولو أن ممرورا استغرق قوامرته فى الهذيان لما تهيأله مثل ذلك منه ولا يتاتى مثل ذلك لاحد الا بخذلان الله الذى لا يبقى منه شئ قال الجاحظ ولولا أن أسخف الكتاب وأهجر الرسالة وأخرجها من حد الجد الى الهزل حكيت صدر كتابه فى التوحيد وبعض ماوصفه فى العدل قال ولم يرض بذلك حتى عمدالى الشطرنج فزاده فى الدولاب جملا فلعبت به أناس من حاشية الشطرنجيين ثم رموا به وقد ذكر الناس ممن سلف وخلف ان جميع الآلات على هيآتها ست صور لم يظهر فى اللعب غيرها فاولها آلة المربع المشهورة وهى ثمانية فى مثلها ونسبت الى قدماء الهند ثم الآلة المستطيلة وأبياتها أربعة فى ستة عشر والامثلة تنصب فيها فى أول وهلة فى أربعة صفوف من كلا الوجهين حتى تكون الرقاب منها فى صفين والبيادق أيضا أمامها صفين ومسيرها كسير أمثلة الصورة الاولى والآلة المربعة وهى عشرة فى مثلها والزيادة فى أمثلتها قطعتان تسميان الدياسين ومسيرهما كسير الشاة الا أنهما يأخذان ويؤخذان ثم الآلة المدورة المنسوبة الى الروم ثم الآلة النجومية التى تسمى الفلكية وأبياتها على عدد نجوم الفلك مقسومة نصفين وينقل فيها سبعة أمثلة مختلفة الالوان على عدد الخمسة الانجم والنيرين وعلى الوانها (وقد بينا) فيماسلف من أخبار الهند كيفية اتصالها بالاجسام السماوية وقد قيل فى عشقها للاشخاص العلوية وتحرك الفلك بعشقه لما فوقه وقولهم فى النفس ونزولها فى عالم العقل الى عالم الحس حتى نسيت بعد الذكر وجهلت بعد العلم وغير ذلك من تخاليطهم مما يتصل علمه عندهم بمنصوبات الشطرنج ثم آلة أخرى تسمى الجوارحية استحدثت فى زماننا هذا وهى سبعة

أبيات فى ثمانية وأمثلتها اثناعشر فى كل جهة منهاستة كل واحد من الستة يسمى باسم جارحة من جوارح الانسان التى بها يميز وينطق ويسمع ويبصر ويبطش ويسعى وهى سائر الحواس والخامس المشترك وهو الذى من القلب (وقد ذكرت) الهند وغيرهامن اليونانيين والفرس، والروم وغيرهم ممن لعب بها كيفية صورها ومباديها ووجوه عللها والغرائب فيها وتصنيف القوائم والمفردات وأنواع ظرائف المنصوبات (وقد استعمل) نصاب الشطرنج عليها فنون الهزل والنوادر المدهشة فزعم كثير منهم أن ذلك مما يبعث على لعبها وانصباب المواد وصحيح الافكار اليها وان ذلك بمنزلة الارتجاز الذى يستعمله أهل القتال عند اللقاء والحادى عند الاعياء والمائح للعرب عند الاستقاء وأن ذلك عدة للاعب كما أن الشعر والارتجاز من عدة التجارب (وقد قيل) فيما وصفنا أشعار كثيرة مما قاله بعض اللعاب فمن ذلك

نوادر الشطرنج فى وقتها ... أحر من ملتهب الجمر
كم من ضعيف اللعب كانت له ... عونا على مستحسن القمر

(ومما قيل فيها) وبالغ فى وصف اللعب بها المامون

ارض مربعة حمراء من أدم ... ما بين الفين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبها ... من غير أن يسعيا فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على ... هذا يغير وعين الحرب لم تنم
فانظر الى الخيل قد جاشت بمعركة ... فى عسكرين بلا طبل ولا علم

ومما قيل لها وبولغ فى وصفها واستوعب النظر لاكثر معانيها ماقاله أبو الحسن بن أبى البغل الكاتب وكان من جلة الكتاب وكبار العمال وممن اشتهر بمعرفتها واللعب بها وهو

فتى نصب الشطرنج كيما يرى بها ... عواقب لا يسمو بها غير جاهل
وأبصر اعقاب الاحاديث فى غد ... بعينى مجد فى مخيلة هازل
ليجرى على السلطان فى ذاك أنه ... أراه بها كيف اتقاء الغوائل
وتصريف مافيها اذا ما اعتبرته ... شبيه بتصريف القنا والقنابل

(قال المسعودى) فاما ماقيل فى النرد وأوصافها فقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب كيفية نصبها والمحدث للعبها على ماحكى من التنازع فى ذلك عند ذكرنا أخبار الهند وفيها عند ذوى المعرفة بها ضروب من اللعب وفنون من الترتيب ووجوه من النصب

الا ان عدد البيوت واحد لا زيادة فيها ولا نقصان على ما تقدم فى ذلك من عملها والمعهود فى أصولها وان الفصين فيها محكمان واللاعب بها وان لم يكن مختارا ولا خارجا عن حكم الفصين فيها وقضائهما محتاج الى ان يكون صحيح النقل وسابقه صحيح الحساب حسن الترتيب جيده (وقد قيل) فى لعبها ووصفها واحكام الفصين فيها وقضائهما على لعابها أشعار كثيرة بالغوا بالقول فيها وأغرقوا فى استيعاب معانيها (من ذلك) قول بعضهم

لا خير فى النرد لا يأتى ممارسها حسن الذكاء اذا ما كان محروما
تريك أفعال فصيها بحكمها ضدين فى الحال ميمونا ومشؤوما
فما تكاد ترى فيها أخا أدب يفوته القمر الا كان مظلوما

(واخبرنى) أبو الفتح محمد بن الحسن السندى بن شاهك الكاتب المعروف بكشاجم وكان من أهل العلم والرواية والمعرفة والادب انه كتب الى صديق له يذم النرد وكان بها مشتهرا أبياتا وهى

أيها المعجب المفاخر بالنر د ليزهو بها على الاخوان
فلعمرى حرصت جهدا على قد رك لولم تواتك الفصان
غير ان الاديب يكذبه الظ ن ويبكى لشدة الحرمان
واذا ما القضاة جاءت بحكم لم يحد عن قضائها الخصمان
ولعمرى ما كنت أول انسا ن تمنى فما خلقته الامانى

وأنشدنى أبو الفتح أيضا لابى نواس

ومأمورة بالامر تأتى بغيره ولم تتبع فى ذاك غيا ولا رشدا
اذا قلت لم تفعل وليست مطيعة وأفعل ما قالت فصرت لها عبدا

(وقد قدمنا) فى اخبار ملوك الهند فيما سلف من هذا الكتاب قول من قال فى النرد والفصين انها جعلت مثلا للمكاسب وانها لا تنال بالكيس ولا بالحيل وما ذكر عن اردشير بن بابك فى ذلك أنه أول من لعب بها وأرى تقلب الدنيا باهلها وجعله لبيوتها اثنى عشر على ترتيب عدد الشهور وان كلابها ثلاثون كلبا بعدد أيام الشهور وان الفصين مثال القدر وتلعبه باهل هذا العالم وغير ذلك مما وصفنا من أحوالها وما قدمنا من ذكرها فى هذا الكتاب وغيره مما سلف من كتبنا (وذكر) بعض أهل النظر من الاسلاميين أن واضع الشطرنج كان عدليا مستطيعا فيما يفعل وان واضع النرد كان

مجبر افتبين باعب بها انه لا صنع له فيها بل تصرفه فيهـا على مايوجبـه القدر عليـه بها (وذكر) العروضى وهو ممن كان له أدب الراضى وغيره من الخلفاء وأبنائهم قال حدثت الراضى ذات يوم خبراً ألفيته عن مسلم الباهلى فى الكبر وغيره من الخصال التى توجد فى أهل الرياسات مما يحمد فيهم ويكره منهم من الاخلاق فكتب ذلك منى فى حال صباه وعنفوان حداثته ولقد رأيته مواظبا على درسه الى أن استكمل اتقانه فى مجلسه فداخله عند ذلك طرب وفرح وأريحية لم أعهدها منه ثم قال لى وقد اقبـل على لعل الزمان أن يبلغ بى أن أتأدب بهذه الخصال وأكون فى مرتبة من يرتاض بهذه الآداب وهو انه قيل لقتيبة بن مسلم وهو وال على خراسان للحجاج محارب للترك لو وجهت فلانا الرجل من اصحابه الى حرب بعض الملوك على الجيش فقـال قتيبة انه رجل عظيم الكبر ومن عظم كبره اشتد عجبه ومن أعجب برأيه لم يشاور كفيا ولم يؤامر نصيحا ومن تبجح بالاعجاب ونخر بالاستبداد كان من الصنع بعيدا ومن الخذلان قريبـا والخطا مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة ومن تكبر على عدوه حقره واذا حقره تهاون بامره ومن تهاون بامر عدوه وثق بامر قوته وسكن الى جميع عدته ومن سكن الى جميع عـدته قل احتراسه ومن قل احتراسه كثر عثـاره وما رأيت عظيما تكبر على صاحب حرب قط الا كان منكوبا ومهزوما ومخذولا لا والله حتى يكون أسمع من فرس وأبصر من عقاب وأهدى من قطاة وأحذر من عقعق وأشد اقداما من أسد وأوثب من فهد وأحقد من جمـل وأروغ من ثعلب وأسخى من ديك وأشح من ظبى وأحرس من كركى وأحفظ من كلب وأصبر من ضب وأجمع من النمل وان النفس انما تسمح بالعناية على قدر الحاجة وتتحفظ على قدر الخوف وتطمع على قدر السبب وقد قيل على وجه الدهر ليس لمعجب رأى ولا لمتكبر صديق ومن أحب أن يحب تحبب (قال العروضى) وتذاكرنا يوما بحضرة الراضى بالله فى حال صباه وقد حضر جماعة من ذوى العـلم والمعرفة باخبـار الناس ممن غبر فانتهى بنا الامر الى خبر معاوية بن أبى سفيان حين ورد عليه كتاب من ملك الروم أن يرسل اليه سراويل أجسم رجل عنده فقال معاوية لا أعلمه الا قيس بن سعد فقال لقيس اذا انصرفت فابعث الى سراويلك فخلعهـا ورمى بها فقال معـاوية هلا بعثت بها من منزلك فقال قيس

أردت لكيما يعلم الناس أنها ... سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه ... سراويل عادقد نمته ثمود

فقال قائل ممن حضر قد كان جبلة بن الايهم أحد ملوك بني غسان طوله اثنا عشر شبرا فاذا ركب مسحت قدماه الارض فقال له الراضي بالله قد كان قيس بن سعد هذا المذكور تخط قدماه الارض واذا مشى بين الناس يتوهمون أنه راكب وقد كان جدي علي بن عبد الله بن العباس طويلا جميلا يتعجب الناس من طوله وكان يقول كنت الى منكب عبد الله بن عباس وكان عبد الله الى منكب جدي العباس وكان العباس بن عبد المطلب اذا طاف بالبيت يرى كانه فسطاط أبيض قال فتعجب والله من حضر من ايراده هذا الخبر مع صغر سنه ثم تذاكرنا عجائب البلدان وما خص به كل صقع من الارض من أنواع النبات والحيوان والجماد من أحجار أنواع الجواهر وغيرها فقال لي قائل ممن حضر ان أعجب ما في الدنيا طير يكون بارض طبرستان على شاطئ الانهار شبيه بالباشق وأهل طبرستان يسمونه بالككم وهو صياحه الذي يصيح به ولا يصيح في السنة الا في هذا الفصل فاذا صاح اجتمعت عليه العصافير وصغار الطيور مما يكون في المياه وغيرها فتزقه من أول النهار حتى اذا كان في آخره أخذوا احدا مما قرب من الطير فاكله وكذلك يفعل في كل يوم الى أن ينقضي هذا الفصل الربيعي فاذا انقضى ذلك انعكست عليه الطيور فلا تزال تجتمع عليه وتضربه وتطرده وهو يهرب منها ولا يسمع له صوت الى الفصل الربيعي وهو طير حسن موشى حسن العينين قال وذكر علي بن يزيد الطبيب الطبري صاحب كتاب فردوس الحكمة أن هذا الطائر ليس يكاد يرى ولم ترقط قدماه على الارض معا بل يطأ على الارض باحدى قدميه على البدل لا يطأ الارض بهما في حالة واحدة قال وقد ذكر الجاحظ ان هذا الطير من احدى عجائب الدنيا وذلك أنه لا يطأ الارض بقدميه بل باحداهما خوفا على الارض أن تنخسف به من تحته قال والعجب الثاني دودة تكون من المثقال الى الثلاثة تضيء بالليل كضوء الشمع وتطير بالنهار ويرى لها أجنحة خضراء ملساء لا جناحين لها غذاؤها التراب لا تشبع منه قط خوفا أن يفنى تراب الارض فتهلك جوعا وفيها خواص كثيرة ومنافع واسعة قال والعجب الثالث أعجب من الطير والدودة من يكري نفسه للقتل يعني المرتزقة من الجند فاستحسن هذا الخبر من حضر فقال أبو العباس الراضي معارضا لهذا الخبر الذي أخبر بالخبر الاول قد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ أن أعجب ما في الدنيا ثلاث البوم لا يظهر بالنهار خوفا أن تصيبها العين لحسنها وجمالها ولما قد تصور في نفسها أنها أحسن الحيوان فتظهر بالليل والعجب الثاني الكركي لا يطأ بقدميه الارض بل باحداهما فاذا وطئ باحداهما لا يعتمد عليها اعتمادا قويا ومشى بالتاني خوفا من أن تنخسف الارض من تحته

لثقله والعجب الثالث الطائر الذى يقعد على سوق الماء من الانهار اذا انخزفت الذى يعرف بمالك الحزين على شبه الكركى خوفا من الماء أن يفنى من الارض فيموت عطشا قال العروضى فافترق من حضره وكل متعجب من الراضى مع صباه وصغر سنه كيف تتاى منه هذه المذاكرات مع أن من حضره من أهل الرأى والسن والمعرفة (قال المسعودى) وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على عجائب الارض والبحار ومافيها من عجائب البنيان والحيوان والجماد والمائع والرجراج فاغنى ذلك عن ايرادها فى هذا الموضع وانما ذكرنا أخبار الراضى وما كان من أمره فى صباه وما أخبره عنه مؤدبه ونظمنا من أخباره ماتاتى لنا ذكره فى هذا الكتاب (وأخبرنا) العروضى قال سمرت عند الراضى فى ليلة شاتية صهاكية فرأيته قلقا متململا فقلت له ياأمير المؤمنين أرى منك خصالا لم أعهدها وضيق صدر لم أعرفه فقال له دع عنك هذا وحدثنى بحديث فان أنت أزلت بحديثك ماأجده من الهم فلك ماعلى وماتحتى على أن أشترط عليك ازالة الهم بالضحك قلت ياأمير المؤمنين رحل رجل من بنى هاشم الى ابن عمه بالمدينة فاقام عنده حولا لم يدخل مستراحا فلما كان بعد الحول أراد الرجوع الى الكوفة فحلف عليه أن يقيم عنده أياما أخر فاقام وكان للرجل قينتان فقال لهما أما رأيتما ابن عمى وظرفه أقام عندنا حولا لم يدخل الخلاء فقالتا له فعلينا أن نصنع له شيا لا يجد معه بدا من الخلاء قال شانكما وذلك فعمدتا الى خشب العشر فدقتاه وهو مسهل وطرحتاه فى شرابه فلما حضر وقت شرابهما قدمتاه اليه وسقياه مولاهما من غيره فلما أخذ الشراب منهما تناوم المولى وتمغص الفتى فقال للتى تليه ياسيدتى أين الخلاء فقالت لها صاحبتها مايقول لك قالت يسالك أن تغنيه

خلا من آل فاطمة الديار فمنزل أهلها منها قفار

فغنته فقال الفتى أظنهما كوفيتين ومافهمتا ثم التفت الى الاخرى فقال لها ياسيدتى أين الحش فقالت لها صاحبتها مايقول لك قالت يسالك أن تغنيه

أوحش الدقرات والدير منها فعناها بالمنزل المعمور

فغنته فقال الفتى أظنهما عراقيتين ومافهمتاعنى ثم التفت الى الاخرى فقال لها اعزك الله أين المتوضا فقالت لها صاحبتها مايقول لك قالت يسالك أن تغنيه

توضا للصلاة وصل خمسا وأذن بالصلاة على النبى

فغنته فقال أظنهما حجازيتين ومافهمتاعنى ثم التفت الى الاخرى فقال لها ياسيدتى أين الكنيف قالت لها صاحبتها مايقول لك قالت يسالك ان تغنيه

تكنفني الواشون من كل جانب ولو كان واش واحد لكفانيا

فغنته فقال أظنهما يمانيتين وما فهمتاعنى ثم التفت الى الاخرى فقال لها ياهذه أين المستراح فقالت لها صاحبتها ماقال لك قالت يسالك ان تغنيه

ترك الفكاهة والمزاحا وقلى الصبابة واستراحا

فغنته والمولى يسمع ذلك وهو متناوم فلما اشتد به الامر أنشا يقول

تكنفني السلاح وأضجرونى على مابى بتكرير الاغانى

فلما ضاق عن ذاك اصطبارى ذرقت به على وجه الزوانى

ثم انه حل سراويله وسلح عليهما فتركهما آية للناظرين واتبعه المولى فى أثر ذلك فلما رأى مانزل بجواريه قال ياأخى ماحملك على هذا الفعل قال ياابن الفاعلة لك جواريرون المخرج صراطا مستقيما لايدلننى عليه فلم أجد جزاء غير هذا ثم رحل عنه قال فذهب بالراضى الضحك كل مذهب وسلم الى كل ما كان عليه وتحته من لباس وفرش فكان مبلغ ثمن ذلك نحوا من ألف دينار (وذكر) الصولى قال قال الراضى ما كان السبب فى لبس المامون الخضرة ورقعة السواد ثم لبسه السواد بعد ذلك قلت هو ما أخبرنا به محمد بن زكريا الغلابى قال حدثنا يعقوب بن جعفر بن سليمان قال لما قدم المامون بغداد اجتمع الهاشميون الى زينب بنت سليمان بن على وكانت أقعد ولد العباس نسبا وأكرمهم بيتا فسألوها أن تكلم أمير المؤمنين فى تغييره الخضرة فضمنت لهم ذلك وجاءت الى المامون فقالت ياأمير المؤمنين انك على بر أهلك من ولد على بن أبى طالب أقدر منك على برهم لنا من غير أن تزيل سنة من مضى من آبائك فدع لباسك الخضرة ولا تطمعن أحدا فيما كان منك قال لها ياعمة ما كلمنى أحد فى هذا المعنى بكلام أوقع من كلامك ولا أقصد لما أردت لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى فولى الامرة أبو بكر فقد عرفت ما كان من أمره فينا أهل البيت ثم وليها عمر فلم يتعد فيها فعل من تقدمه ثم وليها عثمان فأقبل على بنى أمية وأعرض عن غيرهم ثم آل الامر الى على بن أبى طالب من غير صفو كصفوها لغيره بل مشوبة بالاكدار فولى مع ذلك عبدالله بن العباس البصرة وولى عبيدالله بن العباس اليمن وولى قثم البحرين وما أحد منهم الا ولاه فكانت هذه فى أعناقنا حتى كافأته فى ولده بما فعلت ولا يكون بعد هذا الا ما تحبون ثم رجع الى لبس السواد وللمأمون ياأمير المؤمنين شعر يشاكل معنى ماذكرت من هذا الخبر وهو قوله

ألام على شكر الوصى أبى الحسن وذلك عندى من عجائب ذا الزمن

خليفة خير الناس والاول الذى أعان رسول الله فى السر والعلن
ولولاه ماعدت لهاشم امرة وكانت على الايام تقضى وتمتهن
فولى بنى العباس مااختص غيرهم ومن فيه أولى بالتكرم والمنن
فاوضح عبدالله بالبصرة الهدى وفاض عبيدالله جودا على اليمن
وقسم أعمال الخليفة بينهم فلازلت مربوطا بذا الشكر مرتهن

وكان القاهر قد عمد الى كثير من الاموال عند قتله لمؤنس وبليق وابنه على وغيرهم فغيبها فلما قبض عليه وسملت عيناه وأفضت الخلافة الى الراضى طولب القاهر بالاموال فانكر أن يكون عنده شئ من ذلك فاوذى وعذب بانواع من العذاب وكل ذلك لايزيده الا انكارا فاخذه الراضى وقربه وأدناه وطالت مجالسته اياه واكرامه له وأعطاه حق العمومية والسن والتقدم فى الخلافة ولاطفه وأحسن اليه غاية الاحسان وكان للقاهر فى بعض الحصون بستان من ريحان وغرس من النارنج قد حمل اليه من البصرة وعمان مما حمل الى أرض الهند قد اشتبكت أشجاره ولاحت ثماره كالنجوم من أحمر وأصفر وبين ذلك أنواع الغروس والرياحين والزهر وقد جعل مع ذلك فى الصحن أنواع الاطيار من القمارى والدبابى والشحارير والببغاء مما قد جلب اليه من الممالك والامصار وكان فى غاية الحسن وكان القاهر كثير الشرب عليه والجلوس فى تلك المجالس فلما أفضت الخلافة الى الراضى اشتد شغفه بذلك الموضع فكان يداوم الجلوس والشرب فيه ثم ان الراضى رفق بالقاهر وأعلمه بما هو فيه من مطالبة الرجال بالاموال والحاجة اليها ولاشئ قبله منها وسأله أن يسعفه بما عنده منها اذ كانت الدولة له وأن يدبر تدبيره ويرجع فى كل الامور الى قوله وحلف له بالايمان الوكيدة أن لايسعى فى قتله ولا الاضرار به ولا باحد من ولده فانعم له القاهر بذلك وقال ليس لى مال الا فى بستان النارنج فصار به الراضى الى البستان وساله عن الموضع فقال له القاهر قد حجب بصرى فلست أعرف موضعه ولكن مر بحفره فانك تظهر على الموضع ولايخفى عليك فكان ذلك فحفر البستان وقلع تلك الاشجار والغروس والازهار حتى لم يبق منه موضع الا حفره وبولغ فى حفره فلم يجد شيا فقال له الراضى فاههنا شئ مما ذكرت فما الذى حملك على ما صنعت فقال له القاهر وهل عندى من المال شئ انما كانت حسرتى جلوسك فى هذا الموضع وتمتعك به وكان لذتى من الدنيا فتاسفت على أن يتمتع به بعدى غيرى فتاسف الراضى على ما توجه عليه من الحيلة فى أمر ذلك البستان وندم على قبوله

منه وأبعد القاهر فلم يكن يدنو منه خوفا على نفسه أن يتناول بعض أطرافه وكان الراضى كثير الاستعمال للطيب حسن الهيئة سخيا جوادا حسن المذاكرة باخبار الناس وأيامهم مقربا لاهل العلم والادب والمعرفة كثير الدنو منهم فائضا بجوده عليهم ولم يكن ينصرف عنه أحد من ندمائه فى كل يوم الا بصلة أو خلعة أو طيب وكانوا عدة ندماء منهم محمد بن يحيى الصولى وابن حمدون النديم وغيرهما فعوتب على كثرة افضاله على من يحضر من الجلساء فقال أنا أستحسن فعل أمير المؤمنين أبى العباس لانه كانت فيه فضائل لا تكاد تجتمع فى أحد لا يحضره نديم ولا مغن ولا قينة فينصرف الا بصلة أو كسوة قلت أو كثرت وكان لا يؤخر احسان محسن لغد ويقول العجب من انسان يفرح انسانا فيتعجل السرور ويؤخر ثوابا من سرد تسويفا وعدة فكان أبو العباس فى كل ليلة أو يوم يقعد لشغله لا ينصرف أحد ممن حضره الا مسرورا ونحن وان لم تتات لنا الامور كتاتيها لمن سلف فانا نواسى جلساءنا بل اخواننا ببعض ماحضرنا وكان سخيا على سائر الاشياء لا يستكثر لاحد من ندمائه كثرة مايصل اليه على طول الايام حتى كان بعضهم ربما يتاخر عن الحضور لما يترادف عليه من فضله وكان الغالب عليه من الخدم راغب الخادم وزيرك ومن الغلمان ذكى وغيره (وحدث) أبو الحسن العروضى مؤدب الراضى قال اجتزت فى يوم مهرجان بدجلة بدار يحكم التركى فرأيت من الهرج والملاهى واللعب والفرح والسرور مالم أر مثله ثم دخلت الى الراضى بالله فوجدته خاليا بنفسه قد اعترادهم فوقفت بين يديه فقال لى ادن فدنوت فاذا بيده دينار ودرهم فى الدينار نحو من مثاقيل وفى الدرهم كذلك عليه صورة يحكم شاك فى سلاحه وحوله مكتوب

انما العز فاعلم * للامير المعظم * سيد الناس يحكم

ومن الجانب الآخر الصورة بعينها جالس فى مجلسه كالمفكر المطرق فقال الراضى أما ترى صنع هذا الانسان وماتسمو اليه همته وماتحدثه به نفسه فلم أجبه بشئ وأخذت به فى أخبار من مضى من ملوك الفرس وغيرها وما كانت تلقى من اتباعها وصبرهم عليهم وحسن سياستهم لذلك حتى تصلح أمورهم وتستقيم أحوالهم فسلا عما عرض لنفسه ثم قلت يمتع الله أمير المؤمنين أن يكون كالمأمون فى هذا الوقت حيث يقول

صل الندمان يوم المهرجان ... بصاف من معتقة الدنان
بكأس خسروانى عتيق ... فان العيد عيد خسروانى

وجنبني الزبيبيين طرا فشأن ذوي الزبيب خلاف شاني
فاشربها وأزعمها حراما وأرجو عفو رب ذي امتنان
ويشربها ويزعمها حلالا وتلك على الشقي خطيئتان

فطرب وأخذته أريحية فقال لي صدقت ترك الفرح في مثل هذا اليوم عجز وأمر باحضار الجلساء وقعد في مجلس التاج على دجلة فلم أر يوما كان أحسن منه في الفرح والسرور وأجاز في ذلك اليوم من حضر من الندماء والمغنين والملهين بالدنانير والدراهم والخلع وأنواع الطيب وأتته هدايا بحكم وألطافه من أرض العجم فسر في ذلك اليوم وجميع من حضره (قال المسعودي) وقد أتينا على ما كان في أيام الراضي من الكوائن والحوادث مجملا ومفصلا في كتابنا أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة وما كان من أمره حال خروجه مع بحكم الى بلاد الموصل وديار ربيعة وما كان بين بحكم وأبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان المسمى بعد ذلك بناصر الدولة وقصدنا فيما ذكرناه في هذا الكتاب الى الاختصار دون الشرح والاكثار اذ كان في الاكثار من الاخبار ثقل على القلوب وملل للسامع وقليل الاخبار يغني عن كثير الاقتدار

﴿ ذكر خلافة المتقي لله ﴾

وبويع المتقي لله وهو أبو اسحق ابراهيم بن المقتدر لعشر خلون من ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة وخلع وسملت عيناه يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وكانت خلافته ثلاث سنين واحد عشر شهرا وثلاثة وعشرين يوما وأمه أم ولد

﴿ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه ﴾

ولما أفضت الخلافة الى المتقي لله أقر على الوزارة سليمان بن الحسن بن مخلد ثم استوزر أبا الحسن أحمد بن محمد بن تيمون وكان كاتبه قبل الخلافة ثم استوزر أبا اسحق محمد ابن أحمد القراريطي ثم استوزر أبا العباس أحمد بن عبد الله الاصبهاني ثم استوزر أبا الحسن علي بن مقلة وغلب على الامر أبو الوفاء توزون التركي واشتد أمر الزيديين بالبصرة ومنعوا السفن أن تصعد وعظم جيشهم وكثرت رجالهم وصار لهم جيشان جيش في الماء في السدوات والطيارات والسماريات والديارب وهذه أنواع من المراكب يقاتل فيها صغار وكبار وجيش في البر عظيم واصطنعوا الرجال وبذلوا الرغائب فانضاف

اليهم حجرية السلطان وغلمانه وصار جيش السلطان الاتراك والديلم والجيل ونفرا من القرامطة وكل ذلك مع توزون وكان توزون من رفقاء بجكم والخواص من اصحابه فانحدر توزون الى واسط لحرب البزيديين وكانوا ملكوا واسط وتغلبوا عليها فكانت بينهم سجالا والمتقى لله لا أمر له ولا نهى فكاتب المتقى أبا محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة وأخاه أبا الحسن على بن عبد الله سيف الدولة أن ينجدوه ويستنقذوه مما هو فيه ويفوض اليهما الملك والتدبير وقد كان قبل ذلك خرج اليهم وتوزون فى جماتهم منضاف وغيره من الاتراك والديلم وذلك عند قتلهم محمد بن رائق فى سنة ثلاثين وثلثمائة وانحدارهم الى مدينة السلام واستيلائهم على الملك والقيام له وحربهم البزيديين وما كان بينهم من الوقائع الى أن توجه عليهم ماذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان من خروج أبى محمد الحسن بن عبد الله من الحضرة الى الموصل ولحوق أخيه أبى الحسن على بن عبد الله وخلاصه مما دبره عليه توزون وجعجع التركى فخرج المتقى الى الموصل فلما بلغ توزون ذلك رجع الى بغداد وقصد بنى حمدان فكان التقاؤهم بعكبر فكانت بينهم سجالا ثم كانت لتوزون عليهم فرجع الى بغداد ثم اجمعوا أيضا ورجعوا اليه فتركهم حتى قربوا الى بغداد فخرج عليهم فلقيهم فهزمهم بعد مواقعات كانت بينهم وسار هو حتى دخل الموصل وخرج عنها الى مدينة بلد فصالحوه على مال حملوه اليه فرجع الى بغداد وهو مستظهر بمن معه من الاتراك والجيل والديلم وكمال العدة والكراع وسار المتقى الى نصيبين ورجع عنها الى الرقة فنزلها وذلك لايام بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكاتب الاخشيد محمد بن طغج فسار الى الرقة وحمل اليه مالا كثيرا وأهدى اليه غلمانا وأثاثا وضم اليه قائدا من قواده وجمل امره وزاد فى حاله وبر جميع من معه من وزيره أبى الحسن على بن مقلة وقاضى القضاة أحمد بن عبد الله بن اسحق الحرقى وسلام الحاجب المعروف باخى نجح الطولونى وجماعة الوجوه والغلمان ثم لم يعبر الاخشيد محمد بن طغج الى الرقة ولا الى شئ من جانب الجزيرة وديار مصر وعبر المتقى وسار الى معسكره من الجانب الشامى فكانت بينهم خطوب وأيمان وعهود وأبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان مقيم بحران طول مقام المتقى بالرقة وقد كان أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان سار عن حلب وبلاد حمص عند مسير الاخشيد الى بلاد قنسرين والعواصم فانفض جمعه وتفرق جنده عنه وانضافوا الى الحسن بن على بن عبد الله واتصلت كتب توزون بالمتقى وتواترت رسله

يساله الرجوع الى الحضرة واشهد توزون من حضره من القضاة والفقهاء والشهود وأعطى العهود والمواثيق بالسمع والطاعة للمتقي والتصرف له بين أمره ونهيه وترك الخلاف عليه وأنفذ اليه كتب القضاة والشهود بمما بذل من الايمان وأعطى من العهود وأشار بنو حمدان على المتقي أن لا ينحدر وخوفوه من توزون وحذروه أمره فانه لا يامنه على نفسه فابى الا مخالفتهم والثقة بما ورد عليه من توزون وقد كان بنو حمدان أنفقوا على المتقي نفقة واسعة عظيمة طول مقامه عندهم واجتيازه بهم يكثر وصفها ويعسر علينا في التحصيل ايرادها باكثار المخبرين لنا بتحديدها وانصرف الاخشيد عن الفرات متوجها نحو مصر وانحدر المتقي في الفرات فتلقاه ابو جعفر بن سيرار كاتب توزون باحسن لقاء وأقام الاتراك ومضى في انحداره حتى دخل النهر المعروف بنهر عيسى وصار الى الضيعة المعروفة بالسندرية على شاطئ هذا النهر فتلقاه توزون هنالك وترجل له ومشى بين يديه فاقسم عليه أن يركب ففعل حتى وافى به الى المضرب الذي كان ضرب له على الشط من نهر عيسى وذلك على شوط من مدينة السلام فاقام هنالك وأنفذ رسلا الى دار طاهر ليحضر المستكفي فلما حصل المستكفي في المضرب قبض على المتقي ونهب جميع ما كان معه وقبض على وزيره أبي الحسن على بن محمد بن مقلة وعلى قاضيه أحمد بن عبد الله بن اسحق ونهب جميع العسكر وانصرف القائد الذي كان الاخشيد ضمه الى المتقي ومن معه الى صاحبهم وأحضر المستكفي فبويع له وبكى المتقي وصاح النساء والخدم لصياحه فامر توزون بضرب الدبادب حول المضرب تخفي صراخ الخدم وأدخل الى الحضرة مسمول العينين وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم وسلم الى المستكفي بالله وبلغ ذلك القاهر فقال قد صرنا بحقيق نحتاج الى صدر يعرض بالمستكفي بالله (وحدث) محمد بن عبد الله الدمشقي قال لما نزل المتقي الرقة كنت فيمن يتصرف بين يديه وأقرب منه في الخدمة لطول صحبته فقال لي في بعض الايام في الرقة وهو جالس في داره على الفرات اطلب لي رجلا أخباريا يحفظ أيام الناس أنفرج اليه في خلواتي واستريح به في الاوقات قال فسالت بالرقة عن رجل بهذا الوصف فارشدت الى رجل بالرقة كهل لازم لمنزله فصرت اليه ورغبته في الدخول الى المتقي لله فقام معي كالمكره وصرنا الى المتقي فاعلمته احضاري للرجل الذي طلبه فلما خلا وجهه دعا به واستدناه فوجد عنده ما أراد فكان معه أيام مقامه بالرقة فلما انحدر كان معه في الزورق فلما صار الى نهر سعيد وذلك بين الرقة والرحبة أرق المتقي ذات ليلة فقال للرجل ما تحفظ من أشعار المبيضة

واخبارها فرالرجل فى أخبار آل أبى طالب الى أن صار الى أخبار الحسن بن زيد وأخيه محمد بن زيد بن الحسن وما كان من أمرهما ببلاد طبرستان وذكر كثيرا من محاسنهما وقصد أهل العلم والادب اياهما وماقالت الشعراء فيهما فقال له المتقى أتحفظ شعر أبى المقاتل نصر بن نصر الحلوانى فى محمد بن زيد الحسنى الداعى قال لا يا أمير المؤمنين لكن معى غلام لى قد حفظ بحداثة سنه وحدة مزاجه وغلبة الهمة لطلب العلم والادب عليه مالم أحفظ من أخبار الناس وأيامهم وأشعارهم قال أحضره ولم أخفيت عنى خبر مثل هذا فيكون حضوره دزيادة فى أنسنا فاحضر الغلام من زورق آخر فوقف بين يديه فقال له صاحبه أتحفظ قصيدة أبى المقاتل فى ابن زيد قال نعم قال المتقى أنشد فيها فابتدأ ينشد داياها

لا تقل بشرى وقل لى بشريان ... غرة الداعى ويوم المهرجان
خلقت كفاه موتا وحياة ... وحوت أخلاقه كنه الجنان
فهو فصل فى زمان بدوى ... وابن زيد مالك رق الزمان
فهو للكل بكل مستقل ... بالعطايا والمنايا والامان
أوحد قام بتشييد المبانى ... فبه استنبط أجناس المعان
مسرف فى الجود من غير اعتذار ... وعظيم البر من غير امتنان
وهو من أرسى رسول الله فيه ... وعلياه المعلى والحسان
سيد عرق فيه السيدان ... والذى يكبر عن ذكر الحصان
مختف فكرته فى كل شئ ... فهو فى كل محل ومكان
يعرف الدهر على ماغاب عنه ... فيرى المضمر فى شخص العيان
تتناءى الفاظنا عنه ولكن ... هو بالاوصاف فى الاذهان دان
أخرجت ألفاظه مافى الخفايا ... وكفاه الدهر نطق الترجمان
كافر بالله جهرا والمثانى ... كل من قال له فى الخلق ثان
واذا ما أسبغ الدرع عليه ... وانكفت يمناه بالسيف اليمان
بعثت سطوته فى الموت رعبا ... أيقن الموت بان الموت فان
يحدق الابطال بالالحاظ حتى ... يترك المقدام فى شخص الجبان
ملك الموت يناديه أجرنى ... منك كم تغزو بضرب وطعان

لا تكلفنى فوق الوسع وارفق   فلقد ملكك الله عنان
ياشقيق القدر المحتوم كم قد   رضت بالضيم عمادا وحزان
لك يومان فيوم من لبان   يقتنى يوم أرون أوريان
انجزت كفاك وعدا ووعيدا   وأحاطت لك بالدنيا اليدان
فاذا ماأروت اليمنى حباء   همت اليسرى بارواء السنان
جدتا فى النفع والضر بدارا   فهما فى كل حال ضرتان
أرخت كفاك فى الآفاق حتى   ماتلاقى بسواك الشفتان
قدمنك المدح الغر وصالت   لك أيضا فى أعاديك الهجان
أنت لا تحوى بمعقول كتاب   لك شأن خارج عن كل شان
لك اثقال أياد مثقلات   عجزت عن حملهن الثقلان
انما مدحك وحى وزبور   والذى ضمت عليه الدفتان
ها كها جوهرة تبرية تو   لى وجوه الموت تنفين الحنان
ياامام الدين خذها من امام   ملكت اشعاره سبق لرهان
واستمع للرمل الاول من   كشف المحنة من غير امتحان
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن   ستة أجزاؤها عز الوزان
كرة الآفاق لا تطلع الا   صارت الريح لها كالصولجان
حليت فى صنعة الالفاظ مما   يرتجيه كل ذى عفو وجان
انت تحكى جنة الخلد طباعا   والقوافى فيك كالحور الحسان
وابق للشعر بقاء الشعر والشك   ر مع الدهر فنعم الباقيان
عمر رضوى بل ثبير وشآم   وأرام وشمار يخ أبان
شهد الله على مافى ضميرى   فاستمع لفظى ترجيع أذان
حسنات ليس فيها سيآت   مدحة الداعى اكتبا ياكاتبان

فلم يزل المتقى كلما مر به بيت استعاده ثم أمر الغلام بالجلوس فلما كان فى اليوم الذى لقيه فيه ابن سيرار الكاتب سمعه ينشد هذا البيت * لا تقل بشرى وقل لى بشريان * فقال له الغلام وقد كان أنس به ياأمير المؤمنين * دامت البشرى فقل لى بشريان * وقد كان انشده أولا القصيدة لا تقل بشرى وأنشده هذا الوجه دامت البشرى فقل لى وذكر له خبر أبى المقاتل مع الداعى فوالله مازال المتقى يقول لا تقل بشرى ولا يختار فى

ذلك الوجه غير ذلك فقال له الرقى والغلام والله لتطيرنا لامير المؤمنين من اختياره انشاد هذا البيت على هذا الوجه فكان من أمره ماذكرنا (وحدث) محمد بن عبد الله الدمشقى قال لما انحدرنا مع المتقى من الرحبة وصرنا الى مدينة غانة دعا بالرقى وغلامه فحادثاه وتسلسل بهم القول الى فنون من الاخبار الى أن صاروا الى ذكر الخيل فقال المتقى أيكم يحفظ خبر سليمان بن ربيعة الباهلى فقال الغلام ذكر عمرو بن العلاء ياأمير المؤمنين أن سليمان بن ربيعة الباهلى كان يهجن الخيل ويعديها فى زمن عمر بن الخطاب فجاءه عمرو بن معديكرب بفرس كميت هجين فاستعدى عليه عمر وشكاه اليه فقال سليمان ادع باناء رجراج قصير الجدر فدعا به فصب فيه ماء ثم أتى بفرس عتيق لاشك فى عتقه فاسرع وثنى وشرب ثم أتى بفرس عمرو الذى كان هجين فاسرع سنبكه ومد عنقه كما فعل العتيق ثم ثنى أحد السنبكين قليلا فشرب فلما رأى ذلك عمر بن الخطاب وكان ذلك بمحضره قال أنت سليمان الخيل فقال المتقى فما عندكم عن الاصمعى وغيره من علماء العرب فى صفاتها قال الرقى ذكر الرياشى عن الاصمعى قال اذا كان الفرس طويل أوظفة اليدين قصير أوظفة الرجلين طويل الذراعين قصير الساقين طويل الفخذين طويل العضدين منفرج الكتفين لم يكد يسبق وقال اذا سلم من الفرس شيآن لم يضره عيب سواهما مغروز عنقه فى كاهله ومغروز عجزه فى صلبه واذا جادت حوافره فهو هو وأنشدنا المبرد

ولقد شهدت الخيل تحمل سكتى — عنه كسرحان القضيمة منهب
فرس اذا استقبلته فكأنه — فى العين جرع من أوائل مشرب
واذا اعترضت له استوت اقطاره — فكأنه مستدبر المتصوب

وسأل ياأمير المؤمنين معاوية مطر بن دراج اى الخيل أفضل وأوجز فقال الذى اذا استقبلته قلت نافر واذا استدبرته قلت زاخر واذا استعرضته قلت زافر سوطه عنانه وهواه أمامه قال فاى البراذين شر قال الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذى اذا ارسلته قال أمسكنى واذا أمسكته قال أرسلنى قال الغلام أحسن ماقيل فى الفرس ووصفه قول بعضهم

خير مايركب الشجاع اذاما — قيل يوما ألا اركبوا للغوار
كل نهد أقب معتدل الخلـ — ـق متين الشظى عتيق النجار
سلجم اللحى واسع السحر حد — الاذن وافى الدماغ والوجه عار
ماحمته الحرار واشتد عليا — ه فاكدى محدود بابا العوار

محضر القصر مكرب الرسغ دامي الا بطساعي الجفون والاشفار
مسرف مفتل نجيب اذا ما أد برمستد بركر صفار
فهو في خلقه طوال ورحب وعراض الى سداد قصار
طال زاهيه والذراعان والاض لاع منه فتم في اخفار
ثم طالت وأيدت نخـذاه فهو كفت الوثوب بيت الخيار
والرحيب الفروج والجلد والمش عر قدام منحر كلوجار
والعريض الوظيف والجنب والاو راك والجبهة العريض النقار
والحديد الفؤاد والسمع والعر قوب والطرف حدة في وقار
فهو صافي الاديم والعين والحا فر غمر بديهة الاحضار
والقصير الكراع والظهر والرسـ غ العصيب العسيب والصلب وار
لم تخن مثله القطاة ولم يسـ لمه تركيبها الى استئخار
مطمئن النسوريين حزام كل لام أحم كالمنقار
يكفت المشي كالذي يتخطى طنبا أو يستل كالمسمار
واذا ما استمر من غير مابا س به مانع من استمرار
لان فاهتز مقبلا فاذا ما أدبر أهوى متابع الادبار
في تعاقيب كالتماثيل أو كالـ ـجن أو كالظباء او كالحوار
فاذا ما طحا به الجري فالمقـ ـبان تهوي كواسر الاعسار

فلما كان في الليلة الثانية دعاهما فقال عودا الى ما كنتما عليه البارحة واشرعا في أخبار الحلائب ومراتب الخيل فيها قال الغلام يا أمير المؤمنين أذكر قولا جامعا أخبرني به كلاب بن حمزة العقيلي قال كانت العرب ترسل خيلها عشرة عشرة أو أسفل والقصب تسعة ولا يدخل الحجر المحجر من الخيل الا ثمانية وهذه أسماؤها الاول السابق وهو المجلي قال أبو الهندام كلاب انما سمي المجلي لانه جلى عن صاحبه ما كان فيه من الكرب والشدة وقال الفراء انما سمي المجلي لانه يجلي عن وجه صاحبه والثاني المصلي لانه وضع جحفلته على قطاة المجلي وهي صلاه والصلا عجب الذنب بعينه والثالث المسلي لانه كان شريكا في السبق وكانت العرب تعد من كل ما يحتاج ثلاثة أو لانه سلى عن صاحبه بعض همه بالسبق والرابع التالي سمي بذلك لانه تلا هذا المسلي في حال دون غيره والخامس المرتاح وهو المفتعل من الراحة لان في الراحة خمس أصابع لا يعدمنها غيرهن واذا أومات العرب

من العدد الى خمس فتح الذى يومئ بها يده وفرق صابعه الخمس وذلك أيضا مايومؤن به من غير عقد الحساب ثم يكون بعدها الى أن تكون عشرة فيفتح الذى يومئ بهايديه جميعا ويقابل الخمس أصابع بالخمس فلما كان الخامس مثل خامسة الاصابع وهى الخنصر سمى مرتاحا وسمى السادس حظيا لان له حظا وقيل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى السادس قضة وهى آخر حظوظ خيل الحلبة فله حظ وسمى السابع العاطف لدخوله الحجرة لانه قد عطف بشئ وان قل وحسن اذ كان قد دخل المحجور وسمى الثامن المؤمل على القلب والتفاؤل كما سموا الفلاة مفازة واللديغ سليما وكنوا الحبشى أبا البيضاء ونحو ذلك فكذلك سموا الخائب المؤمل أى أنه يؤمل وان كان خائبا لانه قرب من بعض ذوات الحظوظ بعد والتاسع اللطيم لانه لورام الحجرة للطم دونها لانه أعظم جرما من السابع والثامن والعاشر السكيت لان صاحبه يعلوه خشوع وذلة ويسكت حزنا وعيا فكانوا يجعلون فى عنق السكيت حبلا ويحملون عليه قردا ويدفعون للقرد سوطا فيركضه القرد ليعير بذلك صاحبه وأنشد فى ذلك الوليد بن حصن الكلبى اذا أنت لم تسبق وكنت مخلفا سبقت اذا لم تدع بالقرد والحبل

وان تك حقا بالسكيت مخلفا فتورث مولاك المذلة بالنبل

أما ذكره النبل فان بعضهم كان يفعل ذلك ينصب فرسه ثم يرميه بالنبل حتى يتعجف وقد فعل ذلك النعمان بفرسه النهب قال كلاب بن حمزة ولم نعلم أحدا من العرب فى الجاهلية والاسلام وصف خيل الحلبة العشرة بأسمائها وصفاتها وذكرها على مراتبها غير محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان وكان بالجزيرة بالقرية المعروفة بحصن مسلمة من اقليم بلخ من كورة الرقة من ديار مضر فانه قال فى ذلك

شهدنا الرهان غداة الرهان بجمعية ضمها الموسم
نقوداليها مقاد الجميع ونحن بصنعتها أقوم
غدونا بعقوودة كالقداح غدت بالسعود لها الانجم
مقابلة نسبة فى الصريح فما هن للاكرم الاكرم
كميت اذا ماتباطى بيل يفوت الخطوط اذا يلجم
فنهن أحوى ممر أغر وأجود ذوغرة أرثم
تلألأ فى وجهه فرجة كأن تلألؤها المرزم
فقيدت لمذخور ماعندها لمنتظرى انها تنجم

عليهن سحم صغار الشخوص تماهم لحام انى تنحم
كانهم فوق اشباحها زرازير فى نفق حوم
فصفت على الخيل فى محضر يلى أمره ثقة مسلم
تراضوا به حكما بينهم فبالحق بينهم يحكم
وربك بالسيف عن ساعة من الناس كلهم أعلم
فقلت ونحن على جدة من الارض فيرها مظلم
لقد فرغ الله مما يكون ومهما يكن فهو لا يكتم
فاقبل فى أمرنا نافر كما يقبل الوابل المنجم
وأتبع فوضى ومرفضة كما ارفض من سلكه المنظم
أوالسرب سرب القطا راعه من الجوشو ذانق مظلم
فواصل من كل سقط له كان عنا بيبها العندم
وللمرء من فرح ماتستثير سنابكهن سنا يحزم
فجلى الاغر وصلى الكميت وسلى فلم يذمم الادهم
وأردفها رابع تاليا وأين من المنجد المتهم
وماذم مرتاحها خامسا وقد جاء يقدم مايقدم
وجاء الحظى لها سادسا فاسهمه حظه المسهم
وسابعها العاطف المستجير يكاد لحيرته يحرم
وجاء المؤمل فيها يخيب وغنى له الطائر الاشيم
وجاء اللطيم لها تاسعا فمن كل ناحية يلطم
يخيب السكيت على اثره وذفراه من قبة أعظم
كأن جوانبه بين ذى جمانة فيط بها قمقم
اذا قيل من رب ذا المجز من الخزى بالصمت يستعصم
ومن لا يعد الحلاب الجواد وشيك لعمرك ماينذم
وماذو اقتضاب لمحمولها كمن ينتميها ويستلزم
فرحنا بسبق شهرنا به ونيل به الفخر والمغنم
وأحرز عن قصبات الرهان رغائب أمثالها تقسم
برود من القصب موشية وأكسية الخز والملحم

فراحت عليهن منشورة كأن حواشيهن الدم
ومن ورق صامت بدرة ينوء بها الاغلب الاعصم
ففضت لهن خواتيمها وبدرتنا الدهر لا تختم
نوزعها بين خدامها ونحن لها منهم أخدم
وانا لنرتبط المعربا ت فى اللدنات فاترزم
يعدها المحض بعد الثليث كما يصلح الصبية المعظم
ويخلطها بصميم العيال بمن لم يخب وهو المحرم
مشاربها الصافيات العذاب ومطعمها فهو المطعم
فهن باكناف أبياتنا صوافن يصهلن أوحوم

ومال محمد بن يزيد فى كلمته هذه الى انه لاحظ للثامن وجعل للسابع حظا فى السبق والهندسة اجراء الخيل وتجربتها فيما دون الغاية وانما سميت الحلبة حلبة لان العرب تحلب اليها خيولها من كل مكان (قال المنتقى) أثبتنا ما يجرى فى هذه الاوقات ودوناه فلم يزل الامعه فى ذلك يجدد لها البر الى أن كان من أمره ما قد اشتهر وقد تناهى بنا الكلام الى هذا الموضع من خلافة المتقى فلنذكر الآن بعض من اشتهر شعره فى هذا الوقت واستفاض فى الناس وظهر فنهم أبو نصر القاسم بن أحمد الحرورى وهو أحد المطبوعين المجودين فى البديهة المعروفين بالغزل فن جيد شعره قوله

أضنى الهوى جسدى وبدلنى به جسدا تكون من هوى منجد
مازال ايجاد الهوى عدمى الى أن صرت لو أعدمته لم أوجد

ومن جيد شعره ما عاتب به ابن لنكك الشاعر وهو

لم لا ترى لصداقتى تصديقا فينا ولم تدع الصديق صديقا
ذو العقل لا يرضى بوسم صداقة حتى يرى لحقوقها تحقيقا
فلمن يرجى الحب أزيدعى أخا وعلى الرفيق بان يكون رفيقا
ان غاب غاب محافظا أوحل كا ن مداعبا أوقال كان صدوقا

وفى هذا الشعر يقول

ويكاد من علق الهوى بفؤاده مما تفكر أن يرى زنديقا

وقوله

أعليك أعتب أم على الايام بدأت وكنت مؤكدا بتمام
قطع التواصل قربنا بتواعد وقطعت أنت تواصل الاقلام

ملا ألفت اذ الزمان مشتت * والالف للارواح لا الاجسام

وفى هذا الشعر يقول

عذراً أبا عيسى عسى لك فى القلا * عذرا وذا علم بلا اعلام
من غابت الاخبار عنه ودينه * دين الامامة قال بالاوهام
خذ من فرائدك الذى أعطيتنى * فالدر درك والنظام نظامى
حكم معانيها معانيك التى * فصلتها لى والكلام كلامى

وشعره فى الهزل وغيره أكثر من أن نأتى عليه وأكثر الغناء المحدث فى وقتنا هذا من شعره وقد أشيع بموته وأن اليزيدى غرقه لانه كان هجاه وقيل بل هرب من البصرة ولحق بهجر ولجا الى أبى طاهر بن سليمان بن الحسن صاحب البحرين

(قال المسعودى) وقد أتينا على أخبار المتقى وما كان فى أيامه من الكوائن والاحداث على الشرح والايضاح فى الكتاب الاوسط الذى كتابنا هذا تال له وانما نذكر من أخبارهم فى هذا الكتاب لمعا لاشتراطنا فيه على أنفسنا الاختصار والايجاز وكذلك أتينا على خبر مقتل بجكم التركى وكان مقتله فى رجب سنة تسع وعشرين وثلثمائة وما كان من أمره مع الاكراد بناحية واسط وما كان من كورنكار الديلمى واستيلائه على جيش بجكم وانحدار محمد بن رائق من الشام ومحاربته كورنكار بعكبر ومخاتلته اياه ودخوله الحضرة وما كان بينهم من الوقعة بالحضرة الى أن انهزم كورنكار واستولى محمد بن رائق على الامر وما كان من اليزيديين وموافاتهم الحضرة وخروج المتقى عنها مع محمد ابن رائق الموصلى فى كتابنا المترجم باخبار الزمان فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الكتاب والله الموفق للصواب

﴿ ذكر خلافة المستكفى بالله ﴾

وبويع المستكفى بالله وهو أبو القاسم عبد الله بن على المكتفى يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وخلع فى شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة لسبع بقين من هذا الشهر فكانت خلافته سنة وأربعة أشهر الا أياما وأمه أم ولد

﴿ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه ﴾

قد قدمنا عند ما ذكرنا خلع المتقى لله أن المستكفى بويع له بالسبق على نهر عيسى من أعمال قادوربا بازاء القرية المعروفة بالسندية فى الوقت الذى سملت فيه عينا المتقى بايع له أبو الوفاء توزون وسائر من حضره من القواد وأهل الدولة وأهل عصره من القضاة

منهم القاضى أبو الحسن محمد بن الحسين بن أبى الشوارب وجماعة من الهاشميين فصلى بهم فى يومهم ذلك المغرب والعشاء وسار حتى نزل فى يوم الاحد بالشماسة فلما كان فى يوم الاثنين انحدر فى الماء راكبا فى الطيار الذى يسمى الغزالة وعليه قلنسوة طويلة محدودة ذكر أنها كانت لابيه المكتفى بالله وعلى رأسه تورون التركى ومحمد بن محمد بن يحيى شيرزاد وجماعة من غلمانه وسلم اليه المتقى ضريرا وأحمد بن يحيى القاضى مقبوضا عليه وحضر بعد ذلك سائر القضاة والهاشميين فبايعوا له واستوزر أبا الفرج محمد بن على السامرى مدة ثم غضب عليه وغلب على أمره محمد بن شيرزاد وجلس للناس وسأل عن القضاة وكشف عن أمر شهود الحضرة فامر باسقاط بعضهم وأمر باستتابة بعضهم من الكذب وقبول بعضهم لاشياء كان قد علمها منهم قبل الخلافة فامتثل القضاة ما أمر به من ذلك واستقضى على الجانب الشرقى محمد بن عيسى المعروف بابن أبى موسى الحنفى وعلى الجانب الغربى محمد بن الحسن بن أبى الشوارب الاموى الحنفى فقالت العامة الى ههنا انتهى سلطانه وانتهى فى الخلافة أمره ونهيه وقد كان بينه وبين الفضل بن المقتدر الذى يسمى بالمطيع قبل ذلك محاورة فى دار ابن طاهر وعداوة فى اللعب بالحمام وتطييرها واللعب بالكباش والديوك والسمان وهو الذى يسمى بالشام الفتخ ولما حمل المستكفى الى نهر عيسى ليبايع له هرب المطيع من داره وعلم أنه سيأتى عليه فلما استقرت للمستكفى طلب المطيع فلم يقف له على خبر فهدم داره وأتى على جميع ما قدر عليه من بستان وغيره (وذكر) أبو الحسن على بن أحمد الكاتب البغدادى قال لما استخلف المستكفى ضم اليه تورون غلاما تركيا من غلمانه يقف بين يديه وكان للمستكفى غلام قد وقف على أخلاقه ونشأ فى خدمته فكان المستكفى يميل الى غلامه وكان تورون يريد من المستكفى أن يقدم المضموم اليه على غلامه الاول فكان المستكفى يبعث بالغلام التركى فى حوائجه اتباعا لمرضاة تورون فلا يبلغ له ما يبلغ غلامه (قال) وأقبل المستكفى يوما على محمد بن محمد بن يحيى بن شيرزاد الكاتب فقال له أتعرف خبر الحجاج بن يوسف مع أهل الشام قال لا يا أمير المؤمنين قال ذكروا أن الحجاج بن يوسف كان قد اجتبى قوما من اهل العراق وجد عندهم من الكفاية ما لم يجد عند مختصيه من الشاميين فشق ذلك على الشاميين وتكلموا فيه فبلغ اليه كلامهم فركب فى جماعة من الفريقين وأوغل بهم فى الصحراء فلاح لهم من بعد قطار ابل فدعا برجل من أهل الشام فقال له امض فاعرف ما هذه الاشباح واستقص أمرها فلم يلبث أن جاء وأخبره أنها ابل فقال أمحملة

هى أم غير محملة قال لا أدرى ولكنى أعود وأتعرف ذلك وقد كان الحجاج أتبعه برجل آخر من أهل العراق وأمره بمثل ما كان أمر الشامى فلما رجع العراقى أقبل عليه الحجاج وأهل الشأم يسمعون فقال ماهى قال ابل قال وكم عددها قال ثلاثون قال وماتحمل قال زيتا قال ومن أين صدرت قال من موضع كذا قال ومن ربها قال فلان فالتفت الى أهل الشأم فقال

ألام على عمرو ولو مات أو نأى ... لقل الذى يغنى غناءك ياعمرو

فقال ابن شيرزاد فقد قال يا أمير المؤمنين بعض أهل الادب فى هذا المعنى

شر الرسولين من يحتاج مرسله ... منه الى العود والامر انسيان

كذاك ماقال أهل العلم فى مثل ... طريق كل أخى جهل طريقان

قال المستكفى ماأحسن ماوصف البحترى الرسول بالذكاء بقوله

وكان الذكاء يبعث منه ... فى سواد الامور شعلة نار

وعلم ابن شيرزاد استثقال المستكفى لغلام توروز فاخبر توروز بذلك فاعفاه منه وأزاله عن خدمته (وحدث) أبو اسحق ابراهيم بن اسحق المعروف بابن الوكيل البغدادى قال كان أبى قديما فى خدمة المكتفى فلما كان من أمره ما اشتهر صرت فى خدمة أخيه عبدالله ابن المكتفى فلما أفضت الخلافة اليه كنت أخص الناس به فرأيته فى بعض الايام وعنده جماعة من ندمائه ممن كان يعاشرهم قبل الخلافة من جيرانه بناحية دار ابن طاهر وقد تذاكروا الخمر وأفعالها وماقال الناس فيها من المنثور والمنظوم وماوصفت به فقال بعض من حضر يا أمير المؤمنين مارأيت احدا وصف الخمرة باحسن من وصف بعض من تاخر فانه ذكر فى بعض كتبه فى الشراب ووصفه انه ليس فى العالم شئ واحد أخذ من أمهاته الاربع فضيلتها وابتزها أكرم خواصها الا الخمرة فلها لون النار وهو أحسن الالوان ولدونة الهواء وهى ألين المجسات وعذوبة الماء وهى أطيب المذاقات وبرد الارض وهى ألذ المشروبات قال وهذه الاربع وان كن فى جميع المآكل والمشارب متركبة فليس الغالب عليه ماوصفنا من الغالب على الخمر قال واصفها قدقات فى اجتماع الصفات التى ذكرنا فيها

لست أرى كالراح فى جمعها ... لاربع هن قوام الورى

عذوبة الماء ولين الهوا ... وسخنة النار وبرد الثرى

ولما كانت الراح بالموضع الذى وصفناها به من الفضل على سائر ماينال ويوصف من صنوف اللذات والمدح بها بماينفع من فنون الشهوات قال فاما شماع الخمر فانه يشبه

بكل شئ نورى من شمس وقمر ونجم ونار وغير ذلك من الاشياء النيرية فاما لونها فيحتمل ان يشبه بكل أحمر فى العالم وأصفر من ياقوت وعقيق وذهب وغير ذلك من الجواهر النفيسة والحلى الفاخرة قال وقد شبهها الاولون بدم الذبيح ودم الجوف وشبهها غيرهم بالزيت والرازقى وغيرهما وتشبيهها بالجوهر الاكرم افضل لها وأحسن فى مدحها قال فاما صفاؤها فيحتمل أن يشبه بكل ما يقع عليه اسم الصفاء وقد قال بعض الشعراء المتقدمين فى صفائها ٭ تريك القذى من دونها وهى دونه ٭

وهذا أحسن ما قاله الشعراء فى وصف الخمر قال وقد أتى ابو نواس فى وصفها ووصف طعمها وريحها وحسنها ولونها وشعاعها وفعلها فى النفس وصفة آلاتها وظروفها وأدنانها وحال المنادمات عليها والاصطباح والاغتباق وغير ذلك من أحوالها بما يكاد يعلو به باب وصفها لولا اتضاع الاوصاف لها واحتمالها اياها وأنها لا تكاد تحصر ولا يبلغ الى غاياتها قال وقد وصف أبو نواس نورها فقال

فكأنه فى كفه ... شمس وراحته قمر

وقال ... فعلت فى البيت اذ مزجت ... مثل فعل الصبح فى الظلم

فاهتدى سارى الظلام بها ... كاهتداء السفر بالعلم

(وقال أيضا)

اذا عب فيها شارب القوم خلته ... يقبل فى داج من الليل كوكبا

ترى حيثما كانت من البيت مشرقا ... وما لم تكن فيه من البيت مغربا

(وقال أيضا)

وكأن شاربها لفرط شعاعها ... فى الكأس يقرع فى ضيا مقباس

(وقال أيضا)

فقلت له ترفق بى فانى ... رأيت الصبح من خلل الديار

فقال تعجبا منى أصبح ... ولا صبح سوى ضوء العقار

وقام الى الدنان فسد فاها ... فعاد الليل مصبوغ الازار

(وقال أيضا)

وحمراء قبل المزج صفراء دونه ... كأن شعاع الشمس يلقاك دونها

(وقال)

كأن نارا بها محرشة ... تهابها تارة وتخشاها

(وقال أيضا)

حمراء لولا انكسار الماء لاختطفت ... نور النواظر من بين الحماليق

(وقال ايضا)

ينقض منها شعاع كلما مزجت ... كالشهب تنقض فى اثر العفاريت

(وقال)

عتقت فى الدنان حتى استفادت ... نور شمس الضحى وبرد الظلام

(وقال)

يجود دها حتى عيانا يرى لها ... الى الشرف الاعلى شعاعا مطنبا

(وقال)

قال ابغنى المصباح قلت له اتئد ... حسبى وحسبك ضوؤها مصباحا

فسكبت منها فى الزجاجة شربة ... كانت لنا حتى الصباح صباحا

قال وله فى هذا الفن أشياء كثيرة قد وصفها فى مشابهة النار ومخالفة الانوار والرفع للظلام وتصيير الليل نهارا او الظلم أنوارا انما هو اغراق الواصف واشتطاط المادح قال وليس الى صفة لونها ونورها ماهو أحسن مما وصفها اذ ليس بعد الانوار شئ فى الحسن قال فداخل المستكفى سرور وفرح وابتهاج بما وصف فقال ويحك فرج عنى من هذا الوصف قال نعم ياسيدى (قال) عبد الله بن محمد الناشى وقد كان المستكفى ترك النبيذ حتى أفضت الخلافة اليه فدعا بها من وقته ودعا الى شربها وقد كان المستكفى حين أفضت الخلافة اليه طلب الفضل بن المقتدر على حسب ماقدمنا لما كان بينهما من العداوة فيما ذكرنا وغير ذلك مما عنه أعرضنا فهرب الفضل وقيل انه هرب الى أحمد بن بويه الديلمى منتصرا او أحسن اليه أحمد ولم يظهره فلما مات تورون ودخل الديلمى الى بغداد وخرج الاتراك عنها صار الى ناصر الدولة أبى محمد الحسن بن عبد الله ابن حمدان وانحدر معه هو وابن عمه أبو عبد الله بن العلاء فكان بينه وبين ابن بويه الديلمى من الحرب ماقد اشتهر وانحاز الديلمى الى الجانب الغربى ومعه المستكفى والمطيع مختف ببغداد والمستكفى يطلبه أشد الطلب وأنزل المستكفى فى بيعة النصارى المعروفة بدرنامن الجانب الغربى فذكر أبو اسحق ابراهيم بن اسحق المعروف بابن الوكيل ومنزلته من خدمة المستكفى ماقدمنا قال كان المستكفى فى فى سائر أوقاته فازعا وجلا من المطيع أن يلى الخلافة ويسلم اليه فيحكم فيه بما يريد

فكان صدره يضيق لذلك فيشكر ذلك فى بعض الاوقات الى من ذكرنا ممن كان يالفه من ندمائه فيشجعونه ويهونون عليه أمر المطيع الى أن قال لهم فى بعض الايام قد اشتهيت أن نجتمع فى مكان كذا وكذا فنتذاكر أنواع الاطعمة وماقال الناس فى ذلك منظوما فاتفق معهم على ذلك فلما كان فى اليوم الذى حضروا أقبل المستكفى فقال هاتوا اما الذى أعده كل واحد منكم فقال واحد منهم قد حضرنى ياأمير المؤمنين أبيات لابن المعتز يصف سلة سكارج كوامخ فقال

امتع بسلة قضبان أتتك وقد حفت جوانبها الجامات أسطار
فيها سكارج أنواع مصففة حمر وصفر وما فيهن افكار
فيهن كامخ طرخون مبوهرة وكامخ أحمر فيها وتيار
أعطته شمس الضحى لونا فجاء به كانه من ضياء الشمس عطار
فيهن كامخ مرزنجوش قابله من القرنفل نوع منه مختار
وكامخ الدار صينى فليس له فى الطعم شبه ولا فى لونه عار
كانه المسك ريحا فى تنسمه حريف فى طعمه والريح معطار
وكامخ الزعتر البرى ان له لونا حكاه لدينا المسك والقار
وكامخ الثوم لما أن بصرت به أبصرت عطر اله بالا كل أمار
كأن زيتونها فيها ظلام دجى فى الجيب منه من المحضور أسفار
اذا تأملت ما فيهن من بصل كأنهن لحسن حشوه نار
وسلجم مستدير القد خالطه طعم من الخل قد حازته أسطار
كان أبيضه فيه وأحمره دراهم صففت فيهن دينار
فى كل ناحية منها يلوح لنا نجم الينا بصفو الفجر نظار
كانها زهرة البستان قابلها بدر وشمس واظلام وأنوار

قال المستكفى تحضر هذه الجونة بعينها على هذا الوصف وهاتوا فليس نأكل اليوم الا ما تصفون فقال آخر من الجلساء ياأمير المؤمنين لمحمود بن الحسين الكاتب المعروف بكشاجم فى صفة سلة نوادر

متى تنشط للاكل * فقد أصلحت الجونه وقد زينها الطاهى * لنا أحسن ما زينه

فجاءت وهى من أطيب ما يؤكل مشحونه
فمن جدى شويناه وعصبنا مصارينه

ونضدنا عليه نعـ نع الفلفل وطرخونه
وفرخ وافر الزور أجـدنالك تسفينه
وطيهوج وفروج أجدنا لك تطجينه
وسنبوسجة مقلو ةفى اثر طربونه
وحمراء من البيض الى جانب زيتونه
وأوساط سطيرات تزيت الماء مدهونه
يولدن لذى التخمـ ـةجوعاويشهينـه
ربوع بكسور الند بالعنـبر معجونه
وحريف من الخبز به الاوساط مقرونه
وطلع كاللآلى فى سموط العيد مكنونه
وخـل ترعف الآنا فمنه وهى مختونه
وباذنجان بوران به نفسك مفتونه
وهليون وعهدى بـ ـك تستعذب هليونه
ولو زينجة فى الدهـ ـن والسكر مدفونه
وعندى لك رستيجـ ـه مطبوخ وقنينـه
وساق واعـدبانوصـ ـل منه عطفـة النونه
له شـدة ألحاظ وفى ألفاظـه لينـه
وقمرى يغنيـك لحونا غـير ملحونه
ألا يامن لمحزون فأى عن دار محزونه
فما عذرك فى أن لا ترى من سكره طينه

فقال المستكفى أحسنت وأحسن القائل فيما وصف ثم أمر باحضار كل ما يجرى فى وصفه مما يكن احضاره ثم قال هاتوا من معه شىء فى هذا المعنى فقال آخر فى هذا المعنى لابن الرومى فى صفة وسط

ياسائلى عن مجمع اللذات سألت عنه أنعت النعات
فهاك ماأنشاته من قصـه مسلما من سوئه ونقصه
خذيامريدالمأكل اللذيذ جردقتى خبز من السميذ
لم ترعينا ناظر مثليهما فقشر الحرفين عن وجهيهما

حتى اذا ما صارتا طفاطفا فضف على احداهما تاقفا
من لحم فروج ولحم فرخ تذوب جوزابا هما بالنفخ
واجعل عليها أسطرا من لوز معارضات أسطرا من جوز
اكفاحها الجبن مع الزيتون وشكاها النعنع بالطرخون
حتى ترى بينهما مثل الابن مقسومة كأنها وشى اليمن
واعمد الى البيض السليق الاحمر فدرهم الوسط به ودنر
وترب الاسطر بالملح ولا تكثر ولا تزل معتدلا
وردد العينين فيه لحظا فان للعينين منه حظا
ومتع العين به مليا واطبق الوسط وكل هنيا
وامسك بنانيك وأكدم كدما تشرع فيما قد بنيت هدما
طورا ترى حلقة الدولاب حروفه ودوره كالداب
وتارة مثل الرحى بلا سغب قد شذبت عنها بنانيك الشذب
لهفى عليها وأفا الزعيم بعدة شيطانها رجيم

وقال آخر يا أمير المؤمنين لاسحق بن ابراهيم الموصلى فى صفة سنبوسج

ياسائلى عن أطيب الطعام سالت عنه أبصر الانام
اعمد الى اللحم اللطيف الاحمر فدقه بالشحم غير مكثر
واطرح عليه بصلا مدورا وكرنبا طرحا جنيا أخضرا
والق السذاب بعده موفرا ودار صينى وكف كزبرا
وبعده شئ من القرنفل وزنجبيل صالح وفلفل
وكف كمون وشئ من مرى وملء كفين بملح تدمر
فدقه ياسيدى شديدا ثم اوقد النار له وقودا
واجعله فى القدر وصب الماء من فوقه واجعل له غطاء
حتى اذا الماء فنى وقلا ونشفته النار عنك كلا
فلفه ان شئت فى رقاق ثم احكم الاطراف بالالزاق
أو شئت خذ جزءا من العجين معتدل التفريك مستكين
فابسطه بالسويق مستديرا ثم اظفرن أطرافه تظفيرا
وصب فى الطابق زيتا طيبا ثم اقله بالزيت قليا عجبا

وضعه في جام له لطيف ووسطه من خردل حريف
وكله أكلا طيبا بخردل فهو ألذ الماكل المعجل

فقال آخر ياأمير المؤمنين لمحمود بن الحسين بن السندى كشاجم الكاتب فى وصف هليون

لنا رماح فى أعاليها أود مثقلات الجسم فتلا كالمسد
مستحسنات ليس فيها من عقد لها رؤوس طالعات فى جسد
مكسورة من صنعة الفرد الصمد منتصبات كالقداح فى العمد
ثوب من السندس من فوق برد قد اشربت حمرة لون يتقد
كأنها ممزوجة حمرة خد قد فرضت حمرته كف حرد
تخالطته حمرة خد ويد كأنها فى صحن جام أو برد
منضدات كتناضيد الزرد نسائج العسجد حسنا منتضد
كأنها مطارف خز قد نضد لو أنها تبقى على طول الابد
كانت فصوصا بخواتيم الخرد من فوقها مودى عليها يطرد
يجول فى جانبها جرد مرد مكشوفة من فوقها ثوب زبد
كانه من فوقه حين لبد شراك تبرأ ولجين قد مسد
فلو رآها عابد أو مجتهد أفطر مما يشتهيها وسجد

فلما فرغ منها قال له المستكفى هذا مما يتعذر وجوده فى هذا الوقت بهذا الوصف فى هذا البلد الآن فكتب الى الاخشيد محمد بن طفج يحمل الينا من ذلك البر من دمشق فانشد وقافيما يتكن وجوده قال آخر ياأمير المؤمنين لمحمد الوزير المعروف بالحافظ الدمشقى فى صفة أرزية

لله در أرزة وافى بها طاه كحسن البدر وسط سماء
أنقى من الثلج المضاعف سحه من صنعة الاهواء والانداء
وكأنها فى صحفة مقدودة بيضاء مثل الدرة البيضاء
تهرب عيون الناظرين بضوئها وتريك ضوء البدر وقت مساء
وكأن سكرها على أكنافها نور تجسد فوقها بضياء

فقال آخر ياأمير المؤمنين أنشدت لبعض المتاخرين فى هريسة

ألذ ما ياكله الانسان اذا أتى من صيفه نيسان

وكانت الجديان والخرفان هريسة يصنعها النسوان
لهن طيب الكف والاتقان يجمعن فيه الطير والحجلان
وتلتقى فى قدرها الادهان واللحم والالية والشحمان
وبعده أوزه السمان والحنطة البيضاء والجلبان
وبعده الارز واللبان جودها بطحنه الطحان
وبعده الملح وخولنجان كأنها ريد وترسيان
تخجل من رؤيتها الالوان اذا بدت يحملها الغلمان
تضمها الصحفة والخوان وفوقها كالقنو خيزران
يمسكه سقف له حيطان مقبب وماله أركان
أبرزها للآكل الولدان يفتر من لهبها العينان
والمرء فيها فله مكان يؤثرها الجائع والشبعان
ويشتهيها الاهل والضيفان لها على اضرابها السلطان
تصغو بها العقول والاذهان وانتفعت بأكلها الابدان
أبدعها فى عصره ساسان وأعجبت كسرى أنوشروان
اذا رآها الجائع الغرثان لم يعط صبرا معها الجيعان

(وقال آخر يا أمير المؤمنين لبعض المتأخرين فى صفة المضيرة)

أن المضيرة فى الطعام كالبدر فى ليل التمام
اشراقها فوق الموا ئد كالضياء على الظلام
مثل الهلال اذا بدا للناس فى خلل الغمام
فى صحفة مملوأة للناس من جرع الهمام
قد أعجبت لابى هري رة اذ أتت بين الطعام
حتى لقد مال الهوى بهواه عن طلب الصيام
ولقد رأى فى أكلها حظا فبادر بالقيام
ولقد تنكب أن يكو ن مؤا كلا عند الامام
اذ ليس ثم مضيرة تشفى السقيم من السقام
لا عذر لى اتيانها من غير اتيان الحرام

فهى اللذيذة والغريبة والعجيبة فى الانام

فقال آخر يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين فى صفة جوزابة

جوزابة من أرزفائق مصفرة فى اللون كالعاشق
عجيبة مشرقة لونها فى كف طاه محكم حاذق
نسيجة كالتبر فى حمرة وردية من صنعة الخالق
بسكر الاهواز مصنوعة فطعمها أحلى من الرائق
غريقة فى الدهن رجراجة تزور بالنفخ من الرائق
لينة ملمسها زبدة وريحها كالعنبر الفائق
كانها فى جامها اذ بدت تزهر كالكوكب فى الغاسق
عقيقة صفرتها فاقع فى جيد خود بضة عاتق
أحلى من الامن أتى مومنا الى فؤاد قلق خافق

(وقال آخر يا أمير المؤمنين معى لبعض المحدثين فى صفة جوزابة اخرى)

وجوزابة مثل لون العقيق وفى الطعم عندى كطعم الرحيق
من السكر المحض معمولة ومن خالص الزعفران السحيق
مغرقة بشحوم الدجاج وبالشحم أكرم بها من غريق
لذيذة طعم اذا استعملت وفى اللون منها كلون الخلوق
عليها اللآلئ من فوقها تضم جوانبها ضم ضيق
يرددها فى الانا نفخه ومافى حلاوتها من مطيق

(وقال آخر يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين كشاجم فى صفة قطائف)

عندى أصحابى اذا اشتد السغب قطائف مثل أضابير الكتب
كانه اذا ابتدى من كثب كوافر النحل بياضا قد ثقب
قد مج دهن اللوز مما قد شرب وابتل مما عام فيه ورسب
وجاء ماء الورد فيه وذهب فهى عليه حبب فوق حبب
اذا رآه واله القلب طرب مدرج تدريج أبناء الكتب
أطيب منه أن تراه ينتهب كل امرئ لذته فيما أحب

فاقبل المستكفى على معلم كان يعلمه فى صباه طيب النفس وكان يضحك منه ويستظرفه

فقال له انشدناما سمعت فقال انشدنا أنت قال لا أدرى ما قال هؤلاء وما أنشد واغير أنى مضيت فى أمس يومنا هذا أدور حتى آتيت باطر نجافرأيت رياضها فذكرت من أمرها فقلت

نوم عينيك يا ابن وهب غرار　　ولنار الهوى بقلبك نار
من حديثى انى مررت بهايو　　ما وقلبى من الهوى مستطار
وبها ترجعن ينادى علانا　　قف فقد ادركت لدينا العقار
وتغنى دراج واستطمر اللهو　　وجادت بنورها الازهار
فانثنينا الى رياض عيون　　ناظرات ما ان بهن احورار
ومكان الجفون منها ابيضاض　　ومكان الاحداق منها اصفرار
بينما نحن عندها صرخ الور　　دالينا يا معشر السمار
عندنا قهوة تغافل عنها　　دهرها فالوجوه منها خمار
وانثنينا للورد من غير أن تذ　　بوعن النرجس المضاعف دار
فرأى النرجس الذى صنع الو　　رد فنادى مستصرخا يا بهار
ورأى الورد عسكرين من الا　　صفر فنادى لجاءه الجلنار
واستجا شاتفاح لبنان لما　　حميت من وطيسها الاوتار
واستجاش البهار جيشا من الاتـ　　ـرج فيه صغاره والكبار
فرأيت الربيع فى عسكر الصفـ　　ـر وقلبى يشفه الاحمرار
ليس الا بحمرة من خدود　　من أناس بغوا علينا وجاروا

فلم أر المستكفى منذ ولى الخلافة أشد سرورا منه فى ذلك اليوم وأجاز جميع من حضر من الجلساء والمغنين والملهين ثم أحضر ما حضره فى وقته من عين وورق عن ضيف الامر اليه فوالله ما رأيت له بعد ذلك يوما مثله حتى قبض عليه احمد بن بويه الديلمى وسمل عينيه وذلك أن الحرب لما طالت بين أبى محمد الحسين بن عبد الله بن حمدان وكان فى الجانب الشرقى ومعه الاتراك وابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان وابن احمد بن بويه الديلمى فى الجانب الغربى والمستكفى معه اتهم الديلمى المستكفى بمساءلة بنى حمدان ومكاتبتهم باخباره واطلاعهم على أسراره ما كان قد تقدم له فى نفسه فسمل عينيه وولى المطيع وأعمل الديلمى الحيلة فى البيات بالديلم فحملهم فى السفن مع بوقات ودبادب فى الليل وألقاهم فى مواضع كثيرة من الشارع الى الجانب الشرقى

فتوجهت له على بنى حمدان الحيلة فخرجوا نحو الموصل من بعد احداث كثيرة بين الاتراك وبينهم ببلاد تكريت واستوثق الامر لاحمد بن بويه الديلمى وشرع فى عمارة البلد وسد البثوق على حسب ماينمو الينا من أخباره واتصل بنا من أفعاله على بعد الدار وفساد السبل وانقطاع الاخبار وكوننا ببلاد مصر والشام (قال المسعودى) ولم يتأت لنا من أخبار المستكفى مع قصر أيامه غير ماذكرنا والله الموفق للصواب

﴿ ذكر خلافة المطيع لله ﴾

وبويع المطيع لله وهو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وقيل انه بويع فى جمادى الاولى من هذه السنة وغلب على الامر ابن بويه والمطيع فى يده لا أمر له ولا نهى ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر وقد كان أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد يدبر الامر بحضرة الديلمى فيما بأمر الوزارة برسم الكتبة ولم يخاطب بالوزارة الى أن استأمن الحسين بن على بن حمدان الى الجانب الغربى وخرج معه عند خروجه الى ناحية الموصل الى أن اتهمه بتغريته الاتراك عليه فسمل عينيه وقد قيل ان أبا الحسن محمد بن على بن مقلة يعرض الكتب على الديلمى والمطيع ويتصرف برسم الكتبة لا برسم الوزارة فى هذا الوقت وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ولم نفرد بجوامع تاريخ المطيع بابا مفصلا عن اخباره كافرادنا لغيره مما سلف ذكره فى هذا الكتاب لانا فى خلافته بعد (قال المسعودى) وقد كنا شرطنا فى صدر كتابنا هذا ان نذكر مقاتل آل أبى طالب ومن ظهر منهم فى أيام بنى أمية وبنى العباس وما كان من أمرهم من قتل أو حبس أو ضرب ثم ذكرنا ماتأتى لنا ذكره من أخبارهم من قتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه (وبقى) علينا من ذلك مالم نورده وقد ذكرناه فى هذا الموضع وفاء بما تقدم من شرطنا فى هذا الكتاب (فمن) ذلك أنه قام بصعيد مصر أحمد بن عبد الله بن ابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه فقتله أحمد بن طولون بعد أقاصيص قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وذلك نحو سنة سبعين ومائتين وكان خروج ابن عبد الرحمن العمرى على أحمد بن طولون بصعيد مصر وما كان من أمره الى أن قتل (ومن ذلك) ظهور ابن الرضا وهو محسن بن جعفر بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فى أعمال دمشق سنة ثلثمائة فكانت له مع أميرها أحمد بن كيغلغ فقتل صبرا وقيل قتل فى المعركة وحمل رأسه الى مدينة السلام

فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربي (وظهر) ببلاد طبرستان والديلم الاطروش وهو الحسن بن علي بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأخرج عنها المسودة وذلك في سنة احدى وثلثمائة وقد كان أقام في الديلم والجبل سنين وهم جاهلية ومنهم مجوس فدعاهم الى الله تعالى فاستجابوا وأسلموا الا قليلا منهم في مواضع من بلاد الجبل والديلم في جبال شاهقة وقلاع وأودية ومواضع خشنة على الشرك الى هذه الغاية وبنى في بلادهم مساجد وقد كان للمسلمين بازائهم ثغور مثل قزوين وسالوس وغيرهما من بلاد طبرستان وقد كان بمدينة شالش حصن منيع وبنيان عظيم بنته ملوك فارس يسكن فيه الرجال المرابطون بازاء الديلم ثم جاء الاسلام فكان كذلك الى ان هدمه الاطروش والحسن بن القاسم الحسني الداعي وافى الري وذلك في سنة سبع عشرة وثلثمائة في جيوش كثيرة من الجبل والديلم ووجوههما فاخرج عساكر احمد بن اسمعيل بن احمد وصاحبه عنها واستولى عليها وعلى قزوين وزنجار وقم واعمار وغير ذلك مما اتصل بالري فكتب المقتدر كتابا الى نصر بن احمد بن اسمعيل بن أحمد صاحب خراسان ينكر عليه ذلك ويقول انى خ منتك المال والدم فاهملت امر الرعية واضعفت البلد حتى دخلته المبيضة والزمه اخراجهم عنه فوقع اختيار نصر صاحب خراسان على انفاذ رجل من أصحابه بالجبل يقال له اسفار بن شيرويه واخرج معه ابن النساج وهو امير من امراء خراسان في جيش كثير ليحارب من مع الداعي وما كان بن كلكي من الديلم لما بين الجبل والديلم من الضغائن والتنافر فسار اسفار بن شيرويه الجبلي فيمن معه من الجيوش الى حدود الري فكانت الوقعة بين اسفار بن شيرويه الجبلي وبين ما كان ابن كلكي الديلمي فاستامن أكثر أصحاب ما كان بن كلكي الديلمي وقواده مثل مستر وتايحين وسليمان بن سلكة والاسكري ومرداد الاشكري وهشونه ابن أومكن في آخرين من قواد الجبلي فحمل عليهم ما كان في نفر يسير من غلمانه سبع عشرة حملة ومدت له عساكر خراسان ومن معه من الاتراك فولى ما كان ودخل بلاد طبرستان وانهزم الداعي بين يديه وما كان على حاميته فلحقته خيول خراسان والجبل والديلم والاتراك فيهم اسفار بن شيرويه ومضى ما كان لكثرة الخيول وانحاز الداعي وقد لحق بقرب بلاد طبرستان الى ناحية هنالك وقد تخلى عنه ما كان معه من الانصار فقتل هنالك ولحق ما كان بالديلم واستولى اسفار بن شيرويه على بلاد طبرستان والري وجرجان وقزوين وزنجار وانهر وقم وهمذان والكرج ودعا لصاحب

خراسان واستوثقت له الامور وعظمت جيوشه وكثرت عدته فتجبر وطغى وكان لا يدين بملة الاسلام وعصى صاحب خراسان وخالف عليه وأراد أن يعقد التاج على رأسه وينصب بالرى سريرا من ذهب للملك ويتملك على ما فى يده مما قد ذكرنا من البلاد ويحارب السلطان وصاحب خرسان فسير المقتدر هرون بن غريب فى الحال نحو قزوين فكانت له معه حروب فانكشف هرون وقتل من اصحابه خلق كثير وذلك بباب قزوين وقد كان أصحاب قزوين عاونوا أصحاب السلطان فقتلوا منهم عدة فكانت لهم بعد هزيمة هرون بن غريب مع الديلم حروب وسار اليهم اسفار بن شيرويه فأتى على خلق عظيم بها وملك القاعة التى فى وسط قزوين وتدعى بالفارسية مكثرين وهو الحصن الذى كان للمدينة أولا فى نهاية المنعة مما كانت الفرس جعلته ثغرا بازاء الديلم وشحنته بالرجال لان الديلم والجبل مذ كانوا لم ينقادوا الى ملة ولا استحبوا شرعا ثم جاء الاسلام وفتح الله على المسلمين البلاد فجعلت قزوين للديلم ثغرا هى وغيرها مما أطاف ببلاد الديلم والجبل وقصدها المطوعة والغزاة فرابطوا وغزوا ونفروا منها الى ان كان من أمر الحسن بن على العلوى الداعى والاطروش واسلام من ذكرنا من ملوك الجبل والديلم على يديه ما تقدم ذكره فى صدر هذا الباب من خبره والآن فقد فسدت مذاهبهم وتغيرت آراؤهم وألحد أكثرهم وقد كان قبل ذلك جماعة من ملوك الديلم ورؤسائهم يدخلون فى الاسلام وينصرون من ظهر ببلاد طبرستان من آل أبى طالب مثل الحسن بن محمد بن زيد الحسينى وخرب أسفار بن شيرويه قزوين لما كان من فعل أهلها ومعاونتهم أصحاب السلطان على رجاله وقلع أبوابها وسبى وأباح الفروج وسمع المؤذن يؤذن على صومعة الجامع فأمر أن ينكس منها على أم رأسه وخرب المساجد ومنع الصلوات فاستغاث الناس فى المساجد فى امصار المشرق واستفحل أمره وسار صاحب خراسان يريد الرى لحرب أسفار بن شيرويه فى عساكره وانفصل عن مدينة بخارى وهى دار مملكة صاحب خراسان فى هذا الوقت وعبر نهر بلخ فنزل مدينة نيسابور وسار اسفار بن شيرويه الى الرى وجمع عساكره وضم اليه رجاله من الاطراف وعزم على محاربة صاحب خراسان فاشار عليه وزيره وهو مطرف الجرجانى وكان يخاطب بالوزير الرئيس أن يلاطف صاحب خراسان ويراسله ويطمعه فى المال واقامة الدعوة فان الحرب تارات وأوقاتها سجال والاتفاق عليها من رأس المال فان جنح الى مادعوته وراسلته به والا فالحرب بين يديك لان من معك من

الاتراك وأكثر فرسان خراسان انما هم رجاله وانما قد تملكتهم بالاحسان اليهم ولا يدرى عليه اذا قرب منك صاروا مع صاحبهم فقبل قوله وأمر بمكاتبته فلما وردت الكتب على صاحب خراسان أبى أن يقبل شيئا من ذلك وعزم على المسير اليه فاشار عليه وزيره أن يقبل منه وأن يرضى منه بما يحمل من الاموال واقامة الدعوة فان الحرب عثراتها لا تقال ولا يدرى الى ماتؤول لان الرجل قوى بالمال والرجال فان هزم لم يكن فى ذلك كبير فتح اذ كان رجلا من رجالك انتدبته لحرب عدوك وضممت اليه عساكرك وغلمانك فخالف عليك وان كانت وعائذ بالله عليك لم تستقل من ذلك فشاور صاحب خراسان ذوى الراى من قواده وأصحابه فيما قال وزيره فسددوا رأيه وصوبوا قوله فجنح الى قولهم وما اشير عليه فأجاب اسفار بن شيرويه الى ماسال وأعطاه ماطلب من بعد شروط اشترطها عليه من حمل أموال وغير ذلك فلما ورد الكتاب على اسفار بن شيرويه قال لوزيره هذه أموال عظيمة قد اشترط علينا حملها ولا سبيل الى اخراجها من بيت المال فالواجب أن نستفتح خراج هذه البلاد فقال له وزيره ان فى استفتاح الخراج فى غير وقته مضرة على أرباب الضياع وخراب البلاد وخللا للكبير من أهل الخراج قبل ادراك غلاتهم قال له اسفار فما الوجه قال الوزير الخراج انما يخص بعض الناس من أرباب الضياع خاصة وههنا وجه يعم سائر الناس من أرباب الضياع وغيرهم من المسلمين وسائر الملل من أهل هذه البلاد وغيرهم من الغرباء من غير ضرر عليهم ولا كثير مؤنة بل اعطاء شيء يسير وهو أن تجعل على كل رأس دينارا فيكون فى ذلك ما اشترط علينا من المال وزيادة عليه كثيرة فأمره اسفار بذلك فكتب أهل الاسواق والمحال من المسلمين وأهل الذمة حتى استوفى الاحصاء الى من فى الفنادق والخانات من الغرباء من التجار وغيرهم وحشر الناس الى دار الخراج بالرى وسائر أعمالها فطولبوا بهذه الجزية فمن أدى كتب له براءة بالاداء مختومة على حسب ماتكتب براءة أهل الذمة عند ادائهم الجزية فى سائر الامصار فأخبرنى جماعة من أهل الرى وغيرهم ممن طرأ عليهم من الغرباء والتجار والكتاب وغيرهم وأنا يومئذ بالاهواز وفارس أنهم أدوا هذه الجزية وأخذوا هذه البراءة بادائها فاجتمع من ذلك أموال عظيمة حمل منها ما اشترط حمله وكان الباقى من ذلك ألف ألف دينار ونيفا وقيل أضعاف ماذكرنا على حسب الخلائق الذين بالرى وأعمالها ورجع صاحب خراسان الى بخارى وعظم أمر أسفار على خلاف ما عهده وبعث برجل من أصحابه يقال له مرداويج بن

زياد الى ملك من ملوك الديلم مما يلى قزوين وهو صاحب الطرم من ارض الديلم وهو ابن أسوار المعروف بسلام الذى ولده فى هذا الوقت صاحب أذربيجان وغيرها اليا خذ عليه البيعة لاسفار بن شيرويه والعهد والدخول فى طاعته فسار مرداويج الى سلام فتشاكيا ما نزل بالاسلام من اسفار بن شيرويه واخرابه البلاد وقتله الرعية وتركه العمارة والنظر فى عواقب الامور فتحالفا وتعاقدا على التظافر على اسفار والتعاون على حربه وقد كان اسفار سار فى عساكره الى قزوين وقرب من نحو الديلم من أرض الطرم من مملكة ابن اسوار منتظر الصاحبه مرداويج بن زياد وانه ان لم ينقد ابن اسوار الى طاعته ورجع اليه رسوله بما لا يحب وطىء بلاده وسلام هذا هو خال على بن دهشوذان المعروف بابن حسان ملك آخر من ملوك الديلم وهو الذى قتل بالرى قتله ابن اسوار هذا فى خبر يطول ذكره فلما قرب مرداويج من عساكر اسفار راسل قواده وكاتبهم فى معاونته على الفتك باسفار وأعلمهم مظافرة سلام عليه وقد كان القواد وسائر أصحابه سئموا وملوا دولته وكرهوا سيرته فأجابوا مرداويج الى ذلك فلما دنا من الجيش استشعر اسفار بن شيرويه البلاء وعلم توجه الحيلة عليه وان لا ناصر له من أصحابه ولا غيرهم لما تقدم من سوء سيرته فهرب فى نفر من غلمانه فوافى مرداويج وقد فاته اسفار فاستولى على الجيش وحاز الخزائن والاموال وأحضر وزير اسفار المعروف بمطرف الجرجانى فاستخرج منه الاموال وأخذ البيعة على القواد والرجال وفرق فيهم الاموال من الارزاق والجوائز وزاد فى انزالهم وأحسن اليهم بما لم يكونوا يعرفونه من اسفار ومضى اسفار الى نحو مدينة السارية من بلاد طبرستان فلم يجد له ملجا يقصده وحار فى أمره فرجع يريد قلعة من قلاع الديلم منيعة تعرف بقلعة لماوت وكان فيها شيخ من شيوخ الديلم يعرف بأبى موسى مع عدة من الرجال قبله ذخائر اسفار بن شيرويه من خزائنه وأمواله وكان مرداويج لما توجه له ذلك وملك الجيش والاموال خرج يتصيد على أميال من قزوين نحو الطريق الذى سلكه اسفار ليستعلم أمره وأى البلاد سلك والى أى القلاع لجأ فال الى القلعة فنظر الى خيل يسيرة فى بعض الاودية فاسرع أصحابه نحوها ليأخذوا اخبرها فوجدوا اسفار بن شيرويه فى عدة يسيرة من غلمانه يؤم القلعة ليأخذ ماله فيها من الاموال ويجمع الرجال والديلم والجبل ويعود الى حرب مرداويج بن زياد فاتى عليه مرداويج فلما وقعت عينه عليه نزل فذبحه من ساعته وأقبل رجال الديلم والجبل نحو مرداويج لما ظهر من بذله واحسانه الى جنده وتسامع الناس بادراره

الارزاق على جنده فقصدوه من سائر الامصار فعظمت عساكره وكثرت جيوشه واشتد أمره ولم يسعه ما في يديه من الامصار ولا كفى رجاله ما فيها من الاموال ففرق قواده الى بلاد قم وخرج أبو دلف الى البرج وهمذان وأنهروزنجان فكان من أنفذ الى همذان ابن أخت له في جيش كثيف مع جماعة من قواده ورجاله وكان بها جيش السلطان مع أبي عبد الله محمد بن خلف الدينوري السرماني ومعه خفيفا غلام أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان في جماعة من قواد السلطان فكانت لهم مع الديلم حروب متصلة ووقائع كثيرة وعاون أهل همذان أصحاب السلطان فقتل من رجال مرداويج خلق كثير من الديلم والجبل أربعة آلاف وقتل ابن أخت مرداويج صاحب الجيش المعروف بأبي الكراديس بن علي الطلحي وكان من وجوه قواد مرداويج وولت الديلم نحو مرداويج أوحش هزيمة فلما أتاه الخبر وضجت أخته ورأى ما نزل بها من أمر ولدها سار عن الري في جيوشه حتى نزل مدينة همذان على الباب المعروف بباب الاسد وانما سمي هذا الباب بباب الاسد لان أسدا من حجارة كان على اعمدة من هذا الباب على الطريق المؤدية الى الري وجادة خراسان أعظم ما يكون من الاسد كالثور العظيم كأنه أسد حي يدنو الانسان منه فيعلم أنه حجر قد صور أحسن صورة ومثل اقرب ما يكون من تمثيل الاسد فكان أهل همذان به يتوارثون أخبارهم عن اسلافهم مستفيضا فيهم أن الاسكندر بن فيلبش بنى همذان حين انصرف من بلاد خراسان ورجوعه من مطافه من الهند والصين وغيرهما وأن ذلك الاسد جعل طلسما للمدينة وسورها وأن خراب البلد وفناء اهله وهدم سوره والقتل الذريع يكون عند كسر ذلك الاسد وقلعه من موضعه وأن ذلك من وجه الديلم والجبل وكان أهل همذان يمنعون من يجتاز بهم من العساكر والسابلة والمتألفة من أحداثهم أن يقلبوا ذلك الاسد أو يكسروا شيئا منه ولم يكن ينقلب لعظمه وصلابة حجره الا بالخلق الكثير من الناس وقد كان عسكر مرداويج الذي سير مع ابن أخته نزلوا على هذا الباب وانبسطوا في تلك الصحراء قبل الوقعة بينهم وبين اصحاب السلطان فقلب على ماذكر هذا الاسد فكسر فكان من أمر الوقعة ما ذكرنا وذلك على طريق الولع من الديلم فلما سار مرداويج ونزل على هذا الباب ونظر الى مصارع أصحابه وقتل أهل همذان لابن أخته اشتد غضبه لذلك فكانت بينه وبين أهل همذان ثورة ثم ولى القوم وقد أسلمهم قبل ذلك أصحاب السلطان فدخلوا فقتلوا في اليوم الاول في قول المقلل من الناس على ما أدركه

الاحصاء ممن حمل السلاح فى المعركة نحوا من أربعين ألفا وأقام السيف يعمل فيها ثلاثة أيام والنار والسبى ثم نادى برفع السيف فى اليوم الثالث وأمن بقيتهم ونادى أن تخرج شيوخ البلد ومستوروداليه فلما سمعوا النداء أملوا الفرج فخرج من وثق بنفسه من الشيوخ وأهل الستر ومن لحق بهم فخرجوا الى المصلى فدخل اليه صاحب عذابه وكان يقال له الشقطينى فسأله عن أمره فيهم فامره أن يطوف بهم الديلم والجبل بحرابهم وخناجرهم فيؤتى عليهم فطافت بهم الرجال من الديلم فاتى على القوم جميعا وألحقوا بمن مضى منهم وبعث منها بقائد من قواده يعرف بابن علان القزوينى وكان يلقب بخواجه وذلك ان أهل خراسان اذا عظموا الشيخ فيهم سموه خواجه فى عسكر من عساكره الى مدينة الدينور ومن همذان اليها ثلاثة أيام فدخلها بالسيف وقتل من أهلها فى اليوم الاول سبعة عشر ألفا فى قول المقلل والمكثر يقول خمسة وعشرين ألفا فخرج اليه رجل من مشهور أهل الدينور وصوفيتها وزهادها يقال له ممشادو بيده مصحف قد نشره فقال لابن علان المعروف بخواجه أيها الشيخ اتق الله وارفع السيف عن هؤلاء المسلمين فبلا ذنب لهم ولا جناية يستحقون ماقد نزل بهم فامر باخذ المصحف من يده فضرب به وجهه ثم أمر به فذبح وسبى وأباح الاموال والدماء والفروج وبلغت عساكر مرداويج وجنوده الى الموضع المعروف بالسحوس وهو فرز بين الجبل واعمال حلوان مما يلى العراق وذلك من بلاد طرزو المطامير ومرج القلعة قتلا وسبيا وغنم الاموال ثم ولت جيوشه راجعة وقد غنمت الاموال وقتلت الرجال وملكت الاولاد وأخذوا الغلمان وتملكوهم وسبوا من بلاد الدينور وقدساسين والربذة الى حيث ما بلغوا مما وصفنا من البلاد مما أدركه الاحصاء من الجوارى العتق العواتق والغلمان فى قول المقلل خمسين ألفا وفى قول المكثر مائة ألف فلما تم لمرداويج ماوصفنا وحملت اليه الاموال والغنائم بعث بها الى اصبهان بجماعة من قواده فى قطعة من عساكره فملكوها وأقيمت لهم الانزال والعلوفات وعمرت لهم قصور أحمد بن أبى دلف العجلى وهيئت له البساتين والرياض وزرع له فيها أنواع الرياحين على حسب ما كان فى آل عبد العزيز فسار مرداويج الى اصبهان فنزلها وهو فى نحو من خمسين ألفا وقيل أربعين سوى ماله بالرى وقم وهمذان وسائر أعماله من العساكر وقد كان أنفذ جماعة من قواده وعساكره مع أبى الحسن محمد بن وهبان الصنعانى وهو الذى استامن بعد ذلك الى السلطان ثم قصد الى محمد بن رائق وهو بالرقة من بلاد ديار مضر قبل دخول الشام

ومحاربته الاخشيد محمد بن طغج فاحتال عليه رافع القرمطى وكان من قواد ابن رائق حتى فرق بينه وبين عسكره وغرقه فى الفرات وذلك نحو رحبة مالك بن طوق وقد أتينا على خبره وما كان من الحيلة فى أمره ومدة بقائه فى الماء مقيدا الى أن خرج ثم قتل بعد ذلك فى الكتاب الاوسط فى أخبار محمد بن رائق وسار ابن وهبان فيمن معه من العساكر الى أوسع كور الاهواز وذلك على طريق مناذر والعش ونوح واحتوى على هذه البلاد وجبى أموالها وحمل ذلك الى مرداويج فتكبر وعظمت جيوشه وأمواله وعساكره وضرب سريرا من الذهب رصع له بالجوهر وعملت له بدلة وتاج من الذهب وجمع فى ذلك أنواع الجواهر وقد كان سأل عن تيجان الفرس وهيآتها فصورت له ومثلت فاختار منها تاج أنوشروان بن قنادة (وكان) نمى اليه من كتابه ومن أطاف به من أتباعه من دهاة العالم وشياطينه أن الكواكب ترى شعاعاتها الى بلاد أصبهان فيظهر بها ديانة وينصب بها سرير ملك ويجبى له كنوز الارض وأن الملك الذى يليها يكون مصفر الرجلين ويكون من صفته كيت وكيت وأن مدة عمره فى الملك كذا وكذا ثم يتلوه من بعده فى هذه المملكة أربعون ملكا وقربوا له الزمان فى ذلك وحددوه وتقربوا اليه باشياء من هذه المعانى مما مال اليه هواه واستدعاه منهم واستهواه وانه المصفر الرجلين الذى يتملك الارض وكان معه من الاتراك نحو أربعة آلاف مماليك دون من فى عسكره من الاتراك مع ما عنده من الامراء والاتراك وكان سيء الصحبة لهم كثير القتل فيهم فعملوا على قتله وتحالفوا وقد كان على المسير الى مدينة السلام والقبض على الملك وتولية أصحابه مدن الاسلام باسرها فى شرق البلاد وغربها مما فى يد ولد العباس وغيرهم فاقطع الدور ببغداد لاهله ولم يشك أن الامر فى يده والملك له فخرج ذات يوم الى الصيد وهو فرح مسرور لما قدتم له من الامر وتاتى له من الملك فدخل الحمام بعد رجوعه فى قصر أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف العجلى باصبهان فدخل اليه غلام من وجوه الاتراك وهو بحكم وكان من خواص الغلمان ومعه ثلاثة نفر من وجوه الاتراك أرى أحدهم تورون مدبر الدولة بعد بحكم فقتلوه فخرج بحكم ومن معه وقد كان أعلم الاتراك بذلك فكانوا له متاهبين فركبوا من فورهم وذلك فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فى خلافة الراضى وتفرق الجيش عند وقوع الضجة ونهب بعض الناس بعضا وأخذت الخزائن وانتهبت الاموال ثم ان الجبل والديلم ثابوا واجتمعوا وتشاوروا وقالوا ان بقينا على ما نحن عليه من التحزب بغير

رئيس تنقاد اليه هلكنا فاجتمع أمرهم على مبايعة وشمكير أخى مرداويج وتفسير مرداويج معلق الرجال وقد يكتب مرداويج بالزاى فبايعوا وشمكير بعد أن تفرق كثير من الجيش ففرق فيهم كثيرا مما بقى من الاموال وأحسن اليهم وتوجه فيمن معه من العساكر الى الرى فنزلها وسار بحكم التركى فيمن معه من الاتراك وقد جمعوا أنفسهم الى أن يخلصوا من الديلم وسار الى بلاد الدينور فجبى منها الخراج وأخذ كثيرا من الاموال وسار الى النهروان على أقل من يومين من مدينة السلام فراسل الراضى وكان الغالب على أمره الساجة وعدة من الغلمان الحجرية فابوا أن يتركوه يتصل الى الحضرة خوفا أن يغلب على الدولة فمضى بحكم لما منع من الحضرة الى واسط الى محمد بن رائق وكان مقيما بها فادناه وحياه وغلب عليه وقوى أمر بحكم واصطنع الرجال وضعف أمر ابن رائق عنه فكان من أمره ما قد اشتهر وقد قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من اختفائه وخروج بحكم مع الراضى الى الموصل ومعهم على بن خلف بن طباب الى ديار بنى حمدان من بلاد الموصل وديار ربيعة وظهور محمد بن رائق ببغداد ومعاونة الغوغاء له ومسيره الى دار السلطان وقتله لابن بدر الشرابى وخروجه من الحضرة ومن تبعه من الجبل والقرامطة مثل رافع وعمارة وغيرهما وكانوا أنصاره ومسيره الى ديار مصر ونزوله الرقة وما كان بينه وبين نمير ودخول يانس المؤنسى وحملته ومسيره الى جند قنسرين والعواصم واخراجه ظريفا اليشكرى عنها وتوليه الثغر الشامى (وقد أتينا) فى الكتاب الاوسط الذى كتابنا هذا تال له والاوسط لكتابنا أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة على ما كان منه ومحاربته الاخشيد بن محمد بن طغج بالعريش من بلاد مصر وانكشافه ورجوعه الى دمشق وما كان من قتله لاخيه الاخشيد محمد بن طغج باللجون من بلاد الاردن وما كان قبل وقعة العريش بينه وبين عبد الله بن طغج وما كان معه من القواد وانكشافهم عنه واستئمان من استامن منهم اليه مثل محمد بن بكسين الخاصة وبكير الخاقانى غلام خاقان المفلحى وغيرهما وغير ذلك من أخباره واخبار غيره وذكرنا مقتل ظريف اليشكرى فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة على باب طرسوس وما كان من وقيعته مع الثميلية وهم غلمان ثميل الخادم فاغنى ذلك عن اعادته مبسوطا فى هذا الكتاب وانما تغلغل بنا الكلام فى التصنيف فيما ذكرنا من أخبار الديلم والجبل وما كان من أمر اسفار بن شيرويه ومرداويج عند ذكرنا الآل أبى طالب وأمر الداعى الحسن بن

القاسم الحسني صاحب طبرستان ومقتله وخبر الاطروش الحسن بن علي بن الحسن (قال المسعودي) وقد أتينا على ذكر سائر الاحداث والكوائن في أيام من ذكرنا من الخلفاء والملوك في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وذكرنا في هذا الكتاب ما يكتفي به الناظر فيه وانتهى التصنيف فيه الى هذا الوقت وهو جمادي الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ونحن بفسطاط مصر والغالب على أمر الدولة والحضرة أبو الحسن أحمد بن بويه الديلمي المسمى معز الدولة وأخوه الحسن بن بويه صاحب بلاد أصبهان وكور الاهواز وغيرها المسمى ركن الدولة وأخوهما الاكبر والرئيس المعظم علي بن بويه الملقب بعميد الدولة المقيم بارض فارس والمدبر منهم لامر المطيع أحمد بن بويه معز الدولة وهو المحارب للبريديين بارض البصرة والمطيع معه على حسب ما ينمو الينا من أخبارهم ودللنا في كتابنا هذا بالقليل على الكثير وبالجزء القليل على الجليل الخطير وذكرنا في كل كتاب من هذه الكتب مالم نذكره في الآخر الا مالا يسع تركه ولم نجد بدا من ايراده لما دعت الحاجة الى وصفه وأتينا على أخبار أهل كل عصر وما حدث فيه من الاحداث وما كان فيه من الكوائن الى وقتنا هذا مع ما أسلفناه في هذا الكتاب من ذكر البر والبحر والعامر منهما والغامر والملوك وسيرها والامم وأخبارها وأرجو أن يفسح الله تعالى لنا في البقاء ويعدنا بالعمر ويسعدنا بطول الايام فنعقب تاليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمنه فنونا من الاخبار وأنواعا من ظرائف الآثار على غير نظم من التاليف ولا ترتيب من التصنيف على حسب ما يسنح من فوائد الاخبار ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الاخبار ومختلط الآثار تاليا لما سلف من كتبنا ولاحقا بما تقدم من تصنيفنا وجميع ما أوردناه في هذا الكتاب لا يسع ذوي الدراية جهله ولا يعذر في تركه والتغافل عنه فمن عد أبواب كتابي هذا ولم يمعن النظر في قراءة كل باب منه لم يبلغ حقيقة ما قلناه ولا عرف للعلم مقداره فلقد جمعنا فيه في عدة السنين باجتهاد وتعب عظيم وجولان في الاسفار وطواف في البلدان من الشرق والغرب وكثير من الممالك غير مملكة الاسلام فمن قرأ كتابنا هذا فليتدبره بعين المحبة وليتفضل هو باصلاح ما أنكر منه مما غيره الناسخ وصحفه الكاتب وليرع لي نسبة العلم وحرمة الادب وموجبات الرواية مما تجشمت من التعب فيها فان منزلتي فيه وفي نظمه وتاليفه بمنزلة من وجد جوهرا

منثوراذا أنواع مختلفة وفنون متباينة فنظم منها سلكا واتخذ عقدا نفيسا ثمينا باقيا لطلابه وليعلم من نظر فيه أنى لم أنتصر فيه لمذهب ولا تحيزت الى قول ولا حكيت عن الناس الا مجالس أخبارهم ولم أعرض فيه لغير ذلك فلنذكر الآن الباب الثانى من جامع التاريخ على حسب ماقدمنا الوعد بايراده فى صدر هذا الكتاب

﴿ ذكر جامع التاريخ الباقى من الهجرة الى هذا الوقت ﴾

وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة الذى فيه انتهينا من الفراغ من هذا الكتاب قد أفردنا فيما سلف من هذا الكتاب بابا للتاريخ فى تاريخ العالم والانبياء والملوك الى مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه الى هجرته ثم ذكرنا هجرته الى وفاته وأيام الخلفاء والملوك الى هذا الوقت على حسب مايوجبه الحساب ومافى كتب السير وأصحاب التواريخ ممن عنى باخبار الخلفاء والملوك ولم نعرض فيما ذكرنا من ذلك لما فى كتب الزيجات مما ذكره أصحاب النجوم على حسب مايوجبه تاريخهم فلنذكر فى هذا الباب جميع ماأثبتوه فى كتب زيجات النجوم من الهجرة الى هذا الوقت المؤرخ ليكون ذلك أكثر لفائدة الكتاب وأجمع لمعرفة تباين أصحاب التواريخ من الاخباريين والمنجمين وما اتفقوا عليه من ذلك فالذى وجدناه من ذلك فى كتاب الزيجات أن الابتداء فى يوم الجمعة مستهل المحرم سنة احدى للتروية وذلك يوم ستة عشر من تموز سنة تسعمائة وثلاثة وثلاثين لذى القرنين وكانت هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة سنة احدى بعد ان مضى منها شهران وثمانية أيام فمكث بها حتى قبض صلى الله عليه وسلم تسع سنين واحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما فذلك عشر سنين وشهران (أبو بكر) الصديق رضى الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام فذلك اثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه عشر سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوما فذلك اثنتان وعشرون سنة (عثمان بن عفان) رضى الله عنه احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وتسعة عشر يوما

(على) بن أبى طالب رضى الله عنه أربع سنين وسبعة أشهر فذلك تسع وثلاثون سنة وثمانية أشهر وسبعة عشر يوما والى بيعة معاوية بن أبى سفيان سنة أشهر وثلاثة أيام فذلك أربعون سنة وشهران وعشرون يوما (معاوية) بن أبى سفيان رضى الله عنه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوما فذلك تسع وخمسون سنة وستة أشهر وخمسة وعشرون يوما (يزيد) بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر (معاوية) بن يزيد بن

معاوية ثلاثة اشهر واثنين وعشرين يوما (مروان) بن الحكم أربعة أشهر (عبدالله) ابن الزبير ثمان سنين وخمسة أشهر (عبدالملك) بن مروان حتى قتل ابن الزبير سنة وشهرين وستة أيام

﴿ ذكر أيام بني مروان ﴾

عبدالملك بن مروان بن الحكم اثنتى عشرة سنة وأربعة أشهر وخمسة أيام (الوليد) ابن عبدالملك تسع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما (سليمان) بن عبدالملك سنتين وسبعة أشهر وعشرين يوما (عمر) بن عبدالعزيز بن مروان سنتين وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما (يزيد) بن عبدالملك أربع سنين ويوما واحدا (هشام) بن عبدالملك تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام فذلك مائة سنة وأربعة وعشرون سنة وثلاثة أشهر وستة أيام (الوليد) بن يزيد بن عبدالملك حتى قتل سنة وشهرين وعشرين يوما فذلك مائة سنة وخمسة وعشرون سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرون يوما وكانت الفتنة بعد مقتله بشهرين وخمسة وعشرين يوما فذلك مائة سنة وخمسة وعشرون سنة وثمانية أشهر واثنتان وعشرون يوما (يزيد) بن الوليد بن عبدالملك شهرين وسبعة أيام فذلك مائة وخمس وعشرون سنة وأحد عشر شهرا ويوم واحد (ابراهيم) ابن الوليد بن عبدالملك حتى خلع شهرين وأحد عشر يوما فذلك مائة سنة وست وعشرون سنة وشهر واثنا عشر يوما (مروان) بن محمد حتى قتل خمس سنين وشهرين فذلك مائة سنة واحدى وثلاثون سنة وثلاثة أشهر واثنا عشر يوما

﴿ ذكر الخلفاء من بني هاشم ﴾

أبو العباس عبدالله بن محمد أربع سنين وثمانية أشهر ويومين فذلك مائة وخمس وثلاثون سنة واحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما حتى انتهت البيعة الى المنصور أربعة عشر يوما فذلك مائة وخمس وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وثمانية وعشرون يوما (أبو جعفر) عبدالله بن محمد المنصور احدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وستة أيام حتى انتهى الخبر الى المهدي اثنى عشر يوما فذلك مائة وسبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما (المهدي) عشر سنين وشهرا واحدا وخمسة أيام فذلك مائة وثمان وستون سنة وثلاثة عشر يوما حتى انتهى الخبر الى الهادي ثمانية أيام فذلك مائة وثمان وستون سنة وشهر واحد ويوم واحد (الهادي) سنة وثلاثة أشهر فذلك مائة وتسع وستون سنة وشهران وستة عشر يوما (الرشيد) ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وستة

عشر يوما فذلك مائة واثنتان وتسعون سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوما (الامين) حتى خلع وحبس ثلاث سنين وخمسة وعشرين يوما فذلك مائة وخمس وتسعون سنة وستة أشهر واثناعشر يوما وأخرج وبويع له وحارب وحوصر حتى قتل سنة وستة أشهر وثلاثة عشر يوما (المأمون) عشرين سنة وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوما فذلك مائتان وسبع عشرة سنة وستة أشهر وتسعة عشر يوما (المعتصم) ثمان سنين وثمانية أشهر ويوما فذلك مائتان وستة وعشرون سنة وشهران وتسعة عشر يوما (الواثق) خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام فذلك مائتان واحدى وثلاثون سنة وأحدعشر شهرا وأربعة وعشرون يوما (المتوكل) أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام فذلك مائتان وست وأربعون سنة وتسعة أشهر ويوم واحد (المنتصر) ستة أشهر فذلك مائتان وسبعة وأربعون سنة وثلاثة اشهر ويوم واحد الى أن انحدر المستعين الى مدينة السلام سنتين وتسعة أشهر وثلاثة أيام فذلك مائتان وخمسون سنة وأربعة عشر يوما والى أن خطب للمعتز بمدينة السلام احدعشر شهرا وعشرين يوما فذلك مائتان واحدى وخمسون سنة وأربعة أيام والى أن خلع ثلاث سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما فذلك مائتان وأربعة وخمسون سنة وستة أشهر وسبعة وعشرون يوما والى بيعة المهتدى يومين فذلك مائتان وأربع وخمسون سنة وسبعة أشهر (المهتدى) احدعشر شهرا وثمانية وعشرين يوما فذلك مائتان وخمس وخمسون سنة وستة أشهر وسبعة عشر يوما (المعتمد) ثلاثا وعشرين سنة وثلاثة أيام فذلك مائتان وثمان وثمانون سنة وثلاثة أشهر واثنان وعشرون يوما (المقتدر) حتى خلع احدى وعشرين سنة وشهرين وخمسة أيام فذلك ثلثمائة سنة وست عشرة سنة وتسعة عشر يوما (ابن المعتز) حتى خلع يومين فذلك ثلثمائة سنة وستة عشر سنة واحدى وعشرون يوما (المقتدر) حتى قتل ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام فذلك ثلثمائة وتسع عشرة سنة وعشرون يوما (القاهر) حتى خلع سنة وستة أشهر واثنى عشر يوما فذلك ثلثمائة واحدى وعشرون سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام (الراضى) ست سنين وأحدعشر شهرا وثمانية وعشرون سنة وسبعة عشر يوما (المتقى) ثلاث سنين وتسعة أشهر وستة عشر يوما فذلك ثلثمائة واثنتان وثلاثون سنة وشهر واحد وثلاثة أيام (المستكفى) سنة وثلاثة أشهر فذلك ثلثمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة وسبعة أشهر واثناعشر يوما (المطيع لله) الى غرة جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة سنة

وثمانية أشهر وخمسة عشر يوما فذلك ثلثمائة وخمس وثلاثون سنة وأربعة أشهر الا ثلاث ليال (قال المسعودي) وسنو الهجرة قمرية وبين هذا التاريخ وتاريخ أصحاب الاخبار والسير تفاوت من زيادات الشهور والايام ومعولنا فيما ذكرنا من التاريخ من الهجرة الى هـذا الوقت على ما وجدنا في كتب الزيجات وكان أهل هذه الصناعة يراعون هذه الاوقات ويحيطون علمها على التحديد والذي نقلناه من التاريخ فمن زيج أبي عبد الله محمد بن جابر الساني وغيره من الزيجات الى هذا الوقت فاما ما قدمنا ذكره في هذا الوقت من الهجرة الى هذا الوقت فانا نعيد ذكره مفصلا في هذا الكتاب لكي يقرب تناوله على الطالب له ولا يبعد عما ذكرناه من الزيجات (فالذي صح) من تاريخ أصحاب السير والاخبار من أهل النقل والآثار أنه بعث صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر عشرا وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وسلم (أبو بكر) سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام (عمر) بن الخطاب عشر سنين وتسعة أشهر وأربع ليال (عثمان) بن عفان احدى عشرة سنة (علي) بن ابي طالب أربع سنين (١) (الحسن) بن علي ستة أشهر وعشرة أيام (معاوية) بن أبي سفيان سبع عشرة سنة وثمانية أشهر (يزيد) بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر الا ثمان ليال (معاوية) بن يزيد شهرا واحدا وأحد عشر يوما (مروان) بن الحكم ثمانية أشهر وخمسة أيام (عبد الملك) بن مروان احدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا (الوليد) ابن عبد الملك سبع سنين وثمانية أشهر ويومين (سليمان) بن عبد الملك سنتين وسبعة اشهر وسبعة وعشرين يوما (عمر) بن عبد العزيز سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام (يزيد) ابن عبد الملك أربع سنين وشهرا ويومين (هشام) بن عبد الملك تسع عشرة سنة وتسعة أشهر واحدى عشرة ليلة (الوليد) بن يزيد سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما (مروان) بن محمد خمس سنين وعشرة أيام (عبد الله) بن محمد السفاح أربع سنين وتسعة أشهر (المنصور) اثنتين وعشرين سنة الا تسع ليال (المهدي) عشر سنين وشهرا وخمسة عشر يوما (الهادي) سنة وستة أشهر (الرشيد) ثلاثا وعشرين سنة وستة أشهر (الامين) أربع سنين وستة أشهر (المأمون) احدى وعشرين سنة سواء (المعتصم) ثمان سنين وثمانية أشهر (الواثق) خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام

(١) بياض بالاصل

(المتوكل) أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسع ليال (المنتصر) ستة أشهر (المستعين) ثلاث سنين وثمانية أشهر (المعتز) أربع سنين وستة أشهر (المهتدى) احدعشر شهرا (المعتمد) ثلاثا وعشرين سنة (المعتضد) تسع سنين وتسعة أشهر ويومين (المكتفى) ست سنين وسبعة أشهر ويومين (المقتدر) أربعا وعشرين سنة واحدعشر شهرا وستة عشر يوما (القاهر) سنة وستة أشهر وستة أيام (الراضى) ست سنين واحدعشر شهرا وثمانية أيام (المتقى) ثلاث سنين وتسعة أشهر وستة عشر يوما (المستكفى) سنة وثلاثة أشهر (المطيع) الى غرة جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوما (ونحن نؤمل من الله) تعالى البقاء والزيادة فى العمر لنزيد فى هذا الكتاب مايحدث فى ايامهم ومايكون فى المستقبل من دولتهم فهذا اجمل التاريخ من الهجرة الى هذا الوقت وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة وقد أوردنا فى الكتاب ماذكر الفريقان جميعا لكى لا يبعد فهم ذلك على مريده والطالب له ان شاء الله تعالى والتاريخ من المولد الى هذا الوقت معلوم ومن المبعث الى الوفاة معروف غير مجهول ولا يتعذر تناوله على ذى الدراية من هذا الكتاب الا أن معول الناس ان بدء التاريخ من الهجرة على حسب ما بينا فيما سلف فى كتبنا من مشاورة عمر الناس فى التاريخ عند حدوث بدئه وماقاله الناس من كل فريق منهم وأخذه بقول على بن أبى طالب رضى الله عنه أن يؤرخ بهجرة النبى صلى الله عليه وسلم وتركه أرض الشرك وان ذلك كان من عمر رضى الله عنه فى سنة سبع عشرة او ثمانى عشرة على حسب التنازع فى ذلك والله أعلم

﴿ ذكر تسمية من حج بالناس أول الاسلام الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ﴾

(قال المسعودى) فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة ورجع الى المدينة واستعمل عتاب بن أسيد بن ابى العيص بن أمية على مكة فحج بالناس سنة ثمان وقيل بل حج الناس اوزاعا ليس عليهم احد ثم كانت سنة تسع فحج بالناس أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين خرج من المدينة مع ثلثمائة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بدنة ثم أرسل على اثره على بن أبى طالب رضى الله عنه فادركه بالعرج ومعه سورة براءة فاذن بها يوم النحر عند العقبة فاقام أبو بكر الحج وخطب ابو بكر بمكة قبل التروية بيوم ويوم عرفة بعرفة ويوم النحر بمنى ثم كانت سنة عشر فحج بالناس سيد المرسلين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كانت سنة إحدى عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم كانت سنة اثنتى

عشرة فحج بالناس ابو بكر الصديق رضى الله عنه ثم كانت سنة ثلاث عشرة فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف ثم كانت سنة أربع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم كانت سنة خمس عشرة فحج بالناس ثم كانت سنة ست عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة سبع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة ثمان عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة تسع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة عشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة احدى وعشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة اثنتين وعشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة ثلاث وعشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم قتل رضى الله عنه آخر ذى الحجة ثم كانت سنة أربع وعشرين فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف ثم كانت سنة خمس وعشرين فحج بالناس عثمان بن عفان الى سنة أربع وثلاثين ثم كانت سنة خمس وثلاثين حج بالناس عبد الله بن عباس بأمر عثمان وهو محصور ثم كانت سنة ست وثلاثين حج بالناس عبد الله بن عباس ثم كانت سنة سبع وثلاثين بعث على بن أبى طالب على الموسم عبد الله بن العباس وبعث معاوية بن أبى سفيان شجرة الرهاوى فاجتمعا بمكة وتنازعا الامارة ولم يسلم أحدهما لصاحبه فاصطلحا على أن يصلى بالناس شيبة بن عثمان الجحى ففعل ذلك ثم كانت سنة ثمان وثلاثين حج بالناس قثم بن عباس نائب مكة ثم كانت سنة تسع وثلاثين حج شيبة بن عثمان ثم كانت سنة أربعين والتنازع مع معاوية والحسن بن على فى الخلافة فحج بالناس المغيرة بن شعبة عن كتاب يقال انه افتعله فيما قيل ثم كانت سنة احدى وأربعين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ثم حج بعده مروان ابن الحكم ثم كانت سنة أربع واربعين حج معاوية بن أبى سفيان ثم كانت سنة خمس وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة ست وأربعين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة سبع واربعين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة ثمان واربعين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة تسع واربعين حج بالناس سعيد بن العاص ثم كانت سنة خمسين حج بالناس معاوية بن ابى سفيان ثم كانت سنة اثنتين وخمسين حج بالناس سعيد بن العاص عامين ثم كانت سنة اربع وخمسين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت خمس وخمسين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة ست وخمسين حج بالناس عتبة بن ابى سفيان ثم كانت سنة سبع وخمسين حج بالناس الوليد بن عتبة عامين ثم كانت سنة تسع وخمسين حج بالناس عثمان بن ابى سعيد ثم كانت سنة ستين

حج بالناس عمرو بن سعيد بن العاص ثم كانت سنة احدى وستين حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ثم كانت سنة اثنتين وستين حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ثم كانت سنة ثلاث وستين حج بالناس عبد الله بن الزبير الى سنة احدى وسبعين حج بالناس الحجاج بن يوسف وقتل عبد الله بن الزبير ثم كانت سنة أربع وسبعين حج بالناس الحجاج بن يوسف ثم كانت سنة خمس وسبعين حج بالناس عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة ست وسبعين حج بالناس الى سنة ثمانين أبان بن عثمان بن عفان ثم كانت سنة احدى وثمانين حج بالناس سليمان بن عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة اثنتين وثمانين حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان ثم كانت سنة ثلاث وثمانين حج بالناس الى سنة خمس وثمانين هشام بن اسمعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي ثم كانت سنة ست وثمانين حج بالناس العباس بن الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة سبع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز بن مروان ثم كانت سنة ثمان وثمانين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة تسع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة احدى وتسعين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة اثنتين وتسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة ثلاث وتسعين حج بالناس عثمان بن الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة أربع وتسعين حج بالناس مسلمة بن عبد الملك ثم كانت سنة خمس وتسعين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة ست وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ثم كانت سنة سبع وتسعين حج بالناس سليمان بن عبد الملك ثم كانت سنة ثمان وتسعين حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العاص بن أمية ثم كانت سنة تسع وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ثم كانت سنة مائة حج بالناس أبو بكر أيضا ثم كانت سنة احدى ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله أمير مكة ثم كانت سنة اثنتين ومائة حج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك الفهري ثم كانت سنة ثلاث ومائة حج بالناس عبد الله بن كعب بن عمير بن سبع بن عوف بن نضر بن معاوية النضري ثم كانت سنة أربع ومائة حج فيها أيضا ثم كانت سنة خمس ومائة حج بالناس ابراهيم بن هشام بن اسمعيل المخزومي ثم كانت سنة ست ومائة حج بالناس هشام بن عبد الملك ثم كانت سنة سبع ومائة حج بالناس ابراهيم بن هشام المخزومي الى سنة اثنتى عشرة ومائة ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائة حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك

ثم كانت سنة أربع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم بن العاص بن أمية ثم كانت سنة خمس عشرة ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل بن الوليد بن المغيرة ثم كانت سنة ست عشرة ومائة حج بالناس الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو ولى عهده ثم كانت سنة سبع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن عبد الملك ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل ثم كانت سنة تسع عشرة ومائة حج بالناس مسلمة بن هشام بن عبد الملك أبو شاكر وقيل بل مسلمة بن عبد الملك ثم كانت سنة عشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل ثم كانت سنة احدى وعشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل الى سنة أربع وعشرين ومائة ثم كانت سنة خمس وعشرين ومائة حج بالناس يوسف ابن أخى الحجاج بن يوسف ثم كانت سنة ست وعشرين ومائة حج بالناس عمر بن عبد الله بن عبد الملك ثم كانت سنة سبع وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسع وعشرين ومائة حج بالناس عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان أبو حمزة المختار بن عوف الخارجى من الازد داعية المعروف بطالب الحق قد وقف وخرج تلك السنة فكلمه الناس حتى نزل عبد الواحد يصلى بالناس ويخرج الى منزله ثم كانت سنة ثلاثين ومائة حج بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة احدى وثلاثين ومائة حج بالناس عروة بن محمد بن عطية السعدى بكتاب افتعله على لسان عمه عبد الملك بن محمد وهو والى الحجاز واليمن لمروان بن محمد (قال المسعودى) فهذا آخر ما حج بنو أمية ثم كانت سنة اثنتين وثلاثين ومائة حج بالناس داود بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ثم كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائة حج بالناس زياد بن عبد الله الحرثى ثم كانت سنة أربع وثلاثين ومائة حج بالناس عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمس وثلاثين ومائة حج بالناس سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور وفيها بويع لابى جعفر المنصور ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائة حج بالناس اسمعيل بن على بن عبد الله بن العباس ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائة حج بالناس الفضل بن صالح بن على ثم كانت سنة تسع وثلاثين ومائة حج بالناس العباس بن محمد بن على ثم كانت سنة أربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور

ثم كانت سنة احدى وأربعين ومائة حج بالناس صالح بن على ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائة حج بالناس اسمعيل بن على ثم كانت سنة ثلاث وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ثم كانت سنة أربع وأربعين ومائة حج بالناس (١) ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائة حج بالناس السرى بن عبد الله بن الحرث بن العباس بن عبد المطلب ثم كانت سنة ست وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد ابن على بن عبد الله بن العباس ثم كانت سنة سبع وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور وقيل محمد بن ابراهيم الامام وقتل فى سنة ثمان ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن على ثم كانت سنة خمسين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن على ثم كانت سنة احدى وخمسين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن على ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ثم كانت سنة ثلاث وخمسين ومائة حج بالناس المهدى محمد بن عبد الله بن محمد بن على ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن على ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن على ثم كانت سنة ست وخمسين ومائة حج بالناس العباس بن محمد بن على ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائة حج بالناس ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائة حج بالناس ابراهيم ابن يحيى أيضا ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائة حج بالناس يزيد بن منصور بن عبد الله ابن شهر بن يزيد بن مثوب الحميرى ثم كانت سنة ستين ومائة حج بالناس الهادى بن موسى بن المهدى وهو ولى عهد ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائة حج بالناس ابراهيم ابن جعفر بن أبى جعفر ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائة حج بالناس على بن المهدى ثم كانت سنة أربع وستين ومائة حج بالناس صالح بن ابى جعفر ثم كانت سنة خمس وستين ومائة حج بالناس صالح أيضا ثم كانت سنة ست وستين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن على ثم كانت سنة سبع وستين ومائة حج بالناس ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على ثم كانت سنة ثمان وستين ومائة حج بالناس على بن محمد المهدى ثم كانت سنة تسع وستين ومائة حج بالناس سليمان بن أبى جعفر المنصور ثم كانت سنة سبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة احدى وسبعين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن على ثم كانت سنة اثنتين وسبعين ومائة حج بالناس (١) ثم كانت

(١) بياض بالاصل

سنة ثلاث وسبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد خرج محرما من عسكره الى
مكة ثم كانت سنة أربع وسبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد الى سنة تسع
وسبعين ومائة ثم كانت سنة ثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى بن موسى
ابن محمد بن على ثم كانت سنة احدى وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت
سنة اثنتين وثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى ثم كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة
حج بالناس العباس بن محمد المهدى ثم كانت سنة أربع وثمانين ومائة حج بالناس
ابراهيم بن المهدى ثم كانت سنة خمس وثمانين ومائة حج بالناس منصور بن المهدى ثم
كانت سنة ست وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة سبع وثمانين ومائة
حج بالناس عبد الله بن العباس بن على وقيل منصور بن المهدى ثم كانت سنة ثمان وثمانين
ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائة حج بالناس العباس
ابن موسى بن عيسى بن محمد بن على ثم كانت سنة تسعين ومائة حج بالناس على بن الرشيد
ثم كانت سنة احدى وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبيد الله بن جعفر بن أبى
جعفر المنصور ثم كانت سنة اثنتين وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبيد الله
أيضا ثم كانت سنة ثلاث وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على
ثم كانت سنة أربع وتسعين ومائة حج بالناس على بن الرشيد ثم كانت سنة خمس وتسعين
ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى ثم كانت سنة ست وتسعين ومائة حج
بالناس العباس بن موسى الى ثمان وتسعين ثم كانت سنة تسع وتسعين ومائة حج بالناس
محمد بن داود بن عيسى بن محمد بن على ووثب ابن الافطس العلوى بمكة فقبض عليها
فتنحى محمد بن داود ولم يمض الى عرفة وخرج الناس فوقفوا بغير امام فلما كانوا
بالمزدلفة طلع عليهم ابن الافطس فاقام لهم باقى حجتهم ثم كانت سنة مائتين حج بالناس
المعتصم بن اسحق ثم كانت سنة احدى ومائتين حج بالناس اسحق بن موسى بن عيسى
ابن موسى بن محمد بن على ثم كانت سنة اثنتين ومائتين حج بالناس ابراهيم بن موسى بن
جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو أول طالبى أقام للناس
الحج فى الاسلام على انه أقام متغلبا عليه لا مولى من قبل خليفة وكان ممن سعى فى الارض
بالفساد وقتل أصحاب ابراهيم بن عبيد الله الحجبى وغيره فى المسجد الحرام ويزيد
ابن محمد بن حنظلة المخزومى وغيره من أهل العبادة ثم كانت سنة ثلاث ومائتين حج
بالناس سليمان بن عبد الله بن جعفر بن سليمان بن على ثم كانت سنة أربع ومائتين حج

بالناس عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله ثم كانت سنة خمس ومائتين حج بالناس عبيد الله بن الحسن أيضا ثم كانت سنة ست وسبع ومائتين حج بالناس ابو عيسى بن الرشيد ثم كانت سنة ثمان ومائتين حج بالناس صالح بن الرشيد ومعه زبيدة الى سنة عشر ومائتين ثم كانت سنة احدى عشرة ومائتين حج بالناس اسحق بن العباس بن محمد بن على ثم كانت سنة اثنتى عشرة ومائتين حج بالناس المامون ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائتين حج بالناس أحمد بن العباس ثم كانت سنة اربع عشرة ومائتين حج بالناس عبيد الله بن عبد الله ثم كانت سنة خمس عشرة ومائتين حج بالناس عبد الله بن عبيد الله ايضا ثم كانت سنة ست عشرة ومائتين حج بالناس (١) ثم كانت سنة سبع عشرة ومائتين حج بالناس سليمان بن عبد الله بن على ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائتين حج بالناس صالح بن العباس بن محمد ثم كانت سنة تسع عشرة ومائتين حج بالناس صالح بن العباس بن محمد ثم كانت سنة عشرين ومائتين حج بالناس صالح بن العباس أيضا ثم كانت سنة احدى وعشرين ومائتين حج بالناس أيضا صالح بن العباس بن محمد ثم كانت سنة اثنتين وعشرين ومائتين حج بالناس محمد بن داود بن عيسى بن محمد بن على بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب ثم كذلك الى سنة ست وعشرين ومائتين ثم كانت سنة سبع وعشرين ومائتين حج بالناس جعفر المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائتين حج بالناس الى سنة خمس وثلاثين ومائتين محمد بن داود بن عيسى ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائتين حج بالناس محمد المنتصر ومعه جدته شجاع ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائتين حج بالناس على بن عيسى بن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائتين الى سنة احدى وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن على بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائتين حج بالناس الى سنة أربع وأربعين ومائتين عبد الصمد ابن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائتين حج بالناس الى سنة ثمان وأربعين ومائتين محمد بن سليمان بن عبد الله ابن محمد بن ابراهيم الامام ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الصمد ابن موسى بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمسين ومائتين حج بالناس جعفر بن الفضل بن موسى بن عيسى بن موسى ويلقب بساسان

(١) بياض بالاصل

ثم كانت سنة احدى وخمسين ومائتين وقف بالناس اسمعيل بن يوسف العلوى المقدم ذكره فيما مضى من هذ الكتاب وبطل الحج الايسير الان اسمعيل هذا طلع على الحاج وهم بعرفة فى جموعه فقتل من المسلمين خلقا عظيما حتى زعموا انه كان يسمع بالليل تلبية القتلى وكان شانه فى الفساد عظيما ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة ثلاث وخمسين ومائتين حج بالناس عبد الله بن محمد بن سليمان بن عبد الله الرسى ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائتين حج بالناس على بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد بن على ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائتين حج بالناس على بن الحسن أيضا ثم كانت سنة ست وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد بن على ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائتين حج بالناس ابراهيم بن محمد ابن اسمعيل بن جعفر بن سليمان بن على بن بويه ثم كانت سنة ستين ومائتين حج بالناس ابن بويه أيضا ثم كانت سنة احدى وستين ومائتين حج بالناس الفضل ابن العباس بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد بن على ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة أربع وستين ومائتين حج بالناس الى سنة ثمان وسبعين ومائتين خمس عشرة سنة متوالية هرون بن محمد بن اسحق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة تسع وسبعين ومائتين حج بالناس الى سنة سبع وثمانين ومائتين تسع حجج متوالية أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن داود بن عيسى بن موسى ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائتين حج بالناس محمد بن هرون بن العباس بن ابراهيم بن عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائتين حج بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد بن على ولم يزل يحج بالناس كل سنة الى سنة خمس وثلثمائة ثم كانت سنة ست وثلثمائة حج بالناس أحمد بن العباس بن محمد بن عيسى بن سليمان بن محمد بن ابراهيم الامام وهو المعروف باخى أم موسى الهاشمية قهرمانة شعب أم المقتدر بالله ثم كانت سنة سبع وثلثمائة حج بالناس أحمد بن العباس أيضا ثم كانت سنة ثمان وثلثمائة حج بالناس الى سنة

احدى عشرة وثلثمائة اسحق بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد ثم كانت سنة اثنتى عشرة وثلثمائة حج بالناس الحسن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ثم كانت سنة ثلاث عشرة وثلثمائة حج بالناس أبو طالب عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز بن عبد الله بن العباس بن محمد خليفة لعمه الحسن ثم كانت سنة أربع عشرة وثلثمائة حج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن سليمان بن محمد الاكبر ثم كانت سنة خمس عشرة وثلثمائة حج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد المعروف بابى أحمد الازرق خليفة الحسن بن عبد العزيز بن العباس ثم كانت سنة ست عشرة وثلثمائة حج بالناس أبو أحمد الازرق أيضا ثم كانت سنة سبع عشرة وثلثمائة دخل سليمان بن الحسن صاحب البحرين مكة وقد حضر عمر بن الحسن بن عبد العزيز المقدم فسبه اليه لاقامة الحج خليفة لابيه فكان من أمر الناس ما كان فيما قدمناه ذكره فيما سلف من هذا الكتاب ولم يتم حج فى موسم سنة سبع عشرة وثلثمائة هذه من أجل حادثة القرامطة لعنهم الله الا القوم يسير غدروا فتم حجهم دون امام وكانوا رجالة ثم كانت سنة ثمان عشرة وثلثمائة حج بالناس عمر بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمى خليفة لابيه الحسن بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسع عشرة وثلثمائة حج بالناس فيها جعفر بن على بن سليمان خليفة الحسن بن عبد العزيز ثم كانت سنة عشرين وثلثمائة حج بالناس فيها عمر بن الحسن بن عبد العزيز خليفة لابيه أيضا ولم يزل يحج بالناس الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وهو على قضاء مكة فى هذا الوقت وهو جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وثلثمائة واليه قضاء مصر وغيرها (قال أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى رحمه الله) قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب أنواعا من الاخبار وفنونا من العلم من أخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام والملوك وسيرها والامم وأخبارها وأخبار الارض والبحار وما فيها من العجائب والآثار وما اتصل بذلك ليستدل به على ما سلف من كتبنا ومدخلا الى ما تقدم من تصنيفنا فى أنواع العلوم مما قدمناه ذكره ولم نترك نوعا من العلوم ولا فنا من الاخبار ولا طريقا من الآثار الا أوردناه فى هذا الكتاب مفصلا أو ذكرناه مجملا أو أشرنا اليه بضرب من الاشارات أو لوحنا اليه بفحوى من العبارات من أخبار العجم والعرب والكوائن والاحداث فى سائر الامم فمن حرف شيأ من معنى هذا الكتاب أو أزال ركنا من مبناه أو طمس واضحة من معانيه أو لبس شاهرة من تراجمه

أوغيره أو بدله أو انتحله أو اختصره أو نسبه الى غيرنا أو أضافه الى سوانا أو أسقط منه ذكرنا فوافاه من غضب الله وسرعة نقمته وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صبره ويحار له فكره وجعله الله مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية للمتوسمين وسلبه الله ما أعطاه وحال بينه وبين ما أنعم به عليه من قوة ونعمة مبدع السموات والارض من أى الملل كان والآراء انه على كل شئ قدير وقد جعلنا هذا التخويف فى أول كتابنا هذا وآخره وكذلك نقول فى سائر ما تقدم من تصنيفنا ونظمناه من تاليفنا فليراقب امرؤ ربه وليحاذر منقلبه فالمدة يسيرة والمسافة قصيرة والى الله المصير (وقد قدمنا) الاعتذار فى مواضع مما سلف من هذا الكتاب من سهو ان عرض أو تصحيف أو تغيير من الكاتب ان وقع ولما قد دفعنا اليه من الاسفار المتواترة والحركة المتصلة تارة مشرقين وتارة مغربين وطورا متيامنين وطورا متشائمين وما يلحقنا من سهو الانسانية ويصحبنا من عجز البشرية عن بلوغ الغاية وتقصى النهاية ولو كان لا يؤلف كتابا الا من حوى جميع العلوم اذا ما ألف أحد كتابا ولا تاتى له تصنيف لان الله عز وجل يقول وفوق كل ذى علم عليم جعلنا الله ممن يؤثر طاعته ويوفق لرشده ونسأله أن يمحو بخير شرا و بجد هزلا ثم يعود علينا بعد ذلك بعفوه

ويتغمدنا بفضله انه جواد

منان لا إله إلا هو

رب العرش

العظيم

تم

الخاتمة

نحمد الله الذى جمل نظام هذا الوجود وأفاض من جلائل نعمه على كل موجود ونصلى ونسلم على سيدنا محمد الذى قص الله عليه من الأخبار أنفسها وأمتنها ومن الحكم أنفعها وأحسنها وعلى آله الذين اتبعوا طريقه واقتفوا أثره وصحبه الذين دونوا سيره

﴿ وبعد ﴾ فان من فضل الله العظيم علينا وجميل احسانه العميم الينا طبع هذا الكتاب الجليل الشان الغنى بعلو قدره ونفاسته عن المدح والبيان المسمى بمروج الذهب ومعادن الجوهر فلله در مؤلفه خاتمة المحققين وامام المؤرخين أبى الحسن على بن الحسين المسعودى رحمه الله فقد أتى فيه بالعجب العجاب مما بهر عقول ذوى الدراية والألباب وبرز على معاصريه بما لم يسبق اليه فكان فى بابه هو المرجع والمعول عليه وصار جديرا بأن يقال فيه بلا امترا « كل الصيد فى جوف الفرا »

وكان تمام هذا الطبع الفاخر بالمطبعة العامرة البهيه الكائنة بحوش قدم بمصر المحروسة المحميه على نفقة صاحبها ومديرها من وفقه الله فى أعماله لسلوك طريق السداد والقيام بما فيه الخير والمنفعة للعباد (حضرة الهمام الأمجد والنبيل الأسعد عبد الرحمن افندى محمد) كان الله له نصيراً ومعينا

وكان ظهوره فى هذا العصر الزاهر عصر مولانا حضرة صاحب الجلالة مليك مصر المعظم فؤاد الأول أدام الله أيامه وحفظ ولى عهده صاحب السمو الأمير فاروق وأعلى مقامه وذلك فى النصف الأخير من ذى الحجة سنة الف
وثلاثمائة وست وأربعين من هجرة سيد
الانبياء والمرسلين صلى الله عليه
وعلى آله وأصحابه مالاح
بدر تمام وفاح
مسك ختام
آمين

فهرست الجزء الثانى من مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى

صحيفة

٢ ذكر خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه
٦ ذكر الاخبار عن يوم الجمل وبدئه وما كان فيه من الحرب وغيره
١٧ ذكر جوامع مما كان بين أهل العراق وأهل الشام بصفين
٢٨ ذكر الحكمين وبدء التحكيم
٣٦ ذكر حروبه رضى الله عنه مع اهل النهروان وما لحق بهذا الباب
٤٠ ذكر مقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه
٤٥ ذكر لمع من كلامه وأخباره وزهده رضوان الله عليه
٥٠ ذكر خلافة الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه
٥٠ ذكر لمع من أخباه وسيره رضى الله عنه
٥٣ ذكر خلافة معاوية بن أبى سفيان
٥٤ ذكر لمع من أخباره وسيره ونوادر من بعض أفعاله
٧٠ ذكر جمل من اخلاقه وسياسته وظرائف من عيون أخباره
٨٤ ذكر الصحابة ومدحهم وعلى والعباس وفضلهما
٨٥ ذكر أيام يزيد بن معاوية بن أبى سفيان
٨٦ ذكر مقتل الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام ومن قتل معه من اهل بيته وشيعته
٩١ ذكر أسماء ولد على بن أبى طالب رضى الله عنه
٩٢ ذكر لمع من أخبار يزيد وسيره ونوادر من بعض أفعاله
٩٧ ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم والمختار بن أبى عبيد الله وعبد الله بن الزبير ولمع من أخبارهم وسيرهم وبعض ما كان فى أيامهم
١٠٩ ذكر أيام عبد الملك بن مروان
١٠٩ ذكر جمل من أفعاله وسيره ولمع مما كان فى أيامه ونوادر من أخباره
١٣١ ذكر جمل من أخبار الحجاج وخطبه وما كان منه فى بعض افعاله
١٥١ ذكر أيام الوليد بن عبد الملك
١٥١ ذكر لمع من أخباره وسيره وما كان من الحجاج فى أيامه

صحيفة

١٦١ ذكر أيام سليمان بن عبد الملك
١٦٢ ذكر لمع من أخباره وسيره
١٦٦ ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم
١٦٧ ذكر لمع من أخباره وسيره وزهده
١٧٥ ذكر أيام يزيد بن عبد الملك بن مروان
١٧٥ ذكر لمع من أخباره وسيره وما كان فى أيامه
١٨٠ ذكر أيام هشام بن عبد الملك بن مروان
١٨٠ ذكر لمع من أخباره وسيره
١٨٥ ذكر أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان
١٨٥ ذكر لمع من أخباره وسيره
١٨٩ ذكر أيام يزيد وابراهيم ابنى الوليد بن عبد الملك بن مروان
١٩٠ ذكر لمع مما كان فى أيامهما
١٩٤ ذكر السبب فى العصبية بين النزارية واليمانية
١٩٧ ذكر أيام مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو الجعدى
١٩٨ ذكر مقدار المدة من الزمان وما ملكت فيه بنو امية من الاعوام
١٩٩ ذكر الدولة العباسية ولمع من أخبار مروان ومقتله وجوامع من حروبه وسيره
٢٠٩ ذكر خلافة أبى العباس عبد الله بن محمد السفاح
٢٠٩ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه
٢٢٨ ذكر خلافة أبى جعفر المنصور
٢٢٨ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه
٢٤٦ ذكر خلافة المهدى محمد بن عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس ويكنى أبا عبد الله وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن سهم بن أبى سرح من ولد ذى رعين من ملوك حمير
٢٤٧ ونذكر جملا من أخباره ولمعا مما كان فى أيامه
٢٥٥ ذكر خلافة موسى الهادى
٢٥٥ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه

صحيفة

٢٦٣ ذكر خلافة هرون الرشيد
٢٦٣ ذكر جمل من أخباره وسيره
٢٨٢ فلنذكر الآن جملا من أخبار البرامكة
٢٩٧ ذكر خلافة محمد الامين
٢٩٨ ونذكر جملا من أخباره وسيره ولمعا مما كان فى أيامه
٣١٦ ذكر خلافة المأمون
٣١٧ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه
٣٤٥ ذكر خلافة المعتصم
٣٤٥ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه
٣٥٦ ذكر خلافة الواثق
٣٥٦ ذكر لمع من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه
٣٦٨ ذكر خلافة المتوكل على الله
٣٦٩ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه
٣٩٨ ذكر خلافة المنتصر بالله
٣٩٨ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه
٤٠٧ ذكر خلافة المستعين بالله
٤٠٧ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه
٤٢١ ذكر خلافة المعتز بالله
٤٣١ ذكر خلافة المهتدى بالله
٤٣١ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه
٤٤١ ذكر خلافة المعتمد على الله
٠٠٠ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه
٤٦٢ ذكر خلافة المعتضد بالله
٤٦٢ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه
٤٩٠ ذكر خلافة المكتفى بالله
٠٠٠ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه

صحيفة

٥٠١ ذكر خلافة المقتدر بالله
٥٠١ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه
٥١٣ ذكر خلافة القاهر بالله
٥١٣ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه
٥١٩ ذكر خلافة الراضى بالله
٥٢٠ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه
٥٤٠ ذكر خلافة المستكفى بالله
٥٥٠ ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه
٥٥٢ ذكر خلافة المطيع لله
٥٦٢ ذكر جامع التاريخ الباقى من الهجرة الى هذا الوقت
٥٦٣ ذكر أيام بنى مروان
٥٦٣ ذكر الخلفاء من بنى هاشم
٥٦٦ ذكر تسمية من حج بالناس أول الاسلام الى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

(تم)